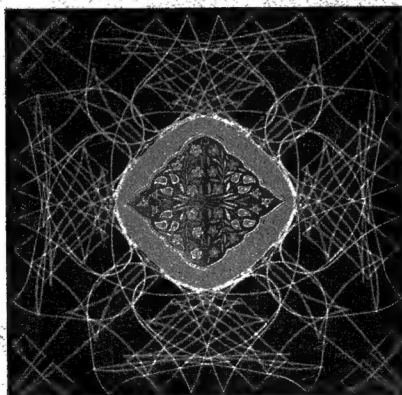


التراتب

# لجلائف الإشارات

تفسير صوفي كامل للقراء الكريم

للإمام القشيري



الكتاب الثالث / الطبعة الثالثة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قدّم له وحققه وعلّق عليه

د/ إبراهيم بسيوني

إهداء ٢٠٠٦  
الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة

# لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ

تفسير جوهري وكامل للقرآن الكريم

للإمام القشيري

المجلد الثالث

الطبعة الثالثة

قدّم له وحققه وعلق عليه

الدكتور/ إبراهيم بسيوني



الهيئة المصرية العامة للكتاب

إدارة التراث

رئيس مجلس الإدارة

د . سمير سرحان

مشرف على إدارة التراث ورئيس التحرير

سعيد عبد الفتاح

سكرتير التحرير

أميمة علي أحمد

الغلاف

جمال قطب



إهداء ١٠٠٦

الهيئة المصرية العامة للكتاب  
القاهرة



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« طسَ تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مبین »

... تلك دلالاتُ كَرَمِنَا ، وأماراتُ فَضْلِنَا ، وشواهدُ بَرِّنا ؛  
نُبِّئُ لأوليائنا صِدْقَ وَعْدِنَا ، ونعقِّقُ للأصفياءِ حِفْظَ عَهْدِنَا .  
بطهارة قُدْسِي وسناء عِزِّي لا أخيبُ أَمَلَ مَنْ أَمَلَ لَطْفِي ،  
بوجود بَرِّي تطيبُ قلوبُ أُوليائِي ، وبشهود وجهي تفيبُ  
أسرار أصفِيائِي .

طَلَّبُ القاصدين مُقَابِلَ بَطْفِي ، وَسَعَى الماملين مشكورٌ بَعْفِي .  
هذا الكتابُ بيانٌ وشفاء ، ونور وضياء ، وبشرى ودليل  
لِمَنْ حَقَّقْنَا لَهُ الإِيْمَانَ ، وأَكْدْنَا لَهُ الضَّمَانَ ، وكَفَّلْنَا لَهُ الإِحْسَانَ »

عبد الكريم القشيري

عند سورة النمل



## السورة التي يذكر فيها الشعراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ اسْمٌ عَزِيزٌ يَرْتَفَعُ مِنَ الزَّاهِدِ تَرَكَّ دِيَاهُ ، وَمِنْ الْمَايِدِ غَالِقَةُ هَوَاهُ ، وَمَنْ الْقَاصِدِ  
قَطَعَ مَنَاهُ ، وَلَا يَرْضَى مِنَ الْعَارِفِ أَنْ يُسَاكِنَ شَيْئًا غَيْرَ مَوْلَاهُ . إِنْ خَرَجَ عَنْ كُلِّ  
مَرْسُومٍ — بِالْكَلِيَّةِ ، وَانْخَلَعَ عَنْ كُلِّ مَعْلُومٍ — مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْقَى لَهُ مِنْهُ نَبِيَّةٌ قَلَمُهُ يَحْدُ  
شُظْيَةً . وَإِنْ خَرَجَ عَلَى شَيْءٍ ، وَلَمْ يَصِفْ مِنَ الْكَلُورَاتِ — حَتَّى عَنْ يَسِيرِهَا — وَإِنْ دَقَّ —  
فَإِنَّهُ كَمَا فِي الْخَلْبِ : « الْمُكَاتَّبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ حَرَمٌ » .

قوله جل ذكره : « طسم • تلك آيات الكتاب المبين »  
ذَكَرْنَا مَا فِيهَا مَضَى اخْتِلَافَ السَّلَفِ فِي الْحُرُوفِ لِلْقَطْعَةِ ؛ فَسَدَّ قَوْمٌ : الْعِلَاقَ إِشَارَةً إِلَى طَهَارَةِ  
عِزِّهِ وَتَقْدُّسِ عُلُوِّهِ ، وَالسَّيْنِ إِشَارَةً وَدَلَالَةً عَلَى سَنَاءِ جَبَرُوتِهِ ، وَلِلْمِمْ دَلَالَةً عَلَى مَجْدِ جَلَالِهِ  
فِي آزَالِهِ .

وَيَقَالُ الْعِلَاقَ إِشَارَةً إِلَى شَجَرَةِ طُوبَى ، وَالسَّيْنِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَنَبِّهِ ، وَلِلْمِمْ إِلَى اسْمِ مُحَمَّدٍ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ أَيْ ارْتَقَى مُحَمَّدٌ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ عَنْ شَهْوَةِ شَجَرَةِ طُوبَى حَتَّى بَلَغَ سِدْرَةَ  
الْمُنْتَهَى ، فَلَمْ يُسَاكِنْ شَيْئًا مِنَ الْخَلُوقَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ <sup>(١)</sup> .

(١) أورد المفسرون في كتابه « المراج » طائفة كبيرة من الأخبار تفهم منها أن الرسول صلوات الله عليه  
وسلامه لم يتطلع إلى شيء ما رأى من عجائب المخلوقات وعظام النعم في تلك الليلة ، بل كان خالص القلب إلى  
الحق ، وبعبارة صوفية دقيقة : كان فانيًا بحقوق ربه عن حظوظ نفسه ، فما زاع البصر وما طغى . وفي ذلك يقول  
رويح : ولما أكرم المصطفى (ص) بأعظم الشرف في المسرى علت همته عن الالتفات إلى الآيات والكرامات ، والجنة  
والنار ، فما زاع البصر ؛ أي ما أمار طرفه شيئاً من الأكوان ، ومن شاهد البحر استقل الأنهار والأودية .  
(المراج ص ١١٢)

ويقول المفسرون في ص ١٠٢ من الكتاب نفسه : يروى في الخبر أنه لما ركب البراق لم يعرج على شيء ،

ويقال الطاء طَرَبُ أربابِ الوصلة على بساط الترب بوجدان كمال الروح ، والسين سرورُ  
العارفين بما كوشفوا به من بقاء الأُحدية باستقلالهم بوجوده<sup>(١)</sup> وللم إشارة إلى موافقتهم لله  
بِرَّكَ التَّخَيُّرِ على الله ، وحَسَنَ الرضا باختيار الحق لم .

ويقال الطاء إشارة إلى طيبِ قلوب الفقراء عند قَدِّ الأسباب لسكال العيش بمعرفة وجود  
الرِّزْقِ بِدَلِّ طيبِ قلوب العوام بوجود الأَرْزَاقِ والأَرْزَاقِ .

ويقال الطاء إشارة إلى طهارة أسرار أهل التوحيد ، والسين إشارة إلى سلامة قلوبهم عن  
مساكنة كلِّ مخلوق ، وللم إشارة إلى مَنَّةِ الحقِّ عليهم بذلك .

قوله جل ذكره : « لَمَّا كَ باخِعٌ نَفْسِكَ أَلَا يَكُونُوا  
مُؤْمِنِينَ » .

أى لِحَرَسِكَ على إيمانهم وإلشافِكَ من امتناعهم عن الإيمان فأنت قريبٌ مِنْ أَنْ  
تَقْتُلَ نَفْسَكَ مِنَ الْأَسَفِ على تَرْكِهم الإيمان .

فلا عليك — يا محمد — فإنه لا تبديلَ لِحُكْمِنَا ؛ فَمَنْ حَكَمْنَا له بالشقاوة لا يُؤْمِنُ .  
ليس عليك إلا البلاغ ؛ فَإِنْ آمَنُوا فِيهَا ، وَإِلَّا فَكُلُّهُمْ<sup>(٢)</sup> سَيَّرُونَ يومَ الدِّينِ ما يستحقون .

قوله جل ذكره : « إِنْ تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ  
آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ » .

أخبر عن قدرته على تحصيل مراده من عباده ، فهو قادرٌ على أَنْ يُؤْمِنُوا كَرَهًا ؛ لِأَنَّ  
التَّضَامُرَ عن تحصيل المراد يوجبُ النقصَ والقصور في الألوهية .

قوله جل ذكره : « وما يأتيهم تِلْكَ ذِكْرٌ مِنَ الرَّحْمَنِ  
مُجَدَّدٌ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ » .

== كان يَتَدَايَ من يمينه ومن يساره ، ثم قال له جبريل عليه السلام : الذي ناداك من يمينك داعي اليهودية ، والذي  
ناداك من يسارك داعي النصرانية ، ولو التفتتَ يا عِبدَ لِهَوْدٍ أو نصرتَ أمّتك .

(١) استقل الشيء ، رآه قليلا واستقل بالشيء لم يشغل بسواه اكشاه به .

(٢) السياق مقبول على هذا النحو ، ولكننا لا نستبعد أن يكون هناك سقوط لكمة «نا» ، وعندنا يكون

السياق «فكلهم لنا : ....» :

أى ما نُجَدِّدَ لَهُمْ شَرْعًا ، وما نُرْسِلَ لَهُمْ رَسُولًا . . . إلا أَعْرَضُوا عَنْ تَأْمَلِ بَرَاهِنِهِ ، وقَابَلُوهُ بِالْكَذِيبِ . فلو أَنَّهُمْ أُنْصُوا النَّظَرَ فِي آيَاتِ الرِّسْلِ لَانْضَحَ لَهُمْ صِدْقُهُمْ ، وَلَكِنَّ الْقِسْمَ لَهُمْ مِنَ الْخِلْدَانِ فِي سَابِقِ الْحُكْمِ يَنْمَعُهُمُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ . قَدْ كَذَّبُوا ، وَعَلَى نَكْذِبِهِمْ أَصْرُوا ، فَسَوْفَ نَأْتِيهِمْ طَائِفَةٌ أَعْلَاهِمُ بِالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ ، فَيَذَرُوهَا بِأَلِّ شَرِّكُمْ .

قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَغْنَا

فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٌ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » .

فَقَدْ مَا بَيَّنَّتْ فِي الْأَرْضِ وَقْتَ الرِّبْعِ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ الْخَصْرُ ، ثُمَّ اخْتِصَاصُ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِلَدْنِ وَطَنِهِمْ وَرِائِحَةِ مَخْصُوصَةٍ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ وَهِيَّةٌ وَتَوَرُّدٌ مَخْصُوصٌ ، وَوَرَقٌ مَخْصُوصٌ . . . إِلَى مَا تَلَفُظُ عَنْهُ الْعِبَارَةُ ، وَتَدَقُّ فِيهِ الْإِشَارَةُ . وَفِي ذَلِكَ آيَاتٌ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ ، وَنَظَرَ وَفَكَّرَ .

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ » : الْقَاعَرُ الَّذِي لَا يُفْهَرُ ، الْقَادِرُ الَّذِي لَا يُقَدَّرُ ، لِلنَّبِيِّ الَّذِي لَا يُخْبَرُ . « الرَّحِيمُ » : الْحَسَنُ لِمَعَادِهِ ، لِلرَّيْدِ لِمَسَادَةِ أَوْلِيَائِهِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ \* قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ » .

أَخْبَرَ أَنَّهُ لَمَّا أَمَرَهُ بِالْإِهْبَابِ إِلَى فِرْعَوْنَ لِدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ، قَدْ غَرَّهَتْهُ قَسَمُهُ فَهُوَ لَا يِيَالِي بِمَا فَعَلَ . وَأَخَذَ ( مُوسَى ) <sup>(١)</sup> بِطَلُّ — لَا عَلَى جِهَةِ الْإِهْبَاءِ وَالْخَالِفَةِ — وَلَكِنْ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِغْنَاءِ وَالْإِفَالَةِ إِلَى أَنْ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْأَمْرَ بِهِ جَزَمَ ، وَالْحُكْمَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

قوله جل ذكره : « قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ

(١) ليست موجودة في النص وقد وضعتنا بين قوسين شكاً ليس .

إلى هارون • ولم على ذنب فأخاف  
أن يقتلوه .

سأل موسى — عليه السلام — أن يشفعه بهارون ويشرّكه في الرسالة . وأخبر أنه  
قتل نفسه ، وأنه في حكم فرعون عليه دم ، فقال : « فأخاف أن يقتلوه » إلى أن قال  
له الحق : —

« قال كلاّ فاذهبا بآياتنا إنّا معكم مستمعون . »

« كلا » حرف ردع وتنبيه ؛ أى كلا أن يكون ذلك كما توهمت ، فارتدع عن  
تجوير ذلك ، واتّقى لغيره . إني معكما بالنصرة والقوة والكفاية والرحمة ، واليد ستكون  
لكما ، وال سلطان سيكون لكما دون غيركما ، فأنا أسمع ما تقولون وما يقال لكم ، وأبصر  
ما يبصرون وما يُبصرون أتم .

قوله جل ذكره : « فَأَنبَأَ فِرْعَوْنَ قَتُولًا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ » .

ويقال في القصة : إن موسى وهارون كانا يترددان على باب فرعون سنة كاملة ولم يجدا  
طريقاً إليه . ثم بعد سنة عرضاً الرسالة عليه ، فقابلهما بالكذب ، وكان من القصة ما كان ..  
وقال فرعون لما رأى موسى :

« قال أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ حَرَكَ  
سِنِينَ » وفلت فملتك التي فعلت وأنت من الكافرين »

فلم يكن لموسى — عليه السلام — جوابٌ إلا الإقرار والاعتراف ، قال :

« قال فلتها إنّا وأنا من الصّالين • قررتُ منكم لما  
خَفْتُكُمْ فوهِب لي ربي حكمًا وجعلني من المرسلين »

قال : كل ذلك قد كان ، وفرت منكم لما خفتكم ، فأكرمني الله بالنبوة ، وبثنى  
رسولاً إليكم ..

وقال: لم يحد حق تربيته، والإحسان إليه في الظاهر، ولكن بين أنه إذا أمر الله بشيء وجب اتباع أمره. ولكن إذا كانت تربية المخلوقين توجب حقاً فترية الله أولى بأن يُنظم العبد قدرها<sup>(١)</sup>.

قوله: «قررت منكم لا اختكم»: يجوز حملُه على ظاهره، وأنه خاف منهم على نفسه. والقرار - عند عدم العاطفة - غير مذموم عند كل أحد<sup>(٢)</sup>.

وقال: فردت منكم لما خفت أن تنزل بكم عقوبة من الله لشؤم شريككم، أو من قول فرعون: «ما علمت لكم من آله غيري»<sup>(٣)</sup>.

قوله جل ذكره: «وذلك نعمة تمنها على أن عبّدت

بنى إسرائيل»

ذكر فرعون - من جملة ما عدّ على موسى من وجوه الإحسان إليه - أنه استعياه بين بنى إسرائيل، ودفع عنه القتل، فقال موسى: أو تلك نعمة تمنها على؟ هل استبذك لبنى إسرائيل بئس نعمة؟ إن ذلك ليس بنعمة، ولا لك فيها منة<sup>(٤)</sup>.

قوله جل ذكره: «قال فرعون وما ربُّ الملئین؟»

نظر الملئین بجهل، وسأل على النحو الذى يليق بتمنيته؛ فسأل بلطف «ما» - و «ما» يستخبر بها عما لا يقل، قال: «وما ربُّ الملئین؟»

ولكن موسى أعرض عن لفظه ومقتضاه، وأخبر عما بصرح في وصفه تعالى قال:

«قال ربُّ السموات والأرض

وما بينهما إن كنتم موقنين».

(١) هذه إشارة إلى قيمة تربية الشيوخ بالقياس إلى تربية الوالدین؛ قالوا لدان يربیان الأشباح والشیوخ يربون الأرواح.

(٢) فتذكر كيف فر القشیری نفسه من المشرق الإسلامی عندما أحقت به الأخطار، وعدد السلطان الجائر حياته وحقيقته، فلم تلبث قتله، وهرب بمقيله إلى حيث يسلم هو ورفاقه (أنظر مدخل الكتاب).

(٣) آية ٣٨ سورة القصص.

(٤) لأن توبيخهم وذبح أبنائهم مما سبها حصوله منه وتربيته له، ولو تركهم لرباه أبواه شأن أى طفل... فليس هنا نعمة ولا منة، لأن القصد كان إذلال أمه لا الإحسان إليهم أو إليه.

فَذَكَرَ صَفَتَهُ — سبحانه وتعالى — يَا أَيُّهَا اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَأَخَذَ فِي التَّمَجُّبِ ، وَقَالَ :

« قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ » \* قَالَ

رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ » .

قال موسى : « ربكم ورب آبائكم الأولين » خاذ فرعونُ عن سَنَنِ الاستقامة في الخطاب ، وأخذ في السفاهة قائلاً :

« قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ

إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ » .

لأنه <sup>(١)</sup> يزعم أنَّ هناك إلهًا غيره . ولم يكن في شيء مما يجري من موسى - عليه السلام - أو مما يعلق به وصف جنون . ولم يُشغل بمجاوبته في السفاهة فقال :

« قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

أى إِنْ كُنْتُمْ مِنْ جِلَّةِ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَتَعْيِيزٌ . فقال فرعون :

« قَالَ لِمَنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي

لَأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْمُسْجُونِينَ » .

مضى فرعونُ يقول : لأضلنَّ ، ولأصننَّ ... إِنْ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرِي . وجرى ما جرى ذِكْرُهُ وَشَرَحُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ .

ثم إنه أظهر معجزته بإلقاء العصا ، وَقَلَبَهَا - سبحانه - ثعبانًا كاد يلتهم دار فرعون بمن فيها ، وَوَسَّعَ فرعونُ هاربًا ، واختفى تحت سريره ، وهو ينتفض من الخوف ، وَتَلَطَّعَتْ بَزَّتُهُ <sup>(٢)</sup> ، وانفضح في دعواه ، واتضعت حالته ، فاستنثت بموسى واستجاره ، وأخذ موسى الثعبانُ فردَّه اللهُ عَصًا .

(١) أى موسى عليه السلام .

(٢) البزة - الحية أو الشاة .



ولما فارقَ موسى - عليه السلام - تداركته الشقاوة ، وأدركه شؤمُ الكفر ، واستولى عليه الحرمانُ ، فجمعَ قومه وكلمهم في أمره ، وأجمعوا كلمهم على أنه سحَرهم . وبعد ظهور تلك الآية عاد إلى غيِّه .. كما قيل :

إِذَا ارْتَعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذَى الضُّىَّ عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

ثم إنه جمعَ السَّحَرَةَ ، واستعان بهم ، فلما اجتمعوا قالوا : « إِنَّا لَنَا لَأَجْرًا » . ففعلوا بحساسة همتهم ، فضمنَ لهم أَجْرَهُمْ . وَإِنْ مَنْ يَسِلْ لغيره بأجرة ليس كمن يَكُونُ عمله لله . وَمَنْ لَا يَكُونُ لَهُ ناصِرٌ إِلَّا ابْنَانِ الْجَمَلَةِ وَبَذَلَ الرُّشَاءَ فَمَنْ قَرِيبٌ سِيُخَذَلُ .

قوله جل ذكره : « قال نعم وإنكم إذا لمن المرَّيين » .

قال فرعون : « وإنكم إذا لمن المرَّيين » ، وَمَنْ طَلَبَ التَّوْبَةَ عِنْدَ غُلُوقٍ فَإِنَّ مَا يَسِلُ إِلَيْهِ مِنَ الثَّلْثِ يَزِيدُ عَلَى مَا أَمَّلَهُ مِنَ الْعِزِّ فِي ذَلِكَ التَّقَرُّبِ . وَالْمَرْبُورُونَ مِنْ اللَّهِ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فهم أَوَّلُ مَنْ لَمْ يَصُولُوا . وَالْمَرْبُورُونَ مِنْ اللَّهِ لَمْ عَلَى اللَّهِ دَخَلَهُ ، وَالنَّاسُ يُوصَفُ الْغَفْلَةُ وَالْخَلْقُ فِي أَسْرِ الْحَبِيبَةِ .

ثم لما اجتمع الناسُ ، وجاء السَّحَرَةُ بِمَا مَوَّعُوا ، التَّقَمَّتْ عَصَا مُوسَى جَمِيعَ مَا أَتَوْا بِهِ ، وَعَادَتْ عَصَا ، وَتَلَاشَتْ أَعْيَانُ حَبَالِهِمْ<sup>(١)</sup> الَّتِي جَامُوا بِهَا ، وَكَانَتْ أَوْقَارًا ، وَالسَّقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا ، وَلَمْ يَحْتَفِلُوا<sup>(٢)</sup> بِتَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ إِلَيْهِم بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ وَالْقَطْعِ ، فَاصْبَحُوا وَهُمْ يُقْسِمُونَ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ ، وَلَمْ يُنْمِسُوا حَتَّى كَانُوا يَقُولُونَ : « لَنْ نُوْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ<sup>(٣)</sup> » .

ثم لما ساعدتهم التوفيقُ ، وآمنوا بالله كان أَمُّ أُمُورِهِمُ الْاسْتِفْهَارُ لِمَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ ، وَهَذِهِ غَايَةُ هِمِّ الْأَوَّلِيَاءِ ، أَنْ يَسْتَجِيرُوا بِاللَّهِ ، وَأَنْ يَسْتَمِينُوا مِنْ عَقُوبَةِ اللَّهِ ، فَأَعْرَفَهُمُ اللَّهُ أَخَوْتَهُمْ مِنَ اللَّهِ .

(١) يصل ذلك برأى القشيري في المعجزة وأنها قد تكون قلب الأيمان ، أما كرامة الول فقد لا تكون كذلك ، وهي مع ذلك مصلة بنى الأمة التي يتبعها هذا الول .

(٢) وودت ( يتخلفوا ) والسياق يرفضها ويؤيده ( يحصلوا ) كما هو واضح .

(٣) آية ٧٢ سورة طه .

ويقصد القشيري إلى أن يوضح أن العبرة بالخواتم ، وهو هذا بحث - بطريق غير مباشر - على التوبة ، وعلم القنوط من رحمة الله .

وَلَا أَمَرَ اللَّهُ مُوسَى بِإِخْرَاجِ بْنِ إِسْرَائِيلَ ، وَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجَمْعِهِ ، وَقَالَ أَصْحَابُ مُوسَى .

« فَلَمَّا تَرَاوَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى  
إِنَّا لَنَكْذَرُكَ كُونَ • قَالَ : كَلَّا  
إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ • »

فَكَانَ كَمَا قَالَ ، إِذْ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَنْجَاهُمْ ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمَهُ أَهْلَهُمْ ، وَقَدْ قَالَ  
سَبْعَانَهُ : « وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّالِحِينَ » (١) : يُنَجِّهِمْ مِنْ كُلِّ بَلَاءٍ ، وَيُخَفِّضُهُمْ بِكُلِّ نَمَّةٍ .  
قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ » إِذْ قَالَ  
لَأَيُّهُ وَقَوْمَهُ مَا تَعْبُدُونَ • قَالُوا نَعْبُدُ  
أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا مَا كُنْتُمْ • قَالَ هَلْ  
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ؟ • أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ  
أَوْ يَضُرُّونَ ؟ • قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا  
كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ •

عَاتِبَ (٢) إِبْرَاهِيمُ آبَاءَهُ وَقَوْمَهُ ، وَطَالَابَهُمْ بِالْحُجَّةِ عَلَى مَا عَابَهُمْ بِهِ وَقَالَ لِمَ تَعْبُدُونَ  
مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ؛ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ ، وَلَا يَحْسِبُ وَلَا يَشْعُرُ ؟ فَلَمْ يَرْجِعُوا فِي الْجَوَابِ  
إِلَّا إِلَى تَقْلِيدِ أَسْلَافِهِمْ ، وَقَالُوا :

عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَجَدْنَا أَسْلَافَنَا • فَنَطْلُقُ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ  
وَالْإِخْبَارِ عَنْ قَبِيحِ صَنِيعِهِمْ بِتَدْحِ مَوْلَاهُ وَالْإِغْرَاقِ فِي وَصْفِهِ ، وَقَالَ :

« قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ •  
أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ • فَمَنْ عَدُوٌّ لِي  
إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ • »

(١) آيَةُ سُورَةِ التَّوْبَةِ .

(٢) رُبَّمَا كَانَتْ ( عَابَ ) بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَ تَقْلِيدِ ( عَلَى مَا عَابَهُمْ ) ، لَكِنَّ السِّيَاقَ يُلْزِمُ ( عَاتِبَ ) أَكْثَرَ ،  
إِذْ الْعَاتِبُ أَلْيَقُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَبِ ، كَذَلِكَ فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنَّ آبَاءَهُ لَنْ يَلْمُوهُ .

ذَكَرَهُمْ بِأَقْلٍ عبارة فلم يقل : فلنهم أعداء لي ، بل وَصَنَهُم بالصدر الذي يصلح أن يوصَفَ به الواحد والجماعة فقال : « فلنهم عدو لي » .

ثم قال : « إله رب العالمين » ، وهذا استثناء مطلق ، وكأنه يضرب بلفظ عن ذكرهم صفحا حتى يتوصل إلى ذكر الله ، ثم أخذ في شرح وصفه كأنه لا يكاد يسكت ، إذ مضى يقول : والذي .. والذي .. والذي .. ، ومن أمارات الحمية كثرة ذكر محبوبك ، والإعراض عن ذكر غيره ، فتشبه الحيين بتقليبهم في رياض ذكر محبوبهم ، والزهاد بصدق أرواحهم ، وأرباب الحوائج بصدق مآربهم ، فيطلبون في دعائهم ، والمحبون يُسهبون في الثناء على محبوبهم .

قوله جل ذكره : « إلهي خلقتني فهو يهديني » .

كان مهتديا ، ولكنه يتصد بالهداية التي ذكرها فيها يستقبله من الوقت ، أي : يهديني إليه به ، فإني محت في وجوده وليس لي خبر عني .

والقوم حين يكونون مستغرقين في قوسهم لا يبتلون من قوسهم إلى ميوهم ، فيبليهم عنهم إلى ربهم ، ويصيرون في نهايتهم مسهلكين في وجوده ، فإني عن أوصافهم ، وتصير معارفهم - التي كانت لهم - واهية ضيعة ، فيبليهم إليه <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « والذي هو طيبصبي وشقي » .

لم يُشير إلى طاهر معهود أو شراب مأوف ولكن أشار إلى استقلاله به من حيث المعرفة بدل استقلال غيره بطعامهم ، وإلى شراب محبته الذي يقوم بدل استقلال غيره بشرابهم .

قوله جل ذكره : « وإذا مرضت فهو يشفين » .

لم يقل : وإذا مرضت لأنه حفظ أدب الخطاب .

(١) يشرح التشبُّه قول الواسطي : لا تصح المعرفة في العبد استثناء بآفة الانفطار . فيقول : إلهي الواسطي بهذا أن الانفطار والاستثناء من أمارات صحو العبد وبقاء رسومها من صفاته . ( الرسالة ص ١٥٥ )  
١ : ذو النون : عرفت ربي ولولا ربي ما عرفت ربي ( الرسالة ص ١٥٦ ) .

ويقال لم يكن ذلك مرضاً معلوماً ، ولكنه أراد تمارضاً ، كما يمارض الأحابص طبعاً  
في العيادة ، قال بعضهم :

إِنْ كَانَ يَمْتَكِ الْوِشَاءُ زَيْطِي فَادْخُلْ عَلَى يَسَلَّةِ الْمَوَادِ  
ويقول آخر :

يَوَدُّ بَأْنَ يَمْشِي سَقِيّاً لَعَلَّهَا إِذَا سَمِعَتْ مِنْهُ بَشَكْوَى تُرَاسِلُهُ  
ويقال ذلك الشفاء الذي أشار إليه الخليل هو أن يَبْعَثَ إليه جبريل ويقول له : . يقول  
لَكَ مَوْلَاكَ . . . كيف كنت البارحة ؟

قوله جل ذكره : « وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِمَنْ يُحِبُّ »  
أضاف الموت إلى الله ؛ قالوت فوق للرض ؛ لأن الموت لهم غنية ونعمة ؛ إذ يصلون  
إليه <sup>(١)</sup> بأرواحهم .

ويقال « يبيِّن » بإعراضه عن وقت تمزيقه ، « ويحيي » بإقباله على حين تفضله . ويقال  
يبيِّن عن ويحيي به .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِي أَلْمَحُ أَنْ يَنْفِرَ لِي خَطِيقِي  
يَوْمَ الدِّينِ »

خطيئة الأحابص شهودهم محنتهم ، وتمنيهم عند شدة البلاء عليهم ، وشكواهم مما يمسهم  
من برحاء الاشتياق ، قال بعضهم :

وَإِذَا حَسَنِي - اللَّاقِي أَدِلُّ بِهِ - كَانَتْ ذُنُوبِي . . . قُلْتُ لِي : كَيْفَ أَعْتَذِرُ ؟

قوله جل ذكره : « رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْ  
بِالصَّالِحِينَ » .

« هَبْ لِي حُكْماً » : على نفسي ، فَإِنَّ مَنْ لَاحُظَ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ لَاحُظٌ لَهُ عَلَى غَيْرِهِ .  
« وَأَلْحِقْ بِالصَّالِحِينَ » : فَأَقْرُبْ بِحَقِّكَ دُونَ الرَّجُوعِ إِلَى طَلَبِ الْإِسْتِقْلَالِ بِشَيْءٍ  
دُونَ حَقِّكَ .

(١) (إليه) الصبر منا يعود إلى مجروح -- صحانه .

قوله جل ذكره : « واجعل لى لسان صدق فى الآخرين » .  
 فى التفسير : « لسان صدق » : أى ثناء حسناً على لسان أمة محمد صلى الله عليه وسلم .  
 ويقال لا أذكرك إلا بك ، ولا أعرفك إلا بك .  
 ويقال أن أذكرك ببيان آياتك<sup>(١)</sup> ، وأذكرك بعد قبض روحى إلى الأبد بذكر مكرمته .  
 ويقال أذكرك على لسان المحبرين عنك .

قوله جل ذكره : « واغفر لأبى إناه كان من الضالين » .  
 على لسان العلماء : قاله بعد يأسه من إيمان أبيه ، وأما على لسان الإشارة فقد ذكره  
 فى وقت غلبت البسطة ، ويَجَاوِزُ ذلك عنهم<sup>(٢)</sup> .  
 وليست إجابة العبد واجبة على الله فى كل شئ ، فإذا لم يجِبْ فإنَّ للعبد سلوة فى ذكر  
 أمثال هذا الخطاب ، وهذا لا يهتدى إليه كلُّ أحد .

قوله جل ذكره : « ولا تُخزى فى يوم يُيَمَّنُونَ » .  
 أى لا تُخزى عنى بتذكيرى خلقي ، فإنَّ شهود ما من العبد - عند أرباب القلوب وأصحاب  
 الخصوص - أشدُّ حقوبة<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « لا ينفع مال ولا بنون » .  
 قيل : « التلب السليم » اللدغ .

وقيل هو الذى سَلِمَ من الضلالة ثم من البدعة ثم من النحلة ثم من النية ثم من الحجة  
 ثم من المضاجعة ثم من المساكنة ثم من الملاحظة . هذه كلها آفات<sup>(٤)</sup> ، والأكابر سَلِمُوا  
 منها ، والأصاغر امتحنوا بها .

(١) وردت الآية وترجع أن التاسع قد أعطى فى النقل ، فأثبتنا (الملك) أو تملك لأنها أقرب إلى السياق .  
 (٢) معنى هذا أن القشيري يرى اختصار ما يتعلق به الصوفي من أقوال وهو فى حال الانحما .  
 (٣) لأن شهود ما من العبد معناه أن التوحيد مازال يشوبه كدر التورية .  
 (٤) يفيد ذكر هذه الآفات على هذا النحو من الترتيب والنية أجل فائدة عند دراسة المصطلح الصوفي - خصوصاً  
 وأن هذه المصطلحات لم ترد على هذا النحو فى الفصل الذى خصصه القشيري لهذا الموضوع فى الرسالة .

ويقال : « القلب السليم » الذى سَلِمَ من إرادة نفسه .

قوله جل ذكره : « وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلتَّقِينِ » وبرزت

الجميع للقانون

« أزلت » : أى قُرِبَتْ وَأُزِيدَتْ فى الوقت ، فَمِنْ مَاهُو آتٍ قَرِيبٌ ، وبالمين  
أُخْفِرَتْ . وكما تُجَرُّ النارُ إلى الحشر بالسلاسل فلا يَبْعُدُ إِذْنَاهُ الْجَنَّةُ مِنَ التَّقِينِ .

« وبرزت الجميع للقانون » أَظْهَرَتْ ، فَتَوَكَّدُ الْحُجَّةُ عَلَى أَرْهَابِ الْجَعْدِ ، وَيُعْرَضُونَ  
عَلَى النَّارِ ، وَتُعْرَضُ عَلَيْهِمْ مَنَازِلُ الْأَشْرَارِ ، فَيَسْكُنُونَ فِيهَا أَجْسِينَ ، وَيَأْخُذُونَ بِقُرُونٍ  
بذُنُوبِهِمْ ، وَمِنْ جَلَّتْهَا مَا أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : —

« تَأَلَّفَ إِنِّ كُنَّا لِنَى ضَلَالٍ مَبِينٍ » إِذْ نُسَوِّبُكُمْ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ

ولا فضيحة أفتيح ولا عيب ففهم أشنع مما يعترفون به على أنفسهم بقولهم : « إِذْ نُسَوِّبُكُمْ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ » فَمِنْ أَفْتِيحِ أَبْوَابِ الشَّرِّ وَأَشْنَعِ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ وَأَفْتِيحِ أَحْوَالِهِ - التَّثْنِيَةُ  
فى صفة للمبود .

قوله جل ذكره : « فَمَا لَنَا مِنْ شَافِينَ » ولا صديق

حَمِيمٌ

فى بعض الأخبار<sup>(١)</sup> : يَحْمَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - عَبْدٌ يُحَاسَبُ قَسْتَوَى حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ  
وَيُحَاجَّ إِلَى حَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ يَرْضَى عَنْهَا خَصْمُهُ ، فيقول الله - سبحانه : عِلى . . بقيت لك  
حسنة واحدة ، إِنْ كَانَتْ أَذْخَلَتْكَ الْجَنَّةَ . . أَنْظِرْ . . وَتَطْلُبُ مِنَ النَّاسِ لَعْلَ وَاحِدَةً يَهَبُ  
لَكَ حَسَنَةً وَاحِدَةً . فيأتى العبد فى الصفين ، ويطلب من أبيه ثم من أمه ثم من أصحابه ،  
ويقول لكل واحدٍ فى بابه فلا يجيبه أحدٌ ، قال الكلُّ يقول له : أَنَا الْيَوْمَ قَدِيرٌ إِلَى حَسَنَةٍ  
وَاحِدَةٍ ، فيرجع إلى مكانه ، فيسأله الحقُّ - سبحانه : مَاذَا جِئْتَ بِهِ ؟

(١) فى م (فى بعض الأحيان) والأصوب أن تكون (فى بعض الأخبار) كما فى م .

فيقول : يا رب . . . لم تُعطني أحدًا حسنًا من حسناته .

فيقول الله - سبحانه : عبدي . . . ألم يكن لك صديق ( في )<sup>(١)</sup> ؟

فيتذكر المبدؤ ويقول : قلان كان صديقًا لي .

فبدله الحق عليه ، فأيته ويكلمه في بابه ، فيقول : لي ، لي عبادات كثيرة قبلها اليوم قد وهبتك منها ، فيسير هذا المبدؤ ويحى إلى موضعه ، ويخبر ربه بذلك ، فيقول الله - سبحانه : قد قبيلتها منه ، ولن أقص من حق شيتا ، وقد غفرت لك وله ، وهذا معنى قوله :

« فإنا من شافين ولا صديق حميم »

قوله جل ذكره : « كَذَبَتْ قَوْمُ نوحٍ لِلرَّسُولِ ..... »

ذكر قصة نوح وما لقي من قومه ، وأنهم قالوا :-

« قَالُوا اتَّوَيْنُكَ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ؟ »

إن أتباع كل رسول إنما هم الأضعفون ، لكنهم - في حكم الله - هم المتقدمون الأكرمون . قال عليه السلام : « نُصِرْتُ بضعفائكم » .  
وإن الله أغرق قومه لما أصرّوا واستكبروا .

وكذلك قلّ بين ذكرتهم الآيات في هذه السورة من عادٍ ونمودٍ وقومٍ لوطٍ وأصحاب مدين . . . كل منهم قابلا رسلهم بالكذب ، قدّم الله عليهم أجمعين ، ونصّر رسوله على مقتضى سلته الحميدة فيهم . وقد ذكر الله قصة كل واحدٍ منهم ثم أعقبها بقوله :-

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »

« العزيز » : القادر على استئصالهم ، « الرحيم » الذي أخرّ العقوبة عنهم بإمهالهم ، ولم يقطع الرزق مع قبيح فيآلهم .

---

(١) هكذا في م ر س وهي صحيحة مقبولة في المعنى والسياق ؛ غير أننا لا نستبعد أنها ربما كانت في الأصل ( صديق وئ ) حيث تقابل ما جاء في الآية ( صديق حميم ) فالبحث يؤمّن يكون عن الصديق الوئ الميم .

وهو «عزز» لم يُستمرَّ ببيع أعمالهم ، ولو كانوا أجمعوا على طاعته كما تجبَّل بأفهامهم<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره : « وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين » .

أخبر عن كل واحدٍ من الأنبياء أنه قال : « لا أسألكم عليه من أجر » لِيَتِمَّ الكفارة أن من عمل لله فلا ينبغي أن يطلبَ الأجرَ من غير الله . وفي هذا تنبيهٌ للملأه — الذين هم وَرَثَةُ الأنبياء — أن يتأدَّبوا بأعيانهم ، وألا يطلبوا من الناس شيئاً في بثِّ علومهم ، ولا يرفيقون منهم بتعليمهم ، والتذكير لهم أنه من ارتقى في بثِّ ما يَدُّ كُرَّ به من الدين وما يعطى به المسلمين فلا يباركُ اللهُ للناس فيما منه يسمعون ، ولا للملأه أيضاً بركةً فيما من الناس يأخذون ، إنهم يبيعون دينهم بِرَضٍ يسير ، ثم لا بركةَ لهم فيه ، إذ لا يفتنون به الله ، وسيحصلون على سُخطِ الله .

قوله جل ذكره : « وإنه لنزِيلُ ربِّ العالمين » .  
نَزَلَ به الروحُ الأمين • على قَلْبِكَ  
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ • بِلِسَانٍ  
عَرَبِيٍّ مُبِينٍ •

كلامُ الله<sup>(٢)</sup> العزيزُ مُنَزَّلٌ على قلب الرسول — صلى الله عليه وسلم — في الحقيقة بسفارة جبريل عليه السلام . والكلامُ من الله غيرُ منفصل ، وبغير الله غير متصل .. وهو — على الحقيقة لاعلى الجواز — مُنَزَّلٌ . ومعناه أن جبريل — عليه السلام — كان على السماء ففَسَّحَ من الربِّ ، وحَفِظَ ، ونَزَلَ ، وبلغَ الرسول . فَمَرَّةً كان يَدُخِلُ عليه حالةً تأخذه عنه<sup>(٣)</sup> عند

(١) لأن الله — سبحانه — لا يلحقه زين بطاعة ولا شين بمصيبة .

(٢) ينبغي الإهتمام برأى القشيري هنا عند بحث قضية «خلق القرآن» ، وبداية النقطة إلى ما بين دفتي المصحف . ومقارنة ذلك ( بكلام ) الله إلى موسى عند الشجرة ... موضوع هام ناقشه القشيري ، في كتابه (شكاية أهل السنة) .

(٣) نأمل كيف يتنظر الصوفية إلى حالة المصطفى (ص) عند تلقى الوحي ، ما أنها حالة عرفانية ، فالمراد بالإن لا عند الانعقاد .



نزول الوحي عليه : ثم يُورِدُ جبريلُ ذلك على قلبه . ومرةً كان يمثل له التلکُ فيُسمِعُهُ .  
والرسولُ - صلوات الله عليه - يحفظه ويؤدِّيه . والله - سبحانه - ضَمِنَ له أَنَّهُ سَيَقْرُؤُهُ حتى  
لا ينساه <sup>(١)</sup> . فكان يجمع الله الحفظ في قلبه . ويسهلُ له القراءة عند حفظه . ولما عجزَ  
الناسُ بأجمعهم عن معارضته مع تحدِّيهِ لإمامِ الإِتيانِ بمثله .. عَلِمَ صدقُهُ في أَنَّهُ مِنْ قِبَلِ الله .  
قوله جل ذكره : « وَإِنَّ لَنَا ذُبُرَ الْأَوَّلِينَ » .

جميعُ ما في هذا الكتاب من الأخبار والقصص ، وما في صفَةِ الله من استحقاقِ جلاله -  
موافقٌ لِمَا في الكتبِ المُنزَلَةِ مِنْ قِبَلِ الله قَبْلَهُ ، فهما عارضوه فانه كما قال جل شأنه :  
« لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ » <sup>(٢)</sup> .

ثم أخبر أنه لو نَزَلَ هذا الكتابُ بغيرِ لسانهم وبلغه غيرُ لسانهم لم يهتدوا إلى ذلك ،  
ولتأقلا : لو كان بلساننا لفرضناه ولأَمَنَّا به ، فأزاح عنهم اليأسَ ، وأَكَّدَ عليهم الحُصْبَةَ .

ثم أخبر عن صادقٍ عليه بهم ، وسابقٍ حُكْمِهِ بالشقاوة عليهم ، وهو أنهم لا يؤمنون به  
حتى يَرَوْا العذابَ في القيامة ، حين لا ينفعهم الإيمانُ ولا الندامةُ .

قوله جل ذكره : « أَقْرَأْتِ لِمَنْ مَقْتَنَاهُمْ سِنِينَ »

ثم جامع ما كانوا يوعدون

ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتِّعُونَ » .

إن أَرخينا لهم المدةَ ، وأهلناهم أزمناً كثيرةً - وهم بوصف الغفلة - فما الذي كان  
ينفعهم إذا أَخَذَهُمُ العذابُ بِنَتَةِ ؟ ١ .

ثم أخبر أنه لم يُنْهِلْ أهلَ قريةٍ إلَّا بعد أن جاءهم النذيرُ وأظهر لهم البيناتِ ، فإذا  
أَصْرَوْا على كُفْرِهِمْ عَذَّبْتَهُمْ .

قوله جل ذكره : « لَأَنَّهُمْ عَنِ السَّبْحِ لَمَزُولُونَ » .

(١) يُشِيرُ بِهَذَا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « سَتَرْنَا عَنْكَ فَلَا تَنسَى » آيَةُ ٦ سورة الأهل .

(٢) آيَةُ ٤٢ سورة فصلت .

وَجَدُوا السَّمْعَ — الذى هو الإدراك — ولكن عَدِمُوا الْقَهْمَ ، فلم يستجيبوا لِمَا دُعُوا إليه . فبعد ذلك استوجبوا من الله سوء العاقبة .

قوله جل ذكره : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » .

وذلك ترميزاً له أنهم لا تفهم قُرْآنَهُمْ منه ، ولا هَبْلُ شَفَاعَتِهِ — إن لم يؤمنوا — فيهم . فليس هذا الأمر من حيث النسب ، فهذا نوحٌ لِمَا كَفَرَ ابْنُهُ لم تنفعهُ بُنُوتهُ ، وهذا الخليلُ لإبراهيم عليه السلام لما كَفَرَ أبوه لم تنفعهُ أَبُوتهُ ، وهذا محمدٌ — عليه الصلاة والسلام — كثيرٌ من أقاربه كانوا أشدَّ الناسِ عليه في المناوذة فلم تنفعهم قُرَابَتُهُمْ .

قوله جل ذكره : « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ

من المؤمنين » .

أَيَّنْ جَنَاحَكَ وَفَارِثَهُمْ فِي الصَّعْبَةِ ، واسحب ذيلَ التَّعَالُوزِ على ما يبدو منهم من التقصير ، واحتلّ منهم سوء الأحوال ، وعاشِرَهُمْ بِحَسَبِ الْأَخْلَاقِ ، وعَمَلَهُ عَنْهُمْ كَلِّمْهُمْ ، وارْحَمَهُمْ كَلِّمْهُمْ ، فَإِنْ مَرَضُوا فَصَدِّمْ ، وَإِنْ حَرَمُوكَ فَأَعْلِمْهُمْ ، وَإِنْ ظَلَمُوكَ فَتَجَاوَزْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ قَصَرُوا فِي حَقِّكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ ، واشفع لهم ، واستغفر لهم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ

مِمَّا تَعْمَلُونَ » .

لا تقبل مثلَ فعلِهِمْ ، وكل حسابهم إلينا إلا فيما أمرناك بأن تقيم فيه عليهم حداً ، فبعد ذلك لا تأخذك رَأْفَةٌ تَمْنُكَ مِنْ إِقَامَةِ حَدٍّ نَا عَلَيْهِمْ .

قوله جل ذكره : « وَتَوَكَّلْ عَلَى الرَّزْقِ الرَّحِيمِ » .

انْقَطِعْ إِلَيْنَا ، واعتصم بِنَا ، وتوسَّلْ إِلَيْنَا بِنَا ، وكن على الدوام بنا ، فَإِذَا قُلْتَ قُلْ بنا ، وَإِذَا صُلْتَ فَصَلْ بنا ، واشهد بقلبك — وهو في قبضتنا — تحقق بأنك بنا ولنا .

توَكَّلْ على « الرزق » تَجِدِ الْمِرَّةَ بِتَوَكُّلِكَ عَلَيْهِ فِي الْبَارِئِينَ ، فَإِنَّ الرِّزْقَ مَنْ وَثِقَ بِالرِّزْقِ .

(١) تملح هذه الإشارة لتكون مستوراً في (الصحة) بصفة عامة . ولتتبرى فصل في الرسالة في هذا الخصوص .

« الرحيم » الذي يترقب من تهكرب إليه ، ويُنزِلُ البرَّ لِيَنْ تَوَسَّلَ بِهِ إِلَيْهِ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « الذي يراك حين تقوم » .

اقتضاه بهذه الآية عن شهود الخلق ، فَإِنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ بِمَشْهَدٍ مِنَ الْحَقِّ رَاعَى دَقَائِقَ أحواله ، وخفايا أموره مع الحق <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ » .

هُوَ عَلَى مَعَانِيَةِ مَشَاقِّ الْعِبَادَةِ بِإِخْيَارِهِ بِرُؤْيِهِ . وَلَا مَشَقَّةَ لِيَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ بِمَرَأَى مِنْ مَوْلَاهُ ، وَإِنَّ حَتْلَ الْجِبَالِ الرُّوَاسِي عَلَى شَفَرِ <sup>(٣)</sup> جَبْنِ الْعَيْنِ لَيَهْوُنُ عِنْدَ مَنْ يَشَاهِدُ رَبَّهُ <sup>(٤)</sup> .

وَيَقَالُ « تَهْلِكُ فِي السَّاجِدِينَ » بَيْنَ أَصْحَابِكَ ، فَهَمَّ نَجْوَمٌ وَأَنْتَ بَيْنَهُمْ بَدْرٌ ، أَوْ هَمَّ بَدْرٌ وَأَنْتَ بَيْنَهُمْ كَمِمْسٌ ، أَوْ هَمَّ شَمْسٌ وَأَنْتَ بَيْنَهُمْ شَمْسُ الشَّمْسِ .

وَيَقَالُ : تَهْلِكُ فِي أَصْلَابِ آبَائِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ صَرَفُوا اللَّهَ ، فَسَجَدُوا لَهُ دُونَ مَنْ لَمْ يَصْرِفُوهُ .

قوله جل ذكره : « إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

« السميع » لِأَنَّهُنَّ الْخَبِيرِينَ ، « الْعَلِيمُ » بِخَبَرِ الْمَارِفِينَ .

« السميع » لِأَنَّهُنَّ الْمُذْنُبِينَ ، « الْعَلِيمُ » بِأَحْوَالِ الْمُطِيعِينَ .

---

(١) هذه الإشارة موجع طيب لميقرية التشيرى عند صياغة (وصاياه) لمرئيين من التناحيين الصوفية والأدبية .  
(٢) يقال إنه لما دخل ذو النون المصري بغداد اجتمع إليه الصوفية ، ومعهم قوال ، فاستأذنا ذا النون أن يقول بين يديه شيئاً ، فأذن له ، فابتدأ يقول ، فقام ذو النون وسقط على وجهه والدم يقطر من جيبه ولا يسقط على الأرض . ثم قام وجلس من القوم يتواجد ، فقال له ذو النون : « الذي يراك حين تقومه فليس الرجل .  
ويعلق الشيخ الغفالق على هذه القصة بأن ذا النون كان صاحب إشراف على هذا الرجل ، وكان الرجل صاحباً إنصافاً حين قبل منه ذلك فرجع وقصه (الرسالة ص ١٧٠) .  
(٣) شَمَرُ الْعَيْنِ = حَرَّةُ الْعَيْنِ يَلْبَسُ عَلَيْهِ الْعَدَبُ . (الوسيط) .  
(٤) يربط النفس بين هذه الآية وبين الآيتين السابقتين والسابعة واللاحقة ، فاللهي عنه : أنه سبحانه (يراك حين تقوم) متجهياً ، ويرى (تقلبك) في المصلين ؛ يرى ما كنت تفعل في جوف الليل من تيباك للجهنم ، وتقلبك في تصفح أحوال التجهين من أصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون ، وتعلم كيف كانوا يعملون لآخرتهم .  
وهو (سميع) لما تقوله ، (علم) بما تنويه وبما تملكه ، وبذلك هو على معاناة كل مشقة حيث أخبر برؤيته له في كل ما يقوم به .

قوله جل ذكره: «هل أنبئكم على من نازل

الشیاطین • تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ أَقَانٍ

أُثِمِ • يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُ

کاذبون .

يُبَيِّنُ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْزَلُ عَلَى الْكَفَّارِ وَالْكُهْنَةِ<sup>(١)</sup> فَوَحَى إِلَيْهِمْ بِوَسْوَسِهِمُ الْبَاطِلَةَ .

قوله جل ذكره : « والشراء يتبعهم الفاون » .

لَمَّا ذَكَرَ الْوَحْيَ وَمَا بَاقِيَ بِهِ لِللَّائِكَةِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ ذَكَرَ مَا يُوسِسُ بِهِ الشَّيَاطِينُ إِلَى أَوْلِيَائِهِ ، وَأَخْلَقَ بِهِمُ الشُّعْرَاءَ الَّذِينَ فِي الْبَاطِلِ يَهيمُونَ ، وَفِي أَعْرَاضِ النَّاسِ يَقْعُونَ ، وَفِي التَّشْبِيبَاتِ — عَنْ حَدِّ الْأَسْطِزْمَةِ — يَخْرُجُونَ ، وَيَبْذُرُونَ مِنْ أَغْصَانِهِمْ بَمَا لَا يُؤْفِقُونَ ، وَسَبِيلَ الْكُذْبِ يَسْلُكُونَ .

قوله جل ذكره: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

وَذَكِّرُوا اللَّهَ كَثِيراً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ مِنْ

يَبْدَأُ مَا ظَلَمُوا ۚ

فيكون شعره خالياً من هذه الوجوه الملعونة<sup>(٣)</sup>، وهذا كاقيل: الشعر 'كلام' إنسان؛ فحسبه كحسبه وقيمه كقيمه.

قوله جل ذكره: «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

يَتَقَلَّبُونَ .

سيعلم الذين ظلموا سوء ما عملوا ، ويندمون على ما أسلفوا ، ويصدقون بما كذبوا .

(١) من أمثال مطيع وطلحة ومسلمة .

وإذا كان محمد (ص) يتم الأفاكن ويلهم .. فكيف نزل الشيطان عليه ؟ !

(٢) من أمثال عبد الله بن رواحه وحماد بن ثابت وكعب بن زهير وكعب بن مالك رضي الله عنهم ، فشرهم غلبت عليه الحكمة والموعظة والتردد ، والاندفاع إلى الفضيلة ، ومؤازرة الدين الجليل ، وروم لواء التوحيد .

## السورة التي يذكر فيها النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله اسم عزيز قَصْدُهُ المسمى لِطَلَبِ التَّخْفِيفِ فصار وَزْرُهُ مَنفُوراً ، اسم كَرِيم قَصْدُهُ العَايِدُ لِطَلَبِ التَّضْمِيفِ فصار أَجْرُهُ مَوْفُوراً ، اسم جَلِيلُ أُمِّهِ الْوَلِيُّ لِطَلَبِ التَّشْرِيفِ فصار سَمِيئُهُ مَشْكُوراً ، اسم عَزِيزٌ إِنْ تَمَرَّضَ التَّعَبُ لَوْجُودِهِ مَحَقَّتْهُ الْبِرَّةُ ، وَعَلَوَتْهُ السُّلُوكَةُ ، فصار كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً .

جَعَلَتْ الْأَحَدِيَّةُ .. فَأَتَى بِالْوَصُولِ ۖ وَتَقَدَّسَتْ الصَّمَدِيَّةُ .. فَمَنْ ذَا الْقِيِّ عَلَيْهَا يَفْ ؟<sup>(١)</sup> .  
« كَلَّا » .. لِأَنَّهَا تَذْكِرَةٌ . فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ،<sup>(٢)</sup>

وَكَمْ بِمَسْطَرِّينَ إِلَى وَصِيلِنَا أَوْ كُنْهَمُ .. لَمْ يَبَالُوا نَصِيحًا ۖ  
قوله جل ذكره : « طَسَّ تِلْكَ كَلِمَتُ الْقُرْآنِ وَكُنْتُمْ مِيقِينَ » .  
بِظَهَارَةِ قُدْسِي وَسَنَاءِ عِزِّي لَا أَخْتِيبُ أَمَلًا مِنْ أَمَلٍ لُفِّي .  
بِوُجُودِ بَرِّي تَطْلُبُ قُلُوبُ أَوْلِيَائِي ، وَبِشُهُودِ وَجْهِ تَنْتَبِهِ أَسْرَارُ أَصْفِيَائِي .  
مَلَكُوبُ الْقَاصِدِينَ مُتَابِلٌ بِطَلْفِي ، وَسَمِيُّ الْعَامِلِينَ مَشْكُورٌ بِطَلْفِي<sup>(٣)</sup> .

(١) التوحيد - في نظر القشيري - هو أعلى درجات المرفقان ، وهذا التوحيد للمرفقان - متأثراً بالتوحيد الإسلامي الأميل - لا يشوبه كنهٌ ولا تقليد ولا تدخل ولا حلول ولا امتزاج . فمرقان الصوفي مهما مَطْلَمٌ لا يمتدنى كونه (مرقاناً) يمتد للتمال في شهود أفعال الحق ، فأما القوقوف على حقيقة الإتيه فقه جعلت الصمدية من إشراف مرفقان علياً) تفسير بسطة سورة الجمعة « من هذا الجهاد » .

(٢) آية ٤٤ سورة الم نشر .

(٣) غير خاف على القاريء أن يلبس نَزْدَ حَرْفِ الْمَلَا وَالسَّيْنِ فِي كَلِمَاتِ الْأَسْطَرِ الثَّلَاثَةِ ، كَأَمَّا الْقَشِيرِيُّ فَيُرِيدُنَا أَنْ نَتَفَهَّمُ حَقَائِقَ (طَسَّ) مِنْ بَيْتِهِ .

« تلك آيات القرآن وكتب مبين » ، . انه دلالات كرمنا ، وأمارات فضلنا وشواهد برنا ، تبين لأوليائنا صدق وعدنا ، ونما لأخصيائنا حفظ عهدنا .

قوله جل ذكره : « هدى بشرى للمؤمنين » .

هذه الآيات وهذا الكتاب بيان وشفا ، ونور وضياء ، وبشرى ودليل لمن حققنا لهم الإيمان ، وأكذنا لهم الضمان ، وكفلنا لهم الإحسان .

قوله جل ذكره : « الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة »

وهم بالآخرة هم يوقنون » .

يدعون المواصلات ، ويستقيمون في آداب المناجاة ويؤدون عن أموالهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم الزكاة ، بما يقومون في حقوق المسلمين أحسن مقام ، وينوبون عن ضعفائهم أحسن مثاب .

قوله جل ذكره : « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زيننا لهم »

أعمالهم فهم يسمهون » .

أغشيناهم فهم لا يُبْصِرُونَ ، وهَمِينَا عَلَيْهِمُ الْمَالِكُ فهم عن الطريقة الثنلى يمدون ، أولئك الذين في ضلالتهم يسمهون ، وفي حيرتهم يقرءون .

قوله جل ذكره : « أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم »

في الآخرة هم الآخرون » .

« سوء العذاب » أن يجد الآلام ولا يجد التسلل بمعرفة المُتَلَّى ، ويحمل البلاء ولا يحمل عنه قله وعذابه شهودُ الثنلى .. وذلك للكفار ، فأما المؤمنون فيُخَفَّفُ عنهم العذاب في الآخرة حَسَنُ رَجَائِهِمْ في الله ، ثم نَصْرُهُمْ إلى الله ، ثم فَضْلُ الله معهم بالتخفيف في حال البلاء ثم ما وقع عليهم من النسي والإفاقة — كافي الخبير — إلى وقت إخراجهم من النار .

قوله جل ذكره : « وإِنَّكَ لَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ »

حكيم عليم » .

أى أن الذى أكرمك بإزال القرآن عليك هو الذى حفظك عن الأسواء والأعداء  
وصنوف البلاء .

قوله جل ذكره : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا

سَأْتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَاهِدٍ  
قَبَسٍ لَكُمْ تَصْطَلُونَ » .

سار موسى بأهله من مدين شعيب متوجهاً إلى مصر ، ودبّا عليه الليل ، وأخذ امرأته  
الطنق وهبت الريح الباردة ، ولم يور الزند ، وضاق على موسى الأمر ، واستبهم الوقت ،  
وتشتت به الهم ، واستولى على قلبه الشغل . ثم رأى ناراً من بعيد ، فقال لأهله : امكثوا  
إني أبصرتُ ناراً . وفى القصة : إنه تشتت أغنامه ، وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه  
فشردت ، فقالت امرأته :

كيف تتركنا ونمضى والواذى مسبح ١٩ .

قال : امكثوا .. فإني لأجلكم أمضى وأتعرف أمر هذه النار ، لعل آتيكم منها إما بقبَسٍ  
أوشعلٍ ، أو بخبرٍ عن قوم نزولٍ عليها تكون لنا بهم استمانة ، ومن جهتهم انتفاع . وبدت  
لبيته تلك النار قرية ، فكان يمشى نحوها ، وهى تقاعد حتى قُرب منها ، فرأى شجرةً وطبةً  
خضراء تشتمل كلها من أولها إلى آخرها ، وهى نار مضئنة ، فجمع خشبياتٍ وأراد أن يقتبس  
منها ، فعند ذلك سمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهم المخالفون من أهل البدع . وحصل  
الإجماع أن موسى سمع تلك الليلة كلام الله ، ولو كان النداء فى الشجرة لكان التكلم به  
الشجرة ، ولأجل الإجماع قلنا : لم يكن النداء فى الشجرة<sup>(١)</sup> . وإلا فنحن نجوز أن يخلق الله نداء  
فى الشجرة ويكون تعريفاً ، ولكن حينئذ يكون التكلم بذلك الشجرة .

(١) أى أنه على هذا الرأى كلام غير مخلوق ، لأن كلام الله صفة ، وصفته - سبحانه - غير مخلوقة ..  
وهذا هو نفس الرأى بالنسبة للقرآن ، وهذا هو الجواب الذى دفع به المؤلف زعم المجهية حين أرادوا أن يثبتوا  
أن القرآن مخلوق ، لأن القرآن شيء ، والله خالق كل شيء (انظر مدارج السالكين لابن القيم ج ١ ص ٢٢٢)  
فيكون النداء الذى سمع من الشجرة كالكلام الذى بين دفتى المصحف .. كلامها كلام الله - على الحقيقة ، ولكن  
من حيث التجوز فى التعبير يقال (فى الشجرة) و (فى المصحف) .

ولا يُنكر في الجواز أن يكون الله أسمع موسى كلامه بإسماع خلقه له ، وخلق كلاماً في الشجرة أيضاً ، فموسى سمع كلامه القديم وسمع كلاماً مخلوقاً في الشجرة .... وهذا من طريق العقل جائز .

قوله جل ذكره : **بَعَثْنَا جَاءَهَا نُودَى أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** .

أى **بُورِكَ مَنْ** هو في طلب النار وَمَنْ هو حول النار<sup>(١)</sup> .

ومعنى **بُورِكَ** أى لَحِقَتْهُ الْبَرَكَةُ أو أَصَابَتْهُ الْبَرَكَةُ .. والبركة الزيادة والخير .  
والدعاء مِنَ الْقَدِيم — سبحانه — بهذا يكون تحقيقاً له وتيسيراً به .

قوله جل ذكره : **« يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »** .

الذى يُخاطِبُكَ أَيْ اللَّهُ « الْعَزِيزُ » في استحقاق جلاله ، « الْحَكِيمُ » في جميع أفعاله .  
قوله جل ذكره : **« وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا كَهَيْئَةِ سَمَكٍ مُدْبِرٍ أَوْ كَهَيْئَةِ سَمَكٍ مُدْبِرٍ أَوْ كَهَيْئَةِ سَمَكٍ مُدْبِرٍ »** .

في آية أخرى بَيَّنَّ أَنَّهُ سَأَلَهُ ، وَقَالَ لَهُ عَلَى وَجْهِ التَّضَرُّعِ : **« وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى ؟ »**  
وأجاب به قوله : **« هِيَ عَصَايَ »** وَذَكَرَ بَعْضَ مَا لَهُ فِيهَا مِنَ الْمَآرِبِ وَالْمَنَافِعِ ، قَالَ اللَّهُ : **« وَأَلْقِ عَصَاكَ »** ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُرِيَهُ فِيهَا مِنْ عَظِيمِ الْبَرَهَانِ مَا يَجِبُ لَهُ كَمَالُ الْيَقِينِ .  
وَأَقْلَعُوا مُوسَى قَلْبَهَا اللَّهُ مُبَاشَرًا ، أَوْ لَا حَيَّةً صَغِيرَةً ثُمَّ صَارَتْ حَيَّةً كَبِيرَةً ، فَأَوْجَسَ فِي قَلْبِهِ مُوسَى خِيفَةً وَوَلَّى مُدْبِرًا هَارِبًا ، وَكَانَ خَوْفُهُ مِنْ أَنْ يُسَلِّطَهَا عَلَيْهِ لَمَّا كَانَ عَارِفًا أَنَّ اللَّهَ يَطْغِبُ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَقُّ :

**« يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ »** .

أى لا يَنْبَغِي لِمَنْ أَنْ يَخَافُوا .

(١) يرى النسخ أن (مَنْ) في مكان النار م اللامعة ، و(مَنْ حَوْلَهَا) جد موسى . (النسخ ٣٥ ص ٢٠٢) .



« إِيَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ »

قَالَ غُفُورٌ وَحِيمٌ .

وهذا يدل على جواز الذنب على الأنبياء عليهم السلام فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة بشرط ترك الإصرار . فَأَمَّا مَنْ لَا يُجِيرُ عَلَيْهِمُ الذَّنْبُ فَيَجْعَلُ مِنْهُ عَلَى مَا قَبِلَ النَّبِيُّ<sup>(١)</sup> .

فَلَمَّا رَأَى مُوسَى اِغْتِلَابَ الْمَصَاعِلِ أَنَّ الْحَقَّ هُوَ الَّذِي يَكْشِفُهُ بِذَلِكَ .

وَيَقَالُ : كَيْفَ عَلِمَ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنَّ الَّذِي سَمِعَهُ كَلَامُ اللَّهِ ؟ .

والجواب أنه بعرض منه إياه ، ويجوز أن يكون ذلك العلم ضرورياً فيه ، ويجوز أن يكون كسبياً ، ويكون الدليل له الذي به عَلِمَ صِدْقَهُ فِي قَوْلِهِ : « إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ » هو ما ظهر على يَدِهِ - فِي الْوَقْتِ - مِنَ الْمُعْجَزَةِ ، مِنْ قَلْبِ الْمَصَاعِلِ ، وَإِخْرَاجِ يَدِهِ بِيَضَاءٍ<sup>(٢)</sup> .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بِيَضَاءٍ »

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تَسْبِيحِ آيَاتِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ

وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ .

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ أَيْ يَرَى . وَفِي التَّمَنَةِ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَكَرَ اشْتِغَالَ قَلْبِهِ بِمُحَدِّثِ أَمْرَاتِهِ ، وَمَا أَصَابَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةُ مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي أَوْجَبَتْ انْزِعَاجَهُ ، وَقَصْدَهُ فِي طَلَبِ النَّارِ ، فَسَأَلَ اللَّهَ تَعَالَى : إِنَّا قَدْ كَفَيْتَكَ ذَلِكَ الْأَمْرَ ، وَوَكَّلْنَا بِأَمْرَانِكَ وَأَسْبَابِكَ ، فَجَمَعْنَا أَغْنَانِكَ وَتَوَهَّرْنَاكَ ، وَصَلَّيْتُ لَكَ لِلرَّأَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا

سِحْرٌ مُبِينٌ » .

---

(١) لَا يَسْتَعْمَلُ فَرِيقٌ مِنَ الْمُفَقِّهَاتِ تَعْيِيرَ (الذَّنْبِ) بِالنِّسْبَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَإِنَّمَا يُقَالُ عَلَى مَا يَبْدُو مِنْهُمْ (يُسَبِّحُ) خِلَافَ الْأَوَّلِ تَأْدِيباً .

وَالثَّانِي - عَلَى الرَّجْحِ - مَسْجُومٌ ، وَالْأَوَّلُ مَحْضُورٌ أَيْ قَدْ تَقَعَّ مِنْهُ هَتَاتٌ أَوْ زَلَاتٌ وَلَكِنَّهُ لَا يُسَبِّحُ عَلَى مَا قَبِلَ (الْمَسَالَةَ مِنْ ١٧٥) .

(٢) أَيْ أَنَّ الْأَسْلَاقَ فِي الْمُعْجَزَةِ أَنَّهَا دَلِيلٌ سَدَقَ النَّبِيُّ ، فَقَدْ يَسْتَطِيعُ السَّحَرَةُ وَالْكَهَنَةُ مِثْلَ أَشْيَاءَ عَجِيبَةٍ وَلَكِنَّمَا لَا تَخْرُجُ مِنْ كَوْنِهَا دَلِيلَ مَهَارَةٍ أَوْ ذِكَاةٍ أَوْ قُدَّةٍ عَلَى الْإِنْجَامِ وَالْإِنْتِبَاهِ .

وَالثَّانِي مَأْمُورٌ بِإِظْهَارِ الْمُعْجَزَةِ أَمَّا الْقَوْلُ فَمَأْمُورٌ بِإِخْفَاءِ الْكَرَامَةِ (الْمَسَالَةَ مِنْ ١٧٤) .

لَمْ يَنْفَعِ اللَّهَ — سبحانه — آيَةٌ عَلَى رَسُولٍ مِنْ أَعْيَانِهِ — عليهم السلام — — إِلَّا كَانَتْ فِي الْوُضُوحِ بَحِثٌ لَوْ وَضَعُوا النَّظَرَ فِيهَا مَوْضِعَهُ لَتَوَضَّعُوا إِلَى حِصُولِ الْمِمْ وَتَلَجَّ الْمَدُورُ ، وَلَكِنْهُمْ قَصَّرُوا فِي بَعْضِهَا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا ، وَفِي بَعْضِهَا الْآخَرَ عَرَفُوهَا وَقَابَلُوهَا بِالْجَلْدِ . قَالَ تَعَالَى وَقَوْلُهُ صِدْقٌ :

« وَجَعَلُوا بَيْنَهُمَا وَاسْتَفْتَيْتُهُمَا أَنْفُسَهُمْ  
عُلْمًا وَعُلُومًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ  
الْمُفْسِدِينَ » .

وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْكَافِرِ الْجَلْدُ<sup>(١)</sup> تَحْصِلُ لِلْعَامِي عِنْدَ الْإِلَامِ بَعْضُ الذُّنُوبِ حَالَةً يَلْمُ فِيهَا — بِالتَّطَلُّعِ — أَنْ مَا يَفْعَلُهُ غَيْرُ جَائِزٍ ، وَتَتَوَالَى عَلَى قَلْبِهِ الْخَوَاطِرُ الزَّاجِرَةُ الدَّاعِيَةُ لَهُ عَنْ فِعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مُتَخَفِّلاً عَنْهَا أَوْ نَاسِئاً لَهَا ، ثُمَّ يَقْدِمُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرَ مُتَحَقِّلٍ بِهَا مُوَافَقَةً لِحَوَاهِئِهِ . وَهَذَا الْجَنَسُ مِنَ الْعَامِي أَكْثَرُهَا شَوْكًا ، وَأَعْدَدُهَا فِي الْعُقُوبَةِ ، وَأَبْهَدُهَا مِنَ التَّفَرُّقِ .

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ  
عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ » .

يَقْتَضِي حَكْمُ هَذَا الْخَطْلَبِ أَنَّهُ أَفْرَدَهُمَا بِجَنَسٍ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يَشَارِكُهُمَا فِيهِ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ عَلَى وَجْهِ تَخْصِيمِهَا بِهِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ ؛ وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ كَانَ بَرِيَّةً بَيَانٍ لَهَا أَعْنَاهَا عَنْ إِقَامَةِ الْبَرَهَانِ عَلَيْهِ وَتَصْحِيحِهِ بِالْإِسْتِدْلَالِ الَّذِي هُوَ مُرَرَّصٌ لِلشَّكِّ فِيهِ<sup>(٢)</sup> .

(١) لَيْسَ حَسْبَ أَنْ يَكُونَ جَدُّ الْجَاهِدِ بِبَدِ الْمَعْرِفَةِ لِأَنَّ (جَدُّ) بِمَعْنَى أَنْكَرَ ، وَتَقْدِيرُهُ الْإِنْكَارُ نَتِجَةُ جَهْلِهِ بِالْشَيْءِ ، وَلَكِنْ الْوَاضِحُ أَنَّ التَّشْبِيرَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَوْضِيحِ أَسْوَأِ أَلْوَانِ الْجَمُودِ ، وَهُوَ الَّذِي يَحْدِثُ بِبَدِ الْمَعْرِفَةِ ، وَتَقْدِيرُهُ أَحْسَنُ التَّشْبِيرِ حِينَ قَائِلُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ أَسْوَأِ أَسْوَالِ الْعَامِي ، وَهُوَ تِلْكَ الْفِي يَقْدُمُ فِيهَا عَلَى الْمُحْصِيَةِ وَهُوَ طِمٌّ بِمَاقِبَتِهَا ، وَبِذَلِكَ يَمْتَنِعُ النِّيَّةُ عَلَيْهَا ، وَيَنْطَلِهَا .

(٢) نَلْمُ مِنَ مَلَبَسِ التَّشْبِيرِ أَنَّ الْبَيَانَ أَوْقَى مِنَ الْمَرَاجِ الْعَرَفَاتِي مِنَ الْبَرَهَانِ ، وَنَجِدُ هُنَا سَبَبَ تَفَرُّقِ الْبَيَانِ عَلَى الْبَرَهَانِ .

ويحتمل أن يكون عليهما بأحوال أمتها على وجه الإشراف على ما كانوا يستمرون به ،  
فيكون إخبارهما عن ذلك معجزةً لهما .

ويحتمل أن يكون قوله : « عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ » .

ويحتمل أن يكون عليهما بالله على وجه زيادة لهما في البيان .

وفي الآية دليل على أن التفضيل الذي يحصل بالعلم لا يحصل بغيره من الصفات ، فأخبر  
بأنهما شَكَرَا الله على عظيم ما أنعم به عليهما<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَوَرِّثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا

النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْثَيْنَا مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَمَوْ التَّفَضُّلِ لِلْبَيْنِ » .

ورث أباه في النبوة ، وورثه في أن أقامه مقامه .

قوله : « عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ » : وكان ذلك معجزةً له ، أظهرها لقومه ليملأوا بها صِدْقَ  
إخباره عن نبوته . وَمَنْ كَانَ صَاحِبَ بصيرة وحضور قلب بالله يشهد الأشياء كلها بالله ومن  
الله . ويكون مُكَاثِفًا بها من حيث التفهيم ، فكأنه يسمع من كل شيء تعريفات الحق  
— سبحانه — للبعد عما لا نهاية له ، وذلك موجودٌ فيهم تحكي عنهم . وكأنَّ ضَرْبَ  
الطَّيْرِ مثلاً دليلٌ يُرْفَعُ — بالمواضعة — عند سماعه وقت الرحيل والتزول للحق  
— سبحانه — ينصُّ أهل الحضور بفنون التعريفات ، من سماع الأصوات وشهود أحوال  
المرئيات في اختلافها ، كقائل :

إِذَا لَرَدَ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِيسَةٌ

قوله جل ذكره : « وَوَحِّشَ لِسَانَ جُنُودِهِ مِنَ الْجِنِّ

وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ » .

---

(١) قال صل الله عليه وسلم : « والماءُ وردةُ الأنبياءِ والسمُّ نمةٌ تحتاج إلى الشكر ، ويزام أن يحقده العالم أنه  
إن فُضِّلَ على كثير فقد فضل عليه كثير » أيضاً ، وما أحسن قول عمر رضي الله عنه : كل الناس أمة من صر .

سَخَّرَ اللَّهُ سُلَيْمَانَ - عليه السلام - الجنَّ والطيرَ ، فكان الجنُّ مكفَّنين ، والطيرُ كانت مُسَخَّرَةً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا شَرْعٌ ، وكذلك الحيوانات التي كانت في وقته ، حتى النمل كان سليمان يعرف - طالبهم - ويقض عليهم حُكْمَهُ .

قوله جل ذكره : « حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِلَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » .

قيل إن سليمان استعصر أمير النمل الذي قال لقومه : « ادخلوا مساكنكم » وقال له : أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي مَمْسُومٌ ، وَأَنِّي لَنْ أَكُونَ عَسْكَرِي مِنْ أَنْ يَطْلُوكُمْ ؟ فأخبره أمير النمل أَنَّهُ لَا يَلَمُّ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنْ يَكُونَ النَّمْلُ عَالِمًا بِصَمَةِ سُلَيْمَانَ . ولو قال : لِمَ لَكُمْ أَيْحَ لَكُمْ ذَلِكَ .. لَكُنْ هَذَا أَيْضًا جَائِزًا .

وقيل إن ذلك النمل قال لسليمان : إِيَّيْ أَهْلٍ قَوِيٍّ عَلَى الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَخَشِيْتُ إِنْ يَرَوْكُمْ فِي مُلْكِكُمْ أَنْ يُرْغَبُوا فِيهَا<sup>(١)</sup> ، فَأَتَرْتُهُمْ بِدُخُولِ مَسَاكِنِهِمْ ثَلَاثَ ثَوْنٍ عَلَيْهِمْ زُهْدُهُمْ . وَلَنْ صَحَّ هَذَا قَبْلَهُ دَلِيلٌ عَلَى وَجوب سِياسة الكِبَارِ لِمَنْ هُوَ فِي رِعْيِهِمْ . وَفِي آيَةِ دَلِيلٍ عَلَى حَسَنِ الْإِحْتِرَازِ مِمَّا يُخْشَى وَقَوْمَهُ ، وَأَنَّ ذَلِكَ عَمَّا تَحْتَضِيهِ عَادَةُ النَّفْسِ وَمَا فَعَلُوا عَلَيْهِ مِنَ التَّمْيِيزِ .

وقال إن ذلك النمل قال لسليمان : مَا الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ مِنَ الْكِرَامَةِ ؟  
قال : سَخَّرَ لِي الرِّيحَ .

قال : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِشَارَةَ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِيَدِكَ عَمَّا أُعْطِيَ إِلَّا الرِّيحُ ؟<sup>(٢)</sup>  
وهكذا يَنْتَهِي الْكَبِيرُ عَلَى لِسَانِ الصَّغِيرِ ١ .

قوله جل ذكره : « فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا » .

(١) الصغير في (فيها) يعود على الدنيا .  
(٢) أي أنه عطاء زائل لا يمكن له ولا قرار .

التَّبَسُّمُ من اللُّوْكَ يَنْدُرُ لِمَاعَاتِهِمْ حُكْمُ السَّيَاسَةِ ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى رِضَاهُمْ وَاسْتِحْصَانِهِمْ لِمَا مِنْهُ يَحْصُلُ التَّبَسُّمُ ، فَقَدْ اسْتَحْصَنَ سُلَيْمَانُ مِنْ كِبِيرِ الْمَلِكِ حُسْنَ سِيَاسَتِهِ لِرَعِيَّتِهِ .

وَفِي الْقِصَّةِ أَنَّهُ اسْتَمْرَضَ جُنْدَهُ لِيَرَاهُمْ كَيْفَ هُمْ ، فَتَرَضَّهُمْ عَلَيْهِ ، وَكَانُوا يَأْتُونَ فَوْجًا فَوْجًا ، حَتَّى مَعَى شَهْرٍ وَسُلَيْمَانُ وَقَفُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ مُتَعَبِرًا فَلَمْ يَتَبَّهَوْا ، وَمَرَّ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَفِي الْقِصَّةِ : أَنَّ عَظِيمَ الْمَلِكِ كَانَ مِثْلَ الْبَغْلِ فِي عِظَمِ الْجَنَّةِ ، وَلَهُ خِرْطُومٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ

أَحِلَّ لِي صَالِحًا تَرْضَاهُ » .

فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نَظَرَهُ إِلَيْهِمْ كَانَ نَظَرًا اعْتِبَارِيًّا ، وَأَنَّهُ رَأَى تَعْرِيفَ اللَّهِ إِلَيْهِ ذَلِكَ ، وَتَنَبُّهَهُ عَلَيْهِ مِنْ جِلَّةِ نِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْهَا الشُّكْرُ .

وَفِي قَوْلِهِ : « وَعَلَى وَالِدَيَّ » دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شُكْرَ الشَّاكِرِ لِلَّهِ لَا يَخْتَصُّ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ عَلَى الْإِنْسَانِ ، بَلْ يَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى مَا أَحْصَى وَعَمَّ مِنْ نِعْمَةٍ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ

الصَّالِحِينَ » .

سَأَلَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ ؛ لِأَنَّ الصَّالِحَ مِنْ عِبَادِهِ مَنْ هُوَ مَخْتَوٍ لَهُ بِالسَّعَادَةِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ قَالَا مَا لِيَ لَا أَرَى

الْهُدُودَ أَمْ كَانِ مِنَ الْفَائِثِينَ » .

تَطَلَّبَهُ فَلَمَّا لَمْ يَرَهُ تَعَرَّفَ مَا سَبَّبَ تَأَخُّرَهُ وَغِيْبَتَهُ .

وَذَلِكَ ذَلِكَ عَلَى تَقِظِ سُلَيْمَانَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَحَسَنِ قِيَامِهِ وَتَكْفُلِهِ بِأُمُورِ أَمْتِهِ وَرَعِيَّتِهِ ، حَيْثُ لَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ غِيْبَةُ طَيْرٍ هُوَ مِنْ أَصْغَرِ الطَّيْرِ لَمْ يَحْضُرْ سَاعَةً وَاحِدَةً . . وَهَذَا أَحْسَنُ مَا قِيلَ .

نَمَّ تَهْدَدَهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُدْرَةٌ بِمَذَابٍ شَدِيدٍ ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى كَيْلِ سِيَاسَتِهِ وَعَدْلِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ .

وقال قومٌ إنما عَرَفَ أن المهدد يعرف أعمقَ الماءِ يُلَهِمُ خُصْرَ به ، وأن سليمان كان قد نزل منزلاً ليس به ماء ، فطلب المهدد ليهديهم إلى مواضع الماء ، وهذا ممكن ؛ لأن في المهدد كَثْرَةٌ . وغيةٌ واحدٍ منها لا يحصل منها خَلٌّ — اللهم إلا إن كان ذلك الواحد مخصوصاً بمعرفة مواضع وأعمق الماء .. والله أعلم .

وروى أن ابن عباس سئل عن ذلك ، وأنه قيل له : إن كان المهدد يرى المساء تحت التراب ويعرفه فكيف لا يرى القَحَّ مخْتِئاً تحت التراب ؟ .  
قال : إذا جاء القضاء عَمِيَ البصر .

ويقال : إن الطير كانت تَفُوقُ رأس سليمان مُصْطَفَةً ، وكانت تبتز انبساط الشمس وشاعها بأجنحتها ، فوقع شعاعُ الشمس على الأرض ، فنظر سليمان فرأى موضع المهدد خالياً منه ، فعَرَفَ بذلك غَيْبَتَهُ .. وهذا أيضاً ممكن ، ويدل على كمال تَفَقُّدِهِ ، وكال تَقَطُّعِهِ — كما ذكرنا .

قوله جل ذكره : « لَأَعَذَّبَنَّ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي سُلْطَانٌ مُبِينٌ » .

في هذه الآية دليل على مقدار الجُرْمِ ، وأنه لا عِزَّةَ بصفر الجنة وعِظَمِهَا . وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة التكاليف ، ولا يبعد الآن أن يكون عليها شَرْعٌ ، وأن لهم من الله إلهاماً وإعلاماً ؛ وإن كان لا يُعْرَفُ ذلك على وجه القطع .

وتعيين<sup>(١)</sup> ذلك المذاب الشديد غير ممكن قطعاً ، إلا تجويزاً واحتمالاً .

وعلى هذه الطريقة يَحْتَمِلُ كُلُّ ما قيل فيه .

ويمكن أن يقال فإن وُجِدَ في شيء نُقْلٌ فهو مُتَّبَعٌ .

وقد قيل هو نُقْلٌ رِيْشُهُ وإِقْلاؤُهُ في الشمس .

(١) واضح هنا طريقة منافذة العسيري لشيء لم يرد به العمل . وكيف يعطى النقل أهمية وتقديرًا ، فإذا لم يكن نقل فأنه لا يجوز أن يقطع .  
وراسخ كذلك متى استعملوا هذه المثلثات في موشيه كلامه للسريدين والطلابين بطريق غير مباشر .

وقيل يُلزِمُ بينه وبين أليفه .

وقيل يشقُّ عليه وقتَه .

وقيل يُلزِمُهُ خدمة أقرانه .

والأوَّلُ في هذا أن يقال من المذاب الشديد كيت وكيت ، وألا يُقطعَ بشيء دون غيره على وجه التلصص .

فَمِنْ المذاب الشديد أن يُمتنعَ حلالة الخدمة فيجد أَلَمَ للشقة . ومن ذلك أن يقطع عنه حُسْنُ التولي لشأنه ويوكل إلى حَوْلِهِ ونَفْسِهِ ، ومن ذلك أن يُمتنعَ بالخُرُصِ في الطلب ثم يحال بينه وبين مقصوده ومطلوبه . ومن المذاب الشديد الطمع في اسم العزيم لا يرتفع <sup>(١)</sup> . ومن ذلك سلبُ القناعة ، ومنه عَدَمُ الرضا بما يجري . ومن ذلك نوم المذنبان وحسبان شؤره من اتللق .

ومن ذلك الحاجة إلى الأَخِيَّةِ من الناس . ومن ذلك ذُلُّ السُّؤال مع النفقة عن شهود التقدير . ومن ذلٍّ ، صبة الأصدقاء والأجلاء بمحاشرتهم . ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر . ومن ذلك التلبس بطريق الرشد . ومنه حسبان الباطل بصفة الحق ، والتلبس بالحق في صورة الباطل . ومنه أن يطالب بما لا تقص له ذات يده . ومنه التفرق في التَّوْبَةِ .

قوله جل ذكره : « فَسَكَتَ غَيْرَ بَعِيدٍ قَالَ أَصَحُّ

بِمَا كَمْ تُصِطُّ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ

بَنِيَّائِينَ »

فلم يلبث المدهد أن جاء ، وعلم أن سليمان قد تهذبه ، فقال : أَصَحُّ علماً بما هو عليك خافٍ ، « وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّائِينَ » .

ثم ذكر حديث بلقيس ، وأنها ملكتهم ، وأن لها من اللال واللك والسرير العظيم

(١) عاد للتشبيح إلى الآية نفسها في رسالته حيث يقول : وقيل في قوله تعالى : لأجلته ملأها قديماً - يعني لأجله القناعة ولأجلته بالطمع يعني أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك (الرسالة - ص ٨٢) .

ما عَدَّه ، فلم يتغير سايانُ — عليه السلام — لذلك ، ولم يستغزه الطمع فيما سَمَحَ عن هذا كما يحدث من عادة الملوك في العلم في مُلْكٍ غيرهم ، فلما قال :

« وَجَاءَتْهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَفَعَلَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ  
لَا يَمْتَدُّونَ »

فبعد ذلك غَاظَ هذا سايانَ ، وَغَضِبَ فِي اللَّهِ ، وَ :

« قَالَ سَأَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ »

وفي هذا دلالة على أن خيرَ الواحدِ لا يوجب العلمَ فيجب التوقفُ فيه على حدِّ التجويز ، وفيه دلالة على أنه لا يُطرح بل يجب أن يُتعرَّفَ : هل هو صدق أم كذب ؟<sup>(١)</sup>

ولمَّا عَرَفَ سايانُ هذا الْمَذْرُوكَ عَقوبَتَهُ وما تَوَعَّدَهُ به . . . وكذلك سبيلُ الوالي ؛ فإنَّ عَدْلَهُ يمنعه من الخيفِ على رعيته ، وَيَقْبَلُ عُذْرَ مَنْ وَجَدَهُ في صورة المجرمين إذا صدَّقَ في اعتقاره .

قوله جل ذكره : « اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ

ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَأَقْلُبْهُ مَلَأَ بِرِجْمُونٍ »

في الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي للإنسان أن يذكر بين يدي الملوك كل كلمة ، فإنه يجرُّ العناء بذلك إلى نفسه ؛ وقد كان لسايان من الخدم والحشم ومن ياتر بأمره الكثير ، ولكنه لم يستعمل واحداً في هذا التكليف إلا المهدد لأنه هو الذي قال ما قال ، فلم يمه الخروج من عهده ما قال .

ويقال لمَّا صدَرَ فيا أخبر لِمَا كَرِهَ عُوضَ عَلَيْهِ فَأَهْلَ السَّفَارَةِ وَالرَّسَالَةِ — على ضعف صورته<sup>(٢)</sup> .

(١) يضاف هذا الرأي في أخبار الآحاد إلى مذهب القشيري في المسائل الهندسية والفقهية .

(٢) هنا إشارة بعيدة إلى الرسل والأولياء ، وخص ما يقال منهم من الآثم .



ففى المدهد ، وأتى الكتب إليها كأمير ، واعتصم إلى جانب ينتظر ماذا يفعلون  
وبما يحب .

قوله جل ذكره : « قالت يا أيها اللأئى ألقى إلى كتاب

كريم • إنه من سليمان وإنه

بسم الله الرحمن الرحيم • ألا تنزلوا

على وأتوني مسلمين . »

« كتاب كريم » الكريم تنقى الدماء ، وقيل لأنه كان مخفوماً<sup>(١)</sup> ، وقيل لأن الرسول  
كان طلياً ؛ فعملت أن من تكون الطير مسخرة له لا بد أنه عظيم الشأن . وقيل :  
لأنه كان مستدرجاً بيسم الله الرحمن الرحيم . وقيل لأنه كتب فيه اسم نبيه أولاً ولم يقل :  
إنه من سليمان إلى فلاة . ويقال لم يكن في الكتاب ذكر الطمع في الملك بل كان دعاء  
إلى الله : « ألا تنزلوا على وأتوني مسلمين . »

ويقال أخذ الكتاب بجميع قلبها ، وقهرها ؛ فلم يكن لها جواب ، قالت : « إني ألقى  
إلى كتاب كريم » فلما عرفت قدر الكتاب وصلت باحترامها إلى بناء ملكها ، ورزقت  
الإسلام وصحبة سليمان .

ويقال إذا كان الكتاب كريماً لما فيه من آية التسمية بالكريم من الصلاة مالا يصعد  
عن التسمية ، وإذا تجردت كان الأمر فيها بالعكس .

قوله جل ذكره : « قالت يا أيها اللأئى ألقى في أمرى

ما كنت طائعة أمراً حتى تشهدوني<sup>(٢)</sup> . »

(١) يقال إنه طبعه بالسلك وختمه بخاتمه . قال صلى الله عليه وسلم : « كرم الكتاب ختمه » وقيل من كتب  
إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استغف به .

(٢) ( حتى تشهدوني ) يكسر النون ، أما الفتح فليس ؛ لأن النون إنما تفتح في موضع الرفع وهذا في موضع  
النصب لأن ما سبق « حتى » أسلوب ملئ ، فالفعل ينصب بعدها بأن مضمره . وأمله « تشهدوني » فحللت النون الأولى  
النصب ، والياء دلالة الكسرة .

أَخَذَتْ فِي الْمَشَاوِرَةِ كَمَا تَنْتَضِيهِ الْحَالُ فِي الْأُمُورِ الْعَظَامِ ؛ فَلِذَا التَّلَاحُ<sup>(١)</sup> لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مُسْتَبَدًّا بِرَأْيِهِ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ لَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْبَصِيرَةِ .

قوله جل ذكره : « قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةً وَأُولُوا نَاسٍ شَدِيدٍ

وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَأْمُرُ ؟ » .

أَجَابُوا عَلَى شَرْطِ الْأَدَبِ ، وَقَالُوا : لَسْنَا مِنْكُمْ إِلَّا بَدَلُ الْوَسْعِ ، وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِنْظَاهُ النَّصْحِ ، وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا مُتَابَعَةُ الْأَمْرِ — وَتَحْشِيَةُ الْأَمْرِ وَمُضَاوَاهُ .. إِلَيْكَ .

قوله جل ذكره : « قَالَتْ إِنَّ لِلْمَلِكِ إِذَا دَخَلَ قَرْيَةً

أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَاجَ أَهْلِهَا آذَنًا

وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » .

وَيَقَالُ إِنَّ : « وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » مِنْ قَوْلِهَا .

وَيَقَالُ : تَنْبِيهُ الْمَلِكِ<sup>(٢)</sup> إِذَا دَخَلَ قَرْيَةً — عَنْ صِفَتِهَا — مَعْلُومٌ ، ثُمَّ يُنْتَظَرُ .. فَإِنْ كَانَ الْفَاحِشُ حَادِلًا أَزَالَ سُنَّةَ الْجَوْرِ ، وَأَهْمَتْ سُنَّةَ الْقَدْلِ ، وَإِنْ كَانَ الْفَاحِشُ جَائِرًا أَزَالَ الْحَسَنَ وَأَهْمَتْ الْبَاطِلَ . هَذَا مَعْلُومٌ ؛ فَإِنَّ خَرَابَ الْبِلَادِ بِوَلَاءِ السُّوءِ ، حَيْثُ يَسْتَوْلِي أَسَافِلُ النَّاسِ وَأَسْتَغْلَمُهُمْ عَلَى الْأَعْرَاجِ مِنْهُمْ ، وَكَأَقْبَلِ :

لَا دَوْلَةَ لَيْسَ فِيهَا مِنْ الصَّالِحِ شَيْئٌ

زَوْلَى فَإِنَّكَ عَلَى الْكَرَامِ بَلِيَّةٌ

وعِمَارَةُ الدُّنْيَا بِوَلَاءِ الرُّشْدِ ، يَكْسِرُونَ وَقَابَ النَّافَةِ ، وَيُخْلَصُّونَ الْكَرَامَ مِنْ أَشْرِ السُّفَلَةِ ، ( وَيَأْخُذُ الْقَوْسَ بِأَرْبَاعِهَا )<sup>(٣)</sup> ، وَتَطْلُعُ شَمْسُ الْعِلْلِ مِنْ بَرَجِ شَرْفِهَا .. كَذَلِكَ لِلْمَرْفُوعَةِ

(١) نعلم من سيرة «نصيري» أنه كانت بيته وبين أصحاب السُلطة في موطنه علاقات في الرأى ، فهو هنا يفتقر بما يليق أن يكون عليه صاحب السُلطان من آداب ، سواء في اختيار أحواله ، أو في قبول النصيحة والشورى .

(٢) كأنما «نصيري» يعرض عن نفسه ما قلناه في عهد السلطان طغرل ووزيره «الكتندى» وكأنما يمجده ما ناله من التميز في عهد السلطان ألب أرسلان . ووزيره «الطعيم» نظام الملك (انظر مدخل هذا الكتاب : المجلد الأول)

(٣) مكنها في مرمى من (تأخذ القوس بأربعها) .

والخصلُ المحبوبة إذا بشرت قلبَ عبدٍ أخرجت عنه الشهواتِ والئى ، وسفاسفَ الأخلاقِ من الحقد والحسد والشحِّ وصِفَرِ المنة .. وغير ذلك من الأوصافِ القيمة وتُنْثِيَتْ بَدَلَمَا من الأحوالِ الصَّليَّةِ والأوصافِ المَرْضِيَّةِ ما به نظامُ العبد وتَمَامُ سعادته . ومضى استولت على قلبه غائقةُ النفسِ والخصلُ للذمومة أزالته عنه حماته ، وأبطلت نصارته ، فخرَّب أوطانُ الخفايقِ ، وتعداى مساكنُ الأوصافِ الحليدة للأنفول ، وعند ذلك ، يَعْظُمُ البلاءُ وتتراكمُ المِحَنُ .

قوله جل ذكره : « وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ  
يَمَّ يَرْجِعُ الْوُاسِلُونَ » .

جاء في القصة أنها بشت إلى سليمان بهدايا ، ومن جعلها لَبِنَةً مصنوعة من الفضة وأخرى من الذهب . وأن الله أخبر سليمان بذلك ، وأوحى إليه في مناه . وأمر سليمان الشياطين حتى بقُوا بساحة منزله ميدانًا ، وأمرهم أن يفرشوا الميدانَ بهيئةِ اللَّيْلِ المصنوع من الذهب والفضة من أوله إلى آخره . وأمرَ بأن توفى الدوابُّ على ذلك والأَلُ تُنْظَفُ آثارُها من روثٍ وغيره ، وأن يُترك موضعان لِلْبَيْتَيْنِ خاليتين في عمرِ الدخول . وأقبل رُسُلُها ، وكانت معهم اللبنتان ملفوفتين ، فلما رأوا الأمر ، ووقعت أهباسُهم على طريقهم ، صَفَرُوا أعيُنهم ما كان معهم ، وخجلوا من تقديم ذلك إلى سليمان ووقصوا في الفكرة .. كيف يتخلصون مما معهم ؟ فلما رأوا موضعَ القِبْلَتَيْنِ فارغا ظنُّوا أن ذلك سُرِقَ من بينها ، فقالوا أظهِرنا هذا نُسِينَا إلى أُنَّا سرَقناها من هذا الموضع ، فطرحاها في الموضع الخلال ، ودَخَلَا على سليمان :

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتِمَّدُونِي بِأَلْوِ  
فَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ  
بِهِدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ » .

أتهلوتى مالا ؟ ! وهل مثلى يُسْتَأَلُ بمثل هذه الأفعال ؟ إنكم وأمثالكم تاملون بمثل ما علمتم <sup>(١)</sup> ! ارجع إليهم : —

(١) أه أنتم قوم لاتملكون إلا الظاهر من الحياة الدنيا ، فذلك تفرحون بما تزدادون وبما يهبط إليكم ؛ لأن ذلك يبلغ همتكم — وحالك غلظ حالكم ، فأنا — بما آتاني الله — غني من حظوظ الدنيا .

« ارجع إليهم قلنا تبتهم بمجود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » .

قلنا رجعوا إلى بليس ، وأخبروها بما شاهدوا وسمعوا علمت أنه لا وجة لها سوى الاستسلام والطاعة ، فزمت على السير إلى خدمته ، وأوحى الله إلى سليمان بذلك ، وأنها خرجت مستسلمة ، قال : أيكم يأتي برشها ؟

قوله جل ذكره : « قال أيها الثلاثا أيكم يأتي برشها قبل

أن يأتي مسلمين » قال عفرت من

الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم

من مقامك وإني عليه أقوى أمين » .

بسط الله — سبحانه — ملك سليمان وكان في ملكه الجن والإنس والشياطين ؛ الجن على جهة التسخير ، والإنس على حكم الطوع ، والشياطين وكانوا على أقسام .

ولما قال : « أيكم يأتي برشها ؟ » قال عفرت من الجن — وكان أقوام — « أنا آتيك به

قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه أقوى أمين » ، فلم يرغب سليمان في قوله لأنه ببنى القول فيه على دعوى قوته <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « قال الذي عنده علم من الكتاب .

أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك

فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من

فضل ربي ليبلونني أشكرو أم أكفرو

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن

كفر فإن ربي غي كرم » .

(٢) هذه مضرة ملائكية تعتمد على العوز . انظر دلائل البطلان .

« الذي عنده علم من الكتاب » (قيل هو آصف) <sup>(١)</sup> وكان صاحب كرامة . وكرامات الأولياء مُتَّصِفَةً بمجزات الأنبياء ، إذ لو لم يكن النبي صادقاً في نبوته لم تكن الكرامة تظهر على من يُصَدِّقُه ويكون من جملة أمته .

ومعلوم أنه لا يكون في وَسْعِ الْبَشَرِ الْإِنْيَانُ بالمرش بهذه السرعة ، وأن ذلك لا يحصل إلا بخصائص قدرة الله تعالى . وقَطَعَ المسافة البعيدة في لحظة لا يصح تقديره في الجواز إلا بأحد وجهين : إما بأن يُقَدِّمَ <sup>(٢)</sup> الله المسافة بين (العرش وبين منزل سليمان) <sup>(٣)</sup> ، وإما بأن يعدم العرش ثم يعيده في الوقت الثاني بحضرة سليمان . وأى واحد من التسمين كان — لم يكن إلا من قِبَلِ الله ، فالذي كان عنده علم من الكتاب دعا الله — سبحانه — واستجاب له في ذلك ، وأحضر العرش ، وأمر سليمان حتى غيَّرَ صورته فجعل أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه ، وأنبته على تركيب آخر غير ما كان عليه .

ولما رأى سليمان ذلك أخذ في الشكر لله — سبحانه — والاعتراف بِعِظَمِ نِعْمِهِ ، والاستحياء ، والتواضع له ، وقال : « هنا من فضل ربى » : لا باستحقاق منى ، ولا باستطاعة من غيبرى ، بل أحد النعمة لربى حيث جعل في قومي ومن أمتى من له الجاهُ عنده فاستجاب دعاءه .

وحقيقة الشكر — على لسان العلماء — الاعترافُ بنعمة المُنْعِمِ على جهة الخضوع والأحسن أن يقال الشكر هو الثناء على المُحْسِنِ بِذِكْرِ إحسانه ، فيدخل في هذا شكرُ الله للعبد لأنه مثلاً لله على العبد بذكر إحسان العبد ، وشكرُ العبد ثناءً على الله بذكر إحسانه .. إلا أن إحسان الحق هو إتمامه ، وإحسانُ العبد طاعته وخدمته لله ، وما هو الحميد من أفعاله .  
فأما على طريق أهل المعاملة وبيان الإشارة : فالشكرُ صَرَفُ النعمة في وجه الخادمة .

(١) ما بين القوسين موجود في م وغير موجود في ص

(٢) في م (يبدى) بالعين ، وإعدام المسافة أى جعلها في حكم عدم معبر في المسمى . ويتشعب مع جعل العرش في حكم عدم وإعادة خلقه من جديد .. وكذلك تقديم المسافة (بالنون) مقبول حتى يصبح نقله من مكان إلى مكان قريب ميسوراً ، فالإعدام أو التقديم كلاهما مقبول لأن القدرة الإلهية تشملهما .

(٣) هكذا في م ولكنها في ص (بين القريتين) أى قرية سليمان وقرية بلقيس .

ويقال الشكرُ ألا تستعينَ بنعمته على مآصيه .

ويقال الشكرُ شهودُ النعم من غير مآكنةٍ إلى النعمة .

ويقال الشكرُ رؤيةُ العجز عن الشكر .

ويقال أعظمُ الشكرِ الشكرُ على توفيقِ الشكر .

ويقال الشكر على قسين : شكر العوام على شهود اللزید ، قال تعالى : « لئن شكرتم لأزيدنكم<sup>(١)</sup> » ، وشكر الخواص يكون مجرداً عن طلب اللزید ، غير متعرض لنال العوض .

ويقال حقيقةُ الشكرِ قيد النعم وارتباطها ؛ لأنَّ بالشكر بقاءها ودوامها .

قوله بطل ذكره : « قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون » .

أراد سليمان أن يمتحنها وأن يختبر عقلها ، فأمر بتغيير عرشها ، فلما رآته : —

« قيل أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو »

فاستدل بذلك على كمال عقلها ، وكان ذلك أمراً ناقصاً للمادة ، فصار لها آية وعلامة على صحة نبوة سليمان — عليه السلام — وأسلفت : —

« وصدها ما كانت تعبد من دون الله إلهها كانت من

قوم كافرين » قيل لما ادخل الصريح فلما رآته حبيته

نجة وكشفت عن سابقها قال إنه صريح مُعَرَّدٌ مِن

قوارير قالت ربِّ إني ظلمتُ نفسي وأسلفت مع سليمان

فله رب المالين »

كان ذلك امتحاناً آخر لها . قد أمر سليمانُ الشياطين أن يصنموا من الزجاج شبة

---

(١) آية ٧ سورة البقرة .

ملحق كبير صافي معنى ، وقضه فوق بركة بها ماء كثير عبق ، يرى الماء من أسفل الزجاج ولا يميز بين الزجاج والماء ، وأمرت أن تخوض تلك البركة ، فكشفت عن ساقها ؛ لأنها وصفت سليمان بأنها جنية النسب ، وأن رجليها كخوافر البواب ، فتقوّلوا عليها . ولما توهّمت أنها تخوض الماء كشفت عن ساقها ، فرأى سليمان رجليها صبيحتين . وقيل لها : « إنه صرح مرد من قوارير » : فصار ذلك أيضاً سبباً وموجباً ليفنها . وآمنت وتزوج بها سليمان عليه السلام .

قوله جل ذكره : « وقد أرسلنا إلى نوح أخاه صالحاً أن اعبُدوا الله فلا هم فريقان يختصمون »

ذكر قصة نوح ، وقصة نبيهم صالح عليه السلام ، وما جرى بينه وبينهم من التكذيب ، وطلبهم منه مجبرة ، وحديث الناقة وعقرها ، وتبرمهم بالناقة بعد أن رأوا فيها من الفل الذي كانت لهم فيه أعظم آية . . إلى قوله :

« ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون »

ومكروهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة صالح ، وعقرم الناقة خفية ، وتوربك الذئب على غير جارمه <sup>(١)</sup> ، والتبرئ من اختيارهم ذلك .

وأما مكراً الله فهو جزاؤهم على مكّرم باخفاء ما أراد بهم من العقوبة عنهم ، ثم إجلالها بهم بنّة . فالمكّر من الله تخليته إياهم مع مكّرم بحيث لا يمسهم ، وتزيين ذلك في أعينهم ، وتحبيب ذلك إليهم . . ولو شاء لمصّهم . ومن أليم مكّره انتشار الصيت بالصلاح ، والعمل في السرّ بخلاف ما يتوهم بهم من الصلاح ، وفي الآخرة لا يجوز في سوقها هذا النقد <sup>(٢)</sup> .

(١) أي إلقاء الجرم على غير من اقترف الجرم .

(٢) جميل من التشبیر تعبيره عن أسلوب (التماثل) بين الملق والمخلوق مكراً بمكر بلنقة (الله) . . وفي لآخر لا يسرى هذا الممد . فلا يحصى مكّرم فيلداً لأن التماثل في (سوق) الآخرة يكون على غير آخر .

قوله جل ذكره: «فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِمٍ  
أَنَا دَمَرْنَاكُمْ وَكُومِهِمْ أَجْمَعِينَ» .

أهلكهم ولم يلد منهم أحداً : —

«فَلَمَّا يَبْتَهِمُ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ  
لِقَوْمٍ يَتْلُونَ» .

وفي الخبر : «لو كان الظلم بيننا في الجنة لَسَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ اخِرَابَ» ؛ فالنفوس إذا ظَلَمَتْ  
بِزَلَّاتِهَا خربت بلعوقها شؤم الذلة حتى يتمود صاحبها الكسل ، ويستوطن مركب الفشل ،  
ومحرم التوفيق ، ويتوالى عليه الخذلان وقسوة القلب وجحود العين<sup>(١)</sup> واتسدة تظليل الشريعة  
من القلب . وأصحاب القلوب إذا ظلموها بالفلة ولم يحولوا طردَها عن قلوبهم .. خربت  
قلوبهم حتى تسو بد الرأفة ، وتجب بد الصفة .

غرابُ النفوس باستيلاء الشهوة والمفوة ، وخرابُ القلوب باستيلاء الفسلة والقسوة ،  
وخرابُ الأرواح باستيلاء الحجة والوقفة ، وخرابُ الأسرار باستيلاء الغيبة والوحشة<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره: «وَلَوْ كُنَّا إِذْ قَالُوا قَوْمُهُ أَتَأْتُونَنَا فَأَحْشَئَةً

وَأَنْتُمْ تَبْخِرُونَ • أُنِيسُكُمْ لَتَأْتُونَ  
الرَّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ  
قَوْمٌ مُبْجِلُونَ» .

ذَكَرَ قِصَّةَ لوطٍ وَأَمْنَهُ ، وَمَا أَمَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْفَاحِشَةِ ، وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ ،  
وَإِحْلَالَ الْعُقُوبَةِ بِأَمْرِهِ الَّتِي كَانَتْ تَطْلُقُ الْقَوْمَ ، وَتَخْلِيصُ الْحَقَّ لَوْطًا مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَمَا كَانَ  
مِنْ أَمْرِ لِللَّائِكَةِ الَّذِينَ بُعِثُوا لِإِهْلَاكِهِمْ .

قوله جل ذكره: «قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ  
الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يَشْرِكُونَ» .

(١) أي لا تكون مقراً للاختيار .

(٢) هذه إشارة عامة توضح آفات الطريق في مراحلها المختلفة .



هم الذين سَلَّم عليهم في آزاله وهم في كَتَم المَدَم ، وفي متناول علمه ومتعلق قدرته ، ولم يكنوا أعياناً في المَدَم ولا إلهادوا <sup>(١)</sup> ، فلما أظهِرهم في الوجود سَلَّم عليهم بذلك السلام ، ويُسَمُّهم في الآخرة ذلك السلام . والذين سَلَّم عليهم هم الذين سَكَبُوا اليوم من الشكوك والشُّبُه ، ومن فنون البِدْع ، ومن وجوه الألم ، ثم من فنون الزَّلَلِ وصنوفِ الخَلَلِ ، ثم من النفية والحجة وما ينأى دوام القرية .

ويقال اصطفاً ، ثم هداً ، ثم آواهم ، وسَلَّم عليهم قبل أن يَخْلَقهم وأبداهم ، وبعد أن سَلَّم عليهم بودِّه قَّاهم .

ويقال : اصطفاهم بنور اليقين وحُكْمِ الرِّضَى وكَلَمِ السَّيِّئِ .

قوله جل ذكره : « أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُخْلِقُوا شَيْئاً مِثْلَهَا .. » .

فخراتُ الظاهرِ غِذاهُ النفوس ، وثمراتُ الباطنِ والأسرار ضياءُ القلوب ، وكلا لا تبقى في وقت الربيع من وحشة الشتاء بقيَّةً فلا يبقى في قلوبهم وأوقاتهم من النفية والحجة والنفرة والنهية شَقِيَّةً .

قوله جل ذكره : « أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيً » .

نفوسُ المابدين قَرَارٌ طاعتهم ، وقلوبُ المارفين قَرَارٌ معرفتهم ، وأرواحُ الواجدين قَرَارٌ

(١) ربما يقصد التشيخي أنهم - وقد كانوا في كَتَم العلم - لم تصدر عنهم طاعة تليهم في استحقاق إجابة لهم واستيجاب تسليم عليهم .. والمقصود - إن صحَّ هذا الرأي - أن مثل الإنسان لا قيمة له بجانب الفضل الإلهي والقيمة السابقة .

محبته ، وأسرار اللوحين قرار مشاهدتهم<sup>(١)</sup> ، في أسرارهم أنوار الوصلة وعيون التوبة ،  
وبها يسكن علماً اشتياقهم وهيجان قلوبهم واحتراقهم .

« وجعل لها رواسي » من الخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة .

ويقال « جعل لها رواسي » اليقين والتوكل .

ويقال الرواسي في الأرض الأبدال والأولياء والأوتاد<sup>(٢)</sup> ؛ بهم يديم إمسك الأرض ،  
ويبركاتهم يدفع عن أهلها البلاء .

ويقال الرواسي هم الأئمة الذين يهتدون للمسترشدين إلى الله .

قوله جل ذكره : « وجعل بين البحرين حاجزاً إلهة مع

الله بل أكرمهم لا يعلمون » .

« جعل بين البحرين حاجزاً » بين القلب والنفس لئلا يئلب أحدهما صاحبه .

ويقال بين اليهودية وأحكامها ، والحقبة وأحكامها ، فلو غلبت اليهودية كانت جنة  
للحقبة ، ولو غلبت الحقبة اليهودية كانت طياً للشرية .

ويقال : السنة للريدين ممر ذكره ، وأسماعهم محل الإدراك للوصول إلى التهم ، والعيون

مقر الاجتهاد .

قوله جل ذكره : « آمن بحبيب المنظر إذا دعاه

ويكشف السوء... » .

فصل بين الإجابة وبين كشف السوء : فالإجابة بالقول والكشف بالطول ، الإجابة  
بالكلام والكشف بالإنعام . ودعاه للضطر لا حجاب له ، وكذلك دعاه المظلوم « ولكن  
لكل أجل كتب » .

---

(١) هكذا في م ومن في من (مساطبهم) ويبدو أن الماء التبت عل التناخ ، فالمراد أن الأسرار محل المشاهدة .  
(٢) جاء في حلية الأولياء ( ٨٠ ص ٣٦٧ ) حديث عن النبي (ص) : « خيار أمتي في كل قرن خمسة  
والأبدال أربعة فلا الخمسة لا يتقصون ولا الأبدال ، كلما مات رجل أبدل الله عز وجل من الخمسة مكانه وأدخل  
من الأربعين مكانهم » .

ويرى الجرجاني : أن الأبدال سبعة ( التبريدات ص ٣٧ ط مصر سنة ١٩٣٨ )  
ويرى ابن صباكر : أنهم ٢٢ بالشام + ١٨ بالمرقا ( تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠ ص ٢٧٨ ) .  
ويرى الحسبي : أن الأوتاد أربعة يطرفون العالم بحبلته كل ليلة ( كشف المحجوب ص ٢٦٩ ) .

ويقال للجناية : سرية ؛ فمن كان في الجناية مختاراً فليس تسلّم له دعوى الاضطراب عند سرية جرمه الذي سَلَفَ منه وهو مختار فيه ، فأكثر الناس يوهمون أنهم مضطرون ، وذلك الاضطراب سرية ما يَدْر منهم في حال اختيارهم .

وما دام العبد يوم من نفسه شيئاً من الحَوْل والحيلة ، ويرى نفسه شيئاً من الأسباب يعتمد عليه أو يستند إليه — فليس بمضطرب ، فالمضطرب يرى نفسه كالنريق في البعر ، أو الضالّ في اللبلة ، وهو يرى عِنايته يد سيّده ، وزمّته في قبضته ، فهو كالتبّين بين يدي ظليّ ، وهو لا يرى نفسه استحقاقاً للنجاة ؛ لاحتضاده في نفسه أنه من أهل السخط ، ولا يقرأ اسمه إلا من ديوان الشقوة<sup>(١)</sup> .

ولا ينبغي للمضطرب أن يستعين بأحد في أن يدعو له ؛ لأنّ الله وَعَدَ الإجابة له ..  
لا لمن يدعو له .

ثم كما وَعَدَ المضطرب الإجابة وكَشَفَ السوء وَعَدَهُ بقوله : —

« ... ويصلّكم خلفاء الأرض إلى  
مع الله قليلاً ما تذكرون » .

فلنّ مع العسر يسراً ، ولم يقل : للعسر إزالة ، ولكن قال : مع العسر يسراً ؛ فبهازل اليسر حاصل بعد غلام الشّر .

ثم قال : « إله مع الله قليلاً ما تذكرون » لأنّ العبد إذا زال عُسْرُهُ ، وكَشَفَ عنه شُرُّهُ تيسّر ما كان فيه ، وكأ قال القائل :

« كأنّ التقى لم يترّ يوماً إذا اكتسى ولم يكُ صلوكا إذا ما تمحولا »

(١) إذا اطمأنّ العبد لنفسه ، ولاحظ صلته لقلّة عسراً هاماً من عناصر السير في هذا الطريق ، وهو الإخلاص .. وفي ذلك يقول أمير يعقوب السوسي : متى شهدنا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص . ويرى أبو حنّان المغربي : أن إخلاص الخواص : هو ما يجري عليهم لا بهم فتدبر منهم الطامعات وهم عنها بمنزل ، ولا يقع لهم عليها دوية ، ولا بها اعتداد .

قوله جل ذكره : « أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ اللَّيْلِ وَالْيَوْمِ »

إذا أظلم الوقتُ على صاحبه في متاعض الخواطر عند استبهام وجه الصواب ، وضاق الأمرُ بسبب وحشة التدبير وظلمات أحوال التجويز ، والتضيُّر عند طلب ترجيح بعض الخواطر على بعض بشواهد العقل .. فَمَنْ الذي يرشدكم لوجه الصواب بِتَرْكِ التدبير ، وللإستسلام لحكم التقدير ، وللخروج من ظلمات عجوزات القول إلى قضايا شهود التقدير ، وتقويض الأمر إلى اختيار الحق ، والإستسلام لما جرت به الأقسام ، ومَسَبَّت به الأقدار ؟ .

« .. وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَنْ

يَدِي رَحْمَتِهِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » .

مَنْ الذي يُرْسِلُ رِيحَ فَضْلِهِ يَنْ يَدِي أنوار اختياره فيمحو آثار اختيار نَفْسِكَ ، ويبجل بحسن الكفاية لك ؟ .

ويقال : يرسل رِيحَ التوكل فيُطَهِّرُ القلوبَ من آثار الاختيار وأضرار التدبير ، ثم يُطْلِعُ شمسَ الرضا فيحصلُ بَرْدُ الكفاية فوق المأمول في حال سكينه القلب .. أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ؟ « تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ » : من إحالة للتأدير على الأسباب .

قوله جل ذكره : « أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ

يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » .

يُطَهِّرُ ما يُظْهِرُ بقدرة على مقتضى سابق حُكْمِهِ ، ويخصص ما تعلقت به مشيئته وحق فيه قوله ، ومَسَبَّت به قضاؤه وقدره . فلذا زال واقفي واندم بعض ما ينظر ويخصص .. فَمَنْ الذي يعيده مثلاً بداه ؟ ومن الذي يضيئ الرزق ويؤسسه ؟ ومن الذي يقبض في بعض الأوقات على

بعض الأشخاص ؟ وفي وقت آخر من الذي يسط على قوم آخرين ؟ .

هل في قدرة أحد غير الله ذلك ؟ .

إن توهم شيئاً من ذلك فأوضحوا عنه حججكم . وإذا قد عجزتم .. فهلاً مدّقم ؟  
وبالتوحيد أقررتم ؟ .

قوله جل ذكره : « قُلْ لَا يَلْمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
النَّبِيَّ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ  
يُبْعَثُونَ » .

« النيب » : ما لا يَلْسَعُ عليه أحدٌ ، وليس عليه للخلق دليل ، وهو الذي يستأثر بسله  
الحق<sup>(١)</sup> ، وعلومُ الخلق عنه متعاصرة ، ثم ما يريد الله أن ينصّ قوماً بسله أفرادهم .  
« وما يشعرون أيان يبعثون » : فإنه أخفى علم الساعة عن كل أحد .

قوله جل ذكره : « بَلْ آذَانُكُمْ<sup>(٢)</sup> عَمَلُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ  
هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا مُخْمَلُونَ » .

فهم في الجملة يَشْكُونُ فيه ؛ فلا يفتونه ولا ياتلمع بيجلونه .. وهكذا حُكْمُ كل مريضٍ  
القلب ، فلا حياة له في الحقيقة ، ولا راحة له من بأسه ؛ إذ هو من البعث في شكٍّ ، ومن الحياة  
الثانية في استبعاد : —

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا كُنَّا نُرَآكَ  
وَإِنَّا كُنَّا نَمُوتُ » .  
« قَدْ وَجَدْنَا  
هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنَّا  
إِلَّا فِي سُلْبٍ الْأَوَّلِينَ » .

---

(١) هكذا في م وهي في ص (الخلق) وهي خطأ في النسخ إذ الحق هو الذي يستأثر بسله القلب .  
(٢) يرى القريب أن القراءة هكذا والقراءة على (بل أذرك) مستطاعة واحدة لأن أصل (آذرك) تدارك وأدغمت  
الهمزة في التاء وجيء بالفتحة الموصول (الجلس لأحكام القرآن ج ١٣ ص ٢٢٦) .

وَعِدَ آيَاظُنَا بِذَلِكَ مِنْ قَبْلِ ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ لَمْ تَحْقِيقِ ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَ  
مَتَى السَّاعَةُ ؟ :

« وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ؟ » .

قَالَ الْحَقُّ : إِنَّهُ عَنْ قَرِيبٍ سَيَجْلِبُ بِهِمْ مِيقَاتُهُ : —

« قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ » لَكُمْ  
بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ .

ثُمَّ قَالَ جَلْ ذَكَرَهُ :

« وَإِنَّ رَبَّكَ لَنُورٌ فَضَّلِمُوا عَلَى النَّاسِ  
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ » .

لأنهم لَا يُبَيِّنُونَ بَيْنَ بَحْتِهِمْ وَمِنْصَحِهِمْ . وعزَّرَ مَنْ يَعْرِفُ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا هُوَ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ  
لَهُ وَبَيْنَ مَا هُوَ عَذَابٌ ؛ فَلَمَّا قَامَ رَدِفُ الْعَبْدِ عَمَّا فِيهِ صِلَاةٌ ، فَحَسَى أَنْ يَحِبَّ شَيْئًا وَيُظَلِّهَ خَيْرًا  
وَبَلَاؤُهُ فِيهِ ، وَرُبَّمَا شَيْءٌ يَظُنُّهُ الْعَبْدُ نِعْمَةً فَيُشْكِرُ عَلَيْهَا وَيُسْتَدِيمُهَا ، وَهِيَ عَذَابٌ لَهُ يَحِبُّ الصَّبْرَ  
عَلَيْهَا وَالتَّضَرُّعَ إِلَى اللَّهِ فِي صَرْفِهَا أَوْ يَكْسُ هَذَا كَمَنْ شَيْءٌ يَظُنُّهُ الْإِنْسَانُ مُخْلَافَ مَا هُوَ بِهِ .  
قوله جَلْ ذَكَرَهُ : « وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ  
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ » .

لَا تَلْقَيْسُ عَلَى اللَّهِ أَحْوَالَهُمْ ؛ فَصَادِقٌ يَسْتَوِي ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ يَعْلَمُهُ ، وَمُنَافِقٌ يَخَافُ بَاطِنُهُ  
ظَاهِرَهُ بُلْبُسُ عَلَى النَّاسِ حَالَهُ .. وَهُوَ — سَبْحَانَهُ — يَعْلَمُهُ ، وَكَافِرٌ يَسْتَوِي فِي الْجَسَدِ سِيرُهُ  
وَعَلَنُهُ يَعْلَمُهُ ، وَهُوَ يَجَازِي كَلًّا عَلَى مَا عَلَيْهِ .. كَيْفَ لَا .. وَهُوَ قَدَّرَهُ ، وَعَلَى مَا عَلَيْهِ  
قَضَاهُ وَقَسَّهَ ؟ :

(١) مَنْ أَرَدَفَ أَيْ تَبِعَ ، وَقَالَ الْقُرْآنُ : رَدِفَ لَكُمْ أَيْ دَنَا .

قوله جل ذكره : « وما مِنْ غائية في السماء والأرض .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ » .

ما من شيء . إِلَّا مُتَّبَعٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ حُكْمُهُ ، ماضية فيه مشيئة ، متعلقٌ به علمُهُ

قوله جل ذكره : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي

إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ »

وَأَنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ » .

وهم يُخْتَلِفُونَ بعضًا ، وبعضًا يُظَاهِرُونَ ، ومع ما يَهْوُونَ بدورون .

وفي هذه الآية تخصيص لهذه الأمة بأن حفظ الله كتابهم ، وعصمَ مِنْ التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ ما به يدينون . وهذه نعمة عظيمةٌ قليلٌ مِنْهُمْ مَنْ عليها يشكرون ؛ فالقرآن هدى ورحمة للمؤمنين ، وليس ككتابهم الذي أخبر الصادقُ أَنَّهُمْ لَهُ مُحَرِّفُونَ مُبَدِّلُونَ .

« إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ

• وهو العزيز العليم » .

هو « العزيز » المميزُ للمؤمنين ، « العليم » بما يستحقه كلُّ أحدٍ من الثواب العظيم والمذاب الأليم .

قوله جل ذكره : « فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ

للبصير » .

أى اجتهد في أداء فَرْضِهِ ، وثِقْ بِصِدْقِ وَعْدِهِ في نصره وورقه ، وكفايته وَعَوْنِهِ . ولا يهولُكَ ما يجري على ظواهرهم من أذى يتصل مِنْهُمْ بِكَ ، فلنما ذلك كُلُّهُ بتسلطنا إن كان محذورا ، وبتيئيسنا وتسهيلنا إن كان محبوبا . وإِنَّكَ لَمَلَكِي حَقٌّ وضياء صِدْقٍ ، وهم على سَنَرٍ <sup>١٠</sup> شِرْكَ .

قوله جل ذكره : « إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ

الْعُمْمُ الدُّعَاءَ إِنَّا وَلَوْ أَمْذِيرِينَ » .

الذين آمنوا بالله قلوبهم بالشرك ، وأصمهم عن سماع الحق — فليس في قدرتك أن تهديهم للرشد أو تنظم من أمرنا لك .

« وما أنت يهادي العمى عن ضلالتهم  
إِنْ تُسْمِعْ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ  
مُسْلِمُونَ » .

أنت تهديهم من حيث الدعاء والدلالة ، ولكنك لا تهدي أحداً من حيث إزالة الباطل من القلب وإيمانه إلى العرفان ، إذ ليست بقدرتك الإزالة أو الإمامة .  
أنت لا تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ، فلا يَسْمَعُ منك إِلَّا مَنْ أَسْعَدَنَاهُ من حيث التوفيق والإرشاد إلى الطريق .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ  
دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ  
كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ » .

إذا حقَّ الوعدُ بإقامة القيامة أوضعتها أشرافها في كلام الدابة المخرجة من الأرض <sup>(١)</sup> .  
وغير ذلك من الآيات .

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ نَخْرُسُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ  
يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ » .

وعند ذلك لا ينعى الإيمان ولا يُقبلُ العذر : —

---

(١) في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها ( لم تكن آمنت من قبل أو - ) بيت في إيمانها غيراً » = زيادة من صحيح مسلم ( طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض » . ومن الأقوال في هذه الدابة : أنها تسيل ناقة صالح ، ومنها أن هذه الدابة تكون إنساناً مشكلاً يسائر أهل البعد والكفر ويجادهم لينتظروا ، ومنها أنها تخرج من جبل الصفا بمكة بعد أن يتصدع ... إلى غير ذلك من الأقوال المنسوبة للصحابه والتابعين والمفسرين .



«وَوَقَّعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَمَنْ  
لَا يَنْظُرُونَ» .

ثم كرّر ذكر الليل والنهار واختلافهما : —

« أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا  
فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

أى ليكون الليل وقت سكوتهم ، والنهار وقت طلب معاشيتهم .

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ مِّنْ  
فِي السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ لَآئِمَن  
شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ خَافِرِينَ » .

أخبر أن اليوم الذي يُنْفَخُ فيه في الصور هو يوم إزهاق الأرواح ، وإخراجها عن الأجساد؛  
فَمِنْ رُوحٍ تَرُفُّ إِلَى عِلِّيِّينَ ، وَمِنْ رُوحٍ تَذْهَبُ إِلَى سَجِينٍ . أولئك في حواصل طير تنسرح  
في الجنة فأوى بالليل إلى قناديل معلقة من تحت العرش صفتها التسييح والروح والراحة ،  
ولبعضها الشهود والرؤية ... على مقادير استحقاقهم لما كانوا عليه في دنياهم .  
وأما أرواح الكفار ففي النار تُعَذَّبُ على مقادير أفعالهم .

قوله جل ذكره : « وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْمِلُهَا جَالِيَةٌ وَهِيَ  
تَمُوتُ مَرَّةً السَّعْيِ صُغَّرَ اللَّهُ الَّذِي أَهْلُ  
كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

وكثير من الناس اليوم من أصحاب التمسكين ، هم ما يكونون بنفوسهم<sup>(١)</sup> سائمون في  
الملكوت بأسرارهم .. قيل : إن الإشارة اليوم إليهم . كما قالوا : العارف كائن هُنا ؛ كائن مع  
الناس بظاهره ، هُنا عن جميع الخلق بسرائره .

---

(١) حُرِّفَ الجنبُ بكونه وقفة أسطرابه منه السماع ، فلما سئل في ذلك تلا : هو ترى الجبال تحمِلُها جالِية .  
ومى .... » ( القمع لسراج ص ١٢٨ ) .

قوله جل ذكره: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ

تَرَكَ فَرْعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ» وَمَنْ جَاءَ

بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ

تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» .

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ «خَيْرٌ» هَاهُنَا لِلْبَّالِغَةِ ؛ لِأَنَّ الَّذِي لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ خَيْرٌ مِمَّا مِنْهُ مِنَ الْقُرْبِ ؛ وَيَحْتَمِلُ لَهُ نَصِيبُ خَيْرٍ أَوْ عَاقِبَةُ خَيْرٍ أَوْ ثَوَابِ خَيْرٍ مِنْهَا . وَمَنْ آمَنُونَ مِنْ فَرْعِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ : فَكَمَا أَنَّ حَالَهُمُ الْيَوْمَ مِنَ الطَّيِّبِينَ بِالنَّكْسِ فَكُنْتُمْ غَدًا فِي الْآخِرَةِ بِالضَّدِّ .

قوله جل ذكره: «إِنَّمَا أَمِِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ

الْبَلَدَةِ ...»

أَخْبَرَ أَنَّهُ أَمَرَهُ بِالَّذِينَ الْخَنِيْفُ ، وَالتَّيْبَرِيُّ مِنَ الشَّرِكِ ؛ الْجَلِيُّ مِنْهُ وَالْخَنِيْفُ ، وَبِعِلَازِمَةِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ . وَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ اتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ أَوْجَبَ الْحَقُّ ذِمَّتَهُ وَحَقَّهُ .

قوله جل ذكره: «وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرَبِّكُمْ أَلَانَهُ ..»

سَيَرَبِّكُمْ — عَنْ قَرِيبٍ — أَلَانَهُ ، فَلَوْ بِي لِمَنْ رَجَعَ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ رَجَعَ بَعْدَ ذَهَابِ الْوَقْتِ وَفَوَاتِهِ !

## سورة القصص

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

بسم الله اسم عزيز من تعرض لجلواه يَسْرُهُ في دنياه وَعُقْبَاهُ ، اسم عزيز مَن اشتاق إلى لقياه استعَذَّبَ فيه ما يقامه من بَلَوَاهُ . وَمَنْ طَلَبَ غيره مُؤَنِّسًا في دنياه أَوْ عُقْبَاهُ « ضَلَّ مَنْ تدعون إِلَّا إِيَّاهُ » .

قوله جل ذكره : « طه » تلك آيات الكتاب المبين .

« الطاء » تشير إلى طهارة نَفْسِ العابدين عن عبادة غير الله ، وطهارة قلوب العارفين عن تعظيم غير الله ، وطهارة أرواح الواصلين عن محبة غير الله ، وطهارة أسرار الموحدين عن شهود غير الله . « والسين » تشير إلى سرِّ الله مع العاصين بالنجاة ، ومع الطيبين بالدرجات ، ومع المحبين بدوام النجاة . « والميم » تشير إلى مَنِّهِ على كافة المؤمنين بكفاية الأوقات والثبات في سبيل الخيرات .

قوله جل ذكره : « تتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون » .

سَمَّعَ قصة الحبيب من الحبيب يُوجِبُ سلوة القلب ، وزعَلَبَ الكُروب ، وبهجة السر ، وولَّجَ القواد . وقد كرَّرَ الحق ذكر قصة موسى تضييقاً لثأنه وتنظيلاً لهدى ، ثم زيادة في البيان بِلغة القرآن ، ثم إطاعة لزوائد في المذكور قوله في كل موضع يتكرر فيه .

قوله جل ذكره : « إن فرعونَ عَلَا في الأرضَ وجعل أهلها سِيَمًا يستصَف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستصفي نساءهم إنه كان من الفاسقين » .

تَكْبِيرُ فِرْعَوْنَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَأَقْلَهُ بِمَقْصُودِهِ ، وَتَجَبَّرَ بِغَيْرِ اسْتِغْنَاءٍ فَأَذَلَّهُ اللَّهُ بِاسْتِغْنَائِهِ  
وَاسْتِجْلَابِهِ ، وَجَلَّ أَهْلُهَا شَيْعًا يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ <sup>(١)</sup> بِمَا اسْتَضَعَفَهُمْ ، وَبَسَحَى نِسَاءَهُمْ ، وَأَفْنَى  
مِنْهُمْ مَنْ كَانَ ( ... ) <sup>(٢)</sup> ، وَبِالْقِسَادِ حَكَمَ فِيهِمْ ، وَأَقْبَلَهُ لَمْ يَرْضَ بِتَرْكِ إِتْلَافِهِمْ .

قوله جل ذكره : « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا  
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ  
الْوَارِثِينَ • وَنُكَرِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم  
مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ » .

نريد أن نمُنَّ على المُسْتَضَفِينَ بِالْخِلَاصِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَأَنْ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ، بِهِمْ يَهْتَدِي  
الْخَلْقُ ، وَمِنْهُمْ يَتَّبِعُ النَّاسُ سُلُوكَ طَرِيقِ الصِّدْقِ ، وَنُبَارِكُ فِي أَعْمَارِهِمْ ، فَيَصِيرُونَ وَارِثِينَ لِأَعْمَارِ  
مَنْ يَتْلُوهُمْ ، وَتَصِيرُ إِلَيْهِمْ مَسَاكِنُهُمْ وَمَنَازِلُهُمْ ؛ فَهَؤُاءَ وَأَعْلَامُ ، وَوَسَادَةٌ وَقَادَةُ ؛  
بِهِمْ يُقْتَدَى وَيُتَوَرَّعُ .

« وَنُكْرِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ » : نُزِيلُ عَنْهُمْ الْخُوفَ ، وَنُرْزِقُهُمُ الْبَسْطَةَ وَالْاِقْتِنَارَ ، وَنَعِدُ لَهُمْ  
فِي الْأَجَلِ . وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَوْمَهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ مِنْ زَوَالِ مُلْكِهِمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ ؛  
وَأَنَّ الْحَقَّ يُمْطَرُ — وَإِنْ كَانَ عِنْدَ الْخَلْقِ أَنَّهُ يُبْطَلُ .

قوله جل ذكره : « وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ  
فَلَمَّا خِفَتْ عَلَيْهِ فَأُوتِيَ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ  
وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ  
مِنَ الْمُرْسَلِينَ » .

(١) كَانَ مَعْبُودًا سُلُوكُهُ هَذَا السَّبِيلَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ الْكُفَّةَ قَالُوا لَهُ إِنْ مَوْلَاكَ يَرَىٰ إِسْرَائِيلَ يَذْهَبُ  
مَلِكًا عَلَى يَدَيْهِ ، أَوْ قَالَ لَهُ الْمُتَجَسِّمُونَ ذَلِكَ ، أَوْ رَأَىٰ رُؤْيَا فَصَبَتْ كَفُّكَ . قَالَ الزَّجَّاجُ : الْمَعْبُودُ مِنْ حَسْبِهِ لَمْ يَدْرَ  
أَنْ الْكَاهِنَ إِنْ صَدَّقَ فَالْقَتْلَ لَا يَنْتَعِ ، وَإِنْ كَذَبَ فَلَا مَعْنَى الْقَتْلِ .  
(٢) مُشْتَبِهَةٌ .

أى ألقينا في قلبها ، وأوحينا إليها وحىَ الحليم ، فأغضت خاطرهما في ذلك ، وجرى منها ذلك وهي مختارة بلختيارٍ أُدخِلَ عليها .

ثالثاً وضعت أم موسى موسى كانت تحلف قتلَه ، فإن فرعون قَتَلَ في ذلك اليوم كثيراً من ولدان الولادة لبني إسرائيل ، رجاء أن يقتلَ مَنْ رأى في النوم ما عُهِدَ له أن ذَهَبَ مُسَكِّه على يدى إسرائيل .. فألقى الله في قلبها أن تخلص ذلك .

ثم إنه ربه في حِجْرِهِ ذلك اليوم — لِيُكَلِّمَ أَنْ الْأَهْدَارَ لَا تُنْكَأُ .

جلت أم موسى موسى في تابوت ، وألقته في نيل مصر ، فبَاءَ السَّاءَ به إلى يَرْكُومٍ كان فرعونُ جالساً على حاقها ، فأخذوه وحلوه إليه ، ووضعو رأس التابوت . فلما رآه فرعون أَخَذَتْ رُؤْيَتْهُ بِجَمَاعٍ قَلْبِهِ ، وكذلك تَمَكَّنَ حُبُّهُ مِنْ قَلْبِ امْرَأَةِ فرعون ؛ قال تعالى : « وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حُبّاً مِنِّى » : <sup>(١)</sup> حيث خَلَقَ اللهُ مَلَاةً في عَيْنِ موسى ؛ فكان من يَمِيعَ عليه بَصَرُهُ لَا يَتَالَك مِنْ حُبِّهِ .

قوله جل ذكره : « فَاتَّقَطْهُ آلُ فرعونَ لِيَكُونَ لَمْ عَدُوّاً وَحَزَنَاتٍ لِيَنَّ فرعونَ وَهَلْهَانَ وَجُنُودَهَا كَاثِرَاتٍ خَاطِلِينَ » .

أخبر الله تعالى أنه كان عدواً لهم ، وقالت امرأة فرعون :

« قَرَّبْتُ عَيْنِي لِي وَهَكَذَا لَا أَهْطُوهُ عَيْنِي  
أَنْ يَنْفَعَنِي أَوْ تَنْفِذَهُ وَلَمَّا وَم  
لَا يَشْعُرُونَ » .

فلم يكن لها ولد ، وهم لا يشعرون إلى ماذا يثول أمره .

« وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ موسىَ فَارِعَانًا إِن كَادَتْ لَتَكِيدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَءَيْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِيَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

---

(١) آية ٣٩ سورة طه .

لما ألقته في الماء سَكَنَ اللهُ قَلْبَهَا ، وربط عليه ، وأصبح ثؤادها فارغاً إن  
كادت لتبدي به من حيث ضف (١) البشرية ، ولكن الله ربط على قلبها .

قوله جل ذكره : « وَقالَتْ لِأختِهِ قُصِيْهِ فَبَعَثَتْ بِهِ عَنْ

جَنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ » .

أَمَرَتْ أُمُّ مُوسَى أَخْتَهُ أَنْ تَتَّبِعَ آثَرَهُ ، وتَنظَرِ إِلَى مَاذَا يَتَوَلَّى أَمْرَهُ ، فلما وجدوه واستمكن  
جُهِ من قلوبهم طلبوا مَنْ يُرْضِيهِ :

« وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ لِلرَّاضِعِ مِنْ قَبْلُ  
قَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ  
يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِبُونَ • فَرَدَدْنَاهُ  
إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ  
وَلَنَنْصُرَنَّ أَنْ نَعِدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

أَبَى مُوسَى قَبُولَ قُلْدِي وَاحِدَةٍ عَنْ عُرْضِ عَلَيْهِنَ .. فَمَنْ بِالْئِلَادَةِ كَانُوا فِي اهْتِمَامٍ كَيْفَ  
يَكْفُلُونَهُ أَمْسُوا — وَهُمْ فِي جَهْلِهِمْ — كَيْفَ يَقْذُوهُ (٢) !

فلما أعيام أمره ، قالت لم أخته : « هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ »  
فَقَبِلُوا نَصِيحَتَهَا شَفَقَةً مِنْهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : نَعَمْ ، فَرَدُّوهُ إِلَى أُمِّهِ (٣) ، فَلَمَّا وَضَعَتْ نَدِيَّتَهَا فِي فَمِ  
ارْتَضَاهُ مُوسَى فَسَرَّوْا بِذَلِكَ ، وَكَانُوا يَدْعُونَ أُمَّهُ حَاضِنَةً وَمَرْضِيَّةً .. وَلَمْ يُضِرَّهَا ، وَكَانُوا  
يَتَوَلَّوْنَ عَنْ فَوْعُونَ : إِنَّهُ أَبَوْهُ .. وَلَمْ يَنْصُرْ ذَلِكَ (٤) !

(١) هكذا في م ، وقد أخطأ النسخ في ص حين أضاف لفظة (الله) بعد (نفسه) .

(٢) هكذا في م ، وفي ص (يذهبونه) وهي خطأ في النسخ كما هو واضح .

(٣) هكذا في م ، وفي ص (آثره) وهي خطأ في النسخ كما هو واضح .

(٤) ينص القشيري إلى شيء يهيد هو أن أحكام الناس ليست بالضرورية سائبة ، وأن للأمر سقائق وجواهر  
وبواطن خائفة ، وأن أساء الأشياء وظواهرها لا حيرة بها .

ولما أخذته أُمّه علت بتصدق الله قلها ، وسكن عن الاتعاج قلها ، وجرى من قصة  
فرعون ما جرى .

قوله جل ذكره : « وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ

حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ يُعْزِي الْمُحْسِنِينَ »

لَمَّا كَمَلَتْ سِنُهُ وَتَمَّ عَقْلُهُ ، واستوى كمال خصله « آتَيْنَاهُ حُكْمًا : أى أَوْفَقْنَا لَهُ  
التَّعْمِيلَ ، وَوَفَّرْنَا لَهُ الْعِلْمَ ، وبذلك جَرَتْ سُلُوكُنَا مَعَ الْأَكْبَارِ وَالْأَنْبِيَاءِ .

قوله جل ذكره : « وَدَخَلَ الدِّينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ

أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ

شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ... الآية .

قيل : دخل المدينة في وقت الهاجرة ، وَتَوَقَّعَ النَّاسُ ، فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَتَغَامَلَانِ : أحدهما

إِسْرَائِيلِيُّ مِنْ شِيعَةِ مُوسَى وَعَلَى دِينِهِ ، وَالْآخَرُ قِبْطِيٌّ مُخَالِفٌ لَهَا ، فَاسْتَفْتَا الْإِسْرَائِيلِيَّ بِمُوسَى

عَلَى الْقِبْطِيِّ ، فَوَكَّزَهُ مُوسَى لِيَدْفَعَهُ عَنِ الْإِسْرَائِيلِيِّ ، فَاتَّكَرَّ بِذَلِكَ الْوَكَّزُ ، وَلَمْ يَكُنْ مُوسَى

يَقْصِدُ قَتْلَهُ ، قَالَ مُوسَى : —

« هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ

مُضِلٌّ مُبِينٌ » .

فقد تَنَبَّأَ مُوسَى أَنَّ لَوْ دَفَعَهُ عَنْهُ بِأَيْسَرٍ مِمَّا دَفَعَهُ ، وَلَمْ يَنْسِبِ الْقَتْلَ إِلَى الشَّيْطَانِ (١) ،

وَلَكِنْ دَفَعَهُ عَنْهُ بِالْمُتَلَطِّعَةِ نَسَبَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ بِأَنَّ حَمَلَهُ عَلَى تِلْكَ الْحِدَّةِ .

وهكذا .. إِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْعَلَ أَسْبَابًا لِيَحْصَلَ بِهَا مَرَادُهُ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ أَرَادَ فَتَنَةَ مُوسَى

لَمَّا قَبَّضَ رُوحَ الرَّجُلِ بِمِثْلِ تِلْكَ الْوَكَّزَةِ ، فَدُفِعَ الْكَثِيرُ مِنَ الضَّرْبِ وَالْإِسْطِ

ثُمَّ لَا يَمُوتُ ؛ فَبُوتُ الْقِبْطِيِّ بِوَكَّزَةِ إِجْرَاءِ مَا قَضَاهُ وَأَرَادَهُ .

---

(١) يتصل ذلك برأى القشيري : أَنَّ الشَّيْطَانَ لَيْسَ بِدِينِهِ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَدُهُ فِيهِ لَأَسْلَكَ عَلَى الْهَدَايَةِ لِنَفْسِهِ ،

وَكُلُّ حَمَلٍ لِلشَّيْطَانِ أَنَّهُ يُوَسَّوِسُ فِي مَعْدُورِ النَّاسِ .

قوله جل ذكره : « قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي

فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

تَاب موسى عما جرى على يده ، واستغفر ربه ، وأخبر الله أنه غفر له ، ولا عتاب<sup>(١)</sup>

بعد المغفرة .

قوله جل ذكره : « قَالَ رَبِّ بِمَا أَذْنَبْتُ عَلَى فُلَانٍ

أَكُونُ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ » .

قال موسى ربِّ بما أذنبت على من توفيتك لي بالتوبة<sup>(٢)</sup> فلن أعود بعد ذلك إلى مثل

ما سَكَفَ مِنِّي .

قوله جل ذكره : « فَأَصْبَحَ فِي اللَّيْلَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا

الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْرِ يَسْتَنْصِرُهُ

قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ •

ظَنَّ أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ

لَهَا قَالَ يَا مَوْسَى أَتَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي

كَأَقْتَلْتَ قَسْماً بِالْأَمْرِ إِنْ تُؤِيدُ إِلَّا أَنْ

تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ

أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

أصبح في الليلة خائفاً على نفسه من فرعون لأنه كان يدعي أنه يحكم بالعدل ، وخاف

موسى أن ينسبه في قتل التبطي إلى السند والتصد . فهو « يترقب » علم فرعون وأن يُخْبِر

بذلك في وقته .

---

(١) حكلا في النسخين ولا نسجه أن تكون (مقاب) بالالف فالسياق يحصلها أيضاً وإن كانت (مقاب) ألين مقام التوبة .

(٢) حقيقة التوبة أن يتوب الله عليك أولاً ، ووجه ذلك أسباب التوفيق لذلك ، فإذا شكرت فاشكر له ، فسلك لا يمكن ولا ينفي عن فضل الله .



وقيل « خائفًا » من الله مما جرى منه . ويقال « خائفًا » على قومه حول المناب بهم .  
وقيل « يترقب » نصرته الله إليه . ويقال « يترقب » مؤنسًا يأنس به .

فلذا الذي استنصره بالأمس يخاف من إنسان آخر ، ويستعين به ليُعينه ، فهَمَّ موسى بأن يعين صاحبه ، فقال الذي يخافه : « يا موسى ، أريد أن تقتلني كما قتلَ قَسًا بالأمس ؟ » : قيل لم يعلم ذلك الرجل أن موسى هو الذي قتلَ الرجلَ بالأمس ، ولكن لما قَصَدَ منعه عن صاحبه استدللَّ على أن موسى هو الذي قتلَ الرجلَ بالأمس ، فلما ذكر ذلك شاع في أفواه الناس أن موسى هو الذي قتل القبطيَّ بالأمس ، فأمسك موسى عن هذا الرجل .

قوله جل ذكره : « وجاء رَجُلٌ من أقصى المدينة يمشي

قال يا موسى إنَّ لللأُ يا مِمْرُونَ بك

ليقتلوك فاخرج إِنِّي لَك من الناصحين »

جاء إسرائيلُ من مَعارف موسى يمشي ، وقال إنَّ القوم يريدون قَتْلَكَ ، وأنا واقفٌ على

تدبيرهم ؛ وقد أرادوا لإِعلامَ فرعون .. فاخرج من هذا البلد ، إِنِّي لَك من الناصحين .

« نخرج منها خائفًا يترقبُ قال ربِّ

نجِّنِي من القوم الظالمين » .

خرج <sup>(١)</sup> من مصر « خائفًا » أن يقتلوا آخره ، « يترقب » أن يدركه الطلب ، وقيل

« يترقب » الكفاية والنصرة من الله ، ودعا الله فقال : « نجِّنِي من القوم الظالمين » .

قوله جل ذكره « وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي

أَن يَهْدِيَ بَنِي سَوْأَةَ السَّبِيلَ » .

(١) ربما يذكرنا موقف موسى بقضية حامة في الطريق للصوفى هي «السفر» : وهو رده أو عودها ، وقد اختلف المشايخ في أمره ( الرسالة ص ١٤٣ ) ، ويرى القشيري ضرورة السفر . إن نبا المكان واشتد البلاد . ( الرسالة ص ٢٠٢ ) وهو نفسه غادر بلاده متطابقاً لله طيه .

توجه بنفسه لقاء مدين من غير قصد إلى مدين أو غيره ، بل خرج على الفتوح <sup>(١)</sup> ،  
وتوجه قبله إلى ربّه ينتظر أن يهديه ربّه إلى النحو الذي هو خير له ، قال : عسى ربّي  
أن يهديني إلى أرشد سبيل .

قوله جل ذكره : « وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ

أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ

دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ

مَا خَطْبُكُمَا ؟ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِّرَ

الرَّعَاءَ وَأَيُّنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ » .

لما وافى مدين شعب كان وقت الهجرة ، وكانت لهم بئر يستقون منها ، فيصبون الماء  
في الخياض ، ويستقون أغنامهم ، وكانوا أهل ماشية .

وكان شعب النبی عليه السلام قد كَفَّ بَصَرُهُ لكثرة بكائه ؛ ففي القصة أنه بكى فذهب  
بَصَرُهُ ، ثم رَدَّ الله عليه بَصَرَهُ فبكى ، فردَّ الله بصره فبكى حتى ذهب بَصَرُهُ ، فأوحى الله إليه :  
لَمْ تَبْكِي يَا شَعِيبُ .. ؟ إِنَّكَ كَانَ بِكَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ فَدَأَيْتُكَ ، وإن كان لأجل الجنة قد  
أُخْتِمْتْكَ .

قال : رب .. إنما أبكى شوقاً إليك . فأوحى الله إليه لأجل ذلك أَخَذْتُكَ نَبِيّاً وَكَلِيّاً  
عَشْرَ حُجَجٍ .

وكانت لشعب أغنام ، ولم يكن لديه أجير ، فكانت يلبثه شوقان التّمّ مكان الرعاة ،  
ولم يكن لها قدرة <sup>(٢)</sup> على استقاء الماء من البئر ، وكان الرعاة يستقون ، فإذا انقضوا <sup>(٣)</sup> فلن  
بَقِيَتْ في الحوض بقية من الماء استقت بنات شعب .

(١) وهكذا سفر الأكاير .

(٢) هكذا في من وحى في م (قوة) .

(٣) من الجائز أن تكون في الأصل ( انقضوا ) بالفاء فالسياق يحتملها بدليل قوله فإبعد ( فلما انصرف الرعاة )

فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك ورآهما يمتنان فغشمهما عن لاه ريق قلبه لهما وقال :  
ما خطبكما ؟ فقالتا : « لانسق حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير » وليس لدينا أجير .  
فلما انصرف الرعاء سقى لهما ، ثم تولى إلى ظل جدار بعد ذلك . كان الجوع قد أصابه  
خلال سفره ، ولم يكن قد تمود قط الرحلة والنزوة ، ولم يكن معه مال ، فدعا الله :

« قَالَ رَبِّ إِنِّي لِنَا أُزَلَّتْ إِلَيَّ مِنْ  
خَيْرٍ قَبِيرٌ » .

فيل طلب قوة نزيل جوعه ، وقيل طلب حلال يستقل بها . والأحسن أن يقال جامع  
فطلب كسرة يسد بها رمقه — والمروة توجب سؤال ما تحتاج إليه من الله قليلاً  
أو كثيراً<sup>(١)</sup> . فلما انصرفت ابنتا شعيب خرج شعيب إلى ظاهر الصحراء على طريق اللاشية  
ليمتها يديه فوجد أثر الزيادة في تلك الكسرة ، فسألها فذكرتا له القصة ، وما سمعانه حين  
قال : « رَبِّ إِنِّي لَأُزَلَّتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ قَبِيرٌ » ، قال شعيب : إذا هو جائع . وبث  
إحداهما لدعوته : —

« فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِجْيَاءٍ  
قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرُ  
مَا سَقَيْتَ لَنَا . فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَعَتْ عَلَيْهِ  
الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ »

فيل إنما استجيت لأنها كانت تخاطب من لم يكن لها محرماً<sup>(٢)</sup> .  
وقيل لما دعت للضيافة تكلمت مستحياً — فالكرم يستحق من الضيافة .  
ويقال لم تطلب نفس شعيب لما أحسن موسى إليه وأنه<sup>(٣)</sup> لم يكافئه — وإن كان موسى

(١) لاحظ كيف طوى القشيري (أدب الزال) متى يجب ؟ وكيف يجب ؟ على موقف موسى للتريب المسافر  
الجالع المصب ، وهذه الإشارة موجبة من بين إلى أرباب الطريق .  
(٢) المحرم من الرجال والنساء الذي يحرم للزوج به لرحمه وقرباه .  
(٣) القشيري (وأنه) يعود على شعيب كما هو واضح من الآية .

لم يرد مكافأة منهم « فلما جاءه وقص عليه القصص » : لم يقل : فلما جاءه قدّم الشئرة<sup>(١)</sup> بل قال : وقص عليه القصص .. وهذا طرّف من قصته .

ويقال : وردّ بظاهره ماء مدين ، ووردّ بقلبه موارد الأتس والروح . والوارد مختلفة ؛ فوارد القلب رياض البسط بكشوفات المحاضرة فيطربون بأنواع اللاطفة ، وموارد الأرواح مشاهد الأرواح فيكاشفون بأنوار المشاهدة ، فينبئون عن كل إحساس بالنفس ، وموارد الأسرار سلطات التوحيد .. وعند ذلك الولاية لله ؛ فلا نفس ولا جس ، ولا قلب ولا أنس .. استهلاك في الصدية وفناء بالكلية ١ .

ويقال كانت الأجنبية والبعد عن الحرمية يوجبان إمساكه عن غلطتهما ، والإعراض والسكون عن سؤالها .. ولكن الذي بينهما من الشاكلة والمواقة بالشر استنطقه حتى سألها عن قصتهما ، كما قيل :

أجارتنا إنا غريان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب  
ويقال : سألها وأخبرنا عن ضعفها لزمه القيام بأمرها ؛ ليعلم أن من تفقد أمر الضعفاء ووقف على موضع فاقهم لزمه إشكاؤهم .

ويقال من كمال البلاء على موسى أنه وافى الناس وكان جائعا ، وكان مقتضى الرقي أن يطمئمه ، ولكنه قبض القلوب عنه ، واستقبله من موجبات حكم الوقت أن يعمل عمل أربعين رجلا ؛ لأن الصخرة التي تحاها عن رأس البئر — وحده — كان ينقلها أربعون رجلا ، فلما عمل أربعين رجلا ، تولى إلى الظل ، وقال : إن رأيت أن تطمئني بعد مقاساة الدنيا والتي .. فذلك فضلك ١ .

قال ذلك بلسان الانبساط ، ولا لسان أحلى من ذلك . وسنة الشكوى أن تكون إليه لا منك .. بل منه إليه<sup>(٢)</sup> .

(١) السفرة طعام يصنع قسقر ، أو مائدة وما عليها من طعام .

(٢) لأنك بلا أنت ، فبالضرورة ليس منك شكوى ، قبل الحقيقة لا وجود إلا له ، فافتركه مسكاً بمنالك . واستسلم لما يجازر ، وإن يكون إلا الخير .

ويقال : تولى إلى ظل الأنس وروح البسط واستقلال السر بمحققة الوجود .

ويقال قال : « رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير » : فَرَدْتُ قَرَأَ ؛ فَلَنْ قَرَى إِلَيْكَ  
يوجب استماتتي بك<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « قالت إحداهما يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ

خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ » .

كان شبيب عليه السلام يحتاج إلى أجير ، ولكن لا يسكن قلبه إلى أحدٍ ، فلما رأى  
موسى ، وسمع من ابنته وصفه بالقوة والأمانة سأل :

عَرَفْتُ قُوَّتَهُ .. فَكَيْفَ عَرَفْتُ أَمَانَتَهُ ؟

فألت : كُنْتُ أَمْشِي قُدَامَهُ فَأَخَّرَنِي عَنْهُ فِي الطَّرِيقِ فَأَتَلَا : سِيرِي وَرَأَيْ وَاهِدِي ، لَنَلَا  
يَقَعَ بَصَرُهُ عَلَيَّ .. فقال شبيب :

« قَالَ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ إِحْدَى

ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي

حَبِيبٍ فَلَنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ،

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

فرغب موسى وتزوجها على صداقٍ أن يعمل عشر حبيبات لشبيب .

وفي القصة أن شبيباً قال لموسى : ادخلْ هَذَا الْبَيْتَ وَأَخْرِجْ مَخَايِهُ مِنَ الْعِصَى عَصَا ،  
وَكَانَ الْبَيْتُ مَغْلِقًا ، فَدَخَلَ وَأَخْرَجَ الْعَصَا ، تِلْكَ الَّتِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهَا مَعِجَزَاتِهِ ، وَقَالَ : إِنَّهَا  
كَانَتْ لَأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَوَقَعَتْ لَشَبِيبٍ مِنْ نَبِيِّ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ يُقَالُ : إِنَّهُ لَمَّا هَبَطَ آدَمُ إِلَى  
الْأَرْضِ صَالَ عَلَيْهِ مَا عَلَى وَجْهِهَا مِنَ السَّبَاعِ ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ اللَّهُ عَصَا ، وَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يَرُدَّ  
السَّبَاعَ عَنْ نَفْسِهِ بِتِلْكَ الْعَصَا .

(١) إظهار الضعف آية العبودية قاله سماه هنا ليس من قبيل الشكوى ، ولكنه تعبير عن ضعف العبد أمام عظمة  
الربوبية ، فكانه نوع من التعبيد (راجع قصة أيوب إذ نادى ربه ....)

وتوارث الأنبياء واحداً بعد الآخر تلك العصا ، فلما أخرج موسى تلك العصا ، قال شعيب :  
 ردّها إلى البيت ، واطرحها فيه ، وأخرج عصا أخرى ، ففعل غير مرة ، ولم تحصل كلّ مرة  
 في يده إلا تلك العصا ، فلما تكرر ذلك علم شعيب أنّ له شأنًا فأعطاه إياها ،  
 وفي القصة : أنه في اليوم الأول ساق غنمه ، وقال له شعيب : إنّ طريقك يتشعب شيعتين :  
 على أحدهما كلاً كثيرٌ .. فلا تسلكه في الرعي فإنّ فيه ثعباناً ، واسلك الشعب الآخر .  
 فلما بلغ موسى متفرّق الطريقين ، تفرقت أغنامه ولم تلاقه ، وسامت في الشعب الكثير  
 الكلاً ، فتيمّمها ، ووقع عليه النوم ، فلما انتبه رأى الثعبان مقتولاً ، فإنّ العصا قتلت ، ولما  
 انصرف أخبر شعيباً بذلك فسُرّ به . وهكذا كان يرى موسى في عصاه آيات كثيرة ،  
 ولذا قال : « ولي فيها مآرب أخرى » .

قوله جل ذكره : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله

آنس من جانب الطورِ نارا قال لأهله  
 امكثوا إني آنست نارا لمس آتيكم  
 منها بخبرٍ أو جذوة من النار لعلكم  
 تصطلون » .

مضت عشرُ حَجَجٍ ، وأراد موسى الخروج إلى مصر ، فحمل ابنه شعيب ، وسار بأهله  
 متوجّهاً إلى مصر . فسكن أهله في تسيره وكان هو في تسير الحق ، ولما ظهر ما ظهر بأمراته  
 من أمر الطلّق استصعب عليه الوقت ، ويناهو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارا —  
 أي أبصر ورأى — فكانه يشير إلى رؤية فيها نوع أنس : وإنّ الله إذا أراد أمراً  
 أجرى ما يلق به ، ولو لم تقع تلك الحادثة لم يخرج موسى عندها يليناس النار ، وقد توهم —  
 أول الأمر — أنّ ما يستقبله في ذلك الوقت من جملة البلايا ، ولكنه كان في الحقيقة  
 سبب تحقيق النبوة . فلولا أسرار التدبير — التي لا يهتدى إليها الخلق — لما قال لأهله :  
 « امكثوا إني آنست نارا لمس آتيكم منها بخبر » .

ويقال: ألاح له ناراً ثم تَوَسَّعَ له نوراً، ثم بدا ما بدا، ولا كان المقصودُ النَّارَ ولا النورَ وإنما سماع نداء: «إني أنا الله ربُّ العالمين».

قوله جل ذكره: «فلما أتاهما نُورِي من شاطئ الواد

الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة

أن ... الآية

أخفى تعيين قَدَمِ موسى على الظنون بهذا الخطاب حيث قال: «من شاطئ الواد الأيمن»، ثم قال: «في البقعة المباركة» ثم قال «من الشجرة».

وأخفى بأن تكون تلك البقعة مباركة، فندعا سمع خطاب مولاه بلا واسطة؛ وأغزى الأما كن في العالم مشهد الأجاب:

وإني لأهوى النار ما يستعزى لما الود إلا أنها من دياركا

ويقال: كم قَدَمِ وَطِئَتْ لك البقعة، ولكن لم يسمع أصحابها بها شيئاً. وكلم ليقَ جَنَّتْ تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار فيها شئاً.

ويقال: شتان بين شجرة وشجرة؛ شجرة آدم عندما ظهر بحته وفتحته، وشجرة موسى وعندها افتتح نُبوته ورسالته.

ويقال: لم يأت بالتفصيل نوع تلك الشجرة<sup>(١)</sup>، ولا يُدْرَى ما القى كانت قمره، بل هي شجرة الوصلة؛ وثمرتها القربة، وأصلها في أرض الحبشة وقَرعُها مِسْقٌ في سماء الصفوة، وأوراقها الزقفة، وأزهارها تنفتح عن نسيم الرُّوح والبهجة:

فلما سمع<sup>(٢)</sup> موسى تغيّر عليه الحال؛ ففي القصة: أنه غشي عليه، وأرسل الله إليه لللائكة ليُرْوِّحوه بمراوح الأنس، وهذا كان في ابتلاء الأمر، واللبثدى مرفوق به. وفي للزة الأخرى خر موسى صقيّاً، وكان فيبقى لللائكة قول له: يا ابن العيص. أملاك من يسأل الرؤية ؟

(١) قيل هي شجرة العليق وقيل العوسج والعوسج إذا علم يقال له القرفة (القرطبي).

(٢) معروف أن السباع عند الصوفية يصعبه - خصوصاً لدى المجتهدين - تأثيرات عضوية ونفسية حادة

وكذا الحديث والقصص<sup>(١)</sup>؛ في البداية كُفِّت وفي النهاية عُنْتُ، في الأولي خُفِّل وفي الآخر قُفِّل، كما قيل:

فَمَا حَارَتْ الْعَبِيدُ<sup>(٢)</sup> دَمَا بِالنُّطْعِ وَالسِّيفِ  
كَذَا مَنْ يَشْرِبُ الرِّيحَ مَعَ التَّنِينِ فِي الصَّيْفِ<sup>(٣)</sup>  
قوله جل ذكره: «وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ».

يا موسى .. اخْلَعْ فُطْرِكَ وَالْقِي عَصَاكَ، وَأَعِمْ عِنْدَنَا هَذِهِ اللَّيْلَةَ، فَقَدْ تَعَيَّنَتْ فِي الطَّرِيقِ — وذلك إن لم يكن في النقل والآثار فهو بما يليق بذلك الحال.

يا موسى .. كَيْفَ كُنْتَ فِي الطَّرِيقِ؟ كَيْفَ صَعَلْتَ وَكَيْفَ صَوَّبْتَ<sup>(٤)</sup> وَكَيْفَ شَرَقْتَ وَكَيْفَ غَرَبْتَ؟ مَا كُنْتَ فِي الطَّرِيقِ وَحْدَكَ يَا مُوسَى! أَحْصَيْنَا خَطَاكَ — قَدْ أَحْصَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا. يَا مُوسَى .. تَعَيَّنَتْ فَاسْتَرْخِ، وَبَعْدَ مَا جِئْتَ فَلَا تَبْرَحْ — كُنْ ذَلِكَ الْعَبْدُ غَدًا إِذَا خَلَعَ السَّافَةُ فِي الْقِيَامَةِ، وَتَبَوَّأَ مَنَزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ فَأَقْوَامٌ إِذَا دَخَلُوهَا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَسْتَحْضِرُونَ، وَآخَرُونَ يَمْضُونَ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى بَسَاطِ الزُّلْفَةِ، وَكُنَّا الْعَبْدَ أَوْ الْخَادِمَ إِذَا دَخَلَ بَهْلَةً سُلْطَانِهِ. يَبْتَدِئُ أَوَّلًا بِمُتَلَمِّعَةِ الشَّدَّةِ الصَّالِحَةِ ثُمَّ يَبْدَأُ بِمُصْرَفٍ إِلَى مَنَزِلِهِ. وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ أَمْرَانَا<sup>(٥)</sup>؛ إِذَا أَصْبَحْنَا كُلٌّ يَوْمَ: أَلَا نَسْتَفِيزُ بِشَيْءٍ حَتَّى تَفْتَتِحَ النَّهَارَ بِالْمُطَالَبِ مَعَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ نَخَاطِبَ الْخَلْقَ، نَحْضُرُ بَسَاطِ الْمُلْكَةِ — أَيْ الصَّلَاةِ — بَلْ نَحْضُرُ بَسَاطِ الْهَدْيِ وَالْقُرْبَةِ، قَالَ تَعَالَى: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ»<sup>(٦)</sup>: فَالْحَصْلُ مُتَاجِرٌ رَبِّهِ. وَلَوْ عَلِمَ الْمُصَلِّيُ مِنَ

(١) قصة حديث الحب وقصته

(٢) الرواية الصحيحة فَمَا حَارَتْ الْعَبِيدُ.

(٣) البيتان من المقطعة التي أنشدها الخلاج وهو يراجه مصرعه، وأقولنا:

تَدْبِي لِحَيْرِ مَسْلُوبٍ      لَيْلِي مِنْ الْخَيْفِ

(ملفوظات للشمساني ١٣ ص ١٢٠)

(٤) هَكَذَا فِي - وَهِيَ فِي - مِنْ (غُرَبَاتٍ)، وَضَرْبٌ فِي الْأَرْضِ أَيْ جَالٍ وَسَارٍ، وَهِيَ أَتَيْنَا (صَوَّبْتُ) لِنَتْلَامَعَ الْأَفْصَالَ الْمُسْفُفَةَ طَبَقًا لِمَا نَعْرِفُ مِنْ حَرَمِ الْقَشِيرِ عَلَى الْمَوْسِقِ الْقَطِيفَةِ.

(٥) مِنْ هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ الْقَشِيرِيَّ يَكْتُبُ كِتَابَهُ أَوْ يُلْقِيهِ مِنْ أَجْلِ الصَّوْفِيَّةِ، فَتَفْسِيرُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَدُلُّ عَلَى نَوْعٍ مِنَ التَّخْصِصِ.

(٦) آيَةُ ١٩ سُورَةِ الطَّلَقِ.



ينجى ما ألفت ؛ أى لم يخرج عن صلاته ولم يلفظ يمينا وشمالا فى التسليم الذى هو التحليل<sup>(١)</sup> .  
 قوله جل ذكره : « فَلَمَّا رَأَوْا تَنَزُّرًا كَانُوا بِجَانِّ وَلَّى  
 مُدْبِرِينَ لَمْ يُقَبِّبْ يَامُوسَى أَقْبِيلَ وَلَا تَحْنَفْ  
 إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ » .

عند ما اهتلبت المصاحبة وَلَّى موسى مُدْبِرًا ولم يقبب ، وكان موضع ذلك أن يقول :  
 حديث أوله تسليطُ صبيان آمنَ ذا يَطْلِقُ أوله ؟ ١ .

قيل له : لا تَحْنَفْ يَامُوسَى ؛ إن الذى يَنْدِرُ أَنْ يَقْلِبَ المصاحبة بقدر أن يَخْلُقَ لك منها  
 السلامة : « يَامُوسَى أَقْبِيلَ وَلَا تَحْنَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ » : ليس القصدُ مِنْ هَذَا أَنْتَ ،  
 إنما أثبت هذا لأسلطه على عدوك ، فهذه معجرتك إلى قومك ، وأثبتك على عدوك .

ويقال : شتان بين نبيينا — صلى الله عليه وسلم — وبين موسى عليه السلام ؛ رجع من سماع  
 الخطاب وأتى شعبان سألته على عدوه ، ونبيينا — صلى الله عليه وسلم — رجع بعد ما أمرى  
 به إلى السماء ، وأوحى إليه ما أوحى — لِيُؤَاتِيَ أُمَّتَهُ بِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ لِلنَّجَاةِ ، وقيل له :  
 السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، قَالَ : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

قوله جل ذكره : « اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَمَرْجُ بِيضَاءِ

مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ  
 مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ  
 إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
 فَاسِقِينَ » .

قيل له : اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ؛ لَأَنَّ للدرعة التى كانت عليه لم يكن لها سلم .  
 وفى هذا إشارة إلى أنه يبنى على البراءة الوصول إلى مراده ومقصوده أن يَشْرَعَ ، وأن يَحْدِثَ ،

(١) التحليل : الإهاسة ، والمقصود هنا أنه يقبب التسليم قبل له أن يخاطب الخلق وأن يشغل بشئ بعدما تمت  
 مناجاته مع الحق ، تلك المناجاة التى يؤثر التشيرى دوائها واستمرارها . ومعلوم أن الصوفية إذا أنهاوا صلاتهم  
 يشتركون فى الذكر والتأمل دون سجود .

وَأَنْ يُخْرِجَ يَدَهُ مِنْ كُمِهِ . وَإِنَّهُ قَالَ لِمُوسَى : أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضًا ، وَالْقَوْمُ كَافِرُونَ .  
عَصَاكَ نَجْعَلُهَا مِصْبَاحًا ، وَنَجْعَلُكَ نَبِيًّا ، وَنَجْعَلُكَ نَبِيًّا لِقَوْمِكَ ، وَنَجْعَلُكَ نَبِيًّا لِقَوْمِكَ ، وَنَجْعَلُكَ نَبِيًّا لِقَوْمِكَ .

« واضم إليك جناحك من الريح فذا بك برهاتان من ربك » : ياموسى ، فى وصف خضوعك لى محمدى ، وبتبريك عن حوائك وقوتك نصيل إلى .

قوله جل ذكره « قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ » :

تَمَّالٌ بِكُلِّ وَجْهِ رَتَبَاءُ أَنْ يُمَاقَى مِنْ مَشَقَّةِ التَّبْلِيغِ وَمَقَامَةِ الْبِلَاءِ ؛ لِأَنَّهُ عِلْمٌ أَنَّ النُّبُوَّةَ فِيهَا مَشَقَّةٌ ، فَلَمْ يَحْذِرْ الرُّخْصَةَ وَالْإِعْفَاءَ مِمَّا كُتِّفَ ، وَأَجَابَ سُؤْلَهُ فِي أَخِيهِ حَيْثُ سَأَلَهُ أَنْ يَحْمِلَ لَهُ رِدْعًا ، وَضَمَّنَ لَهَا النَّصْرَةَ .

ثم لهما تَمَّا آتِيَا فِرْعَوْنَ قَابِلَهُمَا بِالتَّكْذِيبِ وَالْجَهْدِ<sup>(١)</sup> ، وَرَمَاهُمَا بِالْخَطَا وَالْكَذِبِ وَالسَّحَرِ<sup>(٢)</sup> ، وَجَاوَبَاهُ<sup>(٣)</sup> بِالْحُجَّةِ ، وَدَعَوَاهُ إِلَى سَوَاءِ الْحُجَّةِ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُجَادَ .

قوله جل ذكره « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

أَدْعَى الْإِفْرَادَ بِالْإِلَهِيَّةِ فَزَادَ فِي ضَلَالِهِ عَلَى عِبْدَةِ الْأَصْنَامِ الَّذِينَ جَلُّوا أَصْنَامَهُمْ شُرَكَاءَ ، ثُمَّ قَالَ لِهَامَانَ : « ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى » وَكَانَ هَذَا مِنْ زِيَادَةِ ضَلَالِهِ ،

(١) (والجهد) موجودة في م وغير موجودة في ص .

(٢) (والسحر) موجودة في ص وغير موجودة في م .

(٣) هكذا في م وهي في ص (وسلوا به) .

حيث نَوْهَمُ أن للعبودَ من جهة فوق ، وأنه يمكن الوصول إليه . ولنبري لو كان في جهة  
لأمكن تقدير الوصول إليه وتجوّزه .

« واستكبر هو وجنوده في الأرض  
بغير الحقّ وعلّثوا أنّهم إلّالاً يُرْجَمُونَ »  
فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ فأنظروا  
كيف كان عقبة الظالمين . »

أَبَى إِلَّا أَنْ يَدُومَ جَعْدُهُ ، وَعُنُودُهُ ، فَأَغْرَقَهُ اللهُ فِي الْبَحْرِ ، كما أغرق قلبه في  
بحر الكُفْرِ .

قوله جل ذكره : « وجعلناهم أئمةً يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ  
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ » .

لَا لِشَرِّهِمْ جَعْلُهُمْ أئمةً ولكن لبب تَلْفِهِمْ قَدَمِهِمْ فِي الْغُرَى وَالْهَوَانِ عَلَى كُلِّ أمةٍ ،  
ولكن لم يُرْمَدُوا إِلَّا إِلَى الضلال . ولم يَدُثُوا الْخَلْقَ إِلَّا عَلَى الْبُحْتَالِ ، وما حصلوا إِلَّا عَلَى  
سوء الحال ، وما ذاقوا إِلَّا غُرَى الْوَهَالِ . أَطَافُوا عَلَى مُتَّبِعِيهِمْ مِنْ ظِلْمَاتِ قُلُوبِهِمْ فَاقْتَضَعُوا  
فِي خِيَتِهِ <sup>(١)</sup> مطلوبهم .

قوله جل ذكره : « وَأَتَيْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ » .

كانوا في الدنيا مُبْعَدِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، وَفِي الْآخِرَةِ مُبْعَدِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهِ ، فَأَهْلَبُوا مِنْ  
طَرَفٍ إِلَى طَرَفٍ ، وَمِنْ هَجَرٍ إِلَى بُعْدٍ ، وَمِنْ فِرَاقٍ إِلَى احْتِرَاقٍ .

قوله جل ذكره : « وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ  
بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصِيرَةً

---

(١) مَكَلَّتْ فِي مَوْمِي ص (عجبة)

فَنَاسٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّكُلِّمٍ  
يَقْدَرُونَ .

إنما نطلب للنازل إذا خلت من الأجانب ، وأطيب للساكن ما كانت زينتها ينفذ  
الزينة وغيبتهم ، فلما أحلك الله فرعون وقوته ، وأورث بني إسرائيل أموالهم وديارهم ،  
وعا عن جميعها آآآهم — طلب لم العيش وطلعت عليهم شمس السعادة .

قوله جل ذكره : « وما كنت بجانب الغربي » إذ قضينا

إلى موسى الأمر وما كنت من

الشاهدين .

لم نكن حاضراً تصرف ذلك مشاهدة ، ولكنهم رأوا أن إخبارك عنهم بحيث لا يكذبك  
كتابهم . وبالضرورة عرفوا حالك ، وكيف أنك لم تعلم هذا من أحد ، ولا قرأته من  
كتاب ، لأنك أمي لا تحسن القراءة ، وإنما فليس إخبارك إلا بتعريفنا إليك ، وإطلاعتنا  
فك على ذلك .

وقال : « وما كنت بجانب الغربي » : وما كنت بجانب الطور إذ نادينا موسى ،  
وكلمناه ، وخطبناه في بابك وباب أميتك ، ولم تدع غيبتك في الحال ، وكوني لكم  
خير من كونكم لكم .

وقال : لما خاطب موسى وكلمه سأل موسى : إني أرى في التوراة أمة صفتهم كذا  
وكذا .. من هم ؟ وسأل عن أوصاف كثيرة ، وعن الجميع كان يجاب بأنها أمة أحد<sup>(١)</sup> ،  
فاشترك موسى إلى قاتنا ، فقال له : إنه ليس اليوم وقت ظهورهم ، فإن شئت أسمعك  
كلامهم ، فأراد أن يسمع كلامنا ، فنادانا وقال : يا أمة أحد .. فما جاب الكل من أصلاب  
آبائهم ، فسمع موسى كلامهم ولم يدركهم<sup>(٢)</sup> . والغنى إذا سأله قدير وأجاب لا يرضى بأن

(١) هكذا في م وهي في م (أمة محمد) ، ونحسب أن الأرجح أن تكون أحد طبقاً للآية «ومشياً برسول  
يأتى من بعض اسمه أحد»

(٢) تنسب هذه الرواية إلى وهب (القرطبي ١٢٠ ص ٢٩٢) .

بردة من غير إحسان إليه . ( وفي رواية عن ابن عباس ) <sup>(١)</sup> « أن الله قال : « يا أمة محمد قد أجبكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني ، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني ، ورحمتكم قبل أن تسترحقوني » .

قوله جل ذكره : « وما كُنتَ ملوماً » في أهل مدين

تطوع عليهم آياتنا ولكننا كُنتُم مّوسلين »

ومما كان موسى عليه السلام يتلوهم عليهم من الآيات ذِكْرُ نَبِيِّنا صلى الله عليه وسلم بالجبل . وذكر أمته بحسن الثناء عليهم ، فنحن في الوجود مُحدثٌ مخلوقٌ وفي ذكره متعلق لا باستفتاح . ولم تكن في القدم أعياناً ، ولا أشياء ، ولكننا كنا في متعلق القدرة ومتناول العلم وللشيئة . وذكرنا في الخطاب الأزلي والكلام الصمدى والتول الأبدى .

قوله جل ذكره : « وما كُنتَ بجانب الطور إذ نادينا

ولكن رحمة من ربك لتُنذِرَ قوماً

ما أنعم من نعمة من قبلك لهم

بند كرون » .

ماطلبه موسى لأمته جللناه لأمتك ، وكما نادينا موسى — وهو في الوجود والظهور —

ناديناكم وأتم في كتم القدم ، أنشدوا :

كُنْ لِي كَا كُنْتَ فِي حَالٍ لَمْ أَكُنْ

قوله جل ذكره : « ولولا أن نُصِيبَهُمْ مُصِيبَةً بِمَا قَدَّمْتَ

أَيْسَهُمْ فِيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا

رَسُولاً فَتَكْذِبَ آيَاتُكَ وَنَكُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ • فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا

(١) أسلفنا ما بين قوسين من حديثنا لنكتب الرواية بكاملها فهي ناطقة في المن .

(٢) فتاويهاً مقبلاً .. قال السجلج : فيات حيث يدخل الثرى ، أي للضيف المقم »

قَالُوا لَوْلَا آتَىٰ يَتْلُو مَا آتَىٰ مُوسَىٰ  
أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا آتَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ  
قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِبَلِّ  
كَافِرُونَ .

” تمنوا في زمان الفترة أن يبعث الله إليهم رسولاً ليهتدوا به ، ويوعدوا من أنفسهم الإيمان  
والإجابة ، فلما أتاهم الرسول كذبوه ، وقالوا : هَلَّا جُئْنَا بِمِثْلِ مُعْجَزَاتِ مُوسَىٰ ، فإِذَا هُوَ ،  
وكان ذلك منهم غفلاً ، وإغترافاً في غير موضع الحاجة ، وتحكماً بعد إزاحة اليقظة :  
وَكُنَّا لِللَّوْلِ إِذَا أُرَادَ قِيلِيَّةٌ مِثْلُ الْوَصَالِ وَقَالَ كَانَ وَكَانَا  
ثم قال : أَتَلَا تَذَكُّرُونَ كَيْفَ كَفَرُوا بِمُوسَىٰ وَأَخِي وَرَمَوْهُمَا بِالْكَافِ ؟

وقال : إِنْ أَرَيْتُمْ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِثْلِهِ ، وَاسْتَمِينُوا  
بِشِرَّاكُمْ . وَمِنْ وَقْتِهِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَإِلَى الْقِيَامَةِ لَا يَأْتُونَ  
بكِتَابٍ مِثْلِهِ .

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ وَصَّيْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَنْفَعَهُمْ  
يَذَكَّرُونَ » .

أتينا رسولاً بعد رسول ، وأرسلنا كتاباً بعد كتاب ، فما ازدادوا إلا كفرًا وميؤراً ،  
وجعلوا وعثوا .. فلا إلى الحق رجسوا ، ولا إلى الاستقامة جنسوا .

قوله جل ذكره : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
يُؤْمِنُونَ » .

مَنْ أَكَلْنَا بِصِيرَتِهِمْ نُورَ الْمُنَادِيَةِ صَدَّقُوا بِمَقْتَضَى مُسَاعَدَةِ الْعَنَاءِ ، وَمَنْ أَسْعَيْنَاهُ عَنْ شُهُودِ  
التَّحْقِيقِ وَلَمْ تَسَاعِدْهُ لَطَائِفُ التَّوْفِيقِ انْتَكَسَ فِي غَوَايِهِ ، وَانْهَمَكَ فِي ضَلَالَتِهِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِتْمَانًا  
الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ  
صَّالِحِينَ » .

إذا سمعوا دعوتنا فأقبلوا بالتصديق ، واقتلوا عِشْرَةَ الاستسلام ، فلا جرم يُؤْتُونَ  
أجرهم مرتين بما صبروا على الأوامر وصبروا على الخلل في عاجلهم وآجلهم ، مرة في الآخرة  
وهي الثوبة وأخرى في الدنيا وهي لطائف القربة .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا تَمَمُّوا الْقَوْلَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا  
لَنَا أُمُورٌ وَلَكُمْ أُمُورٌ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا بُدَّ لِلْجَاهِلِينَ » .

« القرآن » : ما يُنْصَحُ عن الله . ويقال « القرآن » ما لا يوجب وسيلة عند الله ، ويقال  
ما لا يكون بالحق للحق ، ويقال هو ما صدَّرَ عن قلب غافل ، ويقال هو ما يوجب  
سماعه السهو .

قوله جل ذكره : « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ  
اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بَالْهَادِينَ »<sup>(١)</sup> .

المداية في الحقيقة إمالة القلب من الباطل إلى الحق ، وذلك من خصائص قدرة الحق  
— سبحانه — وتطلق المداية بمعنى الهداء إلى الحق — توشهاً ، وذلك جائز بل واجب  
في صفته صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « وَإِنَّكَ تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

ويقال : لَكَ شَرَفُ النُّبُوَّةِ ، ومنزلة الرسالة ، وجمال السفارة ، وللقائم الحمد ،  
والخوض للورود ، ( وأنت سيد ولد آدم .. ولكنك لا تهدي من أحببت ؛ خصائص  
الربوبية لاتصلح )<sup>(٢)</sup> لَيْنَ وَصْفُهُ البشرية .

قوله جل ذكره : « وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَكَ  
تَتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ يُمْكِنْ لَمْ

(١) قال ابن اسحاق الزجاج : أجمع المفسرون أن هذه الآية نزلت في أبي طالب حين أبى أن ينطق بالشهاد  
وقال : أنا ملء ملة عبد المطلب فقال الرسول (ص) : لا تستنثرن الله ما لم آتكم بذلك ( أسباب النزول للرازي ص ٢٢٨ )  
(٢) ما بين القوسين موجود في م وساقط في م .

حرماً آمناً يُنجي إليه ثمرات كل  
 شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم  
 لا يعلمون .

قلوا غفاب الأعراب على أنفسنا إن صدقناك ، وأمتنا بك ، (لإجتماعهم على خلافتنا  
 ولا ملأنا لهم) (١) قال الله تعالى : وكيف تخافونهم وترون الله أعظمكم على عدوكم ،  
 وعكفنا بنظم يحكم ، ونيلنا نكحاً يُنجي إليها ثمرات كل شيء من أقطار الدنيا ؟  
 ويقال من قام بحق الله — سبحانه — سخر له الكون بجملة ، ومن اشتغل برعاية  
 سيرة الله ، وقام بحق الله ، واستغفر أوقاته في عبادة الله سكن من التصرف بهمة في ملكة  
 الله ؛ فالعقل مستقر له ، والوقت طوع أمره ، والحق — سبحانه — متول (٢) أيمه وأعماله  
 يُحقق ظنه ، ولا يُسحق حقه .

أما الذي لا يعلمه فيك في أودية ضلالة ، وفيه (٣) في مفازات خزيه ، ويوم يوزر هواه .  
 قوله جل ذكره : « ولما أهلكتنا من قرية بطرنا  
 ميسرتها فنكح مساكنتهم لم تسكن  
 من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن  
 الوارثين » .

لم يعرفوا قدر نعمتهم ، ولم يشكروا سلامة أحوالهم ، وانحطام أمورهم ، فسلموا في أودية  
 الكفران على وجوههم ، فخرروا في أودية الضلال على أذنابهم ، وأذاقهم الله من كسات  
 الموان ما كسر خمار بطرهم ؛ فلما كنهم منهم خالية ، وسقوفها عليهم خاوية ، وغربان الدمار  
 فيها ناعية .

(١) ما بين القوسين غير موجود في النص ، ولكنها تنمى لسبب نزول الآية كما أورده الواحدي ، حيث ذكر  
 أن الآية نزلت في الحارث بن عمار بن عبد مناف الذي قال لني (س) : إنا نعلم أن الذي تقول حق ولكن يمنعنا  
 من اتباعك أنا نخاف .... إلخ (أسباب النزول للواحدي ص ٢٢٨) .

(٢) ومن هذا المطلق يصدر التشييع رأيه في (الولاية) وما يتصل بها من (الكراهة) .

(٣) هكذا في الأصل وهي تحمل معنيين : التكبر ، والغلل في الأرض .



قوله جل ذكره : « وما كان ربك متركاً ترى حتى

يبحث في أمها رسولا يتو عليهم آياتنا ،

وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها

ظالمون » .

« وما كان ربك متركاً ترى حتى يبحث في أمها رسولا » : بالتكليف بأمرهم ، وبأمر

التكوين — على ما يريد — يقيمهم . وهو — سبحانه — يبحث الرسل إنذاراً ووصي السبل

عليهم اقتداراً ؛ « يوضحُ الحجةَ بحيث لا شبهة ، ولكنه لا يهدي إلا مَنْ سبقت له السعادة بحكم القسمة .

قوله جل ذكره : « وما أوتيتم ثين شيء فتكأن الحيات

الذئبا وزينها وما عند الله خير وأبقى

أفلا تعقلون » .

الدنيا حلوة خضرة ، ولكنها في التحقيق مرة مدرة<sup>(١)</sup> ، فيبشرها يومئذ أنها صفوة

ولكن من وراء صفوها حسوة<sup>(٢)</sup> ، وما عند الله خير وأبقى .

قوله جل ذكره : « أفئن وعدناه وعداً حسناً فهو لآتيه

كمن متعتناه متاع الحياة الدنيا

ثم هو يوم القيامة من

المُحضرين<sup>(٣)</sup> .

الدنيا سموم حنظلها تلو طموح عسلها ، وتكلف ما يحصل من شربها يلبب لطف ما يظهر

(١) ملوت البضة ملوآ به فسدت ، فهي ملرة ، وملت ملته أى غيشت وفسدت (القرطوب) .

(٢) يقال يوم كحسو الطائر أى قصير جداً ، ونوم كحسو الطائر أى قليل مغطى .

(٣) من يجاهد أن علمه الآية نزلت في حل رحمة وأب جهل .

وقال السدي : نزلت في حار والوليد بن المغيرة

وتيل نزلت في النبي (ص) وأب جهل .

من أربها ، وليس من أكرم بوجدان نعيم عقابه كَنُ مَيّ بالوقوع في جحيم دنياه  
قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ  
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ؟ » .

إنما يكون ذلك على جهة التهويل وإجلال كيد أهل الضاليل .. ولأَقَمِينَ أَيْنَ لَمْ الجواب  
فضلاً عن الصواب ! والذى يسألهم هو الذى على ما شاء جَعَلَهُمْ ؛ فَا وَرَدَ فَعَلْ إلّا على فضله ،  
وما صدّر ما صدّر إلّا من أصله . وإذ تَسَبَّرُوا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَبَيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِلْأَصْنَامِ  
استحقاقُ العبودية ، ولا لأحدٍ من النفي والإثبات بالإيمان والإحاطة ذَرَّةً أو منه شظيئة ..  
كلّا بل هو الواحد القهار .

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ  
الْمُرْسَلِينَ » .

يسألهم سؤالاً هيباً ؛ فلا يَسْتَقِي لَمْ تَمَيِّزُ ، ولا قُوَّةَ عَقْلٍ ، ولا مَكْنَةَ جَوَابٍ ،  
قال جلّ ذكره :

« فَصَبَّحْتَ عَلَيْهِمُ الْآبَاءَ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ  
لَا يَسْمَعُونَ » .

إذ استولت عليهم الحيرةُ ، واستمكن منهم الدهشُ ؛ فلا طُفَقَ ولا عَقْلَ ولا تَمَيِّزَ  
ولا فهم .

قوله جل ذكره : « فَأَمَّا مَنْ تَبَىٰ وَآمَنَ وَهَلَكَ مَلْأَمًا  
قَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ •  
وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ  
لَمْ الْبَصِيرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا  
يُشْرِكُونَ » .

يختار ما يشاء ومن يشاء من جملة ما يخلق . ومن ليس إليه شيء من الخلق .  
فأله والاختيار ؟ ١

الاختيار الحق استحقاق عزٍّ يوجب أن يكون ذلك له ، لأنه لو لم يُنفذ مشيئته واختياره لم يكن بوصف العزِّ ، فمعنى يبقى عن مراده لا يكون إلا ذليلاً ؛ فالاختيار الحق نعمت عزٍّ ، والاختيار للخلق صفة ذمٍّ ونقص بلاه وقصور ؛ فالاختيار المبدع غير مبارك عليه لأنه صفة هو غير مستحق لها ، ومن اتصف بما لا يليق به افتضح في نفسه ، قال قائمهم :

ومعالٍ إذا ادّعاهم سواء قرّمته جناية الشرائع

والطينة إذا ادّعت ما هو صفة الحق أنهرت رعونتها ، فما للإنسان والاختيار ؟  
وما للمملوك والملك ؟ وما للمبيد والتصدّر في دستر<sup>(١)</sup> للملوك ؟

قال تعالى : « ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون »<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : « وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون »

ولم لا وقد قال : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ؟ فالعلم — الذي لا يعزب عنه معلوم — نعمت من لم يزل ، والإبداع من العدم إلى الوجود بفرده بالقدره عليه لم يزل .

قوله جل ذكره : « وهو الله لا إله إلا هو له الخلد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون »

« لا إله إلا هو » : توحد يعزّه هيته ، وتفرّد بجلال ربهوته ، لا شية يساويه ،

(١) هكذا في م وهي الصواب ، أما في ص نسخة وردت (درس) وهي خطأ في النسخ .

(٢) واضح من ملعب القشيري شيء هام جداً أنه يقف عند (ويختار) وتكون (ما) في حله الحالة ثالثة ، وهو بهذا يتسبب مع ملعب أهل السنة في أن الله خالق كل شيء حتى أكساب العباد .  
أما القشيري فيرى (ما كان لهم الخيرة) بياناً لقوله (ويختار) ولهذا لم يدخل العاطف . ويرفض الطبري أن تكون (ما) نافية لئلا يكون المعنى أنهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لم تلبس يستقبل ، ويرد عليه بأن (ما) تصلح لنفي الحال والاستقبال .

ولا نظير يضاهيه . «له الحمد» استعقانا على عظميته ، وله الشكر استيجاباً على نعمته ؛ ففي الدنيا الحمد لله ، وفي العقب المشكور لله ؛ فالإحسان من الله لأن السلطان لله ، والنعمة من الله لأن الرحمة لله ، والنصرة من الله لأن التدرة لله .

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِهِ أَفَلَا تَسْمَعُونَ »

إِنْ دَامَتْ لَيَالِي النَّفْثَةِ فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِنَهَارِ التَّوْبَةِ غَيْرُ اللَّهِ ؟  
وإِنْ دَامَتْ لَيَالِي الطَّلَبِ فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِصَبْحِ الْوُجُودِ غَيْرُ اللَّهِ ؟  
وإِنْ دَامَتْ لَيَالِي التَّبَضُّعِ فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِصَبْحِ الْبَسْطِ غَيْرُ اللَّهِ ؟  
وإِنْ دَامَ لَيْلُ الْفِرَاقِ فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِصَبْحِ الْوَصَالِ غَيْرُ اللَّهِ ؟

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِاللَّيْلِ تَكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ »

إِنْ دَامَ فِي الْوَصْلَةِ نَهَارُكُمْ فَأَيُّ سَبِيلٍ لِلرَّاشِينَ إِلَى تَنْجِيصِ سُرُورِكُمْ ؟  
وإِنْ دَامَ نَهَارُ مَمَلِكِكُمْ وَوَقْتُ امْتِنَالِكُمْ بِمَحْظُونِكُمْ فَمَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بِاللَّيْلِ تَكُونُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَسْتَرْجِعُونَ مِنْ أَشْفَالِكُمْ بِالْخُلُوعِ مَعَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَسَكُمْ تَشْكُرُونَ »

---

(١) مثل أفرقت حل القشيري آية : «هو الله لا إله إلا هو ..»  
ولفظ الجلالة لا يكاد يوجب معنا في إشاراته ، بما يدل - والله أعلم - على أن الرجل ذاكر أغلقته حالة انحصاء في المذكور .. وقد حرصنا أن نلقت نظر القارئ إلى هذا الملحق ليعبر بالفرق بين المفسر التقليدي والمفسر الإشاري .. إن الكلمات هنا أشبه بالتسايج اللفظية من عالم بهيمة !

الأوقات ظروف لما يحصل فيها من الأحوال ؛ فالظروف من الزمان متجانسة ، وإنما الاختلاف راجع إلى أعيان ما يحصل فيها ؛ فليال أهل الوصال سادات الليالي ، وليال أهل التراف أسوأ الليالي ؛ فاهل الترتيب لياليهم قصارٌ وكذلك أيامهم ، وأرباب التراف لياليهم طوال وكذلك جميع أوقاتهم في ليالهم ونهارهم ، يقول قائلمهم :

والليالي إذا نأيتِ طولاً وأراها إذا بدتِ قصراً  
وقال آخر :

والليل أطول وقت حين أضدها والليل أقصر وقت حين أقامها  
وقال ثالث :

يلوُّ اليوم لا أقالك فيه وحول تلقى فيه - قصير

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ يَنكَبُهُمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ » وَتَزْعُمُونَ كلُّ أُمَةٍ شَيْعَةً قَلْنَاهَا فَوَارِحَ مُرْهَانِكُمْ قَتَلُوا أَنْ الْحَقَّ ظَهَرَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ »

كلا . . لا حجة لهم ، ولا جوابة ينفذهم ، ولا شفيع يرحمهم ، ولا ناصر يبينهم .  
اشتهرت ضلالتهم ، وانضحت لكافة جهالتهم ؛ فدام بهم عذاب الأبد ، وحاق بهم وبال السرمد .

قوله جل ذكره : « إِنِّي قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ »

جاء في القصص أنه كان ابن عم موسى ، وكان من أعبد بني إسرائيل ، وكان قد اعتزل الناس ، واغترد في صومته يتعبد ، فصور له إبليس في صورة بشر ، وأخذ في الظاهر يتعبد معه في صومته حتى تعجب قارون من كثرة عبادته ، فقال له يوماً : لست في شيء ؛ عيونا

على أيدي الناس حتى يذهبوا إليها شيئاً من خبزهم ووثاقهم ، ولا بد لنا من أخذه ، قال له قارون :  
وكيف يجب أن فعله ؟

قال له : أن تدخل في الأسبوع يوماً السوق ، ونكتسب ، وننفق ذلك القدر في  
الأسبوع ، فأجابه إليه . فكانا يحضران السوق في الأسبوع يوماً ، ثم قال له : لست أنا وأنت  
في شيء ، قال : وما الذي يجب أن فعله ؟

قال له : نكتسب في الأسبوع يوماً لأهنا ، و يوماً نكتسب ونصدق به ، فأجابه إليه .  
ثم قال له يوماً آخر : لست في شيء ، قال : وما ذلك ؟

قال : إن مرضنا أو وقع لنا شغل لا نملك قوت يوم ، قال : وما فعل ؟

قال : نكتسب في الأسبوع ثلاثة أيام ؛ يوماً للنفقة و يوماً للصدقة و يوماً للادخار ،  
فأجابه إليه . . فلما علم أن حب الدنيا استمكن من قلبه ودّعه ، وقال :

إني مُفَارِقُكَ . . فذم على ما أنت عليه ، ضار من أمره وماله ما صار ، وسمّله حب الدنيا  
على جميعها ، وسمّله جملتها على حبها ، وسمّله حبها على البني عليهم ، وصارت كثرة ماله سبب  
هلاكه ، وكم وعظ بِقَرَكِ التَّوَجُّعِ بوجود الدنيا ، و بِقَرَكِ الاستمتاع بها ! وكان لا يأبي  
إلا ضللاً .

ويقال خَسَفَ اللهُ به الأرض ، وذهب موسى عليه السلام ، فقد كان موسى يقول :

يا أرض خُذِيه .. وبينما كانت الأرض تُخَسِفُهُ به كان يستعين بموسى بحق القربة ، ولكن  
موسى كان يقول : يا أرض خُذِيه .

وفيا أوحى الله إلى موسى : قد ناداك بحق القربة وأنت تقول : يا أرض خُذِيه !  
وأنا أقول : يا عبدُ ، نادني فأنا أقرب منه إليك ، ولكنه لم يَقبلُ .

وفي القصة أنه كان يُخَسَفُ به كل يوم بزيادة معلومة ، فلما حبس الله يونس في بطن  
الحوت أمر الحوت أن يطوف به في البحار ثلاثاً يضيّق قلب يونس ، حتى انتهى إلى قارون ،  
فسأله قارون عن موسى وحاله ، فأوحى الله إلى الملك :

لَا تَزِدْ فِي حَسَنِهِ لِحُرْمَةِ أَنَّهُ سَأَلَ عَنْ ابْنِ عَمِّهِ ، وَوَصَلَ بِهِ رَحِمَهُ (١) .

قوله جل ذكره : « وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْبَارَ الْآخِرَةَ  
وَلَا تَلْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ  
كَأَحْسَنِ اللَّهِ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ  
فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ »  
وَعُظْمَ مَنْ حُرِّمَ الْقَبُولُ كَثَلُ التَّبَذْرِ فِي الْأَرْضِ السَّيِّئَةِ ؛ وَلَمَّا لَمْ يَنْفَعْمَا نَصَحْتُهُمْ إِلَيْهِ ،  
وَلَمْ يَكُنْ الْقَبُولُ فِيهِ مَسَاغً .

« وَلَا تَلْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا » : لَيْسَ النَّصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا جَمْعُهَا وَلَا مَقْعُهَا ،  
إِنَّمَا النَّصِيبُ مِنْهَا مَا تَكُونُ فِيهِ فَائِذَةً بِحَيْثُ لَا يُعْصَبُ نَعْمًا ، وَلَا يُوجِبُ فِي الْآخِرَةِ عِقَابًا  
وَيَقَالُ النَّصِيبُ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَحْتَمِلُ عَلَى طَاعَتِهِ النَّفْسُ ، وَعَلَى مَعْرِفَتِهِ الْقَلْبُ ، وَعَلَى ذِكْرِهِ  
بِاللِّسَانِ ، وَعَلَى مُشَاهَدَتِهِ بِالسَّرِّ .

« وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ » : إِنَّمَا كَانَ يَكُونُ مِنْهُ حَسَنَةً لَوْ آمَنَ بِاللَّهِ ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ  
لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْكَافِرِ نِعْمًا دُنْيَوِيَّةً .  
وَالْإِحْسَانُ الَّذِي أُعِيرَ بِهِ إِغْفَاؤُ النَّعْمَةِ فِي وَجْهِهِ الطَّاعَةِ وَالْخُلْعَةِ ، وَمُقَابَلَتُهُ بِالشُّكْرِ  
لَا بِالْكَفَرِ .

وَيَقَالُ الْإِحْسَانُ رُؤْيَا الْفَضْلِ دُونَ تَوْحُّدِ الْأَسْتِغْنَاءِ .  
قوله جل ذكره : « قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ... »  
مَا لَحَظَ أَحَدٌ قَسَمَهُ إِلَّا هَلَكَ بِإِعْجَابِهِ .

وَيَقَالُ السُّمُّ الْقَاتِلُ ، وَالَّذِي يُطْفِئُ السَّرَاجَ لِلْفِيءِ ، النَّظَرُ إِلَى النَّفْسِ بَيْنَ الْإِتْبَاطِ ،

---

(١) الْوَاقِعُ أَنَّ الْقَعَصَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَالرَّوَايَاتِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ مَوْضُوعَاتِ سُورَةِ الْقَعَصِ كَثِيرَةٌ جَدًّا ،  
خُصُوصًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَدْرَسَتِهِ ، وَلَكِنْ لِلْمُلَاحَظَةِ أَنَّ الْقَشِيرَى يَخْتَارُ مِنْهَا - فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ - عَيْنَاتٍ خَاصَّةً  
تَحَقِّقُ مَقَامَهُ الْبَعِيدَ مِنْ أَجْلِ إِبْرَازِ الْمَوْضُوعَاتِ الصُّوْفِيَّةِ سِوَاهُ مِنْ نَاحِيَةِ الرِّيَاضَاتِ أَوْ الْمَجَاهِدَاتِ أَوْ مِنْ نَاحِيَةِ الْأَذْوَاقِ  
وَالْأَسْرَافِ .

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ بِبَصِيرَةٍ (١).

قوله جل ذكره: «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا كُنَّا بِمَا تُبَدِّلُ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»  
تَمَّ مَنْ رَأَاهُ مِنْ كَانَ فِي حُبِّ الدُّنْيَا سِوَاهُ أَنْ يُعْطِيَهُ اللَّهُ مِثْلَ مَا أُعْطَاهُ .  
أَمَّا مَنْ كَانَ صَاحِبًا عَنْ خَارِ غَفْلَتِهِ ، مُتَيَقِّظًا بِنُورِ بَصِيرَتِهِ فَكَانَ مَوْقِفُهُمْ : —

« وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ  
ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَهَمِلَ صَالِحًا  
وَلَا يُلَاقِهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ »

وبعد أن كان ما كان ، وخسفا به وببذله الأرض قال هؤلاء :

« لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا  
وَيَسَاءَ لَنَا مَا كَانَتْ لَا يُغْنِي عَنِ الْكَافِرِينَ »  
مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلَمْ تَنْجِرْ فِي نَجَّتِهِ ، وَلَمْ تَنْخُطْ فِي سِلْكِهِ ، وَإِنَّا لَوَقَعْنَا بِالْمَلَائِكَةِ .  
أَمَّا الْمُتَمَنُّونَ مَكَانَهُ قَدْ نَدِمُوا ، وَأَمَّا الرَّاظُونَ بِقِسْمَتِهِ — سُبْحَانَهُ — قَدْ سَلِمُوا ؛  
سَلِمُوا فِي الْمَاجِلِ إِلَى أَنْ تَظْهَرَ سَعَادَتُهُمْ فِي الْآجِلِ .

قوله جل ذكره: « تِلْكَ النَّارُ الَّتِي أُتِيَ بِهَا الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عِلْمًا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِصْلًا  
وَالْمَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »

قيل « الملو في الدنيا » أن تَتَوَكَّلْ عَلَى الْبَسِيطَةِ أَحَدًا هُوَ شَرٌّ مِنْكَ .  
و « الفساد » أن تَتَحَرَّكَ لِحَظٍّ نَفْسِكَ وَفَصْلِكَ وَلَوْ يَنْفَسِرُ أَوْ خَطْوَةٌ . . . وَهَذَا لِلْأَكْبَرِ ،

---

(١) هذه لفظة عامة مجدها عند جميع الصوفية ولكنها أصل هام في تعاليم أهل الملازمة ترتب عليه مناهج في السلوك .



فَأَمَّا لِلْأَصَاغِرِ وَالْعَوَامِ فَتِلْكَ الْبَارِ الْآخِرَةُ « نَجْمُهَا الَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ »  
كَمَلُوا فِرْعَوْنَ « وَلَا فُسَاقًا » كَفَسَادِ قَارُونَ<sup>(١)</sup> .

ويقال الزهاد لا يريدون في الأرض عُلُوًّا ، والمعارفون لا يريدون في الآخرة والجنة عُلُوًّا<sup>(٢)</sup> .  
ويقال « تلك البار الآخرة » للمُبَادِ والزَّهَاد ، وهذه الرحمة الحاضرة لأرباب الاقتدار  
والانكسار .

قوله جل ذكره : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ  
جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ يَدِينُ مِنْهُمْ بِحَسَنَاتِهِمْ »  
السيئات إلا ما كانوا يعملون » .

ثواب الحسنة في التضييف ، وأمرُ السيئةِ بناؤه على التخفيف .  
وللؤْمْنِ — وإن كان صاحبَ كِبَارٍ — فيثابته تَقَصُّرُ في جَنَسِ حَسَنَاتِهِ الَّتِي هِيَ  
إِيمَانُهُ وَمَعْرِفَتُهُ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ  
إِلَى مَعْلَمٍ قُلْ رُبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى  
وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

« رَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ » : في الظاهر إلى مكة . . وكان يقول كثيرًا : « الوطن الوطن »<sup>(٣)</sup> ،  
فَصَحَّقَ اللَّهُ سُؤْلَهُ . وَأَمَّا فِي السِّرِّ وَالْإِشَارَةِ فَإِنَّهُ « فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ » أَيْ يَسِّرْ لَكَ قِرَاءَةَ  
الْقُرْآنِ ، وَالْمَعَادُ هُوَ الْوَصْفُ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهِ رَوْحُكَ قَبْلَ حُلُولِ شَجَاكَ<sup>(٤)</sup> مِنْ مُلَادَغَاتِ  
الْقُرْبِ وَمَطَالِمَاتِ الْحَقِّ .

---

(١) أحسن التشبيه إذ جعل وظيفة هذه الآية التعقيب على التفتين السابقتين فأبان تماسك الأسلوب انقراض .

(٢) ولهذا يرى ابن عباس أن هذه الآية لا مكية ولا مدنية وإنما نزلت في الجحفة .

(٣) فكذلك في التفتين ، فإن صحت في التمل من الأصل فربما كان المقصود (ما أسابك من جراحات  
الحب) ، ويتأيد فهمنا بما يلى ذلك وربما كانت (شجلك) أي لوعة حبك - والله أعلم .

وقيل الذي يصيبك بأوصاف التفرقة بالتبليغ وبسط الشريعة لراؤك إلى عين الجمع بالتعقُّق  
بلحقٌ والفناء عن الخلق .

ويقال إن الذي أقامك بشواهد المبودية فيا أمتك به لراؤك إلى الفناء عنك بمصنك في  
وجود الحقيقة .

قوله جل ذكره : « وما كُنتَ ترجوا أن يُلقَى إليك  
الكتابُ إلا راحةً من ربِّكَ فلا تكوننَّ  
ظليراً للكافرين » .

ما كنت تؤمِّل محلَّ النبوة وشرف الرسالة وتأهيل مخاطبتنا إليك ، ولا ما أظهرنا عليك  
من أحوال الوجد وحقائق التوحيد .

قوله جل ذكره : « ولا يصدِّئك عن آياتِ اللهِ بعد  
إذ أنزلتَ إليك وادعُ إلى ربِّكَ  
ولا تكوننَّ من الشركين » .

لا يصدِّئك بعد إذ أنزلت إليك الآيات ما وجدته بحسب الذُّوب والشهود ، والإدراك  
والوجود . لا تتدأخلنَّك هُمةُ التصوُّر وسؤالاتُ العلماء بما يدَّعون من أحكام المقول ؛  
فما يدركُ في شعاع الشمس لا يحكمُ ببطلانه خفاؤه في نور السراج .

قوله جل ذكره : « ولا تدعُ مع اللهِ إلهاً آخرَ لا إلهَ إلا هو  
كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه له الحكمُ  
وإليه تُرجعون » .

كلُّ عملٍ باطلٍ إلا ما كان لوجهِ الله ولتقرب به إلى الله .

كلُّ شيءٍ ميتٌ إلا هو ، قال تعالى : « إن امرؤ هلك : أي مات ؛ فكلُّ شيءٍ ممِّدٌ  
لجوازِ الهلاك والمدمر ، ولا يبقى إلا » وجهه : « ووجهٌ صفةٌ من صفاته لا تستقل إلا به ،

فلذا بقي وجهه كمن شرط بقاء وجهه بقاء ذاته ؛ لأن الصفة لا تقوم إلا بوجوده ، ولا يكون  
هو بقاءً إلا بوجود أوصافه الذاتية الواجبة له ؛ ففي بقاء وجهه بقاء ذاته وبقاء صفاته .

وفاصلة تخصيص الوجه بالذكر هنا أنه لا يُعرفُ وجوبُ وجهه إلا بالخبر والنقل دون<sup>(١)</sup>  
العقل ؛ فنعصّ الوجه بالذكر لأنّ في بقاء الوجه بقاء الحقّ بصفاته .

---

(١) هكذا في م أما في ص فهي (نور) ، وتأويل الوجه على أنه صفة فيه رد على المشبهة .

## السورة التي يذكر فيها العنكبوت

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

بسم الله اسم يوجب خطوة العابدين وعُدْأ ، وسماعه يوجب سلوة الواجدین هَذَا <sup>(١)</sup> .  
اسم مَنْ ذَكَرَهُ وَصَلَ إِلَى مَثْوِيهِ فِي آجَلِهِ ، وَمَنْ سَمِعَهُ <sup>(٢)</sup> حَتَّى يَرْبِيَهُ فِي عَاجِلِهِ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ » أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا  
أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ »

« الألف » إشارة إلى تفرّده عن كل غير بوجه النِّيِّ ، واحتياج كل شيء إليه ؛ كالألف  
تصل بها كل الحروف ولكنها لا تتصل بحرفٍ .

« واللام » تشير إلى معنى أنه ما من حرفٍ إلا وفي آخره صورة تعويجٍ ما ، واللام أقرب  
الحروف شبهاً بالألف - فهي منتصبه القائمة مثلها ، والفرق بينهما أن الألف لا يتصل بها شيء  
ولكن اللام تتصل بغيرها - فلا جرم لا يكون في الحروف حرف واحد متكون من حرفين  
إلا اللام والألف ويسمى لام ألف ويكتب على شكل الاقتناع مثل صورة لام .

أما « الميم » فالإشارة فيه إلى الحرف « مِمْ » ؛ فَمِمْ الرَّبُّ انْتَلَقُ ، وَمِمْ الْمَبْدِ خَلْمَةُ  
الحق ، وَمِنْ الرَّبِّ الطَّوْلُ وَالْقُضْلُ . . .

« أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا . . » بمجرد الدعوى في الإيمان دون المطالبة بالبلوى ، وهذا  
لا يكون ، حَتْمَةً كُلِّ أَحَدِهِمْ بِلَوَاهِ ، فَمَنْ زَادَ قَدْرُ مَعْنَاهُ زَادَ قَدْرُ بِلَوَاهِ ؛ فَمَنْ النُّفُوسُ بِلَا وَهُوَ

(١) الفقه مكافأة في الدنيا وهي المواصلات والمكاشفات ، والوعد مكافأة في الآخرة وهي الجنة .

(٢) المقصود بالسامع هنا ما يوجب الإيمان .

المطالبة عليها بإخراجها عن أوطان الكسل وتصريفها في أحسن العمل . وعلى التوب بلاء وهو مطالبتها بالطلب والفكر الصادق بتطالع البرهان على التوحيد والتحقق بالعلم . وعلى الأرواح بلاء وهو التجرد عن محبة كلٍّ أحدٍ والتفرد عن كل سبب ، والتباعد عن كل المناكبة لشيء من المخلوقات . وعلى الأسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف بالصبر على آثار التجل إلى أن يصير مُتَهَلِّكاً فيه .

ويقال فتنة العوام في أيام النظر والاستدلال ، وفتنة الغواص في حفظ آداب الوصول في أوان المشاهدات . وأشدُّ التَّنِ حفظ وجود التوحيد لئلا يجرى عليك مَكْرٌ في أوقات غَلَبَاتٍ شاهد الحق فيظن أنه الحق ، ولا يدري أنه من الحق ، وأنه لا يقال إنه الحق - وعبر من يهتدى إلى ذلك <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ »

لم يُخْلِسْ من البلاء والمَحَنِ لِيُظْهِرَ صِيْرَمَ في البلاء أو ضده من الضَجَرِ ، وشكرهم في الرخاء أو ضده من الكفر والبَطَلِ . وهم في البلاء ضروب : فمنهم مَنْ يصبر في حال البلاء ، ويشكر في حال النماء . . . وهذه صفة الصادقين . ومنهم مَنْ يضيغ ولا يصبر في البلاء ، ولا يشكر في النماء . . . فهو من الكاذبين . ومنهم مَنْ يؤثر في حال الرخاء ألا يستمتع بالطعام ، ويستروح إلى البلاء ؛ فَيَسْتَمِزُّ مَقَاسَةَ الْفَرْ وَالنَّاء . وهذا أجَلُهُمْ .

قوله جل ذكره : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَسْلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »

يرتكبون المخالفات ثم يحكمون لأضدهم بالنجاة . . ساء حُكْمُهُمْ ! فقي ينجو من المذابح من التي جلباب التقي ؟ !

ويقال توهموا أنه لا حشر ولا نشر ، ولا محاسبة ولا مطالبة .

ويقال اغتروا يلهانا اليوم ، وتوهموا أنهم مينا قد أفلتوا ، وظنوا أنهم قد آمنوا .

---

(١) يلغى هذا الكلام عنه البحث في قضية الحلاج كلّي قال وهو غائب في غلبات الشهود : « إِنَّا لَنَحْمِ

ويقال غلوا أنهم باجتراحهم السيئات أن جرى التقدير لهم بالسعادة، وأن ذلك يؤخر حُكْمَنَا . . كلا ، فلا يشق من جرّت قسائنا بالسعادة ، وهيئات أن يتحول من سبق له الحكم بالشقاوة !

قوله جل ذكره : « مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

مَنْ خَافَ عَذَابَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ فَسَيَلْقَى يَوْمَ الْعَشْرِ الْأَمَانِ الْمَوْعِدَ مِنَّا لِأَهْلِ الْخُوفِ الْيَوْمَ . وَمَنْ أَمَلَ الثَّوَابَ يَوْمَ الْبَعْثِ فَسَوْفَ يَرَى ثَوَابَ مَا أَسْلَفَهُ مِنَ الْعَمَلِ . وَمَنْ زَجَّيْ عُمْرَهُ فِي رَجَاءٍ لِقَائِنَا فَسَوْفَ نُبَيِّحُ لَهُ النَّظَرَ إِلَيْنَا ، وَسَوْفَ يَتَخَلَّصُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَالْفِرَقَةِ . . « وَهُوَ السَّمِيعُ » لِأَيِّ الْمُسْتَعِينِ ، « الْعَلِيمُ » بِمَحِينِ الْغَيْبِ الْوَالِهِينَ .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ لِّكَفٍّ عَنِ الْمَالِدِينَ » .

مَنْ أَحْسَنَ فِتْجَاهَهُ نَفْسَهُ طَلِبَهَا ، وَسَادَةً حَالَهُ حَصَلَهَا . وَمَنْ أَسَاءَ فِتْوَاهَهُ نَفْسَهُ جَلَبَهَا ، وَشَقَاوَةً جَدَّهَ اكْتَسَبَهَا .

ويقال ثوابُ العَلِيَّينِ إِلَيْهِمْ مَصْرُوفٌ ، وَعَذَابُ الْعَاصِينَ عَلَيْهِمْ مَوْقُوفٌ . . وَالْحَقُّ عَزَّزَ لَا يُلْقِيهِ بِالْوَقْفِ زَيْنٌ ، وَلَا يَمْسُهُ مِنَ الشَّقَاةِ شَيْنٌ . .

قوله جل ذكره . « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

مَنْ رَفَعَ إِلَيْنَا خَطْوَةَ نَالٍ مِنَّا خَطْوَةً ، وَمَنْ تَرَكَ فِينَا شِهْوَةً وَجَدَ مِنَّا صَفْوَةً ، فَصَبَّيْهِمُ مِنَ الْخَلِيفَاتِ مَوْفُورٍ ، وَعَلِمَهُمْ فِي الْوَلَّاتِ مَغْفُورٍ . . بِذَلِكَ أَجْرُنَا سَعْتُنَا ، وَهُوَ مَتَنَاوَلُ حُكْمِنَا وَقَضَيْنَا .

قوله جل ذكره : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا » .

أَمَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ بِرِعَايَةِ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ تَنْبِيْهًا عَلَى عَظَمِ حَقِّ الْوَرِيَةِ . وَإِذَا كَانَتْ تَرِيَةُ الْوَالِدَيْنِ — وَهِيَ إِنْ حَسُنَتْ — فَإِلَى حَدٍّ يُوْجِبُ رِعَايَتَهُمَا فَإِنَّ الظَّنَّ بِرِعَايَةِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالْإِحْسَانِ الْعَمِيمِ بِالْعَبْدِ وَالْإِمْتِنَانِ التَّدِيمِ الَّتِي خَصَّهُ بِهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۱۹

قوله جل ذكره : « وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّشُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

إِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ فإِيَّاكَ أَنْ تَعْلِمَهُمَا ، وَلَكِنْ رُدِّ يَطْفِئْ ، وَخَالَفْ بِرُفْقٍ .  
قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ » .

أَيُّ لِنُدْخِلَنَّهُمْ بِالَّذِينَ أَصْلَحُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ، فَإِنَّ الْمَعْنَى لِإِلْحَاقِ الشَّكْلِ بِشَكْلِهِ ، وَإِجْرَاءِ الْمِثْلِ عَلَى حُكْمِهِ مِثْلُهُ .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَلَمَّا أُؤْذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ خِتَةَ النَّاسِ كَمَنْابِ اللَّهِ » . . .

الْحَنُّ تَطْهَرُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى قِيَمِهِمْ وَأَقْدَارِهِمْ ؛ فَتَدْرُ كُلُّ أَحَدٍ وَاقِعَتَهُ بِظَهَرِهِ عِنْدَ مَحَنَتِهِ ؛ فَمَنْ كَانَتْ مَحَنَتُهُ مِنْ فَوَاتِ الدُّنْيَا وَنَقَصَانِ نَصِيْبِهِ مِنْهَا ، أَوْ كَانَتْ مَحَنَتُهُ بِمَوْتٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ ، أَوْ قَدْ حَبِيبٌ مِنَ الْخَلْقِ لِحَقِيرَةِ قَدْرِهِ ، وَكَثِيرٌ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ ، وَمَنْ كَانَتْ مَحَنَتُهُ فِي اللَّهِ وَفِيهِ فَمَزَزَ قَدْرَهُ ، وَقَلِيلٌ مَنْ كَانَ مِثْلُهُ ، فَهَمَّ فِي الْمَدَدِ قَلِيلٌ وَلَكِنْ فِي الْقُدْرَةِ وَالْخَطَرِ جَلِيلٌ ؛ وَيَقْدِرُ الْوَقُوفُ فِي الْبَلَاءِ تَطْهَرُ جَوَاهِرُ الرِّجَالِ ، وَتَصْنَعُو عَنْ الْخَبَثِ نَفْسُهُمْ .

وَالْمُؤْمِنُ مَنْ يَكْفُ الْأَذَى ، وَيَتَحَمَّلُ مِنَ الْخَلْقِ الْأَذَى ، وَيَتَشَرَّبُ وَلَا يَتَرَشَّحُ بِنِيرٍ

شكوى ولا إظهار ؛ كالأرض ببقى عليها كل<sup>١</sup> خيث فَنُنِيتُ كل<sup>٢</sup> خضرة وكل نزع<sup>٣</sup> .

قوله جل ذكره : « وَلَيَمْلَنَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

وليسلنَّ المنافين » .

إذا اشتبكت دموع في حدود تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِنْ تَبَاكِي

قوله جل ذكره : « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا

اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا

بِعَاسٍ مِنْ بَطْشَائِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ

لَكَاذِبُونَ »

ضمنوا بما لم يفوا به ، وأخفوا فيما وعدوا فما حملوا من خطاياهم عنهم شيئاً ، بل زادوا على تحمل غيوسهم ؛ فاحتبوا وزر ما حملوا ، وطولبوا بوزر ما به أمروا<sup>(١)</sup> ، فضاعف عليهم العقوبة ، ولم يصل أحد من جهنم إلى راحة ، وما مواعيد المسلمين إلا مواعيد عقوق أخاه يوثب .

قوله جل ذكره : « وَلَيَحْمِلُنَّ أَثَامَهُمْ وَأَثَامًا مَعَ أَثَامِهِمْ

وَلَيَسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ مَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ »

وسيلحق هؤلاء أصحاب البطوى والمثبّهون بأهل الحقائق :

مَنْ تَعَلَّى بَنِي مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَّ الْأَمْتَعَانُ مَا يُدْمِيهِ

وقال تعالى : « قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ »<sup>(٢)</sup> . . وهيات هيات !

---

(١) القشيري هنا مستفيد من قول الجني : (السرور كالأرض يطرح عليها كل فيح ولا يخرج منها إلا كل

طبع) الرسالة ص ١٢٩ .

(٢) رأيت بناء (أمروا) المعلوم حتى يطرح أن وزرم أشد نتيجة قولهم الذين آمنوا : (اتبعوا سبيلنا) ؛ فاللهي إل السوء يحمل وزر نفسه ووزر من يقتضى به . ومن الجائز أن تبنى السجود فتكون (أمروا) ولكن المعنى يكون أقل تأثيراً وأداء .

(٣) آية ١١١ سورة البقرة .



قوله جل ذكره : « ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقليت

فيهم ألفت سنّة إلاّ الحسّين علماً فأخذهم

الطوفان وهم ظالون » فأعيناه ... الآية

ما زادم طول مقامه فيهم إلاّ شكاً في أمره ، وجهلاً بحاله ، ومزّة في صدقه ، ولم يزد  
نوح - عليه السلام - لم إلاّ نصحاً ، وفي الله إلاّ صبراً . ولقد عرفته الله أنه لن يؤمن منهم  
إلاّ الشّرّيمة اليسيرة الذين كانوا قد آمنوا ، وأمره بأخذ السفينة ، وأغرق الكفار ولم ينل  
منهم أحداً ، وصدّق وعده ، ونصر عبده . فلا تبدّل لسنّته في نصرته دينه .

قوله جل ذكره : « وإبراهيم إذ قال قومه اعبدوا الله

واقوه ذلك خير لكم إن كنتم

تعلمون »

كرّر ذكر إبراهيم في هذا الموضع ، وكيف أقام على قومه العبّية ، وأرّسهم إلى سواه  
الحجة ، ولكنهم أسروا على ما جعلوا ، وتصبوا لى من الأصنام عبدوا ، وكادوا لإبراهيم  
كيداً . . ولكن اقلب ذلك عليهم من الله مكرأ بهم واستدراجاً . ولم ينفع فيهم نصّحه ،  
ولا وجد منهم مسانعة وعطفه .

قوله جل ذكره : « إنا تعبدون من دون الله آوثاناً

وتخلّقون إفكاً إنّ الذين تعبدون

من دون الله لا يملكون لكم رزقاً

فابتشوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا

له إليه ترجعون »

لا يدري أيها أفتبح : . هل أعمالكم في عبادة هذه الجادات أم أقوالكم - فبا تزعمون  
كذباً - عن هذه الجادات ؟ وهي لا تملك لكم شئاً ولا تلغ عنكم ضرراً ، ولا تملك لكم  
خيراً ولا شراً ، ولا قدر أن تصيبكم بهنا أو ذاك .

وَيَقِينُ أَنَّهُمْ فِي هَذَا لَمْ يَكُونُوا خَالِينَ عَنْ مِلَاحَظَةِ الْمَحْظُوظِ وَطَلَبِ الْأَرْزَاقِ <sup>(١)</sup> قَالَ :

« فَاجْتَنِبُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ » فَصَلُّوا إِلَى خَيْرِ الْبَارِئِ .

وإبتناء الرزق من الله إمامة الصلاة ؛ فإن الصلاة استفتاح باب الرزق ، قال تعالى :

« وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا » <sup>(٢)</sup>

ويقال إبتناء الرزق بشهود موضع الفاقة فحينئذ ذلك تتوجه الرغبة إلى الله تعالى في استعجاب الرزق ..

وفي الآية تقديم لإبتناء الرزق على الأمر بالعبادة ؛ لأنه لا يُسَكِّنُهُ التَّيَمُّنُ بِالْعِبَادَةِ إِلَّا بَدءَ كِفَايَةِ الْأَمْرِ ؛ فَبِالْقُوَّةِ يُمْكِنُهُ آدَاءُ الْعِبَادَةِ ، وَبِالرِّزْقِ يَحْدُ الْقُوَّةُ ، قَالُوا :

إِذَا الرَّدُّ لَمْ يَطْلُبْ مِمَّا شَاءَ لِنَفْسِهِ

فَكُرُوهُ مَا يَلْقَى يَكُونُ جِزَاؤُهُ

« وَاشْكُرُوا لَهُ » : حَيْثُ كَفَاكُمْ أَمْرَ الرِّزْقِ حَتَّى تَرْضَوْهُ لِعِبَادَتِهِ <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَلَنْ تُكْذَّبُوا قَدْ كَذَّبَ أَتَمُّ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ »

وبالْإِنْكَذِبِ عَائِدٌ عَلَى الْمُكْذِبِ ، وَلَيْسَ عَلَى الرَّسُولِ - بَدءُ تَبْلِيغِهِ الرِّسَالَةَ بِمَحِثٍ لَا يَكُونُ فِيهِ تَقْصِيرٌ كَيْ يَكُونَ مُبَيَّنًا - شَيْءٌ آخَرٌ . وَإِلَّا يَكُونُ قَدْ خَرَجَ عَنْ عَهْدَةِ الْإِثْرَامِ .

وَفِيهَا حُلٌّ بِالْمُكْذَّبِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عِوَضًا لِمَنْ يَدْمُ .

قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِي اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ »

(١) فالعبادة الخالصة علامتها أن تكون خالصة للعبود بلا تطلع لمرغى أو مرغى ؛ والنبية عن أي (وارد من تذكر ثواب أو تفكر عقاب) الرسالة ص ٤٠ .

(٢) آية ١٣٢ سورة طه .

(٣) حتى القشيري يتوسّع التسليم في الأسلوب لقرآن سين ناقش ترتيب الكلام على نحو مقتضى أعاد .

الذى دأخلهم فيه الشك كان بمثابة الخلق ، فلحق عليهم بما أراهم من إعادة فصول السنة بعد تضيئها على الوجه الذى كان فى العام الماضى . ويكفى أن يجمع أجزاء المكلفين بعد انقضاء البنية كإعادة فصول السنة ؛ فكما أن ذلك سائق فى قدرته غير مستنكر فكذاك بمثابة الخلق .

وكما فى فصول السنة تتكرر أحوال العبادة فى الأحوال العامة المشتركة بين الكافة ، وفى خواص أحوال المؤمنين من استيلاء شهوات النفوس ، ثم زوالها ، إلى موالاة الطاعات ، ثم حصول الفترة ، والعود إلى مثل الحالة الأولى ، ثم بعد ذلك الانتباه بالثوبة . . كذلك تتكرر عليهم الأحوال .

وأرباب القلوب تصاحب أحوالهم فى القبض والبسط ثم فى الهيبة والأنس ، ثم فى التجلى والشكر ، ثم فى البقاء والبقاء ، ثم فى الشكر<sup>(١)</sup> والصبر . . وأمثال هذا كثير . وفى هذا المعنى قوله :

« قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ  
ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ »

وفى معنى تكرير الأحوال ما أنشدوا :

كلُّ نَهْجٍ فِيهِ مَا قَدْ جَرَى

فإليه المآل . يوماً سيعود

قوله جل ذكره : « يُدَبِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ  
وإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ »

أجناس ما يدبب به عباده وأنواع ما يرجم به عباده . . لانهاية لها ولا حصر ؛ فمن ذلك أنه يدبب من يشاء بالخللان ، ويرحم من يشاء بالإيمان . يدبب من يشاء بالجهود والفتور ،

---

(١) وردت فى ص (الشك) وفى م (الشكر) والصواب هذه لأنها تلائم السياق . فالسبر والصبر حالان من أحوال الفتنة .

ويرحم من يشاء بالترحم والوجود . يذب من يشاء بالرحم ويرحم من يشاء بالقناعة . يذب من يشاء بفرقة المم ويرحم من يشاء بمجتمع الممة . يذب من يشاء بإلقائه في ظلمة التدبير ، ويرحم من يشاء بإشهاده جريان التدبير . يذب من يشاء بالاختيار من نفسه ، ويرحم من يشاء بنهاه بحكم ربه . يذب من يشاء بإعراضه عنه ، ويرحم من يشاء بإقباله عليه . يذب من يشاء بأن يكلفه ونفسه ، ويرحم من يشاء بأن يقوم بمسئوليه . يذب من يشاء بحب الدنيا ويمنها عنه ، ويرحم من يشاء بتزهده فيها ويسئطها عليه . يذب من يشاء بأن يثبته في أوطان المادة ، ويرحم من يشاء بأن يقيمه بأداء العبادة ... وأمثال هذا كثير .

قوله جل ذكره : « وما أنتم بمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ » .

قَلْبُ الْجَلَّةِ فِي الْقُبَّةِ ، وَتُجْرَى عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ التَّدْبِيرِ : جَعَلُوا أَمْ وَحَدُوا ، أَقْبَلُوا أَمْ أَعْرَضُوا .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَاتِلَهُ أُولَئِكَ يَلْسَنُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

تَجَلَّتْ عُقُوبَتُهُمْ بِأَنْ يَلْسَنُوا مِنْ رَحْمَتِهِ . . . وَلَا عُقُوبَةُ أَشَدُّ مِنْ هَذَا .

قوله جل ذكره : « فَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

لَمَّا عَجَزُوا عَنْ جَوَابِهِ وَلَمْ يَسَاعِدْهُمُ التَّنْفِيقُ بِالْإِجَابَةِ أَخَذُوا فِي مَعَارَضَتِهِ بِالْتَهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالسَّفَاهَةِ وَالتَّوْبِيخِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى صَرَفَ عَنْهُمْ كَيْدَهُمْ ، وَكَفَاهُ مَكْرَهُمْ ، وَأُطْلِعَ عَلَيْهِمْ حُجَّتَهُ (١) ،

(١) أطلع الله عليهم حجة أي أظهرها وأثبتها .

وأظهر للكافة عجزهم ، وأخبر عما يلصقهم في مآلهم من استحقاق العن والطرود ، وضوء  
الموانع والغزوى .

قوله جل ذكره : « فَأَمَّنْ لَهُ لَوْطُ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى  
رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

لَا تَنْصَحُ الْمَجْرُءُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا بِالْبَيْرِى - بِالْكَالِ - بِالْقَلْبِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ . وَالْمَجْرُءُ بِالنَّفْسِ  
يَسِيرُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَجْرُءِ بِالْقَلْبِ - وَهُوَ هَجْرَةُ الْخُلُوصِ ؛ وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنْ أَوْطَانِ التَّفَرُّقَةِ  
إِلَى سَاحَاتِ الْجَمْعِ . وَالْجَمْعُ بَيْنَ التَّعْرِيجِ فِي أَوْطَانِ التَّفَرُّقَةِ وَالْكَوْنِ فِي مُشَاعِدِ  
الْجَمْعِ مُتَكَافٍ<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا  
فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ  
أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَيْنٌ  
الصَّالِحِينَ » .

لَسَا لَمْ يُجِبْ قَوْمُهُ ، وَبَذَلَ لَمْ يَنْصَحْ<sup>(٢)</sup> ، وَلَمْ يَدْخُرْ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنَ الشُّفْعَةِ - حَقَّقَ اللَّهُ  
مَرَادَهُ فِي نَسْلِهِ ، فَوَهَبَ لَهُ أَوْلَادَهُ ، وَبَارَكَ فِيهِمْ ، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْكِتَابَ وَالنُّبُوَّةَ ،  
وَاسْتَخْلَصَهُمْ مِنَ الْخَيْرَاتِ حَقَّ صَلَاحَاتِ أَهْلَائِهِمْ لِلْقَبُولِ ، وَأَحْوَالِهِمْ لِلْإِحْقَالِ عَلَيْهَا ، وَخَوَسَهُمْ لِقِيَامِ  
بِمَادَتِهِ ، وَأَسْرَارُهُمْ لِشَاهِدَتِهِ ، وَقَوَاهُمْ لِمَرْفَعَتِهِ .

« وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ » لَدُنُوهُ وَالزَّلَّةُ وَالْتِصَامُ بِالْقَرَبَةِ .

قوله جل ذكره : « وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ  
الْقَالِحَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ  
مِنَ الْعَالَمِينَ » .

---

(١) مَا يَكُونُ كَسَبَابِ الْعَبْدِ وَمَا يَلْقَى بِأَسْوَاقِ الْبَيْتِ فَهُوَ فَرْقٌ وَمَا يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْحَقِّ مِنْ إِدَاءِ سَائِنٍ وَإِدَاءِ  
لُطْفٍ وَإِسْخَانٍ فَهُوَ جَمْعُ الْإِلَاحَاتِ الْخَلْقُ مِنْ بَابِ التَّفَرُّقَةِ وَإِلَاحَاتِ الْحَقِّ مِنْ لَمَتْ الْجَمْعِ (الرَّسَالَةُ ص ٢٨) .  
(٢) فِي صَرْذَاءِ النَّاسِ (فِي أَوْطَانٍ) وَهُوَ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي مِ وَالسِّيَاقُ يُسْتَفْنَى عَنْهَا .

لأنهم على خصلتهم الشنماء ، وما كانوا يتصاطعون على الله من الاجترار ، وما يُضَيِّعُونَهُ من المعروف ، ويأتون من المنكر الذي جعلته تغليته النساق مع فسقهم ، وترك القبض على أيديهم ، وقلة الاحتشام من اطلاع الناس على قبايح أعمالهم . ومن ذلك قلة احترام الشيوخ والأكابر ، ومنها القسوف في التوبة ، ومنها التفاخر بالزلة .

فما كان جوابهم إلا استجبال العقوبة ، خلل بهم من ذلك ما أهلكهم وأهلك من شاركهم .

قوله جل ذكره : « وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَمَلْنَا كَانُوا ظَالِمِينَ » .

التبس على إبراهيم أمرهم فظنهم أنبياءاً ؛ فكلف لم تقديم الجبل الحنيد جرياً على سُنْبِيهِ في إكرام الضيف . فلما أخبروه مقصودهم من إهلاك قوم لوط تكلم في باب لوط ... إلى أن قالوا : إِنَّا مُنْجِبُوهُ . وكان ذلك دليلاً على أن الله تعالى لو أراد إهلاك لوط — وإن كان بريئاً — لم يكن ظالماً ؛ إذ لو كان قبيحاً لما كان إبراهيم عليه السلام — مع وفرة عليه — يشكل عليه حتى كان يحلل عنه . بل لله أن يمدب من يمدب ، ويصافي من يصافي <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَضَعُوا يَدَهُمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ » .

لما أن رآهم لوط ضيق بهم قلبه لأنه لم يعلم أنهم ملائكة ، نقاف عليهم من فساد قومه ؛ فكان ضيق قلبه لأجل الله — سبحانه ، فأخبروه بأنهم ملائكة ، وأن قومه لن يصيروا إليهم ، فسد ذلك سكن قلبه ، وزال ضيق صدره .

(١) أي أبراه من الملائكة والنبيا وأسمه .

وقال أقرب ما يكون العبد في البلاد من القرج إذا اشتد عليه البلاد ؛ فند ذلك يكون زوال البلاد ، لأنه يصير مُضْطَرًّا ، والله سبحانه وَعَدَ للظلمين وشيك الاجابة<sup>(١)</sup> . كذلك كان لوط في تلك الليلة ، قد ضاق بهم ذَرْعَاهُم لم يلبث أن وَجَدَ الخلاص من ضيقه .  
قوله جل ذكره : « ولقد تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً قَوْمِ يَقُولُونَ » .

فَمَنْ أَرَادَ الاعتَبَارَ فَلْيَنْظُرْ فِي قِصَّتِهَا عِبْرَةً .

قوله جل ذكره : « وإلى مدين أخاهم شعيبا ... »  
الآيات .

ذَكَرَ قصة شعيب وقصة عاد وثمود وقصة فرعون ، وقصة هارون .. وكلهم نَجَّحَ بِضَمِّهِمْ على منوال بعض ، وسلك مسلكهم ، ولم يَقْبَلُوا النصح ، ولم يَبَالُوا بمخالفة رُسُلِهِمْ ، ثم إن الله تعالى أهلكهم بأجمعهم ، إِمضَاءً لِسُنَّتِهِ فِي نَصْرَةِ الضعفاء وقهر الظالمين .

قوله جل ذكره : « مَثَلُ الَّذِينَ أَخْلَعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْفَكْهَاتِ أَخْلَعَتْ يَتَا وَإِنْ أَوْهَنَ الْيَتَا لَبِثَتْ الْفَكْهَاتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

الْفَكْهَاتِ يَتَا : يَتَا : وَلَكِنْ كَمَا زَادَ نَسَبًا فِي يَتَا : زَادَ بُعْدًا فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ ؛ فَهُوَ يَتَا وَلَكِنْ عَلَى غَسِّ يَتَا .. كَذَلِكَ الْكَافِرُ يَسَى وَلَكِنْ عَلَى غَسِّ يَتَا .  
وَيَتَا الْفَكْهَاتِ أ كَثَرَهُ فِي الْوُجُوهِ مِنَ الْجَدْرَانِ ، كَذَلِكَ الْكَافِرُ أَمَرَهُ عَلَى التَّقِيَّةِ<sup>(٢)</sup> وَالْكَتْمَانِ ، وَأَمَّا لِلزُّمَنِ ظَاهِرُ الْعَامِلَةِ ، لَا يَسْتَرُو وَلَا يَدْفَعُونَ<sup>(٣)</sup> .

(١) يشير إلى قوله تعالى : وَأَسْنِ بِحَبِّهِ الْمُسْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ آية ٦٢ سورة النمل .

(٢) التقية عند بعض الفرق الإسلامية معنادا إخفاء الحق ومضاهاة الناس في غير دولتهم .

(٣) دفع على = لم يبين له ما يريد ، ودفع على = ستره .

وبيت المنكيوت أوهن البيوت لأنه بلا أساس ولا جدران ولا سقف ولا يملك على  
أذن «دفع».. كذلك الكافر ؛ لا أصل لشأنه ، ولا أساس لبنائه ، يرى شيئاً  
ولكن بالتخيل ، فأما في التحقيق .. فلا .

قوله جل ذكره : « وتلك الأمثال نَقَرُهَا للناسِ

وما يَتْلُهَا إِلَّا الْعَالِيُونَ » .

الكل يشتركون في سماع الأمثال ، ولكن لا يصنى إليها مَنْ كَانَ قُورَ الْقَلْبِ ،  
كنود الحلال ، متعوداً الكسل ، مُعْرِجاً في أوطان القسَلِ .

قوله جل ذكره : « خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ » .

« بالحق » : أى بالقول الحق والأمر الحق .

قوله جل ذكره : « أَتُلُّ مَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ » .

أى من شأن المؤمن وسيله أن ينتهى عن الفحشاء والمنكر ، أى على معنى ينهى للمؤمن  
أن ينتهى عن الفحشاء والمنكر ، كقوله : « وعلى الله خوكلوا إن كنتم مؤمنين » أى ينهى  
للمؤمن أن يتوكل على الله ، فإن قُدِّرَ أن واحداً منهم لا يتوكل فلا يخرج به ذلك عن  
الايان — كذلك من لم ينته عن الفحشاء والمنكر فليست يخرج صلاته عن كونها صلاة .

ويقال بل الصلاة الحقيقية ما تكون ناعية لصاحبها عن الفحشاء والمنكر ؛ فإن لم يكن من  
العبد انتهاء فالصلاة ناعية على معنى ورود الزواجر على قلبه بالأفعال ، ولكنه يُعْرِضُ ولا يطيع  
تلك الخواطر .

---

(١) أى على أصح دفع



ويقال بل الصلاة الحقيقية ما تنهى صاحبها عن التمتع والمنكر . فإن كان — وإلا فصوره الصلاة لا حقيقتها

ويقال التمتع هو الدنيا ، والمنكر هو النفس .

ويقال التمتع هو للمضى ، والمنكر هو الحفظ .

ويقال التمتع الأعمال ، والمنكر حسابُ النجاة بها ، وقيل ملاحظته الأعراض عليها ، والسرور والفرح بمدح الناس لها .

ويقال التمتع رؤيتها ، والمنكر طلب العوض عليها .

« ولذكر الله أكبر »<sup>(١)</sup> : ذكر الله أكبر من ذكر الخلقين ؛ لأن ذكره قديم وذكر الخلق محدث .

ويقال ذكر المبدئ أكبر من ذكره للأشياء الأخرى ؛ لأن ذكره لله طاعة ، وذكره لغيره لا يكون طاعة .

ويقال ولذكر الله أكبر لك أكبر من ذكرك له .

ويقال ذكره لك بالمعادة أكبر من ذكرك له بالمعادة .

ويقال ذكر الله أكبر من أن يبقى معه وحشة .

ويقال ذكر الله أكبر من أن يبقى القادر معه ذكر مخلوق .

ويقال ذكر الله أكبر من أن يبقى للزلة معلوماً أو مرسوماً .

ويقال ذكر الله أكبر من أن يبش أحد من الخلقين غيره .

ويقال ولذكر الله أكبر من أن يبقى معه التمتع والمنكر سلطاناً ؛ فلحرمة ذكره زلاتُ القادر مغفورة ، وصوبه مستورة .

قوله جل ذكره : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي

---

(١) رأى القشيري في « ولذكر الله أكبر » ، ليس فيه كما يلحظ القاريء تقليل من قيمة الصلاة العادية التي ورثت في الآية نفسها ، كما قد يلحق بعض من يهتمون بالصوفية بأنهم يرفعون ذكرهم ، وينقصون قيمة الصلاة وبالتالي لا يأبهون بها . . . وهذا — كما هو واضح — اتهام باطل .

هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ  
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ  
إِلَيْكُمْ وَإِلَيْنَا وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ  
لَهُ مُسْلِمُونَ »

يقبني أن يكون منك للخصم تبين ، وفي خطابك تليين ، وفي قبول الحق إنصاف ، واعتقاد  
النصرة — لما رآه صحيحاً — بالحجة ، وترك الليل إلى الشيء بالموى .

قوله جل ذكره : « وكذلك أنزلنا إليك الكتاب »  
فالذين آتيناكم الكتاب يؤمنون به  
ومن هؤلاء من يؤمن به وما يعبد  
بآلاتنا إلا الكافرون .

يعني أنهم على أنواع : فرحوم نظرتنا إليه بالنعاية ، ومحروم ومنه بالثقاوة .

قوله جل ذكره : « وما كنت تتلو من قبله من  
كتاب ولا تحطه بيمينك إذا  
لارتلب البطون » .

أي تجرد قلبك عن المعلومات . وقدس سرك عن المرسومات ، فصادقك من غير ممازجة  
طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية<sup>(١)</sup> ، فلا خلا قلبك وسرك عن كل معلوم ومرسوم  
ورد عليك خطاباً وتهميناً غير مقرون بهما مائس منّا .

قوله جل ذكره : « بل هو آيات بينات في صدور  
الذين أوتوا العلم وما يحسد بآياتنا  
إلا الظالمون » .

قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن النيب ، فيها أودع براهين حقه ، وبينات سركه ،  
ودلائل توحيده ، وشواهد ربهيته ؛ قانون<sup>(٢)</sup> الحقائق قلوبهم ، وكل شيء يطلب من موطنه

(١) أي أن هذه الآيات تلحق علوم الإنسان حياً لا تكون عارضة .

(٢) من معاني كلمة ( القانون ) طريق الشيء وأصله .

ومحله؛ فالدرُّ يُطلبُ من الصدف لأن ذلك مكه، والشمس تطلب من البروج لأنها مطلما،  
والشهد يُطلب من الحل لأنه عنه. كذلك المرفة<sup>(١)</sup> تطلب من قلوب خواصه لأن ذلك قانون  
معرفة. ومنها ( . . . )<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره: « وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه  
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا  
نَذِيرٌ مُبِينٌ »

خَفِيتَ عليهم حالتُ - يا محمد - فضالبوك بإقامة الشواهد ، وقالوا : « لولا أنزل عليه  
آيات . . . » أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ مَا أَوْخَعْنَا عَلَيْكَ مِنَ السَّيْلِ ، وَأَتْلَفْنَاكَ مِنَ الدَّلِيلِ ؛ يُنْقَلُ عليهم  
ذلك ، ولا يَمَكِّنُهُمْ معارضته ولا الإتيان بشيء من مثله ؟! هذا هو الجعود وغاية الكُنُود !

قوله جل ذكره: « قُلْ كَفَى بِالْقَوْمِ بَيِّنًا وَنَذِيرًا  
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاقِفِينَ  
آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ م  
الْخَالِفُونَ »

أَنَا عَلَى حَقٍّ وَاللَّهُ - سبحانه - يعلمه ، وَأَنْتُمْ لَسْتُمْ عَلَى حَقٍّ وَاللَّهُ يعلمه .

قوله جل ذكره: « وَيَسْتَجِيبُكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ  
مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ  
وَمَ لَا يَشْعُرُونَ »

لَوْلَا أَنِّي ضَرَبْتُ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا لَكَبَّجْتُ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَلَيَأْتِيَنَّهُمُ الْعَذَابُ - حِينَ  
يَأْتِيهِمْ - بَغْةٌ وَغَافَةٌ .

(١) ورد في ص بهد كلمة المرفة (وصف الحق) وربما كانت (يوصف الحق) وهي غير موجودة في م ،  
ونرجح أنها موجودة في الأصل بدليل اقتران الصبر ؛ (خواصه) .  
(٢) في ص (توقع نسخة توحيد) وفي م (يرفع نسخة توحيد) وكلاهما غامض في الكتابة وإن كنا نستطيع  
أن نفهم أن التوحيد - وهو أقصى درجات المعرفة - محله قلوب الخواص .

قوله جل ذكره . « يَوْمَ يَشَاهِمُ الْمُذَابِقُونَ مِنْ فَوْقِهِمْ  
وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ يَقُولُ ذُوقُوا  
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

وإذا أحاطت بهم في جهنم سرادقات المذاب فلا صريح لهم ، كذلك - اليوم - مَنْ  
أحاط به المذاب ؛ مِنْ فَوْقِهِ الْأَمْنُ وَمَنْ تَحْتَهُ الْخِلْفُ ، وَمَنْ حَوْلَهُ الْخِزْيُ ، وَيُلْبِسُ لِبَاسَ  
الْخِلْدَانِ ، وَيُوسِمُ بِكَيِّ الْحَرَمَانِ ، وَيُسْقَى شَرَابَ الْقَنُوطِ ، وَيَتَوَجَّعُ بِلَاحِ الْخَلِيَةِ ، وَيُقَيِّدُ بِقَيْدِ  
السُّخْطِ ، وَيَقْلُ بِقُلِّ الْمَدَاوَةِ ، فَهُمْ يُسَجِّونَ فِي جَهَنَّمَ الْقِرَاقِ حُكْمًا ، إِلَى أَنْ يُلْقَوْا فِي جَعَمِ  
الْإِحْتِرَاقِ عَيْنًا .

قوله جل ذكره : « يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي  
وَاسِعَةٌ فَلْيَلْبِسُوا قَابِغِينَ »

الدنيا أوسع رقعة من أن يضيق بمريد مكان ، فإذا نَبَا به منزل - لوجه من الوجوه -  
إِثْمًا لمعلم حصل ، أو لقبول من الناس ، أو جاء ، أو لعلاقة أو تقريب أو ليلاء ضد ، أو لوجه  
من الوجوه الضارة . . . فسيبيله أن يرتحل عن ذلك الموضع ويفتل إلى غيره ، كما قالوا<sup>(١)</sup> :

وَإِذَا مَا جِئْتُ كُنْتُ حَسْرَتًا  
أَنْ أَرَى غَيْرَ مُصْبِحٍ حَيْثُ أُمِسْتُ

وكذلك المارف إذا لم يوافق وقته مكان انتقل إلى غيره من الأماكن<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا  
نَرْجِعُونَ »

إذا كان الأمر كذلك فالراحة معطوفة على تهوين الأمور ؛ فسيبيل المؤمن أن يوطن نفسه

(١) البحرى في السنية .

(٢) تمبر هذه الفقرة عن رأى التشيرى فيما يعرف عند الصوفية (بالسفر) فهو يجيزه المارف ، أما بالنسبة للمريد  
فإنه يرى عدم السفر ؛ لأن ثبات المريد في مكان به ابتلاء هروب من مواجهة الابتلاء وذلك آية ضعف في الإرادة ؛  
(ومن آداب المريد بل من فرائض حاله أن يلزم موضع إرادته وألا يسافر قبل أن تقبله الطريق وقبل الوصول  
بالقلب إلى الرب ، فإن السفر للمريد في غير وقتله سم قاتل) (الرسالة ص ٢٠٠) .

على الخروج مستمداً له ، ثم إذا لم يحصل الأجلُ فلا يستعجل ، وإذا حضر فلا يستقل ، ويكون بحسبِ الوقت ، كما قالوا :

لو قال لي مُتْ مِتْ سَمَاءَ وطاعةً

وقلتُ لِماعى الموت : أهلاً ومرحباً

قوله جل ذكره : « والذين آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لنُؤْتِيَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرُفًا تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أُنْزِلُوا

إِلَيْهِمْ » .

هم - اليوم - في غُرُفٍ معارفهم على أَسِرَّةٍ وَصَلِهِم ، مُتَوَجِّوْنَ بَنِيَّانِ سِيَادَتِهِمْ ، يُسْتَوْنَ كَاسَاتِ الرَّجْدِ ، وَيَجْبُرُونَ فِي جَنَّاتِ التُّرْبِ ، وَعَلَى كَمَا قَالَ : -

« الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رِجْمِهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »

والصبرُ الوقوفُ مع الله بشرط سقوط الفكرة .

الصبرُ المكوفُ في أوطان الوفاء ، الصبرُ حبسُ النفسِ على فِطامها .

الصبرُ مَجْرُوحُ كَاسَاتِ التَّظْدِيرِ من غير تمييز .

الصبرُ صفة توجب مَعِيَّةَ الْحَقِّ . . وَأَعَزُّ ذِئْبِهَا !

وأولُ الصبرِ تصبُّرٌ بِشَكْلِهِ ، ثم صبرٌ بِسَهْوَةٍ ، ثم اصطبارٌ وهو ممزوج بالراحة ، ثم مُحَقَّقُ بَوْصَفِ الرِّضَا ؛ فيصير البدنُ فيه مَحْمُولاً بد أن كان مُتَحَيِّلاً .

والتوكلُ اعتِظَارُ مع استِثَار ، والتوكلُ سُكُونُ السَّرِّ إِلَى اللَّهِ ، التوكلُ استِغْلَالُ بِحَقِيقَةِ التوكلِ ؛ فلا تنبَرِّم في الخلوة باقْطَاعِ الْأَغْيَارِ عَنْكَ . التوكلُ إِعْرَاضُ الْقَلْبِ عَنْ غَيْرِ الرَّبِّ .

قوله جل ذكره : « وَكَأَيِّنْ مِنْ حَايَةٍ لَا تَعْمَلُ رِزْقَهَا اللَّهُ

يَرْزُقُهَا وَإِلَيْكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

« لا تحمل رزقها » أي لا تلخره ، فمن لم يدخر رزقه في كفيه أو خزائنه فإِنَّهُ يَرْزُقُهُ مِنْ غَيْرِ مَقْلَعَةٍ تَصِبُّ مِنْهُ .

ويقال « لا تحمل رزقها » التصود بها الطيور والسياح إذ ليس لها معلوم ، وليس لها بيت تجمع فيه القوت ، وليس لها خازن ولا وكيل .. الله يرزقها وإياكم .

ويقال إرادةُ الله في أن يستنيكَ ولا يقبضَ رُوحَكَ أقوى وأتمُّ وأكبرُ من تمنّيكَ لأجلِ بقاءك .. فلا ينبغي أن يكونَ اعتناؤُكَ بسببِ عَيْشِكَ أتمَّ وأكبرَ من تدبيرِ صانعك لأجلِ بقاءك .

قوله جل ذكره : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ » .

إذا سئِلُوا عن الخالق أَمَرُوا بِاللَّهِ ، وإذا سئِلُوا عن الرزاق لم يستقروا مع الله .. هذه مناقضةٌ ظاهرة !

قوله جل ذكره : « اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

الرزق على قسمين : زرزق الظواهر ومنه الطعام والشراب ، ورزق السرائر ومنه الاستقلال بالمعاني بحيث لا يعصره تكلف الكلام ، والناسُ فيهم مرزوقٌ ومَرْقُوعٌ عليه ، وفيهم مرزوقٌ ولكن مُضَيَّقٌ عليه .

قوله جل ذكره : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ  
اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْقِلُونَ » .

كَمَا عَلِمُوا أَنَّ حَيَاةَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا بِالطَّرِيقِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ حَيَاةَ النَّفْسِ  
بَعْدَ مَوْتِهَا — عِنْدَ الْقَسْرِ وَالْمَيِّتِ — بَعْدُةٌ اللَّهُ . وَكَمَا عَلِمُوا ذَلِكَ فَلْيَعْلَمُوا أَنَّ حَيَاةَ الْأَرْوَاقِ  
بَعْدَ فُرُوتِهَا ، وَحَيَاةَ الْقُلُوبِ بَعْدَ فُرُوتِهَا ... بِمَاءِ الرَّحْمَةِ بِاللَّهِ .

قوله جل ذكره : « وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلَّا لَهْوٌ وَلَيْسَ بِالْغَايَةِ الْآخِرَةِ لِمَنِ

الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » .

الدنيا كالأحلام ، وعند الخروج منها أثقله من النوم . والآخرة هناك العيش بكامله ،  
والتخلص — من الوحشة — بتمامه ودوامه .

قوله جل ذكره : « فَإِنَّا رَكَّبْنَاهَا فِي

النُّفُسِ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا

تَبَيَّنَ إِلَى الْإِنسَانِ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ » .

الانحلاص تفرغ القلب عن الكل ، والثقة بأن الانحلاص ليس إلا به — سبحانه ،  
والتحقق بأنه لا يستكبر حالاً في المحمودات ولا في اللذومات ، فشد ذلك يبدونه مخلصين له  
الدين . وإنا توالت عليهم الضرورات ، وانقطع عنه الرجاء أذعنوا لله متضرعين ( فلما كشف  
الضرر عنهم عادوا إلى الغفلة ، ونسوا ما كانوا فيه من الحال كما قيل )<sup>(١)</sup> :

إِذَا ارْءَوْا عَادَ إِلَى جِهَتِهِ كَذَّبَ الضُّعْفُ عَادَ إِلَى نُكْبَتِهِ

قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَاءْنَا حَرَمًا آمِنًا

وَيُخَفِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالِ الْبَاطِلِ

يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ » .

مَنْ عَلَيْهِمْ يَدْفَعُ الْخَيْرَ عَنْهُمْ وَكَوْنِ الْحَرَمِ آمِنًا . وَذَكْرُهُمْ عَظِيمَ إِحْسَانِهِ عَلَيْهِمْ ،  
ثُمَّ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ شُكْرِ ذَلِكَ .

(١) ما بين النفوس موجود في م وغير موجود في م ، والسياق يتطلبه ؛ لأن الشاهد الضمير الموجود  
في النسختين يلوذ منه .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ

فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ » .

أى لا أحد أشد ظلمًا ممن افترى على الله الكذب ، وعدّل عن الصدق ، وآثَرَ البهتانَ

ولم يحصر بالصحيح ، أولئك هم الشَّقَاطُ في الدنيا والآخرة .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ جَاءُوا فِينَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

وإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْحَسَنِينَ » .

الَّذِينَ زَيَّنُوا ظُؤَاهِرَهُم بِالْجَاهِلِيَّاتِ حَسَّنَتْ سِرَاطَهُم بِالْإِسْلَامِيَّاتِ . الَّذِينَ شَفَعُوا ظُؤَاهِرَهُم

بِالْغُلَاطِفِ أَوْصَلَنَا إِلَى سِرَاطِهِمُ الْغُلَاطِفِ . الَّذِينَ قَالُوا فِينَا النَّسَبَ مِنْ حَيْثُ الصَّلَواتِ جَازَيْنَاهُمْ

بِالْقُرْبِ مِنْ حَيْثُ لِلْوَاصِلَاتِ .

ويقال الجهاد فيه : أولاً بترك المحرّمات ، ثم بترك المشبهات ، ثم بترك التفضلات ، ثم بقطع

العلاقات ، والتنفّي من الشواغل في جميع الأوقات .

ويقال يحفظ الحواس لله ، ويبدّد الأَخْلَاسَ مع الله .



## السورة التي يذكر فيها الروم

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

بسم الله اسم عزيز شفيعُ المذنبين جوته ، بلاء التائبين قصوده ، ضياء الموحدين عهدده .  
وسلوة الحزوين ذكره ، وحرفة<sup>(١)</sup> الممتحنين شكره .

اسم عزيز رفاؤه كبريائه ، وجبار سناؤه بهائه ، وبهاؤه علاؤه .  
العابدون حسبهم عطاؤه ، والواجدون حسبهم جأؤه<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تُغْلِبِ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ »

وهم من بعد غلبهم سيظنون •  
في بضع سنين » .

الإشارة في « الألف » إلى أنه أَلِفَ صُحُبَنَا مَنْ عَرَفَ عَظَمَتَنَا ، وأنه أَلِفَ بِلَادَنَا مَنْ  
عَرَفَ كِبَرِيَاءَنَا .

والإشارة في « اللام » إلى أنه لَزَمَ بَابَنَا مَنْ ذاقَ مُحَابِنَا ، وَلَزِمَ بَاطِنَنَا مَنْ  
شَهِدَ جَآنِنَا .

والإشارة في « الميم » إلى أنه مُكِّنَ مَنْ قُرْبَنَا مَنْ قَامَ عَلَى خِدْمَتِنَا ، وَمَاتَ عَلَى وَفَاتِنَا  
مَنْ تَحَقَّقَ بَوْلَانِنَا .

قوله : « غُلِبَتِ الرُّومُ » : سُرَّ السُّلَمُونَ بِفَقْرِ الرُّومِ عَلَى الْعِجَمِ — وَإِنْ كَانَ الْكُفَرُ  
يَجْمَعُهُمْ — إِلَّا أَنَّ الرُّومَ اخْتَصَوْا بِالْإِيمَانِ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُمْ ، وَأَنْزَلَ فِيهِمُ الْآيَةَ ..  
فكيف بمن يكون سروره لدين الله ، وحزنه واعتامه لدين الله ؟

(١) الحرفة هنا معناها دأبه ودينه (الوسيلة) .

(٢) لأن يقام به علف لم عن كل شيء ، فكل شيء زال .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَدَأْ

وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ • بَنَصَّرَ اللَّهُ

بَنَصَّرَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » .

« قَبْلُ » إِذَا أُطْلِقَ اتَّعَظَ الْأَوَّلُ ، « وَبَدَأَ » إِذَا أُطْلِقَ دَلَّ عَلَى الْأَبَدِ ؛ فَالْمَعْنَى الْأَمْرُ الْأَوَّلِيُّ لِلَّهِ ، وَالْأَمْرُ الْأَبَدِيُّ لِلَّهِ ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ الْأَوَّلِيَّ وَالسَّيِّدَ الْأَبَدِيَّ إِذَا .

لِلَّهِ الْأَمْرُ يَوْمَ الْقُرْآنِ <sup>(١)</sup> ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ يَوْمَ الْقُرْآنِ .

لِلَّهِ الْأَمْرُ حِينَ الْقِسْمَةِ وَلَا حِينَ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ عِنْدَ النِّعَةِ وَلَيْسَ أَى مَعْنَى <sup>(٢)</sup> .

وَيَقَالُ : لَى الْأَمْرُ « مِنْ قَبْلُ » وَقَدْ عَلِمْتُ مَا تَقُولُونَ ، فَلَا يَنْصَحُ أَحَدٌ مِنْ تَحْقِيقِ عِرْفَانِكُمْ ، وَلَى الْأَمْرُ « مِنْ بَدَأَ » وَقَدْ رَأَيْتُ مَا فَطَّمْ ، فَلَا يَنْصَحُ أَحَدٌ مِنْ غِرْفَانِكُمْ .

وَقِيلَ « لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ » بِتَحْقِيقِ وَدَّكُمْ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ بَدَأَ بِمَحْضِ عَهْدِكُمْ :

لَمْ يَ - عَلَى جَنَاحَاتِهَا - وَبَرَّبَّهَا

وَبِكَلِّ مُصَلِّ بِهَا مُتَوَسِّلٌ <sup>(٣)</sup>

« وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصَّرَ اللَّهُ » :

الْيَوْمَ لِإِدْجَافِ السَّرُورِ وَلِإِعَا

يَوْمَ اللَّقَاءِ حَقِيقَةِ الْإِرْجَافِ

الْيَوْمَ تَرَحُّ وَغَدًا فَرَحٌ ، الْيَوْمَ مَهْمَةٌ وَغَدًا حَبْرَةٌ ، الْيَوْمَ أَسْفٌ وَغَدًا لُطْفٌ ، الْيَوْمَ بَكَاءٌ وَغَدًا قِيَامٌ .

قوله جل ذكره : « وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ

وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ »

(١) هَكَذَا فِي مَوْحِي فِي مَوْحِي (الْقُرْآنِ) ، وَلِلْمَرْقَةِ وَالْقُرْبِ يَحْمِيَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، أَمَّا الْفَرَانِ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْحِسَابِ .

(٢) هَكَذَا فِي مَوْحِي فِي مَوْحِي : (وَقَدْ أَمَرَ عِنْدَ النِّعَةِ وَلَيْسَ فِي مَعْنَى) وَهِيَ فَاسِلَةٌ فِي الْكِتَابَةِ وَالْمَعْنَى ، وَقَدْ أَتَيْنَا مَا جَاءَ فِي مَوْحِي .

(٣) فِي مَوْحِي آخِرُ مِنْ هَذَا الْمَجْلَدِ ..... نَحْنُ هَذَا الْبَيْتَ مَتَّبِعِينَ بِالْبَيْتِ الْفَاتِلِ (الَّذِي فِيهِ خَيْرٌ مِنْ) : لَأَسْبَحَ وَأَسْبَحَ مَنَظَرًا لَلَّهِ تَوَلَّى بِهِ وَأَسْبَحَ أَهْلَ الْقُرْآنِ

السكرمُ لا يُخَفُّ وعده لاسيا والصدقُ نفعه .

يقول المؤمنون : مينا يومَ الليثاقِ وعدُّ بالطاعة ، ومنه ذلك اليومَ وعدُّ بالجنة ،  
فلئن وقع في وعدنا تحصيلُ لا يقع في وعده مُصَوِّرٌ .

قوله جل ذكره : « يملون ظاهراً من الحياة الدنيا » .

وم عن الآخرة هم غافلون » .

استغراقهم في الاشتغال بالدنيا ، وأنها لهم في تعليق القلب بها . . . منهم عن  
العلم بالآخرة . وقيمة كل امرئٍ عليه بالله ؛ ففي الأثر عن عليٍّ — رضى الله عنه —  
أنه قال : أهل الدنيا كلُّ غفلةٍ من الآخرة ، وللشغلون بلم الآخرة كذلك بوجودها  
في غفلة عن الله .

قوله جل ذكره : « أولم يشكروا في أنفسهم ما خلق الله »

السموات والأرض وما بينهما إلا بالحقِّ

وأجل مسمى وإن كثيراً من الناس بقاء

رُحْمٍ لكافرون » .

إنَّ مَنْ نَظَرَ حَقَّ النظر ، وَوَضَعَ النظر موضته أثمر له العلم واجباً ، فإذا استبصر بنور البتين  
أحكامَ الغائبات ، وَعَلِمَ موعوده الصادق في المستقبل — نجا من كدِّ التردد والتجوز<sup>(١)</sup> .  
فسيبيلُ مَنْ حَمَلَهُ أَلَا يَمْنَحَ إِلَى التَّصْصِيرِ فَيَا بِهِ كَالسَّكُونِ .

قوله جل ذكره : « أولم يسيروا في الأرض فينظروا

كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

كانوا أشدَّ منهم قوةً وأناروا الأرضَ

وعمرُّوها أكثرَ مما عمرُّوها ، وجعلناهم

(١) التردد والتجوز آتجان تصيبان — في نظر القشيري — العقل ، بين القلب والروح والسر وعن السر

لا تصاب بهما .

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ  
وَلَكِنْ كَانُوا أَشْقَمَ يَظْلِمُونَ .

سَيَّرَ النفوسَ في أقطار الأرض وما كُفِّها لأداء العبادات، وسَيَّرَ القلوبَ بِمَوَلاَنِ النِّكْرِ  
في جميع المخلوقات ، وغايتُه الظُّفْرُ بِمَقَاتِنِ العلوم التي توجبُ تلجُ الصدر — ثم تلك العلوم على  
درجات . وسير الأرواح في ميادين التَّيْبِ بنمت خرق سرادقات لللكوت ، وقصاراه الوصولُ  
إلى محلِّ الشهود واستيلاء سلطان الحقيقة . وسير الأسرار بالتفرُّق عن الحدِّثَانِ<sup>(١)</sup> بِأَسْرِهِا ،  
والتَّحَقُّقِ أولاً بالصفات ، ثم بِالْعُودِ بِالْكَلِيَّةِ عَمَّا سِوَى الْحَقِّ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا  
الشَّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا  
بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ » .

مَنْ ذَرَعَ الشُّوكَ لَمْ يَحْصُدِ الْوَرْدَ ، وَمَنْ اسْتَقْبَلَ الْحَشِيشَ لَمْ يَخْطِفِ الثَّوْرَ ، وَمَنْ سَلَكَ  
طَرِيقَ النَّفَى لَمْ يَحْتَمِلْ بِسَاحَةَ الرُّشْدِ .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ يَدُ الْخَلْقِ ثُمَّ يَعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ  
تَرْجِعُونَ » .

يبدأ الخلق على ما يشاء ، ثم يعيده إذا ما شاء على ما يشاء .

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْجَحِيمُونَ » .

شهودُهم ما جحدوه في الدنيا عياناً ، ثم ما يضاف إلى ذلك من اليأس سد ما يعرفون  
قطاً<sup>(٣)</sup> هو الذي يفت أ كبداهم ، وبه تمَّ محنتهم .

قوله جل ذكره : « وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ  
وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ » .

(١) المقصود بالحدِّثَانِ المخلوقات إذ لها أولُ وابتداء، ولها آخر وانتهاء .

(٢) انظر بضمير ص هذا الترقى صفحة ٤٨٦ (المجلد الأول من هذا الكتاب) .

(٣) لأن سرقتهم المنيية تقطع كل شك كان يراودهم في الحياة الدنيا ، فلا مجال يومتد لأمل زائف .

تطلب العداوة من بعض على بعض .

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ هُمُ السَّاعَةِ يُفْرَقُونَ » .  
فريق منهم أهل الوصلة ، وفريق هم أهل الفارقة . فريق الجنة واللذة ، وفريق العذاب والحنة . فريق في السعير ، وفريق في السرور . فريق في الثواب ، وفريق في العذاب .  
فريق في الفراق ، وفريق في التلاق .

قوله جل ذكره : « فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ » .

فهم في رياضٍ وغياضٍ

« وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
وَلِئَالِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ  
مُخْمَرُونَ » .

فهم في بوارٍ وهلاكٍ .

قوله جل ذكره : « فَجُحَانٌ أَفْقَرُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ  
تُصْبِحُونَ • وَلَهُ الْمَدَدُ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ » .  
من كان صباحه لله يورث له في يومه ، ومن كان مساءه بالله يورث له في ليله :

وإنَّ صَبَاحًا تَلْتَقِي فِي مَسَاءِهِ صَبَاحٌ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ حَيْبُ  
شَتَانٍ بَيْنَ عَبْدٍ صَبَاحُهُ مُفْتَتِحٌ بِبِلَادَتِهِ وَمَسَاءُهُ مُخْتَمٌ بِعِلَاقَتِهِ ، وَبَيْنَ عَبْدٍ صَبَاحُهُ مُفْتَتِحٌ  
بِمَشَاهِدَتِهِ وَوِوَااحُهُ مُنْتَهَجٌ بِزِينَةِ قَرْبَتِهِ !

وقال الآية تتضمن الأمر بتسبيحه في هذه الأوقات ، والآية تتضمن الصلوات الخمس <sup>(١)</sup> ،

---

(١) قبل لامين عباس : هل تجد الصلوات الخمس في القرآن ؟ فقال : نعم وتلا هذه الآية . (حين تمسرون) صلاة المغرب والمساء ، (وحين) تصبحون صلاة الفجر ، (وعشيًا) صلاة العصر ، (وحين تظهرون) صلاة الظهر .

فإرادة الحق من أولياته بأن يمددوا العهد في اليوم واليلة خمس مرات ؛ خفف على بساط  
الفتاة ، وتستدرك ما فاتك فيما بين الصلاتين من طوارق الزلات .

قوله جل ذكره : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ  
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُمِيطُ الْأَرْضَ بَدَ  
مُوتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ » .

« يخرج الحي من الميت » : الطير من البيض ، والحيوان من النطفة .

و « يخرج الميت من الحي » : البيض من الطير ، والنطفة من الحيوان .

والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

ويُطْفِئُ أَوْفَاتًا مِنْ بَيْنِ أَوْفَاتٍ ؛ كالتبويض من بين أوقات البسط ، والبسط من بين  
أوقات التبويض .

« ويميط الأرض بدم موتها » : يمجها بالمطر ، ويأتي به ربيع بعد وحشة الشتاء ؛ كذلك  
يوم التشور يمحي الخلق بعد الموت .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ  
ثُمَّ إِذَا أَتَمَّ بَدَنَكُمْ تَسْتَعْرُونَ » .

خَلَقَ آدَمَ مِنَ التُّرَابِ ، ثُمَّ مِنْ آدَمَ النَّفْسَ . فَذَكَرَهُمْ نَسَبَتَهُمْ لِثَلَاثَةِ أَسْمَاءٍ بِأَحْوَالِهِمْ .

وقال الأصل ترربة ولكن البعثة بالتربة لا بالتربة ، القيمة لما ينبت لا لأعيان المخلوقات .

اصطفى واختار الكعبة فهي أفضل من الجنة ؛ الجنة جواهر ويواقيت ، والبيت حجر ؛ ولكن  
البيت مختاره وهذا المختار حجر ؛ واختار الإنسان ، وهذا المختار مدبر ؛ والنفس نبي الآتية ،  
غنى عن كل غير من ربه وأمر .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ  
أَزْوَاجًا لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مودةً ورحمةً لئن في ذلك لآياتٍ  
لقومٍ يذكرون .»

رَدُّ اللَّيْلِ إِلَى اللَّيْلِ ، وَرَبَطُ الشَّكْلِ بِالشَّكْلِ ، وَجَلَّ سَكُونُ الْبَعْضِ إِلَى الْبَعْضِ ،  
وَلَكِنْ ذَلِكَ لِلْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ ، أَمَّا الْأَرْوَاحُ فَصُحْبَتُهَا لِلْأَشْبَاحِ كَرَّةً لَا طَوْعَ (١) .  
وَأَمَّا الْأَسْرَارُ فَمُتَعَمِّقَةٌ لَا تَسَاكُنُ الْأَطْلَالَ وَلَا تَعْدُسُ بِالْأَعْلَالِ .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ »  
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ .»

خَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي عِلْمِهَا وَالْأَرْضَ فِي دُنُوِّهَا ؛ جَنَدَ بِجَوْنِهَا وَكَوَاكِبَهَا ، وَهَذِهِ بِأَقْطُلِهَا  
وَمَنَاجِبِهَا . وَهَذِهِ بِشَسْمَا وَقَرَمَا ، وَهَذِهِ بِمَائِنَا وَمَقْدَرَمَا .

وَمِنْ آيَاتِهِ إِخْلَافُ لَنَاتِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَإِخْلَافُ تَسْبِيحَاتِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ سَكَنِ  
السَّمَاءِ . وَإِنَّ إِخْتِصَاصَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِحُكْمٍ — شَاعِدٌ هَذَا — وَدَلِيلٌ حَقِيقٌ عَلَى أَنَّهَا تَعْلَمُ  
أَفْكَارَ الْمُتَعَقِّلِينَ ، وَتَتَلَدَّى عَلَى أَفْهَمِهَا . أَنَّهَا جَمِيعُهَا مِنْ قَدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَاجِمُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَاجْتَاوُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ  
لقومٍ يسمعون .»

غَلَبَةُ النَّوْمِ بِغَيْرِ إِخْتِيَارٍ صَاحِبِهِ ثُمَّ انْتِبَاحُهُ مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابٍ لَهُ بِوَسْئِهِ يَدُلُّ عَلَى مَوْتِهِ  
وَبَشِيرِهِ بِدَ ذَلِكَ وَقَتَ تَشْوَرِهِ . ثُمَّ فِي حَالِ مَنَامِهِ يَرَى مَا يَسْرُهُ وَمَا يَضُرُّهُ ، وَعَلَى أَوْصَالِهِ  
كَثِيرَةٌ أَمْرُهُ .. كَذَلِكَ اللَّيْلِ فِي قَبْرِهِ .. اللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ حَالِهِ فِي أَمْرِهِ ، وَمَا يَقَاهُ مِنْ خَيْرِهِ  
وَشَرِّهِ ، وَنَعْمَهُ وَضَرَّهُ ؟

---

(١) فكرة اقتراب الروح من مصورها الأصلي ، وليلتها في داخل البدن ، ذلك التلغص المادي أو السجني  
لترابي — تحيل أحياناً كبيراً منه شعراء الصوفية (أنظر كتابنا « فناء الصوف: الإصلاح » فصل الطبيعة) .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْسِلُ الرِّيحَ فَتُفْثِنُهَا  
وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ  
بَدْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانًا فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ » .

يُفْثِنُ فِي الْقُلُوبِ مِنَ الرِّجَاءِ وَالتَّوَقُّعِ فِي الْأُمُورِ ، ثُمَّ يَخْتَفِ بِهِنَّ الْحَالُ ؛ فَمِنْ عِبَرِهِ يَحْصُلُ  
مَقْصُودُهُ ، وَمِنْ آخِرِهِ يَتَّقَى مُرَادُهُ .

وَالْأَحْوَالُ الْإِطْلَافُ كَالْبُرُوقِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا لَوَائِحُ ثُمَّ لَوَائِحُ ثُمَّ طَوَالُ ثُمَّ شَوَارِقُ ثُمَّ مَتَوَعُ  
النَّهَارِ (١) ، فَالْوَائِحُ فِي أَوَائِلِ الْعُلُومِ ، وَالطَّوَالُ مِنْ حَيْثُ الْفَهْمِ ، وَالشَّوَارِقُ مِنْ حَيْثُ  
الْمَعْرِفِ (٢) ، وَالشَّوَارِقُ مِنْ حَيْثُ التَّوْحِيدِ .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَحْمِلَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ  
بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ  
إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ » .

يُقْنِى هَذِهِ الْأَحْوَالَ ، وَيُنَبِّئُ هَذِهِ الْأَطْوَالَ ، وَيَبْدُلُ أَحْوَالَ غَيْرِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ ؛ إِمَامَةً ثُمَّ  
إِحْيَاءَ ، وَإِعَادَةً وَقَبْلَهَا إِبْدَاءَ ، وَقَبْرَ ثُمَّ نُشْرَ ، وَمَعَاتِبَ فِي الْقَبْرِ ثُمَّ مَحَلَّةَ بَعْدَ النُّشْرِ .

قوله جل ذكره : « وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ  
قَاتِلُونَ » .

لَهُ ذَلِكَ مِنْكَ ، وَمِنْهُ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ بِدَعَا ، وَبِهِ إِجْمَاعُ ، وَإِلَيْهِ رَجُوعُ .

قوله جل ذكره : « وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ  
أَعْلَمُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

(١) يَتَّقَى مَوْضِعَ التَّشْبِيرِ مِنْ هَذِهِ الْمُسْطَلَحَاتِ حَتَّى مَعَ مَا ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ وَإِنْ كَانَ قَدْ زَادَ عَلَيْهَا هُنَا  
(مَتَرُ النَّهَارِ) .

(٢) نَهْمُ مِنْ هَذَا أَنْ التَّشْبِيرَ يَرَى هَذَا التَّرْتِيبَ : الْعِلْمُ ثُمَّ الْفَهْمُ ثُمَّ الْمَعْرِفَةُ أَوِ الْمَعْرِفَةُ ، وَنَهْمُ أَنْ التَّوْحِيدَ  
أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمَعْرِفَةِ .



« وهو آمن عليه » أى فى ظنكم وتقديركم<sup>(١)</sup> .

وفى الحقيقة السهولة والعودة على الحق لا يجوز .

« وله المثل الأعلى » : له الصفة العليا فى الوجود بحق التقدم ، وفى الجود بعت الكرم ، وفى القدرة بوصف الشمول ، وفى النمرة بوصف الكمال ، وفى العلم بمصوم التعلق ، وفى الحكم بوجوب التصديق ، وفى المشيئة بوصف البلوغ ، وفى القضية<sup>(٢)</sup> بحكم التفوذ ، وفى الجبروت بيمين المزم والجلال ، وفى لللكوت بعت المجد والجمال .

قوله جل ذكره : « ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل

لكم عما ملكت أيمانكم من شركاء

فيا رزقاكم بأنتم فيه سواء تخافونهم

كخيفتكم أنفسكم كذلك تفصل

الآيات تقوم يقولون » .

أى إذا كان لكم مالكم لا ترعون بالهواة بينكم وبينهم ، وأنتم مشاكسون<sup>(٣)</sup> بكل وجه - إلا أنكم بحكم الشرع مالكموم - فما تقولون فى القى لم يزل ، ولا يزال كما لم يزل ؟

هل يجوز أن يُقدّر فى وصفه أن يساويه عبده ؟ وهل يجوز أن يكون مملوكه شريكه ؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قوله جل ذكره : « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بنى عليهم

فمن يهذى من أسئل الله وما لم

من ناصرين » .

---

(١) منى هذه العبارة : حسب ظنكم وتقديركم الإمامة أسهل من الإنشاء .. فكيف أنكرتم الإمامة ؟ فضلا من أنه ليس عند الله سهل ولا صير .

(٢) القضية : هى قضاء الله .

(٣) مشاكسون معناها : متشابهون ومتساوون ولا فرق فى الجوهرية بينكم وبينهم .

أشدُّ الظلم متابعة الهوى ؛ لأنه قريبٌ من الشُّرك ، قال تعالى : « أفرأيتَ من اتخذَ الهه مواء » (١) . قدَّرنِ اتَّبَعَ هَواه خالفَ رضا مَولاه ؛ فهو يوضِّعُ الشَّيْءَ غَيْرَ موضِعِهِ صارَ ظالماً ، كما أنَّ العاصِيَ يوضِّعُ المصِيبَةَ موضِعَ الطَّاعَةِ ظالماً .. كذلكَ هذا بمتابعة هَواه بِذلكَ من مواضعٍ ومتابعة رضا مَولاه صارَ في الظلم مباديها .

قوله جل ذكره : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِتِلْكَ الْفِطْرِ الَّتِي تَلْقَى اللَّهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

أَخْلَصَ قَصْدَكَ إِلَى اللَّهِ ، وَاحْفَظْ عَهْدَكَ مَعَ اللَّهِ ، وَأَفِرْ ذِمَّتَكَ فِي سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ وَجَمِيعِ نَصَرَاتِكَ لِلَّهِ .

« حَنِيفًا » : أَيْ مُسْتَقِيمًا فِي دِينِهِ ، مِثْلًا إِلَى اللَّهِ ، مُتَوَضِّعًا عَنْ غَيْرِهِ (٢) . وَالزَّمَّ « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » أَيْ اثْبَتَتْهُمْ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُمْ قِيلٌ وَلَا كَسْبٌ ، وَلَا شِرْكٌ وَلَا كُفْرٌ ، وَكَأَيْسَ مِنْهُمْ إِيْمَانٌ وَإِحْسَانٌ فَلَيْسَ مِنْهُمْ كُفْرَانٌ وَلَا عَصْيَانٌ . فَاعْرِفْ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ ، ثُمَّ أَفْضَلُ مَا أُبَيِّرَتْ بِهِ ، وَاحْذَرِ مَا تُهَيِّبُ عَنْهُ .

فَعَلِيَ هَذَا التَّأْوِيلَ فَلَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ : « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا » أَيْ إِمْرُفٌ وَعِلْمٌ . أَنَّ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا : تَجَرُّدُهُمْ عَنْ أَضْلَامٍ ، ثُمَّ اتِّصَانُهُمْ بِمَا يَكْسِبُونَ — وَإِنْ كَانَ لِهَذَا أَيْضًا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ (٣) .

وَعَلَى هَذَا تَكُونُ « فِطْرَةَ » اللَّهِ مَنْصُوبَةً بِإِضَارِاعِ اعْلَمَ — كَمَا قُلْنَا .

(١) آيَةُ ١٢٣ سُورَةِ الْحَجَّاتِ .

(٢) تَكَلُّفٌ وَحَنِيفٌ مِنْ الْأَضْدَادِ .

(٣) يَذْكُرُنَا هَذَا بِتَضْيِيرِ أَبِي طَالِبٍ لِلْمَكِّيِّ لِقَوْلِهِ رَابِعَةً وَأَحْيَاكَ سَيِّدِي .. هُوَ فَالْحَبُّ الْأَوَّلُ فَطَرَى تَفْضِلُ اللَّهِ بِهِ ، وَالْحَبُّ الثَّانِي مَاتَهُ مِنْ يَكْسِبِهَا وَلَكِنَّا سَمِعْنَا فِي هَذَا الْحَبِّ الْكَسْبُ لَا تَفْضِلُ لَهَا ، وَلِذَلِكَ اسْتَبْرَكْتَ : فَلَا الْحَدَّ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي وَلَكِنْ هُوَ الْحَدُّ فِي ذَا وَذَاكَ .  
أَنْظُرْ : قُرِئَتْ الْقُرْآنُ لِلْمَكِّيِّ ٢٠ ص ٥٦ ، وَمُتَّعِلًا وَمَنْظَرُ أَيْضًا كِتَابَتَا (تَشَاةٌ لِلتَّصْوِيفِ الْإِسْلَامِيِّ) ط دَارُ الْمَدِينَةِ .

سبحانه فَطَرَ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى مِثْلِهِ أَهْ يَكُونُ فِي السَّادَةِ أَوِ الشَّقَاوَةِ ، وَلَا تَبْدِيلَ لِحُكْمِهِ ،  
وَلَا تَحْوِيلَ لَأَعْلِيهِ فَطَرَهُ . فَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ سَيِّدًا أَرَادَ سَادَتَهُ وَأَخْبَرَ عَنْ سَادَتِهِ ،  
وَحَقَّقَهُ فِي حُكْمِهِ سَيِّدًا . وَمَنْ عَلِمَ شَقَاوَتَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ شَقِيًّا وَأَخْبَرَ عَنْ شَقَاوَتِهِ وَحَقَّقَهُ  
فِي حُكْمِهِ شَقِيًّا .. وَلَا تَبْدِيلَ لِحُكْمِهِ ، هَذَا هُوَ الدِّينُ السَّعِيدُ وَالْحَقُّ الصَّحِيحُ <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَتِمُّوا  
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

أَي رَاجِعِينَ إِلَى اللَّهِ بِالْكَلْبَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْقَى بَقِيَّةٌ ، مُتَّبِعِينَ بِوَفَائِهِ ، مُتَّعِينَ بِكُلِّ وَجِدٍ عَنْ خِلَافِهِ ، مُتَّقِينَ صَغِيرَ الْإِثْمِ وَكَبِيرَهُ ، قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ ، مُؤَثِّرِينَ بِسِرِّهِ  
وَفَائِهِ وَصَغِيرِهِ ، مُتَّبِعِينَ الصَّلَاةَ بِأَرْكَانِهَا وَسُتُورِهَا وَأَقَابِهَا جَهْرًا ، مُتَّعِينَ بِمِرَاعَاتِهَا  
فَضَائِلِهَا سِرًّا .

قوله جل ذكره : « مِنَ الدِّينِ فَرَّقُوا دِينَهُمْ  
وَكَانُوا شَيْعًا كُلٌّ لِحِزْبٍ بِمَا لَهِمْ  
فِرْقُونُ » .

أَقَامُوا فِي دِينِهِمْ فِي خَارِ الْفِتْنَةِ ، وَعَصَادِ الْجَهْلِ وَالْفِتْرِ ، فَرَّقُوا إِلَى غُلُوبِهِمْ ،  
وَاسْتَوْطَنُوا مَرْكَبَ أَوَّلِهِمْ ، وَتَمَوَّنُوا مِنْ كَيْسِ غَيْرِهِمْ ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ .  
فَإِذَا انْكَشَفَ ضَلَالُهُمْ وَتَبَيَّنَ ، وَاشْتَعَلَ صَحَابُ جَهَنَّمَ . أَغْلَبَ فِرْقُهُمْ تَرَكًا ،  
وَاسْتَقْبَلُوا أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ ، وَلَمْ يَمْرُجُوا إِلَّا فِي أَوْطَانِ الْجَهْلَةِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَا  
رَبَّهُمْ مُتَّبِعِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ  
رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ  
يُشْرِكُونَ » .

(١) بحسب أن التفسيرى قد حاول إيفاض مشكلة حادثة من مشاكل علم الكلام ، فليست الجبرية متعة بتناقض  
لحرية الإنسان واختياره ، ما دامت الأمور كلها مرتبطة بعلم الله الذى سبق كل قوة ، وبفضل الله الذى تفر  
على ما علم .

إِذَا أَظْلَمَ الظُّلُمُ وَآلَهُمُ النُّعْتُ ؛ وَمَسَّهُمْ الْبَلَاءُ رَجَوْا إِلَى اللَّهِ بِأَجْمَعِهِمْ مُسْتَعِينِينَ ،  
وَيُلْقِيهِ مُسْتَجِيرِينَ ، وَعَنْ عَذَّتِهِمْ مُسْتَكْثِفِينَ<sup>(١)</sup> ..

فَلَمَّا جَادَ عَلَيْهِمْ بِكَشْفِ مَا تَلَمَّ ، وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ بِاللُّطْفِ فِيمَا أَصَابَهُمْ : إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ — لَا كَلِمَ — يَلُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ؛ يَمُودُونَ إِلَى عَذَاتِهِمُ الْمَذْمُومَةِ فِي الْكُفْرَانِ ، وَيَقَابِلُونَ إِحْسَانَهُ بِالْقِسْيَانِ ، هَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ عَهْدٌ وَلَا وِفَاءٌ ، وَلَا فِي مَوَدَّتِهِمْ نِفَاءٌ .

قوله جل ذكره : « لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتُّوا  
فَسَوْفَ تَقْلُوبُونَ » .

أَيُّ عَنْ قَرِيبٍ سَيُحِثُّ بِهِمْ مِثْلًا أَصَابَهُمْ ، ثُمَّ لَمْ يَمُودُوا إِلَى التَّضَرُّعِ ، وَيَأْخُذُونَ فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ بِدَعَا مِنَ التَّخَشُّعِ ، فَلَمَّا أَشْكَاهُمْ وَطَافَهُمْ رَجَوْا إِلَى رَأْسِ خَطَايَاهُمْ .

قوله جل ذكره : « أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ  
يُحْكَمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ » .

بَيْنَ أَنَّهُمْ بَنَوْا عَلَى غَيْرِ أَسْلَافِهِمْ طَرِيقَهُمْ ، وَاتَّبَعُوا فِيمَا اجْتَدَعُوهُ أَهْوَاءَهُمْ ، وَعَلَى غَيْرِ شَرَعٍ مِنَ اللَّهِ أَوْ حِجَّةٍ أَوْ بَيَانٍ أَسَّوْا مَذَاهِبَهُمْ .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا  
بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ  
إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ » .

تَسْتَمِيلُهُمْ طَوَارِقُ أَهْوَاءِهِمْ ؛ فَإِنْ كَانَتْ نِعْمَةٌ فَلَيْ فَرَحٌ ، وَإِنْ كَانَتْ شِدَّةٌ فَلَيْ قَنُوطٌ وَتَرَجٌ .. وَلَيْسَ وَصْفُ الْأَكْبَارِ كَذَلِكَ ؛ قَالَ تَعَالَى : « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ »<sup>(٢)</sup> .

(١) أَيُّ رَاجِعِينَ كَشَفَ لِقَاءَهُمْ .

(٢) آيَةُ ٢٣ سُورَةِ الْحَدِيدِ .

قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ  
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

الإشارة فيها إلى أن العبد لا يُلْقِي قلبه إلا بالله ؛ لأن ما يسوِّج ليس زواله  
إلا بالله ، وما يَسْرُمُ ليس وجوده إلا من الله ، فالْبِسْطُ الذي يَسْرُمُ ويؤنسهم  
منه وجوده ، والقبض الذي يسوِّج ويوحشهم منه حصوله ، فالواجب لزوم عَفْوِهِ<sup>(١)</sup>  
الأسرار ، وقطع الأفكار عن الأغيار .

قوله جل ذكره : « فَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَتَّىٰ وَلِلْكَيْنِ وَأَبْنِ  
السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

القرابة على قسمين : قرابة النسب وقرابة الدين ، وقرابة الدين أَمْسُ ، وبالمواساة أحنُّ  
وإذا كان الرجل مشتغلاً بالعبادة ، غير مفرغ لطلب اللياسة فالذين لهم إيمانٌ بحاله ،  
وإشرافٌ على وقته يجب عليهم القيام بشأنه بقدر ما يمكنهم ، مما يكون له عونٌ على الطاعة  
وفراغ القلب من كل علة ؛ فاشتغال الرجل بمراعاة القلب يحصل حَقُّ آكَدَ ، وتَقَدُّدُهُ  
أَوْجَبَ .

« ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ » : المریدُ هو الذي يُؤْتِرُ حَقَّ اللَّهِ على حَقِّ  
نَفْسِهِ ؛ فإِشَارَةُ المرید وَجْهَ اللَّهِ أَمُّ من مراعاته حال نفسه ، فهِمَّتُهُ في الإحسانِ إلى ذوى القربى  
والساكنين تتقدم على نَظَرِهِ لِنَفْسِهِ وعياله وما يهيمه من خاصته .

قوله جل ذكره : « .. وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ  
وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُونَ » .

إِيثَاءُ الزَّكَاةِ بأن تريد بها وجه الله ، وألا تستعمل الفقير لما تَبَرَّه به من راحة<sup>(٢)</sup> ،

(١) العفو المرغى التمسع أمام العار .

(٢) الرافقة = الرفق والطف ، تقول : أولاه رافقة (الوسط) .

يل أفضل الصدقة على ذي رحم كاشح<sup>(١)</sup> - أي: يكون إعطاؤه لله مجزاً عن كل نصيب لك فيه ، هؤلاء هم الذين يضاعف أجرتهم: قهرهم لأنفسهم حيث يخالونها ، وفوزهم باليؤم من قبل الله .

ثم الزكاة هي التطهير ، وتطهير المال معلوم ببيان الشريعة في كيفية إخراج الزكاة ، وأصناف المال وأوصافه .

وزكاة البدن وزكاة القلب وزكاة السر . . كل ذلك يجب القيام به .

قوله جل ذكره : « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم

يحييكم ثم يميتكم هل من شركائكم

من يفعل من ذلك من شيء سبحانه

وتعالى عما يشركون » .

« ثم » حرف يقتضي التراخي ؛ وفي ذلك إشارة إلى أنه ليس من ضرورة خلقه إياك أن يرزقك ؛ كنت في ضعف أحوالك ابتداء ما خلقك ، فأنتك وأهلك من غير حاجة لك إلى رزق ؛ قال أن خرجت من بطن أمك : إما أن كان يُغنيك عن الرزق وأنت جنين في بطن الأم ولم يكن لك أكل ولا شرب ، وإما أن كان يطعك ما يكفيك من الرزق — إن حق ما قالوا : إن الجنين يتغذى بدم الطمث . وإذا أخرجك من بطن أمك رزقك على الوجه المعمود في الوقت المعلوم ، فيسر لك أسباب الأكل والشرب من لبن الأم ، ثم من فنون الطعام ، ثم أرزاق القلوب والسرائر من الإيمان والعرفان وأرزاق التوفيق من الطاعات والعبادات ، وأرزاق اللسان من الأذكار وغير ذلك مما جرى ذكره .

« ثم يميتكم » بسقوط شوائبكم ، ويميتكم عن شواهدكم .

« ثم يحييكم » بحياة قلوبكم ثم بأن يحييكم برؤسكم .

(١) كاشح أي مبغض . وربما كان خيراً مثل التصدق على ذي رحم مبغض ، ما حدث من أبي بكر حينما امتنع عن تقديم الزكاة لسلط على أثر قيامه بدوره المعروف في قصة الإفك ، فغضب أبو بكر في ذلك ونزلت فيه ولا يأكل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤثروا أول القرى » آية ٢٢ سورة التور .

وقال : من الأرزاق ما هو وجود الأرق ومنها ما هو شهود الرزاق .

وقال : لا مُسَكَّنَ لك في تبديل خَلْقِكَ ، وكذلك لا قُدْرَةَ لك على تفسُّر رزقِكَ ،  
فالمُوسَّعُ عليه رزقه — يَقْضِيهِ سُبْحَانَهُ .. لا يَمْنَابُ نَفْسِهِ ، وَالْمَقْتَرُ عليه رزقه بِمَكْمِهِ  
سُبْحَانَهُ .. لا يَمَايِبُ نَفْسِهِ .

« هل من شركائكم مَنْ يفعل منْ ذلكم من شيء ؛ هل من شركائكم الذين أنبتهم  
أى من الأصنام أو توهمتهم من جملة الأنام .. مَنْ يفعل شيئاً من ذلك ؟ » سبحانه وتعالى  
تزييناً له وتهديباً .

قوله جل ذكره : « ظَهَرَ الفسادُ في البرِّ والبحرِ بما  
كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ  
الَّذِي كَسَبُوا لَعَلَّهُمْ يرجعون . »

الإشارة من البرِّ إلى النفسِ ، ومن البحرِ إلى القلبِ .

وفسادُ البرِّ بأَكْلِ الحرامِ وإرتكابِ المحظورات ، وفسادُ البحرِ من النفقة والأوصاف  
القيمية مثل سوء الزمِّ والحسد والحقد وإرادة الشرِّ والنسقي .. وغير ذلك . وَهَقْدُ  
الإصرارِ على المخالقاتِ من أعظمِ فسادِ القلبِ ، كما أَنَّ الزَّمَّ على الخيراتِ قبلِ فعلها من  
أعظمِ الخيراتِ .

ومن جملة الفسادِ التأويلاتُ بغيرِ حقٍّ ، والانحطاطُ إلى الرُّخصِ في غيرِ قيامٍ بِجَدِّهِ ،  
والإغراقُ في الدعائى من غيرِ استعياده من الله تعالى .

« لِيذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي كَسَبُوا لَعَلَّهُمْ يرجعون » : بعضُ الذي عملوا من سقوطِ تعظيمِ الشرعِ  
من القلبِ ، وعدمِ التأشُّفِ على ما فاته من الحقِّ .

قوله جل ذكره : « قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كيف  
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ  
أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ . »

« سيروا » بالاعتبار ، واطلبوا الحق بنعت الأفكار .

« فأنظروا » كيف كانت حال مَنْ هَدَمَكُمْ من الأشكال والأمثال ، وقيسوا عليها  
حُكْمَكُمْ في جميع الأحوال . « كان أكثرهم مشركين » كانوا أكثرهم عدواً ، ولكن  
كانوا في التصديق أقلهم وزناً وقُدراً .

قوله جل ذكره : « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ  
أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا تَرَدُّ لَهُ مِنْ اللَّهِ بَوْمَةٌ  
يَصْدَعُونَ » .

أخلص قَصْدَكَ وَصِدْقَ عَزِيْكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ بالموافقة والانبعاث دون الاستبداد بالأمر على  
وجه الابتلاع . فَمَنْ لَمْ يَتَأَذَّبْ بِمَنْ هُوَ إِمَامٌ وَقْتَهُ وَلَمْ يَتَلَفِ الْأَذْكَارَ مِنْ هُوَ لِسَانُ وَقْتِهِ كَانَ  
خُسْرَانَهُ أَلَمٌ مِنْ رَبِّهِ ، وَهَمَّائِهِ أَلَمٌ مِنْ نَفْسِهِ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ  
مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَلِتُبْجِرَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ  
فَضْلِهِ وَلِتَكْمَلُ تَشْكُرُونَ » .

يرسل رياح الرجاء على قلوب المياد فتكنس عن قلوبهم غبار الخوف وغشاء اليأس ،  
ثم يرسل عليها أمطار التوفيق فتحملهم إلى بساط الجهد ، وتكرمهم بقوة النشاط .  
ويرسل رياح البسط على أرواح الأولياء فيطهرها من وحشة القبح ، وينشر فيها إرادة الوصال .  
ويرسل رياح التوحيد فتب على أسرار الأصفياء فيطهرها من آثار العناء ، وينشرها بدواء  
الوصال .. فذلك ارتياح به ولكن بعد اجتياح عنك .

---

(١) يرى كبار الصوفية - والقشيري منهم - أن التأديب يشيخ أمر ضروري في الطريق الصوفي كي يكسح  
جراح المرء ، ويهديه إلى ربه عند دعوة نفسه ، ويهيئ به من الزهو عندما تلوح له بوادر الكشوفات ، وبشر  
عليه بالسفر إن دعت الحاجة إلى ذلك ... ونحو هذا .



قوله جل ذكره : « وقد أرسلنا من قبلك رُسُلًا إلى

قومهم فجاءهم بالبينات فاعتصنا

من الذين أجمعوا وكان حقًا علينا

نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » .

أرسلنا من قبلك رسلًا إلى عبادنا ، فمن قابلهم بالتصديق وصل إلى خلاصة التحقيق ، ومن عارضهم بالبعود أدقناهم عذابَ الظلود ، فاعتصنا من الذين أجمعوا ، وأخذناهم من حيث لم يحتسبوا ، وشوقنا عليهم ما أمَّلوا ، ونقضنا عليهم ما استعابوا وتَنَمَّعوا ، وأخذنا بخناقتهم فحاق بهم ما مكروا .

« وكان حقًا علينا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ » بتوطينهم بأعقاب أعدائهم ، ولم يلبثوا إلا يسيرًا حتى رقبناهم فوق رقابهم ، وخرَّبنا أوطانَ أعدائهم ، وهدمنا بنيانهم ، وأخذنا نيرانهم ، وعطلنا عنهم ديارهم ، ونحونا بهمير التدمير آثارهم ، فظَلَّتْ شموسهم كاسفة ، ومكيدة قهَرنا لم بأجمعهم خلسة .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتَنفِثُ سَحَابًا

فَيُسْطُفُ فِي السَّاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُ

كَيْفَافًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ

فَلَمَّا أَصْلَبَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

إِنَّا نُمْسِكُهُمْ بِسَبْشُونَ »

يرسل ريح عطفه وجوده مبشراتٍ بوصول وجوده ، ثم يُنْطِطِرُ جودَ غيبه على أسرارهم بلطفه ، ويطوى بساط الحشمة عن ساحات قُرْبِهِ ، ويضرب قبالب الهيبة بمشاهد كَشْفِهِ ، وينشر عليهم أزهار أنبهِ ، ثم يجعل لهم بخائق قُدْسِهِ ، وينقسم بيده شراب حبه ، ويد ما يحام من أوصافهم أحمام — لا يهيم — ولكن ينفسه ، فالمبارات عن ذلك خرُسٌ ، والإشارات دونها طَمَسٌ

قوله جل ذكره : « فَأَنْزَلْنَاهُ إِلَى آثَارٍ رَحِمَ اللَّهُ كَيْفَ يَحْيِي  
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ لَدُنِّي » .  
وهو على كل شيء قدير » .

يحيي الأرض بأزهارها وأنوارها عند يحيي الأمطار ليُخْرِجَ زَرْعَهَا وَثَمَرَهَا ، ويحيي  
النفس بعد قَرَّتِهَا ، ويوقها للخيرات بعد قَرَّتِهَا ، فيمطر أوطان الرِّقَاق بصادق إقدامهم ،  
وتندفع البلايا عن الأنام ببركات ألبهم ، ويحيي القلوب بعد غفلتها بأنوار المحاضرات ، فيعود  
إلى استئمانه الذكر بحسن الرعاة ، ويهتدي بأنوار أهلها أهل السر من أصحاب الإرادات ،  
ويحيي الأرواح بعد حَبَّتِهَا — بأنوار الشهادات ، ضلع شعوسها عن بُرْجِ السعادة ، ويتصل  
بشام أسرار الكافة نسيم ما يفيض عليهم من الزينات ، فلا يبقى صاحب نفس إلا حظي منه  
ببصيص ، ويحيي الأسرار — وقد تكون لها وَقْفَةٌ في بعض الحالات — فتقتني بالكلية آثار  
النورية ، ولا يَبْقَى في المارديار ولا من سكانها آثار ؛ فسطوات الحقائق لا تثبت لها ذرّة  
من صفات الخلائق ، هنالك الولاية لله .. سقط الماء والقطرة ، وطاحت الرسوم والجلّة<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَلَنْ أَرْسَلْنَا رَحْمَةً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا  
لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ » .

إذا اندثت البصيرة عن الإدراك دام المص على عوم الأوقات .. كذلك من حَقَّتْ عليهم  
الشقاوة جرّهم إلى نفسها — وإن نبوّاً الجنة منزلاً .

قوله جل ذكره : « فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ لَوْنِي وَلَا تُبْصِرُ  
الْعُيُونَ » .

مَنْ قَدَّ الْحَيَاةَ الْأُصْلِيَّةَ لَمْ يَبْشُرْ بِالرَّشَقِ وَالنَّمَامِ ، وإلّا كان في السريرة طَرْشٌ عن سماع  
الحقيقة فَتَسْمَعُ الظاهر لا يفيد آكدُ الحُجَّةِ . وكلا لا يُسْمَعُ<sup>(٢)</sup> العُيُونَ البصائر فكذلك لا يمكنه  
أن يهتدي العُيُونَ عن ضلالتهم .

(١) أي انتفت آثار البصيرة ، وصار البعد مستهلكاً بالكلية .

(٢) القائل فيمطر مستتر تقديره « وهو يعود على الرسول صلوات الله عليه ، فإن الخطاب في الآية الكريمة موجه إليه .

قوله جل ذكره : « الله الذى خلقكم من ضعفٍ

ثم جعل من بده ضعف قوة ثم جعل

من يمد قوة صفًا وشيئةً بخلق

ما يشاء وهو العليم القدير » .

أظهرهم على ضعف الصغر والعقلية<sup>(١)</sup> ثم بده قوة الشباب ثم ضعف الشيب ثم :

آخر الأمر ما ترى التبر والتحد والتزى

كذلك فى ابتداء أمرهم يظهرهم على وصف ضعف البداية فى نمت التردد والميرة فى الطلب ،

ثم بده قوة الوصل فى ضعف التوحيد .

وقال أولاً ضعف العقل لأنه بشرط البرهان وتأمله ، ثم قوة البيان فى حال العرفان ؛ لأنه

بسطوة الوجود ثم بده ضعف الخلود ؛ لأن الخلود يلو الوجود ولا يبقى منه أثر .

وقال « خلقكم من ضعف » : أى حال ضعف من حيث الحاجة ثم بده قوة الوجود

ثم بده ضعف للسكنة ، قال صلى الله عليه وسلم : « أحيى مسكيناً وأمتى مسكيناً واحشرفى

فى زمرة المساكين »<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون

ما ليسوا غير ساعية كذلك كانوا

يؤفكون » .

إنما كان ذلك لأحد أمرين : إما لأنهم كانوا أمواتاً .. ولليت لا إحساس له ، أو لأنهم

عدوا ما لقوا من عذاب القبر بالإضافة إلى ما يرون ذلك اليوم يسيراً . وإن أهل التحقيق

يخبرونهم عن طول لبثهم تحت الأرض . وإن ذلك الذى يقولونه من جلة ما كانوا يظنون .

من جحهم على موجب جهلهم ، ثم لا يسمع عذرم ، ولا يدفع ضرهم .

(١) العقلية = العقلية .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه عن أبى سيدة الخدرى والحاكم ، وقال صحيح الإسناد . ورواه الطبرانى

بسنه رجال ثقات من ميادة بن الصامت . وأدى ابن الجوزى وابن تيمية أنه موضوع ، وأهل ذلك الحافظ بن حجر .

وأخير بعد هذا في آخر السورة عن إصرارهم وانها كهم في غيهم ، وأن ذلك نصيبهم من  
القصة إلى آخر أحاديثهم .

ثم ختم السورة بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإصطباره على مقاساة مسارهم  
ومضارهم .

« فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ »

ولا يستغفرك الذين لا يؤمنون . »

## السورة التي يذكر فيها لقمان

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » كلمةٌ مَنْ سمعها أَقَرَّ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ مِثْلَهَا ، وَمَنْ عَرَفَهَا أَفْتَى أَنْ يَسْمَعَ  
غَيْرَهَا . كلمةٌ مَنْ سمعها طابَتْ قِسْمَتُهُ ، وَزَالَتْ بِكُلِّ وَجْدٍ غُصَّتُهُ ، وَتَبَتَّ مِنَ النَّفْسِ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حُصْنُهُ ، وَزَهَّدَ فِي دُنْيَاهُ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ فِي عِقَابِهِ ؛ لِأَنَّهَا - وَإِنْ جَلَّتْ -  
غَيْرُ مَوْلَاهُ<sup>(١)</sup>

كلمةٌ مَنْ سمعها لم يرغب في عماره فناءه ، ولم يتعشم<sup>(٢)</sup> سرعة وفاته .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكُتُبَ الْحَكِيمَ »

الْأَلْفُ تُشِيرُ إِلَى آيَاتِهِ ، وَاللَّامُ تُشِيرُ إِلَى لُفْهِ وَعِصَانِهِ ، وَالْمِيمُ تُشِيرُ إِلَى مَجْدِهِ وَسَنَائِهِ ؛  
فِي آيَاتِهِ يَرْضَى الْجَعْدَ مِنْ قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ ، وَيُلْقِيهِ عِطَانَهُ يَبْتَثُ الْحَبَّةَ فِي أَسْرَارِ أَمْفِيائِهِ ، وَيَعْبُدُهُ  
وَسَنَائِهِ مُسْتَفْنِي عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ يُوَصِّفُ كِبَرِيَّاتِهِ .

« تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ » : الْخُرُوسُ عَنْ التَّنْظِيرِ وَالتَّبْدِيلِ .

« هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ » الَّذِينَ يَقِيمُونَ

الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ

هُمْ يُوقِنُونَ »

هُوَ هُدًى وَبَيَانٌ ، وَرَحْمَةٌ وَرَهَانٌ لِلْمُحْسِنِينَ الْمَارِفِينَ بِاللَّهِ ، وَالْمُتَيْنِينَ عِبَادَةَ اللَّهِ كَانْتَهُم

(١) الْحَاجِبُ الْخَالِصُ مُنْصَفٌ عَنِ الْقَبْرِ .

(٢) لَمْ يَتَّعَشْ أَيُّ : لَمْ يَتَّعَشْ .

ينظرون إلى الله . وَشَرَطُ الْمُتَعَسِّرِ أَنْ يَكُونَ مُحَسَّنًا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ : طائهم وقاصيهم ،  
ومطيعهم وعاصيهم .

« الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة » : يأتون بشرائطها في الظاهر من ستر المودة ،  
وتقديم الطهارة ، واستقبال القبلة ، والمسلم بدخول الوقت ، والوقوف في مكان طاهر .  
وفي الباطن يأتون بشرائطها من طهارة السر عن الملائق ، وسر عورة الباطن بتقنيته عن  
العيوب ، لأنها هما تكن فاقه يراها ؛ فلذا أَرَدَتْ ألا يرى الله عيوبك فاحذر ما حتى  
لا تكون . والوقوف في مكان طاهر ، وهو وقوف القلب على الحد الذي أَدْنَتْ في الوقوف فيه  
عما لا يكون دعوى بلا تحقيق ، وَرَجِمَ اللَّهُ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ حَدِّهِ . والمعرفة بدخول الوقت  
فصل وقت القتل والاستسكاة ، وتميز بينه وبين وقت السرور والبسط ، وتستقبل القبلة بنفسك ،  
وتلق قلبك بالله من غير تخصيص بقطر أو مكان .

قوله جل ذكره : « أولئك على هدى من ربهم وأولئك

هم الفاصلون »

الذين يقومون بشرط صلاحهم وحق آداب عبادتهم هم الذين اهتموا في الدنيا والمقبي  
فعلوا وتعبوا .

قوله جل ذكره : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث

ليُضِلَّ عن سبيل الله بغير علم  
ويُخِذَها زُوراً أولئك لهم عذاب مهين »

« لهو الحديث » : ما يشتغل عن ذكر الله <sup>(١)</sup> ، ويَحْجُبُ عن الله سماعه . ويقال : هو لنو  
الظاهر الموجب سهو الضائر ، وهو ما يكون خَوْصاً في الباطل ، وأخذنا بما لا يعنيك .

(١) اعتاد كثير من المفسرين أن يفسروا الله هنا (بالنساء) ، لأجل هذا نلفت النظر إلى عدم صرف التفسير  
الحق في هذا الاتجاه ، لأننا نعلم من ملحه أنه لا يرى بأساً في سباح النساء ولكن بشرط أن يحرك الوجدان نحو غاية  
سامية في السباح ، وألا يبعث فيها الهوى والجنون ، وألا يكون مصحوباً بشيء محرم . (أنظر كتابنا : الإمام القشيري  
ونزحه في التصوف) ط مؤسسة الحلبي .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا تُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا

كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا

فَقَبَّرْهُ بِغَنَابِ أَلِيمٍ »

الْمُفْتَرِقُ بِهِمَّةً ، وَلِلْمُتَشَكُّتِ قَبْلَهُ لَا تَزِيدُهُ كَثْرَةُ الْوَعْدِ إِلَّا غَوْرًا وَنُبُورًا ؛ فَمَاعَهُ كَلَامًا

بِمَاعٍ ، وَوَعْدُهُ هَبَاءٌ وَضِيَاعٌ ، كَمَا قِيلَ :

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ الْمَوْلَى فَلَمَّا

أَخْطُ بِأَقْلَامِي عَلَى الْمَاءِ أَحْرَمًا

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ

يَجْنَلُوا النَّعِيمَ » خَالِدِينَ فِيهَا وَمَعَدَّ اللَّهُ

حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »

« آمَنُوا » : صَدَّقُوا « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » : نَحَقَّقُوا ؛ فَانصَابُ تَحْقِيقِهِمْ رَاجِعٌ إِلَى

نَصْدِيقِهِمْ ، فَتَجَوَّأُوا وَسَلِمُوا ؛ فَهَمَّ فِي رَاحَتِهِمْ مَقِيمُونَ ، دَائِمُونَ لَا يَبْرَحُونَ .

قوله جل ذكره : « خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَدَدٍ تَرَوْنَهَا

وَأَنَّى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ

وَبَشَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَايٍ وَأَنزَلْنَا مِنْ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ »

أَمْسَكَ السَّمَوَاتِ بِقُدْرَتِهِ بِغَيْرِ عِمَادٍ ، وَحَفَظَهَا لَا إِلَى سِنَادٍ أَوْ مُشْدُودَةٍ إِلَى أَوْتَادٍ ، بَلْ

بِحُكْمِ اللَّهِ وَبِقُدْرَتِهِ ، وَمَشِئَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ .

« وَأَنَّى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي . . » فِي الظَّاهِرِ الْجِبَالِ ، وَفِي الْحَقِيقَةِ الْأُبْدَالِ وَالْأَوْتَادِ

الَّذِينَ هُمْ غِيَاثُ الْخَلْقِ . هُمْ يَقِيمُهُمْ ، وَبِهِمْ يَصْرِفُ الْبَلَاءَ عَنْ قَرِيبِهِمْ وَقَاصِيَهُمْ .

« وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً . . » الْمَطَرُ مِنَ سَمَاءِ الظَّاهِرِ فِي رِيَاضِ الْخُضْرَةِ ؛ وَمِنْ سَمَاءِ الْبَاطِنِ

فِي رِيَاضِ أَهْلِ الدُّنُوِّ وَالْخُضْرَةِ .

قوله جل ذكره : « هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين

من دونه بل الظالمون في ضلال مبين » .

هذا خلق الله العزيز في كبريائه ، فأروني ماذا خلق الذين عبيدتم من دونه في

أرضه وسماؤه ؟

قوله جل ذكره : « ولقد آتينا لقمان الحكمة أني اشكر

الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه

ومن كفر فإن الله غنيٌ حميدٌ » .

« الحكمة » الإصافة في العقل والمقد والنطق . ويقال « الحكمة » متابعة الطريق من حيث

توفيق الحق لا من حيث رمة النفس . ويقال « الحكمة » ألا تكون تحت سلطان الهوى .

ويقال « الحكمة » الكون بحكم من له الحكم . ويقال « الحكمة » معرفة قدر نفسك

حتى لا تعد رجلك خارجا عن كسائك . ويقال « الحكمة » ألا تستصمى على من تعلم أنك

لا تقاومه .

« أن أشكر الله » : حقيقة الشكر اخراج عين القلب بشهود ملاحظات الرب . فهو مقلوب

قولهم : كثرَت عن أنيابها القايضة ؛ فيقال شكر وكشر مثل جذب وجبذ .

ويقال الشكر محقق بجزءك عن شكره . ويقال الشكر ما به يحصل كمال استئذا النعمة .

ويقال الشكر فضلة تظهر على اللسان من امتلاء القلب بالسرور ؛ فينطلق بحدج المشكور .

ويقال الشكر نمت كل غنى كما أن الكفران وصف كل لئيم . ويقال الشكر قرع باب

الزيادة<sup>(١)</sup> . ويقال الشكر قيد الإنعام . ويقال الشكر قصة عليها صميم النواد بنشر صحيفة الأفضال .

« ومن شكر فإنما يشكر لنفسه »<sup>(٢)</sup> : لأنه في صلاحها ونصيحتها يسى .

قوله جل ذكره : « وإذا قال لقمان لابنه وهو يظله يا بوى

لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم » .

(١) إشارة إلى قوله تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم » آية ٧ سورة ابراهيم .

(٢) آية ٤٠ سورة النمل .



الشُّرْكُ عَلَى ضَرِيَيْنَ : جَلِيٍّ وَخَفِيٍّ ؛ فَالْجَلِيُّ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ ، وَالْخَفِيُّ حَسْبَانُ شَوْءٍ مِنَ الْخُدَّائِثَانِ مِنَ الْأَنَامِ . وَقَالَ الشُّرْكُ إِثْبَاتٌ غَيْرٌ مَعَ شَهَادَةِ النَّيْبِ . وَقَالَ الشُّرْكُ ظَلَمٌ عَلَى الْقَلْبِ ، وَالْمَلَامَى ظَلَمٌ عَلَى النَّفْسِ ، وَظَلَمَ النَّفْسُ مَعْرَضٌ لِلْفِرَانِ ، وَلَكِنْ ظَلَمَ الْقُلُوبَ لِأَسْبَابِ إِلَيْهِ لِلْفِرَانِ .

قوله جل ذكره : « وَوَعَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَلَّةٍ أُمَّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْصَّيْرِ » .

أَوْجَبَ اللَّهُ شُكْرَ نَفْسِهِ وَشُكْرَ الْوَالِدَيْنِ . وَلَمَّا حَصَلَ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ شُكْرَ الْوَالِدَيْنِ بِدَوَامِ طَاعَتِهِمَا ، وَالْأُيُكْتَفَى فِيهِ بِمَجْرَدِ النُّطْقِ بِالتَّنَاءِ عَلَيْهِمَا عَلِمَ أَنَّ شُكْرَ الْحَقِّ لَا يَكْفِي فِيهِ مَجْرَدُ التَّوَلُّ مَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ مُوَافَقَةُ الْعَقْلِ ؛ وَذَلِكَ بِالنِّزَامِ الطَّاعَةِ ، وَاسْتِمَالِ النِّعْمَةِ فِي وَجْهِ الطَّاعَةِ دُونَ صَرْفِهَا فِي الزُّلَّةِ ؛ فَشُكْرُ الْحَقِّ بِالتَّعْظِيمِ وَالتَّكْبِيرِ ، وَشُكْرُ الْوَالِدَيْنِ بِالْإِفْطَاقِ وَالتَّوْفِيرِ .

قوله جل ذكره : « وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِنَا فِي الدُّنْيَا مَرْوُفًا ، وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّشُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » .

إِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ ، أَوْ تَسِيَّ بِمَا هُوَ زِلْفِي أَمْرُ اللَّهِ — فَلَا تُطِعْهُمَا ، وَلَكِنْ عَاشِرُهُمَا بِالْجَلِيلِ ؛ تَعَشِينَ فِي تَلْوِينِ ، فَاجْعَلْ لِمَا ظَاهَرَكَ فِيهَا لَيْسَ فِيهِ حَرَجٌ ، وَافْرَدَ بِشُكْرِ اللَّهِ ، « وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ » : وَهُوَ النَّيْبُ إِلَيْهِ حَقًّا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْقَى بَقِيَّةٌ فِي النَّفْسِ .

قوله جل ذكره : « إِنِّي أَنَا إِنْ تَنَكَّ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ أَلْفَ لَطِيفٌ خَيْرٌ » .

إذا كانت ذرة أو أقل من ذلك وسبقت بها التهمة فلا محالة تصل إلى القسوم له بنير مرية . . « إن الله لطيف خبير » : عالم بمقائق الأمور وخفاياها .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا وَسَلِّمُوا بِالْمُرُوفِ وَأَنَّهُ  
عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصِرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّا  
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » .

الأمر بالمُرُوف يكون بالقول ، وأبغنه أن يكون بامتئاطك بنفسك عما تنهى عنه ، واشتغالك  
واتصافك بنفسك بما تأمر به غيرك ، ومن لا حُكْمَ له عَلَى نَفْسِهِ لا ينفذ حكمه على غيره .  
والمُرُوف الذي يجب الأمرُ به هو ما يوصلُ العبدَ إلى الله ، والمنكرُ الذي يجب النهي  
عنه هو ما يشغل العبدَ عن الله .

« وَاصِرٌ عَلَى مَا أَصَابَكَ » تنبيهٌ عَلَى أَنَّ مَنْ قَامَ اللَّهُ بِحَقِّ الْمُتَّحِينَ فِي اللَّهِ ؛ فسيُبلِغُه  
أَن يَصِيرَ اللَّهُ — فَلَنْ مِنْ صَبَرِ اللَّهِ لَا يَخْشَرُ عَلَى اللَّهِ .

قوله جل ذكره : « وَلَا تَصْغُرْ خُدُوكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ  
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
مُخَالٍ غَوْرٍ » .

يعني لا تتكبرْ عَلَى النَّاسِ ، وطاليمهم من حيث النسبة والتحقق بِأَنَّكَ بِمَشْهَدٍ مِنْ مَوْلَاكَ .  
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ مَوْلَاهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ لَا يَتَكَبَّرُ وَلَا يَطَّالُ بِلِ يَتَخَانِعَ وَيَتَضَامَلُ .

قوله جل ذكره : « وَأَقْعِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ رِمْنَ  
صَوْتِكَ إِنَّا أَكْثَرُ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ  
الْحَمِيرِ » .

كُنْ قَانِيًا عَنْ شَوَاهِدِكَ ، مُضْطَلَمًا عَنْ صَوْتِكَ ، مَأْخُوفًا عَنْ حَوَالِكَ وَقَوَاتِكَ ،  
مُنْتَشِقًا<sup>(١)</sup> بِمَا اسْتَوَى عَلَيْكَ مِنْ كُشُوفَاتِ مِيرَاكَ .

(١) (التشقق) الماء وغيره : جذب به بالنفث في أنفه ، ورجل نشق إذا دخل في أمر لا يكاد يخلص منه  
(الوسيط) .

واظفر من الذى يسمع صوتك حتى تسقى من خمار غفلتك ؛ « إن أنكر الأصوات لصوت الخير » : فى الإشارة هو الذى يتكلم فى لسان المرفة من غير إذن من الحق . وقالوا : إنه الصوفى يتكلم قبل أوانه .

وقال إنما ينهى الخلوة عند رؤية الشيطان فذلك كان صوته أنكر الأصوات .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِ

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ  
نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن  
يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى  
وَلَا كِتَابٍ مِّنْهُ » .

أثبت فى كل شئ منها نعمًا لكم ، فالسما لتكون لكم سقًا ، والأرض لتكون لكم فراشًا ، والشمس لتكون لكم سراجًا ، والقمر لتعملوا به عدد السنين والحساب ، والنجوم لتتقوا بها .

« وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » : الإسباغُ ما يَفْضُلُ عن قدرة الحاجة ولا يحتاج معه إلى الزيادة .

قوله : « نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » : نكملوا فيه فأكثرُوا . فالظاهرة وجود النعمة ، والباطنة شهود النعم . والظاهرة الدينية ، والباطنة الدينية . والظاهرة حُسْنُ الْخُلُقِ ، والباطنة حُسْنُ الْخُلُقِ . الظاهرة نَفْسُ بِلَازَلَةٍ ، والباطنة قَلْبٌ بِلا غَفْلَةٍ . الظاهرة الْعِلْمُ ، والباطنة الرضاء . الظاهرة فى الأموال ونعماتها ، والباطنة فى الأحوال وصفاتها . الظاهرة النعمة ، والباطنة المصيبة . الظاهرة توفيقُ الطاعات ، والباطنة قبولها . الظاهرة تسوية الْخُلُقِ ، والباطنة تصفية الْخُلُقِ . الظاهرة صحة الصالحين ، والباطنة حِفْظُ حُرْمَتِهِمْ . الظاهرة الزهد فى الدنيا ، والباطنة الاكتفاء بالمولى من الدنيا والتهى <sup>(١)</sup> . الظاهرة الزهد ، والباطنة الْوَجْدُ . الظاهرة توفيق

(١) هذه أعل درجات الزهد ، وهي همتا ونحن نقرخ للطور التاريخى الذى حدثت عنسا تطور الزهد إلى تصوف (أنظر كتابنا نشأة التصوف الإسلامى ( ط دار المعارف) .

المجاهدة والباطنة تحقيقاً للمجاهدة . الظاهرة وظائف النفس ، والباطنة لطائف القلب . الظاهرة اشتغالك بنفسك عن الخلق ، والباطنة اشتغالك بربك عن نفسك . الظاهرة طلبه ، الباطنة وجوده<sup>(١)</sup> . الظاهرة أن تصل إليه ، الباطنة أن تبقى معه .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَقَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاؤُنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ » .

لم يتخطوا منهم ولا من أمثالهم ، ولم يهتدوا إلى تحول أحوالهم . قالوا من سبنا أنفسنا ، وخلص في الله قصده قد استمسك بالروة الوثقى ، وسلك الحجة الثقل : —

« وَمَنْ يُؤْمَرْ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ قَدْ اسْتَمْسَكَ بِالرُّوَّةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » .

وعلى المكس : —

« وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِنَاتِ الصُّدُورِ » .

إلينا لما بهم ، ومينا عذابهم ، وعلينا حاسيم . ولئن سألتهم عن خالقهم لأقروا ، ولكن إذا عادوا إلى غيرهم هضوا وأصروا .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّفِيُّ الْجِيدُ » .

فهو ما في السموات والأرض ملكاً ، ويخزي فيهم حكمه حقاً ، وإليه مرجعهم حتماً .

(١) الوجود مرحلة تأتي بعد التواجد والوجد .

قوله جل ذكره : « وَوَأَنشَأْنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ

أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أَجْعُرٍ مَا قَدِّدَتْ كَلَامُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ

عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ » .

لو أن ما في الأرض من الأشجار أقلامٌ والبحار كانت مداداً ، ومقدار ما يقابله تنفقُ

الترابيسُ ، ويكتفُ الكتَّابُ حتى تحسُرُ الأقلامُ ، وتغنى البحارُ ، وتستوفي الترابيسُ ، وتغنى

أعصارُ الكتَّابِ .. ما قَدِّدَتْ معاني مالنا ممكَّ من الكلام ، والذي نُسَمِّعُكُ فَيَا غُطَّاطِكُ به

لأنك معنا أبَدَ الأبد ، والأبدى من الوصف لا يتناهى .

ويقال إن كان لك ممكَّ كلامٌ كثير فاعندكم ينفذ وما عند الله باقٍ :

مُحَمَّدٌ عِنْدِي لَعَلَّابٌ طَوَيْتُهَا سَتُفْشَرُ يَوْمًا وَالْعَلْبُ يَطُولُ

قوله جل ذكره : « مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَحْسَبُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ

وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » .

إِيجَادُ الْقَلِيلِ أَوْ الْكَثِيرِ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ سَيَّانٌ ؛ فَلَما من الكثير مشقة وعُسْرٌ ، ولا من القليل

راحةٌ ويُيسَّرُ ، إنما أمرُهم إذا أراد شيئاً أن يقول له : « كُنْ فَيَكُونُ » <sup>(١)</sup> يقوله بكلمته ولكنه يَكُونُ

بقدرته ، لا بمزاولة جهد ، ولا باستفراغ وسْعٍ ، ولا بدعاء خاطر ، ولا بطروء غرضٍ .

قوله جل ذكره : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ

مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ

هُوَ الْقَلِيلُ الْكَبِيرُ » .

« اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ » : الْكَائِنُ الْمَوْجُودُ ، مُحَقَّقُ الْحَقِّ <sup>(٢)</sup> ، وَمَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ :

مِنَ الْعَدَمِ ظَهَرَ وَمَعَهُ جَوَازُ الْعَدَمِ <sup>(٣)</sup> .

(١) آية ٨٢ سورة يس .

(٢) في س جاء بهما (وما يدعون هو التلاوة) ويقول مجاهد ، إنه الشيطان . ويقال : ما أشركوا به الله

تعالى من الأصنام والأوثان .

(٣) شملت قضية (الحق والباطل) أصحاب وحدة الوجود . ورأى التشيخي هنا يصلح عند المقارنة بين

أرباب وحدة الشهود وأرباب وحدة الوجود في شأن هذين الاصطلاحين .

قوله جل ذكره : « إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ

الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ » .

يُنَزِّلُ بِمِثْلِ الْقِيَامَةِ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ذِكْرَهَا وَإِنَاتَهَا ، شَقِيحَهَا وَسَمِيحَهَا ، حَسَنَهَا وَقَبِيحَهَا  
وَيَعْلَمُ مَتَى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَمِثْلَ قَطْرَةٍ يُنْزِلُهَا ، وَيَأْيُ بَقْعَةٍ يُمَطِّرُهَا .

« وما تدرى نفسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا

وما تدرى نفسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » <sup>(١)</sup> .

ما تدرى نفسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا من خيرٍ وشرٍ ، ووفيقٍ وشقاقٍ ، وما تدرى نفسٌ بأَيِّ

أَرْضٍ تَمُوتُ ؛ أَتَتْرَكُ مَرَادَهَا أَمْ يَمُوتُ ؟ .

---

(١) قَالَ آيِن مِيلاس : هَذِهِ الْغَيْثِيَّةُ لَا يَسْلُمُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا يَسْلُمُهَا مَلَكَ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلَّكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِنُصْرَةِ اللَّهِ يُدْرِكُكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنْ فِي

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ » .

في الظاهر سلامتهم في السفينة ، وفي الباطن سلامتهم من حداث الكون ، ونجاتهم في سفائن  
المصمة في بحار القدرة .

« إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ » وَقُوفٍ لَا يَهْزَمُ مِنَ الْبَلَاءِ ، شَكُورٍ عَلَى

مَا يَصِيبُهُ مِنْ تَصَارُيفِ الْقَدِيرِ مِنْ جَنْبِ الْبَلَاءِ وَالطَّلَاءِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلِيلِ دَعَا

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى

الْبَرِّ فَمَنْ مَقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا كَلَّ خَلْقٍ كُفُورٍ » .

لَمَّا تَلَاظَمَتْ عَلَيْهِمْ أُمُوجُ بَحَارِ الْقَدِيرِ تَنَوَّاهُمْ أَنْ تَهْلِكَهُمْ تِلْكَ الْبَحَارُ إِلَى سَوَاحِلِ السَّلَامَةِ ،  
فَلَمَّا جَادَ الْحَقُّ بِمُتَقَبِّقٍ مُنَاقِمٍ عَادُوا إِلَى رَأْسِ خَطَايَاهُمْ :

وَكَمْ قَدْ جَهِلُوا ثُمَّ عُدُّنَا يُعِلِّمُونَا أَلْحَبَانَا : كَمْ تَجْهَلُونَ وَنَعْلَمُ !

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاتَّقُوا

يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ

مَوْجِزٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا

فَلَا تَقْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَكُكُمْ

بِاللَّهِ النَّوْرُ » .

يُنَوِّقُهُمْ مَرَّةً بِأَفْضَلِهِ فَيَقُولُ : « اتَّقُوا يَوْمًا » ، وَمَرَّةً بِصِفَاتِهِ فَيَقُولُ : « أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَرِيٌّ  
وَمَرَّةً بِذَاتِهِ فَيَقُولُ : « وَبِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى » .

## سُورَةُ النَّجْمَةِ

قوله جل ذكره . « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

كَلِمَةُ سَمَاعُهَا رِيحُ الْجَمِيعِ ، مِنَ الْعَالَمِيِّ وَالطَّبِيعِ ، وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ . مَنْ أَصْنَى إِلَيْهَا  
بَسَمِعَ الْخَضُوعَ تَرَكَ طَيْبَ الْمَجْجُوعِ ، وَمَنْ أَصْنَى إِلَيْهَا بِسَمِعِ الْحَبَابِ تَرَكَ الْقَبِيْذَ  
الطُّعَامِ وَالشَّرَابِ .

قوله جل ذكره . « اَللّٰمَّ » تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ  
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الإشارة من الألف إلى أنه أَيْفَ المحبون قريبي فلا يصبرون عني ، وأَيْفَ العارفون  
تعبدي فلا يتأنسون بغيري .

والإشارة في اللام إلى لقائي المَذْخِرِ لِأَحِبَّائِي ، فلا أهالي أعلموا على ولائي أم فعصروا  
في وفائي .

والإشارة في الميم : أَيْ تَرَكَ أَوْلِيَاءِي مُرَادَهُمْ لِمُرَادِي .. فَقُلْتُكَ آتَرْتَهُمْ عَلَى جَمِيعِ عِبَادِي .  
« تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ » : إِذَا تَعَدَّرَ قَلَاهُ الْأَحْبَابُ فَأَعَزَّهُ شَيْءٌ  
عَلَى الْأَحْبَابِ كِتَابُ الْأَحْبَابِ ؛ أَنْزَلْتُ عَلَى أَحِبَّائِي كِتَابِي ، وَحَكَمْتُ إِلَيْهِمُ الرِّسَالَةَ خَطَابِي ،  
وَلَا عَلَيْهِمْ أَنْ قَرَعَ أَسْمَاعَهُمْ عَنَابِي ، فَهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ عَذَابِي .

قوله جل ذكره : « أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ  
رَبِّكَ لَتَنْذِرَنَّهُ قَوْمًا مَا أَنْهَمُ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ  
قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ »

التي لكم من الحقيقة ، وإن التبس على الأعداء فليس يضركم ، ولا عليكم ، فإن



حبة الحبيب مع الحبيب ألقاها ما كان مقرونا بفقد الرقيب .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وما بينهما في ستة أيامٍ ثم استوى

على العرشِ ما لكم من دونه من وليٍّ

ولا شفيعٌ أقلاً تنذرون » .

وتلك الأيام خلقها من خلقٍ غير الألام ، فليس من شرط المخلوق ولا من ضرورته أن

يخلق في وقتٍ ، إذ الوقتُ مخلوقٌ في غير الوقت <sup>(١)</sup> . وكما يستثنى في كونه مخلوقاً عن الوقت استثنى

الوقتُ عن الوقت .

« ثم استوى على العرش » : ليس للعرش من هذا الحديث إلا هذا الخبر ؛ استوى على

العرش ولكن القديم ليس له حدٌ ، استوى على العرش لكن لا يجوز عليه القرب بالذات

ولا البعد ، استوى على العرش ولكنه أشدُّ الأشياء تغطئاً إلى شظية من الوصال لو كان

لعرش حياة ؟ ، ولكن العرش جادٌ .. وأنى يكون للجاد مراد ؟! استوى على العرش

لكنه صمدٌ بلا ندٍ ، أحدٌ بلا حدٍ .

« ما لكم من دونه من وليٍّ ولا شفيعٍ » : إنا لم نريد بكم خيراً فلا سماء منه تظلكم ،

ولا أرضٌ غير رضاه تملككم ، ولا بلجواهر أحدٌ ينصركم ، ولا أحدٌ — إنا لم يمن

بأنكم في الدنيا والآخرة — ينظر إليكم .

قوله جل ذكره : « يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ

ثم يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ

أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ »

تَطَلَّبَ الْخَلْقَ — على مقدار أفهامهم ويجوز لهم — عن الحقائق التي اعتادوا في تخاطبهم

« ذلك عالمُ التَّيْبِ والشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ »

« العزيز » مع الطَّيِّبِينَ « الرحيم » على العاصِينَ .

« العزيز » للطَّيِّبِينَ ليَكْثِرَ صَوْلَتُهُم « الرحيم » للعاصِينَ ليرْفَعَ رُزْقَهُم .

(١) لأنَّ الزَّمانَ سَرْمَدٌ لا يرتبط بالوقت ولا يقطع به .

قوله جل ذكره : « أَلَيْسَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ

وَبَدَأَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلَ

نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ »

أَحْسَنَ صُورَةً كُلِّ أَحَدٍ ؛ فَالْعَرْشُ بِأَقْوَى حِمَاهِ ، وَالْمَلَائِكَةُ أَوَّلُ أَجْنَعَةِ مَتْنٍ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ ، وَجِبْرِيلُ طَلُوسُ الْمَلَائِكَةِ ، وَالْحُورُ الْعِينُ — كَمَا فِي الْخَبَرِ — فِي جَهَنَّمَ وَأَشْكَالُهَا ، وَالْجِنَانُ — كَمَا فِي الْأَخْبَارِ وَنَحْوِ الْقُرْآنِ . فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى الْإِنْسَانِ قَالَ : « وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ • ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ » <sup>(١)</sup> . . . كُلُّ هَذَا وَلَكِنْ :

وَكَمْ أَبْصَرْتُ مِنْ حُسْنٍ وَلَكِنْ

عَلَيْكَ مِنَ الْوَرَى وَقَعَ اخْتِيَارِي

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ وَلَكِنْ « يُحِبُّهُمْ وَيُحْيِيهِمْ » <sup>(٢)</sup> ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ وَلَكِنْ : « فَذَكِّرُوا أَمْ أَنْتُمْ نَسِيتُمْ » <sup>(٣)</sup> ، وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ وَلَكِنْ « رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

وَرَضُوا عَنْهُ » !

قوله جل ذكره : « وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا

لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ »

لَوْ كَانَتْ لَمْ ذَرَّةٌ مِنَ الْعَرْفَانِ ، وَنَجْمَةٌ مِنَ الْأَشْتِيَاقِ ، وَنَسَمَةٌ مِنَ الْحَيَةِ لَمَّا تَمَّصَبُوا كُلُّ هَذَا التَّمَصُّبِ فِي انْكَارِ جَوَازِ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ وَلَكِنْ قَالَ : « بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ » .

قوله جل ذكره : « قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي

وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ »

لَوْ لَا غَفْلَةُ قُلُوبِهِمْ وَإِلَّا لَمَّا أَحَالَ قَبْضَ أَرْوَاحِهِمْ عَلَى مَلَكِ الْمَوْتِ ؛ فَإِنَّ مَلَكُ الْمَوْتِ

لَا أَقْرَبَ مِنْهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَا لَهُ تَصَرُّفَاتٌ فِي نَفْسِهِ ، وَمَا يَحْصُلُ مِنَ التَّوَفُّقِ فَنَ خِصَائِصُ قُدْرَةِ

(١) آية ٥٤ سورة المائدة .

(٢) آية ١٥٢ سورة البقرة .

(٣) آية ٨ سورة البقرة .

الحق . ولكنهم غفلوا عن شهود حقائق الرب : فغلطهم على مقدار فهمهم ، وعلق بالأغيار قلوبهم ، وكلُّ مُخْطَبٍ بما يَحْتَمِلُ على قَدَرِ قُوَّتِهِ وضعفه .

قوله جل ذكره : « ولو ترى إذ الظالمون ناكسوا

وجوههم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا

فأرجنا فصل صلياً إنا موقنون »

مَلَكَتْهُمْ الْعَهْثَةُ وَغَلَبَتْهُمْ الْخَلْجَةُ ، فاعتذروا حين لا عُذْرَ ، واعترفوا ولا حين اعتراف .

قوله جل ذكره : « ولو شئنا لآتينا كلَّ نفسٍ هداياها

ولكن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ

من الجنة والناس أجمعين »

لو<sup>(١)</sup> شئنا لَسَمَّيْنَا سَبِيلَ الاستدلال ، وَأَدَمْنَا التَّوْفِيقَ لِكُلِّ أَحَدٍ ، ولكن نَعَلَقْتُ لِلشَّيْطَانِ يُلْغُوهُ قَوْمٌ ، كما نَعَلَقْتُ بِإِدْنِهِ قَوْمٌ ، وأردنا أن يكونَ قُلُوبُ قُطَّانٍ ، كأردنا أن يكونَ لِلْجَنَّةِ سُكَّانٌ ، ولأنَّا عَلَّمْنَا يَوْمَ خَلَقْنَا الْجَنَّةَ أَنَّهُ يَسْكُنُهَا قَوْمٌ ، ويوم خلقنا النارَ أَنَّهُ يَنْزِلُهَا قَوْمٌ ، فَمِنْ السُّحَالِ أَنْ نُرِيدَ أَلَّا يَفِيقَ مَعْلُومَاتُهَا ، ولو لم يحصلَ لَمْ يَكُنْ عَلِيمًا ، ولو لم يكنَ ذَلِكَ عَلِيمًا لَمْ نَكُنْ إِلَهًا . . . ومن الحال أن نريدَ أَلَّا نَكُونَ إِلَهًا .

ويقال : مَنْ لَمْ يَسْلُطْ عَلَيْهِ مِنْ يَحِبُّهُ لَمْ يَخِرْ فِي مُلْكِهِ مَا يَكْرَهُ .

ويقال : يا مسكين أَقْبَيْتَ مَهْمَرَكُ فِي الْكَدِّ وَالْعَنَاءِ ، وَأَمْعَيْتَ أَيْمَانَكَ فِي الْجَهْدِ وَالرَّجَاءِ ، غَيَّرْتَ صِفَتَكَ ، وَأَكْثَرْتَ مَجَاهِدَتَكَ . . . فاقضِ في قضائي كَيْفَ تُبَدِّلُهُ ؟ وما نصنع في مشيقتي بأَيِّ وَسْعٍ تَرُدُّهَا ؟ وفي مناه أنشدوا :

شكاً إِلَيْكَ مَا وَجَدَ مِنْ خَائَتِهِ فِيكَ الْجَدَّ

حيرانُ لو شئتَ اهتلى ظُلَامُ لَوْ شئتَ وَرَدَّ

(١) هذه الإشارة المستوحاة من الآية تحمل أقصى درجات الجبرية في منقلب هذا الباحث العسوي ، ولكن القارئ لا يهرب عنه أن يهبطاً جبرية منزجة بالحب . . . ويكفي أنها مرتبطة بمشقة الخالق .

قوله جل ذكره : « فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا

إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد

بما كنتم تعملون »

قال من الهوان ما استوجبت بصيانك ، واخذ في دار الخزي لما أسلفته من كفرانك .

قوله جل ذكره : « إنا نؤمِّنُ بآياتنا الذين إذا

ذُكِّرُوا بها خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا

بمجد ربهم وهم لا يستكبرون »

التصديق والتكذيب ضدان - والضدان لا يجتمعان ؛ التكذيب هو جحد واستكبار ،

والتصديق هو سجود وتحقيق ، فمن اتصف بأحد القسمين اتقى عنه الثاني .

« خَرُّوا سُجَّدًا » : سجدوا بظواهرهم في الحراب ، وفي سرائرهم على تراب الخضوع

وسياطر الشروع بعت الذبول وحكم الخلود .

ويقال : كيف يستكبر من لا يجد كمال راحته ولا حقيقة أنه إلا في تذله بين يدي

معبوده ، ولا يؤثر أجل جحيمه على نعيمه ، ولا شقاءه على شفائه ؟

قوله جل ذكره : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون

ربهم خوسفاً وطمعاً وما رزقناهم

يُفْقُونَ »

في الظاهر : عن الفراش قياماً بحق العبادة والجهد والتهجد ، وفي الباطن : تنباعد قلوبهم عن

مضاجعات الأحوال ، ورؤية قدر النفس ، وتوهم القسام - فلذلك يجملته حجاب عن الحقيقة ،

وهو للبعد سيم قاتل - فلا يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم . ويارقون ما لهم ،

ويهجرون في الله معارفهم .

والليل زمان الأجباب ، ، قال تعالى : « لتسكنوا فيه » : معنى عن كل شغل وحديث

سوى حديث محبوبكم . والنهار زمان أهل الدنيا ، قال تعالى : « وجعلنا النهار معاشاً » ،

أولئك قال لم : « فلما قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » :

إِنَّمَا نَجِيعُونَ فِي رَكْمَتَيْنِ فِي الْجَمْعَةِ فَرَدُّوا إِلَى مَصْرِكُمْ ، وَاشْتَمَلُوا بِمَرْفَكِكُمْ .  
وَأَمَّا الْأَحْبَابُ فَالْإِلَهُ لَمْ يَأْتِ فِي طَرْبِ التَّلَاقِ وَإِنَّمَا فِي حَرْبِ التَّرَاقِ ، فَلِئِنْ كَانُوا فِي  
أَنْسِ الْقُرْبَةِ فَلْيَلِيْلَهُمْ أَقْصَرُ مِنْ لَحْظَةٍ ، كَمَا قَالُوا :

زَارَنِي مَنَ هَوَيْتُ بَعْدَ بِلَادِ  
بِوَصَالِ مُحَمَّدٍ وَوَدَادِ  
لَيْلَةٍ كَادَ يَلْتَقِي طَرْفَاهَا  
قَصَرًا وَهِيَ لَيْلَةُ الْبِلَادِ

وَكَمَا قَالُوا :

وَلَيْلَةُ زَيْنُ لِيَالِي الْعَمْرِ قَابَلْتُ فِيهَا بِدْرِهَا يَدِ  
لَمْ تَسْتَعِينَ عَنِ شَقِيٍّ وَغَيْرِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ وَهِيَ يَكْرُ الْعَمْرِ  
وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ مَقَالَةٍ فَرُقَّةٌ وَأَفْرَادٌ بِكَرْبَةٍ فَلْيَلِيْلَهُمْ طَوِيلٌ ، كَمَا قَالُوا :

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا أَفْتَيْتُهَا قَابِضًا عَلَى كَبَدِي  
قَدْ غُصَّتِ الْبَيْنُ بِالْمَوْعِ وَقَدْ وَضَعْتُ خَدِي عَلَى بَنَانِ يَدِي

قوله : يَدْعُونَ رَيْبَهُمْ خَوْفًا وَطَعْمًا : قَوْمٌ خَوْفًا مِنَ الْمَذَابِ وَطَعْمًا فِي الثَّرَوَاتِ ، وَآخَرُونَ  
خَوْفًا مِنَ الْفَرَاقِ وَطَعْمًا فِي التَّلَاقِ ، وَآخَرُونَ خَوْفًا مِنَ الْمَكْرِ وَطَعْمًا فِي الْوَصْلِ .

« وَمَا رِزْقَانِهِمْ يَنْفَقُونَ » : يَأْتُونَ بِالشَّاهِدِ الَّذِي خَصَّصْنَاهُ بِهِ ؛ فَلِئِنْ طَهَّرْنَا أَحْوَالَهُمْ عَنِ  
الْكُذُوبَاتِ حَضَرُوا بِأَحْوَالٍ مُقَدَّسَةٍ ، وَإِنْ دَنَسْنَا أَوْقَاتَهُمْ بِالْأَفْطِ شَهِدُوا بِمَجَالَتِ مُدَلَّسَةٍ ،  
« وَمَا رِزْقَانِهِمْ يَنْفَقُونَ » ؛ فَالْبَدُّ لِنَمَّا يَجْتَرِ فِي الْبِضَاعَةِ الَّتِي يَرُدُّهَا إِلَيْهِ سَيِّدُهُ :

فِي يَدَيْكَ الْوَجْهَ صَبَّ لَوْ يَكُونُ لَهُ

أَعَزَّ مِنْ رُوحِهِ شَيْءٌ فَهَذَا كَ بِهِ

قوله جل ذكره : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ  
أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

إِنَّمَا تَقَرَّبُ مِنْكَ بِرُؤْيَا مَنْ تَحِبُّهُ ، أَوْ مَا تَحِبُّهُ ؛ فَطَلِّبْ قَلْبَكَ وَرَاعَ حَالِكَ ؛ فَيَحْصِلُ  
الْيَوْمَ سُرُورُكَ ، وَكَذَلِكَ غَدَا . . . وَعَلَى ذَلِكَ تَحْشُرُ ؛ فَنُفِى الْخَيْرُ :  
« مَنْ كَانَ بِحَالِهِ قَرَى اللَّهَ بِهَا » .

نَمَّ إِنَّ وَصَفَ مَقَالِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِنَّهُ لَا يَسْلَمُهُ أَحَدٌ — مُحَالٌ ، اللَّهُمَّ أَنْ يُقَالَ : إِنَّهَا حَالُ  
عَزِيزَةٍ ، وَصَفٌ جَلِيلٌ .

قوله جَلْ ذَكَرَهُ : « أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَن كَانَ فَاسِقًا  
لَا يَنْتَوُونَ » <sup>(١)</sup> .

أَفَن كَانَ فِي حَالِ الْوَصَالِ يَمُورُ أَذْيَالَهُ كَن\* هُوَ فِي مَنَازِلَةِ الْفِرَاقِ يَقَامِي وَبَالَهُ ؟  
أَفَن كَانَ فِي رَوْحِ الْقَرْبَةِ وَنَسِيمِ الزُّلْفَةِ كَن\* هُوَ فِي هَوْلِ الْقَوْبَةِ يَمَافِي مَشَقَّةَ  
السَّكْفَةِ ؟

أَفَن هُوَ فِي رَوْحِ إِقْبَالِنَا عَلَيْهِ كَن\* هُوَ فِي عَجْزِ إِعْرَاضِنَا عَنْهُ ؟  
أَفَن تَجِي مَعَنَا كَن\* يَقَى عَمَّا ؟  
أَفَن\* هُوَ فِي نَهَارِ الْمَرْفَاقِ وَضِيَاءِ الْإِحْسَانِ كَن\* هُوَ فِي لَيْلَالِ الْكُفْرَانِ وَوَحْشَةِ  
الصَّيَانِ ؟

أَفَن أَيْدِيْ بَنُورِ الْبَرَهَانِ وَطَلَمَتْ عَلَيْهِ شُمُوسُ الْمَرْفَاقِ كَن\* رِبِيًّا بِالْخُذْلَانِ وَوُثْمٍ  
بِالْمُرْمَانِ ؟ لَا يَسْتَوِيَانِ وَلَا يُلْقِيَانِ !

قوله جَلْ ذَكَرَهُ : « أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ » .

« الَّذِينَ آمَنُوا : صَدَّقُوا ، « وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » : بِمَا حَقَّقُوا — فَلَهُمْ حُسْنُ  
الْحَالِ ، وَحَيْدُ الْمَالِ وَجَزِيلُ النَّالِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَحَدُوا ، وَفِي مَعْمَلَاتِهِمْ أَسَاءُوا

(١) من ابن عباس : أن الوليد بن عتبة قال لعل بن أبي طالب : أنا أحدُ منك سناناً ، وأبسطُ منك لساناً ،  
وأشدُّ لكيبيةً منك ، فقال حل\* : استكت فإنما أنت فاسق ... فنزلت الآية (الرواحي ص ٢٣٦) .

وأفسدوا ، قصارهم الخزيُّ والمهوان ، وفنون من للحن وألوان .. كلا راموا من محنتهم  
خلاصاً ازدادوا فيها اتسكساً ، وكلاً أملوا نجاةً جُرِّعوا وزيدوا بأساً .

قوله جل ذكره : « وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْمَذَابِ الْآدْنَى دُونَ

الْمَذَابِ الْأَكْبَرِ لَهُمْ يَرْجِعُونَ » .

قومٌ عذابهم الأدنى مِنُ الدنيا ، والمذابُ الأكبرُ لهم عقوبةُ العنَى .

وقومٌ المذابُ الأدنى لهم فترةٌ تتدخلهم في عبادتهم ، والمذابُ الأكبرُ لهم قسوةٌ في  
قلوبهم تصيبهم .

وقومٌ المذابُ الأدنى لهم وقفةٌ في سلوكهم تُصيبهم ، والمذابُ الأكبرُ لهم حجةٌ عن  
مشاهدتهم تنالهم ، قال قائلهم :

أَدْبَنِي بِانْصِرَافِ قَلْبِكَ عَنِّي

فَانْظُرْ إِلَى قَدْ أَحْسَنْتَ تَأْدِيبِي<sup>(١)</sup>

ويقال المذاب الأدنى الخذلان في الرِّقَّة ، والأكبر الهجران في الوعدة .

ويقال المذاب الأدنى تكدرُ مشاربهم بدصفوها ، كما قالوا :

قَدْ كَانَ مَا بَيْنِي زَمَانًا وَيَبْنِيهِ كَمَا بَيْنَ رِيحِ الْمَكِّ وَالسَّيْرِ الْوَرْدِ

ويقال المذاب الأكبر لهم تطاولُ أيامِ التَّيَّابِ من غيرِ تَبِينٍ آخِرٍ لَهَا ، كما قيل :

تَطَاوَلُ نَائِبَا يَأْنُورِ حَتَّى كَأَنَّ نَسِجَتْ عَلَيْهِ الْفَنَكِبُونَ

قوله جل ذكره : « وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ

ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ »

إِذَا نُبِّهَ الْعَبْدُ بِأَنْوَاعِ الزَّجْرِ ، وَحُرِّكَ — لَتَرَكِبُوا حُدُودَ الْوَقَاقِ — بصنوفٍ من التأديب

---

(١) الشطر الأول غير موزون ، والشطر الثاني من البسيط .

ثم لم يرتدع عن فعله ، واعتز بطول سلامته ، وأمن من هواجس مكرهه ، وخلا سراً ..  
أخذَه بنته بحيث لا يجد خرجة من أخذته ، قال تعالى : « لا تجأروا اليوم لأنكم منا  
لا تعصرون » (١)

قوله جل ذكره : « ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن  
في مرية من لقائه وجعلناه هدى  
لبني إسرائيل » .

فلا تكن في مرية من لقائه غداً لنا ورويتنا لنا (٢) .

« وجعلناه هدى لبني إسرائيل » :

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم جيل رحمة للعالمين .

قوله جل ذكره : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا  
لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

لما صبروا على طلبنا سجدوا بوجودنا ، وتمدّى مانالوا من أفضالنا إلى متابعيهم ،  
وابسط شعاع شمسهم على جميع أهلهم ؛ فهم للخلق هداة ، وفي الدين عيون ،  
وللمسترشدين نجوم .

قوله جل ذكره : « إن ربك هو يفصل بينهم يوم  
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » .

يحكم بينهم ، وعند ذلك يتبين الردود من القبول ، وللهجور من اللوصول ، والرضى من

(١) آية ٦٥ سورة المؤمنون .

(٢) صرف التشديد الروي واللقاء إلى موسى عليه السلام ، وأنه سيقى ربه ويراه . بينما يرى فتادة أن المقصود :  
فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة واستلقاءه - أي محبه - كما لقته ليلة الإسراء . وعن الحسن : فلا تكن  
- يا محمد - في شك من أنك ستلقى ماله من الكتابيب والأفئى ، فالقاء حاله على محفوف .  
وقيل إن الكلام متصل بقوله تعالى : قل يتوفاكم ملك الموت ... فلا تكن في مرية من لقائه ، وجاءت هو الله  
آتينا موسى واعتزاً .



التنوي ، والمسدود من الأولى ... فكُم من بهجة طمت هناك ! وكم من مهجة ذابت  
عند ذلك !

قوله جل ذكره : « أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ  
مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ »

أولم يهتدوا بمنازل أقوام كانوا في حيرة فصاروا عبرة ، كانوا في سرور فآلوا إلى  
ثبور ؛ جميع ديارهم ومزارعهم صارت لأغيارهم ، وصنوف أموالهم عادت إلى أشكالهم ، سكنوا  
في ظلالهم ولم يهتدوا بمن مضى من أمثالهم ، وكما قيل :

نعم كانت على قومٍ زماناً ثم هانت  
مكنا النعمة والإحسان مذ كان وكانت

قوله جل ذكره : « أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ  
الْجُرْزِ<sup>(١)</sup> فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ  
أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ »

الإشارة فيه : تُسقى حقائق وصلبهم بيد جفاف عودها ، وزوال المأنوس من مهورها ،  
فيعود عودها مورقاً بعد ذبوله ، حاكياً بحاله حال حصوله .

قوله جل ذكره : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ • قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِإِيمَانِهِمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ • »

---

(١) يقول الخزيمى ( الجز ) الأرض التي جزز نباتها أي قطع ، إما لعم الماء وإما لأنه دعى وأزيل ،  
ولا يقال التي لا تثبت كالسليخ جزز ، ويدل عليه قوله تعالى وفنخرج به زرعاً .  
وقال مكرمة : هي الأرض التي تلي .  
ويجوز بعضهم أن يطلقها على مكان يسه ( ابن عباس : أرض باين ) ويجوز : ( أرض التيل ) .

استقبلوا يومَ التلاق وجسدوه ، فأخبرهم أنه ليس لهم إلا الحسرة والخسرة إذا شملوه .

قوله جل ذكره : « فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانظُرْ إِلَيْهِمْ مَنظُورٌ » .

أَعْرِضْ عَنْهُمْ بِاشْتِغَالِكَ بِنَا ، إِفْقَالِكَ عَلَيْنَا ، وَاقْطَاعِكَ إِلَيْنَا .

« وَانْتَظِرْ » زَوَائِدَ وَصَلَيْنَا ، وَعَوَائِدَ لَعَلَّنَا .

« إِلَيْهِمْ مَنظُورٌ » هَوَاجِمَ مَقْتَنًا وَخَفَلًا مَكْرَتًا .. وَعَنْ قَرِيبٍ يَجِدُ كُلُّ مَنظُورَةٍ مَحْضَرًا .

## سورة الأحزاب

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »  
 بسم الله شهود وجوده يوجب لك تلقاً في تلقٍ ، ووجود جوده يوجب لك شرفاً  
 في شرف ، ففي تلك يكون ( هو ) <sup>(١)</sup> عنك الخلف ، وفي شرك فعل إلى كل لطف .  
 قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ  
 الْكَافِرِينَ وَاللَّاتَّقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً  
 حَكِيماً » .

يَا أَيُّهَا الْمُشْرَفُ حَالاً ، الْمُفْعَمُ قَدْ رَأَى مِنَّا ، الْمُتَلَّى رُبَّةً مِنْ قِبَلِنَا .. يَا أَيُّهَا الْمُتَرَقِّ إِلَى أَعْلَى  
 الرُّتَبِ بِأَسَى الْقُرْبِ .. يَا أَيُّهَا الْمُخْبِرُ عَنَّا ، لِلْأَمُونِ عَلَى أَسْرَارِنَا ، الْمُبْلَغُ خُطَابِنَا إِلَى أَحِبَابِنَا...  
 اتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَلَاخِظَ غَيْراً مَعَنَا ، أَوْ تَسَاكِنَ شَيْئاً مِنْ دُونِنَا ، أَوْ تُنْثَبَ أَحَدًا سِوَانَا ، أَوْ تَعُوْهُمْ  
 شُطْبَةً مِنَ الْحِدَثَانِ مِنْ سِوَانَا . « وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ » إشفافاً منك عليهم ، وطعماً في إيمانهم بنا  
 لو دققتم في شيء أرادوه منك <sup>(٢)</sup> .

والنصوى رقيب على قلوب أوليائه يمنهم في أهلهم ، وسكناتهم ، وحرركاتهم أن  
 ينظروا إلى غيره — أو يُفَيِّتُوا معه غيره — إلا منصوباً لقدرته ، مصرفاً بمشيئته ، نافذاً فيه  
 حكم قضيته .

(١) وضعنا (هو) من عندنا ليتضح المعنى كما نفهم من أسلوب التشبُّه في مثل هذا الحال .  
 (٢) يقال نزلت هذه الآية حينما دخل أبو سفيان وأبو جهل وأبو الأعمور السلي على النبي (ص) به  
 قتال أحد ، وطلبوا الأمان ، وقالوا للرسول : « أرفض . ذكر أكتنا ، وقلان لما شفاعاً وسنمة ونسك وركه  
 فشق حل النبي (ص) قولهم ، فقال عمر بن الخطاب — وكان بصحبة النبي : انذن له يا رسول الله في قتلهم ، فقال  
 النبي : إني قد أحاطهم الأمان ... وأمر يلغواهم من المنية . (الراشد ص ٣٦) .

التقوى لجأً يكبحك عما لا يجوز ، زمامٌ يوقك إلى ما تحب ، سوطٌ يسوقك إلى ما أمرت به ، شاخصٌ يملك على القيام بحق الله ، حرزٌ يصمك من توصل أعدائك إليك ، حُودٌ تُنفيك من ما خطأ .

التقوى وسيلة إلى سلوات كرمه ، ذريعةٌ تتوصل بها إلى عتوة جوده .

قوله جل ذكره : « وَأَنْتَبِهُ مَا يُوْحِي إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا » .

اتنبه ولا تبصع ، واتقذر بما تأمرك به ، ولا تهتدِ باختيارك غير ما مختار لك ، ولا تخرج في أوطان الكسل ، ولا تخرج إلى ناحية التواني ، وكن لنا لا لك ، وقم بنا لا بك .

قوله جل ذكره : « وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ

وَكِيلًا » .

انسلخ عن إهابك ، واصدق في إلباك إلينا ، وتشاغل عن حسابك معنا ، واحذر دُهابك منا ، ولا تُفَصِّرْ في خطابك معنا .

وَيَقَالُ التَّوَكَّلْ تَحَقُّقٌ ثُمَّ تَخَلُّقٌ ثُمَّ تَوْثُقٌ ثُمَّ تَعْلُقٌ ؛ تَحَقُّقٌ فِي الْقَيْدَةِ ، وَتَخَلُّقٌ بِإِقَامَةِ الشَّرِيعَةِ ، وَتَوْثُقٌ بِالْقِسْمِ مِنَ الْقَضِيَّةِ ، وَتَعْلُقٌ بَيْنَ يَدَيْهِ بِحُجْنِ الْعِبَادِيَّةِ .

وَيَقَالُ التَّوَكَّلْ تَحَقُّقٌ وَتَعْلُقٌ وَتَخَلُّقٌ ؛ تَحَقُّقٌ بِاللَّهِ وَتَعْلُقٌ بِاللَّهِ ثُمَّ تَخَلُّقٌ بِأَوَامِرِ اللَّهِ .

وَيَقَالُ التَّوَكَّلْ كُلُّ اسْتَوَاءِ الْقَلْبِ فِي الْعَدَمِ وَالْوُجُودِ .

قوله جل ذكره : « مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ

فِي جُوفِهِ » .

القلبُ إذا اشتغل بشيءٍ شُغِلَ عما سواه ، فالاشتغالُ بما منَ التَّدَمُّرُ مِنْفَصِلٌ عَنِ لِهِ التَّدَمُّرِ ، وللتصل قلبه بمن نتهه التَّدَمُّرُ مُشْتَقِلٌ عَمَّا مِنْ الدَّمِّ . . والليل والنهار لا يجتمعان ، والنيبُ والتهيرُ لا يلتقيان .

« وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون

منهن أمهاتكم وما جعل أديعاءكم  
أبناءكم ذلك قولكم بأفواهكم .

اللائي تظلمن<sup>(١)</sup> منهن لسن أمهاتكم ، والذين تبنين لسنوا بأبائكم ، وإن الذي  
صرتم إليه من افتراءكم ، وما نسبتم إلينا من آرائكم فذلك مردود عليكم ، غير  
مقبول منكم ، وإن أمكم عنه بعد البيان بنوتم ، وإن تآديتم بعد ما أعلمتم  
أطلت الهنة عليكم .

قوله جل ذكره : « ادعوا لآبائهم هو أقسط »

عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فليخوانكم  
في الدين ومواليكم وليس عليكم  
جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تمسكت  
قلوبكم وكان الله غفورا رحيما .

راعوا أنسابهم ، فإن أردتم غير النسبة فالأخوة في الدين يجمعكم ، وقراءة الدين  
والشكيلة أولى من قرابة النسب ، كما قالوا :

وقالوا قريب من أبي وعمومة

صلت : وإخوان الصفاء الأقارب

تناسبهم شكلا وعلما وألفة

وإن باعدتهم في الأصول للناسب

قوله جل ذكره : « النبي أولى بالؤمنين من أنفسهم  
وأزواجه أمهاتهم . وأولوا الأرحام  
بعضهم أولى ببعض في كتاب الله  
من المؤمنين والمهاجرين »

(١) بعض أن يقول الرجل لأمراته : أنت علي كظهر أمي ، وسيأتي تفصيل ذلك في سورة المجادلة ( المجلد

الإشارة من هنا : تقديم سُنته على هوائك ، والوقوف عند إشارته دون ما يتبادرُ به مُنالك ، وإيثار مَنْ يتوصل به سبباً ونسباً على أَمْرِكَ وَمَنْ والا .

« وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض » :

ليكن الأجانب منك على جانب ، ولكن صلتك بالأقارب . وصلة الرِّحم ليست بمقاربة الديار وتساقب المزار ، ولكن بمواقة القلوب ، والمساعدة في حالتي المكروه والمحبوب :

أرواحنا في مكانٍ واحدٍ وَصَدَتْ

أشباحنا بِشَأْمٍ ٣٧ أو خراسان

قوله جل ذكره : « وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ

ومنها ومن نوح وإبراهيم وموسى

وعيسى ابن مريم وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقَهُ

غليظاً » .

أخذَ ميثاقَ النبيين وقتَ استخراجِ الذرية من صُلبِ آدم — فهو الميثاق الأول ، وكذلك ميثاقُ الكل . ثم عند بَيْتِ كُلِّ رسولٍ ونُبُوَّةٍ كُلِّ نبيٍّ أخذَ ميثاقه ، وذلك على لسانِ جبريل عليه السلام ، وقد استخلص اللهُ سبحانه نبيّنا عليه السلام ، فأسمعه كلامه — بلا واسطة — ليلةَ المَراج . وكذلك موسى عليه السلام — أخذَ الميثاقَ منه بلا واسطة ولكن كان لنبيّنا — صلى اللهُ عليه وسلم — زيادةٌ حال ؛ فقد كان له مع سماعِ الخطابِ كشفُ الرؤية<sup>(١)</sup> .

ثم أخذَ المواثيقَ من الشُّبَّادِ بقلوبهم وأسرارهم بما يخصهم من خطابه ، فلكل من الأنبياء والأولياء والكابر على ما يؤهلهم له ، قال صلى اللهُ عليه وسلم « لقد كان في الأممِ

(١) حكاه في صحاحي في - (بقرات)

(٢) في كتاب الرؤية الكبير يرى الأشمري جواز ذلك ، أما القرشي : فيبني بشره هنا إلى ذلك إذ به كما سابق في يسلة سورة البروج يقول : « يسلم الله اسم لم يره بصر إلا واحد ، وهو أيضاً مُنْطَلَق فيه » المجلد الثالث

يُحَدِّثُونَ فَلَا يَكُنْ فِي أَدْنَى كَيْفَرٍ « وغيرُ مشارِكٍ لغيره في خواص كثيرة ، وذلك  
شهادة من الله عليه وسلم .

قوله جلّ ذكره : « لِبَسَالَةِ الصّٰدِقِينَ عَنْ رِصْدِهِمْ  
وَأَعْدَاءِ الْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا » .

يُذَكِّرُ سَوَالُ تَفْرِيسٍ لَا سَوَالِ تَضْيِيفٍ ، وَسَوَالُ لِحَابٍ لَا سَوَالِ عَتَبٍ . وَالصَّدْقُ  
أَلَّا يَكُونَ فِي أَحْوَالِكَ شَوْكٌ وَلَا قُوَّةٌ لِعَصْلِكَ رَيْبٌ ، وَلَا فِي أَعْمَالِكَ عَيْبٌ . وَقَالَ مِنْ أَمَارَاتِ  
الصَّدْقِ فِي الْمَامَلَةِ وَجُودُ الْإِخْلَاصِ مِنْ غَيْرِ مِلَاحَظَةٍ مَخْلُوقٍ . وَالصَّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ تَصْفِيَّتُهَا مِنْ  
غَيْرِ مِلَاحَظَةٍ لِحَابٍ .

وَالصَّدْقُ فِي الْأَحْوَالِ مِلَاحَظَةُهَا مِنَ الْمَارِضِ فِيَا يَبْنُوكَ وَبَيْنَ نَفْسِكَ ، وَفِيَا يَبْنُوكَ وَبَيْنَ النَّاسِ  
التَّبَاعُدُ عَنِ الْغُلْبَةِ ، وَفِيَا يَبْنُوكَ وَبَيْنَ اللَّهِ بِإِلْهَامَةِ التَّبَرُّيِّ مِنَ الْكَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، وَمَوَاصِلَةُ  
الْإِسْمَاعَةِ (١) ، وَحِفْظُ الْمُهْوَاضَةِ عَلَى الْعَوَامِ .

وَالصَّدْقُ فِي التَّوَكُّلِ عَدَمُ الْإِزْعَاجِ عِنْدَ الْقَدَرِ ، وَزَوَالُ الْإِسْتِشَارِ بِالْوُجُودِ (٢) .  
وَالصَّدْقُ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ الصَّحْرُ مِنْ قَلِيلٍ لِلدَّاهِنَةِ وَكَثِيرُهَا ، وَأَلَّا تَرَكَ ذَلِكَ لِزَجْرِ  
أَوْ لِعَاصِمٍ ، وَأَنْ تَشْرِبَ مَا تَشْتَبِي ، وَتَصِفَ بِمَا تَأْمُرُ ، وَتَنْهَى (نَفْسُكَ) (٣) مَا تَرْجُرُ .

وَقَالَ الصَّدْقُ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَيْكَ كُلُّ أَحَدٍ ، وَيَكُونَ عَلَيْكَ قَوْلٌ وَقَطْرٌ أَعْيَادٍ . وَقَالَ  
الصَّدْقُ أَلَّا تَجْنَحَ إِلَى التَّأْوِيلَاتِ (٤) .

(١) مَكَلًا فِي مَوْجِدٍ م (الْإِسْمَاعَةِ) وَكَلَامًا يَقْبُولُ فِي السِّيَاقِ .

(٢) مَكَلًا فِي مَوْجِدٍ م وَبِمَا كَلَّمْتَ (الْوُجُودِ) إِذْ نَحْسِبُ أَنْ مَقْصِدَ التَّشْبِيرِ أَنْ تَكُونَ رَاضِيًا إِذَا قَدَرْتَ  
أَرْوَجْتَ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيْفٍ : الْقَنَاعَةُ تَرْكُ التَّشَوُّقِ إِلَى الْمَقْهُودِ وَالْإِسْتِغْنَاءُ (بِالْوُجُودِ) الرِّسَالَةُ  
مِنْ ٨١ وَالشَّاكِرُ الْإِيَّ يَشْكُرُ عَلَى (الْوُجُودِ) وَالشَّاكِرُ الَّذِي يَشْكُرُ عَلَى الْمَقْهُودِ (الرِّسَالَةُ مِنْ ٨٩) . وَمَعَ ذَلِكَ  
قَدْ وَرَدَتْ (الْوُجُودِ) فِي قَوْلِ الْفَرَزْدِيِّ : السُّوْقُ نَهْمُ السُّكُونِ عِنْدَ الْعَدَمِ وَالْإِيْثَارُ عِنْدَ الْوُجُودِ ... فَالْوُجُودُ هُنَا  
الْمَعْنَى عَدَمُ الْعَدَمِ ؛ أَيْ وَجُودُ الْأَشْيَاءِ وَقَدَرُهَا . وَلَكِنَّا نَقْصِدُ أَنْ يَتَضَرَّرَ اصْطِلَاحُ (الْوُجُودِ) عَلَى الدَّرَجَةِ الْقَصْوِيَّةِ بِعَدَمِ  
التَّوَجُّدِ وَالْوُجُودِ ، وَهُوَ الْحَقُّ . (الرِّسَالَةُ مِنْ ٣٦ وَ ٣٧) وَأَنْظُرْ أَيْضًا تَفْسِيرَ التَّشْبِيرِ لِلآيَةِ ٣٩ سُورَةِ مَبَا (فِي هَذَا الْخِلَافِ)

(٣) وَخَصْنَا (نَفْسُكَ) مِنْ مَعْنَى لَا يَضِيقُ لِلنَّاسِ .

(٤) مَعْرُوفٌ أَنَّ التَّشْبِيرَ يَكْرَهُ التَّأْوِيلَاتَ الْمَازِيَّةَ إِلَى الْإِسْتِغْنَاءِ بِالنَّسَبَةِ الصَّوْفِيَّةِ .

قوله جل ذكره: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَصْلَوْنَ بَصِيرًا » .

ذَكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ مُقَابِلَتَهَا بِالشُّكْرِ ، وَلَوْ تَذَكَّرْتَ مَا دَفَعَ عَنْكَ نِيَا سَلَفَ لَهَا نَ عَلَيْكَ مَقَاسَةُ الْبَلَاءِ فِي الْحَالِ ، وَلَوْ تَذَكَّرْتَ مَا أَوْلَاكَ فِي اللَّامِ لِقَرُبَتِ مِنْ قَلْبِكَ التَّقَى فِي إِصْلَاحِ مَا تَوَلَّاهُ فِي السَّعْدِ .

ومن جملة ما ذكرهم به: <sup>(١)</sup> « إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ... » كم بلاد سَرَكَه عن المبدل وهو لم يشر إلى كم شُتْلِي كَانَ يَقْصِدُهُ فَصَدَّ عَنْهُ وَلَمْ يَلَمْ أَوْ كَم أَمْرٍ عَوَّقَهُ وَالْمَبْدُ يُصْنَعُ وَهُوَ — (سبحانه) — يعلم أن في تيسيره له هلاك المبدل فمنه رحمة به ، والمبدل يُتَمُّ وَيُضِيقُ صَدْرُهُ بِذَلِكَ !

قوله جل ذكره: « إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّ »

أَحَاطَ بِهِمْ شُرَاقِبُ الْبَلَاءِ ، وَأَحَقَّ بِهِمْ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ ، وَاسْتَسْلَمُوا لِلْاجْتِياعِ ، وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ، وَتَقَسَّمَتِ الظُّنُونُ ، وَدَاخَلَتْهُمْ كَوَايِهُنَ الْأَرْيَابِ ، وَبَدَأَ فِي سَوِيْدَانِهِمْ جَوْلَانُ الشُّكِّ .

« هَذَاكَ ابْتِلَى الْمُؤْمِنُونَ وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا » .

ثم أزال عنهم جعلها ، وَفَشَّ عَنْهُمْ شِدَّتَهَا ، فَانْجَابَ عَنْهُمْ سَحَابُهَا ، وَتَهَرَّقَتْ عَنْ قُلُوبِهِمْ هَوْمُهَا ، وَتَفَجَّرَتْ بِنَابِيعِ سَكِينَتِهِمْ .

(١) يروى: القشيري هنا ما يسمى غنمه (نيسم المنع) وهي شتف أمر يختلف عن (نعم المنع) ، والمبدل - لقصر نظره - يشكر على هذه ، ويحقق عليه تلك .



قوله جل ذكره : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم  
حرصٌ ما وعدنا الله ورسوله  
إلا غورا » .

صرّحوا بالكذب — لما اضلّوا عليه قلوبهم — حين وجدوا القتال بجلاء .

قوله جل ذكره : « وإذ قالت طائفة منهم يا أهل  
يُثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ  
فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا  
عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ  
إِلَّا فِرَارًا » .

تواصوا فيها بينهم بالفرار عندما سَوَّاتْ لَمْ شياطينُهُمْ من وشك ظنّ الأعداء . قوله :  
« ويستأذن فريق . . . » : يمتّلون<sup>(١)</sup> بالكشاف بيوتهم وضياح محفلاتهم ، ويكذبون فيما  
أظهروه عُذْرًا ، وهم لم يَحْمِلْهُمْ على فعلهم غيرُ جُبْنِهِمْ وقلة يقينهم .

قوله جل ذكره : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل  
لا يُؤلُّون الأديارَ وكان عهدُ الله مشلولًا  
ولكن لما عزم الأمر ، وظهر الجِدُّ لم يساعدهم الصدقُ ، ولم يذكروا أنهم سيُسْأَلُونَ  
عن عهدهم ، ويُعَاقَبُونَ على ما أسلفوه من ذنبهم .

قوله جل ذكره : « قل إن بنفسكم الفرارُ إن فررتُم  
من اللوتِ أو القتلى وإذًا لا تُنصَحُونَ  
إلا قليلاً » .

لأنّ الآجالَ لا تأخِرُ لها ولا تَهدِمُ عليها ، وكما قالوا : « إنَّ المارِبَةَ عَمَّا مَرَّ  
كَاثِرٌ فِي كَفِّ الطَّالِبِ يَضْلُبُ » .

« وَإِذَا لَا تَنْصَحُونَ إِلَّا قَلِيلًا » : فإنَّ ما يَدَّخِرُهُ العبدُ عن الله من مالٍ أو جاهٍ  
أو غَيْرِ أَوْ قَرِيبٍ لِأَيَّارِكْ لَهُ فِيهِ ، وَلَا يَحْدُ بِهِ مَنَمَةً ، وَلَا يُرْزَقُ مَنَةً غِيْطَةً .

(١) يَنْصَرُّ النَّصْرَ هُنَا — مِنْ مَّيْمَنَةٍ — لِلْمُنَافِقِينَ وَ الطَّرِيقَ بِطَلَالِ الْإِسْتِخَارَةِ وَ دَعَاوِي الْفَضْلِ .

قوله جل ذكره : « قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَصْعَكُ مِنْ  
اللهِ إِنِ ارْتَدَّ بِكُمْ سَوَاءٌ أَوْ ارْتَدَّ بِكُمْ  
رَحْمَةً وَلَا يَحْشُدُونَ لِمَنْ دُونِ اللَّهِ  
وَلَيْسَ وَلَا نَصِيرًا » .

من الذي يحقق لكم مَنْ دُونَهُ مَرْجُوءًا ؟ ومن الذي يصرف عنكم دُونَهُ عَذْوًا ؟  
قوله جل ذكره : « قَدْ عَلِمَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ فِيكُمْ وَالْقَائِلِينَ  
لِإِخْوَانِهِمْ هُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ  
إِلَّا قَلِيلًا » .

هم الذين كانوا يمتنعون بأنفسهم عن نصرته التي عليه السلام ، ويعتصمون غيروهم ليكون  
جسمهم أكثر وكيدهم أخفى ، وهم لا يعلمون أَنَّ اللَّهَ يُطْلِعُ رَسُولَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِمْ  
ثُمَّ ذَكَرَ وَصَفَهُمْ فَقَالَ :-

« أَشْجَعٌ عَلَيْكُمْ فَلَمَّا جَاءَ الْخَوْفُ  
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ  
كَالَّذِي يُفْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْوُتِّ فَلَمَّا  
ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّسَةِ حِنَادَ »

إذا جاء الخوفُ طَلشتَ من الرعبِ عقولُهم ، وطاحت بصائرهم ، ونطقت عن  
النصرة جميع أعضائهم . وإذا ذهب الخوفُ زَيْنُوا كلامهم ، وقدموا خداعهم ،  
واحاطوا في أحقاد خيستهم ... أولئك هذه صفاتهم ؛ لم يباشر الإيمان قلوبهم ، ولا صدقوا  
فيما أظهرها من ادعائهم واستسلامهم .

قوله جل ذكره : « يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا  
وَلَئِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ  
يَادُّونَ فِي الْأَحْزَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ  
وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا » .

يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ، ويخافون من عودهم ، ويفزعون من ظل أنفسهم

إذا أقصوا على آثارهم ، ولو اتقى مجرمُ الأعداء ما كنوا إلا في حرز سيوفهم  
ودرية<sup>(١)</sup> رماحهم .

قوله جلّ ذكره : « لقد كان لكم في رسول الله  
أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله  
واليومَ الآخرَ وذكر الله كثيراً » .

« كان » صلة ومنها : لكم في رسول الله أسوة حسنة ، به قدوتكم ،  
ويجب عليكم متابعته فيما يرحمكم . وأقوال الرسول ( ص ) وأفعاله على الوجوب  
إلى أن يقوم دليل التخصيص ، فأما أخواله فلا سبيل لأحد إلى الإشراف عليها ، فإن  
ظهر شيء من ذلك بلغاره أو بدلالة أقواله وأفعاله عليه فلن كان ذلك مكتسباً من  
قِبَله فيلحق في الظاهر بالوجوب بأفعاله وأقواله ، وإن كان غير مكتسب له فهي خصوصية  
له لا ينبغي لأحد أن يتعرض لمقابلته لاختصاصه — صلى الله عليه وسلم — بذكر رتبته<sup>(٢)</sup> .

قوله جلّ ذكره : « ولا رأى المؤمنون الأحزاب  
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق  
الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً »

كما أن للتابعين اضطربت عقائدُهم عند رؤية الأعداء ، فالؤمنون وأهل اليقين ازدادوا  
حجةً ، وحل الأعداء جرأةً ، ولحكم الله استسلاماً ، ومن الله قوة .

قوله جلّ ذكره : « من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا

الله عليه فذهب من قنَى نجه ومنهم

من ينتظروا تبديلاً » .

شكّر منيهم في الراس ، ومدح يمينهم عند شهود الباس ، وعام رجالاً إيماناً

(١) القرية ما يشتر به الصالح من نصيبه فربيه إذا أكنه .

(٢) يفيد هذا الكلام في توضيح نظرة هذا الباحث إلى السنة كصدر أساسي من مصادر التشريع ، فالسنة  
أقوال وأفعال وأحوال ، منها ما يصلح السوم ، ومنها ما ينص به الرسول نفسه .

لخصوصية رتبهم<sup>(١)</sup> ، وتمييزاً لهم من بين أشكالهم بملو الحلقة ولذلة ، فهم من خرج من دنياه على صدقة<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من ينتظر حكم الله في الحياة والمات ، ولم يرضوا عن عهدهم ، ولم يراوغوا في مراعاة حدتهم ؛ فحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحد .  
 ويقال : الصدق استواء الجهر والسر .  
 ويقال : هو الثبات عندما يكون الأمر جدياً .

قوله جل ذكره : « لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ لِلنَّافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَرْحَمَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً » .  
 في الدنيا يميز الصادقين بالتمكين والنصرة على العدو وإعلاء الراية ، وفي الآخرة يجمل الثواب وجزيل المكافاة والخلود في النعيم اللقيم والتقديم على الأمثال بالتمكيم والتعظيم . .  
 « ويضبط للنافقين إِنْ شَاءَ أَوْ يَرْحَمَ عَلَيْهِمْ » على الوجه الذي سبق به العلم ، وتعلقت به للشيئة .  
 ويقال : إذا لم يعزم بقوة النفاق وعَلَى القول فيه بالرجاء فيالمرى ألا يحجب المؤمن في رجائه .

قوله جل ذكره : « وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيْعِهِمْ لَمْ يَحْشُرْهُمْ أُولَئِكَ مِنْكُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » .  
 يتألفوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال .  
 وكان الله قوياً عزيزاً .  
 لم يُشمت المسلمين عدواً ، ولم يُوصَلْ إليهم من كيدهم سوءاً ، ووضع كيدهم مخروم ، وأجنتهم من أصولهم ، وبين بذلك جواهر صدقهم وغير صدقهم ، وشكر من استوجب شكره من جلهم ، وفضح من استحقق التمس من اللذين منهم .

(١) ومن المؤمنين رجال .. : من أنس أنها نزلت في عهد أنس بن النضير الذي أبلى يوم أحد بلاداً عظيماً ، حتى قتل وبه ثمانون جراحة بين شربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسم .. رواه البخاري عن بشار ، ومسلم عن محمد بن حاتم .

(٢) ومنهم من قفى نحوه نزلت في طلحة بن عبيد الله ثبت بجانب الرسول يوم أحد حتى دعا له الرسول (ص) : اللهم أوجب للطلحة الجنة . (الواحد ص ٢٢٨) .

« وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ مِنْ صَيَّاصِهِمْ وَقَذَفَ فِي  
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ  
فَرِيقًا » .

إِنَّ الْحَقَّ — سبحانه — إِنْ أَجَلَ أَكَلْ ، وَإِذَا شِئَ كَفَى ، وَإِذَا وَفَى أَوْفَى .  
فَأَغْرَقَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ، وَأَوْرَثَهُمْ مَقَالَهُمْ ، وَأَذَلَّ مُتَمَرِّزَهُمْ ، وَكَفَلَهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ أَمْرَهُمْ ،  
وَمَكَّنَهُمْ مِنْ قَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ وَنَهَبِ أَمْوَالِهِمْ ، وَسَبَى ذُرَارِهِمْ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلزَّوْجِ الْإِنِّ  
كَتَنَنْ تُرْدُنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا  
فَتَصَالِحِينَ أَمْعَكُنْ وَأَسْرُحَكُنْ سَرَاخًا  
جَمِيلًا • وَإِنْ كَتَنَنْ تُرْدُنَ اللَّهُ  
وَرَسُولَهُ وَاللَّائِي الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ  
لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا » .

لَمْ يُرِدْ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ أَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مِنْهُ فِي شُغْلٍ ، أَوْ يَسُودَ  
إِلَى أَحَدٍ مِنْهُ أَدَى أَوْ تَصَبَّ ، فَخَيَّرَ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — نِسَاءَهُ <sup>(١)</sup> ، وَوَقَّعَ اللَّهُ سَبْعَانَهُ  
مَائَةً أُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — حَتَّى أَخْبَرَتْ عَنْ صِدْقِ <sup>(٢)</sup> قَلْبِهَا ، وَكَمَالِ دِينِهَا  
وَقِيَّتِهَا ، ( وَبِمَا هُوَ الْمُنْتَظَرُ مِنْ أَصْلَاحِهَا وَتَرْبِيَّتِهَا ) <sup>(٣)</sup> ، وَالْبَاقِي جَرَيْنَ عَلَى مَنَاجِمِهَا ،  
وَنَسَجْنَ عَلَى مَنَاطِلِهَا .

قوله جل ذكره : « يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ بَاطِلٍ مِنْكُنَّ »

(١) يُقَالُ إِنَّهُ قَالَ لِمَائَتِهِ : إِنْ ذَاكَ كَأَمْرٍ وَلَا مِلْكَ أَنْ لَا تَسْلُبْنِي حَتَّى تَسْأَرِي أَبْرَكَ ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهَا  
الْقُرْآنَ ، فَقَالَتْ : أَيْ هَذَا أَسْلَبِي أَبْرَكَ ؟ فَقَالَ أَرِيدُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَاللَّائِي الْآخِرَةَ . فَرَوَى الْقُرْطُبِيُّ فِي رُجُوعِهِ  
سَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) حِكَايَاتُ مَوْحِي فِي سِ ( كَتَنَتْ ) وَهِيَ غُلَا تَطْلَأُ .

(٣) مَا بَيْنَ الْقَتْلِ مَوْجُودٌ فِي مَوْجِبٍ مَوْجُودٌ فِي سِ .

بِجَانِبِ مُبَيَّنَةٍ يُخَافُ لَهَا الْعَذَابُ  
ضَمِينٌ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الْفَرِيدِ . »

زيادةُ العقوبة على الجرم من أمارات العقوبة ، وقيل فضل على الأبرار على العبد  
وتقليل ذلك من أمارات النقص ؛ فلما كان مؤثماً في الأمر فزيد على منزلة . مع  
النساء ضاعفت عقوبتهن على أجهلهم ، وضاعف ثوابهن على أطهرهن . وقال :

« وَمَنْ يَنْتَفِ مِنْكَ فِي وَجْهِهِ  
وَمَنْ يَنْتَفِ مِنْكَ فِي أَمْرِهِ مَرْثِيٌّ  
وَأَمْرُهُ الْمَارِزُ كَرِيمٌ » .

ثم قال :

« يَا نِسَاءَ الْيَمِّ لَكُمْ كَلِمَةٌ مِنَ النِّسَاءِ  
إِنْ أَتَيْتُنَّ فَلَا تَنْقُصَنَّ بِالْقَوْلِ فِيمَا بَيْنَ  
الْبَيْنِ فِي قَلْبِهِ مَرْمُوزٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
مَمْرُوفًا » .

نهيهن عن التبذل ، وأمرهن بمراعاة حرمة الرسول ( ص ) ؛ والنصائح من تطمئن  
النافعين في ملامتهن .

قوله جل ذكره : « وَتَوَنَّنِي يَوْمَ تَكُونُ وَلَا تَبْذُرْنَ  
تَرْجُحَ الْمِيزَانِ الْأُولَى وَالْآخِرَةِ الْعِلَّةُ  
بِاتِّقِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِيعِينَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ  
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
تَطْهِيرًا » .

« الرِّجْسُ » : الأفعال الخبيثة والأخلاق السيئة ؛ فالأفعال السيئة التواضع ، ما ظهر  
منها وما باطن ، وما قل وما جل . والأخلاق السيئة الأموال والبدع والتبذير والشح

وَقَطَعَ الرَّحِيمُ ، ويريد بهم الأخلاق السكرة كالجود والإيثار والسخاء وصلة الرَّحِيم ، ويدم لهم الترفيق والمصمة والتسديد ، ويطهرهم من الذنوب والعيوب .

قوله جل ذكره : « وَاذْكُرْ مَا يُبْلَى فِي يَوْمِئِذٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا » .

أَذْكُرْ عَظِيمَ النِّعَةِ وَجَلِيلَ الْحَقِّهِ الَّتِي تَجْرَى فِي يَوْمِئِذٍ ؛ مِنْ نَزُولِ الْوَحْيِ وَجِيءِ الْمَلَائِكَةِ ، وَخُرُوجِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَالنُّورِ الَّذِي يَقْبِضُ فِي الْأَفَاقِ ، وَنُورِ الشَّمْسِ الَّذِي يَنْبَسِطُ عَلَى الْعَالَمِ ، فَاعْرِضْ<sup>(١)</sup> هَذِهِ النِّعَةَ ، وَأَرِضْ هَذِهِ الْحُرْمَةَ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ . . . »  
الإسلام هو الاستسلام ، والإخلاص ، والمباينة في المجاهدة والمكابدة .

« وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . . . »

الإيمان هو التصديق وهو جمع الطاعات ، ويقال هو التصديق والتحقق ، ويقال هو انقسام الحقيقة في القلب . ويقال هو حياة القلب أولاً بالنقل ، ولتوهم بالعلم ، ولآخرين ، بالقول عن الله ، ولآخرين بالتوحيد ، ولآخرين بالرفعة ، ولآخرين بإيمانهم حياة قلوبهم بالله .

« وَالْقَاتِنِينَ وَالْقَاتِنَاتِ . . . »

الْقَاتِنُ طَوْلُ الْعِبَادَةِ .

« وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ . . . »

فِي عَهْدِهِمْ وَعَقُودِهِمْ وَرِعَايَةِ حُدُودِهِمْ .

---

(١) حرف هنا يعني ذكر الفضل .. وهذه المناسبة أكشف للقارئ من شيء حيرني دوماً طويلاً حيناً كنت أقرأ نائية ابن الفارض التي أولها :

قلبي يحدني بأنك متلفي  
وروسى فذاك مرلت أم لم تعرف  
فألمأ أرضي للشمس التال من هذا البيت ؛ لأن كنت أربط بين حرف وبين علم . فكنت أسأل نفسي كيف يخاطب ابن الفارض ربه على هذا النحو ؟ حتى إحتلت إلى أن ألمحت : ألى سأفديك بروسى حتى ولو تلفت في ذلك ، وسألت عليه ، حواذيرك لي ما أفسح ، وإحتسبه .. أم لم تفلح .

« والصابرين والصابرات .. »

على الخصال الحيدة ، وعن الصفات القمية ، وعند جريان مفاجآت القضية .

« والخالشين والخالصات .. »

الخشوع إطرارُ السُرمَةِ عند بواهِ الحقيقة .

« والمتصدقين والمتصدقات .. »

بأموالهم وأنفسهم حتى لا يكون لهم مع أحدٍ خصومة فيما نالوا منهم ، أو قالوا فيهم<sup>(١)</sup>

« والصائمين والصائمات .. »

المسكين عمّا لا يجوز في الشريعة والطريقة .

« والحافظين فروجهم والحافظات .. »

في الظاهر عن الحرام ، وفي الإشارة عن جميع الأكام .

« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات .. »

بأسنتهم وقلوبهم وفي عموم أحوالهم لا يفتنون ، ولا يتدّخلهم نسيان .

« أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً » .

فهؤلاء لهم جميلُ الحسنَى ، وجزيلُ العتقى .

قوله جل ذكره : « وما كان ليؤمنين ولا مؤمنين إذا

قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم

التيّرة من أمرهم ، ومن يعص الله

ورسوله قد ضلّ سُلّاباً مبيناً » .

الاعتباتُ عليه في أمره والاعتراضُ عليه في حكمه وتركه الاعتقادُ لإشارته .. قرع لبّ

الشرك ؛ فمن لم يمسك عنه سريعاً وقّع في هدمته .

قوله جل ذكره : « وإذ قولنا لئن لم يؤمن الله عليه وأنمت

---

(١) وهذا من آيات النُصرة أنظر الرسالة ص ١١٣



عليه أُمِسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ  
وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَى  
النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى  
زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لَكَ  
لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ  
أَدْعِيَهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ  
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا .

أَنَّمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بَأْنٌ ذَكَرَهُ وَأَفْرَدَهُ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ بِاسْمِهِ .

وَيَقَالُ : أَنَّمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهِ وَتَبَيَّنَتْ لَهُ . وَيَقَالُ : بَأْنٌ أَعْتَقْتَهُ ، وَيَقَالُ : بِالْإِعَانِ  
وَالْمَرْفَعَةِ . وَأَنْصَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعَقِّ وَبَأْنٌ تَبَيَّنَتْهُ . « أُمِسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ » إِفْهَامَةٌ لِلشَّرِيعَةِ مَعَ  
عِلْمِكَ بِأَنَّ الْأَمْرَ فِي السَّاقِبَةِ إِلَى مَاذَا يَثُولُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَطْلَمَكَ عَلَيْهِ ، وَقُلْتُ لَهُ : « اتَّقِ . . » .  
قَوْلُهُ : « وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ » : أَيْ لَمْ تُظْهِرْ لِمَنْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّكَ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَمْرِ  
فِي الْمُسْتَأْنَفِ .

« وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ . . » مِنْ مَثَلِكَ وَمَحَبَّتِكَ لَهَا لَا عَلَى وَجْهِ لَا يَحِلُّ . « وَتُخْفَى النَّاسَ . . »  
أَيْ وَتُخْفَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي الْفِتْنَةِ مِنْ قِصَّةِ زَيْدٍ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْخِشْيَةِ إِشْفَاقًا مِنْكَ عَلَيْهِمْ ،  
وَرَحْمَةً بِهِمْ .

وَيَقَالُ : وَتُسْتَعَى مِنَ النَّاسِ — وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَسْتَعَى مِنْهُ .

وَيَقَالُ : تَخْفَى النَّاسَ أَلَّا يَطْلِقُوا سَمَاعَ هَذِهِ الْحَالَةِ وَلَا يَقُولُوا عَلَى نَحْمِلِهَا ، فَرِيحًا يَخْطُرُ  
بِهِلْمٍ مَا يَنْفَى عَنْهُمْ وَسُخْمَهُمْ . .

« فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا وَزَوَّجْنَاكَهَا . . » لَكَ لَا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي الْأَزْوَاجِ بِزَوَّاجَاتِ أَدْعِيَائِهِمْ ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ يُحَرِّمُ فِي الْإِبْنِ إِذَا كَانَ  
مِنَ الصُّلْبِ .

« وكان أمرُ الله قَدراً مقدوراً » .

لا يُمارَسُ ولا يُناقَضُ ، ولا يُرَدُّ ولا يُجَدَّد . وما كان على النبي من حرجٍ بوجهٍ  
لكونه مصوماً .

قوله جل ذكره : « الذين يُبَيِّنُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ

وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنِيَ بِاللَّهِ

حَسِبًا » .

« ويخشونه » : علماً منهم بأنه لا يُصِيبُ أحداً ضررٌ ولا عَذْرٌ ولا مكروهٌ إلا بتقديره؛

فيردونه بالخشية إذ علموا أنه لا شيء لأحدٍ مِنْ دُونِهِ .

قوله جل ذكره : « ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم

ولكن رسولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ

وكان الله بكل شيءٍ عليماً » .

لم يكن مضافاً إلى وِثَرِهِ عليه شفقة الآباء .. ولكن ليس بآبائكم .

ويقال نسبُهُ ظاهرٌ .. ولكن إنما يُعْرَفُ بِي لا بِنَسَبِهِ ؛ فهُلَّا يقال : محمدٌ بن عبد الله ،

ولكن إلى أبد الأبد يقال : محمد رسول الله . وشعارُ الإيمانِ وكلمةُ التوحيدِ — بعد لا إله إلا

الله — محمدٌ رسولُ الله .

قوله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا أذكروا اللَّهَ ذِكْرًا

كثيراً » وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً »

الإشارة فيه أَجِبُوا اللَّهَ ؛ لأنَّ النبي — صلى الله عليه وسلم — قال : « مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا

أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ » فيجب أن يقول : الله ، ثم لا تنسَ الله بعد ذكرك الله .

ويقال : اذكروا الله بقلوبكم ؛ فَإِنَّ الذِّكْرَ الَّذِي تَمَكَّنَ اسْتِغْنَاهُ ذِكْرُ الْقَلْبِ ؛ فَأَمَّا ذِكْرُ

اللسانِ فإدامته مُسْتَرْمِداً كاللتنين .

« وَسُبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً » : التَّسْبِيحُ من قبيل الذِّكْرِ ، وَلَكِنَّهُ ذَكَرَهُ بِلَفْظَيْنِ ثَلَاثًا تَعْرِيفًا سَامَةً (١) .

قوله جل ذكره : « هُوَ الَّذِي بَصَّلَكُمْ عَلَيْهِمْ وَمَلَأَكُمْ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا » .

الصَّلَاةُ فِي الْأَصْلِ الدُّعَاءُ (٢) ؛ فَصَلَاتُهُ — سُبْحَانَهُ — دُعَاؤُهُ لَنَا بِالتَّقَرُّبِ ، وَصَلَاةُ لِلْإِسْكَةِ دُعَاؤُهُمْ إِلَيْهِ لَنَا : بِالتَّغَرُّبِ لِلْعَامَى ، وَبِالْإِحْسَانِ لِلْمَطْعِ .

وَيُقَالُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّهِ بِمَعْنَى الرَّحْمَةِ ، وَمِنَ اللَّاسِكَةِ بِمَعْنَى الشَّفَاعَةِ .  
 « لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » : مِنَ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ .  
 وَيُقَالُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أَيْ يَهْدِيكُمْ مِنَ الضَّلَالِ بِرُوحِ الْوَصَالِ .  
 وَيُقَالُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ التَّنْذِيرِ إِلَى فُضَاءِ شُهُودِ التَّقْدِيرِ .  
 وَيُقَالُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ نَفْسِكُمْ إِلَى أَنْوَارِ الْبَصَائِرِ فِي قُلُوبِكُمْ .  
 وَيُقَالُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ أَسْبَابِ التَّفَرُّقِ إِلَى شُهُودِ عَيْنِ التَّوْفِيقِ ، وَالتَّحَقُّقِ بِأَوْصَافِ الْجَمْعِ .  
 وَيُقَالُ بِصُورَتِكُمْ مِنَ الشَّرِّكَ ، وَبُيُوتِكُمْ بِشَوَاهِدِ الْإِيمَانِ .

قوله جل ذكره : « تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا » .

التَّحِيَّةُ إِذَا قُرُنَتْ بِالرُّؤْيَا ، وَاللِّقَاءُ إِذَا قُرِنَ بِالتَّحِيَّةِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَعْنَى رُؤْيَا الْبَصَرِ .  
 وَالسَّلَامُ خُطَابٌ يَفَاحُ بِهِ الْمَلَكُ لِإِخْبَارِهِ عَنْ عُلُوِّ شَأْنِهِمْ وَرَتَبَتِهِمْ ، فَلِتَأْوِذِهِ حَاصِلٌ وَخُطَابُهُ

(١) هذه لفظة عامة تهم البلاغيين .

(٢) يوضح الفريسي هنا ما يسمى به (نعم المنع) ، وهي صفة آخر يختلف عن (نعم المنع) ، والعبد - لقصر نظره - يشكر على هذه ، ويتحقق عليه تك .

مسموع ، ولا يكون ذلك إلا برؤية البصر<sup>(١)</sup> .

« أجراً كريماً » : الكرمُ نَفَى الدناءة ، وكرماً أى حسناً .

وفي الإشارة أجرهم موفور على علم يسير ؛ فإنَّ الكرم لا يستقصى عند البيع والشراء في الأعداء ، وذلك ترفُّف بالإحسان السابق في وقت غيتك<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً

وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً \* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجاً مُنِيراً \* وَبَشِّيرَ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ

لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَثِيراً » .

يَا أَيُّهَا الشَّرَفُ مِنْ قَبْلِنَا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً بوحديثنا ، وشاهداً تُبَشِّرُ بِمُتَابِعَتِنَا ، وتُحَذِّرُ من مخالفة أَمْرِنَا ، وتُعَلِّمُ النَّاسَ مَوَاضِعَ الْغُلُوفِ مِنَّا ، ودَاعِياً إِلَيْنَا بِنَا ، وسراجاً يَسْتَضِيئون به ، وشمساً يَنْبَسِطُ شِعَاعُهَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ صَدَّقَكَ ، وَأَمَّنَ بِكَ ، فلا يَصِلُ إِلَيْنَا إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ وَخَدَمَكَ ، وَصَدَّقَكَ وَقَدَّمَكَ .

« وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ » بِفَضْلِنَا مَعَهُمْ ، وَتَيْلِيمِ طَوْلِنَا عَلَيْهِمْ ، وَإِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ . وَمَنْ لَمْ تُؤَيِّرْ فِيهِ بَرَكَةُ إِيْمَانِهِ بِكَ فَلَا قُدْرَةَ لَهُ عِنْدَنَا .

قوله جل ذكره : « وَلَا تَطْلِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ

أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ

وَكَيْلاً » .

لا توافِقْ مَنْ أَرْضَانَا عَنْهُ ، وَأَضَلَّنَا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ ، وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَالشُّقَاقِ . وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ بِدَوَامِ الْإِقْطَاعِ إِلَيْهِ ، وَكُنْ بِاللَّهِ وَكَيْلاً .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَكْفِيكُمْ

(١) يضاف هذا الكلام إلى المبدأ الذي يتجسَّس له التقشيري وهو الرؤية للعيانية للحق في الآخرة .

(٢) يقصد التقشيري : أولئك الذين أحسن الله إليهم في سابق حمله ، وهم ما زالوا في كتم العلم - على حد تعبيره - في مواضع مناظرة .

الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
تَسُوهُنَّ فَإِنَّ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ  
تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا  
جَيِّلاً .

. إِنْ أَسْرَخْتُمْ فَرَاقَهُنَّ فَمَتَّعُوهُنَّ لِيَكُونَ لَكُمْ تَذْكُرَةٌ فِي أَيَّامِ الْفُرْقَةِ فِي أَوَّلِهَا إِلَى أَنْ  
تُحْطَ بِنَفْسِ غَوَّسِهِنَّ عَلَى الْفُرْقَةِ .

« وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَيِّلاً » : لَا تَذْكُرُوهُنَّ بَعْدَ الْفِرَاقِ إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَلَا تَسْتَرْدُوا مِنْهُنَّ  
شَيْئًا تَحْتَضِمْنَ بِهِ مَعَهُنَّ ، فَلَا تَجْمَعُوا عَلَيْهِنَّ الْفِرَاقَ بِالْحُلَالِ وَالْإِضْرَارِ مِنْ جِهَةِ الْمَالِ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ  
الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ  
يَمِينُكَ بِمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ  
وَبَنَاتِ أَخِيكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ .....  
غَفُورًا رَحِيمًا » .

وَسَمَّيْنَا الْأُمَمَ عَلَيْكَ فِي بَابِ النِّكَاحِ بِكُمْ شَيْئًا ؛ فَإِنَّكَ مَأْمُورٌ مِنْ عَيْبِ عَدَمِ التَّسْوِیَةِ بَيْنَهُنَّ  
وَعَدَمِ مِرَاقَاةِ حُقُوقِهِنَّ ، وَمِنْ الْحَيْفِ عَلَيْهِنَّ . وَالتَّوَسُّعُ فِي بَابِ النِّكَاحِ تَذَلُّلٌ عَلَى النَّصِیْلَةِ  
كَالْخُرْقِ وَالْمَبْدِ .

« تَرْجِي مَنْ نَشَأَ مِنْهُنَّ وَتَوَارَى إِلَيْكَ  
مَنْ نَشَأَ وَمَنْ ابْتَضِيتَ مِنْ عَزَلَتِ  
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ  
أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ  
كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ... » .

« مَنْ نَشَأَ » : عَلَى مَا تَحْتَلِّقُ بِهِ لِإِرَادَتِكَ ، وَقَعَ عَلَيْهِ اخْتِيَارُكَ ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ  
وَلَا جُنَاحَ .

« لَا يَمِلْ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَدْنٍ وَلَا أَنْ  
تَبْكَلَ بَيْنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ  
حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ  
اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا » .

لَا اخْتَرْتَهُنَّ أَحَبَّتْ اللَّهُ لَهُنَّ حُرْمَةٌ ، قَالَ : « لَا يَمِلْ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَدْنٍ » فَمَا اخْتَرْتَهُنَّ  
فَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِنَّ امْرَأَةً أُخْرَى تَطْلُبُ قُلُوبَهُنَّ ، وَنَوْعًا لِلْعَادَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُنَّ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى  
كَرَمِهِ — وَالْحِفَاطُ كَرَمٌ وَدِينٌ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتَ  
النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ  
غَيْرٍ فَاظْكُرُوا أَنَّهُ وَلَسْكَنَ إِذَا دُعِيتُمْ  
فَادْخُلُوا ... » الآية .

أَمَرَهُمْ بِحِفْظِ الْأَدَبِ فِي الْأَسْتِئْذَانِ ، وَمِرَاعَاةِ الْوَقْتِ ، وَوَجُوبِ الْإِحْقَامِ ؛ فَلِذَا أُذِنَ لَكُمْ  
فَادْخُلُوا عَلَى وَجْهِ الْأَدَبِ ، وَحِفْظِ أَحْكَامِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ ، وَإِذَا انْتَهَتْ حَوَائِجُكُمْ فَارْجِعُوا ،  
وَلَا تَتَفَلَّحُوا عَنْكُمْ ، وَلَا يَمْنَعَنَّكُمْ حُسْنُ خُلُقِهِ مِنْ حِفْظِ الْأَدَبِ ، وَلَا يَحْصُلَنَّكُمْ فُرْطٌ احْتِشَامِهِ  
عَلَى إِبْرَامِهِ <sup>(٢)</sup> .

« فَلِذَا طَمَعْتُمْ فَاغْتَشَرُوا وَلَا مَسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنْ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْغِي مِنْكُمْ » :  
حُسْنُ خُلُقِهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — جَرَّاهُمْ إِلَى الْمُبَاسَطَةِ مَعَهُ ، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ .  
« وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ » : قَلَّهَمُ  
عَنْ مَأْلُوفِ الْعَادَةِ إِلَى مَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَمَعْرُوضِ الْعِبَادَةِ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْبَشَرَ بَشَرٌ — وَإِنْ كَانُوا  
مِنَ الصَّعَابَةِ ، قَالَ :

« ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ »

(١) سبطانها مكانا (دين) بفتح الدال وتسكين الياء فيها يستقيم المعنى ويتقوى السياق .

(٢) أى إفساده وإفلاله .

فلا ينبغي لأحد أن يأمن نفسه — ولهذا يُشَدُّ الأمرُ في الشريعة ألا يغزو رجلٌ امرأةً  
ليس بينهما محرمةٌ .

« وما كان لكم أن تؤذوا رسولَ  
اللهِ ولا أن تتكفروا أزواجه من  
بَنده أبداً إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ  
عَظِيماً <sup>(١)</sup> » .

وهذا من خصائصه — صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا شبه رخصة لمن يلاحظ شيئاً من هذا ،  
فيهم بالاصطال من له مِثْلُ الْيَمِينِ بغير من بعد وفاته — وإِنْ كَانَ التَّعَرُّضُ عَنْهُ — وعن أمثال  
هنا مِنْ تَرْكِ المَحْظُوطِ — أَمَّ وَأَعْلَى .

قوله جل ذكره : « إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تَخْفَوْهُ فَلَنْ  
اللهُ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً » .

حِفْظُ الْقَلْبِ مع الله ، ومراعاة الأمر — بينه وبين الله — على الصَّحَةِ في دوام الأوقات  
لا يَقْوَى عليه إلا الخواصُّ من أهل الحضور .

قوله جل ذكره : « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي آبَائِهِمْ  
وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ  
وَلَا نَسْلَهُمْ... » الآية .

لما نزلت آية الحبس شقَّ عليهم وعلى النسوان وعلى الرجال في الاستتار ، فأَنزلَ اللهُ عزَّ  
وجلَّ هذه الآية للرخصة في نظر هؤلاء إلى النساء ، ورؤية النساء لهم على تفصيل الشريعة .

---

(١) يستند القرطبي إلى رواية نقلها أبو نصر عبد الرحمن القشيري — ابن القشيري صاحب هذا الكتاب —  
عن ابن عباس الذي يقول : قال رجل من سادات قريش من البشارة الذين كانوا مع الرسول على حراء — في نفسه —  
لو توفى الرسول لتزوجت عائشة ، وهي بنت عسي . قال مقاتل : هو طلحة بن عبيد الله . ولكن هذا الرجل ندم  
على ما حدث به نفسه ، فمضى إلى مكة على رجله وكَفَّرَ بالتصدق وصلى الرقيق . (القرطبي ج ١ ص ٢٢٨) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلُّوْا سَلَامًا ».

أراد الله — سبحانه — أن تكون للأمة عنده — صلى الله عليه وسلم — يدُ خدمةٍ كآله بالشفاعة عليهم يدُ نصيةٍ ، فأمرهم بالصلاة عليه ، ثم كافأ — سبحانه عنه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : مَنْ صَلَّى عَلَى رَجُلٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ ؛ إِدْرَا رَتْبَهُ فَوْقَ رَتْبِ الرَّسُولِ ، وَقَدْ احتاج إلى زيادةٍ صلواتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا \* وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَشَرًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا » .

يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بصل الماعى التى يستحقون بها العقوبة ، ويؤذون أوليائه . وكذا قال : مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، فَكَذَلِكَ مَنْ أَذَى رَسُولَهُ وَأَنْبِيََاءَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ أَذَاهُ ، وَمَعْنَاهُ تَخْصِيسُ حَالِهِمْ وَإِثْمَاتِ رَتْبِهِمْ .

ثم ذكر قوله : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .. » وذكر عقوبتهم ، فجعل إيناء الرسول مقروناً بما ذكر من إيناء الله ، ثم ذكر إيناء المؤمنين ، ويدل ذلك على أن رتبة المؤمنين دون رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ

(١) في هذا رد غسنى على من يدعى الوصول ، ويجهل بأن لواء الأنبياء يقفد له في مدارجيه ، وأن الأنبياء أدنى من الأولياء .



جلايين ذلك أدنى أن يُمرقن  
 فلا يؤذِنَ وكان الله غفوراً رحيمًا .  
 هذا تنبيه لمن على حفظ الحرمات وإثبات الرتبة ، وصيانة لمن ، وأمر لمن بالتصاوين  
 والتصفى . وقرن بذلك تهديده للمنافقين في معاملتهم ما كان يشغل قلب الرسول صلى الله عليه  
 وسلم من الإرجاف في المدينة : —

« لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم  
 مرض والمرجفون في المدينة لفخر يترك  
 بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً  
 • ملوئين أبناً يخفوا أخذوا وقتلوا  
 تخيلاً • سئة الله في الذين خلوا من  
 قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » .

لأنهم إن لم ينتهوا عن الإرجاف وأمثال ذلك لأجرنا معهم سنتنا في التدمير على من سلف  
 من الكفار<sup>(١)</sup> .

ثم ذكر مسألة القوم عن قيام الساعة وتكذيبهم ذلك ، ثم استبجالم قيامها من غير  
 استمدادها ، ثم أخبر بصوبة التوبة التي علم أنه يمدبهم بها ، وما يقع عليهم من الندامة  
 على ما فرطوا .

قوله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين  
 آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان  
 عند الله وجيباً » .

نسيوه إلى الأذرة<sup>(٢)</sup> ، وأن به عيباً في الخلقة ، ولكنه كان رجلاً حياً ، وكان إذا  
 انقلب لا يصير<sup>(٣)</sup> (من ثوب) ، فهو هو به ذلك . وذات يوم خلا لينسله ، ووضع ثيابه

(١) مكافأة وهو في ص (الكفار) .

(٢) الأذرة ( على وزن الفرة ) = النطاق الخسية ، والأذرة = المصاب بلك .

(٣) ما بين قوسين من عندنا ليوضح السياق .

على حَجَرٍ فَأَمْسَى اللَّهُ الْحَجَرَ بَيْابَهُ ، وموسى يبدو خَلَقَهُ حَتَّى تَوَسَّطَ بَنَى إِسْرَائِيلَ ، وشاهدوا خَلَقَتَهُ سَلِيمَةً ، فَوَقَفَ الْحَجَرُ ، وأخذ موسى بَيْابَهُ ولبسها<sup>(١)</sup> ، وهذا معنى قوله : « فَبَرَأَهُ اللَّهُ عَمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا » فِي التَّذَرُّعِ وَالْمُزَلَّةِ . والوجه النافعة ما كان عند الله لا عند الناس ، قَبُولُ النَّاسِ لَا عِبْرَةَ بِهِ وَلَا خَطَرَ لَهُ ، لَأَسِيَا الْمَوَامِّ فَإِنَّهُمْ يَقْبَلُونَ بِلَا شَيْءٍ ، وَيَرُدُّونَ بِلَا شَيْءٍ قَالَ قَائِلُهُمْ :

إِنْ كُنْتُ عِنْدَكَ بِأَمْرٍ مَطْرَحًا

فَعِنْدَ غَيْرِكَ عَمَلٌ عَلَى الْحَقِّ

وَقَالُوا : فَإِنْ أَكُ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا

فَأَنْ فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرٌ

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا

قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وِرَسُولَهُ فَعْدَازٌ فَوْزًا عَظِيمًا » .

القول السديد كلمة الإخلاص ، وهى الشهادتان عن ضمير صادق .

وَيَقَالَ سَدَادُ أَعْمَالِكُمْ سَدَادُ أَعْمَالِكُمْ ، وَقَدْ هَوَّنَ عَلَيْكُمْ الْأَمْرَ فَمَنْ رَضِيَ بِالنَّالَةِ —

وهى الشهادة بأن ترك الشرِّك — وَقَالَهَا يَصِدِّقُ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَعْمَالَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ مِنَ الْخَلَلِ ، وَغَفَرَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ الزُّكْلَ ، أى حصلت له سعادة العارين .

وَيَقَالَ ذَكَرَ « أَعْمَالَكُمْ » بِالْجَمْعِ<sup>(٢)</sup> ، وَقَدَّمَهَا عَلَى الْفُرْقَانِ ، لِأَنَّهُ مَا لَمْ يُصْلِحْ لَكَ فِي حَالِكَ

أَعْمَالُكَ وَإِنْ لَمْ يَسْكُنْكَ مَا أَمْلَكَ مِنْ أَشْفَاكَ .. لَمْ تَضْرُغْ إِلَى حَدِيثِ آخِرَتِكَ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا

(١) هذه رواية ابن عباس .. وفي رواية أخرى : أنهم يقتل أبيه هارون .

(٢) أى أن الله يفضلته ينظر منك إلى التقليل فيجعله كثيرًا .

وَأَشَقَّتْ مِنْهَا وَحَلَّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ  
ظُلُومًا جَهُولًا .

هنا إخبار أى : أهل السموات والأرض والجبال .

وقيل أحيائها وأعقلها ، وهو كقولهم : « إِنْتَبِهْ عُلُومًا أَوْ كَرِهَا قَاتِلَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ <sup>(١)</sup> » .  
« فَأَيِّنَ أَنْ يَحْلُهَا » : أى أَيْنَ أَنْ تَحْنُ فِيهَا ، « وَحَلَّهَا الْإِنْسَانُ » : أى خَان فِيهَا .  
وم مراتب : فالكفار خَانُوا فِي الْأَمَانَةِ — وهى المرفة — فكفروا . وَمَنْ دُونَهُمْ  
خَانُوا بِالْمَعَاذِ ، وبعضهم أَشَدُّ وبعضهم أَهْوَنُ ، وكلُّ احْتِصَابٍ مِنَ الْوَزْرِ مَقْدَارُهُ .  
ويقال « أَيْنَ » إِبَاءً إِشْفَاقًا لَا إِبَاءَ اسْتِكْبَارًا ، واستغنيين . . . صفنا عنهم ، وأعفاهن  
مِنْ حَلَّهَا .

« وَحَلَّهَا الْإِنْسَانُ » : قِيلَ لَهَا ثُمَّ مَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا .. كُلُّ قَدْرِهِ .

« إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا » بصيغة حَلَّ الْأَمَانَةِ فِي الْحَالِ ، والقوة التى عليها فى  
الْمَالِ . وقومٌ قَالُوا عَرَضَ الْأَمَانَةِ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَرَضَهَا عَلَى الْإِنْسَانِ ، فَمَنْ اسْتَغْنَى  
وهؤلاء <sup>(٢)</sup> لَمْ يَسْتَفُوا وَلَمْ يَرَاوُوا .

ويقال : الْأَمَانَةُ الْقِيَامُ بِالرَّاجِيَاتِ أَصُولُهَا وَفُرُوعُهَا .

ويقال : الْأَمَانَةُ التَّوْحِيدُ عَقْدًا وَحِفْظُ الْحُدُودِ جِهْدًا .

ويقال : لَمَّا حَلَّ آدَمُ الْأَمَانَةَ وَأَوْلَادُهُ قَالَ تَعَالَى : « وَحَلَّلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ الْبَحْرِ » <sup>(٣)</sup> .. وهل  
جزاء الإحسان إِلَّا الإحسان ؟

ويقال حمل الإنسانُ بِاللَّهِ لَا بِنَفْسِهِ . ويقال ظَلَمَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ يُشْفِقْ مَا أَشَقَّتْ مِنْهُ  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُونَ . وَالظُّلْمُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

ويقال كَاشَفَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَوْصِفُ الرِّيْبِيَّةَ وَالظُّلْمَةَ فَأَشْفَقُوا ، وَكَاشَفَ آدَمَ

(٢) الإنسان هنا اسم جنس .

(١) آية ١١ سورة فصلت .

(٢) آية ٧٠ سورة الإسراء .

وَذُرِّيَّتَهُ يَرْصِفُ الْطُفْلَ قَبِيلُوا وَحَلُّوا ، وَفِي حَالٍ بَقَاءِ الْعَبْدِ بِاللَّهِ يَحْمِلُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِشَعْرَةٍ  
مِنْ جَفْنِهِ . وَيَقَالُ كَانَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ وَالْمَبَانِي فَأَشْفَقُوا مِنْ تَحْلِ الْأَمَانَةِ .  
وَالْحِمْلُ إِنَّمَا تَحْمِلُهُ الْقُلُوبُ . وَأَدَمَ كَانَ صَاحِبَ مَعْنَى فَحَمَلُ ، وَأَنْشَدُوا :

حَمَلَتْ جِبَالُ الْحَكَمِ فَوْقَ وَإِنِّي لَا أُعْجِزُ عَنْ حِلِّ الْقَيْمِ وَأَضْفُ  
وَيَقَالُ لِمَا عَرَضَ الْحَقُّ الْأَمَانَةَ عَلَى الْخَلْقِ عَلَّقَى آدَمُ بِهَا حِمَّتَهُ ، فَصَرَفَ بِهِمَّتَهُ جَمِيعَ  
الْمَخْلُوقَاتِ عَنْهَا ، فَلَمَّا أَبَوْنَا وَأَشْفَقُوا حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ طَوْعًا لَا كَرْهًا .

قوله جل ذكره : « لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ  
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ  
عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَحِيمًا » .

اللام في « ليعذب » للصبرورة والمقابلة ؛ أى صارت عاقبة هذا الأمر عذابَ المنافقين  
والمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِالْغَفْوَةِ وَالتَّجَاوُزِ  
( تَمَّتِ السُّورَةُ )<sup>(١)</sup> قد يقال : الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكُونَ وَالْمُشْرِكَاتُ وَالْمَاصُونَ مِنْ  
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَرَدَّ ذِكْرَهُمْ . . . فَأَيْنَ الْمَاصُونَ وَذَكَرَهُمْ ؟

ولكنهم في جملة مَنْ مَعْنَى ذِكْرُهُمْ ، وَلَيْسُوا فِي الْمَشْرِكِينَ وَلَا فِي الْمُنَافِقِينَ ، فَلَا مَحَالَةَ  
فِي جَمْلَةِ الْعَاصِينَ الَّذِينَ تَابَ عَلَيْهِمْ .

فَيَأْتِيهَا الْعَاصِي ، كُنْتَ تَحْذَرُ أَنْ يُخْرِجَكَ الْمَاصُونَ مِنْ جَلَّتِهِمْ ، فَاشْهَدِ الْجَبَّارَ — فِي هَذَا  
الْخَطَابِ — كَيْفَ أَدْرَجَكَ فِي جَلَّتِهِمْ<sup>(٢)</sup> ؟ !

(١) هكذا في الأصل ، وهذه أول مرة يستدرك بها المصنف شيئاً عقب غائبة سورة .

(٢) هذا الاستدراك لاقى النظر من حيث يدل على رحابة صدر الصوفية ، وشدة حرصهم على فتح أبواب  
الأمَلِ أمام النصارى الراغبين في التوبة ، ولاتقنطروا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً .

## سُورَةُ سَبَا

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ كَلِمَةُ سَلَابَةٍ غَلَابَةٍ ، نَهَابَةٍ وَهَابَةٍ ؛ تسلب القلوب .. ولكن لا كل قلب ، وتقلب الأبواب ولكن ليس كل لب ، وتنبه الأرواح ولكن بين الأحباب ، وتنبه الأرواح .. ولكن قوم مخصوصين مِنَ السَّالَابِ .

قوله جل ذكره : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخَيْرُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » .

افتتح السورة بذكر الثناء على نفسه ، ومدَّحه لنفسه إخباراً عن جلَّاله ، واستحقاقه للموت عزَّه وجماله ، فهو في الأزل حامدٌ لنفسه محمودٌ ، ووَّاحِدٌ موجودٌ ، في الأزل محبوبٌ ، وبالطلبات مقصود .

« الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » : لِلَّذِي لَا يَكُونُ بِالْشَّرْكَاءِ ؛ فَلَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ . وَإِنْ أُجْرِيَ هَذَا الْأَسْمَ عَلَى مَخْلُوقٍ فَزَنَجِيْهُ لَا يَنْتَبِرُ لَوْنُهُ وَإِنْ سُمِّيَ كَافُورًا !  
« وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ » مِنَ الَّذِينَ أَعْطَاهُمْ ، وَفِي النِّعَةِ أَغْرَقَهُمْ .  
« وَهُوَ الْحَكِيمُ » بِتَخْلِيدِ قَوْمٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَتَأْيِيدِ قَوْمٍ فِي النَّارِ .

قوله جل ذكره : « يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْتَوَّابُ » .

« يَعْلَمُ مَا يَلِيحُ فِي الْأَرْضِ » مِنَ الْحَبِّ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَلِلَّاهِ يَرْسِبُ فِيهَا ،

والأنبياء التي نُقِيتْ عليها ، والناس يُسِيرُونَ في الأرض .

« وما يخرج منها » من الثبات والأزهار ، وللوقى يُعْشُونَ .

« وما ينزل من السماء » من التَّطَرُّقِ وَاللَّيْلِ ، والبركة والرزق ، والحُكْمِ .

« وما يرجع فيها » من الصَّحْف ، وحوائج الناس : وَهَيْمِ الأولياء .

« وهو الرحيم » بعباده ، « النُّفُور » لجميع للذين من المسلمين .

قوله جل ذكره : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعةُ

قُلْ بلى وددى لنأتينكم عالم التَّيْمِيدِ

لا يهزُبُ عنه مثقالُ ذَرَّةٍ في السموات

ولا في الأرض ولا أضغرُ من ذلك

ولا أكبرُ إلا في كتابِ مبین » .

كرّر في القرآن تكذيبهم بالساعة ، واستعملهم القلْب ، وأخبر عن سابق

علمه بهم ، وأنه لا يخرج شيء من معلوماته من علمه ، فأثبت علمه بكل شيء وشوّه لكل

شيء .. لأنه لو لم يكن له علم لكان قصفاً ، ولأنه لو خرج معلوم واحدٌ عن علمه لكان

بقصره قصفاً ، والقصر — بأى وصف كان — لا يجوز في صفته بحال .

قوله جل ذكره : « ليجزى الذين آمنوا وحصَلُوا الصَّالِحَاتِ

أولئك لهم مَنفَرَةٌ ورزقٌ كريم »

الآيات ..

الحسنون منهم يحازيهم بالظلمات للتصلة ، والكافرون منهم يكاثفهم على كفرهم

بالقبول غير منفصلة .

ويرى الذين أوتوا العلم كتابك الذي أنشئت به حقاً وحيداً . والذين كفروا قال

بعضهم لبعض : إنهم يرون أن هذا الذي قول به من النشر والحساب والبعث كذبٌ ، أو أن

يك جنةً ، ثم أقام عليهم حُجَّةَ التَّحْوِيزِ بما أجرى به سُنَّتَهُ في الخلق والإبداع .. فا

زادهم ذلك إلا جحوماً ، وما قايضوه إلا عنواً .

قوله جل ذكره: « ولقد آتينا داود منا فضلا لاجبال »

أوبى منه والطير وألنا له الحديد •

أن اعمل سائياتٍ وقدر في السرد

واعملوا صلحا إني بما تعملون بصير •

« داود » اسم أعجمي ، وقيل سى داود لأنه داوى ( جرحه ، ورد في القصة

أنه قال في إحدى مناجاته : يا رب ، إني أرى في التوراة ما أعطيت لأوليائك وأنيائك من الرتب فأعطيتها <sup>(١)</sup> قال : إني ابتليتهم فصبروا ، قال : إني أصبر على بلائك ، فأعطى ما أعطيتهم ، فأبلاه ، فوقف ، فأعطاه ما أعظمه .

« ولقد آتينا داود منا فضلا » : تكلموا في هذا الفضل ؛ ففهم من أراد ما ذكره

بده وهو قوله للطير : « أوبى منه » ، وكذلك الجبال ، وكان في ذلك نفيس في وقت حزنه وبكائه . وقيل ذلك الفضل رجوعه إلى الله - في حال ملوحيه له <sup>(٢)</sup> - بالتصل والاعتذار . ويقال هو شهوده موضع ضروريته وأنه لا يصلح أمره غيره . ويقال طيب صوته عند قراءة الزبور حتى كان ليروغ في متابته من يسمع إليه <sup>(٣)</sup> . ويقال حلوة صوته في اللعاجة . ويقال حسن خلقه مع أمته الذين اتبعوه ، ويقال توفيقه للحكم بين أمته بالعدل ...

قوله : « لاجبال أوبى منه والطير » أمر الجبال والطير بمجاوبته حتى خرج إلى

الجبال والمصالحى ينوح على ضيه .

ويقال أوحى الله له : يا داود ، كانت تلك الزلة مباركة عليك ! قال . يا رب ،

وكيف ؟ قال : كنت تجي قبلها ( كما يجي اللطيمون والآن ) <sup>(٤)</sup> تجي . كما يجي أهل الذنوب !

(١) ما بين القوسين ساقط من م موجود في م .

(٢) يشير القشيري بذلك إلى قصة داود مع زوجة أوريا ، وكيف تاب وأناب .

(٣) يقول القرطبي : كان قد أصلى من الصوت ما يتراسم للوحوش من الجبال حل حسن صوته ، وكانت الجبال تتجاوب صده ، والماء الجاري ينقطع جريه . ويضيف القرطبي : « أيد بمساعدة الجبال والطير لتلايد نبرة ، فإذا حصلت النبرة احتلج إلى ثار وتحرك ، وقوى بمساعدة الجبال والطير .

(٤) موجودة في م وغير موجودة في م .

يا داود ، إن اثنين للذين أحب إلى من صراخ العابدين !  
 ويقال ، كان داود يقول . اللهم اغفر للمذنبين ، غيرة منه وصلاة في الدين ...  
 فلما وقع له ما وقع كان يقول . اللهم اغفر للمذنبين ، فحسب أن تغفر لداود فيما بينهم .  
 ويقال لما تاب الله عليه ، واجتمع الإنس والجن والطير بجمعه ، ورفع صوته ، وأداه  
 في حنكه على حسب ما كان من عذبه تفرقت الطيور وكأوا : الصوت صوت داود والخال  
 ليست تلك أغاوى الله إليه هذه وحشة الزعة ، وتلك كانت أنس الطاعة . . فكان داود  
 يكي ويوح ويصيح والطير والجنال معه .  
 ويقال ليس كل من صاح وراءه معنى <sup>(١)</sup> ، فالحق كان مع داود لا مع الجبال  
 والطير . . .

« أن أعمل ساجدة وقدّر في السرّ وأعلوا صلحا » . ألا له الحديّة ، وجبل  
 ذلك معجزة له ، وجبل فيه توسمة رزقه ، ليجد في ذلك مكسبا ، ليقتطع طمعه من أمته في  
 ارتقاها بهم ليبارك لهم في أتباعه <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « وليليان الريح مغلوها شهر »  
 ورواها شهر »

أى آتينا سليمان الريح أى سخرناها له ، فكانت تحمل بساطه بالظلم مسيرة شهر ؛  
 وبالروح مسيرة شهر .  
 وفي القصة أنه لاحظ يوما ملكه ، قال الريح يساعده ، قال سليمان للريح : استر ،  
 قالت الريح : استر أنت ، فاحمت مستويا بقلبك كنت مستويا بك ، فلما  
 ملئت ملئت .

« وأسلنا له عين القطر ومن الجن  
 من يحمل بين يديه ياذن ربه ومن يزغ  
 منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير »

(١) هذه غيرة من يتظاهرون بالتواجد في مجالس السماع الصوفية ، إذ ينبغي الصنف ليسرول التواجد إلى وجد  
 ثم إلى وجود .  
 (٢) هذا تنبيه لمن يتصور منزلة الإمامة : ألا يرتفع ، وألا يطلب حوشا ، وألا يطغى في الدين بغيره .



أى وآتيته ذلك ، فكانت الشياطين مُسَخَّرَةً لَهُ ، يعملون ما يشاء من الأشياء التى ذكرها سبحانه .

قوله جل ذكره : « اعملوا آلَ داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور »<sup>(١)</sup> .

أى اعملوا يا آل داود للشكر ، قوله : « شكراً » منصوب لأنه مفعول له .

ويقال شكراً ؛ منصوب لأنه مفعول به مثل قوله تعالى : « ولذين هم للزكاة فاعلون »<sup>(٢)</sup> . وقد مضى طرقتُ من القول فى الشكر . والشكور كثير الشكر ، والأصل فى الشكر الزيادة ، والشكوة اسم لما ينبت تحت الأشجار منها ، ودابة شكور إذا أظهرت من السنن فوق ما تُغطى من التكف ؛ فالشكور الذى يشكر على النعمة فوق ما يشكر أمثاله وأضرابه . وإذا كان الناس يشكروه على الرخاء فالشكور يشكره فى البلاء .

والشاكر يشكر على البذل ، والشكور على النعم<sup>(٣)</sup> ... فكيف بالبذل ؟

والشكور يشكر بقلبه ولسانه وجوارحه وماله ، والشاكر ببعض هذه .

ويقال فى « وقليل من عبادي الشكور » قليلٌ مَنْ يأخذ النعمة مَنى ولا يعملها على الأسباب ؛ فلا يشكر الوسائط ويشكرنى . والأكثرُونَ يأخذون النعمة من الله ، ويمجدُونَ الخيرَ مِنْ قَبْلِهِ ثُمَّ يظفونَ اللِّئَمَ من غير الله ، ويشكرون غيرَ الله .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى

مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ

فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا

يعلمون النَّبِيَّ مَا لَيْسُوا فِي السَّمْعِ

لَّهُمْ » .

---

(١) يقول السهروردي فى حوارته : « فى أخبار داود عليه السلام : إلى كَيْفَ أشكرُك وأنا لا أستطيع أن أشكرُك إلا بنعمة ثانية من نعمك ؟ فأوحى إليه إذا عرفت هذا فقد شكرتني . (حواريف الطائيف ص ٣٤٤) »

(٢) آية ٤ سورة المؤمنین .

(٣) وردت العبارة فى الرسالة هكذا : « الشاكر يشكر عند البذل والشكور عند الحط (الرسالة ص ٨٩) . »

كان سليمان - عليه السلام - يحكى على عصاه وقتاً قِصَراً ، وبقي على ذلك الوصف مدة ، والشياطين كانوا مُسْتَحَرِّين يملون ما أمرهم به ، ويصرفون على الوجه الذى رَسَمَ لهم ، ويتهمون عَمَّا زَجَرهم ، هَدَّ كانوا يَوهَمُونَ أنه حى . ثم إنَّ الأَرْضَ (١) أَكَلَت عَصَاهُ فَفُتِرَ سليمانُ قَلِيمَ الشياطينُ عندئذٍ أنه مات ، فرجعوا إلى أعمالهم الخبيثة ، واغلكَ عنهم ما كانوا عليه من التفسير ؛ وهكذا اللِّكُ الذى يقوم مُلكُهُ بغيره ، ويكون استمساكه بعباده . فإنه إذا سَقَطَ سَقَطَ بقومله ، ومنَ قام بغيره زال بزواله .

قوله جل ذكره : « لقد كان لسبأ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ مِنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ » .

كانوا فى رَغَدٍ من التَّيْنِشِ وسلامة الحال ورفاهته ، فأمرُوا بالصبر على المافية والشكر على النعمة ، وهذا أمرٌ سهلٌ يسيرٌ ، ولكنهم أَعْرَضُوا عن الوفاق ، وكفروا بالنعمة ، وَضَمُّوا الشكر ، فهدَّكُوا وَيَدَّلُّ بهم الحال ، كما قالوا :

تبدلت وتبدلنا لا حسرةَ لِيَن ابْنِي عِوَسًا لِيَسْمَى فلم يَجِدْ

قوله جل ذكره : « فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُسْكُلٍ خَطْبٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ » .

كذلك من الناس من يكون فى رَغَدٍ من الحال ، واتصالٍ من التوفيق ، وطربٍ من القلب ، ومساعدةٍ من الوقت ، فيرتكبُ زَلَّةً أو يسىء أدباً أو يفتن شهوةً ، ولا يعرف قَدَرَ ما هو به ، فيتغير عليه الحال ؛ فلا وقت ولا حال ، ولا طرب ولا وصال ؛ يُقْلِمُ عليه النهارُ وقد كانت لياليه مضيةً ، كما قلنا (٢) :

(١) الأرض = دودة تأكل الخشب .

(٢) هكذا فى ولكنها فى ص : كما قالوا .

مازلت أختال في زمانٍ وحالٍ حتى أمنتُ الزمانَ مَكْرَهَ  
 حالٍ على الصدودِ حتى لم تَبَقْ مما شَهِدَتْ ذَرَّةَ  
 قوله جل ذكره : « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى  
 إلا الكفور »

• وجلسنا بينهم وبين القرى التي بارَكنا  
 فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السيرَ  
 سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين .

ما عوملوا إلا بما استوجبوا ، ولا سَفُوا إلا بما تَبَطَّوا<sup>(١)</sup> ، وما وقوا إلا في الزُهْدَةِ  
 التي حَفَرُوا ، وما قُتِلُوا إلا بالسيف الذي صَنَعُوا !  
 « وجلسنا بينهم وبين القرى . . » : ما كان من شأنهم إلا التادي في عصيانهم ، والإصرار  
 على غيهم وطمعياتهم .

« فجعلناهم أحاديثَ ومزقناهم كلَّ مُزَقٍّ  
 إنَّ في ذلك لآياتٍ لكلَّ صَبَّارٍ شَكُورٍ »  
 فرقناهم فريقاً حتى اتخذهم الناسُ مثلاً مضروباً ؛ يقولون . ذهبوا أيدي سبأ ، وقرعوا أيدي  
 سبأ . وفي قصتهم آيتٌ لكل صَبَّارٍ على العاقبة ، شكور على النعمة .

قوله جل ذكره : « ولقد صدَّق عليهم إبليسُ ظَنَّهُ  
 فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ »  
 وما كان له عليهم من سلطانٍ إلا  
 لَعَلَّهم مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِن  
 هُوَ منها في شكٍ وريبٍ على كُلِّ  
 شيءٍ خفيظ .

صدق عليهم إبليس ظنّه — وإن كان لا يملك لنفسه حقاً ، فأبليس مُسلَّطٌ على أتباعه

(١) تبط = حلق في عمله .

من الجن والإنس ، وليس به من الإضلال شيء ، ولو أمكنه أن يَصْرَّ غيرَه لأمكنه أن يمسك على الهداية نفسه ، قال تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان <sup>(١)</sup> .

« وربك على كل شيء حفيظ » : يهدى من يشاء ويضل من يشاء . ثم أخبر — سبحانه وتعالى — أنه يملكه متفرّد ، وفي الألوهية متوحّد ، وعن الأضداد والأنداد متمرّز ، وأنهم لا يملكون مثقالَ ذرّة ، ولا مقيلَ حَبّة ، وليس منهم نصير ، ولا شريك ولا ظهير ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأن اللاتسكة فى الساء بوصف الهية فزِعُون ، وفى الموقف الذى أنبئهم الحقّ واقفون ، لا يفترون عن عبادته ولا يصنعون .

ثم قال جل ذكره : « قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْلَاكُمْ لَسَلَى  
هُدًى أَوْ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ » .

لم يقل أحدٌ — مع شريكه — إنه يُحمِلُ فى الرزق على أحدٍ غيره ، فكلا شريك له فى الرزق ولا شريك له فى الخلق فلا شريك له فى استحقاق العبادة والتعظيم .

قوله جل ذكره : « قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ

عَمَّا تَعْمَلُونَ • قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ

بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ التَّائِبُ الْعَلِيمُ » .

ولا تسألون عما أجرمنا ولا نحن نسأل عن إجرامكم . . . ويوم الجمع يحاسب الله كلّاً على أعماله ، ويطلب كلّاً بشانه ، لا يؤخذ أحداً بسل غيره ، وكلّ يعطى كتابه ، ويطلب الله من كلّ واحدٍ حسابه .

وقد أجرى الله سنته بأن يجمع بين عباده ، ثم ياملهم فى حال اجتماعهم بنبر ما ياملهم فى حال افتراقهم . فلاجتماع أثر كبير فى الشريعة ، وللصلاة بالجماعة أثر مخصوص . وقد عاتب الله — سبحانه — الذين يفترون عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومدح من لا يفترون إلا عن استئذان .

(١) آية ٦٥ سورة الإسراء .

والشيوخُ ينتظرون في الاجتماع زوائد ، ويستروحون إلى هذه الآية :

« قل يجمع .... »

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُلْحَقَ بِهِمْ شُرَكَاءُ  
كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

كانوا يقولون في تلييتهم : لبيك لأشريك لك ، هو لك ، تملكه وما ملك<sup>(١)</sup> ، لانهما كهم  
في ضلالتهم . وبعد تحققتهم بأنها جملات لا تقه ولا قدر ، ولا تسمع ولا تبصر ، وقمت لهم  
شبهة استحقتها العبادة ، فلذا طولوا بالحجة لم يذكروا غير أنهم يُقدِّنون أسلافهم ...  
وهنا هو الضلال البعيد والغسار المبين .

قوله جل ذكره : « وما أرسلناك إلا كافة للناس  
بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون » .

أرسلناك مُؤيِّداً بالمعجزات ، مُشرفاً بجميع الصفات ، سيداً في الأرضين والسماوات ،  
ظاهراً لأهل الإيمان ، مستوراً عن بصر أهل الكفران — وإن كنت ظاهراً لهم  
من حيث البیان ، قال تعالى : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يصرون »<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم  
صادقين \* قُلْ لَكُمْ ميعاد يوم ،  
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون »

لكثرة ما يقولون هذا كرهه الله في كتابه خيراً عنهم ، والجواب إن لكم ميعاد يوم ،  
وفي هذا للمياد لا تستأخرون ساعة ولا تستقدمون .

قوله جل ذكره : « وقال الذين كفروا لن تؤمن بهنا

(١) وردت التلمية مشطربة للكتابة وقد صححتنا طبعاً لا جاء في المبر لاين حبيب .

(٢) آية ١٩٨ سورة الأعراف .

القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى  
إذ الظالمون موقوفون عند ربهم  
يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول  
الذين استضعفوا للذين استكبروا  
لولا أنتم لكنا مؤمنين .

لو رأيتم يومذاك رأيتَ منظرًا فظيماً ؛ يرجعُ بعضهم إلى بعض القول ، ويُحيل  
بعضهم على بعض الجرم ؛ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : أنتم أضللتمونا ،  
ويُفكرُ الذين استكبروا ويقولون : بل أنتم اتبتمونا . . وهكذا أصحاب الزلاتِ  
الأخلاء في القساد ، قال تعالى : « بعضهم لبعض عدو » (١) .

وكذلك الجوارح والأعضاء غداً يشهد بعضها على بعض ؛ فاليدُ تقول للجملة أخذت ،  
والعين تقول أبصرت ، والاختلاف في الجملة عقوبة ، ومن عمل بالمعاصي أخرج الله عليه كل  
من هو أطوع له ، ولكنهم لا يعلمون ذلك ، ولو علموا لاعتبروا ، ولو اعتبروا لتابوا  
ووقفوا .. ولكن يقضى الله أمراً كان منقولاً .

قوله جل ذكره : « وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال  
مُترَفوها إنا بما أرسلتم به كافرون »

أى قابِلوا رُسُلنا بالكذب ، وصَبَر رُسُلنا . . وماذا على هؤلاء الكفار لو آمنوا بهم ؟  
فهم لتجانبهم أرسلوا ، ولصالحهم دَعَوْا وبلغوا ، ولو واقفوا لسمدوا . . ولكن أقساماً  
سيت ، وأحكاماً حت ، والله غالبٌ على أمره .

« وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً  
وما نحن بمعتدين » .

ليس هذا بكثرة الأموال والأولاد ، وإنما هي بصائرُ مفتوحةٌ لقوم ، وأخرى  
مصدودةٌ لقوم .

(١) آية ٦٧ سورة الفرقان .

قوله جل ذكره : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتي  
تُقربكم عندنا زُلْفَى إِلَّا مَن آمَنَ وَعَمِلَ  
صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا  
عَمِلُوا وَهُمْ فِي التَّرَفُّاتِ أَمْتُونَ » .

لا نستحق الزُلْفَى عند الله ؛ بل السال والأولاد ، ولكن بالأعمال الصالحة والأحوال الصافية  
والأفلس الزاكية ، بلْ بالمنايا الساقية ، والمهادية اللاحقة ، والرماية الصادقة ، فأولئك لهم جزاء  
الضعف : ضاعف على ما كان لِيَنَ قَدَمَهُم من الأَم « وَهُمْ فِي التَّرَفُّاتِ أَمْتُونَ » مِنْ  
تسكدر الصنوة والإخراج من الجنة .

قوله جل ذكره : « والذين يسمعون في آياتنا معلّجين  
أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ » .

م الذين لا يحترمون الأولياء ، ولا براعون حقَّ الله في السرّ ، فهم في عذاب الاعتراض  
على أولياء الله ، وعذاب الوقوع بشؤم ذلك في ارتكاب محارم الله ، ثم في عذاب  
السقوط من عين الله .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنِّي رُبِّي بِبَسْطِ الرِّزْقِ لِيَن  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَفْتَقَم  
مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ مُحْتَقَقٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

مَن التَّخَافُ في الدنيا الرضا بالمَدَم والفقْد ، وهو آتَم من السرور بالوجود<sup>(١)</sup> ؛ ومن  
ذلك الأنس بالله في الخلوة ؛ ولا يكون ذلك إلا مع التجريد .

قوله جل ذكره : « ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول لللائكة  
أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون » .

قوم كانوا يبدون لللائكة فيختبرهم عنهم ؛ فيتبرأون منهم وينزّهون الله ويسبحونه ،

(١) استعمل القشيري هنا كلمة (الموجود) بالمعنى وكان المفروض حسب السياق أن يستعمل (الوجود) ، وهذا  
يتأيد رأينا في حديث سابق أن من الخير قصر اصطلاح (الوجود) على التجرّد الحق .

يفتضح هؤلاء - والاتضاعُ عند السؤال من شديد العقوبة ، وفي بعض الأخبار :  
 أَنْ غَدَاً مِنْ يَنْأَلُ الْحَقَّ فَيَقَعْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَلْجِ مَا يَحْلِلُهُمْ يَقُولُونَ : عَذَّبْنَا رَبَّنَا بِمَا شِئْتُمْ  
 مِنْ أَوَّلَانِ الْعُقُوبَةِ وَلَا تَعَذِّبْنَا بِهَذَا السُّؤَالِ !

قوله جل ذكره : « فَاَلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ  
 نَفْسًا وَلَا ضَرْمًا » وقول للذين غلبوا  
 ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها  
 تكذبون .

الإشارة في هذا أَنْ مَنْ علق قلبه بالأنغيار ؛ وغلن صلاح حاله بالاحتياح<sup>(١)</sup> ؛  
 والاستعانة بالأمثال والأشكال ينزع الله الرحمة من قلوبهم ؛ ويتركهم ، ويشوش  
 أحوالهم ، فلا لهم من الأمثال والأشكال مودة . ولا لهم من أقوالهم في أمورهم استبصار ،  
 ولا إلى الله رجوع ، وإن رجعوا لا يرجعهم ولا يجيبهم ، ويقول لهم : ذوقوا وبال  
 ما به استوجبتم هذه العقوبة .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا  
 مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا  
 كُنْتُمْ بِعِبَادَتِ آبَائِكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا نَفْسٌ  
 مُقْتَرِيَةٌ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَنَا  
 جَاهِمٌ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ » .

الحكام ، والأولياء - الذين هم الأئمة في هذه الطريقة - إذا دلوا الناس على الله .  
 قال بعض إخوان السوء - مثل بعض للتصحين من أهل النفقة وأبناء الدنيا<sup>(٢)</sup> يريد :  
 ما هذا ؟ مَنْ الذي يطبق كل هذا ؟ ربما لا تُتَمَّ الطريق !  
 لا بُدَّ من الدنيا ما دُمْتَ تعيش . . . وأمثال ذلك ، حتى يعمل هذا السكين عند قبول  
 النصيح ، وربما كان له هذا من خواطره الدنية . . . فيهلك ويضل .

(١) الاحتياح هنا معناه الاعتماد على جهده الإنسان ، وتفرغ الوسع فيه دون التوسل على فضل الله ومساعدة  
 فالواجب إسقاط التدبير والاعتماد على التدبير .  
 (٢) يشبههم التشييع في موضع آخر من كان يهوى المجاهدين قبل القتال .



قوله جل ذكره : « وما آتَيْنَاكَ مِنْ كُفٍّ يَدْرُسُونَهَا  
وما أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ » .

الإشارة من هذا إلى أهل التفتة ؛ يارضون أصعب التوب فيما جرى من الأمور ، بما  
تشوش إليهم قوسهم ، ويحظر عليهم من هواجسهم عن مقتضى تفرقة قلوبهم — على قياس  
ما وقع لهم — من غير استناد إلى الإلمام ، أو اعتناء على تقدير من الله وإفهام .

وأهل الحقائق — الذين هم لسن الوقت — إذا ظنوا شيئاً أو أطلقوا حديثاً ، فلو طوبوا  
بإقامة البرهان عليه لم يمكنهم ؛ لأن الذي يحكم عن القراءة أو عن الإلمام ، أو كان مستنطقاً  
فليس يمكن هؤلاء إقامة الحجة على أقوالهم <sup>(١)</sup> . وأصعب التفتة ليس لهم إيمان بذلك ، فلذا  
سموا شيئاً منه عارضوم فيهلكون ، فسيل هؤلاء الأكاثر عند ذلك أن يسكتوا ، ثم الأيام <sup>(٢)</sup>  
تجيب أولئك .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَوْفُوا  
لِلَّهِ مَتًى وَفُرَادًى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ  
مِنْ جُنْدٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ  
عَذَابٌ شَدِيدٌ » .

يقول : إنما سؤلت لكم أنكم تكذب الرسول فأنصروا النظر . هل ترون فيه  
آثار ما رميتوه به ؟ هذا محمد صلى الله عليه وسلم .. قلتم إنه ساحر — فابن آثار الساحر

(١) انظر ص ٣٤٨ من الجزء الثاني من هذا الكتاب .  
وقد يظن أن هذا على طعن فيما يصدر عن المعارف من أقوال وأحوال ، والواقع أن مرد عجز المعارف عن إقامة  
الحجة إلى أن ما يتناقل عليه من كشوفات ليس من تغييره أو احتياله ، ولا نتيجة مهارته أو ذكائه .. وإلا كان  
مطلوباً منه أن يسوق حجة أو يقدم برهاناً .. إنما هي أنوار إلهية تنبجس في حاله الباطن .. وليست تجربة الإمام  
الغزالي إلا نموذجاً للمعارف التي نهل من العلوم العقلية قلوا حظها ، ولكن ذلك لم يحد سورة الخليله ، ولم يقد له  
الراحة والسكينة .. حتى يقبس الله له في علوم التزوم ما شغاه وكفاه (انظر الصفحات الأولى من : « المنقذ من الضلال »  
للإمام الغزالي) .

(٢) هكذا في م وهي في م (الأنام) ونحن نرجح (الأيام) على معنى أن الدهر كامل بوضوح الحقيقة -  
وإن طغيت زماً .

على أحراره وأفله وأقواله ؟ قلم إله شاعر — فمن أى قسم من أقسام الشعر كلامه ؟ قلم إله  
مجتون — قلمى جنونى ظهر منه ؟

ولذا قد حيزتم عن ذلك . . . فهل اعرفتم أنه صادق ؟ !

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنْ رُبِّ يَتَذَفُّ بِالْحَقِّ عَلَامٌ

النبيوب » .

يتذف بالحق على باطل أهل النحلة فنزول حيلهم ، ويظهر عجزهم . ويتذف بالحق على  
أحوال أهل الخلاف فيضطل اجتراؤهم ، ويمحق بهم شؤم مصابيحهم .

ويذف بالحق — إذا حضر أصحاب الماني — على ظلمات أصحاب الدعاوى فينبذ  
ثأرتهم ، ويضعهم في الحال ، ويضع عوارضهم .

قوله جل ذكره : « قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ

وَمَا يُعِيدُ » .

الباطل على تمر الأيام لا يزيد إلا زهوفا ، والحق على تمر الأيام لا يزداد إلا قوة  
وظهورا .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنْ صَلَّيْنَا أُصِلْ عَلَى نَفْسِي

وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فَيَا يُوحَى إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ

سَمِيعٌ قَرِيبٌ » .

إِنْ كُنْتُ سَهْدِيَا فِيرَبِّي لَا يَجْهَدِي . وَإِنْ كُنْتُ عِنْدَكُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالِ فَوَيْلٌ لِي مِنْ ضَلَالِي  
عَائِدٌ عَلَيَّ ، وَلَنْ يَضُرَّكُمْ ذَلِكَ . فَانظُرُوا أَنْتُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ . . . أَيْنَ وَقُتُمْ ؟ وَأَيُّ ضَرْرٍ يَمُودُ  
عَلَيْكُمْ لَوْ أَطْعَمْتُونِي ؟ لَأَفَى الْحَالُ تَحْسِرُونَ ، وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ تَتَبِعُونَ ، وَلَا فِي جَاهِكُمْ تَقْصُونَ .  
وَمَا أَخْبِرُكُمْ بِهِ عَنْ حَقِّهِ أَنْفُسَكُمْ فَيَا لَاضْرُورَةَ<sup>(١)</sup> أَنْتُمْ تَطْلُونَ ، فَالْكَلِمَ لَا تَبْهَرُونَ ؟  
وَلَا لِأَنْفُسِكُمْ تَنْظُرُونَ ؟

(١) لَمْ يَلْجِدْ أَلَى أَنْتُمْ تَجِدُونَهَا لِاتْلُحْ وَلَا تَضَرَّ وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْفَعُ مِنْهَا مَكْرُومًا ، فَهِيَ لَا تُلْقِي بِأَيِّهِ  
وَلَا تَقْلِبُ .

قوله جل ذكره: «ولو ترى إذ ذُفِرُوا غُلَاقَاتٍ وَأُخِذُوا

من مكان قريب» .

أى لورأيت ذلك رأيت منظرًا عظيماً، وأمرًا عظيماً؛ إذا أخذهم بعد الإسهال فليس إلا الاستئصال .

« وقالوا آمنا به وأنى لم التناوش من

مكان بعيد » .

إذا تابوا — وقد أُنْفِثَتِ الأبواب ، وعلّموا — وقد تعلّمت الأسباب . . فليس

إلا الحسرات والتندم ، ولات حين ندامة !

كذلك من استهان بفاصل قترته ، ولم يستيقن من غفلته يتجاوز عنه مرة ، ويسئى عنه  
كثرة ، فلما استمكن منه القسوة وتجاوز سوء الأدب حد النفقة ، وزاد على مقدار  
الكثرة (١) . . يحصل له من الحق ردة ، ويستقبله حجاب ، وبعد ذلك لا يُسمع له دعاء ،  
ولا يُرْحَمُ له بكاء ، كما قيل :

فَخَلَّ سَبِيلَ الْعَيْنِ بِدُكِّ الْإِكَا فليس لأيام الصفاء رجوع

قوله جل ذكره : « وحمل بينهم وبين ما يشتهون كما

قِيلَ بِأَشْيَائِهِمْ مِنْ قَبْلُ لَهُمْ كَانُوا فِي

شكٍّ مُرِيبٍ » .

التوبة يشتهونها في آخر الأمر وقد فات الوقت ، وانلغصم يريد إرضاءه فيستعجى أن يذكر  
في ذلك الوقت ، وينسئ لانه ويسئل ؛ فلا يمكنه أن يُفْصِحَ بما في قلبه ، ويود أن لو كان بينه  
وبين ما أسلفه بعدُ بيد ، ويحتمى أن يُطْلِعَ فلا تساعده القوة ، ويتمنى أن يكون له — قبل  
خروجه من الدنيا — نفس . . ثم لا يتفق .

---

(١) في رأى التشبيري : العبادة — آخر حد القلة ، وأوله حد الكثرة — .

سُورَةُ فَاطِر

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » كلمة سماعها يوجب رَوْحًا لمن كان يشاهد الإحسان ، ورُوحًا لمن كان يوصف بالبيان ؛ فالرَّوحُ من وجود الإحسان ، والروحُ من شهود السلطان ، وكلُّ مُصِيبٍ ، ولكلِّ من الحق نصيب .

قوله جل ذكره: « الحمد لله فاطر السموات والأرض

جاءل لللائكة رُسُلًا أُولَى أَجْنَعَةٍ...

استعق للدم والثناء على افراده<sup>(١)</sup> بالقدرة على خلق السموات والأرض .

« جاعل الملائكة رسلًا أولى أجنحة منى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء » :  
 تتركب إلى العباد بأفاله ، وتذهبهم إلى الاعتبار بها ، فنها ما نعلم منه ذلك معانية كالسنوات  
 والأرض وغيرها ، ومنها ما سبيل الإيمان به الكثير والثقل — لا بدليل العقل — والملائكة  
 من ذلك ؛ فلا تصحق كيفية سورهم وأجنحتهم ، وكيف يطهرون بأجنحتهم الثلاثة أو الأربعة ،  
 ولكن على الجملة نعلم كمال قدرته ، وصدق كلمته .

قوله : « يزيد في الخلق ما يشاء » : قيل الخلق الحسن ، وقيل الصوت الحسن ، وقيل الصوت الحسن ، وقيل ملاحة العينين ، وقيل الكياسة في الخير<sup>(١٢)</sup> ، وقيل النصيحة في النطق ، وقيل الفهم عن الله ، ويقال السخاء والجود ، ويقال الرضا بالتقدير ، ويقال علو الهمة ، ويقال التواضع ، ويقال ألفة عند الفقر ، ويقال الطرف في الشاغل ، ويقال أن تكون محبوباً إلى القلوب ، ويقال خفة الروح ، ويقال سلامة الصدر من الشرور ، ويقال المعرفة بالله بلا تأمل

(۱) مکملہ فی م . وہی فی س (ارشادہ) .

(۲) اسم من الاختيار .

برهان<sup>(١)</sup> ، وقال الشوق إلى الله ، وقال التسلف على الخلق بحسبهم ، وقال تحمُّر التوب  
من رِقِّ الحدائق بحسبهم ، وقال ألا يَطْلُبُ لنفسه منزلة في الممارين<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ما يفتح الله للناس من رحمة فلا تُمكنك  
لها وما يُمكنك فلا تُزِيلُ له مِنْ بَعْدِهِ  
وهو العزيزُ الحكيم » .

المَوْسَعُ عليه رِزْقُهُ لَا يَصِيحُّ عليه غيرُ الله ، والحُرُومُ لَا يُوسَعُ عليه غيرُ الله .  
وقال : ما يلج في قلوب المارفين من أنوار التصديق لاسحاب بستره ، ولانضياء بظهره .  
وقال : ما يلزم قلوب أوليائه من اليقين فلا تُزِيلُ له ، وما يُنْثَقُ على قلوب الأعداء من  
أبواب الذكر فلا تَفْتَحُ له غيره — سبحانه .

وقال الذي يقرنه بقلوب أوليائه وأحوالم من التفسير فلا تُمكنك له ، والذي يمنعه عن  
أعدائه — بما يُلقِيهم فيه من اتِّلاقِ الأمور واستصعابها — فلا تُيسِّرُ له من دونه .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاقْنُوا  
تَوَافُكُونَ » .

مَنْ ذَكَرَ النِّعْمَةَ فَصَاحِبُ عِبَادَةٍ ، وَتَائِلُ زِيَادَةٍ ، وَمَنْ ذَكَرَ النِّعْمَ فَصَاحِبُ إِرَادَةٍ ، وَتَائِلُ  
زِيَادَةٍ .. ولكن فرق بين زيادة و زيادة ؛ ذلك زيادته في البارين عطاؤه ، وهذا زيادته لقائه ؛  
اليوم سِرّاً بِسِرٍّ من حيث المشاهدة ، وغداً جَهْراً بِجَهْراً من حيث المعاينة .  
والنعمة على قسمين<sup>(٣)</sup> : مَا دَفَعَ عَنْهُ مِنَ الصِّحْنِ ، وَمَا نَفَعَ بِهِ مِنَ الْيَدَنِ ؛ فَذِكْرُهُ لِمَا دَفَعَ  
عنه يوجبُ دوامَ العِصَةِ ، وَذِكْرُهُ لِمَا نَفَعَ بِهِ يوجبُ تمامَ النِّعَةِ .

(١) من اختاره الله لمحضه لا يتركه يتصنى في الأدلة والبراهين بعد اجتيازه مرحلة البداية المصححة بالخلق .  
بل يملك أسره من هذه القيود لينتقل في رحلة العرفان بالقلب ، ثم الروح ، ثم السر ، ثم عين السر .  
(٢) يرى الغزالي أن الآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق وميزة فيه .. وتلك أمور لا يحيط بها وصف .  
(٣) مرة أخرى يعود الغزالي إلى ذكر نعم اللطيف ، ونعم الخفي ، ورائح أن الفكر والشكر لازم على  
الدوام .. هذا هو المقصد الذي يطبع إليه القشيري .

« هل من خالق غور الله - ٩٠ » وثالثة هذا التعريف أنه إذا عرفت أنه لا رازق غيره لم يُلْقَ قلبه بأحد في طلب شيء ، ولم يندل في ارتفاق لظهور ، وكلا لا يرى رزقه من مخلوق لا يراه من عبه أيضاً ؛ فيتملص من ظلمات تدبيره واحتياجه <sup>(١)</sup> ، ومن توكل شيء من أمثاله وأشكاه ، ويستريح لشهود تدبيره ، ولا محالة يُخْلِصُ في توكله وتقويضه .

قوله جل ذكره : « وَإِنْ يَسْكُذُّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ

مَنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ » .

هذه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ونسيئة للصبر عليه ؛ فلذا علم أن الأنبياء عليهم السلام استقبلهم مثلاً استقبله ، وأنهم صبروا وأن الله كفاهم ، فهو يملك سيئاتهم ويقتدي بهم ، وكما كفاهم علم أنه أيضاً يكتفي . وفي هذا إشارة للحكام وأرباب القلوب في موقعهم من العوالم والأجانب عن هذه الطريقة ، فإنهم لا يقبلون منهم إلا القليل ، بينما أهل الحقائق أبداً منهم في مقاسمة الأذى إلا بسخر حاكم عنهم <sup>(٢)</sup> .

والعوالم أقرب إلى هذه الطريقة من القراء <sup>(٣)</sup> المتصفين ، ومن العلماء الذين هم لهذه الأصول ينكرون .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا

(١) فالواجب إسقاط التدبير وشهود التقدير - كما قلنا في الحاشية من قبل .

(٢) بناءً على حقيقة نيسابور إلى هذا السر ، واكتشفوا يعلم الله بأسرارهم وصلاح باطنهم ، ولم يأجروا بالهاتين . بل رغبة في تأكيد علاقتهم بالله ، وإيماناً في إعطاء حقائقهم كانوا يقومون بأشياء تستوجب الملامة ... نقول ذلك رغبة في توضيح أن أذكرك هذا الملعب كانت مبروفة في مدينة نيسابور موطن التشيخي ، كما كان السلسي جد أبي عبد الرحمن صديقه الحميم واحداً من رواد هذا الملعب وأهمه .

(٣) القراء جماعة من قراء القرآن ظهوراً منذ عهد مبكر (ولازموا الأصالة في الليل يهيجون ، حتى إذا جاء النهار استقوا الماء واحتطروا النبي وكانوا في صبيحة (ابن سب) ص ١٢٠ ق ١ ص ٣٦ ، ٣٧) ، ولكن الغفلة أطلقت فيما بعد بصفة عامة على (الذين يزورون من الدنيا وينصصون أنفسهم للعمل الصالح والزهد والتأمل) ابن سب ص ٦٠ ص ٣٥ . (ويقال تقرى بتسجيل الحزمة أي تسلك) (أمال القائل ص ٣٠ ص ٤٧) .. ولقد لبه عمر بن الخطاب إلى ضرورة تنقية هذا القرن من الضيعة من كل الأغراض والأغراض حيث يقول : عيايها الناس إنه أقي على حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وقد غلب إلى أن أقواماً يقرءون القرآن يريدون به ما عند الله ، ألا فأريدوا الله بقرائتكم وبأعمالكم . (البيان والتبيين ص ٣٠ ص ١٣٨) . ولكن يبدو أن الزمن قد خلعتك خروج طوائف من القراء عن هذا الخط ... الأمر الذي جعل التشيخي - وقد عاش في القرنين الرابع والخامس - يتحفظ في الحكم عليهم .

فَلَا تَفْرَقُوا بَيْنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا الْآخِرَةِ

بِأَقْلَابِ الْقُرُونِ .

وَعَنْدَ اللَّهِ حَقٌّ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَنَّهُ يَكُونُ ، فَوَعْدُهُ فِي الْبَيَّامَةِ حَقٌّ ، ووَعْدُهُ لِمَنْ أَطَاعَهُ بِكَفَايَةِ الْأُمُورِ وَالسَّلَامَةِ حَقٌّ ، ووَعْدُهُ لِلْمُطِيعِينَ فِي الْآخِرَةِ بِوُجُودِ الْكَرَامَةِ حَقٌّ ، وللْعَامِلِينَ بِالْعِلْمِ حَقٌّ ، فإِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ ذَلِكَ اسْتَعَدَّ لِلْمَوْتِ ، وَلَمْ يَهْمُ بِالرِّزْقِ ، فَيَكْفِيهِ اللَّهُ شُغْلَهُ ، فَيَنْشُطُ الْعَبْدُ فِي اسْتِكْثَارِ الطَّاعَةِ حَقَّ الْوَعْدِ ، وَلَا يُبْلِغُ بِالْخَالَفَاتِ خَوْفًا مِنَ الْوَعْدِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ

عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّمِيرِ » .

عداوةُ الشَّيْطَانِ بِدَوَامِ خِلَافَتِهِ ؛ فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْلِكُهُ بِالْقَوْلِ وَلَكِنْ يَوَاقِعُهُ بِالْفِعْلِ ، وَلَنْ تَقْوَى عَلَى عِدَاوَتِهِ إِلَّا بِدَوَامِ الْاسْتِنَافَةِ بِالرَّبِّ ، وَتِلْكَ الْاسْتِنَافَةُ تَكُونُ بِصَدَقِ الْاسْتِمَاعَةِ . وَالشَّيْطَانُ لَا يَفْتَرِ فِي عِدَاوَتِكَ ، فَلَا تَنْفَلْ أَنْتَ عَنْ مَوْلَاكَ لِحَلَّةٍ فَيَبْزُ لَكَ عَدُوُّكَ ؛ فَإِنَّهُ أَبَدًا مَتَمَكِّنٌ لَكَ .

« إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ » وَحِزْبُهُ هُمُ الْمُعْرِضُونَ عَنْ اللَّهِ ، لِلشُّكْلِ بِنُفْرِ اللَّهِ ، النَّاقِلُونَ عَنْ اللَّهِ . وَدَلِيلُ هَذَا الْخَطَابِ : إِنَّ الشَّيْطَانَ عَدُوُّكُمْ فَأَبْغُضُوهُ وَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ، وَأَنَا وَلِيُّكُمْ وَحَبِيبُكُمْ فَأَحِبُّوهُ وَارْضَوْا بِي حَبِيبًا .

قوله جل ذكره : « الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » .

الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ مُّجْتَلٍ وَعَذَابٌ مُّؤَجَّلٌ ، فَمُتَجَلٍّ تَفَرُّقٌ قُلُوبِهِمْ وَانْسِلَادٌ بِسَائِرِهِمْ وَوَقَاحَةٌ هَتَمِهِمْ حَتَّى أَنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِأَنَّهُمْ يَكُونُ الصِّمُّ مَعْبُودَهُمْ . وَأَمَّا عَذَابُ الْآخِرَةِ فَهُوَ مَا لَا نَحْنُ عَلَى مَسِيرٍ — عَلَى الْجَمَلَةِ — صَعُوبَتُهُ .

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات « فلهم مغفرةٌ أَى سَتَرٌ لدنوبهم اليومَ ، ولولا ذلك لافْتَضَحُوا ، ولولا ذلك لَهَلَكُوا .

« وأجر كبير » : والأجرُ الكبيرُ اليومَ سهوَةُ العبادةِ ودوامُ المعرفةِ ، وما يناله في القلب من زوائد اليقين وخصائص الأحوال . وفي الآخرة : تحقيقُ السُّؤْلِ ونيلُ ما فوق المأمول . قوله جل ذكره : « أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ

حَسَنًا فَلَمَّا لَفِيَ اللَّهُ يُعْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ » .

معنى الآية : أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً كمن ليس كذلك ؟ لا يستويان ! ومعنى « زين له سوء عمله » أن الكافرَ يَتَوَكَّمُ أَنَّ عمله حَسَنٌ ، قال تعالى : « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »<sup>(١)</sup> .

ثم الراغبُ في الدنيا يجمع حلالها وحرامها ، ويمحوش<sup>(٢)</sup> حُطَامها ، ولا يفرق في زوالها ، ولا في ارتحالها عنها قبل كمالها ؛ فلقد زين له سوء عمله ( والذي يقع شهواته ويبيع مؤبداً راحاته في الجنة بساعةٍ فلقد زين له سوء عمله<sup>(٣)</sup> ) . وإن الذي يُؤَيِّرُ على ربِّه شيئاً من المخلوقات لَهُوَ من جلتهم . والذي يتوَكَّمُ أنه إذا وَجَدَ نجاته ودرجاته في الجنة — وأن هذا يكفيه ... فقد زُيِّنَ له سوء عمله حيث يتناقل عن حلاوة المناجاة . والذي هو في صحبة حظوظه ولا يُؤَيِّرُ حقوقَ اللَّهِ فلقد زين له سوء عمله فرآه حسناً .

« فلا تذهب نَفْسُكَ عليهم حسرات » : يعني إذا عَرَفْتَ حقَّ<sup>(٤)</sup> التذير ، وعَلِمْتَ أنهم سقطوا من عين الله ، ودَعَوَتِهِمْ جَهْرًا ، وَبَذَلْتَ لَهُمْ نُصْحًا ، فاستجابتهم ليست لك ، فلا تَجَبَّلُ على قلبك من ذلك مشقة ولا عناء .

(١) آية ١٠٤ سورة الكهف .

(٢) حوش المال ونحوه = جمعه وادخره (الوسيط) .

(٣) ما بين القوسين موجود في م وغير موجود في س .

(٤) هكذا في م وهي في س (سر) التفتير .



قوله جل ذكره: « واللهُ الذى أرسل الرياحَ فتخبرُ

سحاباً فسقنهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ فأحيينا

به الأرضَ بعد موتها كذلك النشور »

أجرى سُنَّتَهُ بأنه يُظهرُ فَضْلَهُ فى إحياءِ الأرضِ بالتدرِجِ ؛ فأولاً يرسل الرياحَ ثم يأتى بالسحابِ ، ثم يوجِّهُ ذلك السحابَ إلى الموضعِ الذى يريدُ له تخصيصاً كيف يشاءُ ، ويُطرِّقُ هنالك كيف يشاءُ . كذلك إذا أراد إحياءَ قلبٍ عبدي بما يسقيه وينزل عليه من أمطارِ عنايته ، فيُرْسِلُ أولاً رياحَ الرجاءِ ، ويزعجُ بها كوامنَ الإرادةِ ، ثم ينشُرُ فيها سُحُبَ الاحتياجِ ، ولوعةَ الانزعاجِ ، ثم يهود بمطرٍ بُنِيَتْ فى القلبِ أزهارُ البَسْطِ ، وأنوارُ<sup>(١)</sup> الرُّوحِ ، فيطيب لصاحبه التَّيْسُ إلى أن تمَّ لطائفُ الأنسِ .

قوله جل ذكره: « مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمِزَّةَ فَلِلَّهِ الْمِزَّةُ

جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصِيدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْمَلُ

الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ

السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ

أُولَئِكَ هُوَ يُبَيِّرُ »

مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمِزَّةَ بِنَفْسِهِ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمِزَّةَ بِجَمَلَتِهَا لِلَّهِ ، فَلَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ شَيْءٌ مِنَ الْمِزَّةِ .

وَيَقَالُ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْمِزَّةَ لِنَفْسِهِ فَلِلَّهِ الْمِزَّةُ جَمِيعاً ، أَى قَلِيبَتِهَا مِنَ اللَّهِ ، وَفِي آيَةِ أُخْرَى أُثْبِتَ

الْمِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ، وَقَالَ هَاهُنَا « فَلِلَّهِ الْمِزَّةُ جَمِيعاً » ؛ وَوَجَّهَ الْجَمْعُ يَنْهَانِ عَنْ

الرَّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ وَصَفَاءُ ، وَعَزَّ الرَّسُولَ ، وَعَزَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ فَضْلاً مِنْ اللَّهِ وَلِهَذَا : فَإِنَّ الْمِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً .

وَعَزَّهُ سَبْعَانَةً — قُدْرَتُهُ . أَوْ وَيَقَالُ الْمِزُّ هُوَ الْقَاهِرُ الَّذِي لَا يُفْهَرُ ؛ فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ فَضْلِهِ

عَلَى أَوَّلِ التَّوْلِينَ . . . وَمِنْ صِفَاتِ ذَاتِهِ عَلَى التَّوْلِ الْآخَرِ . وَيَقَالُ الْمِزُّ هُوَ الَّذِي لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ

مِنْ قَوْلِهِمْ : أَرْضُ عَمْرَأَزَ إِذَا لَمْ تَسْقُرْ عَلَيْهَا الْأَقْدَامُ ، فَيَرْجِعُ مَعْنَاهُ إِلَى جَلَالِ سُلْطَانِهِ .

وَيَقَالُ الْمِزُّ الَّذِي لَا يَمِثَّلُ لَهُ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : عَزَّ الطَّعَامُ فِي الْيَدِ ، فَيَرْجِعُ إِلَى اسْتِحْقَاقِهِ لَصِفَاتِ

الْجَدِّ وَالْمَلُو .

---

(١) أنوار هنا جمع نودة وهي الزهرة البيضاء .

قوله : « إله يصمد الكلمُ الطيب » : الكلم الطيب هو الصادر عن عقيدة طيبة —  
بمضى الشهادتين — عن إخلاص . وأراد به صمودَ قبولٍ ، لأنَّ حقيقة الصمود في اللغة بمعنى  
الخروج — ولا يجوز في صفة الكلام <sup>(١)</sup> .

« والعمل الصالح يرفه » : أى يقبله . ويقال العملُ الصالحُ يرفع الكلمَ الطيب . ويقال  
الكلمُ الطيبُ ما يكون موافقاً للسنَّة ، ويقال هو ما يشهد بصِحَّةِ الإذنِ والتوقيف . ويقال  
هو نطقُ القلبِ بالثناء على ما يستوجبه الربُّ . ويقال هو ما يكون دُعاه للسُّلَم . ويقال  
ما يتجرد حقاً للحقِّ ولا يكون فيه حظٌّ للمبد . ويقال ما هو مُستخرجٌ من المبد وهو فيه  
مفقود <sup>(٢)</sup> . ويقال هو بيانُ التَّنصُّلِ وكلمة الاستغفار .

ويقال العمل الصالح ما يصلح للقبول ، ويقال الذى ليس فيه آفة ولا يُقَلَّبُ عليه عيوضٌ  
قوله جل ذكره : « والذين يَسْكُرُونَ السِّتَاتِ لم  
عذابٌ شديدٌ ومَكْرٌ أولئك هو  
يبورُ » .

أى يَقلبُ عليهم مَكْرَهُمْ ؛ فما يترهونه من خير لم يَقلبْهُ محنةٌ عليهم . ويقال : تحلَّيْتَهُ  
إيام ومَكْرَهُمْ <sup>(٣)</sup> — مع قدرته على عصمتهم ، وكَوْنُهُ لا يعصمهم من عذابهم الشديد .

قوله جل ذكره : « واللهُ خَلَقَكُمْ من ترابٍ ثم من  
نُفْثَةٍ ثم جعلكم أزواجاً وما يحمل من  
أنثى ولا ترفع إلا بعِلْمِهِ وما يمسِّرُ من  
مُعَمَّرٍ ولا يُنقِصُ من عُمرِهِ إلا فى  
كتابٍ إنَّ ذلك على الله يسيرٌ »

ذَكَرَهُمْ نِسْبَتَهُمْ لثلاثٍ يُعْجَبُوا بمجالاتهم ، ثم إنَّ ما يُتَّخَذُ من الطين سريعُ التغيُّر ، قليلٌ

(١) لأن الخروج يقتضى عملاً .. والألوهية تنزهه عنه .

(٢) أى ما يصدر عن المبد وهو مأخوذ مستلب عن نفسه — من المايف .

(٣) نسبتنا الرأى فى (ومكرهم) لتكون مفغولا معه فهكذا نفهم السياق .

القوة في الشك ، لكنه يقبل الاختيار بالماء إذ تنجبر به طينته ؛ فلماذا جاد الحق عليه بماه الجود أعاده بعد انكساره بالذنوب (١) .

وإذا كان لا يمتحنى عليه — سبحانه — شيء من أحوالهم في ابتداء خَلْقِهِمْ ، فمن يُبَالِ أن يَخْلُقَ مَنْ يَعْلَمُ أنه يَمُوتُ فلا يزال أن يَفْزَحَ لِمَنْ رَأَاهُ يَمُوتُ (٢) .

قوله جل ذكره : « وما يستوى البحران هذا عَذْبٌ

فَرَأَتْ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَسْجَاجٌ

وَمِنْ كُلِّهِ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا

وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى

الْفُلُكَ فِيهِ مَوَاصِرٌ لِيَصْنَعُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ »

لا تستوى الخالتان : هذه إقبال على الله ، واشتغال بطااعته ، واستقلال بمعرفته . . وهذه إغراض عن الله ، وإقباض عن عبادته ، واعتراض — على الله — في قسمته وقبضته . هذه سبب وصله ، وهذه سبب هجره وافصاله ، وفي كل واحدة من الخالتين يعيش أهلها ، ويرزق أصحابها وقتها . ولا يستوى الوقتان : هذا بسط وصاحبه في رَوْح ، وهذا قبض وصاحبه في تَوَحُّج . هذا خوف وصاحبه في اجتياح ، وهذا رجاء وصاحبه في ارتياح . هذا فرق وصاحبه بوصف العبودية ، وهذا جمع وصاحبه في شهود الروية .

« ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها » : كذلك كل يتقرب في حاله لرَبِّه ؛ ويتزَيَّن على بابه ، وهو حليته التي بها يتحلَّى من طَرَبٍ أو حَرَبٍ ، من شَرَبٍ أو تَلَبُّرٍ .

(١) عرض القشيري فيما سبق لهذه القصة عندما تحدث عن خلق آدم وإيليس ، وكيف أن ماء العنابة جبر آدم حين أظهر الممر فاجتياه وبه وتاب عليه ، وكيف أن الماء ألقا نار إيليس فأنظره إلى يوم يمشون ، ليدل القشيري بذلك على أن اللين أفضل من النار ، وأن إيليس أعطى في دعوى أنفيلته على آدم .

(٢) أي أن مصيبة العديد من المبدء صلا — وفي هذا إثبات لحرية الإنسان واختياره — وإن كانت من الله علماً ... وهو من قبل ومن بعد غافر اللتب وقابل التوب .

قوله جل ذكره : « يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ النَّهَارَ فِي  
الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي  
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الشُّكُّ  
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ  
مِنْ قَاطِرٍ » .

تغلب النفسُ مرةً على القلب ، ويغلب القلبُ مرةً على النفس . وكذلك التَّبَضُّعُ والبسط  
فقد يستويان ، ومرةً يغلب التَّبَضُّعُ على البسط ، ومرةً يغلب البسطُ على التَّبَضُّع ، وكذلك  
الصَّحْوُ والشُّكْرُ ، وكذلك الفناء والبقاء .

وسَخَّرَ شَمْسَ التَّوْحِيدِ وَأَقَارَ المِرْقَةِ على ما يريد من إظهاره على القلوب .

« ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الشُّكُّ » : فأروني شظيةً من النفي أو الإثبات لما تدعونه من دونه !  
وإذ لم يَمَكِّنْكُمْ ذلك . . . فَهَلَّا أَقَرَرْتُمْ ، وفي عبادته أخلصتم ، وعن الأصنام تَبَرَّأْتُمْ ؟ .

قوله جل ذكره : « إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا  
مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ  
بِشْرِكِكُمْ وَلَا يُبَشِّرُكُمْ بِمِثْلِ خَيْرٍ » .

إِنْ اسْتَعْنَيْتُمْ بِأَصْنَامِكُمْ لَا يُبَيِّنُوكُمْ ، وَإِنْ دَعَوْتُمُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ، وَلَوْ سَمِعُوا —  
على جهة ضَرْبِ المَثَلِ — لَا يَسْتَجِيبُونَ لَكُمْ ؛ لأنهم لَا يَمْلِكُونَ نَفْعَ أَغْنِيَهُمْ . . فكيف  
يَمْلِكُونَ نَفْعَ غَيْرِهِمْ ؟ !

« وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ » : لَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمُ  
الْإِيمَانُ بَعْدَ زَوَالِ التَّكْلِيفِ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ  
وَإِلَهُهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ » .

الْفَقْرُ على ضربين : فقر الخَلْقَةِ وفقر الصِّفَةِ ؛ فَأَمَّا فقر الخَلْقَةِ فهو عامٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ فَكُلُّ  
مَخْلُوقٍ مُفْتَقِرٌ إِلَى خَالِقِهِ ، فهو قد حَصَلَ مِنَ الْعَدَمِ ، فهو مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لِيُغْنِيَهُ وَيُنْشِئَهُ ، ثم بعد

ذلك مفترق — في حال بقاءه إليه — لِيُدِيَنَهُ وَبِقِيهِ . فَأَلَّه — سبحانه — غنى ، والعبْدُ فقير ؛  
العبْدُ فقيرٌ بيمينه وأَلَّه غنىٌ بيمينه <sup>(١)</sup> .

وأما فقر الصفة فهو التجرد ؛ فقَرُّ المَواهِجِ التجرُّدُ من المال ، وفقر الخواص التجرد من  
الأعلال لِيَسْلَمَ لم الفقر .

والفقر على أقسام : فقر إلى الله ، وفقر إلى شيء هو من الله ؛ معلوم أو مرسوم وغير ذلك .  
ومن افتقر إلى شيء استغنى بوجود ذلك الشيء ؛ فالفقيرُ إلى الله هو الغنى بالله ، والافتقار  
إلى الله لا يغفلون الاستغناء بالله ، فالفقير إلى الله مُسْتَعْنٍ بالله ، والمستغنى بالله مفترقٌ  
إلى الله <sup>(٢)</sup> .

ومن شرف الفقر اقترانه بالتواضع والخضوع ، ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر .  
وَصَرَفَ العبد في فقره ، وكذلك ذلُّه في تومعه أنه غنى : —

وإِذَا تَذَلَّلْتَ الرَّقَابُ قَرَبًا مِّنَّا إِلَيْكَ فَرَّهَا فِي ذُلِّهَا <sup>(٣)</sup>

ومن الفقر الذموم ، أن يَسْتَرْ الحَقَّ على صاحبه مواضع فقره إلى ربِّه ، ومن الفقر الحمود  
أن يُشْهِدَ الحقَّ مواضع فقره إليه .

ومن شرط التقير المحلص ألا يملك شيئاً وملك كل شيء .

ويقال : التقير الصادق الذي لا يملكه شيء <sup>(٤)</sup> .

ومن آداب التقير الصادق إظهارُ التشكُّر عند كمالِ التكسُّر . ومن آداب الفقر كمال  
المعنى وزوال المعنى . ويقال الشكر على البلى والبعد عن الشكوى .

(١) أي أن العبد — كلمات مستقلة — فقير ؛ لأنه مخلوق محتاج إلى عاقله ، والحق — كلمات مستقلة —  
غنى ؛ لأنه خالق فهو في غير حاجة إلى مخلوقه .

(٢) من أقوال الجنيد في هذا الصدد وقد سئل عن الافتقار إلى الله : أَمَرْتُ أم الاستغناء بالله قال : إذا صح  
الافتقار إلى الله فقد صح الاستغناء بالله ، وإذا صح الاستغناء بالله كل الغنى به ؛ فلا يقال أيها أُم ؛ لأنها حائتان  
لا تَمُ إِسْدَاجًا إِلَّا بِالْأُخْرَى (الرسالة ص ١٣٥) .

(٣) من أقوالهم في هذا الصدد : لو علم أبناء الملوك ما نحن فيه من عز جلالنا عليه .

(٤) أي لا يكون أسيراً لغرض أو لغرض ، فذلك آفة للدنيا والنفس .

وحقيقة الفقر المحمود تجرّد السرّ عن المولات وإفراد القلب بالله .

ويقال : الفقر المحمود التيسّر مع الله براحة الفراغ على سرمد الوقت من غير استكراه شيء منه بكل وجه .

قوله : « والله هو النقيّ الحيد » : الإشارة منه أن يُعطى حتى يُحمد .

ويقال النقيّ إذا أظهر غناه لأحدٍ فليماً للفاخرة أو للكتابة — وجلّ قدر الحق عن ذلك — وإما ليجود ويتفضل على أحد .

ويقال : لا يقول لنا أتمّ الفقراء للإزراء بنا — فإنّ كرمته يتقدّس عن ذلك — وإنما المقصود أنه إذا قال : والله النقيّ ، وأتمّ الفقراء أنه يحمود علينا .

ويقال إذا لم تدع ما هو صفته — من استحقاق النقيّ — أولئك ما يُمنّيك ، وأعطاك فوق ما يكتفيك .

قوله جل ذكره : « إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ » وما ذلك على الله بعزيز .

عرّفك أنه غنى عنك ، وأشهدك موضع قهرك إليه ، وأنه لا بدّ لك منه ، فما قصد من هذا إلا إرادته لإكرامك وإيوائك في كنف إلامه .

قوله جل ذكره : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى » .

كلّ مطالبّ بعمله ، وكلّ محاسب عن ديوانه ، ولكلّ مه شأن ، وله مع كلّ أحد شأن . ومن العبادات ما تجرى فيه النيابة ولكن في المعارف لا تجرى النيابة ؛ فلو أن عبداً عاصياً منهمكاً في غوايته فاتمه صلاة مفروضة ، فلو قضى عنه ألف ولي وألف صفيّ تلك الصلاة الواحدة عن كل ركعة ألف ركعة لم تقبل منه إلا أن يحىء هو : معاذ الله أن نأخذ إلا بمن وجدنا متاعنا عنده ! فتأبئك لا يحىء مع غيرك ، والخطاب النقيّ معك لا يسمعه غيرك :

فَسِرْ أَوْ أَقِمْ وَتَفَّ عَلَيْكَ محبّي مكانك من قلبك عليك مصون

« إنما ننذر الذين يخشون ربهم

بالنبي وأقاموا الصلاةَ ومن تَزَكَّى  
فإنما يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وإلى الله المصير .

الإشارة هو الإعلام بموضع الخاتمة ، والخاتمة هي الخاتمة ، فعن الآية ، لا ينفع التخويف  
إلا لمن صَاحَبَ الخوفَ - وطيرُ السماء على أشكالها قَعُ .

قوله جل ذكره : « وما يستوى الأعمى والبصير »

ولا الظلماتُ ولا النورُ • ولا الظلُّ

ولا الحرور • وما يستوى الأحياء

ولا الأمواتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ

وما أنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القبورِ .

كما لا يستوى الأعمى والبصير لا تستوى النملات والنور ، ولا يستوى الظلُّ والحرور ،  
ولا الأحياء والأموات .. وكذلك لا يستوى الوصول بنا والمشغول عنا ، والمحبوبُ إلينا ،  
والمحبوبُ عنا ، ولا يستوى من اصطفيه في الأزل ومن أشقيته بحكم الأزل ، ولا يستوى  
من أشهد به حقنا ومن أضلنا قلبه عن ذِكْرِنَا :

أحبابنا شتان : وافرٍ ونافِضُ ولا يستوى قطُّ مُحِبٍّ وباغِضُ

قوله جل ذكره : « إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ » إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا  
خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ .

أى وما من أمةٍ من كانوا من قبلك إِلَّا بشنا فيهم نذيراً ، وفى وقتك أَرْسَلْنَاكَ  
جميع الأمم كافةً بِالْحَقِّ .

« بشيراً ونذيراً » : تضمنت الآية بيان أنه لم يُخلَ زماناً ولا قوماً مِنْ شَرِّعٍ .  
وفى وقته صلى الله عليه وسلم أفرد به بأن أرسله إلى كافة الخلق ، ثم قال على جهة التسلية  
والتنزية له :

« وَإِنْ يَكْذِبُونَ فَكَذَّبَ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ  
وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ النَّبِيرِ » .

أى لو قابلك بالتكذيب فلك سُنَّتُهُمْ مع كل نبي ، وإن أصرُّوا على سُنَّتِهِمْ فى النبوَّة  
فلن تجد لسنة الله تبديلاً فى الانتقام والخرى .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ  
الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا  
وَعَرَاءٍ بَسُودٌ » .

يبيِّن فى هذه الآية وأمثالها أن تخصيص الفعل بـهَيْئَتِهِ وألوانه من أدلة قصد الفاعل وبرهانه ،  
وفى إقناع الفعل وإحكامه شهادة على عِلْمِ الصانع وإعلامه .

وكذلك أيضاً « من الناس الدواب والأنعام » : بل جميع المخلوقات متجانس الأعيان  
مختلف ، وهو دليل ثبوت مُنْشِئِهَا بِنْتِ الْجَلال .

قوله جل ذكره : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .  
« إِنَّمَا » كلمة تحقيق تجرى من وجه مجرى التحديد أى التخصيص والتقصير ، فَمَنْ قَدَّ الْعِلْمُ  
بالله فلا خشية له من الله .

والفرق بين الخشية والرهبة أَنَّ الرهبة خوفٌ يوجبُ هَرْبَ صاحبه فيجرى فى هربه ،  
والخشية إذا حصلت كَبَحَتْ جِلَاحَ صاحبها فيبقى مع الله ، فقلعت الخشية على الرهبة فى  
الجملة<sup>(١)</sup> .

والخوف قضية الإيمان ، قال تعالى : « وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »<sup>(٢)</sup> فالخشية قضية العلم ،  
والهيبه توجب المعرفة .

(١) يفيد هذا الكلام فى التفرقة بينهما عند بحث المصطلح الصوفى .

(٢) آية ١٧٥ سورة آل عمران .



ويقال خشية العلماء من قصيرهم في أداء حقّه . ويقال من استعياهم من اطلاع الحق .  
ويقال حذرًا من أن يحصل لهم سوء أدب وترك احترام ، وانبساط في غير وقته بإطلاق  
لفظه ، أو ترك خصه بترك الأولى .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا  
الصَّلَاةَ وَأَتَوْا مَا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً  
يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ » .

الذين يستغرق جميع أوقاتهم قيامهم بذكر الله وبحقه ، وإتيانهم بأنواع العبادات وصنوف  
التقرب فلمهم القدر الأجل من التهرب ، والتصيب الأوفر من الترحيب . وأما الذين أجواهم  
بالضبط فمنا لهم على المكس . أولئك هم الأولياء الأئمة ، وهؤلاء هم الأعلاء الأئمة .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ  
هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ  
بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ » .

ما عرفناك — من اختيارنا لك وتخصيصنا إياك ، وقدعينا لك على الكفاية — فلي  
ما أخبرناك ، وأنشدوا :

لَا أَبْنِي بَدَلًا سِوَاكَ خَلِيلًا فَتَقْبَلْ بِسُؤْلِ الْكَرَامِ نِقَاتَ

قوله جل ذكره : « ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ الَّذِينَ إِصْطَفَيْنَا  
مِنْ عِبَادِنَا فَنَسَبْنَاهُمْ مِنْ غَلْمِ لِنَفْسِنَا وَلَهُمْ مَقْصِدٌ  
وَمِنْهُمْ سَائِقٌ بِالْخِطَابِ إِنْزِلَ اللَّهُ ذَلِكَ  
هُوَ التَّضَلُّ الْكَبِيرُ » .

« أَوْحَيْنَا » : أي أعطينا الكتاب — أي القرآن — الذين اصطفينا من عبادنا ، وذكر  
الإعلاء بلفظ الإرث توسعًا .

« اصطفينا » : أي اخترنا . ثم ذكر أخصائهم ، وفي الخبر أنه لما نزلت هذه الآية قال عليه  
السلام : « أمتي ورب الكعبة » ثلاث مرات .

وفي الآية وجوه من الإشارة : فمنها أنه لما ذكر هذا بلفظ الميراث فالإراث يقتضي صحة النسب على وجه مخصوص ، فمن لا سبب له فلا نسب له ، ولا ميراث له .

ومحل النسب ما هنا للمعرفة ، ومحل السبب الطاعة . وإن قيل محل النسب فضله ، ومحل السبب فضله<sup>(١)</sup> . فهو وجه . ويصح أن يقال محل النسب اختياره لك بدءاً ومحل السبب إحسانه لك تالياً .

ويقال أهل النسب على أقسام : — الأقوى ، والأدنى كذلك في الاستحقاق .

ويقال جميع وجوه التملك لا بد فيها من فضل للعبد كالبيع ، أما ما يملك بالهبة فلا يحصل إلا بالقبول والتسعة ، ولا يحصل الاستحقاق إلا بالحضور والمجاهدة وغير ذلك . والوصية لا تستحق إلا بالقبول ، وفي الزكاة لا بد من قبول أهل الشئمان ، والميراث لا يكون فيه شيء من جهة الوارث وفضله ، والنسب ليس من جملة أخاله .

ويقال للميراث يستحق بوجهين : بالفرض والتصيب ، والتصيب أقوى من الفرض ؛ لأنه قد يستحق به جميع المال ، ثم للميراث يبدأ بنوى الفروض ثم ما يتبقى ظلمصة<sup>(٢)</sup> .

« ففهم غالب لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله » : تسكوا في الظالم ، ففهم من قال هو الأفضل ، وأرادوا به من ظلم نفسه لكثرة ما حملها من الطاعة .

والأكثرون : إن السابق هو الأفضل ، وقالوا : التقديم في الذكر لا يقتضي التقديم في الرتبة ، ولهذا نظائر كثيرة<sup>(٣)</sup> .

ويقال قرَنَ باسم الظالم قرينةً وهي قوله : « لنفسه » ، وقرن باسم السابق قرينةً وهي قوله :

(١) فالنسب وهي والفعل كسبي كأن المعرفة وهبة والطاعة كسبية وإن كان الصوفية يرون أن الكسب والاجتهاد والتصرف والتكليف كلها لا تتم إلا بفضل من الله (أنظر شرح المحلى لأبيات رابعة المبلوغة ، وأحكام حين ... في قوت التلويح . وهذا المعنى واضح هنا أيضاً في تفسير القشيري .

(٢) النسبة واحدة المصعب ، وعصبة الرجل (في الفرائض) من ليست له فريضة مسهلة في الميراث ، وإما يأخذ ما أبى دور الفروض . أنظر رأى القشيري في تفصيل التصيب على الفروض (المجلد الأول من هذا الكتاب ص ٣١٧)

(٣) حل نحر ما يذكره البلاغيون في ذكر الخامس بعد العام .

« يا ذناب الله » ؛ فالظالمُ كانت له زَلَّةٌ ، والسابقُ كانت له صولةٌ ، فالظالمُ رَفَعَ زَلَّتَهُ بقوله :  
نفسه ، والسابقُ كَثَّرَ صَوْلَتَهُ بقوله : يا ذناب الله .

كَانَهُ قَالَ : يا ظالمُ ارفعِ رأسَكَ ، ظَلَمْتَ وَلَكِنْ عَلَى نَفْسِكَ ، وَالسَّابِقُ اخْفَضَ <sup>(١)</sup> رَأْسَهُ ؛  
سَبَّحْتَ — وَلَكِنْ يَا ذناب الله .

وَيَقَالُ إِنَّ الْمَرْزُوقَ إِذَا رَأَى ظَالِمًا قَسَمَهُ ، وَالكَرِيمَ إِذَا رَأَى مَظْلُومًا أَخَذَ بِيَدِهِ ، كَأَنَّهُ قَالَ :  
يا ظالمُ ، إِنْ كَانَ كَوْنُكَ ظَالِمًا يُوَجِّبُ قَهْرَكَ ، فَكَوْنُكَ مَظْلُومًا يُوَجِّبُ الْأَخْذَ بِكَ <sup>(٢)</sup> .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ غَلَبَتْ زَلَّتُهُ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مِنْ اسْتَوَتْ حَالَاتُهُ ، وَالسَّابِقُ مَنْ زَادَتْ  
حَسَنَاتُهُ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ زَهَدَ فِي دُنْيَاهُ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مَنْ رَغِبَ فِي عَقْبَاهُ ، وَالسَّابِقُ مَنْ آثَرَ عَلَى  
الْبَارِينَ مَوْلَاهُ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ نَجَّمَ كَوَكَبُ عَقْلِهِ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مَنْ طَلَعَ بِذُرِّ عِلْمِهِ ، وَالسَّابِقُ مَنْ  
ذَرَّتْ <sup>(٣)</sup> شَمْسُ مَعْرِفَتِهِ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ طَلَبَهُ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مَنْ وَجَدَهُ ، وَالسَّابِقُ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ تَرَكَ الْمَصِيَّةَ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مَنْ تَرَكَ النِّفَقَةَ ، وَالسَّابِقُ مَنْ تَرَكَ الْعِلَاقَةَ <sup>(٤)</sup> .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مَنْ لَمْ يَبْغِلْ بِنَفْسِهِ ، وَالسَّابِقُ مَنْ جَادَ بِرُوحِهِ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ مَنْ لَهُ عِلْمُ الْيَقِينِ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ مَنْ لَهُ عَيْنُ الْيَقِينِ ، وَالسَّابِقُ مَنْ لَهُ حَقُّ الْيَقِينِ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ صَاحِبُ الْمَوَدَّةِ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ صَاحِبُ الْخُلُقَةِ ، وَالسَّابِقُ صَاحِبُ الْحُبَّةِ .

وَيَقَالُ الظَّالِمُ يَتْرَكَ الْحَرَامَ ، وَلِلتَّصَدُّقَاتِ يَتْرَكَ الشُّبْهَةَ ، وَالسَّابِقُ يَتْرَكَ التَّفَضُّلَ <sup>(٥)</sup> فِي الْجِلَّةِ .

---

(١) وردت في ص (احفظ) والسيال يتطلب (اغفر) رأسك فما سبقت إليه ليس إلا يا ذناب الله .

(٢) غاية كرم المولى سبحانه أنه ينظر إلى الظالم على أنه مظلوم ؛ مظلوم من قبل نفسه التي دعت إلى أن يظلم  
غيره .... ولمسرى أنها غاية الكرم كما يتصورها هذا الصوفى الجليل .

(٣) ذرت الشمس ذرواً أي ظهرت أول شروقها (الوسيط) .

(٤) أي العلاقة بالدنيا والنفس وما يتصل بهما .

(٥) التفعل هنا معناه ما زاد من الحاجة للضرورة أنقأ الحرام والشبهة ، يقول سهل التستري : إذا

كان الحلال في اليقين هو مالا يخصني الله فيه فإن الحلال عند الصوفى مالا يخصني الله فيه .

ويقال الظالمُ صاحبُ سَخاءٍ ، والمتقصدُ صاحبُ جودٍ ، والسابقُ صاحبُ إِثَارٍ <sup>(١)</sup> .  
ويقال الظالمُ صاحبُ رِجاءٍ ، والمتقصدُ صاحبُ بَسْطٍ ، والسابقُ صاحبُ أُنْسٍ .  
ويقال الظالمُ صاحبُ خوفٍ ، والمتقصدُ صاحبُ خَشْيَةٍ ، والسابقُ صاحبُ هَيْبَةٍ .  
ويقال الظالمُ له المغفرةُ ، والمتقصدُ له الرحمةُ والرضوانُ ، والسابقُ له القربةُ والحِبةُ .  
ويقال الظالمُ صاحبُ الدنيا ، والمتقصدُ طالبُ المَقْبِيِّ ، والسابقُ طالبُ المولى .  
ويقال الظالمُ طالبُ النجاةِ ، والمتقصدُ طالبُ الدرجاتِ ، والسابقُ صاحبُ المنجاةِ .  
ويقال الظالمُ أَمِنَ مِنَ العقوبةِ ، والمتقصدُ قَازٍ بِالثَّوْبَةِ ، والسابقُ مَتَحَقِّقٌ بِالقربةِ .  
ويقال الظالمُ مضروبٌ بِسَوَاطِرِ الجِرْمِ ، ومقتولٌ بِسَيْفِ الرَغْبَةِ ، مضطجعٌ على بابِ الحسرةِ .  
والمقصدُ مضروبٌ بِسَوَاطِرِ الندامةِ ، ومقتولٌ بِسَيْفِ الأُصْفِ ، مضطجعٌ على بابِ الجودِ .  
والسابقُ مضروبٌ بِسَوَاطِرِ التَّوَجُّدِ ، ومقتولٌ بِسَيْفِ الحُبِّ ، مُضْطَجِعٌ على بابِ الاشْتِاقِ .  
ويقال الظالمُ صاحبُ التَّوَكُّلِ ، والمتقصدُ صاحبُ التَّسْلِيمِ ، والسابقُ صاحبُ التَّنْوِيضِ .  
ويقال الظالمُ صاحبُ نَوَاجِدٍ ، والمتقصدُ صاحبُ وَجَدٍ ، والسابقُ صاحبُ وجودٍ .  
ويقال الظالمُ صاحبُ الحَاضِرَةِ ، والمتقصدُ صاحبُ المَكْشُفَةِ ، والسابقُ صاحبُ الشَّاهِدَةِ .  
ويقال الظالمُ يراه في الآخرةِ بِمِثْقَالِ أيامِ الدنيا في كلِّ جمعةٍ مرَّةً ، والمتقصدُ يراه في كلِّ يومٍ مرَّةً ، والسابقُ غيرُ محجوبٍ عنه أَلَبَةً .  
ويقال الظالمُ مجنوبٌ إلى فِصْلِهِ الَّذِي هو فضلهُ ، والمتقصدُ مكاشفٌ بِوصفه الَّذِي هو عِزُّهُ ،  
والسابقُ المستهلكُ في حَقِّهِ الَّذِي هو وُجُودُهُ .  
قوله : « ذَلِكَ هو الفضلُ الكبيرُ » لأنه ذَكَرَ الظالمَ مع السابقِ <sup>(٢)</sup> .  
قوله جلَّ ذَكَرُهُ : « جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا

(١) يفيد هذا التفسيرُ في بحث لغوي عن ترتيب : السخاء والجود والإيثار .  
(٢) أعجب الشرطي بِمَنَاجِجِ الصُّوفِيَّةِ في تَفْسِيرِ الظالمِ والمتقصدِ والسابقِ على هذا النحو فأورد طائفةً كبيرةً من أقوالهم استغرقت نحو صفحة ونصف الصفحة (١٤٥ ص ٣٤٨) .

من أساور من ذهب ولؤلؤاً وليابسهم  
فيها حرر .

نبه على أن دخولهم الجنة لا باستحقاق بل بفضله ، وليس في الفضل تمييز .  
قوله جل ذكره : « وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا  
الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَنَفُورٌ شَكُورٌ » .  
تحققوا بمقتضى الرضا ، والْحُزْنَ سُمِّيَ حُزْنًا لِحُزُونِهِ<sup>(١)</sup> الوقت على صاحبه وليس في الجنة  
حزونة وإنما هو رضا واستبشار .

ويقال ذلك الحزن حزن خوف العاقبة . ويقال هو دوام المراجعة خشية أن يحصل سوء  
الأدب . ويقال هو سياحة النفس .  
« إِنَّ رَبَّنَا لَنَفُورٌ » للمصاة ، « شَكُورٌ » للطغيان . قَدَّمَ ما للماصين رضا بهم لضعف  
أحوالهم<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « الَّذِينَ أَهْلَكْنَا دَارَ الدُّنْيَا مِنْ قَبْلِهِ  
لَا يَسْكُنُ فِيهَا نَفْسٌ وَلَا يَسْكُنُ فِيهَا  
لُتُوبٌ » .

« دار المقامة » : أى دار الإقامة ، لا يبنون عنها حولا ، ولا يسمنون منها خروجاً .  
« لَا يَسْكُنُ فِيهَا نَفْسٌ وَلَا يَسْكُنُ فِيهَا لُتُوبٌ » : إذا أرادوا أن يروا<sup>(٣)</sup> مولاهم لا يحتاجون  
إلى قطع مسافة ، بل في غُرْفَتِهِمْ يلقون فيها تحية وسلاماً ، فإذا رأوه لم يحتاجوا إلى قلب حذقة  
أو محديق مقلة في جهة<sup>(٤)</sup> ؛ يروونه كما هم بلا كيفية .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى

(١) حزن المكان حزونة أى حزن أى عشت وظل ، وحزن الرجل اضم .

(٢) يتجمل هنا ما يتبع به هذا الصوفى من نزعة الأمل وفتح الباب أمام المصاة .

(٣) يضاف هنا قرأى إلى موضوع « رؤية الله في الآخرة » كما يتصوره فقهاء .

(٤) مكلداً في موهى في ص (وجهة) وكلاهما صحيح إذ المقصود تنزيهه من يروونه - سبحانه - من التثنية  
بالمكانية .. جلست السمعية عن التثنية يحمل .

عليهم فيموتوا ولا يُخَفَّفُ عنهم من عذابها  
كذلك نجزي كل كَفُور .

لا حياة يَتَمَتَّعُونَ بها ، ولا موتَ يَتَرَيَمُونَ به ، وهم مقبوضون في المذاب والحجاب ، لا يفر  
عنهم المذاب ، ولا تُرْفَعُ عنهم العقوبة .

« وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنا أَخْرِجْنا  
فَعَمَلْنا صالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ  
نُصِرْكُمْ ما يَذْكُرْ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وجاءكم  
النذيرُ فذوقوا فناء الظالمين من نصير . »

يقولون : « رَبِّنا أَخْرِجْنا نصل صالِحًا غيرَ الَّذِي كُنَّا نصل » ، فيقال لهم أو لم نصركم ... ؟  
أما جاءكم النذيرُ قبل أن تلبثوا زمانًا للشيب ؟  
ويقال : ألم تستوفوا مدَّةَ الإسهال في النظر ؟

« وجاءكم النذيرُ » : الرسل ، ويقال ضف الشيخوخة ، ويُقال سقوط السنِّ ، ويقال تقوُّسُ الظهر .  
قوله جل ذكره : « إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » .

أي عَالِمٌ بِإِخْلَاصِ الْمُخْلِصِينَ ، وَصِدْقِ الصَّادِقِينَ ، وَغَاقِ الْفَاقِقِينَ ، وَجَحْدِ الْكَافِرِينَ .  
عَالِمٌ بِمَنْ يَرِيدُ بِالنَّاسِ السُّوءَ وَمَنْ يُحْسِنُ بِاللَّهِ النَّفْسَ .

قوله جل ذكره : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خُلَافَةً فِي الْأَرْضِ  
فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ  
الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ،  
وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا » .

أهل كلِّ عصرٍ خليفٌ عنَّ قديمهم ؛ فَمِنْ قَوْمٍ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ حَسَالٌ<sup>(١)</sup> ، وَمِنْ قَوْمٍ مِمَّنْ أَرَادَ  
وَأَنْذَالَ ؛ فَالْأَفْضَلُ زَمَانُهُمْ لَمْ يَحْضُرْ ، وَالْأَرَادِلُ مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرْ . وقد قالوا :

---

(١) الحمال = القلبة أو القرامة يحملها قوم عن قوم (الوسيط) .

يَوْمَ وَحَسْبُ الْعَذَابِ مِنْ أَجْلِهِ حَيًّا غَدًا وَانْفَتَحَتِ الْأَرْضُ

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ

الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ

آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ

بَلْ إِنْ يَمِدُّ الظُّلُمُونَ بِمَعْصِيَةٍ مِنْ

إِلَاحِهِمْ إِلَّا غُرُورًا » .

كَرَّرَ إِنْشَادَهُمْ عَجَزَ أَسْنَانِهِمْ ، وَشَمَّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ آفَةً مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ ؛ لِيُسَنِّهَ بِذَلِكَ

آرَاءَهُمْ ، وَلِيُفَكِّكَهُمْ إِلَى ذَمِّ أَحْوَالِهِمْ وَأَفْضَالِهِمْ ، وَخَسَفَ هَمِّهِمْ ، وَتَقَاعَزَ عَقُولُهُمْ .

ثم أخبر أنهم لا يأتون بشيء مما به يُطَالَبُونَ ، وليس لهم صواب عما يُسْأَلُونَ .

قوله جل ذكره : « إِنْ اللَّهُ يُنْزِلُ السَّمَاءَ الْوَاقِعَ

أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ

أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ جَلِيلًا غَفُورًا » .

أَمْسَكَهَا بِقُدْرَتِهِ ، وَأَتَمَّهَا بِحِكْمَتِهِ ، وَرَتَّبَهَا بِمَشِيتَتِهِ ، وَخَلَقَ أَهْلَهَا عَلَى مَوْجِبِ قَضِيَّتِهِ ،

فَلَا شَيْءَ فِي إِقَامَتِهَا وَإِفْنَائِهَا يَسَامِيهِ ، وَلَا شَرِيكَ فِي وَجُودِهَا وَنَظَائِمِهَا يَنَاقِضُهُ .

قوله جل ذكره : « وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ

جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْلًا مِنْ أَهْلِ

الْأَمْرِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ

إِلَّا نِفُورًا \* اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ

وَمَكْرًا السَّيِّئِ ، وَلَا يُحِيقُ لِلنَّاسِ الْخَيْشُومُ

إِلَّا بِأَهْلِهِ ... » .

لَيْسَ قَوْلُهُمْ تَحْقِيقٌ ، وَلَا لَيْتَهُمْ وَضَاهَانُهُمْ تَوْثِيقٌ ، وَمَا يَتَّبِعُونَ مِنْ أَشْهُمِ فَصْرِيحٌ

زُورٌ ، وَمَا يُؤْمِنُونَ مِنْ وَطْأَتِهِمْ قَصِيرٌ قَصِيرٌ . . . وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ فِي أَوَانِ نَشَاظِهِ تَمَيُّنُهُ نَفْسُهُ

فظاهر أمام مَنْ تَقَدَّمَهُ حَالاً بِأَنَّهُ عَاهَدَ اللَّهَ ، وَأَنَّهُ أَكَّدَ عَقْدَهُ مَعَ اللَّهِ . . . فَلِذَا عَقَّبَتْهُ شَهْوَتُهُ ، وَأَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَكْذِبَهُ مَرَّعَهُ بِكَيْدِهِ ، وَأَرَكَّهُ فِي هَوَا غِيَّةٍ ، وَمُنْيَةٍ نَفْسِهِ ؛ فَيَسُوذُ وَجْهَهُ ، وَتَذْهَبُ عِنْدَ اللَّهِ وَجَاعَتُهُ (١) .

قوله جل ذكره : « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ  
لِيُخْزِيَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي  
الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيرًا » .

فِي الْجُمْلَةِ مَا خَابَ لَهُ وَلِيُّ ، وَمَا رَجَعَ لَهُ عَدُوٌّ ، وَلَا يَنَالُ الْحَقِيقَةَ مَنْ انْكَسَرَ قَصْدُهُ ، بَلْ  
يَرْتَدُّ عَلَيْهِ كَيْدُهُ ؛ وَهُوَ سَبْعَانَةٌ يُدْخِرُ عَلَى أَعْدَائِهِ تَحْمِيلاً ، وَيُوسِعُ لِأَوْلِيَائِهِ فَضْلاً كَبِيراً .

قوله جل ذكره : « وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا  
مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ ذَاتٍ  
وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى  
فَلِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ  
بِعِلْمِهِ بَصِيرًا » .

لَوْ عَجَّلَ لَهُمْ مَا يَسْتَوْجِبُونَهُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَمْ تَقْبَلْ أَعْمَارُهُمُ الْقَلِيلَةَ بِهِ ، وَمَا اسْتَمَتِ  
أُولَاهُمُ التَّصْوِيرَةَ لَهُ ، فَأَخَّرَ ذَلِكَ لِيَوْمِ الْحُشْرِ . . . فَإِنَّهُ طَوِيلٌ . وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ،  
وَبِأُمُورِهِ عَلِيمٌ خَيْرٌ بِصِيرٍ .

---

(١) هكذا في م وجي في من ( ماء وجهه ) أي حياؤه ، وقد أقرنا ما جاء في م لاصطلاحاً للسباق .



## سورة يس

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »  
 « بسم الله » آية اُتحت بها خطابُه ؛ فمن عَلِمَهَا أَجَزَلُ ثَوَابِهَ ، وَمَنْ عَرَفَهَا أَكْثَرُ إِحْبَابِهَ ،  
 وَمَنْ أَكْثَرَ قَدَرَهَا أَكْرَمَ مَا بِهِ .

قوله جل ذكره « يس • والقرآن الحكيم »  
 يقال ممناه : يا سيد . ويقال : الياء تشير إلى يوم اللبثاق ، والسين تشير إلى سيره مع  
 الأحباب ؛ فيقال بحق يوم اللبثاق وسيرى مع الأحباب ، والقرآن الحكيم : —

« إِنَّكَ لَعَيْنَ الْمُرْسَلِينَ • عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

أى إِنَّكَ — يا محمد لعين المرسلين ، وإِنَّكَ لَعَلَّ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

« نَزِيلَ الْوَزْيزِ الرَّحِيمِ »

أى هذا الكتاب تنزيل (العزيز) : للكبير الثنى عن طاعة الطميين ، (الرحيم) :  
 الْمُتَفَضِّلُ عَلَى عِبَادِهِ لِلْمُؤْمِنِينَ .

قوله جل ذكره : « لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ » .

أى خَصَمْنَاكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ لِنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا حَصَلُوا فِي أَيَّامِ  
 الْفِتْرِ ، وَاقْرَأْهُمْ أَسْلَافَهُمْ عَلَى هَذِهِ الصَّفَةِ .

قوله جل ذكره : « لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ  
 فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »

أى حق القول بالعبودية على أكثرهم لأنهم أصرُّوا على جحدِهم ، وإنهم كانوا جهمهم ، فالملومُ منهم والحكومُ عليهم أنَّهُم لا يؤمنون<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره: « إِنَّا جَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَالًا فَمَهَى إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ »

سَجَّوْهُمْ إِلَى هَوَانِهِمْ وَصَرَفَهُمْ ، وَسَدَّقَهُمْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ .

« وَجَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ » .

أَغْرَقْنَاهُم الْيَوْمَ فِي بَحَارِ الضَّلَالَةِ ، وَأَحْطَيْنَاهُمْ سَرَادِقَاتِ الْجَهَالَةِ . وَفِي الْآخِرَةِ سَتَرْنَا عَنْهُمْ فِي النَّارِ وَالْأَنْكَالِ ، وَنَضَيُّ عَلَيْهِمُ الْحَالِ ، بِالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ .

« فَأَغْشَيْنَاهُمْ » : أَعْيَيْنَاهُم الْيَوْمَ عَنْ شُهُودِ الْحَقِّ ، وَنَكَلَّسُ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ سَيْلَ الْمَحَبَّةِ ، فَيَتَحَسَّرُونَ فِي وَهْدَاتِ جَهَنَّمَ خَاغِرِينَ ، وَيَقُونُ فِي حُرْقَاتِهَا مَهْجُورِينَ ، مَطْرُودِينَ ، مَلْمُومِينَ ، لَا قَطْعَ عَنْهُمْ مَا بِهِ يُعَذِّبُونَ<sup>(٢)</sup> ، وَلَا تَرْجِيهِمْ عَمَّا مِنْهُ يَتَشَكُّونَ ؛ تَمَادَى بِهِمْ حِرْمَانُ الْكَفَرِ ، وَأَحَاطَتْ بِهِمْ سَرَادِقَاتُ الشَّقَاءِ ، وَوَقَعَتْ عَلَيْهِمُ السَّيَّةُ بِالْفِرَاقِ .

قوله جل ذكره : « وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »

مَهْجُورُ الْحَقِّ لَا يَصِلُهُ أَحَدٌ ، وَمَرْدُودُ الْحَقِّ لَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ . وَالَّذِي قَصَصْتَهُ لِلْمَشِيئَةِ وَأَقَمْتَهُ الْقَضِيَّةَ لَا تَنْجِعُ فِيهِ النَّصِيحَةُ .

(١) أراده أن أبه دائماً إلى أن الجبرية عد للشيخ لا تتعارض مع الحرية الإنسانية ، فالإنسان حرٌ فيما يفعل ولكن في دائرة ما حددته له القضية السابقة التي ترتبط بالعلم الإلهي السابق للإبداع والإنشاء .. نحن نعلم ما حدثت ولكن العلم الإلهي يسجل بدءاً كل ما سيحدث .

(٢) من هذا نفهم أن القسري لا يؤمن بأهلية الجنة وحسب ، بل يؤمن بأهلية النار أيضاً . عل خلاف جهم الذي يرى أن حركاتهم تتناهي ، فهما ليستا أبديتين — كما قلنا من قبل . وعلى خلاف ابن القيم الذي يرى أبديّة الجنة فقط حيث يستوقفه الاستثناء في قوله تعالى « ولم فيها زفير وشهيق . خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء . وبك » فيقول : إذا فعلناها ينقطع ( حاضى الأرواح ص ٢٦٣ وشفا ، القليل ص ٢٦٢ ) ولكن يَرُدُّ حل ابن القيم أن المقصود في الآية هم عصاة المؤمنين وليس الكفار الذين هم — طبقاً لنصوص كثيرة — خالون فيها أبداً ولا يمحون ولياً ولا نصيراً .

« إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ  
فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ »

أى إِنَّمَا يُنْفَعُ بِإِذْنِكَ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ؛ فَلَنْ يُنْذَرَكَ — وإن كان عاملاً في الكلِّ<sup>١</sup>  
وللكلِّ — فَلَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى غَيْبِهِمْ يُصِرُّونَ . . أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، وإن كانوا  
لا يعلمون قُبْحَ ما يفعلون . أمَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا الذِّكْرَ ، واستقبروا ، وانتفعوا بالذى سمعوه منك ،  
وبه علوا — فقد استوجبوا أَنْ تُبَشِّرَهُمْ ؛ فَبَشِّرْهُمْ ، وأخبرهم على وجهٍ يظهر السرور  
بمضمون خبرك عليهم .

« وَأَجْرٍ كَرِيمٍ » : كبير وافر على أعلامهم — وإن كان فيها خللٌ .  
قوله جل ذكره : « إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ  
مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ » .

نَحْيِي قُلُوبًا مَاتَتْ بِالْقَسْوَةِ بِمَا نُمِطُّ عَلَيْهَا مِنْ صَوْبِ الْإِقْبَالِ وَالزَّلَّةِ ، وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا .  
« وَآثَرَهُمْ » : حُطَّامٌ إِلَى السَّاجِدِ<sup>(١)</sup> ، وَوَقُوفُهُمْ عَلَى بَسَاطِ الْمُنَاجَاةِ معنا ، وَتَرْتَفُوقَ  
دُمُوعِهِمْ عَلَى عَرَصَاتِ خُدُودِهِمْ ، وَتَعَاوَدُ أَفْئُسِهِمْ .

« وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ »

أَجَبْنَا تَفْصِيلَهُ فِي الْأَوْحِ الْخَفِوْطِ . . لَا لَتَنَاسِينَا لَهَا — وَكَيْفَ وَقَدْ أَحْصَيْنَا كُلَّ شَيْءٍ  
عَدْحًا ؟ — وَلَكِنَّا أَحْبَبْنَا إِثْبَاتَ آثَارِ أَحْبَابِنَا فِي الْمَكُونِ مِنْ كِتَابِنَا .

قوله جل ذكره : « وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ  
إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ » .

أَضْرِبْ زَمَانَهُمْ ، وَنُتِى أَوَانُهُمْ وَشَأْنُهُمْ ! وَلَكِنَّا تَذَكَّرْ أَحْوَالَهُمْ بَدَ فَوَاتِ أَوَاقَتِهِمْ ،  
وَلَا تَرْضَى بِالْأَبْرَئِ بَيْنَ أَحْبَابِنَا وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَوْلِيَانَا ذِكْرُ النَّائِبِينَ وَالْمَاضِينَ ، وَهَذَا غُلُوقٌ  
يَقُولُ فِي صِفَةِ خَلْقٍ :

(١) قَالَ أَبُو سَيْدٍ الْخُدْرِيُّ : كَانَ يَتَوَلَّى فِي نَاحِيَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قَرْبِ الْمَسْجِدِ ،  
فَانْزَلُوا آتَةَ الْآيَةِ ، وَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ (ص) : هَٰذَا آثَارُكُمْ تَكْتُبُ فَعَلَيْكُمْ تَنْتَقِلُونَ سَبَابَ الْغَزْوِ الْوَالِدِ ص ٢٤٥ .

إِذَا نَسِيَ النَّاسُ إِخْوَانَهُمْ وَخَانَ لِلَّوَدَّةِ خِلَاءُهَا  
فَنَدَى لِإِخْوَانِي الثَّانِينَ صَاحُّ ذِكْرِكَ عَنْوَانَهَا

قوله جل ذكره : « قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَكْذِبُونَ » قَالُوا رَبَّنَا يَلْمِزُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَكَرِهُونَ .

قال الرسل : « رَبَّنَا يَلْمِزُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ » وليس عَلِمْنَا إِلَّا بِمَا أُمِرْنَا بِهِ مِنَ التَّبْلِيغِ وَالْإِنذَارِ .

« قَالُوا إِنَّا تَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَكِنَّ لَمْ يَنْتَهِوا  
لَتَرْجِفَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ  
أَلِيمٌ » .

لترجفكم ، ولتصنعن ، ولنفعكن ... فأجابهم الرسل : إنكم لجهلكم ولجحدكم سوف تلقون ما توعدون .

قوله جل ذكره : « وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الدِّينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى  
قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ \* اتَّبِعُوا  
مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ » .

في القصة أنه جاء من قرية ضبابها مدينة ، وقال من أقصى المدينة ، ولم يكن أقصاها وأدناها لِيَتَفَنَّاوَا بِكَثِيرٍ ، ولكنه — سبحانه — أجرى سُنَّتَهُ في استكثار القليل من فضل عبده إذا كان يرضاه ، ويستزِرُّ الكثير من فضله إذا بذله وأعطاه .

« اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا .. » فَأَبْلَغَ الوَعْظَ وَصَدَّقَ النَّصِيحَ . ولكن كما قالوا :

وَكَمْ سَقَتْ فِي آثَارِكُمْ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الْبَغْضَةُ الْمُنْتَصِحُ

فلما صدق في حاله ، وصبر على ما لقي من قوم ، ورجع إلى التوبة ، لقاه حسن أفضاله ، وآواه إلى كنف إقباله ، ووجد ما وعدّه ربه من لطف أفضاله .

« قَالَ يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ يَلُون • يَا غَفَرًا لِي  
رَبِّي وَجَلَنِي مِنَ الْمُكْرِمِينَ » .

تَمَعَى أَنْ يَلَمَّ قَوْمُهُ حَالَهُ ، فَحَقَّقَ اللَّهُ مَنَاءَهُ ، وَأَخْبَرَ عَنْ حَالِهِ ، وَأَنْزَلَ بِهِ خَطَابَهُ ، وَعَرَفَتْ  
قَوْمُهُ ذَلِكَ . وَإِنَّمَا تَمَعَى وَأَرَادَ ذَلِكَ إِشْفَاقًا عَلَيْهِمْ ، لِيَسْلَمُوا مِثْلًا عَمَلًا لِيَجِدُوا مِثْلًا وَجَدَ .

قوله جل ذكره : « وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ  
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا  
مُنْزِلِينَ • إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً  
فَلْيَنظُرِ الْإِنْسَانُ حَتَّى لَيُخْلَصَ » .

مَا كَانَتْ إِلَّا قَضِيَّةً مِمَّا بَقِيَتْ بِهِمْ ، وَتَتَبِيرًا لِمَا كَانُوا بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ إِلَى وَصْفِ الْبَلَاءِ .  
قوله جل ذكره : « يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ  
رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » .

إِنْ لَمْ يَتَحَسَّرُوا فِي الْيَوْمِ فَلَهُمْ مَوْضِعُ التَّحَسُّرِ ؛ وَذَلِكَ لِانْخِرَاطِهِمْ فِي سَبِيلِهِ وَاحِدٍ مِنَ  
التَّكْذِيبِ وَمُخَالَفَةِ الرِّسَالِ ، وَمُتَابَعَةِ أَوْلِيَائِهِ — سُبْحَانَهُ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ  
الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ • وَإِنْ  
كُلُّ لَدُنَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ » .

أَلَمْ يَرَوْا مَا فَضَّلْنَا بَيْنَ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ، وَمَا عَامَلْنَا بِهِ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِمْ  
أَحَدٌ ، فَكُلُّهُمْ فِي قَبْضَةِ الْقُدْرَةِ ، وَلَمْ يَفْتَنَّا أَحَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَيْنَا عَوْنٌ وَلَا مَدَدٌ ،  
وَلَا عِنْدَنَا حَكْمًا مُلْتَصِدٌ

قوله جل ذكره : « وَآيَةٌ لِمَ الْأَرْضُ الْيَتِيمَةُ أُخْتُنَا مَا  
وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا خَبَأَاتٍ فَهِيَ بِأَكْلُونِ » .

لَمَّا كَانَ أَمْرُ الْبَيْتِ أَكْثَمَ شُبُهَيْهِمْ ، وَكَثُرَ فِيهِ الْإِنْكَارُ لَهُمْ كَانَ تَسْكِرًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ لِحَدِيثِ

البعث ، وقد صَرَبَ — سبحانه — المَثَلُ له بإحياء الأرض بالنبات في الكثير من الآيات .  
والتَّصَبُّ يُقْنُ يُنْكَرُ علومُ الأصول ويقول ليس في الكتاب عليها دليل ! وكيف يشكك  
ذلك وأكثر ما في القرآن من الآيات يحث على سبيل الاستدلال ، وتحكيم أدلة العقول (١) ؟  
ولكن يَهْدِي اللهُ لنوره من يشاء . ولو أنهم أنصفوا من أنفسهم ، واشتغلوا بأهم شيء عندهم  
لَبَاسِمْوا أصول الدِّينِ ، ولكنهم رضوا فيها بالتقليد ، وأدَّعَوْا في الفروع رتبة الإمامة  
والتَّصَدُّر .. ويقال في معناه :

يَا مَنْ تَصَدَّرَ فِي دَسِّ الإِمَامَةِ فِي مَسَائِلِ الْفَقْهِ إِمْلَاءً وَتَدْرِيسًا  
غَفَلْتَ عَنْ حُجَجِ التَّوْحِيدِ تُحْكِمُهَا شِدَّةَ فِرْعَانَ وَمَاهِدَتِ نَاسِيكًا ١

قوله جل ذكره : « سبحانه الذي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا  
نُفِثَ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا  
لَا يَعْلَمُونَ » .

تَلَبَّهْ هذه الآية على التَّفَكُّرِ في بَدِيعِ صُنْعِهِ ؛ قَالَ : تَنْزِيهًا لِمَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ الْمُتَشَابِهَةَ  
فِي الْأَجْزَاءِ وَالْأَعْضَاءِ ، مِنَ النَّبَاتِ ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمِنْ الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى الَّتِي لَا يَعْلَمُونَ  
تَقْصِيلُهَا ، كَيْفَ جَمَلَ أَوْصَافَهَا فِي الطُّعْمِ وَالرَّوَامِحِ ، فِي الشَّكْلِ وَالْمِيزَةِ ، فِي اخْتِلَافِ الْأَشْجَارِ  
فِي أَوْرَاقِهَا وَفَنُونِ أَغْصَانِهَا وَجُنُوعِهَا وَأَصْنَافِ أَنْوَارِهَا وَأَزْهَارِهَا ، وَاخْتِلَافِ أَشْكَالِ ثَمَارِهَا  
فِي تَفْرِيقِهَا وَاجْتِمَاعِهَا ، ثُمَّ مَا نَظَّيَّهَا مِنَ الِاتِّفَاعِ عَلَى مَجْرَى الْمَادَّةِ بِمُسَمِّيهِ قَوْمٌ : الطَّلَاعُ ؛  
فِي الْحَرَارَةِ وَالْبَرْدِ ، وَالرُّطُوبَةِ وَالْيَبُوسَةِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَحْذَاتِ الَّتِي يَخْلُقُهَا اللهُ عَقِيبَ شَرَابِ  
هَذِهِ الْأَحْيَاءِ وَتَنَالِوِ هَذِهِ الْأَطْمَةِ عَلَى مَجْرَى الْمَادَّةِ مِنَ التَّأثيرَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي الْأَبْدَانِ . ثُمَّ  
اخْتِلَافِ صُورِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ وَالْأَجْزَاءِ الْبَاطِنَةِ ، فَالْأَوْقَاتِ مُتَجَانِسَةِ ، وَالْأَزْمَانِ مُتَمَاثِلَةِ ،  
وَالْجَوَاهِرِ مُتَشَابِهَةِ .. وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ مُخْتَلِفَةٌ ، وَلَوْلَا تَخْصِيسُ حُكْمِهِمْ لِكُلِّ شَيْءٍ بِمَا احْتَضَرَ  
بِهِ لَمْ يَكُنْ تَخْصِيسٌ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَوَّلَى مِنْهُ . وَإِنَّ مَنْ كَعَلَ اللهُ عَيْونَ بَصِيرَتِهِ يُمْنُ التَّعْرِيفِ ،  
وَقَرَنَ أَوْقَاتِهِ بِالْتَّوْفِيقِ ، وَأَتَمَّ نَظْرَهُ . وَلَمْ يَصْده مَانِعٌ . فَمَا أَقْوَى فِي الْمَسَائِلِ حُجَّتُهُ ١ وَمَا وَضَّحَ  
فِي السُّلُوكِ نَهْجُهُ ١ .

(١) في هذا ردٌّ على من يهجم الصوفية بمجالاتهم العقل والنقل والسلام .

لَهَا لِأَقْسَامٍ سَبَقَتْ عَلَى مَنْ شَهِدَ الْحَقُّ بِمَا شَاءَ .

قوله جل ذكره : « وَأَيُّ لَيْلٍ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ

فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ » .

تُبْطِلُ ضَوْءَ النَّهَارِ بِهَجُومِ اللَّيْلِ عَلَيْهِ ، وَتَزِيلُ ظُلَامَ اللَّيْلِ بِهَجُومِ النَّهَارِ عَلَيْهِ ، كَذَلِكَ نَهَارُ الْوُجُودِ يَدْخُلُ عَلَى لَيْلِ الْتَوَقُّفِ ، وَيَقُودُ يَدَ كَرَمِهِ عَصَا مَنْ هَمَّى عَنْ سُلُوكِ رُشْدِهِ فَيَهْدِيهِ إِلَى سَوَاقِ الطَّرِيقِ .

قوله جل ذكره : « وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا » .

عَلَى تَرْتِيبٍ مَعْلُومٍ لَا يَضَاوَتْ فِي فُصُولِ السَّنَةِ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَهَا مَشْرِقٌ جَدِيدٌ وَلَهَا مَغْرِبٌ جَدِيدٌ . . . وَكُلُّ هَذَا بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ .

« وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ

وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسْبَحُونَ » .

الْإِشَارَةُ مِنْهُ أَنَّ الْعَبْدَ فِي أَوَانِ الْعَلَبِ رَقِيقُ الْحَالِ ، ضَعِيفٌ ، مُخْتَصِرُ النَّهْمِ . . . ثُمَّ يُفَكِّرُ حَتَّىٰ تَزْدَادَ بِصِيرَتِهِ . . . إِنَّهُ كَالْقَمَرِ يَصِيرُ كَامِلًا ، ثُمَّ يَنْقَاصُ ، وَيَدْنُو مِنَ الشَّمْسِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، وَكُلَّمَا أَزْدَادَ مِنَ الشَّمْسِ دُنُوًّا أَزْدَادَ فِي غُصَّةٍ هَاصِنًا حَتَّىٰ يَتَلَاشَى وَيَمْتَحِنُ وَلَا يُرَى . . . ثُمَّ يَبْهَتُ عَنِ الشَّمْسِ فَلَا يَزَالُ يَتْبَاعِدُ وَيَتْبَاعِدُ حَتَّىٰ يَمُودَ بَدْرًا — مَنْ الَّذِي يُصَرِّفُهُ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ تَهْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ؟ وَشَبِيهُ الشَّمْسِ عَارِفٌ أَبَدًا فِي ضِيَاءِ مَعْرِفَةٍ ، صَاحِبٌ بِتَمَكُّنٍ غَيْرِ مُتَلَوِّنٍ <sup>(١)</sup> ، يَشْرِقُ مِنْ بَرَجِ سَمَادَتِهِ دَائِمًا ، لَا يَأْخُذُهُ كَسُوفٌ ، وَلَا يَسْقُرُهُ سَحَابٌ .

وَشَبِيهُ الْقَمَرِ عَبْدٌ تَتَلَوَّنُ أَحْوَالُهُ فِي تَقَدُّهِ ؛ فَهُوَ فِي حَالٍ مِنَ الْبَسْطِ يَتَرَقَّى إِلَى حَدِّ الرِّصَالِ ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى الْفَتْرَةِ ، وَيَقِفُ فِي التَّهَيُّضِ عَمَّا كَانَ بِهِ مِنْ صِفَاءِ الْحَالِ ، فَيَنْقَاصُ ، وَيَرْجِعُ إِلَى هَاصِنِ أَمْرِهِ إِلَى أَنْ يَرْفَعَ قَلْبَهُ عَنْ وَقْتِهِ ، ثُمَّ يَجُودُ الْحَقُّ — سَبْعَانَهُ — فَيُوقِفُهُ لِرُجُوعِهِ عَنْ فِتْرَتِهِ ،

(١) سَبَدٌ أَنْ أَوْضَعْنَا الْفَرْقَ بَيْنَ حَالِ التَّطَوُّنِ وَالتَّمَكُّنِ .

وإفاته عن سكرته ، فلا يزال يصفو حاله إلى أن يقرب من الوصال ، ويرزق حصة الكمال ، ثم بعد ذلك يأخذ في التقص والزوال .. كذلك حاله إلى أن يحق له بالتقسوم أرحامه ، كما قالوا :

ما كنت أشكو ما على يدي من كثرة التوبين من بدني<sup>(١)</sup>  
وأشدوا : كل يوم تطون غير هذا يك أجل

قوله جل ذكره : « وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلق للشحون » وخلقنا لهم من مثله ما يركبون .

الإشارة فيه إلى حمل الفلق في سفينة السلامة في بحر التدبير عند تلاطم أمواجها بفنون من التخيير والتأخير . فكأن من عبث غرق في اشتغاله في ليله ونهاره ، لا يستريح لحظة من كد أهله ومقاساة الصب في أماله ، ويجمع ماله .

فجبر ذلك إلى نسيان عقابه وماله ، واستيلاء شغله بولاه وعباه على فكره وباه — وما سميته إلا في وباه !

وكم من عبث غرق في لجة هواه ، فجبرته منه إلى تحصيل بلواه ، وخسيس من أمر مطلوبه ومبتغاه .. ثم لا يصل قط إلى منتهاه ، خسر دياه وعقباه ، وبقي عن مولاه !

ومن أمثال هذا وذاك ما لا يحصى ، وعلى عقل من فكر واعتبر لا يحصى .

أما إذا حفظ عبداً في سفينة النجاة أفرد — سبعة — بالتصوير من ريق خناس الأمور ، وشغله بظلمه بالقيام بحقه ، وأكرمه في سرائره بفراغ القلب مع ربه ، ورقاه إلى ما قال : « أنا جليس من ذكرني » .. وقُلْ في علو شأن من هذه صفته .. ولا حرج !

قوله جل ذكره : « وإن نشأ نفرقهم فلا مرجع لهم ولا هم يفتقدون » إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين .

(١) البديهة = التصيب والتسعة (السان) .



لولا جُودُهُ وَقَضَاهُ كُلَّ بَهِيمٍ مِنَ الْبِلَاءِ مَا حَلَّ بِأَمْثَلِهِمْ ، لَكِنَّهُ يَحْسُنُ الْأَفْئَالِ ، يَحْتَفِلُهُمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّا قِيلَ لِمِ اهْتَوَا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ

وَمَا خَلَقَكُمْ لِمَالِكُمْ تَرَحَّصُونَ » الآيات

هذه صفات من سَيِّئِهِمْ <sup>(١)</sup> في أودية الخذلان ، وَوَسَّعَهُمْ بِسِمَةِ الْحَرَمَانِ ، وَأَمْسَهُمْ عَنْ سَمَاعِ الرُّشْدِ ، وَصَدَّاهُمْ بِالْخِذْلَانِ عَنْ سُلُوكِ الْقَصْدِ ، فَلَا تَأْتِيهِمْ آيَةٌ فِي الرَّجْرِ إِلَّا تَابِلُوهَا بِإِعْرَاضِهِمْ ، وَتَجَافَوْا عَنْ الْإِعْتِبَارِ بِهَا عَلَى دَوَامِ إِعْرَاضِهِمْ ، وَإِنَّا أَمَرُوا بِالْإِضْطِرِّ وَالْإِطْطَامِ عَارِضُوا بِأَنَّ اللَّهَ رَازِقُ الْأَنَامِ ، وَإِنْ يَشَأْ نُنْظِرْ إِلَيْهِمْ بِالْإِنْفَامِ :-

« وَإِنَّا قِيلَ لِمِ اهْتَوَا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَنْطَعِمَهُ »

ثم قال جل ذكره : « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ؟ \* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صِجَّةً

وَأَحْجَلَةً نَأْخُذُهُمْ وَمَا كُنْهُمْ يَنْصَبُونَ

\* فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ

يَرْجِعُونَ »

يَسْتَمِطُّونَ هَيْجُومَ السَّاعَةِ ، وَيَسْتَعِطُّونَ قِيَامَ الْقِيَامَةِ — لَا عَنْ تَصَدِيقٍ بِرُبِّهِمْ مِنْ كَشْفِهِمْ ، أَوْ عَنْ خَوْفٍ مِنْهُمْ مِنْ غَيْبِهِمْ ، وَلَكِنْ تَكْذِيبًا لِحُجَّةِ الرُّسُلِ ، وَإِنْكَارًا لِمِصِّعَةِ النُّبُوَّةِ ، وَاسْتِمْدَاحًا لِلنَّشْرِ وَالْحُشْرِ .

ويوم القيامة هم في المذاب مُخَضَّرُونَ ، وَلَا يُكْشَفُ عَنْهُمْ ، وَلَا يُنْقَرُونَ .

قوله جل ذكره : « وَخُشَّعَ فِي السُّورِ فَلَمَّا هُمْ مِنَ

الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ \* قَالُوا

(١) سيئه = تركه وخلاه ، يسبب حرث شاء (الوسيط) ..

يَا وَيْلَنَا مَنْ بَشَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا  
مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿١﴾

يعتقون قهراً ، ويُعشرون جبراً ، ويعتقون أمراً ، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً .  
« قالوا يا وَيْلَنَا مَنْ بَشَا <sup>(١)</sup> مِنْ مَرْقَدِنَا ؟ » يعتنون على جهل ، لا يعرفون ربهم ،  
ويعتقون على مثل حليم ، لا يعرفون مَنْ بَعَثَهُمْ ، ويمدون ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة  
الشديدة — بالإضافة إلى ما سيَلْقَوْنَ مِنَ الآلام الجديدة — نوماً ورقداً ، وسيطئون من الفراق  
للبرح والاحتراق العظيم الضخم مهاداً ، لا ينوقون بزداً ولا شراباً إلا حياً وغساقاً ، ولقد  
عوملوا بذلك استحقاقاً : فقد قال جل ذكره : —

« الْيَوْمَ لَا تَنْظُمُ قَسْرٌ شَيْئاً  
وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » .

قوله جل ذكره : « إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ  
فَاكِهُونَ » .

إنما يضاف العبدُ إلى ما كان الغالب عليه ذِكْرُهُ والآخذ بجميع قلبه ، فصاحب الدنيا مَنْ  
في أسْرِهَا ، وأصحاب الجنة مَنْ هم مُتَلَابِهَا والساعون لها والماملون لتَيْلُهَا ؛ قال تعالى مخبراً عن  
أقوالهم وأحوالهم : « لَمَثَلُ هَذَا طِمَيلُ الْمَامِلُونَ » <sup>(٢)</sup> . وهذه الأحوال — وإن جَلَّتْ منهم  
ولم — فهي بالإضافة إلى أحوال السادة والأكابِر متقاسمة ، قال صلى الله عليه وسلم : « أَكْثَرُ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُهْلَةُ » <sup>(٣)</sup> وَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الدُّنْيَا حَرّاً فَلَا يَمُدُّ أَنْ يَكُونَ فِي الْجَنَّةِ عَنِ الْجَنَّةِ  
حَرّاً ، والله مختص برحمته من يشاء .

وقيل إنما يقول هذا الخطاب لأقوام فارغين ، فيقول لهم : « إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ

(١) سقطت (بشأ) من النسخ في ص .

(٢) آية ٦١ سورة الصافات .

(٣) جاء في اللسان أن الأبله من تنقلب عليه صلوة الصلوة ، وسجين اللثني بالناس ؛ لأنه يفتل أمر دنياه ، ويقتل  
على آخره ويشتغل نفسه بها ، قال صلى الله عليه وسلم : أكثر أهل الجنة قبله فهم أكياس في أمر الآخرة (اللسان  
١٩٧ ص ٤٧٧ ط بيروت .

فأكون» وهم أهل الحضرة والدنو ، لا تشغلهم الجنة عن أنس القربة ، وراحات الوصلة ،  
والفراغ للرؤية<sup>(١)</sup>

ويقال : لو علموا حَمَنَ شُفِلُوا لَمَا تَهَيَّأُوا بِمَا شُفِلُوا .

ويقال بل إنما يقول لأهل الجنة : « إن أصحاب الجنة .. » كأنه يخاطبهم مخاطبةً للمأينة  
إجلالاً لهم كما يقال : الشيخ يضل كذا ، ويُرادُ به : أنت فعل كذا .

ويقال : إنما يقول هذا لأقوام في العرة أصحاب ذنوب لم يدخلوا النار ، ولم يدخلوا الجنة بعدُ  
ليصيبانهم ؛ فيقول الحق : عبدي .. أهل النار لا يفرغون إليك لأهوالهم ، وما هم فيه من  
صعوبة أحوالهم ، وأهل الجنة وأصحابها اليوم في شُفَلٍ عنك لأنهم في لذاتهم ، وما وجدوا من  
أفضالهم مع أهلهم وأشكالهم ؛ فليس لك اليوم إلا نحن !  
وقيل شغلهم تأهبهم لرؤية مولاهم ، وذلك من آتم الأشفال ، وهي أشغال مؤنسة مريحة  
لا متعبة موحشة .

ويقال : الحق لا يتعلّق به حق ولا باطل ؛ فلا تنفّك بين اشتغالهم بأبدانهم مع أهلهم ،  
وشهودهم مولاهم ، كما أنهم اليوم مشغولون مستديمون لمرفته بأى حالهم ، ولا يقدّح  
اشتغالهم — باستيقاف حُطُوطهم — في معارضهم .

ويقال شغل فوسمهم بشهواتها<sup>(٢)</sup> حتى يخلص الشهود لأسرارهم على غيبة من إحساس  
النفس التي هو أصعب الرقباء ، ولا شيء أعلى من رؤية الحبيب مع قدّر الرقيب .

قوله جل ذكره : « هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك

متكئون » .

---

(١) هكذا في - وهي في س (ق وبه) ، وقد أثبتنا (الرؤية) متأثرين برؤية القرطبي عن الصليبي والقشيري -  
ابن المصنف - حيث نقول هذه الرواية : فيظفر إليهم الحق ويظفرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من التسم ماداموا  
يظفرون إليه القرطبي - ١٥ ص ٤٥ .

(٢) قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد : شغلهم انقضاء المطاري .  
وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري قال (ص) : « إن أهل الجنة كلما جاسموا ناسم عدن أبكاراً » . ذكر  
ابن عباس : كلما أتى الرجل من أهل الجنة الخوراء وجعلها بكراً ، وكلما رجع إليها عادت إليه شهوته ، ولا يكون  
بينهما منى ، منه أو منها . (القرطبي - ١٥ ص ٤٥) .

« أزواجهم » : قيل أشكلتم في الحال والنزلة ، كقوله : « احشروا الذين ظلموا  
وأزواجهم »<sup>(١)</sup> وقيل حَقَّالِيهم<sup>(٢)</sup> من زوجاتهم .

« لهم فيها فاكهةٌ ولهم ما يدعون »

« لهم فيها فاكهة » : أى نصيب أنفسهم . ويقال الإشارة فيها إلى راحات الوقت دون  
حفظ النفس .

« ولهم فيها ما يدعون » : ما يريدون ، ويقال تسلِّم لهم دواعيهم ، والسعوى — إذا  
كانت بغیر حق<sup>٣</sup> — معلولة .

قوله تعالى : « سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ »

يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة ، وأكَّدَ ذلك بقوله : « قَوْلًا » .

ويقوله : « من ربِّ » ليملم أنه ليس سلاماً على لسان سفير .

« من ربِّ رَحِيمٍ » . والرحمة في تلك الحالة أن يرزقهم الرؤية في حال ما يُسَلِّم عليهم  
لِتَكْمُلَ لهم النعمة . ويقال الرحمة في ذلك الوقت أن يُنْقِئَهُمْ في حال سماع السلام وحال اللقاء  
لئلا يصحبهم دهشٌ ، ولا تلحقهم حيرة .

ويقال إنما قال : « من ربِّ رَحِيمٍ » ليكون للمصاة من المؤمنين فيه نَفْسٌ ، ولرجائهم  
مَسَاخٌ ؛ فإن الذي يحتاج إلى الرحمة العاصي .

ويقال : قال ذلك ليملم المبدأ أنه لم يصل إليه بفعله واستحقاقه ، وإنما وصل إليه برحمة ربه .

قوله جل ذكره : « وامتازوا اليومَ أيُّها المجرمون » .

غيبةُ الرقيب أتمُّ نعمةً ، وإِسَادُ الصلوة<sup>(٣)</sup> مِنْ أَجْلِ الموارف<sup>(٤)</sup> ؛ فالأولياء في المِجَاب  
القربة ، والأعداء في المذاب والحبيبة .

(١) آية ٢٢ سورة الصافات .

(٢) جمع سَلَّية وهي المرأة التي تفعل كل خيرها في المحبة .

(٣) يقول قتادة في « امتازوا » لأنها بمعنى عزلوا عن كل غير .

(٤) الموارف جمع عارفة وهي الفضل والإحسان .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ أَعِدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ الْآ

تِيبُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ .  
وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ » .

لو كان هذا القول من مخلوق إلى مخلوق لَكَانَ شَيْءَ اعْتِفَارٍ ؛ أَيْ لَقَدْ نَسَحْتُكُمْ  
ووعظتكم ، ومن هنا حَذَرْتُكُمْ ، وَكَمْ أَوْصَلْتُ لَكُمْ الْقَوْلَ ، وَذَكَّرْتُكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا وَعَظِي ،  
وَلَمْ تَعْمَلُوا بِأَمْرِي ، فَأَنْتُمْ خَالِفْتُمْ ، وَعَلَى أَفْئِكُمْ غَلَّيْتُمْ ، وَبِذَلِكَ سَبَقَتِ الْقَضِيَةُ مِنَّا لَكُمْ .

قوله جل ذكره : « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا  
أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ » .

الْيَوْمَ سَخَّرَ اللَّهُ أَعْضَاءَ بَدَنِ الْإِنْسَانِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ ، وَغَدَا يَنْقُضُ هَذِهِ الْمَادَّةَ ، فَخُورَجُ  
بَعْضُ الْأَعْضَاءِ عَلَى بَعْضٍ ، وَتَجْرَى بَيْنَهَا الْخُصُومَةُ وَالزَّعَاجُ ؛ فَأَمَّا الْكَفَّارُ فَشَهَادَةُ أَعْضَائِهِمْ  
عَلَيْهِمْ مُبِيدَةٌ ، وَأَمَّا الْمُتَّابُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بَعْضُ أَعْضَائِهِمْ بِالصَّيَانِ ، وَلَكِنْ  
تَشْهَدُ لَهُمْ بَعْضُ أَعْضَائِهِمْ أَيْضًا بِالْإِحْسَانِ ، وَكَأَقِيلٍ :

يَفِي وَيُنِيتُكَ يَا ظُلُومُ الرَّحِيفُ وَالْحَاكِمُ الْقَدَلُ الْجَوَادُ الْمُتَنَصِّفُ

وَفِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ الرَّوِيَّةِ الْمُسْتَدَّةِ أَنَّ عَبْدًا تَشْهَدُ عَلَيْهِ أَعْضَاؤُهُ بِالزُّهَّةِ فَيُطَايِرُ شِعْرَهُ مِنْ  
جَفْنِ عَيْنِيهِ ، فَيَسْتَأْذِنُ بِالشَّهَادَةِ لَهُ فَيَقُولُ الْحَقُّ : نَكَلِمِي يَا شَعْرَةُ جَفْنِ عَيْدِي وَاحْتَصِمِي عَنْ  
عَيْدِي ، فَتَشْهَدُ لَهُ بِالْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِهِ ، فَيُفَرِّقُ لَهُ ، وَيُنَادِي مُنَادٍ : هَذَا عَتِيقُ اللَّهِ بِشَعْرَةٍ .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا  
يَعْقِلُونَ » ؟

يَرُدُّهُ إِذَا اسْتَوَى شَبَابُهُ وَقُوَّتُهُ إِلَى الْمَكْسِ ، فَكَمَا كَانَ يَزْدَادُ فِي الْقُوَّةِ يَأْخُذُ فِي النِّقْصَانِ  
إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَرْذَلُ الْعُمُرِ فِي السَّنِ فَيَصِيرُ إِلَى مِثْلِ حَالِ الْقُطُولَةِ فِي الضَّمَفِ ، ثُمَّ لَا يَبْقَى بَدَنُ  
النِّقْصَانِ شَيْءً ، كَأَقِيلٍ :

طَوَى الْمَصْرَانَ مَا نَشْرَاهُ مِنِّي وَأَيْلَى جَسَدِي نَشَرْتُ وَطِي

أَرَانِي كُلَّ يَوْمٍ فِي انْتِصَافِي وَلَا يَبْقَى مَعَ النِّقْصَانِ شَيْءٌ  
هَذَا فِي الْجِلْتِ وَالْبَابِي دُونَ الْأَحْوَالِ وَالْمَالِي ؛ فَإِنَّ الْأَحْوَالَ فِي الزِّيَادَةِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ حَدَّ  
التَّخَوُّفِ <sup>(١)</sup> فَيَخْتَلُ رَأْيُهُ وَعَقْلُهُ . وَأَهْلُ الْحَقَائِقِ تَشِيبُ ذَوَابُهُمْ وَلَكِنْ عَاجِبُهُمْ وَمَعَانِيهِمْ  
فِي عَضْوَانِ شِبَابِهَا ، وَطَرَاوَةِ جَدَّتِهَا .

قوله جل ذكره : « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ  
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ » .

كلامه صلى الله عليه وسلم كَانَ خَارِجًا عَنْ أَوْزَانِ الشُّعْرِ ، وَالَّذِي أَنَامَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ لَمْ يَكُنْ  
مِنْ أَنْوَاعِ الشُّعْرِ ، وَلَا مِنْ طُرُقِ الْخُلْبَاءِ .

تَحْيِيزُ الْقَوْمِ فِي بَابِهِ ؛ وَلَمْ تَكْتَحِلْ بِصَائِرِهِمْ بِكُلِّ التَّوْحِيدِ فَمَضَوْا عَنْ شُهُودِ الْحَقَائِقِ .

قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا صِلَاتٌ  
أَيَّدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ » وَذَلَّلْنَاهَا  
لَهُمْ فَفِيهَا رُكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ • وَلَمْ  
فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ » .

ذَكَرَ عَظِيمُ مَنِّهِ عَلَيْهِمْ ، وَجَمِيلَ نِعْمَتِهِ لَدَيْهِمْ بِمَا سَخَّرَ لَهُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي يَنْفَعُونَ بِهَا  
بُجُوهَ الْإِنْتِفَاعِ .

ولفظ « أَيَّدِينَا » تَوْشَعٌ . أَيْ مِمَّا عَلَّمْنَا وَخَلَقْنَا ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَنْفَعُونَ بِرُكُوبِهَا وَبِأَكْلِ  
لُحُومِهَا وَشَحُومِهَا ، وَيُسَرِّبُ أَلْبَانَهَا ، وَبِالْحَمْلِ عَلَيْهَا ، وَقَطْعِ السَّافَاتِ بِهَا ، نَحْمُ بِأَصَوَافِهَا  
وَأَوْبَارِهَا وَشَعْرَهَا نَحْمُ بِعَظْمِ بَعْضِهَا . . فَطَالَبْتَهُمْ بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا ، وَوَصَّيْتُهُمْ بِالتَّصْمِيمِ فِي شُكْرِهِمْ .  
نَحْمُ أَظْهَرَ — مَا إِذَا كَانَ فِي صِفَةِ الْخَلُوقِينَ لَكُنْ شِكَايَةٌ — أَنَّهُمْ مَعَ كُلِّ هَذِهِ الْوُجُوهِ  
مِنَ الْإِحْسَانِ : —

« وَاعْتَذِرُوا مِنِّي دُونَ اللَّهِ إِلَهَةٍ لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ »

(١) الخوف فساد العقل من الكبر .

\* لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جندٌ  
مُخَضَّرُونَ .

اكتفوا بأمتثالهم<sup>(١)</sup> لعباداتهم ، ثم سَلَّى نبيّه — صلى الله عليه وسلم بأن قال له : —  
« فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ »  
وإذا عَلِمَ العبدُ أنه بمِرْأى من الحقِّ هَانَ عليه ما يقاسيه ، ولا سِيا إذا كان في الله .  
قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ  
نُطْقَةٍ فَاذًا هُوَ خَصِيمٌ مِّبِينٌ » .

أى شَدَدْنَا أَسْرَمَ ، وجَمَعْنَا نَصْرَهُمْ ، وَسَوَّيْنَا أَعْضَاءَهُمْ ، وَرَكَّبْنَا أَعْزَاءَهُمْ ، وَأَوْدَعْنَاهُمُ  
الْعَقْلَ وَالْتِمِيزَ . . ثم إنه « خَصِيمٌ مِّبِينٌ » : يَنَازِعُنَا فِي خُطَابِهِ ، وَيَتَرَضَّ عَلَيْنَا فِي أَحْكَامِنَا  
بِرَّعْمِهِ وَاسْتِصْوَابِهِ ، وَكَأَقِيلٍ :

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

قوله جل ذكره : « وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَبِيٌّ خَلَقَهُ قَالَ  
مَنْ يُنْحِسِ السِّفْطَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا  
الَّذِي أَثْنَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ  
خَلْقٍ عَلِيمٌ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ  
الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ » .

مَهْدٌ لَمْ سَبِيلَ الاسْتِدْلَالِ ، وَقَالَ إِنَّ الْإِعَادَةَ فِي مَعْنَى الْإِبْدَاءِ ، فَأَيُّ إِشْكَالٍ بَقِيَ فِي جَوَازِ  
الْإِعَادَةِ فِي الْإِنْتِهَاءِ ؟ وَإِنَّ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ النَّارِ فِي الْأَغْصَانِ الرَّطْبَةِ مِنَ الْمُرْتِخِ وَالْمَغَارِ<sup>(٢)</sup>  
قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْحَيَاةِ فِي الرِّمَّةِ الْبَالِيَةِ ، ثُمَّ زَادَ فِي الْبَيَانِ بِأَن قَالَ : إِنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى مِثْلِ الشَّيْءِ

(١) أى أمتثالهم من الحقوقين ونظائريهما .

(٢) تَزَلَّتْ حِينَ مَنَالَ أَبِي بِنِ خُلْفٍ الْجَمْعِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَتَدَجَّاهُ بِمَقْلَمٍ حَائِلٍ تَائِلًا : يَا مُعَدِّ ، أَرَى  
أَشَدَّ بِحَيٍّ هَذَا يَمْدُادُ م ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، وَيَمِيطُكَ وَيَدْنُكَ فِي النَّارِ . (أسباب القُرْول الواعية ص ٢٤٦) .

(٣) المرخ شجر طویل ليس له ورق ولا شوك ، سريع الوری ، يقتلح به . والغار الجزر المأكول .  
وفى المثل : « قُلْ كُلُّ شَجَرٍ نَارٍ وَاسْتَمِجْهُ الْمُرْخُ وَالْمَغَارُ » (كوسيط) .

كالتدرة عليه لاستوائهما بكل وجه ، وإياه يهيئ النفوس بعد موتها في العرصة كما يهيئ  
الإنسان من النطفة ، والطير<sup>(١)</sup> من البيضة ، ويهيئ القلوب بالرفق لأهل الإيمان كما يهيئ  
نفوس أهل الكفر بالموى والطغيان .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَمَرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » .

« إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ » بِخَلْقِهِ وَقُدْرَتِهِ . وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ تَمَلَّقَ بِالْمَكُونِ  
كَلِمَةً عَلَى مَا يَجِبُ فِي صِفَتِهِ ، وَسَيَّانَ عِنْدَهُ خَلْقُ الْكَبِيرِ فِي كَثْرَتِهِ وَالْقَلِيلِ فِي قَلَّتِهِ .

قوله جل ذكره : « فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَكُونُ كُلَّ  
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

أَيَّ قُدْرَتِهِ ظَهَرَ كُلُّ شَيْءٍ : فَلَا يَخْلُقُ شَيْءٌ — قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ — إِلَّا بِإِذْنِهِ وَإِنْشَائِهِ ،  
وَلَا يَبْقَى مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَهُوَ ظَهَرُ مَا يُخْدِثُ ، وَإِلَيْهِ مُصِيرُ مَا <sup>يَكُونُ</sup> .

---

(١) وردت (والطير) والصواب أن تكون (والطير) .



## صورة الصافات

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمة إذا استولت على قلب أزلت عنه أولاً من العارفين أربه ، ثم ألزمت على وجه التبعية حرّيه ، ثم شُرِّفَتْ من حيث الهمّة طلبه .

قوله جل ذكره : « وَالصَّافَّاتِ صَفًّا »

افتتح الله هذه السورة بالقسم بالصافات ، وهم لللائكة المصطفة في السماء وفي الهواء ، وفي أماكنهم على ما أمرهم الحق — سبحانه — من المكان يلزامونه ، والأمر يماقون ؛ يُسَبِّحُونَهُ وَيُقَدِّسُونَهُ ، وبما يأمرهم به يطيعونه .

« فَلَزَجَتْ زُجُرًا »

عطفهم على ما تقدّم بحرف الفاء وهم لللائكة الذين يزجرون السحاب . ويقال يزجرون الناس عن المأوى . ويقال هي الخواطر الزاجرة عن الناهي .

« فَاتَّالِيَتْ ذِكْرًا »

يقال « الصافات » الطيور المصطفة في السماء ، « والتاليت ذكراً » لللائكة بطون كتبت الله ، ويتلون الرحي على الأنبياء عليهم السلام .

« إِنَّ إِلَهُكُم لَوَاحِدٌ »

هذا هو القسم عليه .

أخبر أنه سبحانه واحد في ملكه ، وذلك لأنهم تَسَبَّحُوا أَنْ يَقُومَ الْوَاحِدُ بِمَجْمَعِ أحوال العالم . ومعنى كونه واحداً تَرَدُّدُهُ فِي حَقِّهِ عَنِ الْقِسْمَةِ ، وَتَدُّدُهُ فِي وجوده عَنِ الشَّيْءِ ، وَتَزَهُدُهُ فِي

مُلكِهِ عن الشريك ؛ واحد في جلاله ، واحد في استحقاق جلاله ، واحد في أفضاله ، واحد في كبريائه بنعت علائه ، ووصف سنائه .

قوله جل ذكره : « رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ »

مالكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وخالقهما ، وأكسابُ العبادِ داخلَةِ في هذا<sup>(١)</sup> .  
« وَرَبُّ الْمَشَارِقِ » مشارق النجوم والشمس والقمر ، ومشارق القلوب بشموسها وأقاربها ونجومها .

قوله جل ذكره : « إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ \* وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ »

زَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بالنجوم ، وقلوبَ أوليائه بنجوم للمارف والأموال ، وحفظَ السَّمَاوَاتِ بِأَنْ جَلَّ النُّجُومُ لِلشَّيَاطِينِ رَجُومًا ، وكذلك زَيْنَ القلوبِ بأنوار التوحيد ، فإذا قَرَّبَ منها الشَّيْطَانُ رَجَبَهَا بنجوم معارفهم .

قوله جل ذكره : « إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطِفَةَ فَأَنبَمَ شَهَابٌ ثَاقِبٌ »

كذلك إِذَا اغْتَضَمَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ أَنْ يُبَلِّغَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْ وَسْوَاسِهِ تَذَكَّرُوا ، فإذا هم مُبْصِرُونَ ، ورجعوا .. قال تعالى : « إِنْ الَّذِينَ اتَّهَمُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا<sup>(٢)</sup> » .

قوله جل ذكره : « فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْ أَسَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ »

---

(١) هذا المرأى على جانب كبير من الأهمية من الوجهة الكلامية . وخلق أكساب العباد من الله حكماً وعلماً . لأن الإرادة الإنسانية لا يمكن أن تخرج من نطاق الحكم والعلم الإلهيين - هكذا أوقفنا التشيرى في مواضع مختلفة .  
(٢) آية ٢٠١ سورة الأعراف .

عَرَفَهُمْ عَجَزَ عَنْ الْإِيمَانِ ، وَضَعَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ ، ثُمَّ ذَكَرَهُمْ نَسَبَهُمْ أَنَّهَا إِلَى الطَّيْنِ  
الْأَلْزَبِ (١) .

قوله جل ذكره : « بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْأَلُونَ » .

حَقِيقَةُ التَّعَجُّبِ تَبَيَّرَ النَّفْسَ مَا لَمْ تَجْعَلِ الْمَادَّةُ بِمَحْدُوثٍ مِثْلَهُ . وَهَذَا (٢) « عَجِبْتَ » بِالْفَتْحِ  
خُطَابًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَالضَّمُّ فَكُلَّانِ الْحَقِّ يَقُولُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ بَلْ  
عَجِبْتُ ، وَيُقَالُ ذَلِكَ بِمَعْنَى لِكِبَارِ ذَلِكَ الشَّيْءِ ، إِمَّا فِي الْقَدَرِ ، أَوْ الْإِكْتِنَارِ فِي النِّقْمِ  
أَوْ فِي اللَّذَعِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ »

إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِهِ يُبْرِضُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا وَالتَّصَكُّرُ فِيهَا ، وَيَقُولُونَ : لَيْسَ هَذَا الَّذِي  
أَتَى بِهِ مُحَمَّدٌ إِلَّا سِحْرًا ظَاهِرًا .

قوله جل ذكره : « أَأَنْتُمْ مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ

لَمُيْمُونُونَ \* أَوْ أَكَلْنَا الْأُولُونَ »

قَالُوا : أَأَنْتُمْ مِتْنَا ، تَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُنَا ، وَصَرْنَا رَمِيًا . - أَأَنْتُمْ لَمُيْمُونُونَ ؟ أَوْ أَكَلْنَا الْأُولُونَ  
يُيْمِنُونَ كَذَلِكَ ؟ قَالُوا عَلَى جِهَةِ الْاسْتِغْمَادِ ؛ فَالْمَعْرِفَةُ لَمْ مَقْقُودَةٌ ، وَالْبَصَائِرُ لَمْ مَصْدُودَةٌ ،  
وَقُلُوبُهُمْ عَنِ التَّوْحِيدِ مَصْدُودَةٌ .

« قُلْ نَمِ وَأَنْتُمْ خَائِرُونَ \* فَإِنَّمَا

هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ »

قُلْ لَمْ يَأْمُرْ ؛ نَمِ ، وَعَلَى وَصْفِ الصَّفْرِ مَا يُمِشِكُكُمْ ، وَبِزَجْرَةٍ وَاحِدَةٍ يَحْشُرُكُمْ ، بِدَأْنٍ  
يُقِيمُ الْقِيَامَةَ عَلَى جَمِيعِكُمْ .

(١) أَلْزَبَ أَيُّ لَازَقَ لَصَقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، أَوْ لَازَقَ يَلْتَقِ بِمَا أَصَابَهُ ، وَقَالَ عَجَابُهُ وَالضَّمُّ هُوَ الْمُنْتَنِ (الْقُرْطُبِيُّ)

١٥٨ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) بِالْفَتْحِ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَيُّ عَصْرٍ وَمَعَامٍ . وَالضَّمُّ قِرَاءَةُ عِبَادِ اللَّهِ سَمُودَ ، وَالْكَافِرِينَ إِلَّا عَامِصًا .  
وَالَّذِينَ يَنْكُرُونَ لِلضَّمِّ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْجِبُ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ تَخْرِيجُ التَّشْبِيرِ لَكَ أَنْ يَكُنَّ سَائِفًا ، وَتَدَ  
اخْتَارَهُ بَعْضُ الْأَهْلِ كَالْبَيْتِ .

« وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين »

هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون»

دَعَا بِالْوَيْلِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ يُقَالُ لَهُمْ : هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ بِهِ ، وَقَدْ عَاقِبْتُمُوهُ الْيَوْمَ .

قوله جل ذكره : « احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ

وَمَا كَانُوا يَشْعُرُونَ » من دون الله

فأهدوهم إلى صراطٍ المصيم »

وقهروهم إنهم مسئولون »

أراد بأزواجههم قرنائهم وأشكالهم ومن عمل مثل أعمالهم ، ومن آتاهم على ظلمهم بقليل أو كثير .. وكذلك في هذه الطريقة : من أعان صاحب فقرة في فقرته ، أو صاحب رقة على رفته — كان مشاركاً له في عقوبته ، واستحقاق طرده وإحاطته .

قوله : « وقهروهم إنهم مسئولون » : مقام السؤال مقام صعب : قوم يألمهم التلک وقوم يألمهم التلک ؛ فالذين تألمهم للتلک أقوامٌ لهم أعمالٌ صالحةٌ تصلح للعرض والكشف ، وأقوامٌ لم أعمالٌ لا تصلح للكشف ، وهم قيمان : الخواص يستهم الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والآخرة ، وأقوامٌ هم أرباب الزلات يرحمهم الله فلا يفضحهم ، ثم إنهم يكونون في بعض أحوالهم بنت الهيبة ، وفي بعض أحوالهم بنت البسط والقرية ، وفي الأخير : « أن قوماً يستهم بيده ويقول تذكر غدا ربك » وهؤلاء أصحاب الخصوص في التحقيق : فاما الأغيار والأجانب والكنفاري يقال لهم : « كفى بنفسك اليوم عليك حبيباً »<sup>(١)</sup> ، فإذا قرءوا كتبهم يقال لهم . من عمل هذا ؟ وما جزاؤه ؟ فيقولون : جزاؤه النار . فيقال لهم : أدخلوها بحكمكم .

ثم يقال لهم في بعض أحوال استيلاء التزع عليهم : —

---

(١) آية ١٤ سورة الإسراء .

« ما لكم لا تخافون • بل هم  
اليوم مستطون • وأقبل بعضهم على  
بعض يتسائلون »

يُؤذِكُ بَعْضُهُمُ الذَّنْبَ عَلَى بَعْضٍ ؛ فَهَذَا جَبْرًا مِنْ صَاحِبِهِ ، وَصَاحِبُهُ جَبْرًا مِنْهُ ، إِلَى أَنْ  
يَحْكُمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْخِزْيِ وَالْهَوَانِ ، وَيَجْزِيهِمْ فِي الْعَمَلِ وَالْإِيمَانِ .

قوله جل ذكره : « فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون  
• إذا كذلك قل للظالمين »

يشتركون في العذاب ولكن تضاعفت أصباؤهم ، كما أنهم يشتركون في الزلة  
ولكن تختلف مقادير زلاتهم .

قوله جل ذكره : « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله  
إلا الله يستكبرون »

احتجابهم بقلوبهم أو قسوتهم في وحدة عذابهم ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اسْتَكْبَرُوا عَنْ إِيمَانِ رَبِّهِمْ .  
ولو عرفوه لاضطروا بعبوديته ؛ قَالَ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
عِبَادَتِهِ » <sup>(١)</sup> ، وَقَالَ : « لَنْ يَسْتَكْفِرَ الْسَّيِّئُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا لِلْمَلَائِكَةِ  
لِلْقَرْبُونِ » <sup>(٢)</sup> فَلَنْ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَلَا لَذَّةَ لَهُ إِلَّا فِي طَاعَتِهِ ، قَالَ فَأَتْلُوهُمْ .

ويظهر في الهوى عزُّ اللوالب فيلزمى له ذلُّ البسب

قوله جل ذكره : « ويقولون أننا لنأزكو آلهتنا لشاعر  
مجنون • بل جاء بالحق وصديق  
للرسل • إنكم لنا قوم الصواب  
الأكبر » .

(١) آية ٢٠٦ سورة الأعراف .

(٢) آية ١٧٢ سورة القصص .

لَمْ يَحْتَمُوا مِنْ وَصْفِهِ — سُبْحَانَهُ — بِمَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ لَمْ يُبَالُوا بِمَا أُطْلِقُوا مِنْ  
التَّحَالُفِ فِي وَصْفِ أَنْبِيَائِهِ .

قوله جل ذكره : « وَمَا تُجِزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »  
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ .

الاستثناء واجع إلى قوله : \* إِنَّكُمْ لَنَاقُوا الْمَذَابَ الْأَلِيمَ \*  
ويقال : الإخلاصُ لِإِفْرَادِ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — بِالْعُبُودِيَّةِ : وَالَّذِي يَشُوبُ عَمَلَهُ رِيَاءٌ  
فَلَيْسَ بِمُخْلِصٍ .

ويقال : الإخلاصُ تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ عَنْ مَلَاحِظَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَفِي الْخَبَرِ : يَا مَعْزُذُ ، أَخْلَصْ  
الْعَمَلَ بِكَفَيْكَ الْقَلِيلِ مِنْهُ .

ويقال : الإخلاصُ قَدْرُ رُؤْيَةِ الْأَشْخَاصِ <sup>(١)</sup> .

ويقال : هُوَ أَنْ يَلَاظَ مَحَلَّ الْاِخْتِصَاصِ .

ويقال : هُوَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى نَفْسِكَ بَيْنَ الْاِخْتِصَاصِ .

قوله جل ذكره : \* أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ \* فَوَاكُهُ  
وَهُمْ مُكْرَمُونَ \*

لَمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ لِأَوْقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ ، وَفِي وَقْتِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ كَانَ لَهُ  
رِزْقٌ مَعْلُومٌ كَانَ مِنْ جِسْمَةِ اللَّيَاسِيرِ ، وَهَذِهِ صِفَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ : فَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ رِزْقٌ مَعْلُومٌ  
لِأَبْشَارِهِمْ وَلِأَسْرَارِهِمْ ، فَالْإِغْنَاءُ لَمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ لَأَنْفُسِهِمْ <sup>(٢)</sup> ، وَالْفَقْرَاءُ <sup>(٣)</sup> لَمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ  
لِقُلُوبِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ .

\* فَوَاكُهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ \* : مِنْ ذَلِكَ وَرُودِ الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ،  
وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ الْخُطَابُ وَارِدٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِ الْخُلَاصِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِكُلِّ أَمْرٍ .

(١) أَيْ لَا يَكُونُ هُنَاكَ حَسَابٌ لِلْمَخْلُوقِينَ .

(٢) رِزْقُ النَّفْسِ لِإِغْنَاءِ الْأَمْوَالِ .

(٣) وَزَرْقَةُ الْقُلُوبِ لِإِرْبَابِ الْأَحْوَالِ .

« فِي جَنَاتِ النِّعَمِ \* عَلَى سُرُرٍ  
مُتَقَابِلِينَ »

يَسْتَأْنِسُ بَعْضُهُمْ بِرُؤْيَا بَعْضٍ ، وَيَسْتَرْوِحُ بَعْضُهُمْ إِلَى قِتَاءِ بَعْضٍ .

« يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ \*  
بِضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ »

شَرَابٌ يَوْجِبُ لَهُمُ الطَّرَبَ وَلَا وَحْشَةً مِنْكَ ، شَرَابًا يُخَفِّرُهُمْ وَلَا يُكْرِهُهُمْ ،  
لأنه قال :

« لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا  
يُمَزَّقُونَ »

فَلَا نَقْتَالُ عَنُقَكُمْ ، وَلَا نُزِيلُ حِشْمَتَهُمْ ، وَلَا تَوَفَّعُ عَنْهُمْ هَيْبَتَهُمْ ؛ قَوْمٌ يَشْرَبُونَ  
وَهُمْ بِوَصْفِ السَّرِّ ، وَآخَرُونَ يُسْقَوْنَ فِي الْحَضُورِ — وَهُمْ عَلَى نَتِ الْقُرْبِ .

« وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ \*  
كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكُونٌ »

لَا يَنْتَظِرْنَ إِلَى غَيْرِ الْوَلِيِّ<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ الْوَلِيُّ قَدْ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ ، وَفِيهِمْ مَنْ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ :

جُنَيْنًا يَلْبَسِلَى وَهِيَ جُنْتُ بَغِيرِنَا وَأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لَا نَرِيدُهَا

قوله جل ذكره : « فَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ  
يَقْسَاوُنَ ... »

يَتَنَاقَرُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ ، وَيَذْكُرُونَ مِنْ مَعَارِفِهِمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ، وَمَا آمَنَ بِهِ الْمُؤْمِنُونَ  
فَيَخْلُقُ اللَّهُ لَهُمْ إِمْلَاحًا عَلَيْهِ وَهُمْ فِي النَّارِ يَحْتَرِقُونَ .

قوله جل ذكره : « قَالَ تَاللَّهِ إِنِّي كِدْتُ لَتُحَرِّقِينَ »

---

(١) المقصود به هنا الزوج ، أي نساءه قد تَصَرَّفَتْ طَرَفُهُنَّ عَلَى أَرْوَاحِهِنَّ .

وَلَوْلَا نِفْسُهُ رَأَى لَكَتُ مِنْ  
الْمُحْضَرِينَ »

نَطَقَ الْوَلَّى بِالْحَقِّ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْرَحْ بَيْنَ التَّوْحِيدِ ؛ إِذْ جَمَلَ الْفَضْلَ وَاسْطَةً ، وَالْأَوَّلِ  
أَنْ يَقْوَاهُ : وَلَوْلَا رَأَى لَكَتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ • لِيُثْلِ  
هَذَا فَيُثْلِ الْمَالُونَ »

يَقَالُ : بِلِ الْمَلَانِكَةِ يَقُولُونَ لَهُمْ هَذَا ، وَيَقَالُ : الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ — إِذَا أَرَامَ مَقَاتِهِمْ فِي  
الْجَنَّةِ يَقُولُ لَهُمْ : « لِيُثْلِ هَذَا فَيُثْلِ الْمَالُونَ » •

وَيَقَالُ إِنَّ كَانَ الْعَابِدُ يَقُولُ هَذَا ، أَوْ يُقَالُ لَهُ هَذَا إِذَا ظَهَرَتِ الْجَنَّةُ فَإِنَّهُ إِذَا بَدَتْ شَطِئَةً مِنْ  
الْحَقَائِقِ وَتَبَاشِيرِ الْوَصَلَةِ ، أَوْ ذَرَّةً مِنْ نَسِيمِ الْقَرَبَةِ فَيَاخُزِي أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ : لِيُثْلِ هَذِهِ  
الْحَلَاةُ تُبْذَلُ الْأَرْوَاحُ .

عَلَى مِثْلِ سَتَى يَعْثُلُ لِلْوَدِّ نَفْسَهُ  
وَلِإِنْ بَاتَ مِنْ سَتَى عَلَى الْيَأْسِ طَاوِدًا

وَمَا هُنَا تَضِيْقُ الْبَارَاتُ ، وَتَتَقَاعَصِرُ الْإِشَارَاتُ •

قوله جل ذكره . « أَذْكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةٌ  
الزَّقُومِ »

ذَكَرَ صِفَةَ هَوَانِ الْأَعْدَاءِ ، وَمَا بِهِ مِنْ صِفَةِ لَذَّةِ وَالْمَذَابِ فِي النَّارِ ؛ مِنْ أَكْلِ  
الضَّرِيعِ ، وَمِنْ شَرَابِ الزَّقُومِ الَّتِي هِيَ فِي قُبْحِ صُورَةِ الشَّيَاطِينِ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَعِيمِ ...  
إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ •

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِمْهُ الْمُجِيبُونَ •  
وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ »

(١) أي نطق بمن يفرق ولو كان بين الجمع لقال : « ولولا رأي ... » .



لَنَا أَصَابَهُ مِنَ الْأَذَى مِنْ قَوْمِهِ حِينَ كَذَّبُوهُ ، وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنْهُ مَا كَانَ يَقُولُ مِنْ حَدِيثِنَا .  
رَجَعَ إِلَيْنَا ، نَغَاطِينَا وَخَاطِبِينَاهُ ، وَكَلَمْنَاهُ وَكَلَمْنَاهُ ، وَنَادَانَا فَنَدِينَاهُ ، وَكَانَ لَنَا فُكْنًا لَهُ ،  
وَأُجَابِنَا فَأُجِبْنَاهُ . فَلَنَنِمَّ الْجَبِيبُ كَانَ لَنَا وَلَعَمَّ الْجَبِييُونَ كُنَّا لَهُ !

« مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ » : شَتَانٌ بَيْنَ كَرْبِ نُوحٍ وَبَيْنَ كَرْبِ أَهْلِهِ !

وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ

أَمْزَى النَّفْسِ عَنْهُ النَّاسُ

قوله جل ذكره : « وَجِئْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ »

لَأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُم مِّنْ أَوْلَادِ نُوحٍ ، فَلَمَّا مَنَّ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ لَمْ يَتَنَاسَلُوا<sup>(١)</sup>

« وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ »

يُرِيدُ بِهِ قَوْلَ النَّاسِ عَنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّ مِنْ شَيْعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ » إِذْ

جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »

بَعْنَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ مِنْ شَيْعَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْحِيدِ - وَإِنَّ اخْتِلَافًا فِي فُرُوعِ  
شَرْعِيَّهَا .

« قَلْبٌ سَلِيمٌ » : لَا آفَةَ فِيهِ . وَيُقَالُ لِدِينِهِ مِنَ الْحُبَّةِ . وَيُقَالُ : سَلِيمٌ مِنْ مَحَبَّةِ  
الْأَخْيَارِ . وَيُقَالُ سَلِيمٌ مِنْ حُلُوظِ ضَرَرِهِ وَإِرَادَتِهِ . وَيُقَالُ : مُسْتَلِمٌ لَهُ فِي قَضَائِهِ وَاخْتِيَارِهِ .

قوله جل ذكره : « إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمُهُ مَاذَا

تَعْبُدُونَ ؟ »

سَأَلَهُمْ عَلَى حِيَّةِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمُ ، وَالتَّنْصِيهِ لَهُمْ عَلَى مَوْضِعِ غُلُظِهِمْ .

« فَمَا غُلُظُكُمْ بِرَبِّ السَّالِينَ ؟ »

---

(١) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمَّا خَرَجَ نُوحٌ مِنَ السَّفِينَةِ مَاتَ مِنْ مَعَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَلَدُهُ وَنِسَاءهُ .

إِذَا تَبَيَّنَ — وقد عَبدْتُمْ غَيْرَهُ ، فَا الَّذِي يَقُولُونَ لَهُ ؟ وكيف بكم في مقام النجيلة  
بما بين أيديكم وإن كنتم اليوم — غافلين عنه ؟

قوله جَلَّ ذِكْرُهُ « فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ » • قَالَ إِبْرَاهِيمُ  
سَقِيمٌ •

قِيلَ أَرَادَ « إِي » النُّجُومِ فَأَقَامَ « فِي » مَقَامَ « إِي » <sup>(١)</sup> •

« إِي سَقِيمٌ » : كَانَتْ تَأْتِيهِ الْجَنَى فِي وَقْتٍ مَعْلُومٍ ، قَالَ : قُرْبَ الْوَقْتِ الَّذِي  
أَسْقَمَ فِيهِ مَنْ أَخَذَ الْجَنَى إِيَّاهُ ، فَكَأَنَّهُ تَمَلَّكَ بِفُلْكَ لِيَتَأَخَّرَ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَهَابِهِمْ إِلَى  
عِيْدِهِمْ تَمْشِيَةً مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ كَسْرِ الْأَصْنَامِ •

وَيَقَالُ كَانَ ذَلِكَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَارِضِ • وَقِيلَ أَرَى مِنْ شَيْءٍ مُوَاعِدَةٍ قَوْلُهُمْ فِي الْقَوْلِ  
بِالنُّجُومِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ بِالنُّجُومِ ، فَتَأَخَّرَ بِهَذَا السَّبَبِ عَنْهُمْ <sup>(٢)</sup> •

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي زَمَانِ النَّبُوَّةِ فَلَا يَبْعُدُ أَنَّ اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — قَدْ عَرَفَهُ بِطَرِيقِ  
الْوَحْيِ أَنَّهُ يَخْلُقُ — سَبْحَانَهُ — بِاخْتِيَارِهِ أَضْلَاحًا عِنْدَ حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ •

ثُمَّ لَمَّا ذَهَبُوا إِلَى عِيْدِهِمْ كَثُرَ أَصْنَامُهُمْ ، فَلَمَّا رَجَعُوا قَالُوا مَا قَالُوا ، وَأَجَابَهُمْ  
بِمَا أَجَابَهُمْ بِهِ إِلَى قَوْلِهِ :

« قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجِجَمِ  
• فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا لِيُجْلِسْنَاهُمْ  
الْأَسْفَلِينَ » •

رَدَّ اللَّهُ كَيْدَهُمْ إِلَى مُحُورِهِمْ • وَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ جِبْرِيلُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَهُوَ فِي

(١) دَجَا لِيَتَرَضَى عَلْ هَذَا . . . فَمَعِ تَسْلِيمَتَا بَحْوَاذِ نِيَابَةِ حُرُوفِ الْبُرْ بِهَضْبَا مِنْ بَعْضِ إِلَّا أَنَا نَرَى أَنَّ  
تَسْمَاعِيلَ وَفِي « آدَمَ . . . » فَالْمَقْصُودُ مِنْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ « نَظَرَ فِي » النُّجُومِ أَنَّهُ تَمَلَّكَ وَتَفَكَّرَ . بَيْنَمَا لَا تَقْدِرُ « نَظَرَ إِلَى » أَكْثَرَ  
مِنْ التَّطَلُّعِ بِالْعَيْنِ وَفَرَّقَ بَيْنَ التَّأَمُّلِ بِالْفِكْرِ وَالْبَصِيرَةِ وَبَيْنَ التَّطَلُّعِ بِالْبَصَرِ — وَاقِعَهُ أَمَلٌ •

(٢) أُرْسِلَ إِلَيْهِ مُلْكُهُمْ إِنْ غَدَا عِيْدُنَا فَانْخَرِجْ مَعَنَا ، فَنَظَرَ إِلَى نَيْمٍ طَالِعٍ وَقَالَ : إِنْ هَذَا يَطْلُعُ مَعَ سَقَى حَرَكَاتِ  
عِلْمِ النُّجُومِ مُسْتَعْمِلًا عَنْهُمْ — فَأَرَاهُمْ مِنْ مُتَقَدِّمٍ عِنْدَ نَفْسِهِ • وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ رِعَايَةِ وَفَلَسَ ، وَهَاتَانِ  
الْمِشْدَانِ يَحْتَاجُ فِيمَا إِلَى نَظَرِ فِي النُّجُومِ ( فَتَقَرَّطِي مِنْ ٩٢ - ١٥ ) •

المواد وقد رُئِيَ من المتعجبين فصرّخ عليه قائلًا : هل مِنْ حاجة ؟

فاجاب : أَمَا إِلَيْكَ .. فلا !

قوله جلّ ذكره : « وقال إني ذاهبٌ إلى ربِّي »

سيهدين »

يقال إنه طلب هداية مخصوصة ؛ لأنه كان صاحب هداية ، إذ لو لم تكن له هداية لما ذهب إلى ربّه . ويحتمل أنه كان صاحب هداية في الحال وطلب الهداية في الاستقبال أي زيادة في الهداية ، ويقال طلب الهداية على كيفية مراعاة الأدب في الحضور ، ويقال طلب الهداية إلى نفسه لأنه قدّ فيه قلبه ونفسه ؛ فقال سيهدين إلى لأقوم بحقّ عبوديته ؛ فإن للسهلك في حقائق الجمع لا يصحّ منه أداء العبادة إلّا بأن يُردّ إلى حالة التفرقة والتميز .

ومعنى « إلى ربّي » أي إلى للكان الذي يعبّد فيه ربّي .

ويقال أخبر عن إبراهيم أنه قال : « إني ذاهب إلى ربّي » : فأخبر عن قوله .

وأخبر عن موسى فقال : « ولما جاء موسى لميقاتنا » ، فأخبر عن صفته لاعتن

قوله . .

وقال في صفة نبينا صلى الله عليه وسلم : « سبحانه الذي أسرى بعبده . . . »

[فأخبر عن ذاته سبحانه<sup>(١)</sup>]

وفصل بين هذه اللقائات ؛ إبراهيم كان بين الترتي ، وموسى بين الجمع ؛ ونبينا

كان بين جمع الجمع .

قوله جلّ ذكره : « وبّهب لي من الصالحين »

فبشرناه بسلام حلیم »

لما قال « حلیم » نَبّه على أنه سيقى من البلاء ما يحتاج إلى الحلم في تحمله . .

---

(١) ما بين القوسين من معنا أضفناه لتوضيح .

قوله جل ذكره: «فَلَا يُلَاحِظُ مَعَهُ السَّعْيَ قَالِ يَا بَنِي إِدْرِيسَ  
أَرَأَيْتُمْ فِي النَّامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا  
تَرَى قَالِ: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ»

«فَلَا يُلَاحِظُ مَعَهُ السَّعْيَ» إشارة إلى وقت توطئ القلب عَلَى الوَلَدِ، رَأَى إِبْرَاهِيمَ — عَلَيْهِ  
السَّلَامُ — أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِذَبْحِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ<sup>(١)</sup> لَيْلَةَ الْقُرْبَانِ، وَاسْمُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُرْوَى  
فِي ذَلِكَ طَوْلٌ يَوْمَهُ. هَلْ هُوَ حَقٌّ أَمْ لَا<sup>(٢)</sup>؟ ثُمَّ إِنَّهُ رَأَى فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ مِثْلَ ذَلِكَ فَعَرَفَ أَنَّ  
رُؤْيَاهُ حَقٌّ، فَفَسَى يَوْمَ عَرَفَةَ.

وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ ثَلَاثِ عَشْرَةِ سَنَةً، وَيُقَالُ إِنَّهُ رَأَى ذَلِكَ فِي النَّوْمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(٣)</sup> :  
أَنِ أَذْبَحَ ابْنَهُ، فَجَالَ لِإِسْمَاعِيلَ: «يَا بَنِي إِدْرِيسَ أَرَأَيْتُمْ فِي النَّامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟»  
فَجَالَ إِسْمَاعِيلُ: «يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ»: أَيْ لَا تَحْكَمْ فِيهِ بِحُكْمِ الرُّؤْيَا، فَإِنَّهَا قَدْ تَصِيبُ وَقَدْ  
يَكُونُ لَهَا تَأْوِيلٌ، فَإِنَّ كَانَ هَذَا أَمْرًا فَافْعَلْ بِمَنْتَضَاهُ، وَإِنْ كَانَ لَهَا تَأْوِيلٌ فَتَثْبِتْ<sup>(٤)</sup>، قَدْ  
يَمَكِّنُكَ ذَبْحُ ابْنِكَ كُلِّ وَقْتٍ وَلَكِنْ لَا يَمَكِّنُكَ تَلَاْفِيهِ.

وَيُقَالُ بَلْ قَالَ: أَتُرَكُّ حَدِيثَ الرُّؤْيَا وَاحِلَهُ عَلَى الْأَمْرِ، وَاحِلُ الْأَمْرِ عَلَى الْوَجُوبِ، ثُمَّ  
احِلَهُ عَلَى الْفُورِ وَلَا تُحْصَرُ.

وَيُقَالُ قَالَهُ: إِنْ كَانَ يَطْلُبُ قَلْبُكَ بَأَن تَذْبَحَ ابْنَكَ لِأَجْلِ اللَّهِ فَأَنَا يَطْلُبُ قَلْبِي أَنْ  
يَذْبَحَنِي أَيْ لِأَجْلِ اللَّهِ.

(١) اختلفت أقوال في الذبيح فقال قوم إنه إسحاق وآخرون إنه إسماعيل - وفريق ثالث يقول: الله أعلم به -  
وعن الأصمعي أنه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح، فقال: يا أصمعي، أين عَزَبَتْ عَنْكَ هَذِهِ؟  
ومن كان إسحاق بمكة؟ وإِنَّمَا كَانَ إسماعيل بمكة وهو الذي بَيَّعَ الْبَيْتَ مَعَ أَبِيهِ وَالْمَنْحَرُ بِمَكَّةَ. هَذَا مَا لَمْ يَسْقُ فَكَانَ  
بَيْتَ الْمُقَدَّسِ.

(٢) مع أن إبراهيم أخذ يتسائل بين يديه نفسه عن ذلك إلا أنه من الثابت أن الرسل يأتيهم الوحي أيقظاً  
ورقوداً، فلو أنهم لا تنام: قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا مَنَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ نَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ».

(٣) لِأَجْلِ ذَلِكَ سَمِيَتِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ عَلَى التَّوَالِي يَوْمَ الْقُرْبَانِ وَيَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ.

(٤) هكذا في م وحى في ص (قبلت) ونحن نرجح (فتثبت) بتدليل ما يعمد لأنه بهم الفصح يكون قد قضى  
الأمر - وبأى أمرهم إن كان ذلك غير المراد.

ويقال قال إسماعيل لأبيه: أنت خليلُ الله وتنام .. ألمَ حلمَ أن الظليلَ إنما نام عن خليله  
يَوْمَ يَذْبَحُ ابْنَهُ؟ مَلَكٌ يَا أَبَتِ وَالنوم ؟

ويقال في القصة : إنه رآه ذات يوم راكباً على فرس أشهب فاستحسنه ، ونظرَ إليه  
قلبه ، فأمرَ يَذْبَحْهُ ، فلما أخرجه عن قلبه ، واستسلمَ لذيبحه ظهرَ الفداء ، وقيل له كان القصدُ  
من هذا فراغَ قلبك عنه .

ويقال في القصة : أمرَ إسماعيلُ أباه أن يَشُدَّ يديه ويرجلَيْه لئلا يضطربَ إنما مَسَّهُ ألمُ  
الذَّبْحِ فَيَمُوتَ ، ثم لما مَ يَذْبَحْهُ قال : اضغِ القيدَ عني حتى لا يقال لي : أشدودَ اليدِ جنتي ؟  
وإني لن أتحركَ :

ولو بيدِ الحبيبِ سَقِيتُ مُمَكَّا لكان الثَّمُ من يده بطيب  
ويقال أيها كان أشدَّ بلاءً ؟ قيل : إسماعيل ؛ لأنه وَجَدَ الذَّبْحَ من يده ، ولم يتعود  
من يده إلا التربةَ بالجليل ، وكان البلاءُ عليه أشدَّ لأنه لم يتوقع منه ذلك .

ويقال بل كان إبراهيم أشدَّ بلاءً لأنه كان محتاج أن يذبح ابنه ويبيع يده .  
« مستعجلى إن شاء الله من الصابرين » فلم يأتِ إسماعيل بالعمى <sup>(١)</sup> بل تأدب بلفظ الاستثناء .  
ويقال لو قال إسماعيل لئلا لا تَقُلْ : « يا بَنِيَّ » بهذه اللفظة ، ولئلا لا تَقُلْ : « إني أذبحك »  
فإنَّ الجمعَ بينهما عجيب !

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا أَشْتَمَا وَتَلَّه للجبين • وتادينه  
أن يا إبراهيم • قد صدقت الرؤيا لئلا  
كذلك نجزي الحسنيين •

قيل في التفسير إنه كان يمرُّ بالسكين على حلقه والسكين لا يقطع ، فنسبَ إبراهيمُ ،  
فودى : يا إبراهيم كان القصدُ من هذا استسلامكما .

ويقال إن الله سَرَّ عليهما عِلْمَ ما أريد منهما في حال البلاء ، وإنما كَثَفَ عنهما بعد مُصَيِّ  
وقت الحنة لئلا يَبْطُلَ معنى الابتلاء . . . وهكذا يكون الأمر عند البلاء ؛ تَنَسَّدُ الوجوه

(١) أي دعوى التمس بالمكثة دون تقديم المشقة الإلهية .

في الحال ؛ وكذلك كانت حالة النبي صلى الله عليه وسلم في حال حديث الإغتك ، وكذلك حالة أيوب عليه السلام ؛ وإنما يتبين الأمر بعد ظهور آخر الحقة وزوالها ، وإلا لم تسكن حينئذ محنة [إلا أنه يكون في حال البلاء إسبال يؤتى مع مخامرة الحنة] <sup>(١)</sup> ولكن مع استجمام الحال واستبهامه ، إذ لو كشف الأمر على صاحبه لم يكن حينئذ بلاء ؛ قال تعالى : —

« إِنْ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ لِلَّذِينَ »

وَقَدْ يَنْتَاهُ بِذِي عَظِيمٍ .

قيل كان فناء الذبيح يؤتى في الجنة قبله بأربعين خريفاً .

والناس في « البلاء » على أقسام : فبلاء مستعصب وذلك صفة العوام ، وبلاء مستعذب وذلك صفة من يستعذبون بلاياهم ، كأنهم لا يأسون حتى إذا قُتِلُوا .

قوله جل ذكره : « وَيُشْرَتَانَا بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ »

وباركنا عليه وعلى إسحاق . . .

وكل هذا بعد البلاء ؛ قال تعالى : « إِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » .

قوله جل ذكره : « وَقَدْ مَنَّآ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ »

مَنْ عَلَيْهِمَا بِالنَّبُوَّةِ ، وبالنسبة من فرعون وقومه ، وبصرته عليهم .

« وَأَوْثَقْنَاهُمَا الْكُتَابَ الْمُسْنَفِينَ » .

يعنى التوراة .

« وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ »

التيرى من الجهل والقوة ، وشهود عين التوحيد .

« وَتَرَكْنَاهُمَا فِي الْآخِرِينَ » سلام

على موسى وهارون .

ثم قال جل ذكره : « وَإِنْ إِلَىٰ لَيْتَنِ الْمُرْسَلِينَ » .

« إِيَّاسَ » : قيل هو إدريس ، وقيل غيره ، وكان بالشام ، واسم صمهم « بَلَّ » ،

(١) ما بين القوسين موحود في ص وساقط في م .

ومدينتهم بملك . : أنذر قومه فكذبوه ، وعظمهم فاصدقوه ، فأهلك قومه .

قوله جل ذكره : « وَإِن لَّوِطًا لِّمَنِ الْمُسْلِمِينَ »

مضت قصته وكيف نجى أهله إلا امرأته التي شاركتهم في عصيانهم ، فحق المذاب عليها مثلما عليهم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَإِن يُونُسَ لَمِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

فكان في أول أمره يطلب الاستغناء من النبوة ، ولكن لم يُعَفَّ ، ثم استقبله ما استقبله ، فلم يلبث حتى رأى نفسه في بطن الحوت في الظلمة : —

« فَانقذه الحوت وهو مُلِيمٌ »

أى بما يَلَامُ عليه ، والحق — سبحانه — مَزَّةٌ عن الحيفِ في حُكْمِهِ ؛ إِذْ انْقَلَبَ خَلْقَهُ ، ثم الله رَأَى حَقَّ تَعْبُدِهِ ، وَحَفِظَ ذِمَّتَهُ مَا سَلَفَ لَهُ فِي آدَاءِ حَقِّهِ قَالَ : —

« قُلُوا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ • لَلَّيْتُ

فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »

فإن كَرَّمَ المَهْدِيَّ فينا من الإيمان ، وهو مِنَّا من جملة الإحسان ، « فَالْمُؤْمِنُ قَدْ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ خُلُقًا حَسَنًا » — بذلك ورد الظاهر .

« فَتَبَيَّنَّا لَهُ بِالرَّاهِ وَهُوَ سَقِيمٌ »

« سَقِيمٌ » : فِي ضَعْفٍ مِنَ الْحَالِ لِأَنَّهُ مَرِيضٌ كَوْنُهُ قَضَى وَقَفَا فِي بَطْنِ الْحَوْتِ .

وَأَنْبَيَيْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يُّعْلَيْنَ »

لِنُظَلِّلَهُ ، فإنه كان في الصحراء وشماخُ الشمسِ كان يَقْرَأُ ، وَقَبِضَ لَهُ اللَّهُ خَلِيَّةً ذاتَ وَفَاءٍ كَمَا : — نَجْمُهُ فَيَرْضَعُ مِنْ لَبَنِهَا ، فَكَانَ الْحَقُّ أَعَادَهُ إِلَى حَالِ الطُّفُولَةِ • ثُمَّ إِنَّ رَحِمَهُ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَأَكْرَمُوهُ وَأَمْنُوا بِهِ ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ كَشَفَ عَنْهُمْ الْمَذَابَ ، لِأَنَّهُمْ حِينَا خَرَجَ يُونُسَ مِنْ بَيْنِهِمْ نَدَمُوا وَتَضَرَّعُوا إِلَى اللَّهِ لَمَّا رَأَوْا أَوَائِلَ الْمَذَابِ قَدْ أَظْلَمَتْهُمْ ،

---

(١) فلاحظ أن القشيري يمر سريعاً بإزاء قصص الأنبياء هنا لأنه توقف طويلاً عند كل منها في مواضع سابقة .

فَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَذَابَ ، وَآمَنُوا بِاللَّهِ ، وَكَانُوا يَتَوَلَّوْنَ : لَوْ رَأَيْنَا يُونُسَ لَوَقَّرْتَنَاهُ ، وَعَظَّمْتَنَاهُ ، فَرَجَّ يُونُسُ إِلَيْهِمْ بَدَ نَجَاتِهِ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمُهُ ، وَأَدْخَلُوهُ بِكَلِمَةٍ مُكْرَمًا .

وَيَقَالُ : اللَّهُ تَبُّوا وَالْجُرْمُ كَانَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَهَمَّ قَدْ تَوَعَّدُوا بِالْمَذَابِ . وَأَمَّا يُونُسُ فَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَذْنَبَ وَلَا أَلَمَ بِمَحْظُورٍ ، وَخَرَجَ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَكَشَفَ اللَّهُ الْمَذَابَ عَنْهُمْ ، وَسَلِّمُوا .. وَاسْتَقْبَلَ يُونُسَ مَا اسْتَقْبَلَهُ بَلْ أَنَّهُ قَالَى الْبَتَّى وَالَّتِي بَدَ نَجَاتِهِ ؛ وَبِإِعْجَابٍ مِنْ سِرِّ تَقْدِيرِهِ ! قَدْ جَاءَ فِي الْقِصَّةِ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ — أَوْحَى إِلَى يُونُسَ بَدَ نَجَاتِهِ أَنَّ قُلَّ لِفُلَانٍ التَّخَايَرُ حَتَّى يَكْثُرَ الْجَرَارُ الَّتِي عَمِلَهَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ كُلِّهَا ! قَالِ يُونُسُ : يَا رَبِّ ، إِنَّهُ قَطَعَ مَدَّةً فِي إِجْزَازِ ذَلِكَ ، فَكَيْفَ أَمْرُهُ بِأَنْ يَكْثُرَ مَا كُلُّهَا ؟

قَالَ لَهُ : يَا يُونُسَ ، يَرِيقُ قَلْبُكَ لِخَرَافٍ يُتْلَفُ حَمَلٌ سَنَةٍ .. وَتَرِيدُنِي أَنْ أَهْلِكَ مِائَةَ أَنْفٍ مِنْ عِبَادِي ؟ يَا يُونُسَ ، إِنَّكَ لَمْ تَحْقُقْهُمْ ، وَلَوْ خَلَقْتَهُمْ لَرَحِمْتَهُمْ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « فَاسْتَفْتِهِمَ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَمْ يَلِدْنَ ؟ »

لَمَّا قَالُوا فِي صِفَةِ اللَّائِكَةِ لِنَهْمٍ بَنَاتُ اللَّهِ يَبَيِّنُ اللَّهُ قُبْحَ قَوْلِهِمْ ، قَالَ : سَلِّمُ مِنْ أَيْنَ قَالُوا ؟ وَيَأْيَ حُجَّةٍ حَكَمُوا بِمَا زَعَمُوا ؟ وَأَيُّ شُبْهَةٍ طَافَتْهُمْ . ثُمَّ لِنَهْمٍ كَانُوا يَسْتَنْكِفُونَ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَيُؤْفِرُونَ الْبَنِينَ عَلَيْهِنَ .. وَمَعَ كُفْرِهِمْ وَقُبْحِ قَوْلِهِمْ وَصَفْوِ التَّدْبِيرِ — سَبَّحَانَهُ — بِمَا اسْتَنْكَفُوا مِنْهُ لِأَفْضِهِمْ !

قوله جل ذكره : « فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ • مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بَنَاتِينَ • إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنِينِ • »

(١) تتجلى براعة التشبيهي في التقاط تماذج من القمص تقدم فكرته العامة بخصوص تأثيل النص ، وإسراع باب التوبة أمامهم ... كل عكس بعض الباحثين الذين لا يسمهم إلا للتخويف والتشيع ، والبهويل والإتلاف .



[ أى ما أنتم بغائبين من الناس إلا من أغويته بحُسنى ، فيه ضلوا لا يخلدكم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وما مينا إلا له مقام مطوم » .

لأنه لم مقام مطوم لا يتخطون مقامهم ، ولا يصدون حدم ، والأولياء لم مقام <sup>(٢)</sup> مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه أحد ، والأنبياء لم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة ؛ لأنهم للخلق قنوة فأمرهم على الشهر ، وأمر الأولياء على السر .

قوله جل ذكره : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا

المُرسلين » .

أى سبقت كلمتنا لهم بالمعادة ، وقدّم حكمتنا لهم بالولاية والرعاية ، فهم من قبلنا

منصورون : —

« إناهم لهم المنصورون » وإن جندنا

لهم القابون » .

من نصره لا يقلب ، ومن قهره لا ينقلب .

وجنده الذين نصبهم لشريعته ، وأقامهم لنصر الحق وتبينته . . . من أراد إذلالتهم فقل أذفانه يخر ، وفي جبل هلاكه يتجر .

قوله جل ذكره : « فتول عنهم حتى حين » وأبصرهم

فسوف يبصرون » .

تول عنهم — يا محمد — إلى أن تنقضى آجالهم ، وتنهى أحوالهم . وانتظر انقضاء

أجلهم ، فإنه سينصرهم حديثهم وشيكا : —

« أفبما بنا يستجلبون » .

(١) أى هذا أمرى رد على القدرة كاهر واضح .

(٢) ما بين القوسين الكبيرين جاء فى م وسقط فى م .

وإنما قال ذلك فيما كانوا يمشون قيام الساعة ، وكانوا يستعجلون ذلك لِقَرِّطِ جَهْلِهِمْ ،  
ثم لَمَقَّةِ تصديقهم . فلَمَّا نزل العذابُ بِساحتهم ، وأنشأ البلاءُ بِقوتهم فساءَ مباحهم . فتولَّى  
عنهم فَمَنْ قَرِيبٍ سَيَحْصِلُ مَا مِنْهُ يَحْتَدِرُونَ .

قوله جل ذكره : « سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ »

وسلامٌ على المرسلين \* والحمد لله ربَّ

المالين » .

« سُبْحَانَ رَبِّكَ » : تَهْدِيَةً لَهُ ، وسلامٌ على أنبيائنا ، « والحمد لله » : أى هو الحمود على

ما ساءَ أَمَّ سَرَّ ، نَفَعَ أَمَّ ضَرَّ .

## سورة ص

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

اسم عزيز اعترفت المارف بالقصور عن إدراكه ، اسم جليل تفتت العلوم حجباً من الطبع في إحاطته ، اسم كريم صغرت الحوائج عند ساحات جوده ، اسم رحيم تلاشت قطرات زلات عباده في تلاطم أمواج رحمته .

قوله جل ذكره : « ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ » .

الصدّ مفتاح اسمه الصادق والصبور والصد والصانع .. أقسم بهذه الأشياء وبالقرآن وجواب القسم : « لَئِنْ ذَلِكَ لَخُلُقٌ غَضَامٌ أَهْلِ النَّارِ » .

وقال : أقسم بصفاء مودة أحبائه والقرآن ذي الذكر أي : ذي الشرف .. وشرّفه أنه ليس بمخلوق<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرَّةٍ وَشِقَاقِي »

في صلابة ظلمة ، وعداوة بينة ، وإعراض عن البحث للألفة ، والسرّ للشواهد .

قوله جل ذكره : « كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ

فَنَادُوا زُلَّاتٍ حِينَ مَنَاصٍ » .

بادوا حين حجب البلاء مستنثين ، وقد فات وقت الإشكاء والإجابة .

قوله جل ذكره : « وَصَبَّحُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ

الكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ »

صَبَّحُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، ولم يصعبوا أن تكون للنحوتات آفة ، وهذه مناقضة

ظلمة . فلما تحيروا في شأن أنبيائهم ومؤمنهم بالسر ، وقسموا فيهم القول .

(١) وهذا رأى أهل الشكّة بخلاف ما برأه المعتزلة .

قوله جل ذكره : « أَجْمَلَ الْآلَةِ الْإِلَهِ وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » .

لم تباشر خلاصة التوحيد قلوبهم ، وبدلوا عن ذلك تجويزاً ، فضلاً عن أن يكون إيماناً وحكماً ، فلا عرفوا الإله ولا معنى الإلهية ؛ فإنَّ الإلهية هي القدرة على الاختراع . وتقدير قادرين على الاختراع غير صحيح لما يجب من وجود التماثل بينهما وجوازه ، ثم إنَّ ذلك يمنع من كليهما ، ولو لم يكونا كاملي الوصف لم يكونا للذين ، وكلُّ أمر جرى ثبوت سقوطه فهو مطروح باطل .

قوله جل ذكره : « وَانْطَلِقْ لِلأَمْنِ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُّ » .

إذا تواصى الكفار فيما بينهم بالصبر على آلهتهم ، فالزمتون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في دينهم .

قوله جل ذكره : « مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْيَقَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْلَاقٌ » .

ركنوا إلى السوء والعادة ، وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلالة ، واستقاموا إلى التقليد والمواودة .

قوله جل ذكره : « أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَأَنفُوقُوا عُنَابٌ » .

أى لو استبصروا في دينهم لكأ أقدموا على ما أسرفوا فيه من جحودهم ، ولولا أننا أذمتنا لهم العوائى لكأ تفرغوا إلى طغيانهم <sup>(١)</sup> .

(١) قال تعالى : الله يستبصر بهم ويعلمهم في طغيانهم يسهون « وقال تعالى : « من يضل الله فلا هادي له ويعلمهم في طغيانهم يسهون » تلك هي الحكمة الإلهية في إيهامهم .

« أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ

الْوَهَّابِ » .

أى : هؤلاء الكفار الذين عارضوا أو نازعوا ، وكذَّبوا واحتجوا .. أعلنهم شئاً من هذه الأشياء ؟ أم هل هم يقدرون على شئ من هذه الأشياء فيملأوا ما أرادوا ، ويسلطوا من شاموا ، أو يرتقوا إلى السماء فيأتوا بالوحي على مَنْ أرادوا ؟

« جُنْدٌ مَا هُنَا لِكَ مَهْزُومٍ مِّنَ

الْأَحْزَابِ » .

بل هم جُند من الأحزاب للتحريين . كُلُّهُمْ عَجَزَةٌ لا يقدرون على ذلك ، مهزومون . شَبَّهَهُمْ فى قَائِمِهِمْ عن مرادهم بالمهزومين ؛ فلهن هؤلاء الكفار ليس معهم حُجَّةٌ ، ولا لهم قوة ، ولا لأصنامهم أيضاً من النفع والضرر مُكِنَّةٌ ، ولا فى الردِّ والدفع عن أنفسهم قدرة .

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ

وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ .. الْآيَاتِ » .

ذَكَرَ هؤلاء الأقوام فى هذا الموضع على الجمع ، وفى غير هذا الموضع على الأفراد (١) ، وفى كل موضع فائدة زائدة فى الفصاحة والإفادة بكل وجه . ثم قال :

« إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَبَ الرَّسُلَ

فَحَقَّ عِقَابٌ » .

أى ما كان منهم أحدٌ إِلَّا كَذَّبَ الرسلَ فحقَّت العقوبةُ عليه ، واستوجبَ العذاب .

ثم قال :

« وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صِيعَةً وَاحِدَةً

مَا لَهَا مِنْ قَوَاتٍ » .

أى ليسوا ينتظرون إِلَّا القيامة ، وما هى إِلَّا صِيعَةٌ واحدة ، وإذا قامت فلنْهَا لا تسكن .

---

(١) المقصود بالجمع والإفراد هنا الجملة والتفصيل .

قوله جل ذكره : « وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْلًا قَبْلَ يَوْمِ

الْحِسَابِ » .

اضْرِبْ — يا محمد — على ما يقولون ، فإنه لن تطول مدَّتْهم ، ولن نمدَّ — في مفاسدك أدام — أئبتك ومُكنك ، وعن قريب سينزل الله نصره ، وصدق لك بالتحقيق وعده .

قوله جل ذكره : « وَاذْكُرْ عَبْدًا دَاوُدَ ذَا الْأَيْمَانِ إِنَّهُ أَوَّابٌ » .

« ذَا الْأَيْدِ » أي ذا القوة ، ولم تكن قوته قوة نفس ، وإنما كانت قوته قوة فعل ؛ كان يصوم يوماً ويفطر يوماً — وهو أشد الصوم ، وكان قوياً في دين الله بنفسه وقلبه وجمته . « أَوَّابٌ » رجاء<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ

بِالْحَمْدِ وَالْإِشْرَاقِ<sup>(٢)</sup> » والطير عشودة

كُلُّ لَه أَوَّابٌ » .

كان داود يُسَبِّح ، والجبال تُسَبِّح ، وكان داود يفهم تسبيح الجبال على وجه تخصيص له بالكرامة والمعجزة .

وكذلك الطير كانت تسمع له فتسبح الله ، وداود كان يرف تسبيح الطير ؛ وكل من تحقق بحاله ساعده كل شيء كان بقرينه ، وصير غير جنسه بحكيه ، وفي معناه أنشدوا :

رُبَّ وَرَقَاءَ هَتَفَ بِالصُّعَى ذَاتَ شَجْوٍ صَرَخَتْ فِي فَنَنِ  
ذَكَرَتْ إِفَاءً وَدَهْرًا صَالِحًا وَبَكَتْ شَوْقًا فَهَاجَتْ حَزَنِي  
فَبَكَتْ رُبَا أَرْقَمَهَا وَبَكَتْ رُبَا أَرْقَمَهَا  
وَلَقَدْ تَشَكُّوْا فَا أَفْهَمَهَا وَلَقَدْ أَشْكُوْا فَا أَفْهَمَهَا  
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفَهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُ

(١) من (آب) ينوب إذا رجع . فكان داود رجاءاً إلى طاعة الله ورضاه في كل أمر فهو أهل لأن يشهد به (القرطبي ج ١٥ ص ١٥٩) .

(٢) يرى من سبأ أن (الإشراق) معناه صلاة النفس إذ هي بعد طلوع الشمس .

قوله جل ذكره : « وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

وَفَصَّلَ الْخُطَابَ » .

أى قَوَّيْنَا مُلْكَهُ بِأَصَارِهِ ، وَفِي التَّضْيِيرِ : كَانَ يَحْفَظُ مُلْكَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ ثَلَاثَةً وَثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ .

قوله جل ذكره : « وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

وَفَصَّلَ الْخُطَابَ » .

أى شَدَدْنَا مُلْكَهُ بِنَصْرِنَا لَهُ <sup>(١)</sup> وَدَفَعْنَا الْبَلَاءَ عَنْهُ .

وَيَقَالُ شَدَدْنَا مُلْكَهُ بِالْعَدْلِ فِي الْقَضِيَّةِ ، وَحُسْنِ السِّيَرَةِ فِي الرِّعَايَةِ .

وَيَقَالُ شَدَدْنَا مُلْكَهُ بِقِيَصِ أَيْدِي الظَّالِمِينَ .

وَيَقَالُ شَدَدْنَا مُلْكَهُ بِدَعَاءِ الْمُتَضَعِّفِينَ .

وَيَقَالُ شَدَدْنَا مُلْكَهُ بِأَنْ رَأَى النَّمِرَةَ مَيِّتًا ، وَتَبَرَّأَ مِنْ حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ .

وَيَقَالُ بوزراء ناصحين كانوا يدُلُّونَهُ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ مُلْكِهِ .

وَيَقَالُ يَتَّقِظُهُ وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ . وَيَقَالُ بقبوله الحق من كلِّ أَحَدٍ .

وَيَقَالُ بِرجوعه إلينا فِي عَصْرِ الْأَوْقَاتِ .

« وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ » : أَيْ أَعْطَيْنَاهُ الرُّشْدَ وَالصَّوَابَ ، وَالتَّهْنِئَةَ وَالْإِمَامَةَ .

وَيَقَالُ الْمَعْنَى بِقِيَّتِهِ وَكَيْفِيَّةِ سِيَاسَةِ أَمْتِهِ .

وَيَقَالُ الثَّبَاتُ فِي الْأُمُورِ وَالْحِكْمَةُ ، وَإِحْكَامُ الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرُ .

وَيَقَالُ صَحْبَةُ الْأَبْرَارِ ، وَجِبَابَةُ الْأَشْرَارِ .

وَأَمَّا « فَصَّلَ الْخُطَابَ » فَهُوَ الْحُكْمُ بِالْحَقِّ ، وَقِيلَ : الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى الْبُيِّنَ عَلَى مَنْ

أَنكَرَ . وَيَقَالُ : التَّضَاءُ بَيْنَ الْمُخَصُومِ .

(١) يَمْنَعُ الْقَتْلَ هُنَا بِأَصْحَابِ السُّلْطَانِ الَّذِينَ لَا يَحْسَبُونَ سِيَاسَةَ الرِّعَايَةِ وَلَا اعْتِبَارَ الْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ . . .

وَنَحْنُ نَسْمَعُ أَنَّهُ ابْتَدَأَ فِي عَهْدِ طُلُوكِ بَحْثَةِ كَبِيرٍ .

قوله جل ذكره : « وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسووا

الجراب » .. الآيات

أرسل الله إلى داود عليه السلام مَلَكَين من السماء على صورة رجلين فصاعداً إلى تنبيهها له على ما كان منه من تزوجه بامرأة أوريا ، وكان ترك ذلك أولى — هنا على طريق مَنْ رأى تنزية الأنبياء عليهم السلام من جميع الذنوب .

وَأَمَّا مَنْ جَوَزَ عَلَيْهِمُ الصَّغَائِرُ قَالَ : هنا من جملة . وكفى العُصَمَاءِ باسم التبعة عن النساء .

وكان داود عليه السلام قال لله سبحانه وتعالى : إني لأجِدُ في التوراة أنك أعطيت الأنبياء الرُّعْبَ فَأُعْطِيهَا ، قَالَ : إنهم صبروا فيما اجتَبْتُم به ، فوعد داودُ من نفسه الصبرَ إذا ابتلاه طمعاً في تَهْلُ الثَّجَرَاتِ ، فأخبر الله تعالى أنه ينتليه يومَ كذا ، فجعل داودُ ذلك اليوم يوم عبادة ، واخطف في بيته ، وأمر حُرَّاسَهُ ألا يُؤْذِيَهُ أَحَدٌ بِالْخُيُولِ عَلَيْهِ ، وأغلق على نفسه الباب ، وأخذ يَصَلِّي زماناً ، وقرأ التوراة زماناً يتصيد . أغلق على نفسه الباب ولكن لم يمكنه غلق باب السماء . وأمر حُرَّاسَهُ أن يدفخوا عنه الناسَ وكانوا ثلاثين ألف رجل — ويقال أربعة آلاف — ولكن لم يُسَكِّنْهُمْ أَنْ يَدْخُوا عَنْهُ حُكْمُ الْقَضَاءِ ، وقد ظَلَّ الحَكَماءُ : المارِبُ مما هو كائن في كَفِّ الطَّالِبِ بِجَلْبِ .

وكانت في البيت كوةٌ يدخل منها الضوء ، فَدَخَلَ طَيْرٌ صَغِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ ، ووقع قريباً منه ، وكان لداود ابنٌ صَغِيرٌ فَهَمَّ أَنْ يَأْخُذَهُ لِيَدْفَعَهُ إِلَى ابْنِهِ <sup>(١)</sup> ، فْتَبَاعَدَ عَنْهُ . وجاء في التفسير : أنه كان إبليس ، قد تصوَّرَ له في صورة طير ، فَتَبِعَهُ داود ، ولم يزل الطائرُ يتباعد قليلاً قليلاً ، وداود يبتغيه حتى خَرَجَ مِنَ السَّكَةِ ، وَنَظَرَ داود في أثره فَوَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى امْرَأَةِ أوريا وهي تنسل مصبرةً ، فاض إلى قلبه منها شيء ، فكان هذا السبب .

ويقال لم يَرِجَ الاهتمامُ بسبب ولده حتى فعل به ما فعل ، وفي ذلك لأولى الأبصار عِبرة <sup>(٢)</sup> .

(١) نقل القرطبي هذه الرواية منسوبة إلى القشيري ج ١٥ ص ١٨٢ .

(٢) يحاول القشيري في تلمس سبب محبة داود أن يوضح للربيعين أنه حتى الأكابر قد فعل بهم الجور نتيجة المساكنة إلى غير ، فيشار الحق عليهم ويمتثل بهم من الأمر ما يردم إلى الحق . . . وذلك فضل الله سبحانه .



وقال لم يكن أوريا قد تزوج بها بعد ، وقد كان خطبها ، وأجابته في الزوج به ،  
فغضب داود على خطبته . وقيل بل كانت امرأته وسأله أن ينزل عنها ، فنزل على أمره  
وتزوجها . وقيل بل أرسل أوريا إلى قتال الأعداء فقتل وتزوج بها . فلما سَوَّرَ الغلمان  
عليه ، وقيل دَخَلَا من سور الحراب أى أعلاه وقتلك : —

« فَفَزَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ  
يَتَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا  
بِالْحَقِّ وَلَا تَكْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ  
الصِّرَاطِ » .

عن خصمان ظَلَمَ بَعْضُنَا بَعْضًا ، فأحكم بيننا بالعدل :

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْعَةً  
وَلِيَّ نَجْعَةٍ وَاحِدَةً قَالِ أَكْفَلْنَاهَا  
وَعَزَّيْنِي فِي الْخَطَابِ » .

« أكفلنيها » أى انزل عنها حتى أكفلها أنا ، « وعزني في الخطاب » . أى غلبني ،

قال داود :

« قَالَ قَدْ ظَلَمَكَ بِسْؤَالِ نَجْعَتِكَ  
إِلَى نَجْعَةٍ » .

فضحك أحدهما في وجه صاحبه ، وصعد إلى السماء بين يديه ، فظلم داود عند ذلك أنه نَجْعَةٌ  
له وعطب فيا سَلَفَ منه ، وظن وأسقين أنه جاءته الفتنة للوعدة :

« فَاسْتَغْفِرُ رَبِّي وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ » .

أخذ في التضرع ، وجاء في التفسير أنه سجد أربعين يوماً لا يرفع رأسه من السجود  
إلا ( للصلاة )<sup>(١)</sup> للكتابة عليه ، وأخذ يبكي حتى نبتَ الشُّبُّ من دمعه ، ولم يأكل ، ولم

(١) ( الصلاة ) غير واردة في التسخين وقد استعنا بالترجمة في هذه التكملة ( ج ١ ص ١٨٥ ) برتد وجداعه .

يشرب في تلك المدة، حتى أوحى الله إليه بالمغفرة، قال: يارب، فكيف يحدث الخلع؟  
قال: إني استوهبتك<sup>(١)</sup> منه، وقال تعالى:

«فَقَرَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ  
وَحُسْن مَّآبٍ» .

إن له عندنا قرربةً وحسن رجوع، وقيل: كان لا يشرب الماء إلا مزوجاً بدموعه .  
ويقال لما التجأ داود عليه السلام في أوائل البلاء إلى التوبة والبكاء والتضرع والاستغناء  
وجَدَ المغفرة والتجاوز .. وهكذا من رجع في أوائل الشدائد إلى الله فإله يكفيه بما ينوبه ،  
وكذلك من صَبَرَ إلى حين طالت عليه المحنة . ويقال إن زَلَّةً أَسَفَكَ عليها يوصلك إلى ربك أجدى  
عليك من طاعة إعجابك بها يُقْصِيكَ عن ربك<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره: « يا داود إِنَّا جَلَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ  
فَاخْلُفْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ  
الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ  
الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ  
شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا » .

« جَلَلْنَاكَ خَلِيفَةً » أي بعد من تَقَدَّمَكَ من الأنبياء عليهم السلام . وقيل حاكماً من قَبْلِ  
لتحكّم بين عبادي بالحق، وأوصاه بالأيتبع في الحكم هواه تنبيهاً على أن أعظم جنايات العبد  
وَأَتَّبِعَ خَطَايَاهُ متابعة الهوى .

ولما ذَكَرَ اللهُ هذه القصة أعقبها بقوله :

« وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا »

«ضرورة لنوضح كيف أن قصته الفائت الذي يمارسه الخاصة لا يمنع من رجوعهم في حال القرن الثاني إلى أن يقوموا  
بالنصبة التي تفرضه الشريعة . وربما كان ذلك مقصد القشيري من اختيار هذه الرواية . . . والواقع أن القشيري  
يحدد اختيار الشواهد من القصص والأخبار ، وأنشأ في الاختيار خمسة المصنف وأعله .

(١) أي استوهبتك منه بقرابة الجدة (القرطبي ج ١٥ ص ١٨٥) .

(٢) هكذا يفتح القشيري أبواب الأمل أمام الصلاة ، ويفتح عنهم القنوط من رحمة الله .

بإِطْلَاقِ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ .

« بِإِطْلَاقٍ » أَيْ وَأَنَا مُبْتَلٍ فِي خَفَقَتِهِمَا ، بَلْ كَانَ لِي مَا خَفَلْتُ وَأَنَا فِيهِ مُحِيتٌ .

وَيَقَالُ مَا خَفَقَتُهُمَا لِلْبَطْلَانِ بَلْ لِأَمْرِهِمَا بِالْحَقِّ .

ثُمَّ أَخْبِرَ أَنَّهُ لَا يَجِلُّ لِلْمُسْدِينَ كَالْحَسَنِينِ قَطُّ ، ثُمَّ قَالَ :

« كَتَبْتُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكَ مَبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا<sup>(١)</sup> »

أَيَّانَهُ وَلَيَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَ الْأَلْهَبِ .

« مَبَارَكٌ » وَهُوَ الْقُرْآنُ ، وَمَبَارَكٌ أَيْ كَثِيرُ النَّفْعِ ، وَيَقَالُ مَبَارَكٌ أَيْ دَائِمٌ بَاقٍ لَا يَنْصَحُهُ

كِتَابٌ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ بَرَكَ الْعَيْرُ عَلَى الْمَاءِ . وَيَقَالُ مَبَارَكٌ لَيْنٌ آمِنٌ بِهِ وَصَدَقَ . ثُمَّ إِنَّهُ يَبَيِّنُ  
أَنَّ الْبَرَكَةَ فِي تَدَبُّرِهِ وَالتَّضَكُّرِ فِي مَعَانِيهِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَوَعَيْنَا دَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ

إِنَّهُ أَوَّابٌ » .

« نِعْمَ الْعَبْدُ » لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّابًا إِلَى اللَّهِ ، رَاجِعًا إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ ؛ فِي النِّسْمَةِ بِالشُّكْرِ ،

وَفِي الْحَقَّةِ بِالصَّبْرِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « إِذْ هَرَضَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الصَّافِنَاتُ

الْجِبَالُ » .

« الصَّافِنَاتُ » جَمْعُ صَافِنَةٍ وَهِيَ الْقَائِمَةُ ، وَفِي التَّفْسِيرِ هِيَ الَّتِي تَقُومُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَائِمٍ ؛

إِذَا تَرَفَعَ لِاحِدَى الْيَدَيْنِ عَلَى مُتَبَكِّكَيْهَا<sup>(٢)</sup> . وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ قَدْ غَزَا أَهْلَ

---

(١) فِي الْأَوَّلِيِّ أَنَّ عَلِيًّا قَرَأَ « لِيَتَبَرَّجُوا » بِجَدِّهِ بَعْدَ الْيَا ، وَكَذَا فِي « الْبَحْرِ » لِأَيِّ حَيَاتٍ .

(٢) السُّبُكُ طَرَفُ الْخَافِرِ ، وَالْمُسْفُونَ فِي الْفَتَةِ إِدَامَةُ الْقِيَامِ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقُومَ

لَهُ الرِّجَالُ صَفُونًا فَلْيَتَبَرَّجْ بِمَقْعَدِهِ مِنَ النَّارِ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

أَتَيْتُ الْمُسْفُونَ فَمَا يَزَالُ كَأَنَّهُ      مَا يَقُومُ عَلَى ثَلَاثِ كِبَرٍ

(الْبَصَانُ : مَادَّةُ صَفْنٍ)

دمشق، وأصابها منهم<sup>(١)</sup>، وقيل وَرَيْتَهَا عن أبيه داود وكان قد أصابها من العاقبة<sup>(٢)</sup>، وقيل كانت خيلاً لما أوجعه خرجت من البحر<sup>(٣)</sup>.

وفي بعض التفسير عُرِضَ عليه عشرون ألف فرس فَتَشَلَّتْهُ عن بعض أذكاره لله.

« بالشيء » : في آخر النهار ، وقيل كان ذلك صلاة العصر<sup>(٤)</sup>.

قوله جل ذكره : « رُدُّوْهَا عَلَى فَطَنٍ مَسْجَاً بالشوق

والأعناق » .

قيل أنبل يمسح سوقها وأعتاقها بيده إكراماً منه لما بدد أن فرغ من صلاته .

وقيل عَرَفَهَا ( لِيَذْبَحَهَا فَتَجَسَّسَهَا بِالرَّقِبَةِ عَنِ النَّفَارِ )<sup>(٥)</sup> ، وقيل وَضَعَ عليها الكئ

فَسَبَّهَا<sup>(٦)</sup> . وإيش ما كان فكل ذلك كان جائزاً في شرعه .

قوله جل ذكره : « قَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ

ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ »<sup>(٧)</sup> .

أَي لَصَقْتُ بِالْأَرْضِ حُبًّا لِلَّهِ . ويقال لَمَّا سَئَلَ هَذِهِ الْأَفْرَاسَ عَوْنَهُ<sup>(٨)</sup> الله

— سَبَّحَاتِهِ — بَأَن سَفَّرَهُ الرِّيحَ ، وَهَذَا أُلْبَغَ ، وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لَّهِ لَمْ يَخْشَ عَلَى اللَّهِ .

قوله جل ذكره : « وَتَقَدَّسْنَا سُلَيْمَانَ وَأَتَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ

جَسَدًا ثُمَّ أَلْبَغَ » .

(١) هذه رواية للكلبي .

(٢) هذه رواية مقاتل .

(٣) هذه رواية الحسن والفسحاك .

(٤) ينقل القرطبي عن أبي نصر القشيري قوله : ما كان في ذلك الوقت صلاة

لغير ولا صلاة مصر وإنما كانت تلك الصلاة نافلة ، وشغل فيها ثم تذكرها .

(٥) ما بين القوسين زيادة أضفناها ، اقتبسناها من القرطبي من الموضع نفسه حتى يوضح المعنى الذي ينبغي إليه

القشيري ( ج ١٥ ص ١٩٦ ) .

(٦) سبل الشيء أي أهله وجهه في سبل الله

(٧) اختلف في آتى « توارت بالحجاب » فتولى الشمس ، وقيل هي الخليل وقد استتر بها حتى توارت

الجهاد .

(٨) هكذا في م وهي في ص ( عرشه ) بالراء والصحيح ما أثبتناه من م .

اختطف الناس في هذه الفتنة ؛ ومنها أنه كانت له مائة امرأة قال : لأطوينَّ على هؤلاء فيولد من كل واحدة منهن غلام يقاتل في سبيل الله »<sup>(١)</sup> ولم يقل إن شاء الله ، ولم تحيل إلا امرأة واحدة جاءت بشق مولود ، فألقته على كرسيه ، فاستنفر ربه من ترك الاستنشاء ، وكان ذلك ترك ما هو الأولى .

وقيل كان له ابن ، وخافت الشياطين أن يبقى بعد موت أبيه فيرثه ، فهموا بقتله ، فاستودعه الريح في الهواء لتلاصق إليه الشياطين ، فلت الولد ، وألقته الريح على كرسيه ميتاً . فالفقنة كانت في خوفه من الشياطين وتعليقه إلى الهواء ، وكان الأولى به التوكل وترك الاستئانة بالريح .

وقيل في التفسير : إنه تزوج بامرأة<sup>(٢)</sup> كانت زوجة ملك قهره سليمان ، وسبأها ، فقالت له : إن أذنت لي أن اتخذَ مثلاً على صورة لأبي لأسل بنظري إليه ؟ فأذن لها ، فسكانت ( تعظمه وتسجد له مع جواربها أربعين يوماً ) ، وكانت تبده سراً ، فسبق عليه<sup>(٣)</sup> .

وقيل كان سبب بلائه أن امرأة كانت من أحب نساؤه إليه ، وكان إذا أراد دخول الخلاء تزجُ غائمه ودفعه إليها ، وهي على باب الخلاء ، فإذا خرج استردّه . وجاء يوماً شيطان يُقال له « صخر » على صورة سليمان وقال لامرأته : ادخلي إلى الخاتم فدفعته ، ولبسه ، وقعد على كرسيه ، يمشي أموره — إلا التصرف في نساؤه — فقد منعه الله عن ذلك . فلما خرج سليمان طالب المرأة بالخاتم ، فقالت : الساعة دفعتُ إليك - فظنَّ أنه فُتِنَ ، وكان إذا أخبر الناس أنه سليمان لا يُصدّقونه ، نخرج ( هارباً إلى ساحل البحر ) ، وأصابته شدائد ، وحل سلك الصيادين بأجرة حتى يجد قوتاً .

ولما أتهم ( بنو إسرائيل ) الشيطان ( واستنكروا حُكْمَهُ ) نشروا التوراة بين يديه ،

(١) في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : « قال سليمان لأطوينَّ هؤلاء من كل امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل إن شاء الله ، فلم يقل إن شاء الله ، فطاف طيفين جميعاً فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة وجاءت بشق رجل ، وأيم الله نفس محمد يبدلو قال إن شاء الله لجامعوا في سبيل الله فرساناً لحيون » .

(٢) هذه المرأة - كما يقول القرطبي - هي «جريدة ابنة ملك جزيرة في البحر يقال لها صليون .

(٣) وكانت مقربة حرماته من ملكه أربعين يوماً - هي مئة حادة الصمم فبقيت .

فَرَوَى بِالْخَلَامِ فِي الْبَحْرِ ، وَطَارَ فِي الْمَوَاءِ . وَلَمَّا أَدْرَكَ اللَّهُ رَدَّ مُلْكِهِ سُلَيْمَانَ إِلَيْهِ ، اجْلَسَتْ سَمَكَةٌ خَاتَمَهُ ، وَوَقَّتْ فِي جِبَالِ الصَّيْلَانِ ، وَدَفَعُوها إِلَى سُلَيْمَانَ فِي أَجْرَتِهِ ، فَطَأَّ شَقَّ بَطْنُهَا وَرَأَى خَاتَمَهُ لَيْسَ ، وَسَجَدَ لَهُ لِلْآخِرُونَ ، وَعَادَ إِلَى سِرِّرِ مُلْكِهِ<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَلِي إِنْكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

أَيُّ مُلْكًا لَا يَبْغِي أَحَدٌ مِنْ بَدَلِهِ هَذَا كَمَا سَلَبَ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ .  
 وَقِيلَ أَرَادَ أَفْرَادَهُ بِهَ لِيَكُونَ سَجْدَةً لَهُ عَلَى قَوْمِهِ .  
 وَقِيلَ أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَدَلِي أَنْ يَسْأَلَ لَلْمُلْكِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ فِي اخْتِيَارِهِ .

وَيَقَالُ لَمْ يَقْصِدِ الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَكِنْ قَالَ لَا يَبْغِي مِنْ بَدَلِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُلُوكِ .  
 وَإِنَّمَا سَأَلَ الْمُلْكَ لِسُلَيْمَةِ النَّاسِ ، وَإِنْصَافٍ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، وَالتَّيَاقُ بِحَقِّ اللَّهِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُ لِأَجْلِ مَمْلُوكِهِ إِلَى الدُّنْيَا . . . وَهُوَ كَقَوْلِ يُوسُفَ : « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا »<sup>(٢)</sup> .

وَيَقَالُ لَمْ يَطْلُبِ لِلْمُلْكِ الظَّاهِرَ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ أَنْ يَمْلِكَ نَفْسَهُ ، فَبَانَ لِلْمُلْكِ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — مِنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ ، وَمَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ لَمْ يَنْفِيسْ هَوَاهُ .  
 وَيَقَالُ أَرَادَ بِهِ كَمَلَّ حَالَهُ فِي شُهُودِ رَبِّهِ حَتَّى لَا يَرَى مَعَهُ غَيْرَهُ .

وَيَقَالُ سَأَلَ الْقَبَاطَةَ الَّتِي لَا يَبْقَى مَعَهَا اخْتِيَارٌ .

وَيَقَالُ عَلِمَ أَنَّ سِرَّهُ نَيْبًا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَلَّا يَلَاخِظَ الدُّنْيَا وَلَا مَمْلُوكَهَا

(١) نلاحظ أن القشيري — وإن تجنب الوقوع في كثير من الروايات السفينة مثل اجتماع سليمان بالنساء في حنين ، ومثل قضائه في الناس بغير الحق ونحو ذلك — إلا أنه لم يستطع التخلص من الروايات المتأثرة بالإسرائيليات لأننا لا نستطيع أن ننصرو ونقول نبو كسليان أو كهلود في مثل هذه المراتب التي لا يمتدح إليها نبو .  
 (٢) آية ٥٥ سورة يوسف .

قال: « لا ينبغي لأحد من بعدى » لآلته بَخْلَ به على نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن لِعَلِّهِ أَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى ذَلِكَ .

قوله جل ذكره: « فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ » .

شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ ، وَسَخَّرَ لَهُ الرِّيحَ بَدَلًا مِنَ الْأَفْرَاسِ ؛ فَلَا يَحْتَاجُ فِي إِمْسَاكِهَا إِلَى الْمَلَفِ وَالْمَوْزَنِ .

• وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ •

وَأَخْرَجَ مُتَفَرِّقِينَ فِي الْأَصْفَادِ • هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِخَيْرِ حِسَابٍ •

كما سَخَّرْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ .

ثم قال: « هَذَا عَطَاؤُنَا . . » أَيْ فَأَعْطِ أَوْ أَمْسِكْ ، وَاحْفَظْ وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ .

وَالْمَشْيُ فِي الْهَوَاءِ لِلْأَوْلِيَاءِ ، وَقَطْعُ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ بِمَا يَلِمُ وَجُودَهُ قَطْعًا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ — وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْهُ الْأَفْرَادُ وَالْأَحَادُ عَلَى التَّمْيِينِ . وَإِظْهَارُهُ عَلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَشَرَفِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَقَامَهُ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَشْرَفُ<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره: « وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ »

أَتَى مَسْنَى الشَّيْطَانِ يَتَحَسَّرُ وَعَذَابٍ •

أَيُّ مَا كَانَ يَوْسُوسُ إِلَيْهِ بِتَذْكِرِهِ إِذْ مَا كَانَ بِهِ مِنَ الْبَلِيَّةِ ، وَقِيلَ لِمَا كَانَ قَالَ (أَيُّ الشَّيْطَانِ) لِأَحْرَاسِهِ: اسْجُدْ لِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْكَ مَا سَلَبْتُكَ .

وَيُقَالُ إِنْ سَبَبَ اجْتِلَاؤُهُ أَنَّهُ اسْتَمَانَ بِهِ مَظْلُومٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ . . فَابْتُلِيَ .

وَيُقَالُ اسْتِضَافَ النَّاسِ يَوْمًا فَلَمَّا جَاءَهُ ابْنُ قَهِيرٍ مَنَعَهُ مِنَ الدُّخُولِ .

(١) من مبادئ نظرية التفخيم في الكرامة: أن كرامة الولد فرع لمعزة النبي الذي ينسب الولد إلى أمته ، فكل شرف الولد هو في الأصل شرف للنبي وآية حظوته ودرجته .

ويقال كان يمزو ملكاً كافراً ، وكان لأيوب غَمٌّ في ولايته ، فذهابه لأجل غَمِّه في القتال .

ويقال حسده إبليس ، قال : كَيْنَ سَطَطْنِي عَلَيْهِ لَمْ يَشْكُرْ لَكَ .

ويقال كان له سبع بنات وثلاثة بنين في مكتب واحد ، كَجَرَّ الشَّيْطَانُ الاسْطِوانَةَ فَاتَّهَمَ البيتَ عليهم .

ويقال لبث أيوب في البلاء ثمان عشرة سنة ، وقيل أربعين سنة ، وقيل <sup>(١)</sup> سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات .

قوله جل ذكره : « اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ <sup>(٢)</sup> » هذا مُتَّصِلٌ بِأَرْدُ وَشَرَابٌ .

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ كَشْفَ الْبَلَاءِ عَنْهُ قَالَ لَهُ : « اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ » ، فَرَكَضَ ، فَظَهَرَتْ عَيْنُهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَاغْتَسَلَ بِهِ ، فَصَادَ إِلَيْهِ جَمَالُهُ وَكَأَلُهُ . وَقِيلَ الْأَوَّلَى كَانَتْ حَارَةً وَالثَّانِيَةَ بَارِدَةً ، وَاغْتَسَلَ ، وَرَدَّ اللَّهُ لَحْمَهُ وَشَعْرَهُ وَبَشَرَهُ ، وَأَحْيَا أَوْلَادَهُ وَأَهْلَهُ ، وَقِيلَ بَلْ يَرُدُّهُمْ إِلَيْهِ فِي الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ .

قوله جل ذكره : « وَخُذْ يَدَكَ مِنْهُ فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ » .

الضَّغْتُ الْحِزْمَةُ مِنَ الْقَضْبَانِ ، وَقِيلَ كَانَتْ مِائَةً ، وَأَمَرَ بَأَن يَضْرِبَ بِهَا دَفْعَةً عَلَى أَمْرَانِهِ لَتَلَا يَحْنُثُ فِي يَمِينِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ حَلَفَ أَنْ يَضْرِبَهَا مِائَةَ خَشْبَةٍ لِمَنْ صَحَّ ( أَنَّهَا أَخْطَأَتْ ) . فَشَكَرَ

---

(١) الرواية الأخيرة منسوبة إلى ابن عباس .

(٢) رفض أبو الفرج الجوزي احتجاج بعض المصوفة بهذه الآية على إباحة الرقص . والواقع أن ذلك يمنع القسري تغذيراً خاصاً ؛ لأنه لو كان يؤدي ذلك الاحتجاج لقالبه ، بل لم يضر إليه ، كما لم يضر عند الآية التي سبقت في هذه السورة : « ودعها على فلفلق ... » إل ما يحتاج به بعض المصوفة من تعزيز المراقبة وتقطع الشياطين ، فهذه في رأيها استدلالات قائمة بطلبها إليها الطمان .



اللهُ لها لبراءةٍ ساحبها ، وصَبَرِها على خلمته . وسببُ يمينه أنه لما قال لها إبليسُ : اسجدى لى ؛ أخبرت أيوبَ بذلك ، فناخه حيث سمعت من إبليس ذلك وظنّت أنه صادق . وقيل ياعت ذوائبها . برغيفين حملهما إليه فتوهم في ذلك ريةً ، وكان أيوب يملق بذوائبها ( إذا أراد القيام ) . وقيل رايه شىء منها فَخَلَفَ ( أن يضربها بعد شفائه ) .

« إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا .. » : والصبرُ ألا تعترضَ على التقدير .

وقال الصبر الوقوف تحت الحكم . ويقال التلذذ بالبلاء ، واستمناؤه دون استصعابه .  
وقال الصبر الوقوف مع الله بحسن الأدب .

ولم يَنْفِ قوله « مسى الضر » اسمَ الصبر عنه ؛ لأنَّ ذلك لم يكن على وجه الشكوى ، ولأنه كان مرة واحدة ، وقد وقف الكثير من الوقت ولم يَقُلْ مَسَى الضَّرُّ ؛ فكان الحكمُ للقلب .

« نعم المبدؤ إنه أبواب » لم يشغله البلاء عن المُنبئ . ونعم المبدؤ لأنه خرج من البلاء على الوجه الذى دخل فيه .

قوله جل ذكره : « واذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ » •

« إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ » •

« أُولَى الْأَيْدَى » : أى القوة<sup>(١)</sup> . « وَالْأَبْصَارِ » أى البصائر .

« إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ » : أى فضيلة خالصة وهى ذكر الجنة والنار ، أو بدعاء الناس إلى الجنة والمهرب من النار . ويقال بسلامة القلب من ذكر الدارين ؛ فلا يكون العمل على ملاحظة جزاء . ويقال تبردوا لنا بقلوبهم عن ذكرى الدار ، « وإلهم عندنا لَمِينَ الْمُصْطَفَيْنِ الْآخِرِ » .

قوله جل ذكره : « واذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِرِ » .

(١) يرى الطبري أن (الأيدى هنا معناها : النعم والإحسان لأنهم قد أحسنوا وقسموا الخير) .

« وَذَا الْكِفْلِ » : قيل كان نَكْفَلَهُ لله بسمل رجل صالح مات في وقته ، وقيل كَفَلَ مائة من بنى إسرائيل هربوا من أمير لم ظالم ، فكان يُنْفِقُ عليهم .  
ويقال كان اليسع وذو الكفل أخوين .

قوله جل ذكره : « هَذَا ذِكْرٌ وَإِن لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكْرٍ » .

أى هذا القرآن فيه ذِكْرٌ ما كان ، وذِكْرُ الأنبياء والتقصص .  
ويقال إنه شرف لك ؛ لأنه معجزة تدل على صِدْقِكَ ، وإن للذين يَتَّقُونَ المَاضِيَ لَحُسْنَ الْمُتَقَلَّبِ .

« جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْصَحَةٍ لِّمُ الْأَبْوَابِ »  
أى إذا جاءوها لا يلصقهم ذُلُّ الحجاب ، ولا كُفَّةُ الاستئذان ، تستقبلهم الملائكة بالترحاب<sup>(١)</sup> والتمجيل . متكئين فيها على أرائكهم ، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب على ما يشتهون ، وعندهم حورٌ عِين فامراتُ الطَّرَفِ عن غير أزواجهن ، « أعراب » : لِدَاتُ مُسْتَوِيَّاتٍ فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ وَالشَّكْلِ .

قوله جل ذكره : « هَذَا وَإِنَّا لِلطَّافِينَ لَشَرٌّ مَّاكِ » .  
كَشَرٌّ تَرْجِعُ وَمُتَقَلَّبٌ ؛ وهى جهنم يدخلونها فيبقون مُعَذِّبِينَ فيها ، وَيُشْرَسُ لِلكَانِ ذَلِكَ أ

« هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ »  
« حَمِيمٌ » : هو لواء الحار ، و « غَسَّاقٌ » هو عصارة أهل النار<sup>(٢)</sup> ، ويقال هو زمهرير جهنم<sup>(٣)</sup> .

(١) هكذا في م وهى في ص (بالإيجاب) ونحن نؤثر (بالترحاب) لتقابل ما يقال لأهل النار أنها به (لأمرحبا بهم)  
(٢) هذا قول محمد بن كعب .  
(٣) هذا قول ابن عباس . وقال عبد الله بن عمرو : هو قبح غليظ نث . وقال قتادة : هو ما يسيل من فروج الزناة ، ومن نث لحوم الكفرة وجلودهم من الصيد والقتل . وقال آخرون إنه يهرق بخره كما يهرق الحمى بخره (القرطبي ١٥٥ ص ٢٢٢) .

« وَآخِرُ مَنْ شَكَلَ أَزْوَاجَهُ »

أى فنون أخرى من مثل ذلك الذناب .

قوله جل ذكره : « هَذَا فَوْجٌ مُقْتَضِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ  
لَهُمْ صَالُوا النَّارَ » .

هؤلاء قومٌ يقتضمون النارَ معكم وهم أتباعكم ، ويقول الأتباع للمتبعين :

لا مرحباً بكم ؛ أنتم قمتموه لنا بأمركم فواقتناكم ، ويقولون :

« رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا

فِي النَّارِ » .

فيقال لهم كلُّكم فيها ، ولن يفتَرَ الذنابُ عنكم .

قوله جل ذكره : « وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ

مِنَ الْأَشْرَارِ » ؟ .

يقول الكفار عندما يدخلون النار : ما لنا لا نرى رجالاً كُنَّا نعدُّهم في الدنيا من الأشرار

والمستضعفين . . فَكُنَّا نَرَاهُمْ هَاهُنَا ؟ أَمْ لَيْسَ وَهَاهُنَا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ أَبْصَارُنَا ؟ بقوله أبو جهل

وأصحابه يبنون بلالاً والمستضعفين ، فيعزّون بأنهم في الفردوس ، فزاد حسرتهم .

( إِنَّ ذَلِكَ سَلْخٌ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ) .

أى إن خاصمة أهل النار في النار سَلْخٌ .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَّا

اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ » رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّزِيقُ الْفَنَّارُ ) .

قل يا محمد : إنما أنا مُنْذِرٌ خَوْفٌ ، مُبَلِّغٌ رسالةَ ربِّي ، وما مِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي

لا شريك له .

« قُلْ هُوَ رَبُّنَا عَظِيمٌ » أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ

ما كان لي من عِلْمٍ بالملأ الأعلى إذ  
يُختصِمون \* إن يوحى إليّ إلا أنا أنا  
نذير مبين » .

أى الذى أتيتكم به من الأخبار عن القيامة والحشر ، والجنة والنار ، وما أخبركم  
به عن نبوتى وصِدْقى هو نبأ عظيم ، وأتم أعرضتم عنه .

وما كان لي من عِلْمٍ بالملأ الأعلى واختصامهم فيه لولا أن الله عرفنى ، وإلا ما كنتُ  
عَلِمْتُهُ . والملأ الأعلى قومٌ من الملائكة فى السماء العليا ، واختصامهم كان فى شأن آدم حيث  
قالوا : أئجل فيها من يقسد فيها ؟

وقد ورد فى الخبر : « أن جبريل سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا الاختصام  
فقال : لا أدرى . فقال جبريل : فى الكفارات والدرجات ؛ فالكفارات إسباغُ الوضوء  
فى السُّبُرَات <sup>(١)</sup> ، ونَقْلُ الأقدام إلى الجماعات ، وأما الدرجات فإفشاء السلام ، وإطعامُ الطعام ،  
والصلاة بالليل والناس نيام <sup>(٢)</sup> » . وإنما اختلفوا فى بيان الأجر وكية الفضيلة فيها — فيجتهدون  
ويقولون إن هذا أفضل من هذا ، ولكنهم فى الأصل لا يجحدون .

.. وهذا إنما يوحى إليّ وأنا منذر مبين .

قوله جل ذكره : « إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ

بَشَرًا من طين »

إخباره للملائكة بذلك إنما يدلُّ على تفخيم شأن آدم ؛ لأنه خلق ما خلق من الكونين <sup>(٣)</sup> ،

(١) السُّبُرَات جمع سُبْرَة يسكون الباء ، وهى القدادة الباردة .

(٢) روى الخبر أبو الأئيب عن الحسن هكذا : « سألتُ ربي فقال : يا محمد ، فمِ اختصم الملأ الأعلى ؟  
قلت فى الكفارات والدرجات ، قال : ما الكفارات ؟ قلت :

الذى على الأقدام إلى الجماعات .... » أخرجه الترمذى بمعناه عن ابن عباس ، وقال فيه حديث غريب . وعن  
معاذ بن جبل أيضاً وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) هكذا فى م روى فى ص (المكذبين) وهى خطأ فى السسخ كما هو واضح .

والجنة والنار ، والعرش والكرسى ، والملائكة ، ولم يقل في صفة شيء منها ما قال في صفة آدم وأولاده . ولم يأمر بالسجود لأحدٍ ولا شيء إلا لآدم ، وسبحان الله ! خلقَ أعزَّ خلقه من أدلَّ شيءٍ وأخشَه وهو التراب والطين .

« فَلِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوْحِي  
فَقُولُوا لَهُ سَاجِدِينَ » .

روحُ آدم — وإن كانت مخلوقة — فلها شَرَفٌ على الأرواح لإفرادها بالذكر ، فلما سوى خلق آدم ، وَرَكَّبَ فيه الروح جِلَّاهُ بأنوار التخصيص ، فوَقَّعَتْ هيئته على الملائكة ، فسجدوا لأمره ، وظهرتْ لإبليس شقاوته ، ووقع — بامتناعه — في اللعة .

« قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ  
لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ أَتَسْكُبُرْتَهُ أَمْ  
كُنْتَ مِنَ الْمَالِينَ » قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ  
خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ » .

من هنا وقع في النلط ؛ تَوَكَّمُ أَنَّ التفضيل من حيث البنية والجوهرية ، ولم يعلم أن التفضيل من حيث القسمة دون الخلق .

ويقال ما أودع الله — سبحانه — عند آدم لم يوجد عند غيره ، ففيه ظهرت الخصوصية .

قوله جل ذكره : « قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ  
وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ » .

قال فاخرج من الجنة ، ومن الصورة التي كنت فيها ، ومن الحالة التي كنت عليها ، « فَإِنَّكَ رَجِيمٌ » مَرِيئٌ بِاللَّعْنِ مَنِي ، وبالشَّهْبِ من السماء ، وبالجُرمِ من قلوب الأولياء  
إِنْ تَعَرَّضْتَ لَهُمْ .

قوله جل ذكره : « قال رب أنظرني إلى يوم

يُبعثون » قال فإنك من المنظرين \*

إلى يوم الوقت للموعود .

من كمال شقاوته أنه جرى على لسانه <sup>(١)</sup> ، وتملقت إرادته بسؤال إنظاره ، فازداد إلى  
القيامة في سبب عقوبته ، فَأَنْظَرَهُ اللهُ ، وأجابهُ ، لأنه بلسانه سأل تمام شقاوته .

« قال فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمِينَ \*

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ » .

ولو عَرَفَ عِزَّتَهُ لَمَا أَقْسَمَ بِهَا عَلَى مَخَافَتِهِ .

ويقال تَجَاوَزَهُ فِي مَخَاطِبَةِ الْحَقِّ — حيث أَصَرَ عَلَى الْخِلَافِ وَأَقْسَمَ عَلَيْهِ — أَقْبَحُ وَأَوْلَى  
في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود لآدم <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « قال فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ \*

لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَتَّبِعُ

مِنْهُمْ أَجْمِينَ » .

وختم اللهُ سبحانه السورة بخطابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم :

« قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » \* إِنَّهُ هُوَ

---

(١) في هذه الإشارة دقة تحتاج إلى تأمل ، يقول القشيري « جرى على لسانه » تعيد أن مسألة إبليس ترجع إلى  
مشيئة عليا ، وإن كان ظاهر اللفظ أنه بلسانه اعتبار طريقه ، وإيراده منى إلى إنظاره .

وهكذا يميز القشيري بين يحاولون نسبة الحرية للإنسان — مع أن الحرية وبال وتكال .  
ويذكرنا هذا الموقف بقوله ابن عربى فى (شجرة الكون) عند شرح «كن فيكون» أن فى «كن» كل شيء ؛

فى الكاف كمال الدين والكفر ، وفى النون النعمة والفتنة ... فانه خالق كل شيء . حين خاطب الكون : « كن »

(٢) فى هذه الإشارة لفظة إلى مقصد بعيد : أن الوقوع فى الذنب أمر قبيح ولكن الإصرار على الذنب أقبح .  
ومذا حبس المصاح على الإقلاص عن المصاح ، وعدم اليأس من رحمة الله . وتطالعنا مسألة القشيري فى هذا الخصوص  
فى مواضع مختلفة من هذا الكتاب ، وكذلك أنظر باب «التوبة» فى الرسالة .

إِلَّا ذِكْرُ الْعَالَمِينَ \* وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ  
بَعْدَ حِينٍ .

ما جئكم من حيث أنا<sup>(١)</sup> ، ولا باختيارى ، وإنما أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ .

« إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » يعنى القرآن ، عظة لكم .

« وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ » وَعُلِّمَ صِدْقُهُ بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّتْ شَرِيعَتُهُ ، فَإِنْ مِثْلَ ذَلِكَ  
إِذَا كَانَ بَاطِلًا لَا يَلُومُ<sup>(٢)</sup> .

---

(١) أَيْ مِنْ طَرَفِ أَوْ مِنْ جِهَتِي .

(٢) أَيْ أَنْ دَوَامَ الشَّرِيعَةِ وَغُلُوقِهَا بَيْنَ آيَاتِ صِدْقِهَا وَصِدْقِهَا .

## سورة الزمر

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

بسم الله كلمة سماعها يوجب للقلوب شفاءها ، وللأرواح ضيائها ، وللأسمار سناءها وعلاؤها .

كلمة مَنْ سَمِعَهَا يَسْمَعُ العلم ازداد بصيرةً على بصيرة ، ثم بلطائف من التتريف غير محصورة .  
وَمَنْ سَمِعَهَا يَسْمَعُ التَّوَجُّدِ غَلَّتْ أَلْبَابُهُ مَبْهُورَةً ، وَأَسْرَارُهُ بَقَرِ الْكُشُوفَاتِ مَفْشُورَةً .

قوله جل ذكره : « نَزَّلُ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ » .

أى هذا كتابُ عَزِزٌ نَزَلَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ عَلَى عَبْدٍ عَزِيزٍ بِلِسَانِ مَلَكٍ عَزِيزٍ فِي شَأْنِ أَمْرٍ عَزِيزَةٍ بِأَمْرِ عَزِيزٍ . وفى ورود الرسول به من الحبيب الأول نزهةً لقلوب الأحباب بعد ذبول غصن سرورها ، وإرتياحٌ عند قراءة فصولها .

وكتابُ موسى فى الألواح التى كان منها يقرأ موسى ، وكتابُ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ . . وَقَصَلْ بَيْنَ مَنْ يَكُونُ كِتَابُ رَبِّهِ مَكْتُوبًا فِى الْأَوَاخِرِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَكُونُ خُطْبُ رَبِّهِ مَحْفُوظًا فِى قَلْبِهِ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ ، قَالَ تَمَالَى :  
« بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنَتُ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ <sup>(١)</sup> » .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ » .

أى أنزلناه عليك القرآن بالدين الحق والشرع الحق ، وأنا مُحِقٌّ فِى إِتْزَالِهِ .

(١) آية ٤٩ سورة المتكيت .



والعبادة الخالصة معافة الأمر على غاية الخشوع . وتكون بالنفس والقلب والروح ؛ فالتقى بالنفس فالإخلاص فيها التباعد عن الانتعاص ، والتي بالقلب فالإخلاص فيها المعى عن رؤية الأشخاص ، والتي بالروح فالإخلاص فيها التقى عن طلب الاختصاص <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « أَلَا اللَّهُ الَّذِينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » .

الذين الخالص ما تكون جعلته الله ؛ فاللصبة فيه نصيب فهو من الإخلاص بيبه ، اللهم أن يكون بأمره ؛ فإنه إذا أمر العبد أن يحسب الأجر على طاعته فإطاعته لا تخرجه عن الإخلاص باحتسابه ما أمره به ، ولولا هذا لما صح أن يكون في العالم مُخلص .

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ . . . » أى الذين عبدوا الأصنام قالوا : « ما نعبدهم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » ، ولم يقولوا هذا من قبل الله ولا بأمره ولا بإذنه ، وإنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم ، فَرَدَّ اللَّهُ عليهم . وفي هذا إشارة إلى أن ما يفعله العبد من القرب بشايط نفسه من غير أن يقتضيه حكمُ الوقت ، وما يفقد بينه وبين الله من عقوق لم لا يسي بها . . . فكل ذلك انبعاث هووى ، قال تعالى : « وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا <sup>(٢)</sup> » .

قوله جل ذكره : « إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ » .

لا تهديهم اليوم لدينه ، ولا فى الآخرة إلى ثوابه . والإشارة فيه إلى تهديد من يعرض لغير مقامه ، ويدعى شيئا ليس بصادق فيه ، فأنه لا يهديه قط إلى ما فيه سدادُهُ ورشدُهُ . وعقوبته أن يحرمه ذلك الشيء الذى تصدى له بدعواه قبل تحقُّقه بوجوده ودَوِّهِ .

(١) تصلح هذه الفقرة لتوضيح درجات العبادة ودرجات الإخلاص ، والآيات التى تعلق كل درجة منها ، وكيفية التقى عن هذه الآيات - ومعنى آخر فإنها تهتمنا عندما نبحث أصول ما أطلقنا عليه : علم النفس الصوري .  
(٢) آية ٢٧ سورة الحديد .

قوله جل ذكره : « لو أراد الله أن يَخِذَ وَلَهُ لَا مِطْقَ

يَمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ

الوَاحِدُ الْقَهَّارُ » .

خاطبتهم على قَدَرِ عقولهم وعقائدهم حيث قالوا : للشيخ ابن الله ، وعَزَّيْزُ وَلَدِ اللَّهِ ؛ فقال :  
لو أراد أن يَخِذَ وَلَهُ لَتَبَيَّنَ الكرامة لاختفَارَ من الللائكة الذين هم مُنَزَّهون عن الأكل  
والشرب وأوصاف الخلق .

ثم أخبر عن قَدَسِهِ عن ذلك فقال : « سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الواحد القهار » تنزيهاً له عن اتخاذ  
الأولاد . . . لافي الحقيقة لاستعالة معناه في نَعْتِهِ ، ولا بالتبني لتَقَدُّسِهِ عن الجنسية والحالات ،  
ولأنما يذكر ذلك على جهة استبعاد ؛ إذ لو كان ذلك فكيف كان يكون حُكْمُهُ ؟ كقوله  
تعالى : « لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا<sup>(١)</sup> » .

قوله جل ذكره : « خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ » .

أَي خَلَقَهُمَا وَهُوَ مُحِيقٌ فِي خَلْقِهِمَا .

« يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ

النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى » .

يُدْخِلُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ، ويدخل النهار على الليل في الزيادة والنقصان ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ . وقد مضى فيما تقدم اختلافُ أحوالِ العبد في القبض والبسط ، والجمع والفرق ،  
والأخذ والرد ، والصحو والشكر ، ونجوم العقل وأفار العلم ، وشمس المعرفة ونهار  
التوحيد ، وليالي الشكِّ والبُحْدِ ونهار الوصل ، وليالي الهجر والفرار وكيفية اختلافها ، وزيادتها  
ونقصانها .

« أَلَا هُوَ الرَّزَّازُ » .

« الرز » للتمزُّز على الحيين ، « الرزاز » للمذنبين .

---

(١) آية ٢٢ سورة الأنبياء .

قوله جل ذكره: «خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ  
مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَامِ  
ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ، يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ  
أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَدَنِ خَلْقٍ فِي ظِلَالٍ  
ثَلَاثٍ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْفُتُكُ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا نَفْسَ رَفْعُونَ» .

« من نفس واحدة وخلق منها زوجها » يعنى آدم وحواء .  
« وأنزل لكم من الأنثام » أى خلق لكم ، « ثمانية أزواج » فن الإبل اثنين ، ومن  
البقر اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن اللواشى اثنين .  
« يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بد خلق » : أى بصوركم ، ويؤكِّب أحوالكم .  
« في ظلمات ثلاث » : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة للشيعة<sup>(١)</sup> . ذَكَرْتُمْ نَسَبَهُمْ  
لثَلَاثٍ يُضَعِّبُونَهَا بِأَحْوَالِهِمْ .

ويقال بَيْنَ آثَارِ أَصَالِهِ الْحَكِيمَةِ فِي كَيْفِيَةِ خَلْقَتِكِ — مِنْ قَطْرَتَيْنِ — أَمْشَاجًا مَقْشَاكَةَ  
الْأَجْزَاءِ ، مَخْطَفَةً الصُّوَرِ فِي الْأَعْضَاءِ ، سَفَّرَ بَعْضَهَا تَحَالً لِّلصِّفَاتِ الْحَيَّةِ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ  
وَالْحَيَاةِ . . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْقُلُوبِ ، وَسَفَّرَ بَعْضَهَا تَحَالً لِلْحَوَاسِّ كَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ  
وَالشَّمِّ وَغَيْرِهَا .

ويقال هذه كلها نِمَتْ أَنْهَمُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْنَا فَذَكَرْنَا بِهَا — وَالنَّفُوسُ مُجْبُوتَةٌ ، وَكَذَلِكَ  
الْقُلُوبُ عَلَى حُبٍّ مِّنْ أَحْسَنِ إِلَيَّهَا — اسْتِجْلَابًا لِّحُبَّتِنَا لَهُ .

« ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ . . . »<sup>(٢)</sup> أى إِنْ إِلَى أَحْسَنِ إِلَيْكُمْ بِمَجِيعِ هَذِهِ الْوُجُوهِ هُوَ رَبُّكُمْ .

(١) هكلا في م وهي الصواب أما في ص فهي (البهيمة)

والثلاث الثلاث التي أوردتها للتشبيح هل هذا النسر قالها ابن عباس وحكمة ومجاهد وقنادة والقضاح .

وقال أبو حنيفة : ظلمة صلب الرجل ، وظلمة بطن المرأة ، وظلمة الرحم (القرطبي ج ١٥ ص ٢٣٦) .

(٢) يبدو أن التشبيح منذ هذه اللحظة وحتى الآية التكرية التالية انتهت حالة من حالات الذاكرة ، فجاءت

كلماته أشبه بالتسبيح والتحميد .

أى : أنا خلقكم وأنا رزقكم وأنا صورّكم فأحسن صوّرَكُمْ ، وأنا الذى أَسْبَغْتُ عليكم  
 إنايبى ، وخصّيتكم بحملى إكرامى ، وأغرقكم فى بحار أفضالى ، وعرفكم استحقاق جلالى  
 وجلالى ، وهديته إلى توحيدى ، وألزمتكم رعاية حدودى ... فالكم لا تنقطعون بالسكينة  
 إلى ؟ ولا - جون ما وعدتكم لى ؟ وما لكم فى الوقت بقلوبكم لا تنظرون إلى ؟

قوله جل ذكره : « إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفَى عَنْكُمْ  
 وَلَا يَرْجُوا لِعِبَادِهِ الْكَفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا  
 يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ  
 أُخْرَى » .

لأن أَرْضْتُمْ وَأَبَيْتُمْ ، وفى جحودكم تماديتم . . . فَمَا تَتَّقِرُ إِلَيْكُمْ ؛ إذ نحن أغنياء عنكم ،  
 ولكنى لا أَرْضى لكم أَنْ تَبْعُوا عَنِى ا

يا مسكين ... أنت إن لم تكن لى فأنا عنك غنى\* ، وأنا إن لم أكن لك فمن نكون  
 أنت ؟ ومن يكون لك ؟ من الذى يُحْسِنُ إِلَيْكَ ؟ من الذى ينظر إليك ؟ من الذى يرحمك ؟  
 من الذى ينثر التراب على جراحك ؟

من الذى يهتم بشأنك ؟ بمن نلو إذا بَقِيَتْ عَنى ؟ من الذى يبيمك رغيفاً بمناقيل  
 ذهب ؟ ١ .

عَبْدى .. أنا لا أَرْضى ألا تكون لى وأنت ترضى ألا تكون لى ! يا قليل الوفاء ،  
 يا كثير التبعي !

إِنْ أَعْلَمْتَنِ شَكَرْتُكَ ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِ ذَكَرْتُكَ ، وَإِنْ خَطَوْتَ لِأَجْلِ خَطْوَةٍ مَلَأْتَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مِنْ شُكْرِكَ :

لَوْ عَلِمْنَا أَنَّ الزَّيَادَةَ حَقٌّ لَفَرَشْنَا الْخُلُودَ أَرْضًا لَتَرْضَى

قوله جل ذكره : « وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ  
مُنِيًّا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ  
مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ  
لَهُ آتِدَادًا » .

إِذَا مَسَّ ضُرٌّ خَشَعَ وَخَضَعَ ، وَإِلَى قُرْبِهِ فَزَعَ ، وَتَمَلَّقَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَضَرَّعَ . فَلِذَا أزال عنه  
ضُرَّهُ ، وَكفاه أَمْرَهُ ، وَأَصْلَحَ شَقْلَهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ، وَجَعَلَ اللَّهُ آتِدَادًا ، فِيمُودَ  
إِلَى رَأْسِ كُفْرَانِهِ ، وَبَيْنَهُمْ فِي كِبَائِرِ عَصِيَاةٍ ، وَيُشْرِكُ بِمُعبُودِهِ . هَذِهِ صِفَتُهُ . . . فَسُحْقًا لَهُ  
وَبُعْدًا ، وَلَسَوْفَ يَلْقَى عَذَابًا وَخِزْيَانًا .

قوله جل ذكره : « أَمِنْ هُوَ فَإِنْ أَتَاهُ اللَّيْلُ سَاجِدًا  
وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً  
رَبِّهِ <sup>(١)</sup> » .

« فَإِنَّمَا » : الْقَنُوتُ هُوَ التَّيَامُّ ، وَقِيلَ طُولُ الْقِيَامِ . وَلِلرَّادِّ هُوَ الَّذِي يَقُومُ بِمَحْذُوفِ الطَّاعَةِ  
أَوْقَاتَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، أَيْ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ .  
وَالْهَمِزَةُ لِلِاسْتِغْنَاءِ أَيْ أَمِنْ هُوَ فَإِنْ كُنْ لَيْسَ بِقَائِمٍ ؟ أَمِنْ هُوَ فَإِنْ كَانَتْ كَالْكُفْرِ الَّذِي  
جَرَى ذِكْرُهُ ؟ أَيْ لَيْسَ كَذَلِكَ .

وَيُقَالُ الْقَنُوتُ التَّيَامُّ بِأَدَابِ الْخِدْمَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ وَلَا تَجَسُّبٍ . « يَحْذَرُ »  
الْعَذَابَ الْمَوْعُودَ فِي الْآخِرَةِ ، « وَيَرْجُو » الثَّوَابَ لِلْوَعْدِ . وَأَرَادَ بِالْحَذَرِ الْخَوْفَ .

« قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ  
لَا يَمْلِكُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو  
الْأَلْبَابِ » .

(١) قَالَ ابْنُ حِبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ عَطَاءَ : نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .  
وَقَالَ ابْنُ عَسَى : نَزَلَتْ فِي مَكَّانٍ بَيْنَ حُفَانٍ .  
وَقَالَ مَقَاتِلُ : نَزَلَتْ فِي جَارِ بْنِ يَاسِرٍ .

(أسباب النزول للواحدي ص ٢٤٧)

أى هل يتويان ؟ هذا فى أعلى الفضائل وهذا فى سوء الرذائل ا « الذين يملون » : الِئْمُ فى وصف الخلق على ضربين : محبوبٌ مُكْتَسَبٌ للعبد ، وموهُوبٌ من قِبَلِ الربِّ . ويقال مصنوع وموضوع . ويقال علمٌ برهانٍ وعلمٌ بيان ؛ فالعلوم الدينية كلها برهانية إلّا ما يحصل بشرط الإلهام .

قوله جل ذكره : « قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

أطيعوه واحذروا مخالفة أمره . « الذين أحسنوا فى هذه الدنيا » بأداء الطاعات ، (والإحسان هو الإتيان بجميع وجوه الإمكان) <sup>(١)</sup> .

« وأرض الله واسعة » : أى لا تتكَلَّفُوا بأذى الأعداء ؛ إِنْ نَبَّ بِكُمْ مَنْزِلُ فَتَكَلَّمْ بِمَادَّةِ قَوْمٍ وَمِنْهُمْ إِيَّاكُمْ — لَا يَسْمَعُ ، فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ، فَخَرُجُوا مِنْهَا إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ تَمَّ لَكُمْ فِيهِ عِبَادَتُكُمْ <sup>(٢)</sup> .

« إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » . والصبر حُسْنُ النَّفْسِ عَلَى مَا تَكْرَهُهُ . ويقال هو تجرُّعُ كاسات التقدير من غير استكراهٍ ولا تقييس .  
ويقال هو التَهْدُفُ <sup>(٣)</sup> لسهام البلاء .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ » .

(١) تأخر ما بين قوسين فجاء به (السهم البلاء) فوضعتاه فى هذا المكان لأنه يوضح المقصود بتوضيح « أحسنوا » .

(٢) يقول القشيري فى إحدى وصايا المريدين حاكماً هل السفر : « إن ابتل مرید بجاه أو مملوم أو صعبة حدث أو ميل إلى امرأة أو استقامة إلى مملوم وليس هناك شيخ يذله على ما به يتخلص من ذلك فنته ذلك حل له السفر وتحتول من ذلك الموضع ليشوش حل نفسه تلك الحالة (الرسالة ص ٢٠٢) » .  
(٣) التَهْدُفُ = اللغو والاستقبال .

معنى القول في معنى الإخلاص . وفي الخبر : إن الله يقول : « الإخلاص سرٌّ بين الله وعبيده »<sup>(١)</sup> .

ويقال الإخلاصُ لا يُفِيدُهُ الشيطان ، ولا يَطْلُعُ عَلَيْهِ التَّلْكَانُ .

« أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ .. » أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ السَّالِكِينَ فِي وَقْتِهِ وَفِي شَرَعِهِ . وَالْإِسْلَامُ الْأَقْيَدُ اللَّهُ بِكُلِّ وَجْهِ .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » .

أَخَافُ أَسْوَافَ الْعَذَابِ الَّتِي تَحْصُلُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

قوله جل ذكره : « قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي »  
 فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنِّي  
 الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ  
 الْبَيِّنُ » .

هَذَا غَايَةُ الزَّجْرِ وَالْتَهْدِيدِ ، ثُمَّ يَبَيِّنُ أَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ الْخُسْرَانِ ، وَهُوَ الْخُرْبَى وَالْهَوَانُ . وَالْخَاسِرُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — مَنْ خَسِرَ دِينَهُ بِمُتَابَعَةِ الْهَوَى ، وَخَسِرَ عَقْبَهُ بِارْتِكَابِهِ مَا أَرَبَهُ عَنْهُ نَهْيٌ ، وَخَسِرَ مَوْلَاهُ قَلَمٌ يَسْتَجِبُ مِنْهُ فِيهَا رَأْيٌ .

قوله جل ذكره : « لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ فَاصْبِرْ لِقَاءِ رَبِّكَ » .

أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ؛ فَهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا ، وَلَا يَقْرَأُونَ عَنْهَا . كَمَا أَنَّهُمْ الْيَوْمَ فِي جَهَنَّمَ

(١) أَمَّا التَّنْبِيْهُ فِي صِلَةِ جَمَلِهَا (مَرْتَبَاتِهَا) وَالْإِسْوَابِ هِيَ (سِرٌّ) ، وَكَهْ وَرَدَ الْخَبَرُ فِي الْمُرْسَلَةِ مَكَذَا :  
 أَخْبَرَ النَّبِيَّ (ص) عَنْ جِبْرِيلَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَنَّهُ قَالَ : « الْإِخْلَاصُ سِرٌّ مِنْ سِرِّي لَمْ تُفْشِرْهُ قَلْبٌ مِنْ أَحِبَّتِهِ مِنْ عِبَادِي »  
 (المرآة ص ١٠٤) .

عقائدهم ؛ يستديم حجابهم ، ولا يتطلع عنهم عقابهم <sup>(١)</sup> .

« ذلك يخوف الله به عباده ... » إن خفت اليوم كُفيت خوف ذلك اليوم وإلا فبين يديك عقبة كؤود .

قوله جل ذكره : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن

يسلبوها <sup>(٢)</sup> » وأنابوا إلى الله لهم البشري »

طاغوت كل إنسان نفسه ؛ وإنما يختبئ الطاغوت من خالف هواه ، وعائق رضامولاه .  
وعبادَةُ النفس بموافقة الهوى — وقليل من لا يبد هواه ، ويختبئ حديث النفس .

« وأنابوا إلى الله » : أي رجعوا إليه في كل شيء .

قوله جل ذكره : « فَبَشِّرْ عِبَادِ <sup>(٣)</sup> » الذين يسمعون

القولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ

هداهم الله وأُولَئِكَ هم أُولُوا الْأَلْبَابِ » .

« يسمعون القول » يقتضى أن يكون الاستماع لكل شيء ، ولكن الاتباع يكون للأحسن . « أحسنه » : وفيه قولان ؛ أحدهما أن يكون بمعنى الحسن ولا تكون المعززة للمبالغة ، كما يقال ملك أعز أى عزيز . والثاني : الأحسن على المبالغة ، والحسن ما كان مأذوناً فيه في صفة الخلق ويعلم ذلك بشهادة العلم <sup>(٤)</sup> ، والأحسن هو الأولى والأصوب . ويقال الأحسن ما كان لله دون غيره ، ويقال الأحسن هو ذكر الله خالصاً له . ويقال من عرف الله لا يسمع إلا بالله .

---

(١) إن استلذه الحب على قلب الصوفى يحمله ينظر إلى العقوبة في الآخرة على أنها أقل تمديداً إذا قُيست بطابع المبرر والتأني ، أو على حد تعبيرهم جهنم الاحتراق أعف من جهنم القراق . . . ولم في ذلك أقوال جريئة كثيرة ( انظر كتابنا : نشأة التصوف الإسلامي ط دار المصايف ص ٢٤٨ ) .

(٢) قال ابن زيد : نزلت هذه الآية في ثلاثة أنفار كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله ، وهم زيد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي (القرطبي ص ٢٤٧) .

(٣) نزلت في حبان وعبد الرحمن بن عوف وطليحة وسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكان اسمهم لأب بكر وهو يخبرهم بإيمانه- (القرطبي ص ٢٤٧، ٢٤٨) .

(٤) استخدم القشيري هذا المفهوم في تأييد وترخيص السماع بالمعنى الصوفى (الرسالة ص ١٦٦) .



وقال إن لعبد دواعي من باطنه هي هواجس النفس ووساوس الشيطان وخواطر التلک وخطب الحق يلتقى في الروع ؛ فوساوس الشيطان تدعو إلى المعاصي ، وهواجس النفس تدعو إلى ثبوت الأشياء من النفس وأن لها في شيء نصيباً ، وخواطر التلک تدعو إلى الطاعات والتقرب ، وخطب الحق في حقائق التوحيد .

« أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب » : —

أولئك الذين هداهم الله لتوحيده ، وأولئك الذين عقولهم غير معقولة<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كُفُّ الْمَنَافِ أَفَأَنْتَ

تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ؟ »

الذين حَقَّ عليهم كُفُّ المنافير فريقتان : فريق حَقَّ عليهم كُفُّ بمنابهم في النار ، وفريق حَقَّ عليهم كُفُّ المناب بالحجب اليوم ، فهم اليوم لا يخرجون عن حجاب قلوبهم ، ولا يكون لهم بهذه الطريقة إيمان — وإن كانوا من أهل الإيمان<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا رَبَّهُمْ لَمْ يُعْرِفُوا مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ

الوعد » .

وَعَدَ الْمُطْمِئِنِّ بِالْجَنَّةِ — ولا محالة لا يَخْلِفُ ، وَعَدَ التَّائِبِينَ بِالْغُفْرَةِ —

ولا محالة يغفر لهم ، وَعَدَ لِلرَّائِدِينَ بِالْوُجُودِ وَالْوَصُولِ — ولنا لم تقع لهم فترة فلا محالة مُصَدِّقٌ وَعَدَهُ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

(١) (عقولهم غير معقولة) أي غير حسيمة أو بمنزلة من الإدراك وتصحيح الإيمان ، فهذه هي المهمة الأساسية العقل في نظر المصنف — كما نوهنا بذلك . وربما كانت في الأصل (معقولة) فيها أيضاً يستقيم المعنى .

(٢) نعلم أن كثيرين في أوساط أهل السنة يمارضون العديد من مسائل التصوف ، ومن أنشأهم أين تبعه وابن الجوزي .

فَسَكَّهَ بِتَابِعٍ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ  
زَرْعًا خَفِيفًا أَوَانُهُ ثُمَّ يَبْجِعُ قَتَرَهُ مُصْتَرًّا  
ثُمَّ يَحْصِلُهُ حُلَامًا إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِي  
لِأُولَى الْأَلْبَابِ .

أخبر أنه يُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ لِلطَّرَفِ فَيُخْرِجُ بِهِ الزَّرْعَ فَيُخَضَّرُ ، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الْجَفَافِ ، ثُمَّ يَصِيرُ  
هَشِيئًا . . . . . وَالْإِشَارَةُ مِنْ هَذَا إِلَى الْإِنْسَانِ ، يَكُونُ طِفْلًا ثُمَّ شَابًا ثُمَّ كِهْلًا ثُمَّ شَيْخًا ثُمَّ يَصِيرُ  
إِلَى أَرْذَلِ الْعَرِثِ فِي آخِرِهِ يَحْتَرَمُ .

وَيَقَالُ إِنْ الزَّرْعَ مَالَمْ يَأْخُذْ فِي الْجَفَافِ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ الْحَبُّ ، فَالْحَبُّ هُوَ الْقَتَوْدُ مِنْهُ . .  
كَذَلِكَ الْإِنْسَانُ مَالَمْ يَحْصِلْ مِنْ تَقِيهِ وَصَوْلٍ لَا يَكُونُ لَهُ قَدَرٌ وَلَا قِيَمَةٌ .

وَيَقَالُ إِنْ كَوْنٌ لِلزَّوْمِ بِقُوَّةِ عَقْلِهِ يَوْجِبُ اسْتِفَادَةً لَهُ بِلَهِّهِ إِلَى أَنْ يَبْدُوَ مِنْهُ كَهْلٌ يُمْكِنُ  
مِنْ أَنْوَارِ بَصِيرَتِهِ ، ثُمَّ إِذَا بَدَتْ لِأَمْعَةٍ مِنْ سُلْطَانِ الْمَعَارِفِ تَصِيرُ تِلْكَ الْأَنْوَارُ مَنْشُورَةً . فَلِذَا  
بَدَتْ أَنْوَارُ التَّوْحِيدِ اسْتَهْلَكَتْ تِلْكَ الْجِلَّةُ ، قَالُوا :

فَلَمَّا اسْتَبَانَ الصَّبْحُ أَدْرَجَ <sup>(١)</sup> ضَوْدَهُ

بِأَنْوَارِهِ أَنْوَارَ تِلْكَ السَّكْوَاكِبِ

قوله جل ذكره : « أَقْنِ شَرَحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّاصِيَةِ

قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالِيْعَيْنِ » .

جوابُ هَذَا الْخَطَابِ عَذُوفٌ ... أَيْ أَقْنِ شَرَحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ كَيْفَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ سُبُلِ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عَنِ الشَّرْحِ الْمَذْكُورِ فِيهَا ،  
قَالَ : « ذَلِكَ نُورٌ يَهْدِي فِي الْقَلْبِ ، قَبِيلٌ : وَهَلْ تِلْكَ أَمَارَةٌ ؟

(١) أَدْرَجَ الْقَوْمُ أَيْ أَمَاتَهُ (الْوَسِيطُ) . وَلِلْقَتَوْدِ أَنَّ أَنْوَارَ مَصَابِيحِ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِيَةِ تَتَلَاوَى وَتَقْفَى عَنْهُ  
سَطْرُ شَمْسِ الْحَقِيقَةِ . وَتَدُورُ فِي ص ٤٢ مِنَ الرِّسَالَةِ (أَدْرَكَ) وَالصَّرَابُ فِي نَظَرِنَا (أَدْرَجَ) .

قال : نم ؛ التجاني عن دار النور والإجابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للوثة قبل نزوله<sup>(١)</sup> .

وللنور الذي من قبله - سبحانه - نورُ ألوانٍ بنجوم العلم ، ثم نورُ القوامع بيان النعم ، ثم نورُ المحاضرة بزوائد اليقين ، ثم نورُ للكشفة بتجلى الصفات ، ثم نورُ للمشاهدة بظهور الذات ، ثم أنوار الصمدية بمخاض التوحيد . . وعند ذلك فلا وجد ولا قد<sup>(٢)</sup> ، ولا قرب<sup>(٣)</sup> ولا بُعد . . . كلاً بل هو الله الواحد القهار<sup>(٤)</sup> .

« فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين »<sup>(٥)</sup> : أى الصلبة قلوبهم ، لم تفرعها خواطر التعريف فبقيت على نكرة الجحد . . أولئك في الضلالة الباقية ، والجهالة الناعمة . .

قوله جل ذكره : « الله تَزَلَّ أَحْسَنَ الحديث<sup>(٦)</sup>

كتاباً مثابها مثافى قشعر منه جلود

الذين يَحْسُونُ دِيَمَهُمْ ثُمَّ ثَلَيْنِ جُلُودَهُمْ

وَقَلُّوْهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ مُهْدَى اللَّهِ

(١) أورد الفزاري هذا الخبر في مثله ، وشرح مهمة هذا النور بأنه الذي يُطْلَب منه الكشف ، وأنه ينحس من النور الإلهي (المنقذ من الضلال في القلعة ص ٢٥٥) .

(٢) هكذا في م وهي في ض (ضد) بالصاد وهي غلط في النسخ ، فالوجد يقابله الفقد .

(٣) في ص (ولا فرق) والصواب أن تكون (ولا قرب) لتقابل (ولا بُعد) لأنه لو قال (ولا فرق) لكان قد قال (ولا جمع) مع أن الموقف هنا موقف (جمع) .. والمقصود إعطاء تغليات التلويح ، والوصول إلى مرتبة التبيين ، أى الوصول إلى حال (جمع الجمع) .

(٤) تفيد هذه الفقرة في فهم كثير من المصطلحات ، وهذه أول مرة تصادف للتشبيير عبارة (يظهر الذات) لأنه في مواضع كثيرة يلح على أن المشاهدة (الصفات كالجبال أو الجبل أو ... الخ) أما (الذات) فقد جلست الصمدية - كما يقول - من أن يستشرف منها مخلوق .

(٥) نزلت في أبي لب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله . (الرواسي ص ٢٤٨) واختار القليوبي القول بأن (مين) في الآية بمعنى (من) أى قست قلوبهم عن ذكر الله .

(٦) قال سيد بن أبي وقاص : قال أصحاب رسول الله (ص) : لو سمعنا . . فأنزل الله من وجل و الله تَزَلَّ أَحْسَنَ الحديث « فقالوا : لو قصصت علينا .. فنزل ونحن نقص عليك أحسن القصص »

يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ  
فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

« أحسن الحديث » لأنه غير مخلوق<sup>(١)</sup>

« كتاباً متشابهاً » في الإعجاز والبلاغة .

« مثاني » : يثنى فيها الحكم ولا يُعْلَجُ بـ تكرار القراءة ، ويشتمل على نوعين :

الثناء عليه بذكر سلطانه وإحسانه ، وصفات الجنة والنار والوعد والوعيد .

« تشمر منه جلود الذين يخشون ربهم » إذا سمعوا آيات الوعيد .

« ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله » إذا سمعوا آيات الوعد .

وقال : تشمر وتلين بانخوف والرجاء ، ويقال بالقبض والبسط ، ويقال بالهيبه والأنس ،

ويقال بالتجلى والاستتار<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « أَفَنُ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سَوَاءَ الْمِذَابِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ

تَكْسِبُونَ » .

أى فَنُ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سَوَاءَ الْمِذَابِ كَتَنَ لَيْسَ كَذَلِكَ ؟ وَقِيلَ إِنَّ الْكَافِرَ يَلْقَى

النَّارَ أَوَّلَ مَا يَلْقَاهَا بِوَجْهِهِ ؛ لِأَنَّهُ يُرْمَى فِيهَا مَتَكُوسًا . فَأَبَا لِلزُّمَنِ فَيُوقَى ذَلِكَ ؛ وَإِنَّمَا

يَلْقَى النَّصْرَةَ وَالسَّرُورَ وَالْكَرَامَةَ ؛ فَوَجْهُهُ ضَاحِكٌ مُسَبِّحٌ .

قوله جل ذكره : « كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَتَّامِ

الْمِذَابِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ » .

(١) سُمِّيَ الْقُرْآنُ حَدِيثًا لِأَنَّهُ لِرَسُولِهِ (ص) كَانَ يُحَدِّثُ بِهِ أَصْحَابَهُ وَقَوْمَهُ ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ : « نَبَأُ

حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ » وَقَوْلُهُ : « أَفَنُ » هَذَا الْحَدِيثُ نَعْبِجُونَ وَيُخَطِّطُ أَهْلُ السُّنَنِ مَنْ يَسْتَدْنِي أَنَّ الْقُرْآنَ

مَخْلُوقٌ إِلَى أَنْ « الْحَدِيثُ » مِنَ الْحَدِيثِ فَالْكَلَامُ مُحَدَّثٌ فَقَالُوا : الْحَدِيثُ يَرْجِعُ إِلَى التَّلَاوَةِ لَا إِلَى الْمَطَرِ ، كَالَّذِي كَرِهَ

مَعَ الْمَذْكُورِ إِذَا ذَكَرْنَا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ الْحَسَنَى .

(٢) يَسْتَعِيدُ الصَّوْفِيَّةُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ فِي تَدْعِيهِمْ نَظَرِيَّتَهُمْ فِي « السَّهَابِ » وَالتَّأَثُّرَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْفُضْوِيَّةِ النَّاجِمَةِ مِنْ

تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ .

أشدُّ الذئابِ ما يكونُ بنتاً ، كما أنَّ أتمَّ السرور ما يكونُ نكتهً .  
ومن المجران والفراق ما يكونُ بنتاً غير متوقع ، وهو أنكى لفؤادٍ وأشدُّ وأوجعُ  
تأثيراً في القلب ، وفي معناه قلنا :

فَبِتِّ بِحَيْرٍ وَالَّذِي مَطْمَئِنٌّ  
وَأَصْبَحْتَ يَوْمًا وَالْإِزْمَانُ تَقَلُّبًا

وَأَتَمُّ السرورِ وأعظمه تأثيراً ما يكونُ فجأةً ، قال قائلهم :  
يُنَا خَاطِرُ الثَّيِّ بِالتَّلَاقِ سَاحِجٌ فِي فُؤَادِي  
جَمَعَ اللَّهُ يَتَنِيًّا فَالْتَقَيْنَا هَكَذَا صُدُقَةً بِلَا مِيسَادِ  
قوله جل ذكره : « وَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا  
الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ  
• قَرَأْنَا عَرِيسًا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ  
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » .

أى أوضحنا لهم الآيات ، ووقفناهم على حقائق الأشياء .  
« غير ذى عوج » : فلا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه .  
قوله جل ذكره : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِي شِرْكَاءُ  
مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ  
هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

مَثَلُ الْكَافِرِ وَمَعْبُودِيهِ بَعِيدٌ اشْتَرَكْتَ فِيهِ مُتَنَازِعُونَ .  
« فيه شركاء متشاكسون » : فالصنم يدعى فيه قومٌ وقوم آخرون ؛ فهذا يقول :  
أنا صَنَعْتُهُ ، وذلك يقول : أنا استعملته ، وثالث يقول : أنا عبَدْتُهُ .

أما المؤمن فهو خالص لله عز وجل ، يشبه « عبداً سَلماً لرجل » أى ذا سلامة من التنازع والاختلاف .

ويقال « رجلاً فيه شركاء مقشاكون » تتجاذبه أشغال الدنيا ، شغلُ الرزقِ وشغلُ العيال ، وغير ذلك من الأشغال المختلفة والمخاطر المُشَقَّة .

أما المؤمن فهو خالص لله ليس لأحد فيه نصيب ؛ ولا للدنيا منه سبب إذ ليس منها شيء ، ولا للرضوان منه شغل<sup>(١)</sup> ، إذ ليس له طاعات يُدِلُّ بها ، وعلى الجملة فهو خالص لله ، قال تعالى لموسى : « واصطنعتك لنفسى »<sup>(٢)</sup> أى أبقيتك لى حتى لاتصلح لغيرى .

« الحمد لله بل أكثرهم لا يملكون » : التناهد له ، وهو مُستَحِقُّ لصفات الجلال .

قوله جل ذكره : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ »

ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم  
تُحْصَمُونَ .

نَمَاه — عليه السلام — إليه . ونسى للسلمين إليهم ففزعوا بأجمعهم من مآثمهم<sup>(٣)</sup> ، ولا تمزى في العادة بعد ثلاث . ومن لم يتفرغ من مآثم نفسه وأنواع همومه ، فليس له من هذا الحديث<sup>(٤)</sup> ثمة ، فلما فرغ قلبه من حديث نفسه ، وعن الكون بمجملته غيبيته يجد الخير من ربه ، وليس هذا الحديث إلا بعد فناءهم عنهم ، وأنشد بعضهم :

---

(١) لقيت الجنة من كبار الصيوع مواقف لا يحلوا التعبير عنها — عند من لا يفقهونها — الكثير من الاستغراب ، من ذلك ما يقوله أبو يزيد البسطامي : ما الجنة ؟ لعبة صبيان ! ويقول : الجنة هي الحجاب الأكبر لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة ، وكل من سكن إلى الجنة سكن إلى سواء فهو محبوب .

(٢) آية ١٦ سورة طه .

(٣) هكذا في نص وهي مقبولة لتناسب المصنوعة التي سترتب عليها في الآية الاختصاص .

(٤) يقصد حديث الفناء من كل أرب ومهيب ، أى التناهد بالملئ للصوق .

كتابي إليكم بد موتى بليقة

ولم أحر أنى بد موتى أكعب

قوله جل ذكره : « فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى

اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ

فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ » .

الإشارة فيه إلى من أشار إلى أشياء لم يُلْقُهَا ، وادّعى وجود أشياء لم يَدُقْ شيئاً منها ،

قال تعالى : « وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ »<sup>(١)</sup> .

وقال : لا بل هؤلاء هم الكفار ، وأما اللُدْغِي الذي لم يَبْلُغْ ما يَدَّعِيهِ فليس يكذب على

ربه إنما يكذب على نفسه ؛ حيث ادّعى لما أحوالاً لم يَدُقْها ولم يَحْدِثْها ، فأما غيرُ الصِّدْقِ الذي

يكذب على الله فهو الجالحد وللبلدع الذي يقول في صفة الحقِّ — سبحانه — ما يتقدَّسُ

ويتمالي عنه<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ

أُولَئِكَ مِثْلُ خَيْرٍ » لم ما يشاؤون عند

ربِّهم ذلك جزاءُ الْحَسَنِينَ » .

الذي جاء بالصِّدْقِ في أهله من حيث الإخلاص ، وفي أحواله من حيث الصِّدْقِ ،

وفي أسرارده من حيث الحقيقة .

« ذلك جزاءُ الْحَسَنِينَ » : الإحسانُ — كما جاء في الخبر — أن تعبد الله كأنك تراه .

فَمَنْ كَانَتْ — اليوم — مشاهدته على اللوام كانت رؤيته غداً على اللوام ، وَمَنْ لَا فَلَآ<sup>(٣)</sup> .

(١) آية ٦٠ من هذه السورة .

(٢) وإلى أساطير هؤلاء أشار التشبُّه في مسجَلِ رسالته قائلا : .. ثم لم يرضوا بما تناطروا من سوء الأفعال ، حتى أشاروا إلى أهل الحقائق والأحوال ، ولادعوا أنهم تحرروا من ورق الإفلاك ، وتحققوا بمقائق الرضائل ، وأنهم قائمون بالحق بغير علم أسكنه وهم بحر ، وأنهم كوشلوا بالسراير الأضحية وزالت منهم أحكام البشرية ، ولقد نال منهم فيهم إذا نطقوا .... الرسالة ج ٢ .

(٣) دوى مسلم عن جابر بن عبد الله عن سلمان عليه ٥٧/٦ : ليس القدر المسمى « ومن كان بطلاة لنى الله عليها » .

قوله جل ذكره : « لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي  
عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي  
كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

من لا يكون مؤمناً فليس من أهل هذه الجملة . ومن كان معه إيمان : فلذا كُفِّرَ عنه  
أسوأ ما عَمِلَهُ فأسوأ أعماله كَبَارُهُ ؛ فإِنْ غُفِرَتْ يَجْزِيَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ . وأحسنُ أعمالِ  
للؤمنِ الإيمانُ والمعرفة ، فإن كان الإيمانُ مؤقتاً كان ثوابُهُ مؤقتاً ، وإن كان الإيمانُ على  
الدوام ثوابُهُ على الدوام . ثم أحسنُ الأعمالِ عليها أحسنُ الثوابِ ، وأحسنُ الثوابِ الرُّؤيةُ  
فيجب أن تكون على الدوام<sup>(١)</sup> — وهذا استدلالٌ قوياً .

قوله جل ذكره : « أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ .. » .

استفهام والمراد منه التّقرير ؛ فاللهُ كافٍ عَبْدَهُ اليومَ في عرفاته بتصحيح إيمانه ومعج  
الشّرْكِ عَنْهُ ، وغداً في غفرانه بتأخير العذاب عنه ، وما بينهما فكفايته تامة وسلاسته طامة .

قوله جل ذكره : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ  
مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ  
يُضْرُّ هَلْ مِنْ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي  
بِرَحْمَةٍ هَلْ مِنْ مُنْكِكَاتِ رَحْمَتِهِ قُلْ  
حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ » .

فَرَزَ عَلَيْهِمْ عُلُوُّ صفاته ، وما هو عليه من استعقاق جلاله فأقرّوا بذلك ، ثم طالبهم بذِكْرِ  
صفاتِ الأصنام التي عبدوها من دونه ، فلم يمكنهم في وصفها إلا بالجلادية ، والبُعْدِ عن الحياة  
والعلم والقدرة والتمكّن من الخلق ، فيقول : كيف أشركتم به هذه الأشياء ؟ وهؤلاء  
استحييتهم من إطلاق أمثال ذلك في صفته ؟ .

(١) « فيجب أن تكون الرؤية على الدوام » نلاحظ إلحاق التشبُّه على هذا الرأي في خاتمة تفسيره الآية السابقة  
وفي هذه الآية ، ولهذا الرأي أهميته في مسألتين : خلود الجنة والرؤية .. مسائلتان كان حولهما جدلٌ كثير  
أشرنا إلى بعضه في تطبيقات سابقة .



قُلْ - يا محمد - حَسْبِيَ اللَّهُ ، عليه يتوكل المتوكلون ؛ كَافِيَ اللَّهُ التَّوَكُّدُ بِالْجَلالِ ، الْقَادِرُ على ما يشاء ، لِلتَّفَضُّلِ على ما يشاء .

قوله جل ذكره : « قُلْ يَا قَوْمِ احْمِلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي

عَاقِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ » مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ

يُخْزِيهِ وَيَحْمِلْهُ عَلَيْهِ عِذابٌ مُعِمْ »

سوف ينكشف رُحْمَتنا وخسرانكم ، وسوف تظهر زِدَاتنا وقصانكم ، وسوف نطالبكم فلا جوابَ لكم ، ونُعَذِّبُكُمْ فلا شفيعَ لكم ، ونُذَمِّرُكُمْ عليكم فلا صريحَ لكم .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ

بِالْحَقِّ قَسَمٍ لَّتَنفِيسِهِ وَمَنْ

ضَلَّ فَإِنَّا يَافِعِلٌ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ

بِرَكِيلٍ » .

مَنْ أَحْسَنَ فِلَاحَاتِهِ إِلَى نَفْسِهِ اكْتَسَبَهُ<sup>(١)</sup> ، وَمَنْ أَسَاءَ فِلَاذِهِ عَلَى شَيْءٍ جَلَبَهُ - وَالْحَقُّ غَفَى عَنْ التَّجَمُّلِ بِطَاعَةِ مَنْ أَقْبَلَ وَالتَّنَقُّصِ بِزَلَّةٍ مَنْ أَعْرَضَ .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي

لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَفَّوْا

عَلَيْهَا لِلْوَيْلِ وَيُرْسِلُ الْآخَرَى إِلَى أَجَلٍ

مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ » .

يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ<sup>(٢)</sup> حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ مِنَ الْفُؤُوسِ فِي حَالِ نَوْمِهَا ، فَإِذَا نَامَتْ

(١) (اكتسبه) موجودة في م ومقطعت في ص .

(٢) واضح هنا أن القسري لا يكاد يميز بين (النفس) و (الروح) مع أنه في الرسالة ص ٤٨ يميز بينهما فيقول (يحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في القالب) - البدن وهي محل الأخلاق المملولة (موجودة في الرسالة عطفًا للملومة) كما أن الروح لطيفة في القالب هي محل الأخلاق المحسودة .. والجميع إنسان واحد ، وكونها بصفة -

فيقبض أرواحها<sup>(١)</sup> . وقبضُ الأرواح في حال الموت بإخراج اللطيفة التي في البدن وهي الروح ، ويخلق بذلك الاستثمار واليتم النفسَ والنيةَ في تحالُّ الإحساس والإدراك . ثم إذا قبضَ الأرواح عند الموت خلقَ في الأجزاء الموتَ بذلك الحياة ، والموتُ يباقي الإحساسَ والعلم . وإذا ردتْ الأرواح بعد النوم إلى الأجسادِ خلقَ الإدراكَ في محل الاستثمار فيصير الإنسان متيقظاً ، وقبضَ الله الأرواحَ في حال النوم وردت به الأخبار ، وذلك على مراتب ؛ فإنَّ روحاً تُقبضُ على الطهارة تُرْفَعُ إلى العرش وتُسجد لله تعالى ، وتكون لها ترفعات ، وممها مخاطبات . « والله أعلم » .

قوله جل ذكره : « أَمْ أَخْلَوْا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءُ قُلْ أَوْ قَوْمًا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقِفُونَ » .

أى أنهم - وإن اخلوا على زعمهم من دون الله شفعا يحكمهم لا بتعريف من قبلي الله أو إخبار - فإنَّ الله تعالى لا يقبل الشفاعة من أحدٍ إلَّا إذا أُذِنَ بها ، وإنَّ الذى يقولونه إنما هو افتراء على الله .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُهُ

---

= الطاقة في الصورة ككون الملائكة والشياطين بصفة الطاقة ثم يهود بمقليل متحدثاً عن الروح فيقول : الأرواح تختلف فيما عت أهل التحقيق من أهل السنة فمنهم من يقول إنها الحياة ، ومنهم من يقول إنها أعيان مودعة في القالب (الطائف ٣٨ ص ٣٩٧) ' .

وفى تقديرنا أن المسألة ذات جانبين : فإذا نظرنا إلى الموضوع خارج دائرة التصوف فالروح والنفس معنى واحد متصل بالحياة ، وقبضهما متناه موت البدن بدليل ما ورد عن الرسول (ص) ، فهو مرة يقول (كما في حديث أم سلمة) : دخل رسول الله (ص) على أبي سلمة وقد شق (= انفتح) بصره فأغمضه ثم قال : « إن الروح إذا قبض تبعه البصر » وفى مرة أخرى يقول (ص) في حديث صحيح شروحه ابن ماجة : « تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحاً قالوا اخرجى آيتنا النفس الطيبة .... » وفى صحيح مسلم : قال «ص» : « وإذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها » .

أما الجانب الآخر المسألة فهو كونها مصطلحين صوفيين ؛ فالنفس محل المملوات والروح محل الحمدات . . . . . وذلك ركن هام في مذهب التشيعى لم يتخل عنه في كتاب من كتبه ، كما هو مذهب كثيرين من المتصوفة . (١) قبض الروح عنه التوهم منناه ترقبها (الرسالة ص ٤٨) .

الذين لا يؤمنون بالآخرة وإننا ذكر  
الذين من دونه إذا هم يستبشرون .

اشتازت قلوب الذين جعلوا ولم تسكن هوسهم إلى التوحيد ، وإننا ذكر الذين من  
دونه استأنفوا إلى سماعه : —

« قل اللهم فاطر السموات والأرض  
عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين  
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . »

عَلَّمَهُ — صلى الله عليه وسلم — كيف ينشئ عليه — سبحانه <sup>(١)</sup> .

وتشتمل الآية على الإشارة إلى بيان ما يفنى من التنصل والتذلل ، واجتناب التقوى  
والتفضل ، وتحقيق الانصياع بحسن التوكل . ثم أخبر عن أحوالهم في الآخرة فقال :

« ولو أن الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً  
ومثله معه لافْتَدَوْا به من سوء المذاب  
يوم القيامة » .

لافتدوا به .. ولكن لا يُقْبَلُ منهم ، واليوم لو تصدقوا بمقتال ذرة لقبيل منهم . كما أنهم  
لو بَكَرُوا في الآخرة بالاعاء لا يُرْحَمُ بكآزهم ، ولكنهم بدعة واحدة -- اليوم -- يُعْطَى  
الكثير من دواوينهم .

قوله جل ذكره : « وبذلك لهم من الله ما لم يكونوا  
يَحْتَسِبُونَ » .

في سماع هذه الآية حركات لأصحاب الانبياء .

---

(١) في صحيح مسلم : أن عائشة سئلت بأى شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم يسطع صلاته إذا قام من  
الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض .  
... يظفون » ، إحد لما اخطف فيه من الحق بذلك إنك تهلى من تشاء إلى صراط مستقيم .  
وقال سيد بن جبر : إلى لأعرف آية ما قرأها أحد قط وسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ؛ قوله تعالى : « قل  
اللهم فاطر .... يظفون » .

وفي بعض الأخبار أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يُؤمُّ بهم إلى النار [فلذا وافقوا ما يقول لم مالك : مَنْ أُمِّ ؟ إِنْ الَّذِينَ جَاءُوا قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَجُوهُهُمْ كَانَتْ مُسْوَدَّةً ، وَعُيُوبُهُمْ <sup>(١)</sup>] كَانَتْ مُزْرَقَةً . . وَأُمِّ لَسْتَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ ، فَيَقُولُونَ : وَنَحْنُ لَمْ نَتَوَقَّعْ أَنْ تُلْكَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَظَرْنَا شَيْئاً آخِراً قَالَ تَالَى « وَبِذَا لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُونُوا يُحْسِبُونَ » <sup>(٢)</sup> .

« وَبِذَا لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُونُوا وَحَاقَ بِهِمْ

مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » .

حَقَّ بِهِمْ وَبِذَا اسْتَهْزَأَهُمْ وَجَزَاءُ مَكْرِهِمْ .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبُ دَعَانَا

ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نَفْسَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ

عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ » .

في حال الضَّرْبِ يَتَرَدَّدُونَ مِنَ الْاسْتَحْضَاقِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ ، فَلَمَّا كَثَفَ عَنْهُمْ الْبَلَاءُ وَقَعُوا

فِي مَفَالِيطِهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا أُوتِينَا هَذَا بِاسْتِحْقَاقٍ مِنَّا ، قَالَ تَالَى : « بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّهُمْ

لَمْ يَعْلَمُوا ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ هَذَا قَالُوا وَحَسِبُوا ، وَلَمْ يَحْصِلُوا إِلَّا عَلَى مَفَالِيطِهِمْ ،

فَأَصَابَهُمْ شَوْمٌ مَا قَالُوا ، وَهَؤُلَاءِ سَيَصِيبُهُمْ أَيْضاً مِثْلُ مَا أَصَابَ أَوَّلَكَ .

قوله جل ذكره : « أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » .

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مُسْتَدْرَكٌ فِي حَاشِيَةِ الْوَرَقَةِ ٤٩٦ مِنْ النُّسخَةِ ص

(٢) عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : إِنَّهُمْ عَمِلُوا أَجَالاً تَوَهَّوْا أَنَّهَا حَسَنَاتٌ فَلَمَّا هِيَ سَيِّئَاتٌ .

وَقِيلَ عَمِلُوا أَجَالاً تَوَهَّوْا أَنَّهُمْ يَتَرَبَّعُونَ مِنْهَا قَبْلَ الْمَوْتِ فَأَدْرَكَهُمُ الْمَوْتُ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا .

أَمَّا الْقَتْرَبِيُّ فَيُفَسِّرُهَا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ النُّصَاةَ ، وَوَأَنَّهُ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ حَالَةِ وُرُودِهِ إِلَى النَّارِ ، وَوُرُودِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَهَؤُلَاءِ عَلَى التَّأْيِيدِ وَالْوَلَدَةِ إِلَى جَنِّ .

أولم يروا كيف خالف بين أحوال الناس في الرزق : فَمِنْ مُوسِعٍ عَلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمِنْ مُضَيِّقٍ عَلَيْهِ ، وليس لواحدٍ منهم شيءٌ مِمَّا خُصَّ بِهِ مِنَ التَّخْلِيلِ أَوِ التَّكْثِيرِ .

قوله جل ذكره : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ

لا تَحْشَوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الدُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »<sup>(١)</sup>

التسمية « يابعدى » مَذْحُ<sup>(٢)</sup> ، والوصف بأنهم « أسرفوا » ذَمٌّ . ظَنَّا قَالَ :

« يا عبادى » طمع الطمعون فى أن يكونوا هم المقصودين بالآية ، فرضوا رموسهم ، ونكس

المصاة رموسهم وقالوا : مَنْ نَحْنُ . . . حتى يقول لنا هنا ؟ !

قال تعالى : « الذين أسرفوا » فاعلموا الحال ؛ فهؤلاء الذين نكسوا رموسهم انتشوا

وزالت ذلتهم ، والذين رفضوا رموسهم أطرقوا وزالت صولتهم<sup>(٣)</sup> .

ثم أزال الأعجوبة عن التهمة بما قوى رجاءهم بقوله : « على أنفسهم » بنى إن أسرفت

فعل نفسك أسرفت .

« لا تَحْشَوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ » : بعد ما قطعت اختلافك إلى بابنا فلا ترفع قلبك قننا .

« إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الدُّنُوبَ جَمِيعًا » الألف واللام فى « الذنوب » للاستغراق والعموم ،

والذنوب جمع ذنب ، وجاءت « جميعًا » للتأكيد ؛ فكأنه قال : أغفر ولا أترك ،

وأغفر ولا أثبتى .

(١) أورد الراوى فى أسباب النزول عدة أقوال بشأن من نزلت لهم هذه الآية الكريمة ، ومن هذه الروايات :

من ابن عباس قال : نزلت فى أهل مكة حين قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأصنام وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له ، فكيف نجاهر ونسلم وقد عهدنا مع الله إلها آخر وقتلنا نفس التى حرم الله .

وقال ابن عمر : نزلت فى عباس بن ربيعة والوليد بن الوليد وقر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وحلوا فتركوا دينهم .

ويروى أنها نزلت فى وحشى قاتل حمزة . (الراوى ص ٢٤٨ ، ٢٤٩) .

(٢) يقول اللغوي : ليس فيه أشرف من اليهودية ، وقد سعى بها الحق نبيه (ص) فقال : سبحانه الذى أسرى بعبد ، وقال : قالى إلى عبده ما أوحى - ولو كان اسم أجبل من اليهودية لمناه به . (الرسالة ص ١٠٠) .

(٣) راجع ما قاله القشيري فى قصة داود : « إِنَّ زُلَّةَ أَسْفِكَ عَلَيْكَ يُوسُفُكَ إِلَى دِيكَ أَجْدَى طِيكَ مِنْ طَاعَةِ إِحْيَاكَ بِهَا يُقْصِيكَ مِنْ دِيكَ » . ويقول على بن أبى طالب : ما فى القرآن أوسع من هذه الآية . ويقول عبد الله ابن عمر : هذه أرجى آية فى القرآن .

ويقال إن كانت لكم جناية كثيرة عمية على بشأنكم عناية قديمة<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره : « وأنبئوا إلى ربكم وأسئلوا له من قبل أن يأتيكم المذاب ثم لا تنصرون » .

الإنباء الرجوع بالكلية . وقيل الفرق بين الإنابة وبين التوبة أن النائب يرجع من خوف العقوبة ، وصاحب الإنابة يرجع استحياه لكرمه<sup>(٢)</sup> .

« وأسئلوا له » : وأخلصوا في طلبكم ، والإسلام — الذي هو بد الإنابة — أن يتم أن نجاة بفضله لا بإنابته ؛ فيفضله يصل إلى إنابته . لا بإنابته يصل إلى فضله .

« من قبل أن يأتيكم المذاب » قبل الفراق . ويقال هو أن يفوته وقت الرجوع بشهود الناس ثم لا ينصرف عن ذلك .

قوله جل ذكره : « أن قول قس يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين • أو قول لو أن الله هداني لكنت من المتقين • أو قول حين ترى المذاب لو أن لي كرامة فأكون من المحسنين » .

يقال هذا في أقوام يرون أمثالهم تقدموا عليهم في أحوالهم ، فيذكرون ما سلف من تقصيرهم ، ويرون ما وفق إليه أولئك من المراتب فيفضون بنواجذ الحسرة على أنامل الخلية .

---

(١) واضح أن القشيري يحاول بطرق شتى أن يفتح كل أبواب الأمل أمام القائلين ، فهما كانت للطلب كثيرة ففوقه أكبر وأشمل ، وبدا أن النص التراقي يحصل كل المحاولات التي يبلغا القشيري بساحته الصوفية الأصيلة .

(٢) يتنقل القشيري عن شيخه المتفائق قوله في هذا الخصوص : وأرأى توبة وأوسطها إنابة وآخرها أوبة . ثم يعلق على ذلك قائلا : فكل من تاب لحيف العقوبة فهو صاحب توبة ، ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب إنابة ، ومن تاب مراعاة للآخر — لا لرغبة في ثواب أو رهبة من عقاب — فهو صاحب أوبة . ويقال للتوبة صفة للمؤمنين ( وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون ) . والإنابة صفة الأولياء والمقربين ( وجاء بقلب منيب ) ، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين ( توب العبد إلى أبواب ) رسالة ص ٥٠ .

أو يقول : لو أن الله هداني لكنتُ كذا ، ويقول آخر : لو أن لي كرامةً فأكون كذا ، فيقول الحق — سبحانه :

« بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . »

فَذُقْ من العذاب ما على جُرميك استوجبته .

قوله جل ذكره : « ويومَ القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مَسْوَدَّةٌ أليس في جهنم مثوى للشكركين . »

هؤلاء الذين ادَّعوا أحوالاً ولم يصدِّقوا فيها ، وأظهروا الحجة لله ولم يتحسروا بها ، وكفهم اضحاً بذلك ! وأنشدوا :

وَلَمَّا ادَّعَيْتُ الْحَبَّ قَالَتْ كَذَّبَتْنِي

فَالْي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كِرَاسِيَا ۱۹

فَا الْحَبُّ حَتَّى تَنْزِفَ الْبَيْنَ بِالْكَأِ

وَتَحْمَسَ حَتَّى لَا تَجِيبَ الْمُنَادِيَا<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « وَيَصْغَى اللَّهُ الَّذِينَ أَحْوَا يَسْكَرَتِهِمْ لَا يَسْمَعُ السَّوَدَ وَلَا يَمْحُزُونَ » .

كما وقَّام — اليومَ — عن الحقائق ، حام — غداً — من العقوبات ، فالتفتون فازوا بسعادة البارين ؛ اليومَ عصية ، وغداً نعمة . اليومَ عناية وغداً حاية وكفاية .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ » .

(١) ورد الشاهد الشعرى في الرسالة ص ١٦٠ مكيًا : البيت الأول ملأين ، والثاني مكيًا ومتروكًا بنات :-  
فا الحب حتى يلسق القلب بالمشا وتلبل حتى لا يجيب المناديا  
وتنمل حتى لا يلق لك المعوى سوى علة تنكس بها وتناجيا  
وهو لورده صاحب القس على هذا النص (القم ص ٣٢١) .

تدخل أ كسابُ البلاد في هذه الجملة ، ولا يَدْخُلُ كلامه فيه ؛ لأنَّ المخاطِبَ لا يدخل تحت الخطاب ولا صفاته<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « له مقاليدُ السمواتِ والأرضِ والذين كفروا بآياتِ الله أولئك هم الخاسرون » .

« مقاليد » أى مفاتيح ، والمرادُ منه أنه قادر على جميع القدورات ، فما يريد أن يُوجِّده أو يُجِدِّه .

قوله جل ذكره : « قل أَضَيَّرَ اللهُ تَأْمُرُونِ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » .

أى متى يكون لكم طمَحٌ فى أن أعبدَ غيره . . . وبتوجيه ربَّانى ، وبضريده غَدَّائى ، وَيُشْرَأِبِ حُبِّه سَفَانِى ؟<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « وقد أَوْحَى إِلَيْكَ وَالِىَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

لَئِنْ لَاحِظْتَ غَيْرِى ، وَأَنْتَبَّتْ مَعِى فى الإبداعِ سِوَاىَ أَحْبَبْتَ عَمَلَكَ ، وَأَبْطَلْتَ سَمِيكَ ، بَلِ اللهُ — يا محمد — فاعْبُدْ ، وَكُنْ من جملة عباده الشاكرين .

قوله جل ذكره : « وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسمواتُ مطوياتٌ مِمينه سبحانه وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ » .

---

(١) هذه إشارة خاطفة فى شأن الموضوعات الكلية المصلة بالقتل الإنسانى ، وبمسألة خلق القرآن ( أنظر كتابنا : الإمام القشيري : تصوفه وأدبه ط مؤسسة الحلبي للنشر ) .  
(٢) هذه هى الترية التى عنانها القشيري فى موضع سابق حين قال : « ليس الاختيار بالترية بل بالترية » .



ما عرفوه حَقَّ معرفته<sup>(١)</sup> ، وما وصفوه حَقَّ وصفه ، وما عظموه حَقَّ تعظيمه ؛ فَمَنْ انصف  
بتمثيل ، أو جَنَحَ إِلَى تَطْيِيل<sup>(٢)</sup> ، تَخَادَعَ مِنَ السُّنَّةِ لِلشُّطْلِ وانحرف عن الطريقة الحسنى . وصفوا  
الحقَّ بالأعضاء ، وتوهموا في نَمَتِهِ الأجزاء ، فما قدروه حَقَّ قَدْرِهِ ؛ فَاخْلَقُوا فِي قِيْصَةِ قُدْرَتِهِ ،  
والسموات مطويات يمينه ، ويمينه قُدْرَتُهُ<sup>(٣)</sup> . ولأنه أقسم أَنْ يُفِيَّ السَّمَاوَاتِ وَيَطْوِيَهَا فهو  
قادر على ذلك .

« سبحانه وتعالى » تنزيها له عما أشركوا في وصفه .

قوله جل ذكره : « وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ  
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ  
شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ  
قِيَامٌ يَنْظُرُونَ » .

في النفخة الأولى تموتون ، ثم في النفخة الثانية تُحْشَرُونَ به والنفتان متجانستان ؛  
ولكنه يخلق عند إحداهما لِهَاقِ الْأَرْوَاحِ ، وفي الأخرى حياة النفوس ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ النَفْخَةَ  
لا تشمل شيئا لمينها<sup>(٤)</sup> ، وإعنا الجبار بقدرته يخلق ما يشاء .

قوله جل ذكره : « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ

(١) أت النبي صل الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال : يا أبا القاسم بملك أن الله يعمل الخلق على  
أصبع والأربعين على أصبع والشيعة على أصبع والثرى على أصبع ! فعضك رسول الله (ص) حتى بدت نواجذه ،  
فأنزل الله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره » (الاحقاف ص ٢٥٠) .

(٢) التَطْيِيلُ على ثلاثة أقسام : تطييل المصنوع من صانعه وخالفه ، وتطييل الصانع - سبحانه - من كاله  
المتكسر بتطيل أسبائه وصفاته وأعماله ، وتطييل مملكته على عجب على العبد من حقيقة التوحيد .. ومن هذا شرك  
طائفة أهل وحده الوجود الذين يقولون ما ثم عائق ولا عائق (الجواب الكافي ص ٩٠ لاين القيم ط التتدم) .

(٣) نحسب أن من دواهي التأويل أن الله سبحانه وتعالى قد غا ططينا عن ذاته وصفاته بما نتخاطب به فيما بيننا  
حتى نلهم ، والآية تشير إلى ذلك في وضوح فتدبر عن قدرته مرة بالقبضة ومرة باليمين ، ومعنى هذا أن الله بقدر  
على قبض الأرض وجميع ما فيها بقوة أحدا على ما يعمل بأصبعه .

(٤) كلام القشيري من تجانس الضميتين واختلاف تأثيريهما ، ثم كلامه يبد قليل من تجانس السوطين واختلاف  
وجهيهما .. مقصود منه - كما نلظن - أن القياس الإنساني ليس قائما على صواب ، مثال ذلك قوله تعالى : « مطويات  
يمينه » ، ونسبة الوجه واليد واليمين .. ونحو ذلك قد سبحانه ليس بالضرورة أن يكون على نحو ما يفهم الإنسان  
من هذه الماديات ، فالكلية هي الكلمة .. ولكن شتان بين الدلالة هنا والدلالة هناك .. والله أعلم بمقصود القشيري ..  
ولكن هكذا نلظن .

الكتبُ وحيء بالبين والشهداء

وقُفِيَ بينهم بالحقِّ وهم لا يظلمون .

نور يحلُّه في القيامة فتشرق القيامةُ به ، وذلك عند تَكْوِينِ الشمس وانكدار النجوم ، ويستضيء بذلك النور والإشراق قومٌ دون قوم . الكفَّارُ يَبْقَوْنَ في الظلمات ، وللؤمنون نورٌهم يسي بين أيديهم .

ويقال اليومَ إشراق ، وغداً إشراق ، لليومَ إشراقُ القلبِ بمحضوره ، وغداً إشراقُ الأرضِ بنور ربها . ويقال غداً أنوار التوَلَّى للمؤمنين ، واليومَ أنوار التجلُّ للمافرين .

قوله جل ذكره : « وَوَقَّيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا سَمِعَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ » .

إن كان خيراً فَخَيْرٌ ، وإن كان غير خَيْرٍ فَضَيْرٌ خَيْر .

قوله جل ذكره : « وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا

حَتَّى إِذَا جَاوَوْهَا فَفَضَّتْ أُبْرَاجُهَا وَقَالَ لِمَ

خَرَرْتُمْ آلَ يَأْسِكُمْ دُمُلٌ مِنْكُمْ يَلْفُونَ

عَلَيْكُمْ آلِهَتُ رَبِّكُمْ وَيُبْذَرُونَ كُمُ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ

الْمَنَاقِبِ عَلَى الْكَافِرِينَ » .

الكفار يُسَاقُونَ إلى النار عتقاً ، وللؤمنون يُسَاقُونَ إلى الجنة لُطْفًا ؛ فَالسَّوْقُ بمع

الجنسين . . ولكن شتان بين سَوَقٍ وَسَوَقٍ ١ .

فإذا جاء الكفارُ قَابِلَهُمْ خَزَنَةُ النار بالتوبيخ والعتاب والتأنيب ؛ فلا تَكْرِيمَ ولا تَعْظِيمَ ،

ولا سَؤَالَ ولا اسْتِجَابًا . . بل خِزْيٌ وهوانٌ ، ومن كل جنسٍ من المَنَاقِبِ أُلْوَانٌ .

قوله جل ذكره : « وَسِيقَ الَّذِينَ آمَنُوا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ

زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاوَوْهَا وَفَضَّتْ أُبْرَاجُهَا

وَقَالَ لِمَ خَرَرْتُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَعُكُمْ

فَادْخُلُوا خَالِدِينَ » .

سَوْقٌ وَلَكِنْ بَعِيرٌ نَسَبٌ وَلَا نَسَبٌ، سَوْقٌ وَلَكِنْ بَرَوْحٌ وَطَرَبٌ.

« زمرًا » جماعتهم ، وهؤلاء هم عوامُ أهل الجنة ، وفوق هؤلاء : « يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْنِ وَفْدًا »<sup>(١)</sup> وفوقهم مَنْ قَالَ فِيهِمْ : « وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ »<sup>(٢)</sup> وَفَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يُسَاقُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَبَيْنَ مَنْ تَهَرَّبُ مِنْهُ الْجَنَّةُ .. هؤلاء الظَّالِمُونَ ، وَالْآخَرُونَ لِلْقَصْدُونَ ، وَالْآخَرُونَ السَّابِقُونَ<sup>(٣)</sup>.

« حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا . . . » وَإِذَا وَافَرَا الْجَنَّةَ تَكُونُ الْأَبْوَابُ مُفْتَحَةً ثَلَاثًا يَسِيرُهُمْ نَسَبٌ الْإِنْتَظَر .

وَيَقَالُ إِذَا كَانَ حَدِيثُ الْجَنَّةِ قَالُوا جَابِ أَنْ يِلَادِرَ إِلَيْهَا وَلَا يَحْتَاجُ أَنْ يُسَاقَ ، وَلِلَّ هَؤُلَاءِ لَا رَغْبَةَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ بِكَثِيرٍ ، فَلَقَهُمْ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ قَوْلُ « عَلَيْكُمْ » ؛ أَيْ أَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِطَلْفٍ حَتَّى يَصِفَ .

قوله جل ذكره : « وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْفَاَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَسْتَمِرُّ فِيهَا أَلْفَ عَامٍ » .

صَدَقْنَا وَعْدَهُ بِإِدْخَالِنَا الْجَنَّةَ ، وَإِكْمَالِ النَّبَا .

« وَأَوْفَاَنَا الْأَرْضَ » أَيْ أَرْضَ الْجَنَّةِ ؛ تَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ نَشَاءُ . وَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ مَخْصُوصُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ قَوْمٌ « التَّرَفُّ » أَقْوَامٌ آخَرُونَ .

قوله جل ذكره : « وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ

الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُفِيَ

بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .

يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ فِي عُمُومِ الْأَوْقَاتِ .. هَذَا هُوَ عَمَلُ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ .

وَقُفِيَ بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ بِالْحَقِّ ، لَهُؤُلَاءِ دَرَكَاتٌ وَأُولَئِكَ دَرَجَاتٌ .. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَنُونِ الْحَالَاتِ . وَقُفِيَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ أَيْضًا فِي مَقَامَتِهِمْ عَلَى مَا أَرَادَهُ الْحَقُّ فِي عِبَادَتِهِمْ .

(١) آية ٨٥ سورة مريم .

(٢) آية ٢١ سورة ق .

(٣) إشارة إلى الآية : « وَهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِمْ وَمِنْهُمْ مَقْصُودٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْغِيَاةِ » (آية ٢٢ سورة فاطر) .

## ١١) سورة المؤمن

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »  
 « بِسْمِ اللَّهِ » كلمةٌ مَنْ تَحَقَّقَ بِهَا شَرُفَ مِنَ الْحَقِّ مَنَالَهُ ، وصفت عنده أحواله ،  
 وَخَلَعَ عَلَى نَفْسِهِ رِثَاءَ الْأَفْضَالِ ، وَأَلْبَسَ قَلْبَهُ جِلَالِ الْإِقْبَالِ ، وَأَفْرَدَ دُوحَهُ بِرَوْحِ لُطْفِ  
 الْجَلالِ ، وَاسْتَغْلَسَ سِرَّهُ بِكَشْفِ وَصْفِ الْجَلالِ .

قوله جل ذكره : « حَم »

أى حُمَّ أَمْرُكَائِن<sup>(١)</sup> .

وَيَقَالُ « الْحَاء » إِشَارَةً إِلَى حِلْيَتِهِ ، « وَاللَّيْم » إِشَارَةً إِلَى مَجْدِهِ أَى : بِمِجْلَى  
 وَمَجْدَى لَا أَخْلَدُ فِي النَّارِ مَنْ آمَنَ بى .  
 وَيَقَالُ هَذِهِ الْحُرُوفُ ( مَفَاتِحُ أَسْمَائِهِ )<sup>(٢)</sup> .

« تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
 الْعَلِيمِ » .

(١) تسمى سورة غافر ، وسورة الطَّوْحِيدِ ، وسورة المؤمن لقوله تعالى فيها : هُوَ تَالِجٌ مُؤْمِنٌ ( السَّيْئِلُ :  
 الْإِتْقَانُ - ١ ص ٥٤ ) .

(٢) أَى قَلْبِي وَوَجْهِ ، قَالَ كَتَبَ بَيْنَ يَدَيْكَ :

فَلْيَا تَلَقَّيْنِي وَدَارَتْ بِنَا الرُّسُي وَلَيْسَ لِوَجْهِ جَنَّةِ اللَّهِ مَنَافِعُ  
 أَوْ تَكُونُ بَيْنِي قَرْنَةً كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

لَهُ حُمٌّ يَوْمَ تَقْسَرُ قَوْمٌ قَوْمٌ يَوْمَ تَقْسَرُ قَوْمٌ يَوْمَ تَقْسَرُ قَوْمٌ

(٣) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ سَقَطَ مِنْ ص ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي م .

مَنْ أَنَسَ أَنْ أَمْرًا يَأْتِي سَأَلَ لَيْسَ (ص) مَا حَم ؟ لَقَدْ لَانَا لَانَتْهَا فِي لِسَانِنَا ، لَقَالَتْ لَيْسَ (ص) : « بِهِ أَسْمَاءُ  
 وَنَوَائِحُ سُورَةٍ » .

« التزبذ : التمرُّ لأوليائه ، « المليم » بما كان ويكون منهم ، فلا يمنه عليه بما سلفَ منهم عن قضائه .

قوله جل ذكره : « غافر الذنب وقابل التوب »  
شديد القلب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير .

كتابٌ مُنُونٌ يقبلُ توبته ليعباده ؛ عليمٌ أنَّ العاصي مُنْكَسِرُ القلبِ فأزال عنه الانكسارَ بأن قدَّم نصيبه ، قدَّم اسمه على قبول التوبة . فَسَكَنَ قُوسَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ بِاسْمَيْنِ يُوجِبَانِ الرجاء ؛ وهما قوله : « غافر الذنب وقابل التوب » .

ثم عقبهما بقوله : « شديد القلب » ثم لم يرضَ حتى قال بدتذ « ذي الطول » .  
فَيَقَابِلُ قوله : « شديد القلب » قوله : « ذي الطول » .

( ويقال : غافرُ الذنبِ لِمَنْ أَمَرَ واجْتَرَمَ ، وقابلُ التوبِ لِمَنْ أَقْرَأَ وَتَدَرَّمَ ، شديدُ القلبِ لِمَنْ جَحَدَ وَعَنَدَ ، ذي الطولِ لِمَنْ عَرَفَ وَوَحَدَ )<sup>(١)</sup> .

ويقال غافر الذنب للظالمين ، وقابل التوب للمتصدين ، شديد القلب للشركين ، ذي الطول للسايقين .

ويقال : سُنَّةُ اللَّهِ أَنَّهُ إِذَا خَوَّفَ الْمَبَادَ بِاسْمِهِ أَوْ قَطَعَ تَذَاكُرَ قُلُوبِهِمْ بِأَنْ يُشْرَحَ بِاسْمَيْنِ أَوْ بِوَصْفَيْنِ<sup>(٢)</sup> .

« إليه المصير » : وَإِنَّا كَانُوا إِلَيْهِ الْمَصِيرَ قد طلب إليه المصير .

قوله جل ذكره : « مَا يُحَادِثُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَزِيدُكَ قُلُوبُهُمْ فِي الْبِلَادِ » .

(١) ما بين القوسين بأجمعه ساطع من وجود في م .

(٢) وهذه آية كرمه سبحانه .

إذا ظهر البرهانُ واتَّضحَ البيانُ استسلَّتْ الألبابُ الصالحةُ للاضغابة والإيمان .  
 فأما أهلُ الكفرِ فلمْ عَلَى الجودِ إصرارٌ ، وشَوْمٌ شَرٌّ كُفْرٌ يحولُ بينهم وبين  
 الإنصافِ . . . . . وكذلك مَنْ لا يعزِّمون أولياءَ الله ، ويَصِرُّونَ عَلَى إنكارِهِمْ ،  
 ويَصِرُّونَ عَلَيْهِمْ بِقُلُوبِهِمْ ، ويَعْدِلُونَ فِي جَنْدِ الكراماتِ ، وَمَا يَخُصُّ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ  
 مِنَ الآياتِ . . . . . فهو لاءَ لا يميزون بين رَجائِهِمْ ونِقْصائِهِمْ ، وسيَفْضَحُونَ كَثِيرًا .

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ

والأحزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ

أمةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُوا بِالْبَاطِلِ

لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ

كَانَ عِقَابُ .

كذلك مَنْ اِغْرَضَ مِنَ الْكُفَّارِ كَانْ تَكْذِيبُ الرُّسُلِ دَأْبَهُمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ

— سَبَّحَانَهُ — اسْتَقَمَ مِنْهُمْ ، وَعَلَى كُفْرِهِمْ اخْتِرِمَهُمْ .

وَالْمُنْكَرُ لِهَذَا الطَّرِيقِ<sup>(١)</sup> يَدِينُ بِإِنْكَارِهِ ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِهِ ، وَيَعِدُ وَاقِعَتَهُ فِي

أَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنْ جَمَلَةِ إِحْسَانِهِ وَخَيْرَاتِهِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ — سَبَّحَانَهُ — يَمْذِبُهُمْ فِي السَّاجِلِ

بِخَلْقِهِمْ فَيَأْخُذُهُمْ فِيهِ ، وَصَدَّقَ قُلُوبُهُمْ عَنْ هَذِهِ الْمَعَانِي ، وَحَرَمَاتِهِمْ مِنْهَا .

قوله جل ذكره : « وَكَذَلِكَ خَافَتْ كُلُّ رِجْلٍ عَلَى

الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ » .

إذا انْخَمَّ عَلَى عَيْدِ حُكْمِ اللَّهِ بِشَقَاوَتِهِ فَلَا تَنْفَعُهُ كَثْرَةُ مَا يُوْرَدُ عَلَيْهِ مِنَ النُّصَحِ ..

وَاللَّهُ عَلَى أَمْرِهِ غَالِبٌ . وَمَنْ أَمَرَتْهُ يَدُ الشَّقَاوَةِ فَلَا يَخْلُصُهُ مِنْ مَخَالِهَا جُهْدٌ

وَلَا سَعَايَةٌ .

قوله جل ذكره : « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ التَّرَاشَ وَمَنْ

(١) يقصد الدريق الصوفى .

قَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ  
بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا  
رَسِفَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاعْفِرْ  
لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ  
عَذَابَ الْجَحِيمِ .

حَلَّةُ الْعَرْشِ مَنْ حَوْلَ الْعَرْشِ مِنْ خَوَاصِّ الْمَلَائِكَةِ<sup>(١)</sup> ، مأمورون بالتسبيح  
لِلَّهِ ، ثم بالاستغفار للمؤمنين — لأنَّ الاستغفارَ للذنوبِ والتوبةُ إنما تحصل من الذنب —  
ويجتهدون في الدعاء لهم على نحو ما في هذه الآية وما بعدها ؛ فيدعون لهم بالنجاة ،  
ثم يرفع الدرجات ، ويحولون الأمر في كل ذلك على رحمة الله .

قوله جل ذكره : « رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ

الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ  
آلِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ  
أَنْتَ السَّمِيعُ الْحَكِيمُ \* وَفِيهِمُ  
النَّيِّتَاتُ وَمَنْ تَقَى النَّيِّتَاتِ يَوْمَئِذٍ  
قَدْ رَحِمْتَهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

« وَمَنْ تَقَى النَّيِّتَاتِ يَوْمَئِذٍ قَدْ رَحِمْتَهُ » : فَمَنْ سَلَّطَ عَلَيْكَ أَوْدِلَ مِنْ خَلْقِهِ  
— وَهُمْ الشَّيَاطِينُ — فَقَدْ قَبِضَ بِالشَّفَاعَةِ أَفْضَلَ مِنْ خَلْقِهِ وَمِنَ الْمَلَائِكَةِ الْقَرِيبِينَ

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَبْهَتُونَ لِمَ كُنتُمْ

أَقْبَلُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَقَتِكُمْ أَفْئَتِكُمْ  
إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ » .

أَشَدُّ الْعُقُوبَاتِ الَّتِي يُوصَلُّهَا الْحَقُّ إِلَيْهِمْ آثَارُ سُخْطِهِ وَغَضَبِهِ ، وَأَجَلُ النَّعَمِ

(١) جن جابر بن عبد الله الأنصاري قال قال رسول الله (ص) : وأذن لي أن أحدث عن ملكهم من ملائكة  
من حلة العرش ما بين شمس أثنى إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام . ذكره الشيخ ، وقال : هو أظم الخلق .

التي يزعم بها آغار رضاه عنهم . فلذا عَرَفَ الكافرُ في الآخرة أن ربه عليه غضبانُ فلا شيء أصعب على قلبه من ذلك ؛ لأنه عَلمَ أنه لا بُسْكَاءَ بنفسه ، ولا عِناةَ يُزِيلُ عنه ما هو فيه ويذهب ، ولا يُسَمِعُ له تضرُّع ، ولا تُزجى له حيلة .

قوله جل ذكره : « قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا الْمُتَنِينَ وَأَحْيَيْنَا

الْمُتَنِينَ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ

مِنْ سَبِيلٍ » .

الإماتة الأولى إِمَاتَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ فِي الْقَبْرِ يَحْيِيهِمْ ، ثُمَّ يَمِيتُهُمْ فَهِيَ الإِمَاتَةُ الثَّانِيَّةُ . والإحياء الأول في القبر والثاني عند النشْر<sup>(١)</sup> .

« فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا » : أَقْرَأُوا بِذُنُوبِهِمْ — وَلَكِنْ فِي وَقْتٍ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِقْرَارُ .

« فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ » : مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّوْبَةُ وَالْإِقْرَارُ . فَيَقَالُ لَهُمْ : —

« ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ

كَفَرْتُمْ وَلَقَدْ يُشْرِكُ بِهِ تَوَكَّلْتُمْ

فَعَلَّكُمْ اللَّهُ الْعَذَابَ الْكَبِيرَ » .

أَيُّ تَصَدَّقُوا لِلشُّرَكِيِّنَ لِيَكْفُرُوا . [ وهوؤلاء إِمَاتَتُهُمْ مَحْصُورَةٌ ، فَأَمَّا أَهْلُ الْحَيَةِ فَهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَيَّةٌ وَمَوْتٌ ، قَالَ قَائِلُهُمْ :

أَمُوتَ إِذَا قَدَرْتُكَ ثُمَّ أَحْيَا فَكَمْ أَحْيَا عَلَيْكَ وَكَمْ أَمُوتَ !

فَلَنْ الْحَقَّ — سَيِّئَاتِهِ — يُرَدِّدُ أَبَدًا اْخُطُوصَ مِنْ عِبَادِهِ بَيْنَ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ ،

(١) هذا الرأي يذهب إليه السُّنِّيُّ أيضاً ، وإِنَّمَا إِسْخَاظُهُمْ فِي الْقُبُورِ الْمَسَاءَةُ ، وَمِنْ هَذَا اسْتَدَلَّ الْمَلَاءِ عَلَى سُؤَالِ الْقَبْرِ .

واستدل من الآية كذلك على إحياء الأجساد ، لأنَّ أَرْوَاحَ — عِنْدَ مَنْ يَقَعَرُ أَحْكَامُ الْآخِرَةِ عَلَى الْأَرْوَاحِ — لَا تَمُوتُ وَلَا تَنْتَبِرُ وَلَا تَقْدِسُ ، فَلَوْ كَانَ الْقُرَابُ وَالْعَقَابُ أَرْوَاحَ — دُونَ الْجَسَدِ — لَمَا مَعْنَى الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ ؟ وَيَذْهَبُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْرُودٍ وَتَمَادَةُ وَالْفَسْهَالُ إِلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أَمْوَائًا فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ . ثُمَّ أَمَاتَهُمُ الْمَوْتَ إِلَى لَا يَدُ مِنْهَا فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ الْبَحْثَ وَالْقِيَامَةَ ، فَهَاتَانِ حَيَاتَانِ وَمَوْتَانِ .



والحياة والوالت ، والمحو والإبثات <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « هو الذى يُرِيكم آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ

من السماء رِزْقًا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا مَنْ يُلَئِبُ » .

يُرِيهم آيَاتِ فَضْلِهِ فَمَا يُلَئِبُهُمْ ، وَيُرِيهم آيَاتِ قَهْرِهِ فَمَا يَكْشِفُهُمْ ، وَيُرِيهم آيَاتِ عَفْوِهِ إِذَا تَنَصَّلُوا <sup>(٢)</sup> ، وآيَاتِ جُودِهِ إِذَا تَوَسَّلُوا ، وآيَاتِ جَلَالِهِ إِذَا هَابُوا خُفَاوًا ، وآيَاتِ جَمَالِهِ إِذَا آوَا واستجابوا . « وينزل لكم من السماء رزقًا » لأبناكم وهو توفيق الجملعات ، وقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ، ( ولأسراركم وهو فتون الرواصلات والزيادات ) <sup>(٣)</sup> .

« وما يَذْكُرُ إِلَّا مَنْ يُلَئِبُ » : يرجع من العادة إلى البداة ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن الخلق إلى الحق ، ومن الجهل إلى العلم ، ومن النكارة إلى العرفان .

قوله جل ذكره : « فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » .

شَرَطُ الدِّعَاءِ تَدْيِيمُ الْعُرْفَةِ لَصَرْفِ مَنْ الْقَى تَدْعُوهُ ، ثُمَّ تَدْعُو بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ بِمَا لَا يَذْكُرُ منه ، ثُمَّ تَنْظُرُ هَلْ أَعْطَاكَ مَا تَطْلُبُ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي ؟ وَالْوَاجِبُ الْأَنْتَلِبُ شَيْئًا تَكُونُ فِيهِ عَاقِلًا لَأَمْرِهِ ، وَأَنْ تَتَبَاعَدَ عَنْ مِثَالِ الْأَشْيَاءِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ تُرَضَى بِمَا يَخْتَارُهُ فَكَ مَوْلَاكَ . وَمِنَ الْإِخْلَاصِ فِي الدِّعَاءِ أَنْ تَرَى الْإِجَابَةَ إِلَّا مِنْهُ ، وَأَلَّا تَرَى لِنَفْسِكَ اسْتِغْنَاءًا إِلَّا بِفَضْلِهِ ، وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ إِنْ بَقِيَتْ فِي سُؤْلِكَ عَنْ حَقْلِيكَ — الذى هو حَقْلُكَ — لَا تَقِىَ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّكَ — التى هى حَقُّهُ ؛ فَإِنَّ الدِّعَاءَ مُخُّ الْعِبَادَةِ ، وَمِنَ الْإِخْلَاصِ فِي الدِّعَاءِ أَنْ

(١) قالوت بالقليس والقناء والمحو ، والحياة باليسط والبقاء والإبثات . ونحسب أن الكلام الموجود بين القوسين الكبيرين يصل بالآلة السابقة نظراً لتلازم تغليب الأسرار مع الإساءة والإحياء . وكنا نريد أن نفسه في مكانه حسباً وأبنا لولا أنه موضوع هنا في م و ص . ويبدو أن القشيري اعتبر الإيتين كياناً مضروباً واحداً ، فنبات الإشارة منهما جميعاً .

(٢) أى تنصلوا من ذنوبهم .

(٣) ما بين القوسين موجود في م وسقط في ص .

تكون في حال الاضطراب لما لا يكون ابتلاؤه جزئاً لك ، وتكون ضرورتك لسراية جنايتك .

قوله جل ذكره : « رفيع الدرجات ذو العرش يُنتهي الروح من أمره على من يشاء من عباده ليُنْفِثَ يومَ التلاق » .

رافع الدرجات للصّلة بالنّجاة<sup>(١)</sup> ، وللطّمين بالتّوابع والأصفياء والأولياء بالكرامات ، ولقوى الحاجات بالكماليات ، ولعارفين بتفسيهم عن جميع أنواع الإرادات .

ويقال درجات الملمّين بظواهرهم في الجنة ، ودرجات العارفين بقلوبهم في الدنيا ؛ فيرفع درجاتهم من النظر إلى الكوّن دون الساكنة إلها . وأمّا المحبون فيرفع درجاتهم عن أن يطلبوا في الدنيا والنّهي شيئاً غير رضا محبوبهم<sup>(٢)</sup> .

« ذو العرش » : ذو الشّك الرفيع . ويقال العرش الذي هو قبلة الدّعاء ، خلّقه أرفع مخلوقات وأعظمها جنة<sup>(٣)</sup> .

« يأتي الروح من أمره على من يشاء من عباده » روح بها ضياء أبدانهم — وهو سلطان عقولهم ، وروح بها ضياء قلوبهم — وهو شغله علومهم ، وروح بها ضياء أرواحهم

---

(١) واضح أن القشيري لا يكاد يترك فرصة دون أن يفتح أبواب الأمل أمام الصّلة حتى لا يفتقدوا من رحمة الله .. وهذا تابع من مباحث الصّوفية الأصيلة :

(٢) هنا نلاحظ أن القشيري جعل الحب أعلى درجة من العارف — مع أن العرفان الذي غايته التّوحيد — هو أعلى مراتب الطريق الصّوفي . ولكن نظراً لأن الحب والفتاء والمعرفة كلها من الحب وإلى الحب فكثيراً ما نجد كتّاب الصّوف كالقشيري والقرنالي وغيرهما لا يميزون تقيداً حقيقياً هذا التّرتيب الذي يليه في الدّراسة قطع ، وقد تناولنا هذه التّفقّة بالتّفصيل في كتابنا ونشأة الصّوف الإسلامي ط دار المعارف في مقابلة باب «الملاقات» .

(٣) نلاحظ أن القشيري هنا يصف (العرش) مرة بأنه الملك أو قبلة الدّعاء ثم يعود فيقول ( .... ) وأعظمها جنة) بمعنى أن مجرد العرش مرة من المادية ثم يعود لينطع عليه التّسبة المادية ، فإلّا كان ذلك يقصد مخاطبة الناس على قدر فهمهم — كما قلنا من قبل فهذا جائز .. ولكن الواقع أن القشيري يجر من شيء من الاضطراب الذي أصاب الأشاعرة إزاء المتشابهات ، وهو أمر تحدّثنا عنه بالتّفصيل في كتابنا ( الإمام القشيري — تصوفه وأدبه ) ... ولعل غير ما انتهى إليه الرازي قوله «حاصل مدّح السلف أن هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله منها شيء غير ظواهرها ، ثم يجب تلوّض معناها إلى الله ، ولا يجوز الخوض في تفسيرها» (أساس التّقيديس الرازي ط الكروبي ص ٢٢٣) :

— والذي هو الروح رَوْحٌ — بتأويم بالله .

ويقال : روحٌ هو روح إلهام ، وروح هو روح إعلام ، وروح هو روح إكرام .

ويقال : روح النبوة ، وروح الرسالة ، وروح الولاية ، وروح للفرقة .

ويقال : روح بها بقاه الخلق ، وروح بها ضياه الحق .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ نُمِيزُ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ

شَيْءٌ » .

يعلم الحاصل للوجود ، ويعلم للمدوم المتقود ، والذي كان والذي يكون ، والذي لا يكون

بما عليم أنه لا يميز أن يكون ، والذي جاز أن يكون أن لو كان كيف كان يكون .

« لَيْسَ الْكُلُّ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ

الْقَهَّارُ » .

لا يقيّد ملكه يوم ، ولا يختص ملكه بوقت ، ولكنّ دَقَاوِيْ اَتَلَقِيْ — اليوم —

لا أصل لها ؛ إذ عندا تقطع تلك الصلوى وترتفع تلك الأوهام .

قوله جل ذكره : « الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ شَيْءٍ بِمَا كَسَبَتْ

لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحَسَابِ »

يجازيهم على أعمالهم بالجنان ، وعلى أحوالهم بالرضوان ، وعلى أخلاصهم بالقرية ، وعلى

محبتهم بالرؤية .

ويجزي المذنبين على توبتهم بالنفوان ، وعلى بكائهم بالضياء والشفاء .

« لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ » : أى أنه يستحيل تقدير الظلم منه ، وكل ما فعله أنه فعله . « وهو

سريع الحساب » مع عباده ؛ لا يشغله شأن من شأن ، وسريع الحساب مع أوليائه في الحال ؛

يطالبهم بالصغير والكبير ، والتغير والتلغير .

قوله جل ذكره : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزَةِ إِذْ يَتُوبُ لِمَنْ لَمْ

الخنابير كاطنين ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسَبِهِ  
ولا شفيح يَطَّاعُ» .

قلبه الكُلُّ مُوجَّهٌ ، وقيامَةُ الحَبِيبِينَ مُمَجَّلةٌ ؛ فَلَهُمْ فِي كُلِّ نَفْسٍ قِيَامَةٌ مِنَ الْعَقَابِ  
وَالْعَذَابِ وَالْثَوَابِ ، وَالْيَمَادُ وَالْاقْتِرَابُ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَمْ فِي حَسَابِ<sup>(١)</sup> ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمُ الْأَعْضَاءُ ؛  
فَاللَّمْعُ يَشْهَدُ ، وَخَفَقَانُ الْقَلْبِ يَنْطِقُ ، وَالنَّحْوُ يُخْبِرُ ، وَاللَّوْنُ يُفْصِحُ . . . وَالْعَبْدُ يَسْتَرْ  
وَلَكِنَّ الْبَلَاءَ يَظْهَرُ :

يَا مَنْ تَتَبَّرُ صُورِي لَمَّا بَدَا لَجِيعٍ مَا غُفُوا بِنَا تَصَدِّقًا<sup>(٢)</sup>

وَأَنْشُدُوا :

لِي فِي مَحَبَّتِهِ شُهُودٌ أَرْبَعٌ وَشُهُودٌ كُلُّ قَضِيَّةٍ اثْنَانِ  
ذُوبَانُ جَسِيٍّ وَارْتَادُ مَفَاصِلٍ وَخُفُوقُ قَلْبِي وَاعْتِقَالُ لِسَانِي  
وَقُلُوبِهِمْ — إِنْ أَرَفَ الرَّحِيلُ بَلَنْتَ الْخَنَابِيرَ ، وَبِعَيْنِهِمْ شَرِقَتْ بِمَوْعِهَا إِذَا نَوَدَى  
بِالرَّحِيلِ وَشَدَّتْ الرُّوَاهِلُ .

قوله جل ذكره : « يَسْلُمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي  
الْصُّدُورُ » .

غَفَاةً أَعْيُنَ الْمُحْسِنِينَ اسْتَحْسَبْتُمْ شَيْئًا ، وَلِهَذَا قَالُوا :

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ : سَلِّ عَنِّي هَلْ اكْتَسَلَتْ

بِمَنْظَرٍ حَسَنٍ مَذْخَبٌ عَنْ بَصَرِي ؟

وَقَالَتْ قَالُوا :

فَصِيفِي إِذَا اسْتَحْسَبْتَ غَيْرَكَ أَمَرْتُ الشَّهَادَ جَنَازِيهَا

(١) أي وما لم يتغير لم يبال و

(٢) معني الشاهد الشئى ليا نطن : ياها الذى تتغير صورى حذ تجليه ط ، فيكشف امرى دغم محاورى  
متر حلال ، وبذا تصبه طغون الماذلين واللايين .

ومن خائفة أعينهم أن تأخذهم السنة والشباب في أوقات اللجأة ؛ وقد جاء في قصة داود عليه السلام : كَذَبَ مَنْ ادَّعَى بِحَقِّي ، فَلَمَّا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي !

ومن خائفة أعين المارقين أن يكون لهم حَيَرٌ بطوبهم مما تقع عليه عيونهم .

ومن خائفة أعين الموحدين أن يخرج منها قطرةٌ دمعٍ تأسفًا على مخلوقٍ يغوث في الدنيا والآخرة ، ولا على أنفسهم .

ومن خائفة أعين الخبيثين النظرُ إلى غير المحبوب بأى وجهٍ كان ، ففي الخبر : « حُبُّكَ الشَّيْءَ يَمْسِي وَيَضَعُ » .

« وما تخفى الصدور » : فالحقُّ به خير <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » .

يقضى للأجانب بالباعد ، ولأهل الوصال بالوداد ، ويقضى يومَ القدوم بِمَزَلِّ حال الصدود ، وإذا ذُبِحَ الموتُ غداً بين الجنة والنار على صورةٍ كَثِيفَةٍ أَمْلَحَ فلا غرابة أن يَذْبَحَ التَّوَالِدُ على رأسِ سِكَّةٍ <sup>(٢)</sup> الأحابير في صورةٍ شغصٍ منسكٍ ويصلب على جذوع البيرة لينظر إليه أهلُ الحضرة .

قوله جل ذكره : « أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ

كَانُوا مِنْ أَشَدِّ قُوَّةً وَآثَارًا

---

(١) كان عبد الله بن أبي سرح يكتب الوحي لرسول الله (ص) ثم اردته وعلق بالمشركين فأمر رسول الله (ص) بقتله يوم فتح مكة .

ويروى أنه لما جرى به إل الرسول (ص) بعدما اطمأن أهل مكة ، وطلب حيان رضى الله عنه له الإيمان صمت . الرسول طويلاً ثم قال : « منهم » ، فلما انصرف قال الرسول (ص) لمن حوله : « وما صمت إلا ليقيم إليه بفسكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار : فهلا أرسلت إلى يا رسول الله ؟ فقال : إن التجي لا تكون له خائفة أعين » .

(٢) السكة = الطريق المستوى .

في الأرض نأخذهم الله بذنوبهم  
وما كان لهم من الله من واق .

أو لم يسروا في أقطار الأرض بنفوسهم ، ويطوفوا مشارقها ومنازلها ليستبرأ بها فيزهدوا  
فيها ؟ أو لم يسروا بقلوبهم في الملكوت يملآن الفكر ليشهدوا أنوار التبلي فيستبصروا بها ؟  
أو لم يسروا بأسرارهم في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقائق ، وليتخلصوا من جميع  
الخلوقات قاصبها وجانيها ؟ .

قوله جل ذكره : « ذلك بأنهم كانت تأتيهم رُسُلهم  
بالبينات فكفروا فأخذهم الله إنه قوي  
شديد العقاب » .

إن بني من أهل السلك قاصدٌ لم يصل إلى مقصوده فليعلم أن موجب حجبِهِ اعتراضٌ  
خامرٌ قلبه على بعض شيوْخه في بعض أوقاته ؛ فلين الشيوخ يجعلُ السفراء للريدين . وفي الخبر :  
« الشيخ في قومه كالنبي في أمته » <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطانٍ  
مبين • إلى فرعون وهامان وقارون  
فقالوا ساحرٌ كذابٌ » .

أكرمُ خلقه في وقته كان موسى عليه السلام ، وأخسُ خلقه وأذلهم في حكمه وأشدهم  
كفراً كان فرعون ؛ فإِذا قال أحدٌ غيره : « ما عَلِمْتُ لكم من إله غيري » <sup>(٢)</sup> .  
فبنتَ الله -- أخسُ عياده إلى أخسُ عياده ، فقابلهُ بالكذب ، ونسبهُ إلى السحر ،

---

(١) يقول السهروردي في عوارفه : هو أخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتصاد برسول الله (ص) وهم أحق الناس  
بالإحياء ستة في كل ما أمر وتنب وأنكر وأوجب (ص ٢٩٢) عوارف المايف ، وفي موضع آخر يقول : « فليعلم  
المريد أن للشيخ عنده تذكارة من الله ورسوله وأن الذي يتخذه مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله  
عليه الصلاة والسلام . ص ٢٨٥ .  
(٢) آية ٢٨ سورة القصص .

وَأَنبِءُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ التَّائِبِينَ . ثُمَّ لَمْ يُعْجَلْ اللهُ عُقُوبَتَهُ ، وَأَمَهَ إِلَى أَنْ أَوْصَلَ إِلَيْهِ شِقْوَتَهُ —  
إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ حَلِيمٌ بَهْلَامٌ .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » .

عَزَّمَ عَلَى إِهْلَاكِهِ وَإِهْلَاكِ قَوْمِهِ ، وَاسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ يُجَنِّدُهُ وَخِيَلَهُ وَرَجَلَهُ ، وَلَكِنْ كَانَ كَمَا قَالَ اللهُ : « وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ » ، لِأَنَّهُ إِذَا حَفَرَ أَحَدٌ لَوْيًّا مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ تَمَلَّى حُفْرَةً مَا وَقَعَ فِيهَا غَيْرُ حَافِرِهَا ... بِذَلِكَ أُبْرَى الْحَقُّ سُنَّتُهُ .

قوله جل ذكره : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ » .

« وَلْيَدْعُ رَبَّهُ » أَيْ لِيَبْتَغِينَ رَبَّهُ ، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَبْدِلَ دِينَكُمْ ، وَأَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ، وَكَانَ الْفُسَادُ هُوَ فِرْعَوْنُ ، وَهُوَ كَأَقِيلِ فِي الْمَثَلِ : « رَمَتْنِي بَدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ » . وَلَكِنْ كَادَ لَهُ الْكَيْدُ ، وَالْكَائِدُ لَا يَضْلُخُ مِنْ كَيْدِهِ .

فَاسْتَمَازَ مُوسَى رَبَّهُ ، وَانْتَدَبَ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَبِمُوسَى كَانَ يَكْمُلُ لِعِمَّانَةِ عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ : —

« وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَمُضِيَ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُضَيِّقُكُمْ مَعَ مَنْ يُبَدِّلُكُمْ إِنْ أَلَّفَ الْبِرِّيذِينَ مَنْ هُوَ مُصْرِفٌ كَذَّابٌ » .. الْآيَاتُ

نَصَحَهُمْ وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَنْجِعْ فِيهِمْ نَصَحٌ وَلَا قَوْلٌ . وَكَمْ كَرَّرَ ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ مِنْ  
آلِ فِرْعَوْنَ الْقَوْلَ وَأَعَادَ لَهُمُ النَّصَحَ فَلَمْ يَسْتَمِعُوا لَهُ ، وَكَانَ كَمَا قِيلَ :

وَكَمْ سَقَتْ فِي أَلْأَرْكَامِ مِنْ نَصِيحَةٍ وَقَدْ يَسْتَنِدُ الْبُغْضَةُ الْمُنْتَصَحُ

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ

فَاذْكُرُوا فِي شَاكٍ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا

هَلَكَ قَلْبُكُمْ لَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ

رَسُولًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ

مُضِرٌّ مُرْتَابٌ » .

يَبَيِّنُ أَنَّ نَكَذِبِيهِمْ كَتَكْذِيبِ آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، وَكَأَمْ هَلَكَ أَوْلَئِكَ قَدِيمًا كَذَلِكَ

يَفْعَلُ بِهِؤْلَاءِ .

قوله جل ذكره : « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِي لِي مَرَحًا

لَعَلِّي أُلَاقِي الْأَصْحَابَ » أَسْبَابُ السَّمَوَاتِ

فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأُظَنُّهُ

كَاذِبًا » .

السَّبَبُ مَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ؛ أَيْ لَعَلِّي أَسْلُكُ إِلَى السَّمَاءِ فَأُطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى . وَلَوْ لَمْ

يَكُنْ مِنَ الْمَضَاهَاةِ بَيْنَ مَنْ قَالَ إِنَّ الْمُبُودَ فِي السَّمَاءِ وَبَيْنَ الْكَافِرِ إِلَّا هَذَا لَكُنِّي بِهِ خِزْيًا لِمَذْهَبِهِمْ <sup>(١)</sup> .

وَقَدْ غَلِطَ فِرْعَوْنُ حِينَ قَوَّهَهُمْ أَنَّ الْمُبُودَ فِي السَّمَاءِ ، وَلَوْ كَانَ فِي السَّمَاءِ لَكَانَ فِرْعَوْنُ مُصِيبًا

فِي طَلَبِهِ مِنَ السَّمَاءِ .

قوله جل ذكره : « وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ

وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كِيدُ فِرْعَوْنَ

إِلَّا فِي تَبَابٍ » .

أَخْبَرَ أَنَّ اعْتِقَادَهُ أَنَّ الْمُبُودَ فِي السَّمَاءِ خَطَأٌ ، وَأَنَّهُ بِذَلِكَ مُصَدِّقٌ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .

قوله جل ذكره : « وَقَالَ الْفُؤَادِيُّ آمَنَ يَا قَوْمِ أَنْتُمْ

(١) هنا يفسر التشبُّيرُ بالمشبهة فقرة قاسية ( انظر ص ٣٤٥ من هذا المجلد ) .



أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ \* يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ  
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ  
دَارُ الْقَرَارِ .

أَصْرًا عَلَى دَعَائِهِ لَمْ وَأَصْرُوا عَلَى جَعُودِهِمْ وَعُتُودِهِمْ .

« مَنْ عَمِلَ سِنَةً فَلَا يُعْزَى إِلَّا مِثْلُهَا  
وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ  
يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

« فلا يعزى إلا مثلها » : في المقدار لا في الصفة ؛ لأن الأولى سينة ، والمساكاة من الله  
عليها حسنة وليست ببينة .

« وهو مؤمن » يعني في الحال <sup>(١)</sup> ، لأنَّ مَنْ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا فِي الْحَالِ لَا يَكُونُ مِنْهُ الْعَمَلُ  
الصَّالِحُ ، « فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ » : أى رزقًا مؤبدًا مُخَلَّدًا ،  
لَا يَخْرُجُونَ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا يَمُوتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ .

« وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ  
وَتَدْعُوْنِي إِلَى النَّارِ » .

وهذا كُلُّهُ مِنْ قَوْلِ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ ، يَقُولُهُ عَلَى جِهَةِ الْاجْتِهَادِ قَوْمَهُ ، وَيُلْزِمُهُمُ  
الْحُجَّةُ بِهِ .

« تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ  
مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ  
النَّافِرِ » .

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ لِي بِصِحَّةِ قَوْلِكَ ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى  
مَا أَوْعَاهُ بِالْبَرهَانِ ، وَأَقِيمُ عَلَيْهِ الْبَيَانَ .

(١) في الحال مما مستلما في هذه الحياة الدنيا .

« لَا جَزَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ  
دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا  
إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ لِلْسَّارِفِينَ فِي أَهْبَابِ النَّارِ »  
لَا جَزَمَ أَنْ مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ بَاطِلٌ ؛ فَلَيْسَ لَتِلْكَ الْأَصْنَامِ حَيَاةٌ وَلَا عِلْمٌ وَلَا قُدْرَةٌ ، وَهِيَ  
لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ . وَقَدْ عَلِمْنَا — بِقَوْلِ الَّذِينَ ظَهَرَ صِدْقُهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ — كَذِبَكُمْ فِيهَا  
قَوْلُونَ .

« فَسَدَّ كُرُونُ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَقْوَضُ  
أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .  
أَقْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَلَا أَخَافُ مِنْكُمْ ، وَلَا مِنْ كَيْدِكُمْ .

قوله جل ذكره : « فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيْئَاتٍ مَا مَسَكُرُوا »

• وَهَلْ يَأْكُلُ فِرْعَوْنُ سَوْءَ الْعَذَابِ •  
النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ،  
وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ  
أَشَدَّ الْعَذَابِ » .

وَالْآيَةُ تَلْهُ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ (١) .

وَيَقَالُ إِنَّ أَرْوَاحَ السَّكَارَى فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ سُودٍ تُعْرَضُ عَلَى النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ . يَبْتَثُ تَدْخُلُ النَّارَ (٢) .

« أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » : أَيُّ يَا آلَ فِرْعَوْنَ أَدْخِلُوا أَشَدَّ الْعَذَابِ ، فَتَصَبَّه  
عَلَى النَّارِ الْمَصَافِ . وَيَقْرَأُ « أَدْخِلُوا » عَلَى الْأَمْرِ (٣) .

(١) بدليل قوله تعالى فيما بعد عن عذاب الآخرة : « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » وعن  
استخرج هذه النتيجة مجاهد ومكرمه ومقاتل وعبد بن كعب .

(٢) أي هذا دأبها في الدنيا تنهب في النداء أفواجاً أفواجاً يفسا صفاراً ثم تعود في المشاء سرداً قد احترقت  
رياشها ( الأوزاعي - والنص عند القرطبي ١٥٠ ص ٣١٩ )

(٣) فيكون الأمر عطفه للملائكة المصاف .

« أشد المذاب : أي أصعبه ، وأصعبُ عذابٍ للكفار في النار بأْسُهم من الخروج عنها .  
أَمَّا النصاةُ من المؤمنين فأشدُّ عذابهم في النار إذا علموا أن هذا يومُ لقاء المؤمنين ، فإذا عرفوا  
ذلك فلذلك اليومُ أشدُّ أيام عذابهم .

قوله جل ذكره : « وَإِذْ يَتَحَايَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ  
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا  
فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيحًا مِنَ النَّارِ ؟  
قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّا  
اَللَّهُمَّ قَدْ سَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ » .

يقول الضعفاء للذين استكبروا : أنتم أضلقتنونا ، ويقول لهم المستكبرون : أنتم وافقتنونا  
باختياركم<sup>(١)</sup> ؛ فحاجة بعضهم لبعض تزد في غيظ قلوبهم ، فكما يمدُّون بنفوسهم يمدُّون  
بضيق صدورهم ويُبشِّص بعضهم لبعض .

قوله جل ذكره : « وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِزَوجِهِمْ  
ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخَفُّ عَنَّا يَوْمًا مِنَ  
الْعَذَابِ • قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَابِعِيكُمْ  
رُسُلَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَئِنْ  
قَادَعُوا ، وَمَادَعَاهُ الْكَافِرِينَ إِلَّا  
فِي ضَلَالٍ » .

وهذه أيضًا من أمارات الأجنبية ، فهم يُدْخِلُونَ واسطةَ بينهم وبين ربهم<sup>(٢)</sup> . ثم إن الله  
ينزع الرحمةَ عن قلوب اللائكة كي لا يستشفعوا لهم .

(١) لاحظ هنا كيف يجرس التشيرى حل إيراد عنصر الاختيار لدى الإنسان ، مع معرفتنا السابقة بأن  
يتنادى بأن الله خالق كل شيء حتى أكساب العباد ، وقد حاول أن يوفق بين الاتجاهين فقال : يجرى هذا من العبد  
فلا ومن الله حكماً .

(٢) من ذلك نفهم أن التشيرى لا يرى بالواسطة عند الله ، بل ينبغي أن تدعو الله مباشرة .

قوله جل ذكره : « إِنَّا كُنْصَرُ رُضْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » .

تنصروم بِالْآيَاتِ وَفَنُونَ التَّعْرِيفَاتِ حَتَّى يَعْرِفُوا وَيَشْهَدُوا أَنَّ الظَّفَرَ وَضِدَّهُ مِنْ اللَّهِ ، وَالْخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنْ اللَّهِ .

ويقال تنصروم على أعدائهم بكيفية خفية ولطف غير مرئية ، من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون ؛ تنصروم في الدنيا بالمعرفة<sup>(١)</sup> وباليتين بَأَنَّ الكائنات من الله ، وتنصروم في الآخرة بَأَنَّ يشهدوا ذلك ، ويعرفوا — بالاضطرار<sup>(٢)</sup> — أَنَّ التَّائِبِينَ مِنْ اللَّهِ ، وَغَايَةَ النُّصْرَةِ أَنْ يَقْتُلَ النَّاصِرُ عَدُوَّ مَنْ يَنْصُرُهُ ، فَلِذَا أَرَادَ حَقُّهُ<sup>(٣)</sup> تَحَقُّقَ بَأَنَّ لَعَدُوٍّ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ أَشْبَاحَ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ التَّدْوَةِ ؛ فَالْوَلِيُّ لَا عَدُوَّ لَهُ ، وَلَا صَدِيقَ لَهُ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ تَعَالَى : « اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا »<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ

الْعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ النَّصِيرِ » .

دليلُ الْخَطْبِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَنْفَعُهُمْ تَنْصُلُهُمْ ، وَلَهُمْ مِنَ اللَّهِ الرَّحْمَةُ ، وَلَهُمْ حُسْنُ النَّصِيرِ ، وَمَا يَحْتَاجُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا الْيُسِيرَ

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدًى وَأَوْرَثْنَا

بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ \* هُذًى

وَذِكْرًى لِّأُولَى الْأَلْبَابِ » .

مَضَى طَرَفٌ مِنَ الْبَيَانِ فِي قِصَّةِ مُوسَى .

(١) في ص (بالمعرفة) والملائكة لسياق (بالمعرفة واليتين) كما جاء في م .

(٢) أي تكون سرقة ضرورية ، ونحن نعلم من مذهب الفقهاء أَنَّ المعرفة في الابتداء كسبية (من العبد) وفي الانتهاء ضرورية (من الرب) .

(٣) في ص (حقه) والملائكة لسياق أَنَّهُ يَرِيهِ (حذف) طوه .

(٤) آية ٢٥٧ سورة البقرة .

قوله جل ذكره : « فَأَصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَعْفِرْ  
لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْشَّيْ  
وَالْإِكْبَارِ » .

الصبرُ في انتظار الموعد من الحقِّ على حسب الإيمان والتصديق ؛ فمن كان تصديقه وبقينه  
أتمَّ وأقوى كان صبره أتمَّ وأوفى .

« إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا » : وهو — سبحانه — يُعْطِي وَإِن تَوَهَّمُ الْمَبْدُ أَنَّهُ يُعْطِي .  
ويقال الصبر على قسمين : صبرٌ على المافية ، وصبرٌ على البلاء ، والصبرُ على المافية أشدُّ  
من الصبر على البلاء ، فصبرُ الرجال على المافية وهو أتمُّ الصبر<sup>(١)</sup> .

« واستغفر لذنبك » . وفي هذا دليل على أنه كانت له ذنوب ، ولم يكن جميعُ استغفاره  
لأتمته لأنه قال في موضع آخر « وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْمُؤْمِنَاتِ »<sup>(٢)</sup> وهنا لم يذكر ذلك . ويمكن حملُ  
الذَّنْبِ على ما كان قبل النبوة ؛ إذ يجوز أن يكون المبد قد تلب من الزَّكَاةِ ثم يجب عليه  
الاستغفار منها كما ذكرها ، فلن تجد يد التوبة يجب كما يجب أصلُ التوبة<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّا الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بُنِيرِ  
سُلْطَانٍ أَنَا أَنَا إِنَّا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرُ  
مَا هُمْ بِبَالِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْبَصِيرُ » .

« بنير سلطان » : أى بنير حجة .

« إِنَّا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرُ » أى ليس في صدورهم إلا كِبِيرٌ يَنْهَمُّ عَنْ الْإِقْبَادِ لِلْحَقِّ ،  
ويتقون به عن الله ، ولا يصلون إلى مرادهم .

(١) لأن قوة الإنسان قد تنسبه ذكر المنعم فيصبر عنه — وهذا جفاء ، ولكن ضعف الإنسان في الجلاء يدفعه  
إلى الصبر في الله ، قال تعالى : وَالصَّبْرُ مَتَكْ فَمَلُومٌ عَوَالِيهِ

والصبر في سائر الأضياء محمود

(٢) آية ١٩ سورة محمد .

(٣) تنبيه هذه الآراء مع بحث قضية كلابية هي : عصمة الأنبياء .

قوله جل ذكره : « لَخَلِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ  
مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

أَي خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ بَعْثِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ أَنْ  
صَارُوا رَمِيًا ؛ فَاقْتَوْمُ كَاتِبُوا يُقَرُّونَ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَكْرَهُونَ أَمْرَ الْبَعْثِ .

قوله جل ذكره : « وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ  
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى  
قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ » .

أَرَادَ بِهِ : مَا يَسْتَوِ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ ، وَلَا لِلرُّبُوبِ بِشَهْوَتِهِ كَالْمُبْطُوطِ بِصَفْوَتِهِ ،  
وَلَا الْجَانِبُ بِقُرْبَتِهِ كَالْحُجُوبِ بِعُتُوبَتِهِ ، وَلَا لِلزَّيْفِ إِلَى مَشَاهِدَتِهِ كَالْمُبْتَلَى فِي شَاهِدِهِ ،  
وَلَا الْمَجْدُودُ<sup>(١)</sup> بِمَادَنَاتِهِ كَالْمُرْدُودِ لَشَقَاوَتِهِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ  
فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ  
لَا يُؤْمِنُونَ » .  
إِنَّ مِثْلَتَ الْحَسَابِ لَكَائِنٌ وَإِنْ وَقَعَتِ الْمُلَّةُ فِي أَوَانِهِ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ  
لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ خَاغِرِينَ » .  
مَنْهَاهُ : ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى : « فَيَكْتَفٍ  
مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنَّ شَاءَ »<sup>(٣)</sup> .

(١) جَدُّهُ هُوَ عَجْرَدٌ أَيْ كَانَ لَهُ حِطٌّ .

(٢) أَيْ إِنَّ وَقْتُ الْحَسَابِ لَكَائِنٌ مِمَّا طَالَبَ الْمُلَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ وَقْتُ حُصُولِهِ .

(٣) آيَةُ ٤١ سُورَةِ الْأَنْعَامِ .

ويقال ادعوني بشرط الدعاء ، وشرط الدعاء الأكل من الحلال ؛ إذ يقال الدعاء مفتاح الحاجة ، وأسبابه القصة الحلال .

ويقال كلُّ مَنْ دعاه استجاب له إما بما يشاء له ، أو بشيء آخر هو خيرُ له منه .

ويقال الكافر ليس يدعوه ؛ لأنه إنما يدعو مَنْ له شريك ، وهو لا شريك له .  
ويقال : إذا ثبت أن هذا الخطاب للمؤمنين فما مِنْ مؤمن يدعو الله ويسأله شيئاً إلا أعطاه في الدنيا ، فأما في الآخرة فيقول له : هنا ما طلبته في الدنيا ، وقد ادخرته لك لهذا اليوم حتى ليَتَمَنَّى العبدُ أنه يته لم يُعط شيئاً في الدنيا قط .

ويقال ادعوني بالطاعات استجب لكم بالثواب والدرجات .

ويقال ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة . ويقال ادعوني بالتوصل أستجب لكم بالتفضل . ويقال ادعوني بحسب الطاقة أستجب لكم بكشف الغافة .  
ويقال ادعوني بالسؤال أستجب لكم بالنوال والأفضال .

« إن الذين يستكبرون عن عبادتي . . » أى يستكبرون عن دعائى ، سيدخلون جهنم صاغرين .

قوله جل ذكره : « الله انى جل لكم الليلَ لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرأ »  
... الآيات

سكونُ الناس في الليل على أقسام : أهلُ النفلة يسكنون إلى غفلتهم ، وأهل المحبة يسكنون بحكم وصلتهم ، وشتان بين سكون غفلة وسكون وصلة 1

قومٌ يسكنون إلى ابتلهم وأشكلهم ، وقومٌ يسكنون إلى حلالة أعمالهم ؛ لبطئهم واستغلالهم ، وقومٌ يديمون القراء في ليالهم ونهارهم وأولئك أصعبُ الاشفاق . . .  
أبدأ في الاحترق .

« ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ » الذى جَعَلَ سكونكم معه ، وانزعاجكم له ، واشتياقكم إليه ،  
وَمَحَبَّتكم فيه ، واطمئنانكم إليه .

قوله جبل ذكره : « اللَّهُ الذى جبل لكم الأرضَ  
قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ  
صُورَكُمْ » .

« صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ » : خَلَقَ الرَّشَّ وَالْكُفْرَ وَالسُّوءَاتِ وَالْأَرْضِينَ  
وَجَمِيعَ الْخُلُوقَاتِ وَلَمْ يَقُلْ هَذَا الْخَطَابُ ، وَإِنَّمَا قَالَ لَنَا : « وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ »  
وَلَيْسَ الْحَسَنُ مَا يَسْتَحْسِنُهُ النَّاسُ بَلِ الْحَسَنُ مَا يَسْتَحْسِنُهُ الْحَقِيبُ :

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ عَنْ رَتْبِهِ عِنْدَى وَلَا صَمَرَكَ مُفْتَلَبُ  
كَأَنَّهُمْ أَتَمُّوا - وَلَمْ يَمْلُوا - عَلَيْكَ عِنْدَى بِالَّذِى عَابُوا  
لَمْ يَقُلْ لِلشُّمُوسِ فِي عِلَالِهَا ، وَلَا لِلْأَقْوَارِ فِي ضِيَائِهَا : « وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ  
صُورَكُمْ » .

وَلَمَّا أَتَمَّى إِلَيْنَا قَالَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : « قَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ »<sup>(١)</sup>  
وَيَقَالُ إِنَّ الرَّاشِينَ قَبَّحُوا صُورَكُمْ عِنْدَنَا<sup>(٢)</sup> ، بَلِ الْمَلَائِكَةُ كَتَبُوا فِي صَحَافِكُمْ  
قَبِيحَ مَا ارْتَكَبْتُمْ . . . وَمَوْلَاكُمْ أَحْسَنَ صُورَكُمْ ، أَنْ عَا مِنْ دِيَوَانِكُمُ الزُّلَّاتِ ،  
وَأَتَيْتَ بَدَلًا مِنْهَا الْحَسَنَاتِ ، قَالَ تَعَالَى : « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ »<sup>(٣)</sup> ، وَقَالَ :  
« فَأَوَّلُكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ »<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ » .  
لَيْسَ الطَّيِّبُ مَا نَسْتَطِيعُ التَّضَرُّعَ إِعْمَا الطَّيِّبِ مَا يَسْتَطِيعُ الْقَبْضُ ، فَالْغَبَرُ

(١) آية ٤ سورة العنكبوت .

(٢) ربما يقصد القسري بذلك إبليس الذى أصله يكونه مخلوقاً من نار كل آدم المخلوق من الطين .

(٣) آية ٣٩ سورة الرعد .

(٤) آية ٧٠ سورة الفرقان .



التفكار أطيب لتغيير الشاكر من الخلاء للفنى للقسط .

وَرَزَقُ النُّفُوسِ الطَّامُ وَالشَّرَابُ ، وَرَزَقُ الْقُلُوبِ لِنَاثَاتِ الطَّلَاتِ .

قوله جل ذكره : « هو الحى لا إله إلا هو فادعوه

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ »

« هو الحى » : الذى لا يموت ، ولا فضله يموت ، فادعوه بلسان القوت ،

وذلك عليه لا يموت .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي

الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ »

قُلْ — يا محمد — إني نهيت عن عبادة ما تدعون من دون الله ؛ أى أمرتُ

بالبراءة عما عبدتم ، والإعراض عما به اشتغلتم ، والاستسلام للذى خلقنى ،

وبالنبوة استغنى .

قوله جل ذكره : « هو الذى خلقكم من نراب

ثم من طينة ثم من علقمة ثم

يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ ثُمَّ

لِتَشْكُرُوا شَيْعًا . . . »

فن ترية إلى قطرة ؛ ومن قطرة إلى علقمة .. ثم من بطون أسنانكم إلى

ظهوركم في دنياكم .. ثم من حال كونكم طفلاً ثم شالاً ثم شيخاً ..

وهو الذى يحيى ويميت ، ثم يبعث فى أخرى العالدين .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ نَرَكُمَا إِلَى الدِّينِ يُحَادِلُونَ

فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْ يَصْرَفُونَ .

فِي آيَاتِ اللَّهِ يَبْلُغُونَ ؛ فَلَا حُجَّةَ يَرُدُّونَ ، وَلَا عَذَابَ عَنْ أَهْلِهِمْ يَرُدُّونَ ،  
سَيُطْلَوْنَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَسْتَذِرُونَ حِينَ لَا يَسْمَعُ عَذْرُهُمْ ، وَذَلِكَ  
عِنْدَمَا :

« إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ  
يُسْحَبُونَ \* فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ  
يُسْجَرُونَ » . . . الْآيَاتِ .

يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ وَالْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، ثُمَّ يُدَاقُونَ أَوَانَ الذَّنَابِ . . فَإِذَا  
أَقْرَبُوا بِكَفَرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ يُقَالُ لَهُمْ : أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، فَبِئْسَ مَثْوَاهُمْ  
وَمَصِيرُهُمْ ، وَسَاءَ ذَهَابُهُمْ وَمَسِيرُهُمْ .

قوله جل ذكره : « فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ »  
فَلَمَّا تَرَيْتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ  
تَتَوَفَّيْتَنَا فَلْيُنَا يُرْجَعُونَ .

كُنْ قَبْلَكَ فَارْعَا عَنْهُمْ ، وَانْظُرْ مِنْ بَعْدُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِهِمْ ، وَاسْتَقِنْ بِأَنَّهُ  
لَا جَاءَ لِحُجَّةِ بَاطِلِهِمْ . . فَإِنْ قَبِيتَ بَعْضَ مَا نَتَوَعَّدُهُمْ بِهِ وَإِلَّا فَلَا تَكُ فِي رَبِّهِ مِنْ  
مُقَاسَاتِهِمْ ذَلِكَ بَعْدُ . ثُمَّ أَكَّدَ تَسْلِيَتَهُ إِلَاهُ وَتَجْدِيدَ تَصْيِيرِهِ وَتَعْرِيفَهُ بِقَوْلِهِ :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ  
مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ  
نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ  
يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ  
اللَّهِ قُضِيَ بِالْحُسْنِ وَخَيْرَ هَذَاكَ  
الْمُتَبِعِينَ » .

فصمنا عليك قصصَ بعضهم ، ولم نخبرك عن قصص الآخرين .

ولم يكن في ووسع أحدُ الإتيانِ بمجيزةٍ إلا إذا أظهرنا نحن عليه ما أردنا إذا ما أردنا . فكَذلك إنَّ طالوتَ بِآيةٍ قدَّ أظهرنا عليك من الآياتِ ما أزعجنا به المذرَّ ، وأوضحنا صِحَّةَ الأمرِ . . وما اقترحوه ... فلنَ شئنا أظهرنا ، وإنَّ شئنا نَرَكُنَا .

قوله جل ذكره : « اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ  
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \*  
وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً  
فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى لِقَالِكِ  
تُخَسِّلُونَ \* وَيُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرَهُ فَاُيَّ  
آلِهَتِ اللَّهِ تُكْسِرُونَ »

ذَكَرَهُمْ عَظِيمَ إِنْصَافِهِ بِتَخْيِيرِ الْأَنْعَامِ ؛ فَقَالَ جَعَلَهَا لَكُمْ لِتَنْتَفِعُوا بِهَا بِالرَّكُوبِ  
وَالْخَمْلِ وَالسَّمَلِ ، وَلِتَسْتَقُوا أَلْبَانَهَا ، وَلِتَأْكُلُوا لَحُومَهَا وَشَحُومَهَا ، وَلِتَنْتَفِعُوا بِأَصْوَفِهَا  
وَأَوْبَارِهَا وَأَشْمَارِهَا ، وَلِتَقْطَعُوا مَسَافَةً بَعِيدَةً عَلَيْهَا ... فَجَلِيَ الْأَنْعَامُ فِي التَّلْكَاتِ تَنْتَقِلُونَ  
مِنْ صُغَرٍ إِلَى صُغَرٍ . . وَأَنَا الَّذِي بَمَرَّتْ لَكُمْ هَذَا ، وَأَنَا الَّذِي أَلْهَمْتُكَ الْاِئْتِفَاعَ  
بِهِ ؛ فَتَقُوا فِي ذَلِكَ وَاعْرِفُوهُ .

قوله جل ذكره : « أَعْلَمُ بِهَرَوَا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا  
كَيْفَ كَانَ حَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
كَانُوا أَكْثَرَ قُوَّةً وَأَظْفَرًا  
فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ » . . . الْآيَاتِ

أَمَرَهُمُ بِالْاِئْتِفَاعِ بِمَنْ كَانُوا قَبْلَهُمْ ؛ كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَطْوَلَ  
أَعْمَارًا ، فَانْجَرُوا فِي جِبَالِ أَمَالِهِمْ ، فَوَقَعُوا فِي وَهْلةٍ غَرُورٍ ، وَمَا بَقِيَ لِمَنْ

عن مراده فيهم ، واعتقوا بسلامتهم في مُدَّةٍ ما أُرْخِنا لهم عَنانَ إسماعيل ، ثم طَاجَأْنَاهُمْ  
بِالْعُقُوبَةِ ، فَلَمْ يُعْجِزُوا اللَّهَ فِي مُرَادِهِ مِنْهُمْ .

فَلَمَّا رَأَوْا شِدَّةَ الْيَأْسِ ، وَوَصَوْا فِي مَفْلَقَةِ الْخِيَةِ وَالْيَأْسِ نَعَمُوا أَنْ لَوْ أُعِيدُوا  
إِلَى الدُّنْيَا مِنَ الرَّأْسِ . . قَابِلَهُمُ اللَّهُ بِالْخِيَةِ<sup>(١)</sup> ؛ وَخَرَّطَهُمْ فِي سَبِيلِ مَنْ أَبَادَهُمْ  
مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالسُّخْطِ .

---

(١) لأن التوبة لا تكون بعد حصول العلم الضروري وروية الطلاب ، فإن أوانها يكون قد انقضى .

## سورة فصلت

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

أُفْلِحَ مَنْ عَرَفَ « بسم الله » ، وما رَجَعَ مَنْ بَقِيَ عَنْ « بسم الله » .

مَنْ حَسِبَ لِسَانَهُ « بسم الله » وَحَسِبَ جَنَانَهُ « بسم الله » كَفَى لَهُ شَفِيعاً « بسم الله » إِلَى مَنْ يُعِيدُنَا بِذِكْرِ « بسم الله » .

قوله جل ذكره : « آم » تنزيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

بِحَقِّ وَحْيَاتِي ، وَعَجْدِي فِي صَفَاتِي وَفَاتِي . . . هَذَا تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .

قوله جل ذكره : « كَتَبْنَا قُرْآنَكَ عَرَبِيًّا

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » .

بَيَّنَّتْ آيَاتُهُ وَدَلَّلَاتُهُ .

« قَرَأْنَاكَ عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » : الدليل منصوبٌ للكافة ولكن الاستعانة به للعالمين —

دون المُعْرِضِينَ الجاهِلِينَ .

« بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ

فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ » .

« بَشِيرًا » : لِيَنْ اخْتَرْنَاهُمْ وَاصْطَفَيْنَاهُمْ .

« وَنَذِيرًا » : لِيَنْ أَقْبِنَاهُمْ ، وَعَنْ شَهَادَةِ آيَاتِنَا أَحْمِيْنَاهُمْ .

« فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ . . » : عِنْدَ دَعَائِنَا إِلَهُم ، فَهُمْ مُشْبِعُونَ فِيَا أَرْضِنَاهُمْ ، وَعَلَى ذَلِكَ

## (الوصف) (١١) مَلَيْنَام

قوله جل ذكره : « وَقَالُوا طَوفَانًا فِي أَكِنِّهِ عَمَّا تَدْمُونَا  
إِلَيْهِ وَفِي آثَانَا وَفَرَّوْ مِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ  
حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ » .

قالوا ذلك على الاستهانة والاستهزاء ، ولو قالوه عن بصيرة لكان ذلك منهم توحيدا (١٢) ،  
فَمَنُوا بِالْمَقْتِ لِمَا هَدَوْا مِنْ تَحْقِيقِ الْقَلْبِ .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ  
أَنَّا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَعِظُوا إِلَيْهِ  
وَاسْتَغْفِرُوا لَهُ . وَبِئْسَ لِلشَّارِكِينَ \* الَّذِينَ  
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ  
كَافِرُونَ » .

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فِي الصُّورَةِ وَالْبَنِيَّةِ ، وَاللَّاتِ وَالْعِزَّةِ . وَالتَّوْقَانُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ أَنَّهُ  
يُوحَى إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ، فَالْمَنْصُومَةُ مِنْ قَبْلِهِ لَا مِنْ قَبْلِي ، وَلَقَدْ بَقِيتُ فِيكُمْ هَرَأً ،  
وَلَقِيتُوهُنَّ دَهْرًا . فَاغْتَرَمَ مِنِّي عَلَى غَيْرِ صَوَابٍ ، وَلَا وَجَدْتُمْ فِي قَوْلِي شَوْبَ كَذَابٍ . وَأَمْرِي  
إِلَيْكُمْ أَنْ اسْتَعِظُوا فِي طَاعَتِهِ ، وَاسْتَعِظُوا الْأَمْرَ . . وَطَوَّلِي لِمَنْ أَجَلٌ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ  
أَصْرًا وَعَلَبًا ! .

(١) سقطت (الوصف) من ص وهي موجودة في م .

(٢) روى أن قريشاً اختارت حبة بن ديبعة كي يعرض على النبي (ص) أن يكف عن سب آلهما وقبليه أحدهما  
مقابل ديانة أرواح .. الخ ، وظل يتحدث ، في ذلك حتى انتهى ، وعنده سأل النبي (ص) : أفرشت يا أبا الوليد ؟  
قال : نعم .. فقال : إسمع .. بسم الله الرحمن الرحيم . سم تزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت ....  
إلى قوله تعالى : فَإِنْ أَعْمَسُوا فَقَلِّ أَثَرُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ، فَوَيْبٌ حَتَّى ، ووضع يده على لم النبي  
وناشده ليسكن ... ثم مضى إلى قريش فأبى ما سمع ، وأقسم ألا يكلم عبداً أبداً ، لأن ما سمعه ما هو بشعر  
ولا كهيانة ولا سر .. ثم أرحف : ولقد علمت أن عبداً إذا قال شيئاً لا يكتب ..  
(٣) لأنه يكون حيثما شاء أنا منهم بوجود سلطان من ظلمة البشرية يصعب من حقيقة الأسلية ، ويكون اعترافهم  
بقصورهم بداية لاستخدامهم لغفل من الله .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » .

« آمَنُوا » : شاهدوا ، « وعملوا الصالحات » : لازموا بِسَاطِ العبودية .

« آمَنُوا » : شهدوا الحضرة ، « وعملوا الصالحات » : وقَّعوا بالباب .

« آمَنُوا » : حضروا ، « وعملوا الصالحات » : بعد ما حضروا لم ينصرفوا .

« لم أجر غير ممنون » : غير متقوس<sup>(١)</sup> ؛ فَأَجْرُ النفوسِ الجنةُ ، وَأَجْرُ القلوبِ الرضا بالله ، وَأَجْرُ الأرواحِ الاستئناسُ بالله ، وَأَجْرُ الأسرارِ دوامِ المشاهدة لله .

قوله جل ذكره : « قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي

خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْمَلُونَ لَهُ

أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ » .

خَلَقَ الزَّمَانَ ولم يكن قبله زمان ، وَخَلَقَ للكَانَ ، ولم يكن قبله مكان ؛ فَخَلَقَهُ — سبحانه — كان ولا مكان ولا زمان ؛ فهو عزَّزْ لا يُدْرِكُهُ الِلكانُ ، ولا بَلِيكُهُ الزمان .

« وَتَجْمَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا » .. وكيف يكون الذي لم يكن ثم حصل<sup>(٢)</sup> نِدَاءٌ للذي لم يَزَلْ .. ولا يزال كما لم يزل ؟ ! ذلك ربُّ العالمين .

قوله جل ذكره : « وَجَعَلَ فِيهَا رِوَايَيْنِ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ

فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاطَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

سَوَاءً لِّلْمُسَائِلِينَ » .

الجبَّالُ أَوْتَادُ الْأَرْضِ فِي الصُّورَةِ ، والأولياهُ أَوْتَادُ وِرواسِ للأَرْضِ فِي الْحَقِيقَةِ .

(١) يقال منعت الحمل إذا قفصه ، ومنه قول ذي الرِّسَاصِ :

لِذِي لَمْعَةٍ مَا بَالِي بِأَنِّي فَتَكْفُرَ عَلَى الصَّادِقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ

وقيل نزلت الآية في المرضي والمؤمنين والمرضى إذا صبروا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأجس ما كانوا يعملون .

(٢) الذي لم يكن ثم حصل هو الحادث ، الخلق من العدم .. كيف يكون نداءً لتقديم الأزل للسرمد ؟ !

« وبارك فيها » : البركة الزيادة . - فيأتيهم المطرُ بركاتِ الأولياء ، ويندفع عنهم البلاء بركاتِ الأولياء .

« وقدرَ فيها أوتارها » : وجعلها مختلفةً في الطعم والصورة والمقدار . وأرزاقُ القلوب والسرائر كما مضى ذكره فيما تقدم .

قوله جل ذكره : « ثم استوى إلى السماء وهي دخان »  
قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها  
قالتا أتيناً طائنين »

« استوى » أى قصد ، وقيل فعل فاعلاً هو الذى يعلم تعيينه<sup>(١)</sup> .

ويقال رتبَ أقطارها ، وركبَ فيها نجومها وأزهارها .

« قال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً » قالتا أتيناً طائنين » : هذا على ضرب المثل ؛ أى لا يتعسر عليه شيء مما خلقه ، فله من خلقه ما أراد . وقيل بل أحيما وأعظمها وأنطقها  
فقالا ذلك . وجعل قوس المابدين أرضاً لطلعته وعبادته ، وجعل قلوبهم فلجاً لنجوم عمله  
وشعوسٍ ممرفته .

وأوتادُ النفوس انطوف والرجاء ، والرغبة والرغبة . وفي القلوب ضياء العرفان ، وشعوس التوحيد ، ونجوم العلوم والمقول والنفوس . والقلوب بيده يُصرفها على ما أراد من أحكامه .

قوله جل ذكره : « بقضاهن سبع سموات في يومين  
وأوحى في كل سماه أمرها وزينا السماء  
الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك قد رُ  
العزيز العليم » .

(١) تقول العرب : فعل فلان كذا ثم استوى إذا عمل كذا ؛ يريدون أنه أكل الأول وابتدأ الثاني ، ويعلم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض (السنن ٤ ص ٨٩) .

ومن قال إنه صفة ذاتية زائدة تكون على معنى استوى في الأول بصفاته (القرطبي ١٥ ص ٣٤٣)  
وعلى الرأى الأول يكون الاستواء من صفات الفعل وعلى الثاني يكون من صفات الذات .



رَزَقَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَارِيحَ، وَزَيَّنَ وَجْهَ الْأَرْضِ بِمَصَارِيحَ هِيَ قُلُوبُ الْأَحْبَابِ؛ فَأَهْلُ السَّمَاءِ إِذَا نَظَرُوا إِلَى قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ بِاللَّيْلِ فَذَلِكَ مَنَظَرُهُمْ كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ إِذَا نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ اسْتَأْنَسُوا بِرُؤْيَا الْكَوَاكِبِ .

قوله جل ذكره: « فَإِنْ أَعْرَضُوا قُلُّ أُنْذَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ »

أَيِ أَخْبَرِ السُّكَّانِينَ لَكَ أَنَّ لَكُمْ سَلَفًا .. فَإِنْ سَلَكْتُمْ طَرِيقَهُمْ فِي الْعَنَادِ، وَأَيْتَمَّ إِلَّا الْإِسْرَارَ الْخَفِيَّ كَمَا بِأَمْثَالِكُمْ .

« فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ » .

رَكَنُوا إِلَى قُوَّةِ قُضُومِهِمْ غَفَاتِهِمْ قَوَامَ، وَاسْتَكْبَرَتْ مِنْهُمْ بِلَوَامِ .

« فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا مَرْصُورًا فِي أَيَّامٍ نَحِيشٍ <sup>(١)</sup> لِيَذِقَهِمْ عَذَابَ الْغَلْظِ فِي الْحَيَاتِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أُخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ » .

فَلَمْ يَنقُذْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

قوله جل ذكره: « وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ عَلَى الْهَدْيِ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* وَتَجَبَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ » .

---

(١) فِي قِرَاءَةِ أَبِي حَمْرٍ « تَحْشَاتِ » وَيُسَكَّنُ الْمَاءُ عَلَى أَنَّهَا جَمْعُ الْمَصْدَرِ « نَحَسَ » مُسْتَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « نَاسٍ يَوْمَ نَحَسَ » وَلَوْ كَانَ صِفَةً لَمْ يُضَفَّ إِلَيْهِ .

قيل لئنهم في الابتداء آمنوا وصدّقوا ، ثم ارتدّوا وكذبوا ، فأجرام مجرى إخوانهم في الاستئصال .

« ونبينا الذين آمنوا . . » : منهم من نجات من غير أن رأوا النار ؛ فصَبَرُوا التَّنَطُّرَ ولم يملوا ، وقومٌ كالبرق الخاطف وهم أعلام ، وقومٌ كالراكن .. وهم أيضاً من الأكابر ، وقوم على الصراط يستقلون ويرثم الملائكة على الصراط . فيمدّ ويدٌ . . قَوْمٌ بعدما دخلوا النار فمنهم من تأخذه إلى كميته ثم إلى ركبته ثم إلى حَوِيَّة<sup>(١)</sup> ، فإذا ما بلغت النار القلب قال الحقُّ لها : ( لا تحرق قلبه )<sup>(٢)</sup> ؛ فإنه محترقٌ في . . وقومٌ يخرجون من النار بعدما امتَحِنُوا<sup>(٣)</sup> فصاروا حَمَماً<sup>(٤)</sup> :

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فهُمْ يُوزَعُونَ • حَتَّى إِذَا مَا جُلِدُوا شَجَّدَ عَلَيْهِمُ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ • وَقَالُوا لَوْلَا جُلِدُوا لِمَ شَجَّدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْفَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ • وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَعِينُونَ أَنْ يُشْهِدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ • وَذَلِكَ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

(١) الحَقَر = الخمر .

(٢) ما بين القوسين موجود في ص وغير موجود في م .

(٣) أمش الحُر أو النار جلده أي أحرقه وقرنه من اللحم . ويقال هذه سنة أصبحت كل شيء إذا كانت جديّة .

(٤) الحَمَم = اللحم أو الرماد .. وكل ما احترق من النار .

شهدت عليهم أجزاؤهم ، ولم يكن في حسابهم أن الله سَيُنْقِطُها وهو الذى أنطق كل شئ ، ولم يَدْرَ بِخَلْقِهِم ما استقبلهم من الصير الأليم .

« ذلك ظنكم ... » : وكنا من قَد في وصف الأقوال ، وَوَسَمَ مَوْضِعَهُ ، وَحَكَمَ لنفسه أنه مُقَدَّمٌ بِلَدِهِ . فلا يُسْمَعُ منه إلا ببرهانٍ ودليلٍ من حاله ، فإن خالف الحالُ قولَه فلا يُعْتَمَدُ عليه بعد ذلك <sup>(١)</sup> .

والظنُّ بالله إذا كان جليلاً فلمرى يُقَابَلُ بالتحقيق ، أما إذا كان نتيجة الغرورِ وغيرِ مأذونٍ به في الشرع فإنه يُرَدَّى صاحبه .

قوله جل ذكره : « فإن يصبروا فالتارُ مشوى لم وإن يَسْتَعْتِبُوا فاهم من المُعْتَبِينَ » .

فإن يصبروا على موضع الخلف فيستقبلون إلى النار . وإن يستعتبوا — فعل ما قال — فاهم بمعتبين <sup>(٢)</sup> .

« وَقَبِيضًا لَمْ تُرَبِّأْهُ فَرَبِّئُوا لَمْ مَا بَيْنَ أَيْسِهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ » .

إذا أراد الله بعبده خيراً قبضَ له قرناءَ خيرٍ يُعِينُونَهُ على الطاعات ، وَيَمْنَعُونَهُ عليها ، ويدعونهُ إليها . وإذا كانوا إخواناً سواه حملوه على الخلفات ، ودَعَوْهُ إليها . . ومن ذلك الشيطانُ ؛ فإنه مُقَبِّضٌ مُسَلِّطٌ على الإنسان يوسوس إليه بالخلفات .. وشرٌّ من ذلك النَّفْسُ . فلها نفس القرن ! ! فهي تدعو العبدَ — اليومَ — إلى ما فيه هلاكه ، وتشهد عليه غداً بفعل الزَّللَةِ . فالنفسُ — وشرٌّ قرين للردِّ نفسه — والشياطينُ وشياطينُ الإنسِ . . كلها تُرَبِّئُ لَمْ

(١) يعود التشعيرُ بعد قليل إلى هذا المعنى نفسه حين يتحدث عن يكلفون بالقالة دون صفاء الحالة .

(٢) أى أن النار مشوى لم في الحافين ، ولا مهرب لم منها ؛ فلا صبرهم بتافع ، ولا طلب للرضا عنهم بتافع ، ولا يد لم من النار .

« ما بين أيديهم » من طول الأمل ، « وما خلفهم » من نسيان الزلّلي ، والتسوية في التوبة ، والتقصير في الطاعة .

قوله جل ذكره : « وقال الذين كفروا لا تسمعُوا لهذا

القرآنِ وَالْقَوَا فِيهِ لَكُمْ تَفْهِيمٌ »

استولى على قلوبهم الجحْدُ والإنكارُ ، ودام على العداوة فيهم الإصرارُ ؛ فاحتالوا بكل وجهٍ ، وتواصوا فيما بينهم بألا يستمعوا لهذا القرآن لأنه يغلب القلوب ، ويسلب القول ، وكل من استمع إليه صَبَا إليه .

وقالوا : إذا أَخَذَ مُحَمَّدٌ فِي الْقُرْآنِ فَأَكْثَرُوا عِنْدَ قِرَاءَتِهِ الْفُتُورَ وَالْفُطُوحَ حَتَّى يَقَعَ فِي السُّهُوِّ وَالْفَلْطِ .

ولم يعلموا أن الذي نُورَ قلبه بالإيمان ، وأُيِّدَ بالتميم ، وأُمِّدَ بالنصرة ، وكُشفَ بسماع السرِّ من النيب هو الذي يسمع ويؤمن . والذي هو في ظلمات جهل لا يدخل الإيمان قلبه ، ولا يبشر السامعُ سِرِّهِ (١) .

قوله جل ذكره : « فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا

وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ »

اليومَ لإدامة الجحيم الذي هو التراق ، وغلاً بالتخليد في النار التي هي الاحتراق .

« ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَمْ يَمُنْ فِيهَا

حَارُّ الْخُلْدِ جِزَاءً بِمَا كَانُوا يَكُونُونَ »

يَجْحَدُونَ » .

لم فيها الخزي والموان بلا انقطاع ولا انصرام .

« وقال الذين كفروا ربنا أَرِنا الذين

---

(١) إذا تذكرنا أن المرء أهل من القلب ومن الروح عرفنا أن «السامع» عند الشيخ ذو مرتبة عالية حل عكس

ما يظنه المفسرون

أضلانا من الجن والإنس بمجهلنا تحت  
أقدامنا ليكُونَا من الأسفلين .

من الجن إبليس - ومن الإنس قابيل بن آدم فهو أول مَنْ سَنَّ المصيبة ( حين قتل  
أخاه )<sup>(١)</sup> .

« بحسبها تحب أقدامنا » ؛ هذه الإرادة وهذا التنى زيادة في عقوبتهم أيضاً ؛ لأنهم يتأذون  
بتلك الإرادة وهذا التنى ؛ فهم يجدون أنه لا تنفع لهم من ذلك إذ لن يُجابوا في شيء ، ولن يُمنَحَ  
صنهم المذاب .

ويُفيد هذا الإخبار عنهم عن وقوع التبرّي فيما بينهم ، فبعضهم يتبرأ من بعض ، كما يفيد  
بأن الندم في غير وقته لا جدوى منه .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا  
تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْفُوا  
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ  
تُوَعَدُونَ » .

« ثم » استقاموا : ثم حرف يقتضى التراخي ، فهو لا يدل على أنهم في الحال لا يكونون  
مستقيمين ، ولكن معناه استقاموا في الحال ، ثم استقاموا في المآل بأن استقاموا إيمانهم إلى  
وقت خروجهم من الدنيا ، وهو آخر أحوال كونهم مُكَلَّفِينَ .

وقال : قالوا بشرط الاستجابة أولاً ، ثم استصبروا بموجب الحجة ، ولم يثبتوا على وصف  
التقليد ، ولم يكتفوا بالقالة دون صفاء الحقة .

« استقاموا » : الاستقامة هي الثبات على شرائط الإيمان بحالتها من غير إخلال بشيء من  
أقسامها . ويقال : هم على قسمين :

---

(١) زيادة من عندنا للترصيع وليست موجودة بالقرآن .

مستقيم (في أصول) <sup>(١)</sup> التوحيد والمعرفة .. وهذه صفة جميع المؤمنين <sup>(٢)</sup> .

ومستقيم في التروع من غير عصيان .. وهؤلاء مختلفون ؛ فهم .. ومنهم ، ومنهم .

« وأبشروا بالجنة » : الذين لم يشاروا هم كل من استقام في التوحيد ، ولم يشرك .. فله الأمان من الخلود <sup>(٣)</sup> . ويقال : مَنْ كَانَ لَهُ أَصْلُ الاستقامة أَمِينٌ <sup>(٤)</sup> من الخلود في النار ، ومن له كمال الاستقامة أَمِينٌ من الوعيد من غير أن يلحقه سوء بحال .. ثم الاستقامة لهم على حسب أحوالهم ؛ فمستقيمٌ في عهده . ومستقيمٌ في عقده ، ومستقيمٌ في جهده ومراعاة حذِّه ، ومستقيمٌ في عقده وجهده وحذِّه وحبه وودِّه .. وهذا أتمُّهم .

ويقال : استقاموا على دوام الشهود وعلى أفراد القلب بالله .

ويقال : استقاموا في تصفية القدر ثم في توفية المهد ثم في صحة التصدد بدوام الوجد .

ويقال : استقاموا بأقوالهم ثم بأفعالهم ، ثم بصفاء أحوالهم في وقته وفي ما لهم .

ويقال : أقاموا على طاعته ، واستقاموا في معرفته ، وعلموا في محبته ، وقاموا بشرائط خدمته .

ويقال : استقامة الزاهد ألا يرجع إلى الدنيا ، وألا يئمه الجاهل بين الناس عن الله . واستقامة العارف ألا يشوب معرفته حظٌّ في البارئ فيحببه عن مولاه . واستقامة العابد ألا يسود إلى فقرته واتباع شهوته ، ولا يتدخله رياء وتصنع . واستقامة <sup>(٥)</sup> الخبيث ألا يكون له أرباب من محبوبه ، بل يكتفي من عطائه ببقائه ، ومن مقتضى جوده بلبوام عزِّه ووجوده .

« ألا تخافوا ولا تحزنوا » : إنما يكون الخوف في المستقبل من الوقت ، من حلول مكروم أو فوات محبوب ، فاللائكة يشرونهم بأن كل مطلوبٍ لهم سيكون ، وكل محذورٍ لهم لا يكون .

---

(١) هكذا في م وهي في ص (عل أصل) وهي مقبولة حسب قوله تعالى في موضع آخر (استقاموا على الطريقة) ولكننا آثرنا (في أصول) لتسليم مع الفروع .

(٢) من أنس قال : لما نزلت هذه الآية قال النبي (ص) : هم أمي ورب الكعبة .

(٣) أي التغلب في النار .. ويقصد بهم أصحاب المنازل بين المنزلتين .

(٤) لاحظ الربط بين الأمن والأمان من نائب والإيمان من ناسبة أخرى .

(٥) أي أن مجرد ذكر الحب لله (الباقى) يكتبه عن تذكرو أي طهارة أو منع ، فصبه الله .

والحزن من حُرُوة الوقت، ومن كان راضياً بما يجري فلا حزنَ له في عيشه . والملائكة يشرونهم بأنهم لا حُرُوة في أحوالهم ، وإنما هم في الرَّوح والراحة .

« وأبشروا بالجنة » : أى بحسن المآب ، وبما وَعَدَ اللهُ من جميل الثواب .

واللهى هو موعودٌ للأولياء بشفاعة لَلَّذِى موجودٌ اليومَ بطوامٍ عباده بمطاء لَلَّذِى ؛ فلا يكون لأحدهم مطالعةٌ في المستقبل من حاله بل يكون بحكم الوقت ؛ فلا يكون له خوف ؛ لأنَّ الخوف — كما قلنا من قبل — ينشأ من تطلع إلى المستقبل لما من زوال محبوبٍ أو حصولٍ مكروه ، وإنَّ الذى بصفة الرضا<sup>(١)</sup> لا حُرُوة في حاله ووقته .

ويمكن القول : « لا تخافوا » من العذاب ، « ولا تحزنوا » على ما خلفتم من الأسباب ، « وأبشروا » بحسن الثواب في المآب .

ويقال : « لا تخافوا » من عزل الولاية ، « ولا تحزنوا » على ما أسلفتم من الجناية ، « وأبشروا » بحسن العناية في البداية .

ويقال : « لا تخافوا » مما أسلفتم ، « ولا تحزنوا » على ما خلفتم ، « وأبشروا » بالجنة التى لها تسكفتم .

ويقال : « لا تخافوا » للذَّلة ، « ولا تحزنوا » على ما أسلفتم من الزَّلة ، « وأبشروا » بدوام الوصلة .

قوله جل ذكره : « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا

وفي الآخرة ولكنم فيها ما تشهون

أفئسكم ولكم فيها ما تدعون » نزلاً

من غفورٍ رحيم .

الولاية من الله بمعنى الحياة ، وتكون بمعنى النصر .

---

(١) هذا من أدق التبرجح لمعنى « الرضا » الذى كما نرى من طلب التفسيرى مرحلة انتقال من القناعات إلى الأفعال .

وهذا الخطاب يحمل أن يكون من قبيل اللائكة الذين تنزلوا عليهم ، ويحمل أن يكون ابتداء خطابٍ من الله .

والنصرة تصدر من الحجة ؛ فلم تكن الحجة الأزلية لم تحصل النصره في الحال .

ويقال : « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا » بصحقيق اللزوم ، « وفي الآخرة » بتحصيل المنفردة .

ويقال « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا » بالمنايا ، « وفي الآخرة » بحسن الكفاية وجعل الرعاية .

« في الحياة الدنيا » بالشاهدة ، « وفي الآخرة » بالمنايا .

في الدنيا بالرضا بالقضاء ، وفي الآخرة باللقاء في دار البقاء .

في الدنيا بالإيمان ، وفي الآخرة بالنفان .

في الدنيا بالحجة ، وفي الآخرة بالقربة .

« ولكم فيها » أى في الجنة « ما تشتهى أنفسكم » : الولاية ههنا ، وتحصيل الشهوات وعد ، فمن يشغل بقله يشغل بوعده (١) .

« ولكم فيها ما تدعون » : أى ما تريدون ، وتدعون الله ليُعطيكم .

« تزلأ » : أى فضلاً وعطاه ، وقدمه لما يستديم إلى الأبد من فنون الأفضال ووجوه المبار (٢) .

---

(١) تفيد هذه الإشارة المستعارة في توضيح الفكرة الصوفية القائلة التي تقول إن العبادة الحققة هي المبردة عن الطبع في الثواب والخوف من العقاب .. وهي عند التشيخي من أمارات الولاية والمحبة الصافية .. ويعني بعض الصوفية في ذلك فيفهم طلب الله لذاته إلى القول :

أريدك لا أريدك بخواب ، ولكن أريدك العقاب  
فكل ما أرى قد تلت سبها سوى ملوذه وجدى بالمطاب

(٢) فتكون ( تزلأ ) منصوب على المصدر أى أنزلناه تزلأ . وقيل : على الحال . وقيل هو جمع نازل أى لكم ما تدعون نازلين .



« من غفور رحيم » : وفي ذلك مسأغ لآمال المذنبين ؛ لأنهم هم الذين يحتاجون إلى المغفرة ، ولولا رحمة لما وصلوا إلى مغفرته .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

أى لا أحد أحسن قولاً منه ، ويكون للرااد منه النبى صلى الله عليه وسلم . ويحتمل أن يكون جميع الأنبياء عليهم السلام .

ويقال هم المؤمنون . ويقال هم الأمة الذين يدعون الناس إلى الله .

وقيل هم المؤذنون . ويقال الداعى إلى الله هو الذى يدعو الناس إلى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله ، وَيَكِلُ أمره إلى الله ، ويرضى من الله بقسمه الله .

« وَعَمِلَ صَالِحًا » : أى كما يدعو الخلق إلى الله يأتى بما يدعوهم إليه .

ويقال هم الذين عرفوا طريق الله ، ثم سلكوا طريق الله ، ثم دعوا الناس إلى الله .

ويقال بل سلكوا طريق الله ؛ فسلوكهم ويمنازلاتهم عرفوا الطريق إلى الله ، ثم دعوا الخلق إليه بعدما عرفوا الطريق إليه .

« وقال إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » : للمسلمون حكمهم المراضون بقضائه وتقديره .

قوله جل ذكر : « وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ

أُدْفَعْ بِالْإِيمَانِ إِلَى أَحْسَنُ قَوْلًا الَّذِي يَنْتَكِ

وَيَنْتَكِ عِدَاوَةً كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » .

ادفع بالخلصة التي هي أحسن السيئة بمعنى بالمغو عن الكفافة ، وبالتجاوز والصنع عن الزلة ، وترك الاتصاف<sup>(١)</sup> .

« فَإِذَا الَّذِي يَنْتَكِ وَيَنْتَكِ عِدَاوَةً كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ » يُشَبِّهُ الْوَلِيَّ الْحَمِيمَ — وَلَمْ يَصِرْ وَلِيًّا مَخْلَصًا .. وهذا من جملة حسن الأدب في الخلعة في حق محبتك مع الله ؛ تعلم مع عبادة لأجله .

(١) هذه الألفاظ التي ذكرها التشيبي من إشارات لفظة — كما ورد في الفصل الذي منه لما في رسائله .

ومن جملة حسن الخلق في الصعبة مع الخلق ألا تنتقم لنفسك ، وأن تفزع عن خصمك .

قوله جل ذكره : « وما يُلقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

وما يُلقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » .

لا يقوم بحق هذه الأخلاق إِلَّا مَنْ أَكْرَمَ بتوفيق الصبر ، ورَفَى عن سفاسف الشيم إلى معالي الأخلاق . ولا يصل أحسن الدرجات إِلَّا مَنْ صبر على مقاساة الشدائد .

قوله جل ذكره : « وَلَمَّا تَزَوَّغْنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ تَزَوَّغَ

فَسَتَمَدِّ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

إذا اتصلت بقلبك نزغات الشيطان فبادرْ بذكر ربك ، وارجعْ إليه قبل أية خطوة<sup>(١)</sup> ..

فإنك إن لم تخاف أولَ هاجسٍ من هواجس الشيطان صار فكرة ، ثم بدد ذلك يحصل العزم

على ما يدعو إليه الشيطان . . فإذا لم تتدارك ذلك تجرى الزلَّة ، وإذا لم تتدارك ذلك بحسن الرجعي صار فسقا . . وبتأدي الوقت تصبح في خطر كل آفة .

ولا يتخلص العبدُ من نزغات الشيطان إِلَّا بصدق الاستمانة وصدق الاستغانة وبذلك

يتبعو من الشيطان ، وقد قال تعالى : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان »<sup>(٢)</sup> ؛ فكما ازداد

العبدُ في تربيته من حوله وقوته<sup>(٣)</sup> ، وأخلص بين يدي الله بتضرعه واستماتته واستمادته زاد الله في حفظه ، ودفع الشيطان عنه .

قوله جل ذكره : « ومن آياته الليلُ والنهارُ

والشمسُ والقمرُ لا تسجدوا للشمسِ

ولا للقمرِ واسجدوا لله الذي خلقهنَّ

إن كنتم إمامةً تعبدون » .

---

(١) هكذا في م وهي في ص (خطرة) بالراء ، ونحن لا نرفض ذلك إذ يقول القشيري في رسالته ص ٤٦ :  
والخاطر غلاب يرد على الضيائر وقد يكون الخاطر بإلقاء منكك ، وأو بإلقاء الشيطان ، وقد يكون حديث النفس ..  
ويقول في نفس الموضع : كل خاطر لا يحبه الظاهر فهو باطل .

(٢) آية ٦٥ سورة الإسراء .

(٣) لأنه كلما ازداد في ذلك ازدادت عيودته ، فتدخل في زمرة ومياديه الذين ليس للشيطان عليهم سلطان .  
وهذا اللهم بتأييد السيئات ويتأسله في ظل الشاهدين للقرآن .

أَوْضَحَ الْآيَاتِ ، وَالْأَحَ الْيَنَاتِ ، وَأَزَاحَ عِلَّةَ مَنْ رَامَ الْوَصُولَ . وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ  
وَالنَّهَارُ ، وَدَوَّرَانُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مِنْ جَهْلَةِ أَمَارَاتِ قَدَرِهِ ، وَدَلَالَاتِ تَوْحِيدِهِ .  
« لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ » فِي عِلَالِهَا ، « وَلَا لِلْقَمَرِ » فِي ضِيَائِهِ : « وَاسْجُدُوا لِلَّهِ »  
فَقَدَّرَ (١) عَلَيْكَ أَنْ تَسْجُدَ لِنَبِيِّهِ .

وَالشَّمْسُ — وَإِنْ عَلَّتْ ، وَالْقَمَرُ — وَإِنْ حَسُنَ . . فَلَا جِلَّةَ خَلْقِنَاهُمَا ، فَلَا تَسْجُدْ  
لَهُمَا ، وَاسْجُدْ لَنَا .

وَيَقَالُ : خَلَقَ لِللَّائِكَةِ — وَمَعَ كَثْرَةِ عِبَادَتِهِمْ ، وَمَعَ تَقَدُّمِهِمْ فِي الطَّاعَةِ — قَالَ لَهُمْ :  
اسْجُدُوا لِآدَمَ ، وَحِينَ امْتَنَعَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ لِمَنْ إِلَى الْأَبَدِ . وَقَالَ لِلْوِلَادِ آدَمَ الْعَصَاةِ  
لِلَّذِينَ : « لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ... فَتُتْلَى مَا هَا ١١

وَالْحَقُّ — سَبَّحَانَهُ وَتَمَلَّى — يَا مُرْكُ بَصِيَّاتِهِ وَجْهَكَ عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ . . وَأَنْتَ  
لِأَجْلِ كُلِّ حَظٍّ خَاسِرٍ تَنْقُلُ قَدَمَكَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَتَدْخُلُ بِحِمَاكَ عَلَى  
كُلِّ أَحَدٍ ١١

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : « فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ  
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ  
لَا يَسْلَمُونَ » (٢)

أَيُّ . إِنْ تَرَفَّعَ الْكَفَّارُ فَلَا خَلَلَ ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ غَفَى عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، ثُمَّ إِنْ لِللَّائِكَةِ  
— الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ الْآخِرَةِ — يَسْجُدُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ  
مِنْ عِبَادَتِهِ .

(١) يَقُولُ الْقَشِيرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ ص ١٢٦ وَالنَّبِيرَةُ كَرَامِيَّةُ مِشَارَكَةِ النَّبِيِّ ، وَإِذَا وَصَفَ الْحَقَّ سَبَّحَانَهُ بِالْعَبِيدَةِ  
فَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَرْضَى بِمِشَارَكَةِ النَّبِيِّ مَعَهُ فَيَأْخُذُ بِحَقِّهِ مِنْ طَاعَةِ عِبِيدِهِ .

(٢) هَذِهِ آيَةُ سَجْدَةِ ، وَاخْتَلَفَ فِي مَوْضِعِ السُّجُودِ مِنْهَا . . فَقَالَ مَالِكٌ إِنْ مَوْضِعُهُ وَإِنْ كُنَّ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ  
فَإِنَّهُ مَوْضِعُ الْإِسْلَامِ . . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ إِنَّهُ : وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ لِأَنَّهُ تَمَامُ الْكَلَامِ وَرِغَابَةُ الْعِبَادَةِ وَالِاسْتِثْنَاءِ .  
وَقَدْ تَفَسَّيْتَ الْآيَةَ صَلَاةَ الْكَسُوفِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْبَانَ كَانَتْ تَقُولُ : إِنْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا يَكْشِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ  
عَظِيمٍ .. فَصَلَّى النَّبِيُّ (ص) صَلَاةَ الْكَسُوفِ (الْقُرْطُبِيُّ - ١٥ ص ٣٦٤) .

قوله جل ذكره : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعةً فلما أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمعنى للوحي إنه على كل شيء قدير »

الأرض تكون جَذبةً يابسةً في الشتاء ، فلما نزل عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت وكذلك القلوب إذا خشعت لاستثمارها بما أَلَمَتْ به من الذنوب أقبل عليها الحق سبحانه ، فظهرت فيها بركاتُ النعم ، وعفا عن أربابها ما قصرُوا في صدقِ القَدَم . وكذلك إذا وقمت للبعد فترةً في معاملاته ، أو غيبةً عن بساط طاعته ، ثم تنبَّه الحق — سبحانه — بما يدخل عليه من التذكر تظهر في القلب أنوارُ الوقت ، فيعود إلى ما لوف مقامه ، ويرجع عود سداخه غُضًّا طريًا ، ويصير شجر وفاته — بعدما أصابته الجدوبة — بماء النعابة مستنقياً .

وكذلك إذا بدت لأهل العرفان وقصة ، أو حدثت لهم من جرء سوء أدبٍ بدرٍ منهم حجةٌ ثم نظر الحق — سبحانه — إليهم بالرعاية.. اهتزت رياضُ أنسهم ، واخضرت مشاهدُ قريهم ، وانهزمت وفودٌ وقتهم .

« إن الذي أحياها لحي الوحي إنه على كل شيء قدير » : إن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادرٌ على إحياء النفوس بالحشر والنشر . وكذلك هو قادر على إحياء القلوب بنور العناية بعد الفترة والحجبة .

قوله جل ذكره : « إن الذين يُجِلُّون في آياتنا لا ينجون علينا أقمنْ يُلْقَى في النار خيرٌ أم من يأتي آمناً يومَ القيامةِ عملوا ما شِئْتُمْ إنه بما تعملون بصير » .

سيقون من المذاب ما يستوجبونه .. فَلْيَمَلُوا ما شَاءُوا . فليسوا يَسْعَوْنَ إِلَّا فِي ذَمِّهِمْ ، وليسوا يمشون إِلَّا إلى هلاكهم بَأْهَامِهِمْ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَآ جِأَتِهِمْ

لِكِتَابٍ عَزِيزٍ » .

الجواب محذوف ومعناه : بقوا عنا ، ووقوا في هوانهم وشقوا إلى الأبد .

« وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ » : كتابٌ عزيزٌ لا مِثْلَ له حيث قد عجزوا عن الإتيان بمثله .

كتابٌ عزيزٌ غالبٌ لِشِبهِِ المبتدعين والكفار .

عزيزٌ لا يقدر على معارضته أحدٌ . . . من قولهم أرض عزاز<sup>(١)</sup> .

كتابٌ عزيزٌ لأنه كلامُ ربِّ عزيزٍ إلى رسولٍ عزيزٍ بشفاعة ملكٍ عزيزٍ إلى أمّةٍ

عزيزة .

كتاب عزيزٌ على المؤمنين لأنه كتابٌ حبيبٌ . . . وكتابٌ الحبيب إلى الحبيب عزيزٌ .

« لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ

خَلْفِهِ نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » .

أى لا يتقضه كتابٌ آخر لا مما تقدمه من الكتب ، ولا مما يأتى من بعده . . . أى

لا كتابٌ بعده ، ولا نسخٌ له .

وقال لا ينفذ<sup>(٢)</sup> معناه قفله ، ولا يخالف قفله معناه . . .

وقال لا يقدر أحدٌ أن يأتى بمثله .

قوله جل ذكره : « مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدِ قِيلَ لِلرُّسُلِ

مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَوِ مَغْفِرَةٌ وَذُو

عِلْمٍ أَلِيمٌ » .

أصولُ التوحيد لا تختلف بالشرائع ؛ فجوهرها في الأحكام واحد : هو أنه يجب موافقة

أوامره ، واجتناب مزاجره . ثم إن الله تعالى قال في كل كتابٍ ، وشرّع لكل أمة أن يعرفوا

(١) الأرض المزارة = الأرض المصلحة السريعة السيل (الربيد) .

(٢) دَخَعَ الشيء = نجّاه وأزاله ، قال تعالى : « وَلَوْلَا دَخَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ لَّفُتِدَتِ الْأَرْضُ » .

أنه للمطيعين مُثِيبٌ ، وللكافرين ذو عذابٍ شديد .

قوله جل ذكره : « ولوجلنهُ قرآنا أعجمياً يُلَاقُوا لولا

فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ، أعجميٌّ وعربيٌّ قُلْ هو

للذين آمنوا هُدىً وَشِفَاءٌ والذين

لا يؤمنون في آذانهم وقرٌّ وهو عليهم

حُمى أولئك يُنَادُونَ من مكانٍ بعيدٍ .

أخبر أنه أزالح الِملَّةَ لِيَنْ أراد أن يعرفَ خِدَقَ الدعوة ، وصحة الشريعة .

ثم وصف الكتاب بأنه شفاء للمؤمنين ، وسببُ شقاء للكافرين .

وهو شفاء للعلماء حيث استراحوا به عن كدِّ الفكر وتعبهِ الخواطر .

وهو شفاء لصيق صدور الزيديين لما فيه من التتم بقرائه ، والتلذذ بالتفكير فيه .

وهو شفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق لما به من لطف اللواجيد .

وهو شفاء لقلوب المرفين بما يتوالى عليها من أنوار التحقيق ، وآثار خطاب الرب العزيز .

« والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم حُمى » : هم لا يسمعون بقلوبهم من الحق ،

ولا يستجيبون . . بقوا في ظلمات الجحد والجهل .

« وهو عليهم حُمى » : لا يزادون على مر الأيام إلا ضلالا .

قوله جل ذكره : « ولقد آتينا موسى الكتابَ فاختلفَ

فيه ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِي

بينهم ولأنهم لفي شكٍ منه مُبِينٍ » .

آتينا موسى التوراةَ ، وأرسلناه إلى قومه ، فاختلفوا في أمره . . فَمَنْ كَفَّلْنَا مَرَّةً بنور

التوحيد صدقته ، وَمَنْ أَعِينَاهُ عن مواقع البيان قابله بالتكذيب وجعده .

« ولولا كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ » وهي أن عقوبتهم في النار بعد قيام القيامة لَمَجَّلْنَا

استنصالم ، ولأدقّقام في الحال وبأكم<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « مَنْ حَمَلَ صَالِحًا فَلْنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ

فَلْنَفْسِهِ » لأنّ النفع عائدٌ إليه . وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا سَيِّئًا فَلْنُفْسِ نَفْسَهُ ، وَأَسَاءَ إِلَيْهَا ؛ لِأَنَّهُ

هو الذي يقامى ضرره ويلاقى شره .

قوله جل ذكره : « إِلَيْهِ يُرْذَلُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ

تَمَرَاتٍ مِنْ أَكْلِمِهَا وَمَا عَمَلُ مَنْ أَنْشَأَ

وَلَا تَنْفَعُ إِلَّا بَيْعُهُ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ

شُرَكَائِيَ قَالُوا أَأُذْنُكَ مَا مِثْلًا مِنْ

شديد » .

لِمَا اسْتَجَبُوا وَقَالُوا : مَتَى تَقُومُ هَذِهِ الْقِيَامَةُ الَّتِي يَتَوَعَّدُنَا بِهَا ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : إِنْ عِلْمُ الْقِيَامَةِ يَتَفَرَّدُ بِهِ الْحَقُّ فَلَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ ، فَكَيْفَا لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْأَشْجَارِ مِنَ الثَّمَرِ ، وَمَا الَّذِي تَنْطَوِي عَلَيْهِ أَرْحَامُ النِّسَاءِ مِنْ أَوْلَادِهَا ذُكُورًا وَإِنَاثًا ، وَمَا مِثْلُهُ عَلَيْهِ مِنْ أَوْصَافِ الْخَلْقِ ، وَمَا يَحْصِلُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ تَنَاجُيَا — فَلَا يَعْلَمُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا اللَّهُ — فَكَذَلِكَ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَى تَقُومُ الْقِيَامَةُ .

« وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ » : يَتَبَرَّحُونَ مِنْ شُرَكَائِهِمْ ، وَلَكِنْ فِي وَقْتٍ لَا تَنْفَعُهُمْ

كَثْرَةُ تَدْعِيهِمْ وَيَكْفَاهُمْ .

قوله جل ذكره : « لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَا الْخَيْرِ وَلَئِنْ

سَأَلَ الشَّرَّ فَيُؤْتِ قَلِيلًا » .

---

(١) في موشع سبق أومسح القشيري أنه وما كان من أسباب الحكمة الإلهية في تأخير عقوبة آفة النبي ومنه

- كما حدث للأمم السابقة - هو تأخير العذاب بسبب ما يخرج من أصدانهم من المؤمنين .

لا يَمَلُّ الإنسانُ من إرادة النفع والسلامة ، وإنَّ مَسَّهُ الشرُّ فينوسُّ لا يرجو زواله لِمَدَمَ عليه بره ، واندساد الطريق على قلبه في الرجوع إليه .

« وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَدَلٍ  
ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَتَوَلَّى هَذَا لِي وَمَا أَطْنُ  
السَّاعَةَ فَأَمَّا وَلَئِنْ رُجِمْتُ إِلَى رِجِي إِنَّ  
لِي عِنْدَهُ لَلْحَقِّ فَلَنَنَجِّيَنَّ الَّذِينَ  
كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذَبِّقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ  
غَلِيظٍ » .

لئن كَشَفْنَا عنه البلاءَ ، وأوجبنا له الرجاء لادِّعاه استحقاقاً أو افتخاقاً ، وما اعتقد أن ذلك مِنَّا فَضْلٌ وإِعْجَابٌ .

ويقول : لو كان لي حشرٌ ونشرٌ لكان لي من الله لطفٌ وخير ، وغداً يعلم الأمر ، وأنه بخلاف ما تَوَهَّمُ . . . وذلك عندما نذيقه ما يستوجبه من عذاب .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ  
وَنَآى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاةٍ  
عَرِضٍ » .

هو لا يميز بين البلاء والمطام ؛ فكثيرٌ مما يتوهمه عطاء هو مكربٌ واستدراجٌ . . . وهو يستدعيه . وكثيرٌ مما هو فَضْلٌ وصَرَفٌ<sup>(١)</sup> وعطاء يغلته من البلاء فيمافه<sup>(٢)</sup> ويكرمه .

ويقال إذا أُنْمِنَّا عليه صاحبه بِالْبَطَرِ ، وإذا أبليناه قابله بالضعف .

ويقال إذا أُنْمِنَّا عليه أُعْجِبَ بنفسه ، وتكبر غشالاً في زَهْوِهِ ، لا يشكر ربّه ، ولا يذكر فضله ، ويتباعد عن سِطاط طاعته .

(١) صَرَفَ الله المكروه صَرَفًا أي أبعدا .

(٢) في م (ميمانيه) ومن عطا في التسخ .



والمستغنى عنهم على وجهه ، وإذامته الشرُّ فلو دعاء كثير ، وتضرع عريض ،  
وابتهال شديد ، واستكشاف<sup>(١)</sup> دائم .

ثم إذا كشفنا عنه ذلك فله إلى عتوه ونُبوّه عَوْدٌ ، ولو طرقت في الجحود إعادة .

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمٌّ

كُفْرْتُمْ بِهِ مِنْ أَجَلٍ مَعْنٍ هُوَ فِي شَفَاقٍ

بَعِيدٍ • سَتُرِيدُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَطُّ

أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكُمْ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ • أَلَا لَهُمْ فِي يَرِيدَةٍ مِّنْ لَّدِهِ

رَبِّهِمْ أَلَا لَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ » :

« سترهم » : السين للاستقبال ؛ أى سيظهر لهم من الآيات ، ومن الأحداث التي تجري

في أحوال العالم ، وما سيحل بهم من اختلاف الأمور ما يتبين لهم من خلاله أنَّ هذا الدين

حقٌّ ، وأنَّ هذا الكتاب حقٌّ ، وأنَّ محمداً — صلى الله عليه وسلم — حقٌّ ، وأنَّ المجرى

لهذه الآيات والأحداث والأمور والمنشآت هو الحقُّ — سبحانه .

ومن تلك الآيات ما كان من قهر الكفار ، وعُلُوِّ الإسلام ، وتلاشي أعداء الدين .

ويقال من تلك الآيات في الأفاق اختلاف أحكام الأعمين مع اتفاق جواهرها في الصبغات ..

وهذه آيات حدوثِ العالم ، واقتضاء المحدث لصفاته .

« وفي أنفسهم » : من أمارات المحدث واختلاف الأوصاف ما يمكنهم إدراكه .

ويقال : « في الآفاق » للعالم ، « وفي أنفسهم » لأهل المعرفة بما يجدونه من الغلب إذا

أَلَمُوا بِذَنْبٍ ، ومن الثواب إذا أخلصوا في طاعة .

وكذلك ما يحصل لهم من اختلاف الأحوال من قبض وبسط ، وجع وفقر ، وجب

(١) الاستكشاف والانصراف طلب كشف النسبة ومعرفة

وجنب . . وما يحقونه بالضرورة في معاملاتهم ومنازلاتهم<sup>(١)</sup> .

« أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » : هو الكافي ، ولكنهم — أى الكفار — في مزية من لقاء ربهم في القيامة . والإشارة فيه : أن السوام<sup>٢</sup> كفى شك من تجوز ما يُكاشفُ به أهلُ الحضور من تعريفات السر<sup>٣</sup> .

« ألا إنه بكل شيء محيط » : عالم لا يحصى عليه شيء .

---

(١) يتفق هذا مع ما ينبغي إليه جمهور الصوفية حين يميزون الأحوال والمقامات ، فالأحوال مواهب من الحق ، والمقامات مكاسب اليد — وإن كانت هذه المكاسب تَمُّ هي الأخرى بفعل الله وهونه .

## سُورَةُ الشُّورَى

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

سلوةُ الماصين في سماعِ رحمةِ الله ، وحظوةُ المابدين في رجائهم نعمةَ الله ، وراحةُ القراء في رضاهم بقسمةِ الله .. لكلٍ من حاله نصيب ، وكلٌ في مُتَنَفِّسِهِ مُصِيب .

قوله جل ذكره : « حَمْدٌ • عَسَى »

الحاء مفتاح اسمه : حلیم وحافظ وحكيم ، واليم مفتاح اسمه : ملك وماجد ومجيد ومنان ومؤمن ومهيمن ، والعين مفتاح اسمه : عالم وعدل وعالٍ ، والين مفتاح اسمه : سيدٌ وسميع وسريع الحساب ، والتلف مفتاح اسمه قادر وقاهر وقريب وقدير وقُدوس<sup>(١)</sup> .

« كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

أقسم بهذه الأسماء وهذه الحروف إنه كما أوحى إلى الذين من قبلك كذلك يوحى إليك العزيز الحكيم ، كما أوحى إليهم العزيز الحكيم .

« لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » .

له ما في السموات وما في الأرض مُلْكًا .

« وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » : علُوهُ وعظمته استحقاقه لأوصاف الجد ؛ أى وجوب أن يكون

صفات الجد والجلال .

(١) ربما يتبادر اتجاه التشيرى في تفسير هذه الحروف المقطعة هنا بالأسماء والأوصاف الإلهية بخلاف الآيات التالية بالعزيز الحكيم والعلو العظيم والنفوذ الرحيم .. كان هذا هو المناخ الذى توحى به افتتاحية السورة .

قوله جل ذكره : « تكاد السموات  
يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون  
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض  
ألا إن الله هو الغفور الرحيم » .

أى تكاد السموات تنشق من عظمة من فوقهن وهو الله تعالى ، والتفوق هنا فوقية  
رتبة<sup>(١)</sup> ؛ وذلك من شدة هيبتهم من الله .

وقال من قبل الملائكة الذين هم فوق السموات لكثرتهم . وفي الخبر : « أملت<sup>(٢)</sup>  
السماء أطما وحق لها أن تنط ؛ ما من موضع قدم في السموات إلا وعليه قائم أوراكم  
أو ساجد » .

وقال إنه على عادة العرب إذا أخبروا عن شيء قالوا كادت السموات تنشق له . . . وهنا  
تقبح قول المشركين ويجزأهم على الله تعالى ، ولعظم قولهم كادت السموات تنشق . . . قال  
تعالى : « لقد جئتم شيئا إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا .  
أن دعوا للرحمن ولأى<sup>(٣)</sup> وعلى هذا التأويل : « يتفطرن من فوقهن » أى إلى أسفلهن ،  
أى تنفطر جملتها<sup>(٤)</sup> .

ومع أن أولاد آدم بهذه الصفة إلا أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم لا يفترون ،  
ويستغفرون لمن في الأرض . . . ثم قال : « ألا إن الله هو الغفور الرحيم » : أى يغفر لهم مع  
كثرة عصيانهم . وفي الوقت الذى يرتكب فيه الكفار هذا الجرم العظيم بسبب شيرتهم فإنه  
— سبحانه — لا يقطع رزقه ونعمته عنهم — وإن كان يريد أن يذبحهم في الآخرة .

قوله جل ذكره : « والذين آمنوا من دونه أولياء الله

(١) جأ التشيرى إلى التاريل كى يتفاض نسبة المكانية إلى الألوهية .

(٢) أط الظاهر = صوت من ليذكر الجبل (الوسط) .

(٣) آيات ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ سورة مريم .

(٤) يقول النسى : كان القياس أن يقال يتفطرن من تحته من الجهة التى جاءت منها كليلة الكفر ، ولكنه  
براع فى ذلك فبسلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل : كدت يتفطرن من الجهة التى فوقهن دح الجهة التى تحته .  
(النسئ ١٠ ص ١٠٠) .

حَفِظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ»

المشركون اغتزلوا الشياطينَ أولياءَ مِنْ دونه ، وذلك بمواقفتهم لها فيما توسوس به إليهم .  
وليس ينبغي على الله أمرهم ، وسيذهب بهم بما يستوجبونه . ولست — يا محمد — بمُسلِّطٍ عليهم .  
وفي الإشارة : كلُّ مَنْ يسلم بمتابعة هواه ويترك الله حداً أو يتغض له عهداً فهو يتغذ  
الشياطينَ أولياءَ ، والله يسله ، ولا ينبغي عليه أمره ، وعلى الله حسابُه .. ثم إن شاء عذبه ، وإن  
شاء غفر له .

قوله جل ذكره : « وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا

لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ

يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ

وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ » .

أُنزلنا عليك قرآنًا يُنقلُ بلغة العرب لتتخوفَ به أهلَ مكة والذين حولها . وجميعُ العالمِ  
مُحْدِقٌ بالكعبة ومكة لأنها مَرَّةُ الأرضِ .

« وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ » : تنذرهم يومَ القيامة . والإنذارُ الإعلامُ بموضعِ المخافة . ويومُ الجمعِ  
— وهو اليومُ الذي يُجمَعُ فيه أُمَّلُقُ كُلِّهِمْ ، ويُجمَعُ بينُ المرءِ وحملِهِ وبينُ الجسدِ وروحِهِ<sup>(١)</sup> ،  
وبين المرءِ وشكلِهِ في الخيرِ والشرِّ — لا شكَّ في كَوْنِهِ . وفي ذلك اليومِ فريقٌ يُبْعَثُ إلى  
الجنةِ وفريقٌ يحصلُ في السعيرِ . وكما أنهم اليومَ فريقان ؛ فريقٌ في راحةِ الطاعاتِ وحلاوةِ  
المباداتِ ، وفريقٌ في ظلمةِ الشرِّ وعقوبةِ الجعْدِ .. فسكنك غداً ؛ فريقٌ هم أهلُ اللقاءِ ،  
وفريقٌ هم أهلُ الشقاءِ والبلاءِ .

قوله جل ذكره : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ سَبَّحْنَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ بَيْنِهِ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمُونَ مُلَمَّمٌ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرَ » .

إنَّ أرادَ أن يجمعتهم كُلَّهُمْ على الهدى والرشاد لم يكن مانعٌ .. ولأنَّ لا زَنْ لِمَنْ .. ولو شاء

(١) من هذا نفهم أنَّ التقشيري يؤمن بالبحث الكامل أي بسودة الجسد والروح ساء إلى الحياة مرة أخرى .

أن يجمعهم كلهم على الفساد والسند لم يكن دافع — وإذا لاشين منه . وحيث خلقهم مختلفين — على ما أراد — فلا ميلاة بهم . . إنه إله واحد جبارٌ غيرُ مأمور ، متولٍ جميع الأمور ؛ من الخير والشر ، والنفع والضر . هو الذى يحيى النفوس والقلوب اليوم وغداً ، ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً<sup>(١)</sup> .. وهو على كل شيء

قوله جل ذكره : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت وإليه أنيب » .

« فحكمه إلى الله » : أى إلى كتاب الله ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإجماع الأمة ، وشواهد القياس . والمرتبة بهذه الأشياء فهى قانون الشريعة ، وجعلها من كتب الله ؛ فإن الكتاب هو الذى يدل على صحة هذه الجملة<sup>(٢)</sup> .

ويقال : إذا لم تهتدوا إلى شيء وتمازضت منكم الخواطر فدعوا تديروكم ، والتجئوا إلى ظل شهود تديره ، وانتظروا ما يبنى لكم أن تعملوه بحكم تيسره<sup>(٣)</sup> .

ويقال إذا اشتغلت قلوبكم بحديث أنفسكم ؛ لا تدرون أبا لسلعة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم ؟ فيكفوا الأمر فيه إلى الله ، واشتغلوا فى الوقت بأمر الله دون التفكير فيما ليس لكم سبيل إلى عليه من عواقبكم .

قوله جل ذكره : « ظلموا السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، ومن الأنعام أزواجاً يذوقكم فيه ليس كيئله شيء وهو السميع البصير » .

خلق لكم من أنفسكم أزواجاً : أى أشكالاً ؛ تخلق حواء من آدم وخلق

---

(١) الإحياء والإماتة اليوم مرتبطان بالمعانى الصوفية من سفاء وكلدورة ونحو ذلك .  
(٢) هذا رد على من يهتمون بالصوفية بعدم الاحتفال بالمصادر الأساسية للشريعة ، فضلاً عن أننا نشرها باهتمامهم بالجانب العقل حين يبرزون والقياس كسفر من مصادر التفتيح .  
(٣) وهذا المصدر الأخير خاصة بالسادة الأولياء الأصفياء — يستأمره حين نفوس صادر لفقده الصوفى .

— بسبب بقاء التنازل — جميع الحيوانات اجلسا .

« يذوقكم » : يُكْثِرُ خَلْقَكُمْ . « فيه » الماء تعود إلى البطن أى فى البطن ، وقيل : فى الرِّجَم ، وقيل : فى التَّزْوِج<sup>(١)</sup> .

« ليس كئله شئ » : لأنه فاطر السموات والأرض ، ولأنه لا مثيل يُضَارِعُهُ ، ولا شكل يشاكله . والكاف فى ليس « كئله » صلة أى ليس مثله شئ . ويقال : لفظ « مثل » صلة ؛ ومعناه ليس كهو شئ . ويقال معناه ليس له مثل ؛ إذ لو كان له مثل لكان كئله شئ وهو هو ، فلمقال : « ليس كئله شئ » فمعناه ليس له مثل ، والحق لا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أحكامه .

وقد وقع قوم فى تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحدِّ والنهاية والكون فى المكان ، وأقبح قولاً منهم مَنْ وصفوه بالجوارح والآلات ؛ فظنوا أن بصره فى حدة ، وسمعه فى عضو ، وقدرته فى يد ١٠٠ إلى غير ذلك .

وقوم قاسوا حكمه على حكم عبادته ؛ فقالوا : ما يكون من اتَّخَذَ قبيحا فنه قبيح ، وما يكون من اتَّخَذَ حسنا فنه حسن<sup>١١</sup> وهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه — والحق مستحق للتزويه دون التشبيه ، مستحق للتوحيد دون التحديد ، مستحق للتخصيل دون التمثيل .

قوله جل ذكره : « له مقاليد السموات والأرض يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ » .

« مقاليد » أى مفاتيح ، والمفاتيح للخزائن ، وخزائنه مقدوراته . وكان فى الموجودات معادن مختلفة فذلك القلوب معادن جواهر الأحوال ؛ قبض القلوب معادن المعرفة ، وبعضها معادن الحية ، وبعضها للشوق ، وبعضها للأنس .. وغير ذلك من الأحوال كالنوحيد والفريد والهيئة والرضا . وقائدة التعريف بأن المقاليد له : « أن يقطع العبدُ أفكاره عن الخلق ، ويتوجه

(١) يقول اللسان : اعتبر بهه حل بهه لأنه جعل هذا التدبير كالمفتاح أو الممدن ليد والتكبير .

في طلب ما يريد من الله الذي « يسطر الرزق لمن يشاء ويمتنع » ، والذي هو « بكل شيء عليم » :  
يوسّع ويضيئ أرزاق النفوس وأرزاق القلوب حسب ما شاء بوحكم وعلم .

قوله جل ذكره : « شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ  
نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا  
بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا  
الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ  
مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُ اللَّهِ يَجْعَى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ » .

« شرع » : أى بيّن وأظهر . « من الدين » أراد به أصول الدين ؛ فلها لا تختلف في جميع  
الشرائع ، وأما الفروع فمختلفة ، فالآية تدلُّ على مسائل أحكامها في جميع الشرائع واحدة .  
ثم بيّن ذلك بقوله : « أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » . . وفي القصة أن تحرم البدعات  
والأخوات إنا شُرّع في زمان نوح عليه السلام .

قوله جل ذكره : « وَمَا تَخْرُغُوا إِلَّا مِنْ بَدْرٍ مَا جَاءَكُمْ  
الْعِلْمُ بَيْنًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ  
رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ »  
يعنى أنهم أصرُّوا على باطلهم بعد وضوح البيان وظهور البرهان حين لا عذر ولا شك  
« وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ » . . وهو أنه حكم بتأخير العقوبة إلى يوم القيامة لتجلب لهم  
ما يمتنعونه .

قوله جل ذكره : « فَذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ  
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ مَنْ قُلْتُمْ آمَنَتْ بِمَا  
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتَ لِأَعْدِلَ  
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا



وَلَكُمْ أَمْهَالِكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ .

أى اذْعُ إِلَى هَذَا التَّرَاقُ ، وَإِلَى الْبَيْنِ الْخَفِيِّ ، وَاسْتَقِمْ فِي الدِّعَاءِ ، وَفِي الطَّلَاعَةِ . أَمَرَ  
الْكُلَّ مِنَ الْخَلْقِ بِالِاسْتِقَامَةِ ، وَأَفْرَدَهُ بِذِكْرِ التَّزَامِ الْاسْتِقَامَةِ .

وَيَقَالُ : الْأَلْفُ وَالسِّينُ وَالنَّاءُ فِي الْاسْتِقَامَةِ لِلسُّؤَالِ وَالرَّغْبَةِ ؛ أَيْ سَأَلَ مِنِّي أَنْ أَقْبَلَكَ ،  
وَلَا تَقْبَلْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ : أَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ، وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ : أَمَرْتُ  
بِالْعَدْلِ فِي الْقَضِيَةِ ، وَبِأَنْ أُعْلِمَ أَنَّ اللَّهَ إِلَهُ الْجَمِيعِ ، وَأَنَّهُ يَحْسِبُ غَدَاً كُلًّا بِسِلَةٍ ، وَبِأَنْ الْحُجَّةَ  
لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَبِأَنْ الْحُجَّةَ لَمْ إِلَى مَوْلَاهُمْ .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا  
اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَمْ عُنَابٌ شَدِيدٌ » .

يُحَادِلُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لِدَعَاؤِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ .  
حُجَّةٌ هَؤُلَاءِ الْكُفَرَاءُ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ لِأَنَّهُمْ يَحْضَعُونَ بِالْبَاطِلِ ، وَهُمْ مِنَ اللَّهِ مُسْتَوْجِبُونَ  
لِلْعَذَابِ وَالْعُقَابِ (١) .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
وَالْإِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَلْ سَاعَةِ قَرِيبٌ » .

أَنْزَلَ الْكِتَابَ ، وَأَنْزَلَ الْحُكْمَ بِالْإِيزَانِ أَيْ بِالْحَقِّ .

وَيَقَالُ أَلْهَمَهُمْ وَزَنَ الْأَشْيَاءَ بِالْمِيزَانِ ، وَمِرَاعَاةَ لِلْعَدْلِ فِي الْأَحْوَالِ .

« وَمَا يُدْرِيكَ لَلْ سَاعَةِ قَرِيبٌ » : يَزْجُرُهُمْ عَنْ طَوْلِ الْأَمَلِ ، وَيَنْهِيهِمْ إِلَى انْتِظَارِ  
مَجْرَمِ الْأَجَلِ .

---

(١) سَمَّاها حِجَّةً حَسَبَ زَعْمِهِمْ - وَإِنْ كَانَتْ شَبَهَ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهَا . وَمِنْ أَطْلَعِ حِجَّ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنَّهُمْ كَانُوا  
يَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ : كُتِبَتْ قَبْلَ كِتَابِكُمْ ، وَلَبِيتْنَا قَبْلَ نَبِيِّكُمْ ، فَخَنَ غَيْرَ مِنْكُمْ وَأَوَّلَ بِالْحَقِّ .. وَكُلُّ هَذِهِ الْحِجَّةِ  
دَاحِضَةٌ بَعْدَ دُخُولِ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَتَرَكُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَتَانَهَا ، اسْتِجَابَةً لِدَعَاؤِ الرَّسُولِ : أَلْهَمَ إِنْ تَهَلَّكَ هَذِهِ  
الصَّابِغَةُ فَلَنْ نَعْبُدَ فِي الْأَرْضِ .

قوله جل ذكره : « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها

والذين آمنوا مُشْفِقُونَ منها ويطعون

أنها الحقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ في

الساعة لفي ضلالٍ بعيدٍ » .

المؤمنون يؤمنون بالبعث وما بعده من أحكام الآخرة ، وَيَكِلُونَ أمورهم إلى الله ؛ فلا يتمنون الموتَ حَذَرَ الابتلاء ، ولكن إذا وَرَدَ الموتُ لم يكرهوه ، وكانوا مستعدين له<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « اللهٌ لطيفٌ بعباده يَرِزُّ مَنْ يشاء

وهو القويُّ العزيز » .

« لطيف »<sup>(٢)</sup> أى عالم بدقائق الأمور وغوامضها . واللطيف هو المُلَطِّفُ المحسن .. وكلاهما في وصفه صحيح . واللفظ في الحقيقة قدرة الطاعة ، وما يكون سبب إحسانه للعبد اليوم هو لُطْفٌ منه به .

وأكثرُ ما يستعمل اللطف — في وصفه — في الإحسان بالأمور الدينية .

ويقال : خَاطَبَ العابدين بقوله : « لطيف بعباده » : أى يعلم غوامضَ أحوالهم من دقيق الرياء والتصنع لئلا يُعْجَبُوا بأحوالهم وأعمالهم . وخَاطَبَ المُصَادِّ بقوله : « لطيف » : لئلا يئأسوا من إحسانه .

ويقال : خَاطَبَ الأغنياء بقوله : « لطيف » : ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملاتهم في جمع المال من غير وجهه بنوع تأويل ، وخَاطَبَ القراء . بقوله : « لطيف » : أى أنه مُحَسِّنٌ يَرْزُقُ مَنْ يشاء .

ويقال : سَمِعَ قوله : « الله » يوجبُ الهيبة والفرع ، وسماعُ « لطيف » يوجبُ السكون

(١) لأن الموت يفرهم من القاء .. لقاء المحبوب .

(٢) تضاف أحوال التشيرى هنا في اللطيف إلى ما ذكره في كتاب التحرير في التذكير (تحقيق بسيرى) وما ذكره في كتاب : شرح أسماء الله الحسنى (تحقيق الحلواني) صدر بالقاهرة سنة ١٩٦٩ ص ١٧٦ وما بعدها .

والطائفة . فصاع قوله : « الله » أوجب لم تهريلاً ، وسماع قوله : « لطيف » أوجب لم تأميراً .

ويقال : اللطيف من يحلى قَدْرَ الكفاية وفوق ما يحتاج إليه .

ويقال : من لطفه بالبدعيُّ بآء لطيف ، ولولا لطفه لما عرفت أنه لطيف .

ويقال : من لطفه أنه أعطاه فوق الكفاية ، وكلفه دون الطاقة .

ويقال : من لطفه بالبدعيُّ إيهام عاقبته عليه ؛ لأنه لو علم سعادته لا تسكَّلَ عليه ، وأقلَّ عمله . ولو علم شقاوته لا يسَّ وتتركَّ عمله . . فأراد أن يستكثرَ في الوقت من الطاقة .

ويقال : من لطفه بالبدعيُّ إخفاه أجله عنه ؛ لئلا يستوحش إن كان قد دنا أجله .

ويقال : من لطفه بالبدعيُّ أنه يُنسيه ما عمله في الدنيا من الزلة ؛ لئلا يقتنص عليه العيش في الجنة .

ويقال : اللطيف من تَوَرَّ الأسرار<sup>(١)</sup> ، وحفظ على عبده مذكره ما أودع قلبه من الأسرار<sup>(٢)</sup> ، وغفر له ما عمل من ذنوب في الإعلان والإسرار .

قوله جل ذكره : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ »

له في حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

نَصِيبٍ . »

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ » : نَزِدْهُ — اليوم — في الطلعات توفيقاً ، وفي اللطوف وصفاء الحالات تحييقاً . وَنَزِدْهُ فِي الْآخِرَةِ ثَوَاباً واقتراباً وفنونَ نجاتٍ وصفونَ درجاتٍ .

« وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا » : مكثفياً به ثَوْتُهُ مِنْهَا ما يريد ، وليس له في الْآخِرَةِ نصيب .

(١) هذه (الأسرار) جمع السر وهو الملكة الباطنية التي تملو الفروع — كما نعرف من المنعجب العرفاني لفتشيري .  
(٢) وأما (الأسرار) الثانية فهي جمع السر كما نعرفه — بمعنى الشأن الخفي .

قوله جل ذكره : « أَمْ لَمْ شُرِكَاكُمْ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُتِحَ رِيشُ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَنْظُرُوا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ »

« ما لم يأذن به الله » : أى ليس ذلك مما أُنزِرَ به ، وإنما هو افتراء منهم .

« ولولا كلمة الفصل » . . أى ما سبق به الحكمُ بتأخير العقوبة إلى القيامة . .

« ترى الظالمين مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ » .

إذا حصل الإجماع فإلى وقتٍ ما لا يُعَذِّبُهُمُ اللهُ في الغالب، ولكنه لا محالةً يذهبهم، وربما يُثَبَّتُ ذلك لبعض أصحاب القلوب فيتأمنون، ويعلمون أنَّ ذلك من الله لم مُعْجِلٌ قد أصابهم، أمَّا الكفار.. فتدأَّ يُشْفِقُونَ مما يقع بهم عند ما يقرءونه في كتابهم، لأنَّ العذاب — لا محالةً — واقعٌ بهم .

« والذين آمنوا وعملوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ » : في الدنيا جنات الوصلة ، ولذاذة الطاعة والعبادة ، وطيب الأنسِ في أوقات الخلوة . وفي الآخرة في روضات الجنة : « لهم ما يشاءون عند ربهم » : إن أرادوا حوامَ اللطفِ حَامٍ لهم ، وإن أرادوا تمامَ الكشف كان لهم . . ذلك هو الفضلُ الكبير .

قوله جل ذكره : « ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » .

ذلك الذي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ فتمضى ذِكْرُهُ في القرآن متفرقا ؛ من أوصاف الجنة وأطاليها، وما وَعَدَ اللهُ من الثوبة .. ونحو ذلك .

« قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » .

قُلْ — يا محمد — لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا. مَنْ بَشَّرَ أَحَدًا بِالتَّغْيِيرِ طَلَبَ عَلَيْهِ أَجْرًا، ولكنَّ اللهَ — وقد بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ بِمَا لَهُمُ مِنَ الْكَرَامَاتِ الْأَبَدِيَّةِ — لم يطلب عليه أَجْرًا ؛

فَاللهُ — سبحانه — لا يطلب عَوْضًا ، وكذلك نبيُّه — صلى الله عليه وسلم — لا يأل أجرًا ؛  
فإن المؤمنَ قد أخذ من الله خُلُقًا حسنًا . . . ففى يطلب الرسولُ منهم أجرًا ؟! وهو — صلوات  
الله عليه — يشنع لكلِّ مَنْ آمن به ، والله — سبحانه — يعطى الثوابَ لكلِّ مَنْ آمن به .  
« إلا للوذة فى الترى » : أراد أن ثبت مودتك فى الترى ؛ فتودَّ مَنْ يقترب إلى الله  
فى ملاعته <sup>(١)</sup> .

« وَمَنْ يَعْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزَدَ لَهُ فِيهَا  
حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ » .

تضيف الثواب فى الآخرة للواحد من عَشْرَةٍ إلى سبعمائة . . . هذه هى الزيادة .

ويقال : الزيادة هى زيادة التوفيق فى الدنيا .

ويقال : إذا آتى زيادة فى المجاهدة ففضلنا بزيادة . . . وهى تحقيق المشاهدة .

ويقال مَنْ يَعْتَرِفْ حَسَنَةً الْوَطَافِ <sup>(٢)</sup> نَزَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنُ الْطَافِ .

ويقال : تلك الزيادة لا يصل إليها العبدُ بوسعه ؛ فهى مما لا يدخل تحت طَوْقِ <sup>(٣)</sup> الْبَشَرِ .

قوله جل ذكره : « أَمْ يَقُولُونَ افترى على الله كَذِبًا فَإِنْ

يَشَأْ اللَّهُ يُحْجِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ

الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلَامِهِ إِنَّهُ عليمٌ

بذاتِ الصُّورِ » .

أى أَنَّكَ إِنْ افْتَرَيْتَهُ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِكَ ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى رَبِّكَ .

ومعنى الآية أَنَّ اللَّهَ يتصرف فى عباده بما يشاء : مِنْ إِبْعَادٍ وَتَقَرُّبٍ ، وَإِدْنَاءٍ وَتَبْعِيدٍ <sup>(٤)</sup> .

(١) استقلت هذه الآية للكرامة استغلا عقليا وسياسيا فى صور متأخرة خصوصاً من جانب المؤمنين لعل  
كرم الله وجهه ويثبه . . . وواضح أن القشيري أطلق القراية على كل من يتقرب إلى الله بالطاعة ؛ فهى عنه قرابة فى الله ،  
وربما كان ذلك نتيجة سنيته وحرمته على سنيته . (أنظر مدخل الطوائف ١٨ ص ٣٥) .

(٢) المقصود بالوطائف أداء العبادات والقيام بآداب الشريعة .

(٣) فى ص ورودت (طريق) بالراء وهى خطأ فى النسخ .

(٤) يقول مجاهد : « يحتم على قلبك » أى يربط عليه بالصبر على أذام وإتهامهم له بالافتراء والكذب لئلا تدخله  
شفقة بسبب تكفيرهم .

قوله جل ذكره : « وهو الذى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

ويعفو عن السيئات وَيَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ »

« ويعفو عن السيئات » الألف واللام للجنس مطلقاً ، وهى هنا للمبدى ؛ أى تلك السيئات التى تكفى التوبة للذكورة فى الشريعة لقبولها ؛ فإنه يعفو عنها إذا شاء <sup>(١)</sup> . « ويعلم ما تَعْمَلُونَ » : من الأعمال على اختلافها <sup>(٢)</sup> .

وهو « الذى » .. الذى من الأسماء الموصولة التى لا يتم معناها إلا بصيغة ، فهو قد صرف إلى عباده على جهة المدح لنفسه بأنه يقبل توبة العبد ؛ « فَارْتَدَّ » — وإن كانت توجبُ للعبد نعيمَ الصَّغَةِ — فلن يقبلها يوجبُ للعقِّ حَيْدَ الأسم .

ويقال : قوله : « عباده » اسم يتنصى لخصوصية ( لأنه أضغته إلى نفسه ) <sup>(٣)</sup> حتى تمت كثير من الشيوخ أن يجلسه حسب الأولين والآخرين لله يقول له : عبيدى . ولكن ما طلبوه فيها قالوه موجود فى « التوبة عن عباده » ؛ وإنا فلا ينبغي لهم أن يتمنوا كذلك ، وعليهم أن يتوبوا لى يصلوا إلى ذلك .

ويقال لما كان حديثُ المنور عن السيئات ذكرها على الجمع والتصریح <sup>(٤)</sup> قال : « ويعفو عن السيئات » . ثم لما كان حديثُ التهديد قال : « ويعلم ما تَعْمَلُونَ » فذكره على التلويح ؛ فلم يقل : ويعلم زلتك — بل قال ويعلم « ما » تَعْمَلُونَ ، وتدخل فى ذلك الطاعة والزَّكَةُ جِيعاً <sup>(٥)</sup> .

قوله جل ذكره : « ويستجيبُ الذين آمنوا وجاهلُوا

الصلواتِ وزيَدُهم من فَضْلِهِ ..

(١) يشير القشيري إلى الآية الكريمة وإن الله لا يغير أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

(٢) ويدخل فى ذلك — كما سيأتى بعد قليل — المأساة والطاعات .

(٣) ما بين القوسين إضافة من معناها طبقاً لما نعرفه من أسلوب القشيري فى مثل هذا الموضع .

(٤) هكذا فى م ومعنى ص (والضرع) وهى خطأ فى النسخ لعدم ملائمتها للسياق ؛ فالضرع يقال للتلويح .

الذكور فيما بعد .

(٥) فى هذه الإشارة وما تلاها يبدو انفتاح باب الأمل أمام الصلوة ، وكيف يحتم هذا الإمام الجليل على التوبة الآلة والرجاء الوطيد فى راحة الله .

(أى إذا دَعَوَهُ استَجَابَ لَهُ) <sup>(١)</sup> بِعَظِيمِ الثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ .

« وَزَيْدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ » : يَقُولُ لِلْفُتُوخِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ إِنَّهَا الرُّؤْيَةُ .

ذَكَرَ التَّوْبَةَ وَأَهْلَهَا ، وَذَكَرَ الصَّامِينَ يَوْصِفُهُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُطِيعِينَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الزِّيَادَةِ — الَّتِي هِيَ الرُّؤْيَةُ — قَالَ : « وَزَيْدُهُمْ » عَلَى الْجَمْعِ ؛ وَالْكَتَابَةِ <sup>(٢)</sup> إِذَا تَلَمَّتْ مَذَكُورَاتٍ رَجَعَتْ إِلَيْهَا جَمِيعًا ؛ فَيَكُونُ لِلْعَنَى أَنْ الطَّاعَاتِ فِي مَقَابِلِهَا الْمُرْجَعَاتِ ، وَتَكُونُ بِمَقْدَارِهَا فِي الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ، وَأَمَّا الرُّؤْيَةُ فَمِثْلُهَا الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ . . . وَالتَّفْضِيلُ لَيْسَ فِيهِ تَمْيِيزٌ .

وَيَقَالُ : لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ التَّائِبِينَ قُبِلَ تَوْبَتُهُمْ ، وَمَنْ لَمْ يَتَّعِبْ غُفِرَ زَلَّتْهُ <sup>(٣)</sup> ، وَأَنَّ الْمُطِيعِينَ لَمْ يَجْنُ . . . قَلْبًا خَطَرَ يَالِ أَحَدٍ : وَإِذَا فَهَذِهِ النَّارُ لَيْسَ هِيَ ؟ ! قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ :

« وَالْكَافِرُونَ لَمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ » .

فَالْمَعْنَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ عَذَابٌ . . . أَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّ دَلِيلَ الْخُطَابِ يَقْتَضِي هَذَا وَذَلِكَ ؛ يَقْتَضِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ عَذَابٌ . . . وَلَكِنْ لَيْسَ بِشَدِيدٍ ، وَأَمَّا عَذَابُ الْكَافِرِينَ فَشَدِيدٌ .

وَيَقَالُ : إِنْ لَمْ يَتَّعِبْ الْعَبْدُ خَوْفًا مِنَ النَّارِ ، وَلَا طَمَعًا فِي الْجَنَّةِ لَكَ أَنْ يَحُوبَ لِيَقْبَلَ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ .

وَيَقَالُ إِنْ الْعَامِيَ يَكُونُ أَبَدًا مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ ، فَإِذَا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الطَّاعَةَ مِنَ الْمُطِيعِينَ يَتَمَنَّى أَنْ لَيْتَ لَهُ طَاعَةَ مُبَسَّرَةٍ لِيَقْبَلَهَا ، فَيَقُولُ الْحَقُّ : عِبْدِي ، إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكَ طَاعَةٌ تَصْلَحُ لِلْقَبُولِ فَهَلَكَ تَوْبَةُ إِنْ أَتَيْتَ بِهَا تَصْلَحُ لِقَبُولِهَا .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرِهِ

(١) مَا بَيْنَ التَّوْبَةِ زِيَادَةٌ مِنْ مَعْنَى وَجْهًا لِمَا فِيهِ تَوْضِيحُ الْبَيَانِ .

(٢) يُقْصَدُ التَّشْبِيهُ بِالْكَتَابَةِ الْخَصِيرِ فِي « وَزَيْدُهُمْ » .

(٣) لِأَنَّهُ رُبَّمَا ذَلِكَ بِمَعْنَى — سُبْحَانَهُ — فَقَالَ وَيُفْهَرُ مَا هُوَ ذَلِكَ إِنْ يَشَاءُ .

مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِبِلَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ .

هذا الخطاب في الظاهر يشبه الاعتذار في مخاطب الآدميين . واللفظ : أتى لم أبسط عليك أيها الفقير في الدنيا لِمَا كَانَ لِي مِنَ الْعِلْمِ أَتَى لَوْ قَسَمْتُ عَلَيْكَ الدُّنْيَا لَطَعْنَيْتَ ، وَلَسْتَيْتَ فِي الْأَرْضِ بِاقْتَدَارِ .

ويقال : قوله : « ولكن .. » : لكن كلمة استدراك ، فاللفظ : لم أَوْسَعْ عَلَيْكَ الرِّزْقَ بِمَقْدَارِ مَا تَرِيدُ ؛ وَلَمْ أَمْنَعْ عَنْكَ ( الْكُلَّ ) <sup>(١)</sup> ؛ لِأَنِّي أَنْزَلْتُ بِقَدَرِ مَا أَشَاءُ .

قوله جل ذكره : « وهو الذي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْغَدُّ الْجَدُّ » .

الله — سبحانه يُخَيِّمُ الْقُلُوبَ ؛ فَكَمَا أَنَّهُ « هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ » ، فبِمَدَامَا أَصَابَتِ الْأَرْضَ جَدُوبٌ ، وَأَبْطَأَ زَوَلُّ الْغَيْثِ ، وَقَطِئَ النَّاسُ مِنْ عِجْيِ الْمَطَرِ ، وَأَشْرَفَ الْوَقْتُ عَلَى حَدِّ الْقَوَاتِ يُنْزِلُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ الْغَيْثَ ، وَيَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ قَنُوطِ أَهْلِهَا . فَكُلُّكَ الْعَبْدُ ؛ إِذَا ذُبِلَ غُصْنُ وَقْتِهِ ، وَتَكَدَّرَ صَفْوُ وَدَّهِ ، ( وَكَسَتْ ) <sup>(٢)</sup> شَمْسُ أَنْفِهِ ، ( وَبَعْدَ ) <sup>(٣)</sup> مِنَ الْخَضِرَةِ وَسَلَحَتِ الْقَرَبُ مَهْدُهُ فَلَرَبَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْحَقُّ بِرَحْمَتِهِ ؛ فَيَنْزِلُ عَلَى مِرَّةٍ أَمْطَارُ الرَّحْمَةِ ، وَيَعُودُ عَوْدُهُ طَرِبًا ، وَيُبْقِيَتُ فِي مَشَاهِدِ أَنْفِهِ وَرَدًّا حَنِينًا . وَأَنْشُدُوا :

إِنْ رَاعَى مِنْكَ الصُّدُودُ      فَلِلَّهِ إِلَهِي نَمُودُ  
وَلَمَّا هَدَّكَ بِالْأَوَى      يَحْيَا قَدْ تَحْيَا الْعُودُ  
وَالنَّصْنُ يَبْسُ تَارَةً      وَتَرَاهُ مُخَضَّرًا يَمِيدُ

قوله جل ذكره : « وَبَيْنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) مكثا في م ، وهي في ص (الكل) وهي خطأ في النسخ كما هو واضح من السياق .

(٢) مكثا في ص ، وهي في م (كشفت) بالثين وهي خطأ في النسخ كما هو واضح .

(٣) سقطت في ص وموجودة في م والسياق يتطلبها .



وما بَثَّ فيها من دابةٍ وهو على جَمْعِهِمْ  
إذا يشاء قديرٌ .

جعل الله في كلِّ شيء من المخلوقات دلالةً على توحّده في جلاله ، وفردّه بنعت كبريائه  
وجلاله<sup>(١)</sup> .

« وهو على جَمْعِهِمْ إذا يشاء قدير » : والإشارة منها أنَّ الحقَّ — سبحانه — يتلوه على  
أوليائه أن يَسْكُنَ بَعْضُهُمْ بَقْلَهُ إلى بعضٍ ؛ فأبداً يُبَدِّدُ شَمْلَهُمْ ، ولانكساد الجماعة من أهل  
القلوب تنفق في موضعٍ واحدٍ إلا نادراً ، وذلك لمدّة يسيرة .. كما قالوا :  
رعى الدهرُ بالفتيان حتى كأنهم

بأكنافِ أطرافِ السماءِ نجومٌ

وفي بعض الأحيان قد يفضّل الحقُّ عليهم فتنو بهم الديار ، ويحصل بينهم — في الظاهر —  
اجتماعٌ والتقاء ، فيكون في ذلك الوقت قد نظر الحقُّ — سبحانه — فضله إلى أن في اجتماعهم  
بركاتٌ لحياة العالم .

وهذا — وإن كان نادراً — فإنه على جَمْعِهِمْ — إذا يشاء — قدير .

قوله جلّ ذكره : « وما أصابكم من مُصيبةٍ فيما كنتم  
أيديكم ويفو عن كثير » .

إذا تحقّق العبدُ بهذه الآية فإنه إذا أصابته شظيةٌ أو حالةٌ مما يسوّه ، وعلمَ أن ذلك جزءٌ  
له ، وعقابٌ على ما بدرَ منه من سوء الأدب لاستعجى بمخبطته من فيلِهِ ، ولشكّه ذلك عن رؤية  
الناس ، فلا يحاول أن ينتقمَ منهم أو يكافئهم أو يدعو عليهم ، وإلما يشغلُه تلافى ما بدرَ منه  
من سوء الفعل عن محاولة الاتصاف لنفسه بمن يسلطُ عليه من المخلوق .. تاركاً الأمرَ كله لله .  
ويقال : إذا كَثُرَتِ الأسبابُ من البلايا على العبد ، وتوالى عليه ذلك .. فَلْيَسْكِرْ  
في أماله للغمومة .. كم يحصل منه حتى يبلغَ جزء ما يفعله — مع الغفوة الكثير — هذا المبلغ ؟ !  
فعند ذلك يزداد حزْنه وتأسُّفه ؛ لِمِلهِ بكثرة ذنوبه ومعاصيه .

(١) سبق أن نبّهنا القشيري إلى توجيه القالة ونوحيد الدلالة .

قوله جل ذكره : « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام » .  
يريد بها السفن التي تجري في البحار ؛ يرسل الله الريح فتسيرها مرة ، ويسكنها أخرى ،  
وما يريهم خلال ذلك من الهلاك أو السلامة .. وهو بهذا يحثهم على التفكير والتنبه دائماً .  
والإشارة في هذا إلى إمساك الناس <sup>(١)</sup> في خلال فترة الوقت عن الأنواء المختلفة ،  
وحفظهم في إيواء السلامة ، فالواجب الشكر في كل حالة ، وإذا خلص الشكر استوجب  
جزيل المزيد .

قوله جل ذكره : « فما أوتيتُم من شيء فمتاعُ الحياةِ  
الدُّنيا وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين  
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون » .

يعني أن الراحة في الدنيا لا تصفو ، ومن المشائب لا تحفو . وإن اتفق وجود البعض  
منها في أحيان فإنها سرية ( الزوال ) <sup>(٢)</sup> ، وشيكة <sup>(٣)</sup> (الارتحال) .  
« وما عند الله » من الثواب للعواد « خير » من هذا القليل للوجود .

قوله جل ذكره : « والذين يمتدحون كِبائرَ الإثمِ  
والفواحشِ وإذا ما غضبوا هم ينفثون »  
« كِبائرَ الإثمِ » : الشِرْك . « والفواحش » : ما دون ذلك من الزلات . فإذا تركوها  
لا ينجس عيون كاسات الغضب بل تسكن لديهم سورة النفس ؛ لأنهم يتوكلون على ربهم  
في عوم الأحوال .

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا  
الصلاةَ وأمروهم شورى بينهم ومما  
رزقناهم يُنفقون » .

(١) المقصود بإمساك الناس هنا حفظ الله سبحانه وتعالى لهم .

(٢) وردت (الغدا) في ص وهي خطأ في النسخ .

(٣) وردت (وسكة) في ص وهي خطأ في النسخ .

« استعابوا ربهيم » : فإدعاهم إليه وما أمرهم به من فنون الطاعات ؛ فهؤلاء هم الذين لهم حُسْنُ الثوابِ وحيدُ المكابِ .

والمستجيبُ رَبُّهُ هو الذي لا يبق له نفسٌ إلا على موافقة رضاه <sup>(١)</sup> ، ولا يَتَّبِقُ منه لنفسه بقية .

« وأمرهم شورى بينهم » : لا يستبدُّ أحدُهم برأيه ؛ لأنه يَتَّبِعُ أمره ورأيه ابتداءً <sup>(٢)</sup> . ثم إذا أراد القطع بشيء يتوكل على الله .

قوله جل ذكره : « والذين إذا أصابهم البغيُ هم ينتصرون » .

« البغيُ » : الظلمُ ، فيعلم أحدهم أن الظلم الذي أصابه هو من قِبَلِ نفسه ، فينتصر على الظالم وهو ضمه ؛ بأن يكبح عنها عن الركن في ميدان الخلافات .

قوله جل ذكره : « وجزاء سيئةً سيئةً مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين » .

( يعني لا تجاوزوا حدَّ ما جنى الجاني عليكم في المكافأة أو الانتقام ) <sup>(٣)</sup> .

« فمن عفا وأصلح فأجره على الله » : مَنْ عفا عن الجاني ، وأصلح ما بينه وبين الله — أَصْلَحَ اللهُ ما بينه وبين الناس . « فأجره على الله » : فالجى للمبد من الله وعلى الله ، وعند الله خيرٌ مما يصله باختياره .

قوله جل ذكره : « وَكَانَ أَصْحَرُ بَدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ • إِنَّا السَّيْلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَتَّخِذُونَ فِي الْأَرْضِ بَنِينَ الْحَقِّ أَولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

(١) هذا ما يعرف عند الصوفية بإمامة الأتقاس .

(٢) هذا أصل من أصول أهل الخلافة الكنيسية .

(٣) ما بين القوسين سقط في ص وموجود في م .

عَلَّمَ اللهُ أَنْ الْكُلَّ مِنْ عِبَادِهِ لَا يَجِدُ التَّحَرَّرَ مِنْ أَحْكَامِ النَّفْسِ ، وَلَا يَتِمَّكَنُ مِنْ مَحَاسِنِ الْخُلُقِ فَرَخَّصَ لَهُمْ فِي الْمَكَاثِفَةِ عَلَى سَبِيلِ الْمَدْلِ وَالْقِسْطِ -- وَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَى بِهِمُ الصَّنِيعُ وَالْمَقْصُودُ .  
 « إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلُمُونَ النَّاسَ . . . : السَّبِيلُ بِاللَّامَةِ لِمَنْ جَاوَزَ الْحَدَّ ، ( وَعَدَا الطَّوْرَ )<sup>(١)</sup> ، وَأَتَى غَيْرَ الْمَأْذُونِ لَهُ مِنَ الْفِعْلِ . . . فَهَؤُلَاءِ لَمْ عَذَابُ أَلِيمٌ .  
 قوله جل ذكره : « وَلَكِنْ صَبَرْ وَغَفَرَ لِمَنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ » .

صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ مِنْ غَيْرِ شَكْوَى ، وَغَفَرَ -- بِالتَّجَاوُزِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ -- وَلَمْ يَتَّبِعْ لِنَفْسِهِ عَلَيْهِ دَعْوَى ، بَلْ يُبْرِئُ خَصْمَهُ مِنْ كُلِّ دَعْوَى ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . . . فَذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورَ .  
 قوله جل ذكره : « وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ يَهْدِيهِ وَيُرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ » .

لِمَنْ الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللهُ ، وَأَعْيَى أَبْصَارَهُمْ وَبَصَائِرَهُمْ ، وَأَوْقَعَهُمْ فِي كُدِّ عِقَابِهِمْ ، وَحَرَمَهُمْ بَرْدَ الرِّضَا لِحُكْمِ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ وَلِيٌّ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَلَا مَانِعَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِ . وَتَرَاهُمْ إِذَا رَأَوْا الْعَذَابَ يَطْلُبُونَ مِنْهُ النِّجَاةَ فَلَا يُنَالُونَهَا .

وَتَرَاهُمْ يُرْسُونَ عَلَى النَّارِ وَهُمْ خَاشِعُونَ مِنَ الدُّلِّ ؛ لَا تَنْفَعُهُمْ تَسَامَةٌ ، وَلَا تَنْتَعِبُ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ ، وَيُؤْمَرُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَا ذَكَرُوا بِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ ، فَالْيَوْمَ لَا نَاصِرَ يَنْصُرُهُمْ ، وَلَا رَاحِمَ يَرْحَمُهُمْ .

قوله جل ذكره . « أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ » .

الاستجابةُ لله الوفاةُ بعهده ، والقيامُ بحَقِّه ، والرجوعُ عَنْ غِلَاقَتِهِ إِلَى مَوَاقِفَتِهِ ، وَالِاسْتِسْلَامُ

(١) فِي مِصْرٍ (وَعَدَا) وَهِيَ غَضَائِي النَّسَبِ . وَيُقَالُ مَدَا وَتَمَدَّى الطَّوْرُ أَيَّ جَاوَزَ حَدَّهُ وَقَدَّرَهُ (الْوَسِيطُ) .

في كل وقتٍ مُحْكَمِهِ . والطريقُ اليومَ إلى الاستجابة مفتوحٌ . وعن قريبٍ سَنُفَتِّحُ البابَ على القلبِ بِنَّةً ، وَنُؤَخِّدُ قَلْبَهُ .

قوله جل ذكره : « فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا  
إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ » .

فَإِنْ أَعْرَضُوا مِنَ الْإِجَابَةِ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ ، ثُمَّ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا نَعْمَلُهُمْ بِهِ .  
«وَمَا نَأْتِيْنَا إِلَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَوَرِحَ  
بِهَا ، وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ  
أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ » .

إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَاحَةً وَنَسَمَةً فَرِحَ بِتِلْكَ الْحَالَةِ ، وَقَابَلَهَا بِالْبَطَرِ ، وَنَوَسَّلَ بِنَامِ  
مَافِيهِ إِلَى الْخَفَاقَةِ ، وَجَعَلَ السَّلَامَةَ ذَرِيَّةً لِلْمَخَافَةِ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ وَبَلْبَةٌ ، وَمَسَّتْهُ مُصِيبَةٌ  
وَرَزِيَّةٌ فَإِنَّهُ كَفُورٌ بِنِعْمَاتِنَا ، جَعِدُوا لَنَا نَاثًا .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ  
مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً مَّا يَهَبُ لِمَن  
يَشَاءُ الذِّكْرَ » <sup>(١)</sup> ....

يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذِّكْرَ ، وَلِمَن يَشَاءُ الْإِنَاثَ ، وَلِمَن يَشَاءُ الْجَنِينَ ، وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِبًا ،  
فَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِي تَقْدِيرِهِ ، وَلَا اخْتِيَارَ فِي اخْتِيَارِهِ ، فَهُوَ أَوْلَى بِعِبَادِهِ مِنْ عِبَادِهِ .

قوله جل ذكره : « وَمَا كَانَ لِيَخْبُرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ  
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ  
رَسُولًا فَيُوحِي بِلَا فُتْحٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ  
حَكِيمٌ » .

لِلَّهِ بِحَقِّ مُلْكِهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ ، وَيُعْطِيَ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مَا يَشَاءُ ، وَلَكِنْ أَجْرِي

---

(١) يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ قَدِمَ الْإِنَاثَ عَلَى الذِّكْرِ هَذَا لِوَضُوحِ أَنَّهُ فَاعِلٌ لَهَا يَشَاءُ لَا لَهَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ ، فَكَانَ تَقْدِيرُ  
الْإِنَاثِ الْأَوَّلَ مِنْ جُمْلَةِ مَا لَا يَشَاءُ الْإِنْسَانُ أُمٌّ ، وَالْأُمُّ وَاجِبُ التَّطْفِيلِ . - ص ١١١ .

المادة وحكمه بأنه لا يفضل إلا ما وُزِدَ في هذه الآية ؛ فلم يُكَلِّم أحداً إلا بالوحى ، أو من وراء حجاب ؛ يعنى وهو لا يرى الحق ، فالحجوب هو العبد لا الرب ، والحجاب أن يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية . . تعالى الله عن أن يكون من وراء حجاب ؛ لأن ذلك صفة الأجسام المحدودة التى يُسَبَّلُ عليها ستر . إنه « عِلِّيٌّ » : فى شأنه وقدره ، « حكيمٌ » : فى أفعاله .

قوله جل ذكره : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لكتهذى إلى صراط مستقيم » .

أى ذلك مثلاً أوحينا إليك « روحاً » من أمرنا بنى القرآن ؛ سمّاه روحاً لأنه من آمن به صار به قلبه حياً .

ويقال « روحاً من أمرنا » : أى جبريل عليه السلام ، ويسى جبريل روح القدس .  
« ما كنت تدري ما الكتاب . . » : ما كنت تدري قبل هذا ما القرآن ، « ولا الإيمان » :  
أى تفصيل هذه الشرائع .

« ولكن جعلناه » : أى القرآن « نوراً » نهدي به من نشاء من عبادنا للمؤمنين .

« ألا إلى الله تصير الأمور » : لأن منه اجتهاد الأمور .

## سُورَةُ الزُّخْرُفِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

بسم الله : اسمٌ عزَّزَ مَنْ وَفَّقَ بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ لَمْ يُمْلِكْ بَيْتَهُ صَوَاعِدَ هَيْمِهِ ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَى سُدَّةٍ مَخْلُوقٍ يَتَقَدَّمُهُ فِي ابْتِغَاءِ كَرَمِهِ . اسمٌ عزَّزَ مَنْ عَوَّدَهُ خَفَايَا لُطْفِهِ <sup>(١)</sup> لَمْ يَتَذَكَّرْ <sup>(٢)</sup> فِي طَلَبِ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى غَيْرِهِ فِي شَرِّهِ وَخَيْرِهِ .

قوله جل ذكره : « حَمْدٌ • وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ • إِنَّا جَلَلْنَا »

قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَكُمْ تَتَعَلَّمُونَ »

الحمد تدل على حياته والميم على مجده . . . وهذا قسم ؛ ومعناه : وحياتي ومجدي وهذا القرآن إن الذي أخبرت من رحمتي بمبادئ المؤمنين حقَّ وصدق . وجللناه قرآنًا عَرَبِيًّا لِيُفَسِّرَ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ مَعْنَاهُ .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا »

لَعَلِّي حَكِيمٌ »

« فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدِينَا » : أَيْ أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ .

« لَعَلِّي حَكِيمٌ » ، لَعَلِّي الْقَدِيرُ ، حَكِيمُ الْوَصْفِ ؛ لَا تَبْدِيلَ لَهُ وَلَا تَحْوِيلَ .

قوله جل ذكره : « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا »

أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ »

أَيْ أَنَا لَا فَعَلَ ذَلِكَ ؛ ( فَيَكُونُ مَعْنَى الْإِسْتِغْثَامِ ) <sup>(٣)</sup> أَفَنَقْطَعُ عَنْكُمْ خُطَابَنَا وَنُزَيْدَنَا

(١) مَكَلَّفًا فِي مَوْحِي فِي ص (يُخَفِّدُ حِكْمَهُ) . . . وَهَذَا أَكْثَرُ الْأَوَّلِ لِأَنَّهَا أَكْثَرُ تَعْمِيمًا لِلْبَيِّنَاتِ .

(٢) مَكَلَّفًا فِي مَوْحِي فِي ص (لَمْ يَتَذَكَّرْ) وَرَأَيْتُ الْخَطَأَ النَّاسِخَ .

(٣) مَا يَجِيءُ الْقُرْآنَ مِنْ مَعْنَا لِيُكَلِّمَكَ الْبَيِّنَاتِ . وَالْإِسْتِغْثَامُ فِي الْآيَةِ يَفِيدُ الْإِتِّكَارَ .

إِنْ أَسْرَقَ فِي خِلَافِكُمْ لَا... إِنَّا لَا نَزِعَ التَّكْلِيفَ بِأَنْ خَالَقْتُمْ ، وَلَا نَهْجِرَكُمْ — يَنْقُطُ  
الْكَلَامُ عَنْكُمْ — إِنْ أَسْرَقَ .

وفي هذا إشارة لطيفة وهو أنه لا يقطع الكلام — اليوم — عَنْ تِمَادَى فِي عَصِيَانِهِ ،  
وَأَسْرَفِ فِي أَكْثَرِ شَأْنِهِ . فَأَعْرَى أَنْ مَنْ لَمْ يَقْصُرْ فِي إِعَانِهِ — وَإِنْ تَلَطَّعَ بِعَصِيَانِهِ ،  
وَلَمْ يَدْخُلْ خَلْلٌ فِي عِرْقَانِهِ — أَلَا يَسْتَعِ عَنْهُ لَطَائِفُ غَفْرَانِهِ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ »

وما يأتيهم مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا  
بِهِ يَسْتَمِزُّونَ .

ما أنام من رسولٍ فَيَاوِلُهُ بالتصديق ، بَلْ كَذَّبَ بِهِ الْأَكْثَرُونَ وَجَعَلُوا ، وَعَلَى  
قِيَمِهِمْ أَصْرُوا ...

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا ،

أَي لَمْ يَمُزِّزْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَلَمْ تَفْلُزْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَاتَّقِنَا مِنَ الَّذِينَ أَسَاءُوا .

قوله جل ذكره : « وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ »

كَانُوا يَقُولُونَ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ ، وَأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَإِنَّمَا جَعَلُوا حَدِيثَ  
الْأَنْبِيَاءِ ، وَحَدِيثِ الْبَيْتِ وَجَوَازَهُ .

« الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ

لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

كَأَجَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا لِأَشْيَاحِهِمْ جَعَلَ الْأَشْيَاحَ قَرَارًا لِأَرْوَاحِهِمْ ؛ فَاتَّخَذَ سُكَّانُ  
الْأَرْضِ ، فَإِذَا انْتَهَتْ الْمُدَّةُ — مَدَّةُ كَوْنِ النَّفُوسِ عَلَى الْأَرْضِ — حَكَمَ اللَّهُ بِمُزَاجِيهَا .  
كَذَلِكَ إِذَا فَارَقَتِ الْأَرْوَاحُ الْأَشْيَاحَ بِالْكُلِّيَّةِ قَفَى اللَّهُ بِمُزَاجِيهَا .

(١) هكذا تنجل نزعة الأمل والتنازل عند هذا الصوفي حيث يحاول في إشارته أن يبين كيف أن رحمة الله  
تنتد لتشل المؤمنين الصاعدة حتى من أسرف منهم على نفسه .



قوله جل ذكره : « وَاللّٰى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَنْزِلُ

فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ

بِئْسَ كَايُحِي الْأَرْضَ بِالْمَاءِ يُحْيِي الْقُلُوبَ بِحُسْنِ النَّظَرِ .

قوله جل ذكره : « وَاللّٰى خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا »

أَيُّ الْأَصْنَافِ مِنَ الْخَلْقِ

« وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ النَّفْثِ وَالْأَنْعَامِ

مَا تَرَكُونَ »

كَذَلِكَ جَنَّاسٌ عَلَيْكُمْ الْأَحْوَالُ كُلُّهَا ؛ فَمِنْ رَغْبَةٍ فِي الْخَيْرَاتِ إِلَى رَهْبَةٍ بِمَا تَوَعَّدُكُمْ بِهِ مِنْ

الْعُقُوبَاتِ . وَمِنْ خَوْفٍ يَحْمِلُكُمْ عَلَى تَرْكِ الزَّلَّاتِ إِلَى رَجَاءٍ يَبْشُرُكُمْ عَلَى فُضْلِ الطَّاعَاتِ طَمَعًا

فِي الْمَثُوبَاتِ . . . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ الصِّفَاتِ

« لِيَتَّقُوا عَلَى ظُهُورِهِ » .

بِئْسَ النَّفْثُ وَالْأَنْعَامُ . .

« ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ

عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا

وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ »

مُطْمَئِنِّينَ ، وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَّفَكَ فِي الْبَحْرِ ، وَالْعُذَابِ لِلرُّكُوبِ ، وَأَعْظَمَ عَلَيْهِمُ الْمُنَّةَ بِذَلِكَ

فَكَذَلِكَ ( سَهَّلَ لِلْمُؤْمِنِينَ مَرْكَبَ التَّوْفِيقِ فَحَصَلَهُمْ عَلَيْهِ إِلَى بَاطِلِ الطَّاعَةِ <sup>(١)</sup> ) ، وَسَهَّلَ

لِلْمُرِيدِينَ مَرْكَبَ الْإِرَادَةِ فَحَصَلَهُمْ عَلَيْهِ إِلَى عَرَصَاتِ الْجُودِ ، وَسَهَّلَ لِلْعَارِفِينَ مَرْكَبَ الْهِمَمِ

فَأَنَابُوا بِقُوَّةِ الْمِرَّةِ . وَعِنْدَ ذَلِكَ تَحَطُّ الْكَلَفَةِ ؛ إِذْ لَمْ تَخْفُقْ سَرَادِقَاتُ الْمِرَّةِ مِمَّا

مَخْلُوقٍ : سِوَاهُ كَانَ مَلَكًا مُّقْرَّبًا أَوْ نَبِيًّا مُرْسَلًا أَوْ وَلِيًّا مُّسَكَّرَمًا ، فَتُنَدِي سُلُوكَاتِ

الْمِرَّةِ بِتَلَاشَى كُلِّ مَخْلُوقٍ ، وَيَقِفُ وَدَاهَا كُلُّ مُخَدَّثٍ مَسْبُوقٍ <sup>(٢)</sup> .

(١) مَا بَيْنَ التَّوَسُّعِ مَوْجُودٍ فِي صَ وَغَيْرِ مَوْجُودٍ فِي م فَأَتَتْهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ؛ لِأَنَّ مَرْتَبَةَ الْمُؤْمِنِينَ عَامَةٌ

تَلْبِيَا مَرْتَبَةِ الْمُرِيدِينَ وَهِيَ عَاصِمَةٌ ، ثُمَّ لِلْعَارِفِينَ وَهِيَ خَوَاصُ الْخَوَاصِ .

(٢) يَرْتَبِطُ ذَلِكَ بِطَلَبِ التَّشْغِيرِ فِي الْفَنَائَةِ ، وَكَيْفَ أَنَّ الصِّغِيرَةَ تَجَلُّ مِنَ الْإِسْتِقْرَافِ .. نَامِيكَ بِمَا يَرْصُمُهُ

آخِرُونَ مِنْ حُلُولِ الْوَقْتِ . . وَغَيْرِ ذَلِكَ .

قوله جل ذكره : « وجعلوا له من عبادِهِ جُزْءًا إِنَّا  
الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ »

م الذين قالوا : الملائكةُ بناتُ الله ؛ فجعلوا البناتِ لله جزءاً على التخصيص من جملة  
مخلوقاته . . . نسكا لهم في قولهم ذلك وخزناً <sup>(١)</sup> ! ! فردَّ عليهم ذلك قائلاً :

« أَمْ اتَّخَذَ عَمَّا يُخْلَقُ بَنَاتٌ وَأَصْفَاكُمْ  
بِالْبَنِينَ »

قال لهم على جهة التوبيخ ، وعابهم بما قالوا ؛ إذ - على حدِّ قولهم - كيف يُؤرِّثُهم  
بالبنين ويحمل لنفسه البنات ؟ ! ففى قولهم ضلالٌ ؛ إذ حكموا للتقدير بالولد . وفيه جهلٌ ؛  
إذ حكموا له بالبنات ولم بالبنين - وهم يستنكرون من البنات . . ثم . . أى عيب فى البنات ؟  
ثم . . كيف يمكن أن الملائكة إناثٌ - وهم لم يشاهدوا خَلْقَتَهُمْ ؟  
كلُّ ذلك كان منهم خطأ عظيماً .

قوله جل ذكره : « وقالوا لو شاء الرحمنُ ما عهدناكم  
معلم بذلك من علمٍ إِنَّا م  
الْأَيُّهَا خُصُوعٌ »

إِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ اسْتِهْزَاءً وَاسْتِعْلَافًا لَا إِعَانًا وَإِخْلَاصًا ، قَالَ تَالَى : « مَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ عِلْمٍ »  
ولو عَلِمُوا ذلك وقالوه على وجه التصديق لم يكن ذلك منهم مغفلاً .

ثم قال : « أَمْ آتَيْنَاكُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ نَعْمَ بِهِ  
مُتَّبِعِينَكُمْ »

أى ليس كذلك ، حتى أخبر أنهم ركنوا إلى تقليد لا يقضى إلى العلم ، قال :

« بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آيَاتِنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا  
عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ »

---

(١) في م (وختناً) وهي غير ملائمة - كما هو واضح .

فنحن قتلناهم ، ثم قال :

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك في  
قرية من نذير إلا قال مُزَفَّرُهَا إِنَّا  
وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم  
مقتلون »

سلكوا طريق هؤلاء في التقليد لأسلافهم ، والاستقامة إلى ما ابتدأوه من السيرة  
والصادة .

قوله جل ذكره : « قال أو لو جئكم بأهدى  
مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إِنَّا بِنَا  
أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ »  
فلم يتبع فيهم قوله ، ولم يشفهم وعظَّمه ، وأصرَّوا على تكذيبهم ، فانضم الحق  
— سبحانه — منهم كأفضل بالدين من قبلهم .

قوله جل ذكره : « وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه  
إِنِّي براءٌ مما تعبدون »

أخبر أن إبراهيم لما دعا أباه وقومه إلى الله وتوحيده أبواً إلا تكذيبه ؛ فبرأ  
منهم بأجمعهم ، وجعل الله كلمة التوحيد باقية في عقبه وقومه .

قوله جل ذكره : « بل متَّعْتُ هؤلاء وآباءهم  
حق جامع الحق ورسول مبين » .

أَرْخَيْتَنَا عَنَّا إِمَامَهُمْ مَدَّةً ، ثم كان أمرهم<sup>(١)</sup> أن اتصروا منهم ، ودمروا  
أجمعين .

قوله جل ذكره : « وقالوا لولا نزلَ هذا القرآنُ

---

(١) هكذا في ص ومن في م (أعزهم) وهي مقبولة في السياق على معنى (أعز أمرهم) أو (أعز شأنهم) .

عَلَى رَجُلٍ مِنَ الرَّبِّينِ عَظِيمٍ ،

إِنَّمَا أَبِي مَسْعُودٍ التَّنْفِي (١) أَوْ أَبِي جَهْلٍ ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ فَرْطِ جَهْلِهِمْ .

« أُمُّهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةً رَبِّكَ ؟  
نَحْنُ قَسَمْنَا لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ مِيثَاقَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَرَضْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ  
دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ،  
وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ »

أُمُّ يَقْسِمُونَ - يَا مُحَمَّد - رَحْمَةً رَبِّكَ فِي التَّنْصِيفِ بِالنَّبِيِّ ؟ أَيْ كَوْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ  
- سُبْحَانَهُ - عَلَى مُتَقَرَّبِي هَوَامٍ ؟ بَلَى مَا يَحْكُمُونَ !

« نَحْنُ قَسَمْنَا لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ مِيثَاقَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَمْ ..... فَكَيْفَ نَجْعَلُ  
قِسْمَةَ النَّبِيِّ إِلَى هَؤُلَاءِ ۱۹ ..... »

وَالْإِشَارَةُ مِنْ هَذَا : أَنَّ الْحَقَّ - سُبْحَانَهُ - لَمْ يَجْعَلْ قِسْمَةَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ إِلَى  
أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا الرَّدُّ مِنْ رَدِّهِ بِحُكْمِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَالْمَقْبُولُ - مِنْ جَهْلَةِ عِبَادِهِ - مَنْ  
أَرَادَهُ وَقَبِلَهُ . . . لَا لِمَلَّةٍ أَوْ سَبَبٍ ، وَلَيْسَ الرَّدُّ أَوْ الْقَبُولُ لِأَمْرِ مُكْتَسَبٍ (٢) . . .  
نَمَّ إِنَّهُ قَسَمَ لِبَعْضِ عِبَادِهِ النِّعْمَةَ وَالنَّفَى ، وَلِبَعْضِ الْقَلَّةِ وَالْفَقْرَ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ  
وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَكَنًا يَسْكُنُونَ إِلَيْهِ يَسْتَقِلُّونَ بِهِ ؛ فَلِلْأَغْنِيَاءِ وَجُودُ الْإِنْعَامِ وَجَزِيلُ  
الْأَقْسَامِ . . فَشَكَرُوا وَاسْتَبَشَرُوا ، وَلِلْفُقَرَاءِ شُهُودُ الْمُنَمِّ وَالْقَسَامِ . . فَحَمَدُوا وَافْتَخَرُوا .  
الْأَغْنِيَاءُ وَحَدَّوْا النِّعْمَةَ فَاسْتَفْنَوْا وَافْتَنَلُوا ، وَالْفُقَرَاءُ سَمِعُوا قَوْلَهُ : « نَحْنُ » فَاسْتَفْنَلُوا (٣) .

(١) هُوَ أَبُو مَسْعُودٍ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ التَّنْفِي مِنَ الطَّائِفَةِ ، وَأَبُو جَهْلٍ مِنْ مَكَّةَ فَالْقَرْنَيْنِ هَا الطَّائِفَةُ وَمَكَّةُ .  
وَرَوَى أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْخَلِّيزِ - وَكَانَ يُسَمَّى رَيْحَانَهُ قَرِيضَ - كَانَ يَقُولُ : لَوْ كَانَ مَا يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ حَقًّا لَنَزَلَ عَلَيَّ  
أَوْ عَلَى أَبِي مَسْعُودٍ .

(٢) مَرَّةً أُخْرَى يَنْبَغِي الْقَشِيرَى إِلَى أَنَّ الْمَوْرَدَ عَلَيْهِ فِي الْأَمْرِ فَضْلُ اللَّهِ وَقِسْمَتُهُ ، وَهَذَا الرَّأْيُ شَائِعٌ فِي سَائِلَةِ  
الْفِرَاقِ وَالْعِقَابِ إِلَى اتِّخَاذِ الْمُمَرَّةِ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ تَبْرِيرِ الْحُرِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ - كَمَا نَبَّهْنَا إِلَى ذَلِكَ فِي هَوَامِشِ كَثِيرَةٍ  
مِنَ الْكُتَابِ .

(٣) أَيْ (اسْتَغْلَوْا) بِأَنَّهُ وَطَّأَتْهُ حُدُونُ غَايَةِ غَيْرِهِ أَوْ مَطَّحَ زَائِلٌ . وَنَحْنُ لَا نَمْنَعُهُ أَنَّهُ قَدْ تَكُونُ فِي الْأَصْلِ  
(لِاسْتَغْلَاؤِهِ) فَهَذَا هُوَ تَعْمِيرُ الشَّيْخِ الْمَأْلُوفِ فِي مِثْلِ هَذَا السِّيَاقِ .

وفي الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للأَنْصار : أما ترضون أن يرجع الناس بالنفى ؛ وأنتم ترجعون بالنبي إلى أهلِكُمْ ؟

« ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا .. » : لو كانت القادِرُ مُساوِيَةً لَتَطَلَّتْ لِلْمَايَشِ ، وكَيْفَى كُلُّ عِنْدَ حَالِهِ ؛ فجعل بعضهم خصومين بآلِهِ واللَّال ، وآخرين خصومين بالقو وِرْقَةِ الحلال .. حتى احتاج الفقيرُ في جَنْبِ حاجته إلى أن يعملَ للنبي كي يرتفع من جهة بأجرته فَيَصْلُحُ بِذلك أمرُ النبي والفقير جميعاً .

قوله جل ذكره : « ولولا أن يكونَ الناسُ أمةً واحدةً

لجعلنا لِكُلِّ مِيسْكَرٍ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِمَهُمْ  
سُقْفًا مِنْ فِئَةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ »

معنى الآية أنه ليس لدينا عندنا خطر ؛ فإذى يبقى عنا لو صَبَّحْنَا عَلَيْهِ الدُّنْيَا بِمُخَافِهَا لم يكن ذلك جبراًنا لمصيته . ولولا فتنة قلوب المؤمنين لجعلنا لِيُوتِمَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِئَةٍ وَمَعَارِجَ مِنْ فِئَةٍ ، وكذلك ما يكون شبيهاً بهذا .

ولو فعلنا .. لم يكن لِمَا أَعْطَيْنَاهُ خَطَرٌ ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِأَسْرَمَا لَيْسَ لَهَا عِنْدَنَا خَطَرٌ .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ يَشَأْ مِنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ  
تَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا فَيُؤَلِّهُ لَهُ فَرِيقَ » .

مَنْ لَمْ يَرْفَ قَدْرَ الْخَلْوَةِ مَعَ اللَّهِ خَلَدَ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَأَخْلَدَ إِلَى الْخَوَاطِرِ الرَّدِيَّةِ فَيُضِلُّهُ اللَّهُ لَهُ مَنْ يَشْفُلُهُ عَنْ اللَّهِ — وَهَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْأَدَبَ فِي الْخَلْوَةِ . وَإِذَا اشْتَغَلَ الْعَبْدُ فِي خَلْوَتِهِ بِرَبِّهِ .. فَلَوْ تَرَضَى لَهُ مَنْ يَشْغَلُهُ عَنْ رَبِّهِ صَرَفَهُ الْحَقُّ عَنْهُ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ ، وَصَرَفَ دَوَاعِيَهُ عَنْ مَفَاتِحِهِ بِمَا يَشْغَلُهُ عَنْ اللَّهِ .

ويقال : أَصَابُ الشَّيَاطِينِ قَسْرُكَ ؛ وَالْعَبْدُ إِذَا لَمْ يَعْرِفْ خَطَرَ فِرَاقِ قَلْبِهِ ، وَاتَّبَعَ شَهْوَتَهُ ، وَضَعِ ذَلِكَ الْبَابَ عَلَى قَسَمِهِ يَتِي فِي يَدِ مَوَاهِ أَسِيرًا لَا يَكَادُ يَخْلُصُ عَنْهُ إِلَّا بِمُدَّةٍ .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّهُمْ لَيُصْدُونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ  
وَيَعْتَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ » حتى إذا جاءنا

قال يا ليت بيني وبينك بُعد للشرقيين

فيس الثرين »

الذي سأل له نفسه أمراً يتوهم أنه على صواب ، ثم يحمل صاحبه على موافقته في باطله ، ويدعي أنه على حق . وهو بهذا يضر بنفسه ويضر غيره . ثم إذا ما انكشف — غداً — انطواء تبين صاحبه خيائته ، وتدمر على صحبته ، ويقول : « يا ويلتي ليقني لم آخذ فلاناً خيلاً »<sup>(١)</sup> و « يا ليت بيني وبينك بعد للشرقيين » . ولكن هذه الندامة لا تنفع حينئذ ؛ لأن الوقت يكون قد فات ، لهذا قال تعالى :

« ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنفسكم

في المذاب مشركون »

قوله جل ذكره : « أفأنت تسمع الغم أو تهدي

الغنى ومن كان في ضلال مبين » .

هذا الاستفهام فيه معنى النفي ؛ أي أنه ليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته ، ولئبنا عليه رشدّه ، ومن صيبنّا في مساعفه فهمه رصاص الشفاء والحرمان... فكيف يمكنك إسماعه؟! قوله جل ذكره : « فإما نذّهبك بك فلاناً منهم

منتقمون »

يعنى : إن اقتصى أجلك ولم يبق لك شهود ما تتوعدهم به فلا توهم أن صدق

كلامنا يشوبه مَيّن<sup>(٢)</sup> ، فإنّ ما أخبرناك عنه — لا محالة — سيكون .

قوله جل ذكره : « أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم

مقتلون »

أثبتهُ على حدّ الخوف<sup>(٣)</sup> والرجاء ، ووقفهُ على وصف التجويز لاستبداده<sup>(٤)</sup> — سبحانه

(١) آية ٣٨ سورة الفرقان .

(٢) في م (مبين) وحس خطأ في النسخ إذ الصواب (المين) أي الكذب .

(٣) في ص (الحزن) ؛ لكننا آثرنا عليها ما جاء في م فالخوف — لا الحزن — يقابل الرجاء في المصطلح

الصوري (أنظر رسالة التفسير ص ٣٥) .

(٤) استبد بالامر به انفرد به (الوسيط) .

بعل النيب . والمقصود كذلك أن يكونَ كلُّ أحدٍ بالنسبة لأمر الله من جملة نظارة التقدير —  
فألفه بفعل ما يريد .

قوله جل ذكره : « فاستميت بالقي أوجي إليك إنك

على صراطٍ مستقيم »

اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله من غير فتور ، وقِفْ حيناً أمرت ، وثِقْ بأنك  
على صراطٍ مستقيم .

قوله جل ذكره : « وإِنَّهٗ لَفِي شَرْكِ لَكَ وَقَوْمِكَ وَسَوْفَ

تُسْأَلُونَ » .

أى إِنَّ هَذَا التَّوْرَانَ لَذِكْرٌ لَكَ ؛ أى شرف لك ، وحسنُ صيتٍ ، واستحقاقُ منزلة .

قوله جل ذكره : « واسألْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رُسُلْنَا أَجَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آيَةً

يُبَيِّنُونَ » .

حَسَرَ أَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ — عليهم السلام — ليلةَ الإِمْسَاءِ — وقيل له — صلى الله عليه وسلم :

سَلِّمْ . هل أَمَرْنَا أحداً بعبادة غيرنا ؟ فلم يَشْكُ النَّبِيَّ — صلى الله عليه وسلم — ولم يسأل<sup>(١)</sup>

ويقال : انخبط له ، والرائدُ به غيره . . فمن يرتب في ذلك ؟ ( ويقال : المراد منه سَلِّ

أقوامهم ، لئلا إذا قالوا إن الله لم يأمر بذلك كان هذا أبلغ في إبرام الحجة عليهم )<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ولقد أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا . . . . .

إِنَّا هُمْ مِنْهَا بِضَعُكُونَ »

كرَّرَ قصةَ مُوسَى غَيْرَ مَرَّةٍ فِي الْقُرْآنِ ، وَأَعَادَهَا هُنَا بِجَلَّةٍ ؛ أَرْسَلْنَاهُ بِدَلَالَتِنَا ، أَرْسَلْنَاهُ بِمُجَرِّ

ظَاهِرَةٍ قَاهِرَةٍ ، أَرْسَلْنَاهُ بِالْمُسْجَرَاتِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ مِنَ التَّبْطُّعِ ، قَوْلِهِ بِالْفَرْءِ وَالضَّلَكِ

(١) عن ابن عباس أنه قال : « لا أسألُ قد اكتفيت » وبعث أيضاً : أنه لم يسأل لأنه كان أعلم بالله منهم .

(٢) ما بين القوسين ساقط في م وسجود في م ، والمقصود بها : أسأل مؤمن أهل الكتابين التوراة والانجيل — وحمل هذا الرأي جمهور من المفسرين منهم مجاهد والشمسك وقطادة .

والتكذيب . ومع أن الله سبحانه لم يُجِرْ عليه من اليَنَات شيئاً إلا كان أوضح بما قبله إلا أنهم لم يقابلوه إلا بجهلاء أو شس مما قبله . فلما عضهم الأمر قالوا : يا أيها الساحر ، ادع لنا ربك ليكشف عنا البلية لنؤمن بك ، فدعا موسى ... فكشف الله عنهم ، فنادوا إلى كفرهم ، وقضوا عهدهم .

قوله جل ذكره : « ونادى فرعونُ في قومه قال : يا قوم أليس لي مَلَكُ مِصْرَ وهذه الأنهار تجري مِن تحتي أفلا تبصرون . »

تَرَزَّ بِمَلَكِ مِصْرَ ، وَجَرَى النِّيلُ بِأَمْرِهِ ! وَكَانَ فِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ ؛ لِيَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَعَزَّزَ بِشَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَخَسَهُ وَهَلَكَ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ .

« أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ » .

استصغر موسى وحديثه ، وعابه بالافتراء . . فَسَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَكَانَ هَلَاكُهُ بِيَدَيْهِ ، فَمَا اسْتَغْفَرَ أَحَدٌ إِلَّا سَلَّطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ (١) .

قوله جل ذكره : « فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ »

أَطَاعُوهُ طَاعَةَ الرِّهَةِ ، وَطَاعَةَ الرِّهَةِ لَا تَكُونُ مَخْلُصَةً ، وَإِنَّمَا تَكُونُ الطَّاعَةُ صَادِقَةً إِذَا صَدَرَتْ عَنِ الرِّغْبَةِ .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منهم فَأغرقناهم أجمعين » .

« آسَفُونَا » أَغْضَبُونَا ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَغْضَبُوا أَوْلِيَاءَنَا ، فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ . وَهَذَا لَهُ أَصْلٌ فِي بَابِ

(١) يجادل القشيري أن ينفذ بأولئك الذين يتبرسون للأولياء والمبارزين ، وكيف أن الحق - سبحانه - يقول عنهم ودَّ كَيْدَ الْكَافِرِينَ .



الجميع<sup>(١)</sup> ؛ حيث أضاف لإساقهم لأوليائه إلى نفسه . . وفي الخير : أنه يقول : « مَرِضْتُ  
فَلَمْ تَعُدْنِي<sup>(٢)</sup> .

وقال في قصة إبراهيم عليه : « يَا تَوَكُّلَ رَجُلًا . . »<sup>(٣)</sup>

وقال في قصة نبيينا — صلى الله عليه وسلم : « من يطلع الرسول قد أطلع الله »<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ  
مِنْهُ يُصَدِّقُونَ .

وَضُرِبَ الْمَثَلُ بِعِيسَى هو قوله : « إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ »<sup>(٥)</sup> ؛ خَلَقَ عِيسَى  
بِلَا أَبٍ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِلَا أَبِي بَن . فاجعلوا بهذه الآية .

وقيل هو قوله : « إِنَّا نَسُكُّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَسْبَ جَهَنَّمَ »<sup>(٦)</sup> ، قالوا : رضينا بأن  
نكون في النار مع عيسى وعَزَّيْزُ وَالْمَلَأَسَكَةُ ، وليس لهم في الآية موضع ذِكر ؛ لأنه سبحانه  
قال : « وَمَا تَعْبُدُونَ ، وَلَمْ يَلْ » ومن « تعبدون »<sup>(٧)</sup> .

قوله جل ذكره : وَقَالُوا الْفِتْنَةُ خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ  
لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ .

ما ضربه لك إِلَّا جَدَلًا : وذلك أنهم قالوا : إِنْ قَالَ آلَهُتُكُمْ خَيْرٌ قَدْ أَفْرَأَ بِأَنَّهُا مَعْبُودَةٌ ،  
وإِنْ قَالَ : عِيسَى خَيْرٌ مِنْ آلَهُتُكُمْ قَدْ أَفْرَأَ بِأَنَّهُ عِيسَى يَصْلُحُ لِأَنَّهُ يُعْبَدُ ، وَإِنْ قَالَ : لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ

---

(١) معنا إضافات الفعل إلى الحق يكون المعنى منصرفاً إلى حال الجميع . ومعنا ينسب إلى الخلق يكون  
منصرفاً إلى حال الفرد ، مثلاً أَوْضَحَ الْفَتْرَى هُنَا ، وَمِثْلُهُ أَوْضَحَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَمَا رَيْتَ إِذْ رَيْتَ  
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى .

(٢) أصل الحديث : أَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعْلَمْ ، وَاسْتَشَقَيْتَ فَلَمْ تَسْقِ » ،  
وَاسْتَشَقَيْتَ فَلَمْ تَعْلَمْ » الْفَرَطِيُّ : ج ٢٠ ، ص ٥٥ .

(٣) آيَةُ ٢٧ سُورَةِ الْحَجِّ . وَالْخَطَّابُ فِي الْآيَةِ لَا يَرْمِي فِي مَقَامِ الْفَرَى ، وَلِنَبِيِّنَا فِي مَقَامِ الْحَجِّ .

(٤) آيَةُ ٨٠ سُورَةِ النَّسَاءِ .

(٥) آيَةُ ٥٩ سُورَةِ آلِ غُرَانَ .

(٦) آيَةُ ٩٨ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ .

(٧) لِأَنَّهُ مِنْ الْعَاقِلِ وَهُوَ مَا لِكُلِّ الْعَاقِلِ لِلْمَقْصُودِ الْأَحْتِمَامِ .

خيراً قد نفي ذلك عن عيسى عليه السلام . هم راموا بهذا الكلام أن يجادلوه ، ولم يكن سؤالهم للاستفادة . فكان جواب النبي صلى الله عليه وسلم عليهم : أن عيسى عليه السلام خير من أهلكم ولكنه لا يستحق أن يُعبد ؛ إذ ليس كل ما هو خير من الأصنام بمستحق أن يكون معبوداً من دون الله . وهكذا بين الله — سبحانه — لنبية أنهم قوم جدلون<sup>(١)</sup> ، وأن حجبتهم باحضة عند ربهم

قوله جل ذكره « إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أٰمَنَّا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ » .

فليس عيسى إلا عبدٌ أٰمَنَّا عليه بالنبوة .

« وَلَوْ نَشَاءُ لَّجَمَعْنَا مَعَكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْفُقُونَ »

ولو شئنا لأنزلنا ملائكة من السماء حتى يكونوا سكان الأرض بذكركم .

ثم قال : « وَإِنَّ لَكُمْ لَلسَّاعَةِ فَلَا تَنفَرُونَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ »

« وَإِنَّ لَكُمْ لَلسَّاعَةِ » : يعني به عيسى عليه السلام إذا أنزله من السماء فهو علامة للساعة ، « فَلَا تَمْتَرُنَّ » بنزوله بين يدي القهلهمة<sup>(٢)</sup> .

« وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ »

ولا يصدنكم الشيطان عن الإيمان بالساعة ، وعن اتباع الإيمان بهدأى .

(١) سبب نزول هذه الآية وما سبقها تلك المناظرة التي حاول بها جده الله بن الزهري العمري أن يستهوي تريباً بإثارة اعتراضات باطلة ، فأقسمه المنطق للقرآن ، وأغرس بلأجبه .

يقول معروف الكرخي : إذا أراد الله بهد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الجدل وإذا أراد الله بهد شراً أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل (الروفس للفتاوى ، ج ١ ص ١٢٩) .

(٢) من أبي هريرة - كما ثبت في صحيح مسلم وابن ماجه - قال قال رسول الله (ص) : ليترن عيسى ابن مريم حكماً عادلاً فليكرن الصليب وليفتن الخنزير وليضمن الجزية وليتركن القتل فلا يُسنى إليها ، ولطعن الضمنا والفتافض والتحامد وليدعون إل المال فلا يقتله آسه .

قوله جل ذكره : « ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم  
 بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون  
 فيه فاتوا الله وأطيعون » .

ذكر مجيء عيسى عليه السلام أول مرة ؛ حيث أتى قومه بالشرائع الواضحة ، ودعاهم إلى  
 دين الله ، ولكنهم تمزبوا عليه <sup>(١)</sup> ، وإن الذين كفروا به يستحقون العقوبة .

« إلا خلاه يومئذ بعضهم لبعض عدو  
 إلا للذين » .

ما كان لنير الله فأله إلى الضياع . والأخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى الهوى بعضهم  
 لبعض عدو ؛ يتبرأ بعضهم من بعض ، فلا ينفع أحد أحداً .

وأما الأخلاء في الله فيشفع بعضهم في بعض ، ويتكلم بعضهم في شأن بعض ، أولئك هم  
 المفلحون الذين استنتاهم الله بقوله : « إلا للذين » .

وشرط انطلاقة <sup>(٢)</sup> في الله ؛ ألا يستعمل بعضهم بعضاً في الأمور الدنيوية ، ولا يرتق  
 بعضهم ببعض ؛ حتى تكون الصعبة خالصة لله لا لتصغير في الدنيا ، ويكون قبول بعضهم  
 بعض لأجل الله ، ولا تجري بينهم مهادنة ، ويقدر ما يرى أحدكم في صاحبه من قبول  
 لطريق الله يقبله ، فإن علم منه شيئاً لا يرضاه الله لا يرضى ذلك من صاحبه ، فإذا عاد  
 إلى تركه عاد هذا إلى مودته ، وألا فلا ينبغي أن يساعد على مصيئته ، كما ينبغي أن يقضيه  
 بقلبه ، وألا يسكن إليه لفرض دنيوي أو لطمع أو ليوض .

قوله جل ذكره : « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم  
 تمزقون » .

يقال لم غداً : « يا عباد <sup>(٣)</sup> لا خوف عليكم اليوم » مما يقناه أهل

(١) كان تمزجهم إلى فرق متعددة هم : البهوية والسطورية والملكانية والشمونية .

(٢) تصاف هذه الآراء إلى ما ذكره التشيوي في رسالته في باب « الصعبة » .

(٣) بالياء في الرسم والوقف مدح وشام وأبو مرو ، وفتح الياء أبو بكر ، والباقرن بفتح الياء .

الجمع<sup>(١)</sup> من الأهوال ، ولا أنتم تحزنون فإِصْرُكُمْ من الأعمال ...

أَمَّا الذنوب . . فقد غفرناها ، وَأَمَّا الأهوال ... فكفيناها ، وَأَمَّا المظالم . . قصصناها .  
فلِذَا قَالَ لِلنَّادِي : هَذَا الْخَطَابُ يُطِيعُ الْكَلَّ قَالُوا : نحن عباده ، فإِذَا قَالَ :  
« الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ »

أَيَسَ الْكُفَّارُ ، وَقَوَى رِجَاءَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ  
تُحِبُّونَ<sup>(٣)</sup> »

في رياض الجنة ، وَتَرْضَوْنَ .

وَيَقَالُ : « تَحِبُّونَ » من لَذَّةِ الْمَعَاشِ .

قوله جل ذكره : « يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِمِصْحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ  
وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَبِهُ الْأَنْسُ وَتَلَذُّ  
الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

الْمَبَادِ لَمْ فِيهَا مَا تَشْتَبِهُ أَنْفُسُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَالُوا فِي الدُّنْيَا — بِحُكْمِ الْمَجَاهِدَاتِ — الْجُوعَ  
وَالْمَطْشَ ، وَتَحْمَلُوا وَجُوهَ الْمَشَاقِّ ، فَيُجَازُونَ فِي الْجَنَّةِ بِوُجُوهِ مِنَ الثَّوَابِ .

وَأَمَّا أَهْلُ الْعُرْفَةِ وَالْحَبِيبُونَ ، فَلَهُمْ مَا يِلْدُ أَعْيُنُهُمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ<sup>(٤)</sup> لَطُولُ مَا قَالَسُوهُ مِنْ  
فَرَطِ الْإِشْتِيَاقِ بِقُلُوبِهِمْ ؛ وَمَا عَاجَلُوهُ مِنَ الْإِحْتِرَاقِ لِشِدَّةِ غُلِيْلِهِمْ .

(١) يفسر الناس أهل الجمع بأنهم أهل مكة (آية هـ سورة القمر) .

(٢) قريب مما ذكره القشيري ما أورده الحارث المحاسبي في رطبته . (ينادي المنادي يوم القيامة : يا عبدي لا تخوف عليك اليوم ... فيرفع الخلائق وحوسهم ، ويقولون : نحن عباد الله . ثم ينزل الثانية : والذين آمنوا ... ثم ينزل الثالثة : والذين آمنوا وكانوا يتقون فينكس أهل التكابر وحوسهم ، ويبقى أهل التقوى رائني وحوسهم ، ثم أزال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم) .

(٣) تحببون أي ترضون سروراً يظهر حباه ( = أفره ) على وجوهكم .

(٤) الجنة الحقيقية عند أبواب الأحوال رؤية الله ، ورد في الخبر : أسألك لذة النظر إلى وجهك .

قوله جل ذكره : « وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

أى يقال لهم — والمطالب للطعنين غداً — : أنتم يا أصحاب الإخلاص في أعمالكم ؛ والصدق في أحوالكم :

« لَكُمْ فِيهَا مَا كُنْتُمْ كَثِيرَةً مِنْهَا تَأْكُلُونَ » .

من الفاكهة الكبيرة تأكلون ، وفي الأنس تتقبلون .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْجَرِيمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ » .  
هؤلاء هم الكفار المشركون ، فهم أهل الخلود <sup>(١)</sup> ، لا يُقْتَرَعُ عنهم العذاب ولا يُخَفَّفُ .  
وأما أهل التوحيد : قد يكون منهم قومٌ في النار . ولكن لا يخلدون فيها .  
ودليلُ الخطابِ يقتضى أنه يُقْتَرَعُ عنهم العذاب . ورد في الخبر الصحيح : أنه يُمَيِّتُهُمُ الْحَقُّ — سبحانه — إِمَاتَةً إِلَى أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ — وَلَيْتَ لَا يَمُوتُ وَلَا يَأْتِمُ <sup>(٢)</sup> .  
« لَا يُقْتَرَعُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسَوْنَ » .

الإِبْلَاسُ <sup>(٣)</sup> من الخلية ، ويدل ذلك عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَأْسُ لَهُمْ فِيهَا ، وَإِنْ كَانُوا فِي بِلَاسِهِمْ فَعَمَّ عَلَى وَصْفِ رَجَائِهِمْ ؛ يَمْدُونُ أَلَمَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْتَهَى حَسَابُهُمْ .  
ولقد قال الشيوخ : « إِنَّ حَالَ الْمُؤْمِنِ فِي النَّارِ — مِنْ وَجْهِ — أَرْوَحُ قُلُوبِهِ مِنْ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا ؛ فَالْيَوْمَ — خَوْفُ الْمَلَائِكَةِ ، وَغَدًا — يَقِينُ النَّجَاةِ ، وَأَنْشَدُوا :

عَيْبُ السَّلَامَةِ أَنَّ صَاحِبَهَا مَتَوَقِّعٌ لِقَوَاصِمِ الظُّهْرِ  
وَفَضِيلَةُ الْبُلُوَى تَرْقُبُ أَهْلَهَا — عَقَبَ الرَّجَاءِ — مَوَدَّةَ الدَّهْرِ

---

(١) يضاف هذا الكلام إلى رأى القشيري في أبدية النار ، على خلاف ما يقبض إليه بعض الساجدين من أن القوة الإنسانية متناهية فلا بد من نائها ، ولأن دوام الإحراق مع بناء الحياة نروج من حكم العقل ( انظر شرح المواقف ج ٨ ، ص ٣٠٧ وشرح المقاصد ج ٢ ، ص ٢٢٨ ) .  
(٢) روى أحمد في مسنده : « . أَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا نِعْدًا أُذِنَ بِالنَّفَاةِ ، فَنَجِي بِهِمْ بِشَارِ بَضَائِرَ ، نَبْشًا عَلَى أَنْهَارِ الْجَلَّةِ » ثم قيل : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ . أَنْبِضُوا عَلَيْهِمْ مَسُونُ نَبَاتِ الْحَيَاةِ ..  
(٣) أبلى : سكت لمرته وانطباع حبه .

قوله جل ذكره: «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين»

هذا الخطاب يُشبه كلمة العذر — وإنَّ جلَّ قدره — سبحانه — عن ذلك .

قوله جل ذكره: «ونادوا يا مالِكُ ليقضِ علينا ربُّك»

قال إنكم ما كنون • لقد جئناكم بالحقِّ

ولكنَّ أكثركم للحقِّ كارهون .

فوقوا: «يا مالِك» لعلَّ أنوالكم<sup>(١)</sup> كانت أقرب إلى الإجابة، ولكنَّ الأجنبية حالت

بينهم وبين ذلك<sup>(٢)</sup>، فكان الجوابُ عليهم:

«إنكم ما كنون» فيها... نُصَحِّمُ فلم تنتصحو، ولم تقبلوا القولَ في حينه، وكان

أكثرهم للحقِّ كارهين .

قوله جل ذكره: «أم أيرى أمراً علاناً مبرمون»<sup>(٣)</sup>

بل أمورهم مُنْقَضَةٌ عليهم؛ فلا يمتشي لهم شيء عما دبروه، ولا يرتفع لهم أمرٌ على نحو ما قدَّروه — وهذه الحالُ أوضح دليل على إثبات الصانع .

قوله جل ذكره: «أم يحسبون أنا لا نسمعُ سرَّهم

ونجواهم على ورسُلنا إليهم يكتبون» .

إنما خوفهم بسامع اللكِّ، وبكتابتهم أعمالهم عليهم لنفثهم عن الله — سبحانه، ولو كان

لم خير عن الله لما خوفهم بغير الله، ومنَّ عليهم أن أعمالهم تُسَكَّبُ عليه، وأنه يُطالَبُ بمقتضى

ذلك — قلَّ لئلاَّ يخاف أن يُسألَ عنه ..

قوله جل ذكره: «قلَّ إن كان للرحمن ولَدٌ فأنا أولُ

العاقلين» .

---

(١) في ص (أحوالكم) وقد آثرنا عليها (أقولكم) إلى في م كما يتضح من السياق القرآني والسياق التفسيري .

(٢) يلفت القشيري نظرنا — من بعيد — إلى أن الدعاء يفتنى أن ينتج بالكلية إلى الرب سبحانه، وقد يكون لذلك أهميته في فكرة الاستغفار بالوسيلة — كما يتصورها هذا الإمام .

(٣) يقال إن الآية نزلت في تدبير الكاثنتين المكر بالذي (ص) في دار الندوة حين استقر أمرهم — حسب مشورة أبي جهل — عل أن يبرز من كل قبيلة رجل، ثم يشتركون في قتله فتضعف المطالبة بدمه صلوات الله عليه . وكانت النتيجة أن قتلوا جميعاً يوم بدر .

أَيُّ إِنِّ كَانَ فِي ضَمِيرِكُمْ فِي حُكْمِكُمْ فِي اعتقادكم أَنَّ للرحمن ولنا فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ  
يَسْتَكْفُ مِنْ هَذِهِ الْقِتَالَةِ .

قوله جل ذكره : « سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ  
الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ » .

تَنَزَّ اللَّهُ تَنَزَّهًا ، وَتَقَدَّسَ تَقَدُّسًا عَمَّا ظَاهَرَهُ . وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَأَمْثَالِهَا دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ  
حِكَايَةِ قَوْلِ الْمُبْتَدِعَةِ — فَيَا أَخْطَاؤًا فِيهِ مِنْ وَصْفِ الْمَعْبُودِ — قَصْدًا لِرَدِّ عَلَيْهِمْ ، وَإِخَارًا  
بِتَضْيِيقِ أَقْوَالِهِمْ ، وَبِطَلَانِ مَرَامِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : « فَذَرْنُهُمْ يَمْحُضُوا وَيَسْبُوحُوا بِمَا لَوْحَا  
يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ » .

إِذْ لَيْسَ بِمَوْتٍ أَمْرُهُمْ ، وَهَمْ لَا عَمَلَةٍ سَيَقُونُ صَرْفِهِمْ .  
وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَمْتَرَّ بِطَوْلِ السَّلَامَةِ فَلِنَّ الْمَوَاقِبَ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ .

قوله جل ذكره « وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ فِي الْأَرْضِ  
إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ » .

الْمَعْبُودُ — فِي السَّمَاءِ — اللَّهُ ، وَالْمَقْصُودُ — فِي مَطْلَبِ الْحَوَائِجِ فِي الْأَرْضِ — اللَّهُ .  
أَهْلُ السَّمَاءِ لَا يَسْبُحُونَ غَيْرَ اللَّهِ ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ لَا يَقْنَعُونَ حَوَائِجَهُمْ غَيْرَ اللَّهِ .  
« وَهُوَ الْحَكِيمُ » فِي إِمْهَالِهِ لِلْمُصَاةِ ، « الْعَلِيمُ » بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ .

« وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ  
وَالِيهِ تُرْجَعُونَ » .

تَعَالَى وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ وَتَكَبَّرَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِقُدْرَتِهِ تَظْهَرُ . لَا هُوَ بِظُهُورِهَا يَتَنَزَّرُ<sup>(١)</sup> .

---

(١) الْمَهْضُوفَةُ يَسْتَدِلُّونَ بِأَخْلَاقِهِ عَلَى مَا خَلَقَ ، لِأَنَّهُ حَاضِرٌ وَمَشْهُودٌ ، وَهُوَ قَدِيمٌ قَاسَمٌ بِهَ الْخَالِقَاتِ ...  
يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ اللَّهُ الْكَاتِبُ : « حَيْثُ كُنْتَ سَتَى تَكُونُ الْكَوْنُ شَاعِدَةً عَلَيْكَ ؟ »

قوله جل ذكره : « ولا يملك الذين يدعون من دونه

الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون » .

أى شهد — اليوم — بالتوحيد ، فثبت له الحق حق الشفاعة . وفى الآية دليل على أن  
جميع المسلمين شفاعتهم تكون غداً مقبولة<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنَّ الله

فأنى يؤفكون » .

فكيف لا يعتبرون ؟ وكيف يكبرون عن طاعة الله .

« وقيله يارب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون »

فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون »

أى يعلم علم الساعة ويعلم<sup>(٢)</sup> « قيله يارب »

« فاصفح عنهم . . . » أى أمهلهم ، وقل لكم منى سلام . . . ولكن سوف تعلمون عقوبة

ما تستوجبون .

---

(١) واضح أن النشيرة بصرف الآية إلى المسلمين عامة ويخرج المشركين ، وتذهب بعض التفسير إلى أن  
منى « الذين من دونه » هم عيسى وحزير والملائكة ، فهم لا يملكون الشفاعة .

(٢) حاصم وحزة يبران (قيله) على الإضافة وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب ، والسبب على النصب :  
ويعلم قيله ...



## سورة الدخان

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »  
 « بِسْمِ اللَّهِ » كلمة مَنْ ذَكَرَهَا نال في الدنيا وَالْمُفَى بِهِجَتَهُ ، وَمَنْ عَرَفَهَا بِذَلِكَ  
 فِي طَلَبِهَا مُهَجَّتَهُ .

كَلِمَةً إِذَا اسْتَعَلَّتْ عَلَى قَلْبٍ عَطَلَتْهُ عَنْ كُلِّ شُغْلٍ ، كَلِمَةً إِذَا وَاظَبَ عَلَى ذِكْرِهَا عِنْدَ  
 أَمْنَتِهِ مِنْ كُلِّ هَوَلٍ .

قوله جل ذكره : « حَمِّمٌ » وَالْكَتَابِ الْمُبِينِ »  
 الْحَمَامُ تَشِيرُ إِلَى حَقِّهِ ؛ وَالْمِيمُ تَشِيرُ إِلَى عَجَبِهِ . وَمَعْنَاهُ : يَحْقِقُ وَيُبَيِّنُ لِمَا يَدَى ، وَيَكْتَابُ  
 الْعَزِيزُ إِلَيْهِمْ : إِيَّيْ لَا أُعَذِّبُ أَهْلَ مَعْرِفَتِي بِفِرْقَتِي <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ إِنَّا كُنَّا  
 مُنْذِرِينَ » فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ »  
 « فِي لَيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ » : قِيلَ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ ، وَقِيلَ هِيَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ وَهِيَ لَيْلَةُ الْعَمَلِ <sup>(٢)</sup> .  
 أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ سَنَةٍ بِمِقْدَارِ مَا كَانَ جَبْرِيلُ يُنْزِلُ بِهِ عَلَى  
 الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ <sup>(٣)</sup> .

وَسَمَّاهَا : « لَيْلَةُ الْمُبَارَكَةِ » لِأَنَّهَا لَيْلَةُ انْتِصَاحِ الْوَصَلَةِ . وَأَشَدُّ الْيَالِي بَرَكَةً لَيْلَةٌ يَكُونُ الْمَبْدُ  
 فِيهَا حَاضِرًا بِقَلْبِهِ ، مُشَاهِدًا لِرَبِّهِ ، يَنْتَعِمُ فِيهَا بِأَنْوَارِ الْوَصَلَةِ ، وَيَجِدُ فِيهَا نَيْسَمَ الْقُرْبَةِ .

(١) يَدْرُ أَنْ التَّشِيرُ لَمْ يَجِبْ « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ... » جَوَابًا لِقَسَمٍ ، وَإِلَى هَذَا يَلْجَأُ بَعْضُ النُّحَاةِ لِلَّذِينَ يَجْعَلُونَ  
 ذَلِكَ صِفَةً لِلْقَسَمِ ، وَلَا تَكُونُ صِفَةً لِلْمُسْتَعْتَبِ بِهِ جَوَابًا لِقَسَمٍ ( انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٦  
 ص ١٢٥ ) .

(٢) مِنْ أَسْمَاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ : اللَّيْلَةُ لِلْمُبَارَكَةِ ، وَلَيْلَةُ الْبَرَاءَةِ ، وَلَيْلَةُ الْعَمَلِ .

(٣) أَيْ عَلَى مَعْنَى ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً .

وأحوال هذه الطائفة<sup>(١)</sup> في لياليهم مختلفة ، كما قالوا :

لا أَعْلِمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعَى أَنْ بِحَيَومِ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَزُولُ  
تَلِيكَ كَمَا شَأَتْ : قَصِيرٌ إِنْ جَاءَتْ ، وَإِنْ ضُنْتُ فَتَلِي طَوِيلٌ  
« فيها يفرق كل أمر حكيم » يكتب من أم الكتاب في هذه الليلة ما يحصل في السنة كلها  
من أقسام الحوادث في الخير والشر ، في الحن والمين ، في النصر والهزيمة ، في الخصب والقط .  
ولهؤلاء التوم (يعنى الصوفية) أحوال من الخصب والجذب ، والرسل والقصل ، والوفاء  
والخلاف ، والتوفيق والغدلان ، والتبسط والبسط . . فكم من عبد ينزل له الحكم والقضاء  
بالعبد والشفاء ، وآخر ينزل حكمه بالرعد والوفاء .

قوله جل ذكره : « أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ »  
رحمة من ربك إنه هو السميع العليم .  
« رحمة من ربك » : وهى الرسول — صلى الله عليه وسلم ، قال صلوات الله عليه :  
« أنا رحمة مهداة »

ويقال : « إنا كنا مرسلين » رحمة لنفوس أوليائنا بالتوفيق ، وقلوبهم بالتحقيق .  
« إنه هو السميع العليم » : « السميع » لأئین المشتاقين ، « العليم » بمخزين الحبين .  
قوله جل ذكره : « رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا  
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ »

مالك السموات والأرضين ، ومالك ما بينهما — وتدخل في ذلك أكساب العباد .  
وتسلطها بمعنى القدرة عليها ، وإذا حصل مقدور في الوجود دل على أنه مفعول ؛ لأن معنى  
القول مقدور وجد<sup>(٢)</sup> .

(١) يقصد طائفة الصوفية .

(٢) لاحظ كيف يحاول التشبيه أن يدخل في « وما بينهما » أفعال العباد ، ففى أكساب العباد — في نظر هذا  
المحكّم داخلة — من حيث هى مقدورة — في نطاق الخلق المنسوب إل الله .

قوله جل ذكره « لا إله إلا هو يحيى ويميت رؤسكم ورب

آبائكم الأولين »

هذه الكلمة فيها نفى ما أعتبوه بجهلهم ، وإثبات ما فوّه بخدمهم .

« ربكم ورب آبائكم الأولين » : مُرَبِّي<sup>(١)</sup> أَعْلَمَكُمْ وَنَسَلَكُمْ .

قوله جل ذكره : « بل هم في شك يعلمون »

اللَّعِبُ فَعَلَّ يَجْرَى عَلَى غَيْرِ تَرْتِيبٍ تَشْبِيهاً بِاللَّعَابِ الَّتِي يَسِيلُ لَا(٢) عَلَى نِظَامٍ مُخْصِصٍ ؛ فَوَصَفَ الْمُنَاقِقَ بِاللَّعِبِ ؛ وَذَلِكَ لِتَرُدُّدِهِ وَتَحْيَرِهِ نَتِيجَةً شَكَّهُ فِي عَقِيدَتِهِ .

قوله جل ذكره : « فَلَترْتِيبُ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ

بُدُخَانٍ مُبِينٍ » .

هذا من أشراف الساعة ؛ إذ يتقدم عليها(٣) .

وقيامة هؤلاء ( يقصد الصوفية ) مَجَلَّةٌ ( أى تم هنا في هذه الدنيا ) فيَوْمُهُمُ الَّذِي تَأْتِي السَّمَاءُ فِيهِ بُدْخَانٌ مُبِينٌ هُوَ يَوْمٌ غِيَاةُ الْأَحْيَاءِ ، وَانْسِدَادُ مَا كَانَ مَفْتُوحاً مِنَ الْأَبْوَابِ ، أَبْوَابِ الْأَنْسِ بِالْأَحْيَاءِ وَفِي مَعْنَاهُ قَالُوا :

فَا جَانِبُ الدُّنْيَا بِسَهْلٍ وَلَا الضُّحَى بِطَلْقٍ وَلَا مَاءُ الْحَيَاةِ بِبَارِدٍ

قوله جل ذكره : « يَشْفَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

---

(١) لاحظ كيف يربط القشيري بين « التربية » و « اللعب » .

(٢) سَلَطَتْ ( لَا ) مِنْ ص . . . وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ الْهَوَاجِجِ مِنَ السَّيَاقِ ، وَهِيَ مُوجُودَةٌ فِي م ، وَلَا تَحْقُقُ عَلَى الْقَارِئِ رَوْحَةَ الرِّبْطِ بَيْنَ « اللَّعِبِ » وَ « اللَّعَابِ » ، وَدَعَى السَّخَرِيَّةَ مِنْ دِمَاقِ الْمُنَاقِقِ وَقَدْ مَآلَتْ فَمَا تَتَحَرَّكُ فِيهِ الشُّكُوكُ تَحَرُّكُ « اللَّعَابِ » .

(٣) هُنَاكَ اتِّجَاهَانِ فِي مَعْنَى « الدُّخَانِ » فِي هَذِهِ الْآيَةِ : أَحَدُهُمَا أَنَّهُ - كَمَا يَذْكُرُ الْقَشِيرِيُّ أَنَّهُ مِنْ أَشْرَافِ السَّاعَةِ ، خَرَجَ النَّاسُ مِنْ حُلُقَةِ أَنَّهُ سَأَلَ الْبَازِي (ص) : « يَا أَبَى اللَّهِ ، مَا الدُّخَانُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؟ فَقَالَ : هُوَ دُخَانٌ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَمُكُثُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَيَوْمًا ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَحْبِسُهُ مِنْهُ شِبْهُ الزَّكَامِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السُّكْرَانِ يَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ فَمِهِ وَمَتَخَفَهُ وَحِيلَهُ وَأَذْنِيهِ وَدَبْرِهِ » . وَأَمَّا الْإِتِّجَاهُ الثَّانِي فَهُوَ مَا أَصَابَ قَرِيباً مِنَ الْجُورِ بِدَعَايِ الَّذِي مَلِهُمُ ، وَقَدْ كَشَفَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَيُؤَيِّدُ آيِنَ مَسْمُودٍ هَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هَذَا الْكَشْفُ ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا كَشَفَهُ اللَّهُ عَنْ النَّاسِ .

وعذاب هؤلاء ( يقصد الصوفية ) مقيم في القالب ، وهو عذاب مُستعذب ، أولئك

يقولون :

« رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ »

وهؤلاء يستزبدون — على العكس من اُتْلُق — العذاب ، وفي ذلك يقول قائلهم :

فكلُّ مَارَبِي قَدْ نِلْتُ مِنْهَا سَوَى مَلُوفٍ وَجَدِي بِالْعَذَابِ<sup>(١)</sup>

فهم يسألون البلاء واُتْلُق يستكشفونه ، ويقولون :

أنت البلاء فكيف أرجو كشفه

إِنَّ الْبَلَاءَ إِنَّمَا قَدَّتْ بِلَائِي

قوله جل ذكره : « أُنِّي لَمْ الذكْرِي وَقَدْ جَاءَ مِ

رَسُولٌ مِّبَيْن »

إِنْ خَالِقُوا دَوَاعِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوَاطِرِ<sup>(٢)</sup> الَّتِي تَرِدُ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْهِمْ عَوِيقُوا — في الوقتِ

بِمَا لَا يَنْسَعُ لَمْ وَيُسْفِهِيهِمْ ، فَإِذَا أَخَذُوا فِي الْاِسْتِمَاةِ<sup>(٣)</sup> يُقَالُ لَمْ : أُنِّي لَكُمْ الذكْرِي وَقَدْ جَاءَكُمْ

الرَّسُولُ<sup>(٤)</sup> عَلَى قُلُوبِكُمْ تَفَالَتُمْ ۚ

قوله جل ذكره : « إِنَّمَا كَاشَفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ

عَائِدُونَ • يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى

إِنَّمَا مُنْتَقِمُونَ • »

(١) البيت السلاج مسروق بهذا البيت :

أريدك ، لا أريدك للتواب

ولكن أريدك للعقاب

(ديوان السلاج المقطعة السابقة)

(٢) الخواطر من الحق ، والخواجس والوسوس من الشيطان .

(٣) حكماً في م وهي في ص ( الاستماعة ) وكلاًهما مقبول في السياق .

(٤) الرسول هنا — لأن الحديث هنا عن الصوفية — مقصود به ما يترد على قلوبهم من لذن الحق من الكشوفات

والمراصلات

حيث نورثكم حرثاً طويلاً ، ولا تجلدون في ظلال انتقامنا مثيلاً .

قوله جل ذكره : **وَلَقَدْ كَفَرْنَا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ**

**رَسُولٌ كَرِيمٌ • أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ**

**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ •**

**فَتَنَّهُمْ (١) بَدْمَا أَصْرُوا عَلَى جُحُودِهِمْ وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى طَرِيقِ الرُّشْدِ مِنْ غَرَّةِ عُتُودِهِمْ (٢)**

**• وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ •** : يطالبهم بإزالة الظلم عن بني إسرائيل ، وأن يتوبوا ،

**وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ ، وَأُظْهِرَ الْحُجَّةَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ .**

**• فَأَنْشَرِ بَيْلَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ •**

**أَمْرَهُ بِأَنْ يَنْشُرَ بَيْلَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَرَّفَهُمْ أَنَّهُمْ سَيُتَّقَدُونَ ، وَأَنَّ عُدُوَّهُمْ**

**« جُنْدٌ مُعَرَّقُونَ »**

قوله جل ذكره : **• كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْبُونَ •**

**وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَ كَانُوا**

**فِيهَا فَسَكِينٌ •**

ما خلفوه من أحوالهم ومن رياضهم ، وما تركوه من أسباب معاشهم استلبناه عنهم .

**« كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ • »**

**وَأَسْكَنَّا قَوْمًا آخَرِينَ فِي مَنَازِلِهِمْ وَدُورِهِمْ •**

قوله جل ذكره . **« فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ »**

**وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ •**

**لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الْقَدَرِ وَالْخَطَرِ مَا يَصْحَرُكَ فِي الْعَالَمِ يَسْبِيهِمْ سَاكِنٌ ، أَوْ يَسْكُنُ مَتَحَرِّكٌ**

(١) حكاه في س وحى مقبولة في السباغ إشارة إلى ما في الآية الكريمة : « وَلَقَدْ كَفَرْنَا ... » أما في م فهو

فتنهم (وواضح فيها عمداً للتأنيخ .

(٢) نفر الجلاء : ودرج وتجاهل عن اللطم ، ونفرت المرأة عن زوجها : أمرست وحدت ، ونفر من الشيء :

فزع منه وانفصل غير راض به .

فلا الخضره بسببهم اغبرت ، ولا النبراه لنيبتهم اخضرت . لم يبقَ منهم عينٌ ولا أثرٌ ، ولم يظهر من قلوبهم على قلبٍ أحدٌ من عبادنا أثر . وكيف تبيكى السماءَ لفقْدٍ من لم تستبشر به من قبلُ ؟ بعكس المؤمن الذى تُسرُّ السماء بصمودِ عمله إليها ، فإنها تبيكى عند غيابه وقَدَرِه <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : **وَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمَذَابِ الْمُبِينِ \* مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ السُّرُوقِينَ \* وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ .**

نَجَّاهُمْ ، وَأَفَى عَدُوَّهُمْ ، وَأَهْلَكَ .

« **وَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ . . .** » أى عَلَّمْنَا مَا يَحْتَقِبُونَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ <sup>(٢)</sup> ، فَرَقْنَا — بِاخْتِيَارِنَا — مِنْ أَقْلَامِهِمْ مَا وَصَّاهُمْ فَعَلُّهُمْ وَتَدَلُّهُمْ بِأَوْزَارِهِمْ .

ويقال : « **على علم منا** » بأحوالهم أنهم يُؤَثِّرُونَ أَمْرًا على كل شيء .

ويقال : « **على علم منا** » بمحبة قلوبهم لنا مع كثرة ذنوبهم فينا .

ويقال : « **على علم منا** » بما نودع عندهم من أسرارنا ، وما نكشفهم به من حقائق حقنا .

قوله جل ذكره : « **وَأَنبَأْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ** »

من مطالبته بالشكر عند الرخاء ، والصبر عند الكدرِ والعناء <sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : **إِنْ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ \* إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا**

(١) عز شريح الخضرى : قال النبى ( ص ) : « ألا لا خربة عل مؤمن ، فما مات مؤمن في خربة غابا عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض » .

(٢) في ص ( إنذارهم ) والسياق يرفقها ، والصواب ما في م .

(٣) لأن البلاء يكون بالنمة والفتنة ، قال تعالى : « ونبلوكم بالبشر والخير فتنة » .

الأولى وما نحن بِمُعْتَرِينَ \* فَأَتُوا

بِأَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ .

اقترح أبو جهل على النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يحییَ لم نفساً<sup>(١)</sup> :

« تخبرنا : هل أنت صادق أم لا ؟ » فَأَخْبَرَ اللَّهُ - سبحانه - أنهم اقترحوا هذا بعد قيام الحُجَّةِ عليهم، وإظهار ما أراح لهم من العُذْر : ثم قال جلّ ذكره :

أَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبْعِ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

أَهْلَكْنَاهُمْ إِنْهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ \* وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِنَّ لَاعِينَ \* مَا خَلَقْنَاهُمَا

إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

« تُبْعِ » هو ملك للعين ، وكان مسلماً ، وكان في قومه كثرة ، وأهلك الله سبحانه قومه على كثرة عددهم ، وكان قوتهم :

قوله جل ذكره : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ . »

ما خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ، بِالْحُكْمِ الْحَقِّ ؛ وبالأمر الحقّ ... « فَأَنَا نُحْيِي فِي خَلْقِهِمَا » : أى كان لى خَلْقَهُمَا .

قوله جل ذكره : « إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمِينَ \* يَوْمَ

لَا يُنْفِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً وَلَا هُمْ

يُنصَرُونَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ »

---

(١) حدّد أبو جهل ذلك حين قال للنبي : إيسث لنا - إن كنت صادقاً - رجلاً مثل نسيّ بن كلاب لنسأله صاعاً يكون بعد الموت .

وهذا القول من أبي جهل فيه ضعف ؛ لأن البعث يكون للجزاء لا لتكليف .

يومئذٍ لا يُنقِى ناصراً من ناصر ولا حَمِيمٌ عن حَمِيمٍ ، ولا نَسِيبٌ عن نَسِيبٍ .. شيئاً .  
ولا يتألم نصرٌ إلا من رَحِمَهُ اللهُ ؛ وبِقَضَائِهِ ونِعْمَتِهِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ • طَعَامُ الْأَثَمِ

• كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ • كَغَلَى الْحَمِيمِ » .

« الأثَمِ » مرتكبُ الذنوب . « المهل » : التخلص المذاب . « الحَمِيمِ » : الماء الحار .

قوله جل ذكره : « حُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ •

• ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ » .

ادفعوا به إلى وسط الجحيم . ويقال له :

« ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ » :

أنت كذلك عند قومك ، ولكنك عندنا ذليلٌ مهينٌ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ • فِي

جَنَّاتٍ وَعِیُونَ » .

آمِنِينَ من الجن من جميع الوجوه ، لِإِسْئَمِهِمْ مِنْ حَرِّهِ ، وفراشهم من سندسٍ واستبرقٍ ،  
« مقابلين » : لا يبرحون ولا يغيثون عنها حولاً .

قوله جل ذكره : « كذلك وزَّوجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ » .

تباح لهم صُحْبَتُهُنَّ ، ولا يكون في الجنة عقد تزويج ولا طلاق ، ويمكِّن الأولى بهذه  
الأوصاف من هذه الأطلاف . ثم قد يُخْتَلَفُ قومٌ من بين هذه الأسباب ، فيتحدرون عن هذه  
الجنة ؛ فمكأنهم في الدنيا عَتَقَتُونُ عَنْ كُلِّ الْمَلَاقِقِ فإنهم في الآخرة تطيح الحورُ العِينُ  
في صحبتهم فيستلهم الحقُّ عن كلِّ شيء .<sup>(١)</sup>

(١) الصوفية المتكلمون يسمون الله لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من عذاب ، فرؤية الله جنهم ، واحتجابته عنهم  
جهنهم الكبرى . وميث ذلك أنهم يحبون الله لئلاَّ ياتوه ، وفي ذلك يقول قائلهم :

إِنْ ذَا الْحُبِّ لَمْ يَنْقُ لَهُ      لَا لِلدَّارِ ذَاتِ الْمَوْرِ وَطَرَفِ  
لَا وَلَا الْقَرْدُوسِ - لَا يَأْلُهَا      لَا وَلَا الْخُورَاءِ مِنْ فَوْقِ خَرَفِ



الزاهدُ في الدنيا يحميه منها ، والعارفُ في الجنة يحميه من الجنة .

قوله جل ذكره : « لا يذوقون فيها الموتَ إلا للموتِ الأولى

ووقاهم عذابَ الجحيمِ » .

الموتة الأولى هي قبض أرواحهم في الدنيا ، وقيهم الله في الآخرة العذابَ بفضلِهِ ، وذلك

هو التلقُّنُ بالشيئة ، ونجاح السؤل .

قوله جل ذكره : « فَأَنما يسرناه بلسانك . . » .

يا محمد ، ليتذكر به أهلك ، فارتقبِ المواقِبَ ترَ العجائب . إنهم يرتقبون ، ولكن لا يرون

إلا ما يكرهون .

## سورة الجاثية

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » باسم ملك لا يستظهر بعبثه ، أحد لا يستمسك بعبثه <sup>(١)</sup> ، جبار ارتدى بكبريائه ، قهار انصف بمرئياته .

« بسم الله » باسم كريم صمد ، لا يسترق وجوده أمد ، أبدى عظيم أحد ، لا يوجد من دونه مقر ولا ملتحذ .

قوله جل ذكره : « حم » تنزيل الكتاب من الله

العزيز الحكيم .

« العزيز » : في جلاله ، « الحكيم » : في أفضاله .

« العزيز » : في آزاله ، « الحكيم » : في لطفه بالمبد بوصف إقباله .

قوله جل ذكره : « إن في السموات والأرض لآيات

للمؤمنين » .

شواهد الربوبية لأئمة ، وأدلة الإلهية واضعة ؛ فمن صعا من سكرة الغفلة ، ووضع

سيرة في محال المبرة <sup>(٢)</sup> حظي — لا محالة — بمقتضى الوصلة .

قوله جل ذكره : « وفي خلقكم وما يبئ من دابة

آيات لقوم يوقنون » .

(١) هكذا في ص ، وفي م . . ولو مسح أنها هكذا من القشيري فربما كان قصده أن الله سبحانه — حي بدون مراحل استمساك تثبت هذه الحياة .. فهو حي لا يسبب أو خارج لأنه لا يفترق إلى ذلك ، أما الحديث فإنه يعتمد في حياته على ما يحفظ حياته ، وتزول هذه الحياة بزوال مراحل هذا الحفظ .

(٢) هكذا في م وفي ق ص (هذه) ونحن نؤثر الأول للامعة الاختصار لسياق التنبيه في المخلوقات .

إذا أنعم العبدُ نظرَه في استواء قَدَّه وقامته ، واستكمال عقله وتَمَام تميزه ، وما هو مخصوص به في جوارحه وحوائجه ، ثم فكَّرَ فيما عداه من الدواب ؛ في أجزائها وأعضائها ... ثم وقف على اختصاص وامتنان بني آدم من بين البرية من الحيوانات في الفهم والعقل والتمييز والعلم ، ثم في الإيمان والعرفان ووجوه خصائص أهل الصفة من هذه الطائفة في فنون الإحسان — عَرَفَ مَنْحَصَهُمْ بِمَنَاقِبِهِمْ ، واضرَّأَهم بِفَضَائِلِهِمْ ، فاستيقن أن الله كَرَّمَهُمْ ، وعلى كثير من المخلوقات لَدَمَهُمْ .

قوله جل ذكره : « واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آياتٌ لقوم يعقلون » .

جَمَلُ الله العلوم الدينية كسبيةً مُصَحَّحةً بالدلائل ، مُصَحَّقةً بالشواهد . فمن لم يَسْتَبْصِرْ بها زَلَّتْ قَدَمُهُ عن الصراط السقيم <sup>(١)</sup> ، ووقع في عذاب الجحيم ؛ فالיום في ظلة الحياة والتقليد ، وفي الآخرة في التخليد في الوعيد .

قوله جل ذكره : « تلك آياتُ الله تتلوها عليك بالحقِّ »

فبأي حديثٍ بعد الله وآياته يؤمنون ؟

فمن لا يؤمن بها فبأي حديثٍ يؤمن ؟ ومن أي أصل يستمد بعده ؟ ومن أي بحرٍ في التحقيق يتترف ؟ هيهات ! ما بقى للإشكال في هذا مجال .

قوله جل ذكره : « ولِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ » .

الله تَتَلَّى عليه ثم يَصِيرُ مُسْتَكْبِرًا

كان لم يسمعهما فَيُفْشِرُهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ » .

(١) في هذا ردٌّ على من يزعمون أن الصوفية يتكبرون بالعلوم الكسبية ؛ نعم كما هو واضح ذات أهمية تصورية في تثبيت الإيمان . هذا في الوقت الذي يفرق لتفسير العلوم الروحية كما يتضح من المأثور رقم (٢) في الصفحة التالية .

كلٌّ صامتٍ ناطقٌ؛ يصمت عن الكلام والقول وينطق بالبرهان في الحكم<sup>(١)</sup> .

فَمَنْ اسْتَمَعَ بِسْمِ الْقَهْمِ ، وَاسْتَبَصَرَ بِنُورِ التَّوْحِيدِ فَازَ بِذَخْرِ الْبَارِئِ ، وَتَصَدَّى لِمِزْ  
الزَّلِيلِينَ . وَمَنْ تَصَلَّمَ بِحُكْمِ الْغَفْلَةِ وَقَعَ فِي وَهْدَةِ الْجَهْلِ ، وَوَسِمَ بِكَيِّْ الْهَجَرِ .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّا عَلَّمْنَا آيَاتِنَا شَيْئًا نَخْضَعُهَا  
هُزُؤًا أُولَئِكَ لَمْ يَغْنَبْهُمْ » .

قابله بالسناد ، وتلوه على ما يقع له من وجوه المراد مِنْ دُونِ تصحيحِ يَسْتَدَ . . .  
فهؤلاء « لَمْ يَغْنَبْهُمْ » : مُذِلٌّ .

وقد يُكاشَفُ البِدُّ مِنْ بواطنِ القلبِ بتعريفاتٍ لا يتدخله فيها ريبٌ ، ولا يتخللها منها  
شكٌّ فيا هو به من حاله . . . فلذا استهان بها وقع في ذُلِّ الحجةِ وهوانِ الفِرَقَةِ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « مِنْ قُرَّانِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ  
مَا كَتَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ  
اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَمْ يَغْنَبْ عَظِيمٌ » .

فست هذه الفترة ، وفي وقت هذه الحقنة فلا عُدْرَ يُقْبَلُ مِنْهُمْ ، ولا خطابٌ يُسْمَعُ عَنْهُمْ ،  
ولم يغناب متصل ، ولا يَرُدُّونَ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُشْفِ :

فَخَلَّ سَبِيلَ الدِّينِ بِعِلْكَ لِلْبَكَاءِ طَيْسَ لَأَيَّامِ الصَّفَاءِ رَجُوعُ

قوله جل ذكره : « اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ  
الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

عندما يركبون البحرَ قارباً تَسْلُمُ السَّفِينَةُ وَلَرَبِّمَا تَفِرُّ .

---

(١) يشير القشيري بذلك إلى أن كل شيء ناطق بالوحدانية .. إما نطقاً قالة - كما في حال الإنسان ، وإما نطقاً  
دلالة - كما في حال الجادات .

(٢) يشير القشيري بذلك إلى العلوم الوحيية ، وضرورة اعتبارها رافداً حاكماً من دوافع الإيمان الكشفي والتوحيد  
الشهودي .

وكذلك العبد في تلك الاغصام في بحار التقدير ، تمشى به رياح العناية ، وأشرعة التوكل مرفوعة ، والثبيل في بحر اليقين واضحة . وطالما تهب رياح السلامة فالسفينة نارية . أما إن هبت نكبات الفتنة فندثر لا يبقى بيد للأح شيء ، والمتأدبر غالباً ، وسرعان ماتبلغ قلوب أهل السفينة المناجر .

قوله جل ذكره : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون » .

« جميعاً منه » : كل ما خلق من وجوه الانتفاع بها — كله منه سبحانه ؛ فما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا — ومن وجه — للانسان به انتفاع . وكلها منه سبحانه ؛ فالسبح لم يناء ، والأرض لم يهاد . إلى غير ذلك . ومن العن أن يستسخر ما هو مستسخر لك <sup>(١)</sup> وليتأمل العبد كل شيء . كيف إن كان خلل في شيء منها ماذا يمكن أن يكون ؟ ! فولا الشمس . . كيف كان يمكن أن يتصرف في النهار ؟ <sup>(٢)</sup> ولو لم يكن الليل كيف كان يمكن بالليل ؟ ولو لم يكن القمر . كيف كان ينتدى إلى الحساب والأجال ؟ . . . إلى غير ذلك من جميع الخلق .

قوله جل ذكره : « قل للذين آمنوا يقرءوا الذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون » <sup>(٣)</sup> .

ندبهم إلى حسن الخلق ، وجميل المشيرة ، والتجاوز عن الجهل ، والتقي من كدورات البشرية . ومتنصت الشح .

(١) هذا الكلام يتصرف إلى الدنيا بأسرها . فلا ينبغي أن يسترك ما هو حبة لك .

(٢) بحثاً من مصلحه .

(٣) يقال إن الآية نزلت بسبب أن رجلاً من قريش شتم عمر بن الخطاب فنهى أن يبطش به . ويقال نزلت في عمر حين أراد أن يبطش بفلام عبد الله بن أبي جهن ذهب ليستقر قمحه حتى ملئت قرب النبي وقرب أبي بكر ، فلما بلغ ذلك عبد الله قال : ما نزلنا وحمل هؤلاء إلا كما قيل : ممن عليك بأكلك ، فلما بلغ عمر ذلك اشتعل سيفه وأراد التوجه لفضله ، فأمر الله هذه الآية .



ومن ناظر بنور فراسته وهو صاحب ظنٍّ يُقَوِّيه لَوْحٌ — ولكنه من وراء السُّرِّ (١) ،  
ومن ناظر يبين عِلْمَهُ بِحُكْمِ بَرهَانٍ وَشَرِّطِ فِكْرٍ ، ومن ناظر بين لِمَانِ يوصف أُنْبِيَاءُ ،  
ومن ناظر بنور بصيرة هو على نهجٍ ، وشَمْسٌ طالعة وسماؤه من السحاب (٢) مصححة (٣) .

قوله جل ذكره : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيْئَاتِ

أَنْ نَحْمِلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَوَاءٌ عِندَ اللَّهِ وَمَنَافِعُ مَا يَنْحَسِبُونَ » .

أَمِنْ خَفَضْنَاهُ فِي حَضِيضِ السَّعَةِ كُنْ . رفناه إلى أعلى السَّعَةِ ؟

أَمِنْ أَخَذْنَا يَدَهُ وَرَحْمَتَهُ كُنْ . حَامَهُ مِنَ الْخِلْدَانِ فَرْجَنَاهُ ؟

أَمِنْ وَهَبْنَاهُ بَسْطَ وَقْتٍ وَأَنْشَأَ حَالٍ وَرَوَّحَ لُطْفٍ حَتَّى خَصَصْنَاهُ وَرَقِّقْنَاهُ ، ثُمَّ قَرَّبْنَاهُ  
وَأَذْنَيْنَاهُ كُنْ . تَرَكَ جَهَنَّمَ وَاسْتَفْرَغَ وَسْمَهُ وَلِإِسْبَالِ دَمِيمِهِ وَاحْتِرَاقِ قَلْبِهِ ... فَا أُنْشَأَهُ ؟ .

قوله جل ذكره : « أَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَلَفَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ

اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ وَنَحَّمَ عَلَى نَفْسِهِ قَلْبَهُ وَجِلَّ

عَلَى بَعِيرٍ غَالُوذٌ ... » .

مَنْ لَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ الْإِتْبَاعِ ، وَلَمْ يَسْتَوْفِ أَحْكَامَ الرِّيَاضَةِ ، وَلَمْ يَنْسَلِخْ عَنْ هَوَاهُ  
بِالسَّكِينَةِ ، وَلَمْ يُوَدِّدْهُ إِمَامٌ مُقْتَدًى فَهُوَ يَنْعَرِفُ فِي كُلِّ وَهْدَةٍ ، وَيَهْمُ فِي كُلِّ ضَلَاةٍ ، وَيَضِلُّ  
فِي كُلِّ فَيْجٍ ، خَسِرَانُهُ أَكْثَرُ مِنْ رَغْبِهِ ۥ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ؛ يَمْلِكُونَ الْقُرْبَ عَلَى مَا يَتَّقِ لِمَهْمِنٍ  
نَشَاطُ قُوسِهِمْ (٤) ، زِمَامَتُهُمْ يَدُ هَوَاهُمْ ، أُولَئِكَ أَهْلُ (٥) الْمَكْرِ ... اسْتَدْرَجُوا وَمَا يَشْعُرُونَ ۥ .

(١) القُرْآنَةُ مَا يَنْفَعُ اللَّهَ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ مِنْهُ ، وَهِيَ مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ الْكَامِلِ ، وَمَا يَسِمُهُ  
الْقَشْعَرِيُّ هَذَا (الرُّسَا) يَسِمُهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ (سَوَاطِعُ) أَوَّلُهَا تَلْعُقُ فِي قَلْبِ تِلْكَ بِهَا الْمَعَانِ (الرَّسَالَةُ ص ١١٦) .  
وَلِحَرْفَةِ الْفَرْقِ بَيْنَ الرَّوَاحِ وَالْوَسْوَاحِ أَنْظَرِ الرَّسَالَةَ ص ٤٣ . وَيَعْرِفُ الْجَنِيدُ الْقُرْآنَةَ يَقُولُ : هِيَ مَسَادَقَةُ الْإِسَابَةِ ،  
ثُمَّ يَذْكُرُ أَنَّهَا مَوْجِبَةٌ كَاتِبَةٌ حَامِيَةٌ (الْمَعْرِفُ لِلْكَلامِي ص ١٥٧) .

(٢) هَكَذَا فِي م وَهِيَ فِي مِ (الصَّحَابِ) بِالْصَادِ وَوَالسَّخِ فِي ذَلِكَ عَطَا النَّاسِخِ .

(٣) حِلَّةُ الْهَرَجَةِ الْآخِرَةِ - كَمَا هُوَ وَاسِعٌ - أَمَلٌ دَرَجَاتٍ لِنَظَرِ تَعْلُو حَا مِنْ الْأَلَاةِ .

(٤) لِأَنَّ النَّبِيَّ عَلَ الْمَطْلُوعَاتِ ، فَصْلُهُمْ مَرْتَبَيْنِ يَتَوَسَّعُ وَأَعْرَافُهُمْ .

(٥) هَكَذَا فِي (م) وَهِيَ فِي م (أَسْل) وَهِيَ عَطَا مِنْ النَّاسِخِ لِأَنَّهُمْ «أَمَلٌ» الْمَكْرِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى :

« وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ » .

قوله جل ذكره : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت

ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهر وما لهم

بذلك من علم إنهم إلا يظنون . »

لم يتسَّيروا بما وجدوا عليه خَلَقَهُمْ وسَلَفَهُمْ ، وأزجوا في البهيمة عَيْشَهُمْ وعَمَرَهُمْ ، وأغوا  
عن كُدِّ الفكرة قلوبهم ... فلا بالعلم استبصروا ، ولا من التحقيق استمدوا . رأسُ مالهم  
الظنُّ — وهم غافلون .

قوله جل ذكره : « وإذا نُتِلَّ عليهم آياتنا بيِّناتٍ

ما كان حُجَّتَهُمْ إِلَّا أن قالوا اتوا بآياتنا

إن كنتم صادقين . »

طلبوا لإحياء موتاهم ، وسوف يَرَوْنَ ما استبدوا .

ثم أخبر أنَّ مُلْكَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ لله ، وإذا أقام القيامة يُخَشِّرُ أصحابُ البطلان ،

فإذا جاءهم يومُ العِصام :

« وترى كلَّ أمةٍ جاثيةٍ كلُّ أمةٍ تُدْعَى

إلى كتابها اليومَ تُحْزَنُ وما كنتم تعملون . »

كلُّ بحسبه<sup>(١)</sup> مطالبٌ ... فأما الذين آمنوا ففقد فازوا وسادوا ، وأما الذين كفروا

فهلكوا وبادوا<sup>(٢)</sup> .. ويقال لهم : أنتم الذين إذا قيل لكم حديثٌ عَقِبَاكم كَذَّبْتُمْ مولاكم ؟

فاليومَ — كما نَيتُمونا — نَسَاكم ، والنارُ مأواكم .

قوله جل ذكره : « فَهَلْ يَلْمِزُكَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ

رَبُّ الْعَالَمِينَ • وله السَّكْبَرَةُ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . »

اللهُ الحمدُ على ما يُبْدَى وَيُخْفَى ، ويحمي وَيُقْضَى ، ويُنْجِي وَيُضَيِّقُ .. إذ الحُكْمُ لله .

والكِبَرُاءَةُ لله ، وَالْعِظَةُ وَالسَّاءَةُ لله ، وَالرِّفَةُ وَالْبِهَاءُ لله .

(١) هذا أيضاً رأى يحيى بن سلام ، وقيل : كتاباه السَّكْرَةُ عليها لينظر مل علوا بما فيه . وقيل : كُتُبُهَا  
منا هو الفصح المَحْضُوط .

(٢) هكذا في م ، وهي ق ص (ونادوا) وهي خطأ من النسخ .



## سورة الأحقاف

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » كلمة للقلوب سالبة ، للمقول غالبة ، للمطيعين واهبة ، للمعارفين ناهية . . فالذين يهيم بهم لغته ، والذين ينهيمهم فمن مصته فهو عنه خلفه<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « حم \* نزيل الكتاب من الله »

العزيز الحكيم .

حيث قلوب أهل عناية قصرقت عنها خواطر التجوز ، وتبسط في مشاهد اليقين بنور التحقيق ؛ فلاحت فيها شواهد البرهان ؛ فأضفت إليها لطائف الإحسان ؛ فكمل منالها من عين الوصلة ، وبغذيتهم بنسيم الأنس في ساحات القربة .

« العزيز » : الثمر للؤمنين بإتزال الكتاب عليهم .

« الحكيم » ، التحكيم لكتابه عن التبديل والتحويل .

قوله جل ذكره : « ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما

إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا

عما أنذروا معرضون » .

الكافرون معرضون عن موضع الإنذار ، مقيمون على حد الإصرار

(١) وفي ذلك يقول شاعرهم :

أنت ل خلقت ؟ كفى شرقاً      فما وراءك ل قصد ولا أمل

ويقول أبو حمزة موضحاً كيف أن هذا الموت في سبيل محبوه من الحياة :

ونحي محباً أنت في الحب حظه      وذا عجب .. كون الحياة مع الخلف !

(البح للعراج ص ٣٢٥) .

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتَوَكَّلُونَ بِكَتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنُمَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ لَمْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » .

أروني .. أي أثر فيهم في الملك ، أو القدرة على النفع والضرر ؟ إن كانت لكم حجة فأُظهِرُوهَا ، أو دلالة قَبِيْنُوهَا .. وإذ قد عَجَزْتُمْ عَنْ ذَلِكَ فَهَلَّا رَجَعْتُمْ عَنْ غَيْبِكُمْ وَأَقْلَسْتُمْ ؟ قوله جل ذكره : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ » .

مَنْ أَشَدُّ ضَلَالًا مِمَّنْ عَبَدَ الْجَادَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ وَلَا لَهُ فِي النَّفْعِ أَوْ الضَّرِّ إِثْبَاتٌ ؟ قوله جل ذكره . « وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِسَادَتِهِمْ كَافِرِينَ » .

إِذَا حُشِرَ النَّاسُ لِلْعَابِثِ وَقَتِ الْمَدَاوَةِ بَيْنَ الْأَصْنَامِ وَعَابِدِيهَا . قوله جل ذكره : « وَإِذَا نُفِثَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ » .

رَمَوْا رُسُلَنَا بِالسَّحَرِ ثُمَّ بِالْإِقْتِرَاءِ وَاللَّكْرِ .. قُلْ — يا عباد — كَفَى بِاللَّهِ يَنفَى وَيُنْصِفُكُمْ شَهِيدًا ؛ أَتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِهِ ، وَأَنَا أَخْلَصْتُ لَهُ تَوْحِيدًا . وما كنت بدعاً من الرسل ؛ فُلَسْتُ بِأَوَّلَ رَسُولٍ أُرْسِلَ ، وَلَا بَتِيرٍ مَا جَاءُوا بِهِ مِنْ أَصُولِ التَّوْحِيدِ جُتْ ، إِنَّمَا أَمَرْتُكُمْ بِالْإِخْلَاصِ فِي التَّوْحِيدِ ، وَالصَّدَقِ فِي الْمَبُودِيَّةِ ، وَالْقَدَامِ إِلَى عَاسَنِ الْأَخْلَاقِ .

قوله جل ذكره : « وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ

أَتَيْعُ إِلَّا مَا يُؤْتَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا  
نَذِيرٌ مُبِينٌ .

وهذا قبل أن نزل قوله تعالى : « لِيُنْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأَخَّرُ » (١) .

وفي الآية دليل على فساد قول أهل التذوُّر والبدع حيث قالوا : « إِبْلَامُ الْبَرَى قَبِيصٌ فِي  
الْعَقْلِ » . لأنه لو لم يُجَزْ ذلك لكان قول : « أَعْلَمُ — قَطْعًا — أَيْ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَيْ مَعْصُومٌ ..  
فَلَا بِحَالَةٍ يَنْفِرُ ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : وَمَا أُدْرِي مَا يَفْعَلُ بِوَلَا بَكُمْ ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُهُ وَهَالِكُكُمْ  
حُكْمُهُ ، وَلَهُ أَنْ يَفْعَلَ بِبِعَالِهِ مَا يَرِيدُ » (٢) .

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
وَكُفْرَتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ (٣) مِنْ  
بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى رَسُولِهِ فَأَمَنَّ وَاسْتَكْبَرْتُمْ  
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » .

تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ لَا عُدْرَةَ لَهُ بِحَالٍ ، وَلَا أَمَانَ لَهُ مِنْ عَقُوبَةِ اللَّهِ . وَمَا يَسْتَوْحُونَ إِلَيْهِمْ حُجَّتِهِمْ  
عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ كُلِّهَا — فِي التَّحْقِيقِ — بَاطِلٌ . وَأَخْبَرَ أَنَّ الْكُفْرَانَ قَالُوا : لَوْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَقُولُ

(١) آية (٢) سورة الفتح وينزلها نسخت هذه الآية ، وزال فرح المشركين واليهود والمنافقين الذين كانوا  
يقولون : كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا وأنه لا فضل له علينا ، ولولا أنه اجتمع الله بقوله من تلقاء  
نفسه لأخبره الله به ما يفعل به — وينزل هذه الآية أرغم الله أنوفهم ، وقالت الصحابة : منيكا لك يا رسول الله !  
وهنيئاً لنا !

(٢) القشيري ينكر أن يلعب البشر إلى التماس تملّكات للأفلاك الإلهية ؛ لأن أفعال الله سبحانه لا تخضع  
للأغراض ، فهو لا يسأل ما يفعل وهم يسألون ، فهو يهود بالأمر كله إلى الحكمة والإرادة الإلهيتين ، وطائفاً ما في  
غير نطاق الإنسانية فلا ينهض إخصاصها المشاهير الإنسانية من حسن وقبح ، وخير وشر ؛ لأن هذه المقامات  
متأثرة بالمصلحة والقرص .. والله ينزه عن ذلك ، فله أن يفعل بعباده ما يشاء ، وإذا كان رب الأسرة لا يفقددها  
إلا إلى الخير فما فائدة يرب البرية وخالف كل شيء ؟ !

(٣) هو عبد الله بن سلام عند الجمهور ، ولمناق قبل أن هذه الآية منفية ؛ لأن إسلامه كان بالنية . وروى أنه  
سأل النبي عن ثلاث لا يملحن إلا إلى : ما أول أشراف الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة ، وما بال الولد  
ينزح إلى أبيه أو إلى أمه ؟ فقال الرسول (ص) : أول أشراف الساعة ناز تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأول  
طعام أهل الجنة زيادة كبد حوت ، وأما الولد فإذا سبق ماد للرجل تزجه وإن سبق ماد المرأة تزجه . فقال : أشهد أنك  
رسول الله حقاً . ( صحيح البخاري ٢٥ ص ٢٢٦ ) .

من الحشر والشرحاً لم تقامر ديتنا عند الله عن رتبة أحد ، ولتقدّمنا — في الاستحقاق —  
على الكل . ولما لم يجدوا لهذا القول دليلاً صرحوا :

« فيقولون هذا إنك قديم » .

وقد بَشَّ الله أنبياءه — عليهم السلام — وأنزل عليهم الكتب ، وبين في كل كتاب ،  
وجل لسان كل رسول بأنه يبعث محمداً رسولاً ، ولكن القوم الذين في عصر ذيننا — صلى الله  
عليه وسلم — كتبوه ، وحسدوه .

قوله جل ذكره : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقلوا

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

مضى تفسير الاستقامة . وإن من خرج على الإيمان والاستقامة حظي بكل كرامة ،  
ووصل إلى جزيل السلامة .

وقيل : السين في « الاستقامة » سين الطلب ؛ وإنه للقيم هو الذي يتنزل إلى الله تعالى  
في أن يقيته على الحق ، ويثبتته على الصدق .

قوله جل ذكره : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا » .

أمر الإنسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام ، لما لها عليه من حق التربية والإنعام ،  
وإذا لم يحسن الإنسان حرمة من هو من جنسه فهو عن حسن مراعاة سيده أبداً . ولولم يكن  
في هذا الباب إلا قوله — صلى الله عليه وسلم : « رضا الرب من رضا الوالدين ، وسخطه في  
سخطهما » لكان ذلك كافياً . ورعاية حق الوالد من حيث الاحترام ، ورعاية حق الأم من  
حيث الشفقة والإكرام . ووعد الله على ير الوالدين قبول الطاعة بقوله جل ذكره :

« أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا

وتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة

وعد الصدق الذي كانوا يعدون » .

قبول الطاعة وغفران الزلة مشروطان ببر الوالدين . وقد ذم الله — سبحانه — الذي

يُصَفِّى فِي حَقِّهَا بِالنَّاسِ ، وَفِي ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَلَى مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ أَى تَصْنَف ، وَعَلَى أَنَّ الذِّى  
يَسْتَلْكُ ذَلِكَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْخُسْرَانِ ، وَبِالْإِثْلَالِ يَكُونُ نَاقِصَ الْإِيمَانِ .

وَسَبِيلُ الْعَبْدِ فِي رِعَايَةِ حَقِّ الْوَالِدَيْنِ أَنْ يُصْلِحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، لِحَيْثُ يُصْلِحَ مَا بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ غَيْرِهِ — عَلَى الْمَوْتِ ، وَأَهْلِهِ — عَلَى الْخُصُوصِ .

وَشَرُّ خُصَالِ الْوَلَدِ فِي رِعَايَةِ حَقِّ وَالِدَيْهِ أَنْ يَتَرَكَّ بِطَوْلِ حَيَاتِهِمَا ، وَيَتَأَذَّى بِمَا يَحْفَظُ مِنْ  
حَقِّهِمَا . وَعَنْ قَرِيبِ يَمُوتُ الْأَصْلُ وَيَبْقَى النُّسْلُ ، وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ النُّسْلُ الْأَصْلَ<sup>(١)</sup> ،  
وَقَدْ قَالُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى .

رَوَيْدُكَ إِنْ دَهَمَكَ فِيهِ كِفَايَةُ<sup>(٢)</sup> لَتَفْرِيقِ ذَاتِ الْبَيْنِ . . . فَاتَنْظُرِ الْعَمْرَ<sup>(٣)</sup>  
قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ  
أُذْهِبَتْمْ طَبَائِئِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا  
وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ  
الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ  
بِفِرَاقِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ » .

سَبِيلُ الْعَبْدِ أَلَّا يَنْسَى فِي كُلِّ حَالٍ مَبِودَهُ ، وَأَنْ يَتَذَكَّرَ أَنَّهُ مَعَهُ فِي هَمِّهِ وَسُرُورِهِ ، وَفِي  
مُتَابَعَاتِهِ عِنْدَ رِخَائِهِ وَبِلَائِهِ . فَلِذَا اتَّفَقَ أَنْ حَصَلَ لَهُ أَنْسٌ ، وَعَلَبَ عَلَيْهِ رَجُلًا وَبَسَطَتْهُمُ هَجْمُ  
عَلَى قَلْبِهِ قَبْضٌ أَوْ مَسُّ خَوْفٍ . . . فَلْيَخَاطَبْ رَبَّهُ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْ جَلَّةٍ مَنْ قِيلَ لَهُ : « أَذْهِبَتْ  
طَبَائِئِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا . . . »

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ  
بِالْأَخْفَافِ<sup>(٤)</sup> وَقَدْ خَلَّتِ النَّذَرُ مِنْ بَيْنِ

(١) أَى أَنَّ أَوْلَادَهُ سَوَّفَ يَمْلِكُونَهُ بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي حَامِلٌ بِهَا أَجْرُهُ .

(٢) إِذَا لَاحَظْنَا أَحْكَامَ التَّشْبِيرِ هُنَا بِرِعَايَةِ حَقِّقِ الْأَبَوَيْنِ ، وَإِذَا تَذَكَّرْنَا أَنَّهُ فِي مَوْضِعِ آتَمِ يَرَى أَنَّ حَقِّقِ  
الشَّيْخِ وَالْمَرْبِئِ لَا تَقْلُ مِنْ ذَلِكَ ؛ وَلَئِنْ الْوَالِدَيْنِ يَرِيبُونَ الْأَخْفَافَ . وَالشَّيْخُ يَرِيبُونَ الْأَرْوَاحَ ؛ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ  
الْإِشَارَةُ مُوجَّهَةٌ إِلَى الْمَرْبِئِينَ يَنْفَسُ لِلْفَرَجَةِ الْمَوْجُودَةِ إِلَى الْمَوْتِ .

(٣) الْأَخْفَافُ = جُ حَقْفٍ وَهِيَ رِمَالٌ عَظِيمَةٌ مُعْجِزَةٌ لَا تَبْلُغُ أَنَّ تَكُونَ جَبَالًا . وَقَالَ الْكَلْبِيُّ : أَخْفَافُ  
الْجَبَلِ مَا نَقَصَ عَنْهُ الْمَاءُ زَمَنَ الْفَرَقِ . وَهَذَاكَ اخْتِلَافٌ فِي مَكَانِ دِيَارِ عَادٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي كِتَابِ التَّصْبِيرِ .

يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني  
أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم .

أخبر بالشرح عن قصة هود وقومه عاد وما جرى بينهم من الخطاب ، وتوجه عليهم من  
العتاب ، وأخذهم باليم الزنا .

قوله جل ذكره : « ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ... »  
فلم يُغن عنهم ما آتيناهم ... وانظروا كيف أهلكناهم .

قوله جل ذكره : « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن  
يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا  
أنصتوا فلما قُصِيَ ولَّوْا إلى قومهم  
منذرين . »

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثاً إلى الجن كما كان مبعوثاً إلى الإنس : وإن قوماً  
أتوه ليلة الجن <sup>(١)</sup> وآمنوا به ، ورجعوا إلى قومهم فأخبروهم ، وآمن قومٌ منهم ؛ فاليوم في الجن  
مؤمنون ، وفيهم كافرون .

« فلما حضروه قالوا أنصتوا . . » الصيحة على الباب وفوق البساط غيبة ؛ ولهذا لما حضر  
الجن بساط خدمته — صلى الله عليه وسلم — تواصوا فيما بينهم بحفظ الأدب ، وقالوا لما حضروا  
بساطه : « أنصتوا » ، فأمل الحضور صنتهم الذبول والسكون ، والهيبه والوقار . والثوران  
أو الانزعاج يدل على غيبة أو قلة تيقظ أو هوان اطلاع <sup>(٢)</sup> . « فلما قُصِيَ . . » يعني الوحي  
« ولَّوْا إلى قومهم منذرين » وأخبروهم بما رأوه وسمعوه .

قوله جل ذكره : « يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا

---

(١) حدث ابن مسعود عن هذه الليلة ، وأبان كيف سعى — وقد كان وحده بصحبة النبي وهو يقرأ القرآن —  
لتنظيم غمضة ، وشاهد أمثال النور تهوى وتمشي في دغرتها ... الخ .

(٢) هنا نجد القشيري ينصح بالكتمان ولا يرى الإصلاح ، وقد مثل الجنيد في ذلك فأجاب : « وتري الجبال  
تصبها جامدة وهي تمر مر السحاب (أنظر بحث هذه القضية في كتابنا ونشأة التصوف الإسلامي ط المعارف ص ٢٢٤) .

به يفتر لكم من ذنوبكم ويخبركم  
من عذاب ألم » .

يقال الإجابة على ضربين : إجابة لله ، وإجابة للداعي ؛ فإجابة الداعي بشهود الواسطة — وهو الرسول صلى الله عليه وسلم - وإجابة الله بالجهر إذا بَلَغَتْهُ الرسالةُ على لسان السفير ، وبالسِّرِّ إذا حصلت التمريناتُ من الواردات على القلب ؛ فستجيب بنفسه ومستجيب بقلبه ومستجيب بروحه ومستجيب بسرّه . ومن توقف عن دعاء الداعي إياه ، ولم يبادر بالاستجابة هَجَرَ فيما كان يخاطب به <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْلُقْ  
يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُخَيِّرَ الْمَوْتَ ؟ بَلَى :  
إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

الرَّدِيَّةُ هُنَا بمعنى العلم .

« وَلَمْ يَكُنْ » أى ولم يجوز ولم يَصْنَف .

قوله جل ذكره : « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
عَلَى النَّارِ » .

ثم يقال لم على سبيل تأكيد إلزام الحجة :

« أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا : بَلَى وَرَبِّنَا . قَالَ : فَذُقُوا  
الْمَذَابَ . . »

جزاء لكم على كفركم .

قوله جل ذكره : « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو التَّزَمِ  
مِنَ الرُّسُلِ » .

---

(١) هكذا في م وفي ق من (يطالب به) وكلامها مقبول في السياق لأنه جاء خطاب ومطالبة المدعو .

أولو الجد والصبر والحزم . وجاء في التفسير أنهم : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد  
صلى الله عليهم وسلم . وقيل : هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام . وقيل : منهم يعقوب  
وأيوب ويونس .

والصبر هو الوقوف لحكم الله ، والثبات من غير بث ولا استكراه .

قوله جل ذكره : « كأنهم يوم يرون ما يوعدون

لم يلبثوا إلا ساعة من نهار » .

ويقال مدة الخلق : من مبتدأ وقتهم إلى مُتَنى آجالهم ، بالإضافة إلى الأزلية<sup>(١)</sup> كلفظة

بل هي أقل ؛ إذ الأزل لا ابتداء له ولا انتهاء . . وأى خطر لما حصل في لحظة . . خيراً كان

أو شراً ؟ !

---

(١) بالإضافة إلى = بالنسبة إلى .



## سورة محمد - صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

مَنْ ذَكَرَ « بسم الله » جَلَّتْ رُتْبَتُهُ ، وَمَنْ عَرَفَ « بسم الله » صَفَتْ حَالُهُ ، وَمَنْ أَحَبَّ « بسم الله » أَشْكَلَتْ قَسَمُهُ<sup>(٢)</sup> ، وَمَنْ حَبَّبَ « بسم الله » امْتَصَحَتْ أُتَيْتُهُ<sup>(٣)</sup> ، وتلاشت بالكلية — بُجِّلَتْ .

قوله جل ذكره : « الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ • وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ

الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَأَصْلَحَ بِالْقَوْلِ » .

« الَّذِينَ كَفَرُوا » : امتنعوا ، وَصَدُّوا فَتَنِمُوا ؛ فَلَا تَهَمُّ امْتَنَعُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اسْتَوْجِبُوا

الصَّحْبَةَ وَالْقَنِيَةَ .

« أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ » : أَى أَجْطَلَهَا .

« وَالَّذِينَ آمَنُوا .. » بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، « وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ .. »

(١) وتسمى هذه بفصل المفسرين « سورة القتال » .

(٢) الكلام في هذه النقطة كثير لا يتسع له مامش شيق ، ومن أراد أن يعرف كيف أن قصة الحسين الإلهيين مشكلة يكتفى أن يعلم أن قصة هذه القصة الوصول إلى التوحيد .. أن ينفذ الموحّد في الموحّد فلا يكون هناك إلا واحد ، إن تحدث فيها ، وإن تحرك فيها . هو بين الناس كائن ومنهم يائز ، يقضى صره بين وجه وفقه .. (أنظر قصة هذا الحب بتفاصيلها المثيقة في كتابنا : نشأة التصوف الإسلامي ، باب الحب واللقاء والمعرفة . تلاشت آثار بشرته لا بشرته .

أصلح حالهم ، فالكفرُ للأعمالِ مُخِيطٌ ، والإيمانُ للتخليد <sup>(١)</sup> مُسْقِط .  
ويقال : الذين اشتغلوا بطاعةِ الله ، ولم يعملوا <sup>(٢)</sup> شيئاً عما خالفَ الله — فلا محالة — هم  
بكفاية اشتغلهم بالله .

قوله جل ذكره : « ذلك بأنَّ الذين كفروا اتَّبِعُوا الْبَاطِلَ  
وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ  
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ » .

أى يضرب أمثال هؤلاء لحسناتهم ، وأمثال هؤلاء لسيئاتهم .  
ويكون اتباعُ الحقِّ بمواظبةِ السنَّةِ ، ورعايةِ حقوقِ الله ، وإيتاءِ رضاه ، والقيامِ بطاعته .  
ويكون اتباعُ الباطلِ بالاجتماع ، والعملِ بالمعوى ، وإيتاءِ الحظوظ ، وإرتكابِ المعصية .

قوله جل ذكره : « فَإِذَا تَقَيَّمُ الَّذِينَ كَفَرُوا قَضَرُوا  
الْقُلُوبَ حَتَّى إِذَا اتَّخَذُوا نُصُبًا  
فَلَمَّا مَنَّ بَدُّ وَإِذَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ  
أُوزَارَهَا » .

إذا حصلَ الظفرُ بالبدنِ فالنفوسُ عنهم وَرَثَةٌ لِلْبَاطِلَةِ في التشديدِ عليهم — لنديمِ موجبٍ ،  
والفرصةِ تضييعٍ ؛ بل الواجبُ إزهاقُ نفوسِهِمْ ، واستئصالُ أصولِهِمْ ، واقتلاعُ شجرِهِمْ  
من أصله .

وكذلك البدنُ إذا غفر بنفسه فلا ينبغي أن يُبْقَى بعد انتفاش شوكتها جبهةٌ من الحياة ،  
فمن وضع عليها إصبعاً بَنَتْ نَمَطُهَا فِيهِ <sup>(٣)</sup> .  
« فَلَمَّا مَنَّ بَدُّ وَإِذَا فِدَاءٌ » ذلك إذا رجا للسلون في ذلك غبطةً أو فائدةً ؛ مثل إفراجِ

(١) العذاب المزيّد .

(٢) هكذا في م وهي في س (ولم يعملوا) وهي خطأ من النسخ .

(٣) ذلك لأن نفسك التي بين يديك هي إحدى أعدائك ، وجهاها هو الجهاد الأكبر . . لأنها تقودك إلى  
دواعي المعوى ، وفي ذلك عند الصوفية شركٌ خفى .

الكفار عن قوم من المسلمين ، أو بسبب ما يؤخذ من الفداء .. وأمثال هذا ، لحيث ذلك  
مُسَمَّ على ما يراه الإمام<sup>(١)</sup>.

كذلك حال المجاهدة مع النفس : حيث يكون في إغناء ساعة أو في إضطرار يوم ترويح  
لنفس من الكد ، وقوة على الجهد فيما يستقبل من الأمر — فذلك مطلوبٌ حسبما يحصل به  
الاعتصوابُ من شيخ للريد ، أو قنوى لسان الوقت ، أو فراسة صاحب المجاهدة<sup>(٢)</sup>.

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ  
يُعْطِيَ أَعْمَالَهُمْ سَبْعِينَ أَلْفًا مَرَّةً وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ » .

إذا قُتِلَ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ تَوَلَّى وَرَثَتُهُ الْقَتْلَ بِأَحْسَنِ مِنْ تَوَلِيَةِ الْقَتْلِ .  
وكذلك يَرْفَعُ دَرَجَاتِهِ ؛ فَيُعْظِمُ ثَوَابَهُ ، وَيُكْرِمُ مَا بِهِ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصَرُوا لِلَّهِ  
يَنصِرْكُمْ وَيُهَيِّبَ أَعْدَاءَكُمْ » .

نصرة الله من المبد نصرته دينة بإيضاح الليل وتبينته .

ونصرة الله للعبد بإعلاء كلمته ، وقبض أعداء الدين ببركات سعيه وجهته .

« وَثَبَّتْ أَعْدَاءَكُمْ » بإقامة التوفيق لئلا ينهزم من صولة أعداء الدين .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَصَّأَلَهُمْ وَأَضَلَّ

أَعْمَالَهُمْ » ذلك بأنهم كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » .

---

(١) للإمام الحق أن يقتل أو يمين أو يفادي أو يستر . والرسول نفسه . قتل عقبة بن معيط والنسر  
ابن الحارث يوم بدر ، وفادى سائر أسارى بدر ، ومن على ثمانية الحق وهو أسير ، ومن على سبى هوازن ، وأخذ  
من سلمة بن الأكوع جارية ففدى بها أناساً من المسلمين .. هذه كلها ثابتة في الصحيح — وهذه الأربعة إليها ملحق  
الثاني .

(٢) تهنا هذه الفقرة إذا تذكرنا أن القشيري مشهد في الرخص ، وقياس الرخصة هنا على آية القتال وعلى  
سرب المشركين وعلى تصرف الإمام .. فيها دقة تحتاج إلى تدبر . ثم تهنا في معرفة من الذي يمنح الرخصة للريد ؟

تَسْلَمُ : لَمَّا وَطَرْنَا ، وَقَتْنَا وَيُسَدُّ !

« أَضِلْ أَعْلَمُ » : هَتَكَ اسْتَزَمَ ، وَأَغْطَرَ الْوُثْمِينَ أَسْرَارَهُمْ ، وَأَخْتَدَ نَارَهُمْ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ  
كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » .

وكيف أهلكهم وأبادهم وأقامهم ؟

قوله جل ذكره : « ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ مَوْتَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ  
الْكَافِرِينَ لَا مَوْتَ لَهُمْ » .

المولى (١) هنا بمعنى الناصر (٢) ؛ فَاللهُ نَاصِرٌ لِهَذِهِ الْأُمَمِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ .  
أو المولى من اللولاء وهي ضد للمعادة ، فيكون بمعنى الحب ؛ فهو مولى الذين آمنوا أى  
يُحِبُّهُمْ ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَا يَحِبُّهُمْ اللَّهُ .

ويقول تعالى في آية أخرى : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ » (٣) .

ويصح أن يقالَ إِنَّ هَذِهِ أَرْجَى (٤) آيَةً فِي الْقُرْآنِ ؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ مَوْلَى  
الَّذِينَ آمَنُوا ، وَلَمْ يَقُلْ : مَوْلَى الزَّهَّادِ وَالْمُسَادِّ وَأَصْحَابِ الْأَوْرَادِ وَالْاجْتِهَادِ ؛ فَالْمُؤْمِنُ — وَإِنْ كَانَ  
عَاصِيًا — مِنْ جَمَلَةِ الَّذِينَ آمَنُوا ، ( لَا سِيَا وَ « آمَنُوا » ضَلَّ ، وَالْقَلَمُ لَا حُومَ لَهُ ) (٥) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ »

---

(١) تضاعف أقوال القشيري هنا في (المولى) إلى حديثه عن ذلك الاسم في كتابه والتعريف في التذكير . ولك  
حديثه في (الولاية والمولى) في مواضع متفرقة من مصنفاته .

(٢) جهات (الناظر) في ص وهي غطاء في النسخ .

(٣) آية ٢٥٧ سورة البقرة .

(٤) جهات (أرسي) في ص وهي خطأ في النسخ .

(٥) سقطت الباء بين القوسين من ص و جهات في م . والقشيري مستغني عن السياق القرآني إذ عيّر من  
الإيمان بالقلم وهو « آمنوا » وجبر من الكفر بالاسم فقال : « وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْتَ لَهُمْ » .

مغى الكلام في هذه الآية .

« والذين كفروا يمتعون ويأكلون  
كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم » .  
الأنعام تأكل من أى موضع بلا تمييز ، وكذلك الكافر لا يميز له بين الحلال والحرام .  
[ كذلك الأنعام ليس لها وقت لأكلها ؛ بل فى كل وقت تتلذذ وتأكل ، وكذلك الكافر ،  
وفى الخبر : « إنه يأكل فى سبعة أمعاء » . أمّا المؤمن فيكتفى بالقليل كافى الخبر : « إن كان  
ولا بُد فثُلث للطعام وثُلث للشراب وثُلث للنفس » و« ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه »<sup>(١)</sup> .  
ويقال : الأنعام تأكل على التفضلة ؛ فمن كان فى حال أكله ناسياً ربّه فأكله كما كلى  
الأنعام .

قوله جل ذكره : « وكأين من قرية هى أشد قوة  
من قريتك التى أخرجتك أهلكتهم فلا  
تذكر »<sup>(٢)</sup> .

« أهلكتهم » : يبنى بها من أهلكتهم من القرون الماضية فى الأعصر الخالية .

قوله جل ذكره : « أقسن كان على يمينه من ربّه كمن  
زنى له سوء عمله واتموا أهواءهم » .  
« البينة » : الضياء والحجة ، والاستبصار بواضح الحجة : فالطعام فى ضياء برهانه ،  
والعارفون فى ضياء بيانهم<sup>(٣)</sup> ؛ فهؤلاء بأحكام أمة الأصول يُبصرون ، وهؤلاء بحكم الإلهام  
والوصول يستبصرون .

(١) ما بين القوسين الكبيرين ساقط بكمه من ص وثابت فى م ، وهذه الأخبار موجودة فى الجامع الصغير  
٢٨ ص ١٥٢ وفى كتاب الأملسة بالجزء الثالث من صحيح البخارى ، وبالأذكار لطنوى . وتكتم الخبر الأول :  
عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) : يأكل المسلم فى موى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ،  
وروى كذلك عن ابن عمر .

(٢) من ابن عباس قال : لما خرج النبي (ص) من مكة إلى النصارى كلفت إلى مكة وقال : « اللهم أنت أرحم  
إلى الله وأنت أحب البلاد إلى ولولا المشركون أهلك أعرجوني لما عرجت منك » فزلت الآية - ذكره التلبي ،  
وهو حديث صحيح .

(٣) هكذا فى ص وفى م (ص) (ثباتهم) ولكن ما فى ص هو الأصوب ؛ لأننا نعرف من معنى القشيري أن  
(كبيان) كذا فى م ، والبرهان لأرباب العلم .

قوله جل ذكره : « مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا

أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ » .

كذلك اليومَ شأنُ الأولياء ، لهم شرابُ الوفاء ، ثم شرابُ الصفاء ، ثم شرابُ الولاء ، ثم شرابُ حالِ اللقاء .

ولكلٍّ من هذه الأثرية عَمَلٌ ، ولصاحبه سُكَّرٌ وصَوٌّ ؛ فَمَنْ تَحَسَّى شرابَ الوفاء لم ينظر إلى أحدٍ في أيام غيبته عن أحبابه :  
وما سَرَّ صدى مُنْذِ شَطَبِكَ النوى

أُنَيْسٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا مُتَعَرِّفٌ

وَمَنْ شَرِبَ كَأْسَ الصفاء خُلِّصَ له عن كلِّ شَوْبٍ ، فلا كدورةَ في عهده ، وهو في كلِّ وقتٍ صافٍ عن نَفْسِهِ ، خالٍ من مطالباته <sup>(١)</sup> ، قائمٌ بلا شغلٍ — في الدنيا والآخرة — ولا أربٍ .

وَمَنْ شَرِبَ كَأْسَ الولاء عَدِمَ فيه القوار ، ولم يَغِبْ يسره لحظةً في ليلٍ أو نهار .

وَمَنْ شَرِبَ في حالِ اللقاء أُنَيْسَ على الدوام يقاته ؛ فلم يطلب — مع قتاله — شيئاً آخرَ من عطائه ؛ لاستهلاكه في علاته عند سطوات كبره <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ومنهم مَنْ يَسْمَعُ إِيَّاكَ حَتَّى إِذَا

خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا الَّذِينَ أُوْتُوا

(١) أي مطالبات المخطوط ، وخطو النفس .

(٢) تنبيه إلى أهمية هذه لفظة إلى أحوال لها الكثيرى صديقه من الأثرية حيث لم يشار لها بمصطلح في رسالته عنه بحث مصطلح السُّكَّر .

الْعَلَمَ مَاذَا قَالَ آيَةً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ  
عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ .

هم المناقون الذين كرهوا ما أنزل الله ؛ لِيَا فِيهِ مِنَ الضَّالِّينَ .

« وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ

قُرْآنَهُمْ »

« اهتدوا » : بأنواع الجاهليات ، « فزادهم هدى » : بأنوار المشاهدات .

« اهتدوا » : بتأمل البرهان ، « فزادهم هدى » : بروح البيان .

« اهتدوا » : بعلم اليقين ، « فزادهم هدى » : بحق اليقين .

[ « اهتدوا » : بأدب اللبابة ، « فزادهم هدى » : بالنجاة ورفع الدرجات .

« اهتدوا » : إلى ما فيه من الحق ولم يخفقوا في أنه الحق ، « فزادهم هدى » بالاستقامة

على طريق الحق <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « فكل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم

بغتةً قد جاء أمرها فأنت لهم إذا

جاءتهم ذكراً » فاعلم أنه لا إله إلا الله

واستغفر لذنك وللمؤمنين والمؤمنات » .

كان عالماً بأنه : « لا إله إلا الله » فأمره بالثبات عليها ؛ قال (ص) : « أنا أعلمكم

بالله ، وأخشاكم له <sup>(٢)</sup> » .

ويقال : كيف قيل له : « فاعلم .. » ولم يقل : عَلِمْتُ ، وإبراهيم قيل له : « أَسْلِمَ <sup>(٣)</sup> .. »

قال : « أَسْلَمْتُ ... » ؟ فيجيب بأن إبراهيم لما قال : « أَسْلَمْتُ » ابتغى ، ونبينا صلى الله

عليه وسلم لم يقل : عَلِمْتُ شُوقِي .

(١) ما بين التوسين الكبيرين ساقط في ص وسجود في م .

(٢) البخاري من أنس : ( والله إني لأخشاكم به ولأنتأكم له )

والشيخان من عائشة : ( والله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له عشقة ) .

(٣) آية ١٢١ سورة البقرة : « قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » .

وإبراهيم عليه السلام أتى بآمره شرع كَشَفَ سِرَّهُ ، ونَبَّأنا صلي الله عليه وسلم لم يأتِ  
بِشَيْءٍ شرع .

وقال : نَبَّأنا صلي الله عليه وسلم أخيراً الحق عنه بقوله : « آمَنَ الرسول <sup>(١)</sup> » .. والإيمان  
هو العلم — وإخبارُ الحق سبحانه عنه آمَنَ من إخباره بنفسه عن نفسه : « عَلِمْتُ » .

وقال : فرق بين موسى عليه السلام لَمَّا احتاج إلى زيادة العلم فَأُحِيلَ على الغضر ، ونَبَّأنا  
صلي الله عليه وسلم قال له : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا <sup>(٢)</sup> » .. فَكَمْ بَيْنَ مَنْ أُحِيلَ في استزادة  
العلم على عَيْبٍ وبين مَنْ أُمِرَ باستزادة العلم من الحق !! .

وقال لَمَّا قال له « قَاعِلٌ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا <sup>(٣)</sup> » كان يأمره بالانقطاع إليه عن الخلق ،  
ثم بالانقطاع منه — أي من الرسول — إليه .. أي إلى الحق سبحانه . والبدء إذا قال هذه  
الكلمة على سبيلِ العادة والنقل عن الحقيقة — أي كان صفة التسيان — فليس قوله كثير  
قيمة ؛ كَأَنَّهُ قال عند التعجب من شيء .. فليس لهذا قَدْرٌ . أَمَّا إذا قالها مخلصاً فيها ، ذا كَرَأَ  
لَمَنَّاها ، متحققاً بحقيقتها .. فإِنَّ كان بنفسه فهو في وطن التفرقة .. وعندهم <sup>(٤)</sup> هذا من الشُّرُكِ  
الغني ، وإن قالها بحق فهو الإخلاص . فالبدء يعلم أولاً رَبَّهُ بِدليلٍ وَجُوبَةٍ ؛ فَيُفْلِمُهُ بنفسه  
كُنْهِ .. وهو أصل الأصول ، وعليه يبنى كل علم استدلال <sup>(٥)</sup> ! ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان  
وزيادة الحجب ، ويتناقص علمه بنفسه لَتَقَبَّاتِ ذِكْرِ الله على القلب . فإذا انتهى إلى حال  
الشاهدة ، واستقلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك الحالة ضرورياً . وقُلْ إحساسه بنفسه  
حتى يصير علمه بنفسه كالاستدلال<sup>(٦)</sup> وكأنه غافل <sup>(٧)</sup> عن نفسه أو ناس لنفسه .

(١) آية ٢٨٥ سورة البقرة : « آمَنَ الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » .

(٢) آية ١١٤ سورة طه .

(٣) هنا يفرق القشيري بين التوحيد المنطوق باللسان ، والتوحيد عند أرباب الحقيقة .

(٤) أي عند أرباب الحقائق ، لأن أي شعور بالتبعية نتيجة عدم الإخلاص بنفس في التوحيد .

(٥) من هنا يتضح أن الصوفية لا يعملون العقل تماماً بل يترمون في مرحلة البداية من أجل تصحيح الإيمان ،  
ولكنهم لا يعملون عليه تماماً في بقية مراجعهم الروحية . وهذا رد حاسم على من يتكبرون على الصوفية حلافتهم بالعقل  
والعلوم العقلية .

(٦) في ص ( وكأنه قال ) وهي خطأ من النسخ كما هو واضح من السياق بعده .



وقال : **الذى على البحر ينصب عليه ما يأخذه من رؤية البحر ، فإذا ركب البحر قويت هذه الحالة ، حتى إذا غرق في البحر فلا إحساس له بشيء سوى ما هو مستغرق فيه ومستهلك<sup>(١)</sup> .**

**« واستغفر لذنبك » : أى إذا علمت أنك علت فاستغفر لذنبك من هنا ؛ فإن الحق — على جلال قدره — لا يملّه غيره<sup>(٢)</sup> .**

قوله حل ذكره : **« ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة**

**فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت المؤمنين في قلوبهم مرض ينتظرون إليك تطرأ الغشى عليه من**

**الموت . . .**

كان المسلمون تضيق قلوبهم ببقاؤهم الوحى ، وكانوا يتمنون أن ينزل الوحى بسرعة فقال تعالى : **« فإذا أنزلت سورة محكمة<sup>(٣)</sup> وذكر فيها القتال »** وأيت للناسين يكرهون ذلك لئلا كان يشق عليهم من القتال ، فكانوا يتنصعون عندئذ ، وكانوا ينظرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم — بنائية الكراهة .

**... فأولئ لهم .**

(١) القشيري هنا مستفيد من شيخه أبي عل النفاق حين أوضح مراحل التواجد فالوجد فالوجود قائلا : **« التواجد يوجب استيعاب العبد ، والوجد يوجب استغراق العبد ، والوجود يوجب استهلاك العبد ، فهو كمن فيه البحر ثم ركب البحر ثم غرق في البحر »** الرسالة ص ٣٧ .

(٢) يذكرنا هذا بقول رابعة بعد ليال قصتها في الصلاة والاستغفار : **« إن صلاتنا في حاجة إلى صلاة ، واستغفارنا في حاجة إلى استغفار »** كما يذكرنا بقول القشيري في موضع مائل : **« ... جلت الصدية من أن يستغفر من إدراكها بشيء »** ، وفي ذلك يقول أبو عبد الله الجلاء ( ت ٣٠٦ هـ ) :

كيفية المرء ليس المرء يدركها	كيفية كيفية الجبار في التقدّم ؟
هو الذى أحدث الأشياء ميتعاً	ككيف يدرك مستحدث القس ؟
( شذرات الذهب ٢٨ ص ٢٤٩ ) .	

(٣) قال قتادة : كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة . وقيل معناها ميتة غير متناهية : لا تعمل وجهاً إلا وجوب القتال .

تهديد<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « طاعةٌ وقولٌ معروفٌ » .

وهو قولهم : « لولا أنزلت سورة ... » .

ويقال : فأولى لهم طاعةٌ منهم لله ورسوله . « وقول معروف » بالإجابة لما أمرُوا به من الجهاد .

ويقال : طاعةٌ وقولٌ معروفٌ أمثلُ بهم .

قوله جل ذكره « فَلَمَّا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صدَقُوا اللهُ لَكَانَ خيراً لَهُمْ » .

إِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ — أَيْ جَدَّ وَغُرِضَ الْقِتَالُ — فَالصدقُ وَالْإِجَابَةُ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ كُذُوبِهِمْ وَتَقَاعُدِهِمْ عَنِ الْجِهَادِ .

قوله جل ذكره : « فَمَنْ تَوَلَّى مِنْكُمْ فَأَرْضُكُمْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ » .

أَي فَلَطَمَكُمْ إِنْ أَمَرْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ — بِمَعْنَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — وَرَجَعْتُمْ إِلَى مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ أَنْ تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ، وَتَفْسِكُوا أَلْمَاءَ الْحَرَامِ ، وَتَقَطُّوا أَرْحَامَكُمْ ، وَتَمُودُوا إِلَى جَاهِلِيَّتِكُمْ .

قوله جل ذكره : « أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فَاصْنَهُمْ وَأَمْحِ أَسْمَاءَهُمْ » .

أَصْنَهُمْ عَنِ سَمَاعِ الْحَقِّ وَقَبُولِهِ بِقُلُوبِهِمْ ، وَأَمْحِ بِأَسْمَائِهِمْ .

(١) يقول الشاعر :

وأول لله رٌ يُسَلِّبُ من مَرَدٌ	فأول ثم أول ثم أول
	وقال الأصمعي معناها : قارب ما يهلكه واقتد :
وأول أن يزيد حل الثلاث	فأدى بين حاديتين منها
	وقال المبرد : يقال لمن تمَّ بالسلب : أول لك ! أي : قاربك للسلب .

قوله جل ذكره: « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب

أغشاها » .

أى إن تدبروا القرآن أفنى بهم إلى العرفان ، وأراحهم من غلظة التحير .

« أم على قلوب أغشاها » : أقفل الحق على قلوب الكفار فلا يُدْخِلُهَا زاجرُ التنبيه ، ولا يتبسط عليها شعاعُ العلم ، فلا يحصل لهم فهمُ الخطاب ؛ فألبأ إذا كان مُقَفَّلًا .. فكما لا يدخل فيه شيء لا يخرج منه شيء ؛ كذلك قلوبُ الكفار مغلقة ، فلا الكفر الذى فيها يخرج ، ولا الإيمان الذى هم يدعون إليه يدخل فى قلوبهم .

وأهل الشرك والكفر قد سُدَّتْ بصائرهم وغطيت أسرارهم ، ولُبِسَ عليهم وجه التحقيق .

قوله جل ذكره: « إن الذين ارتدوا على أدبارهم من

بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سَوَّلَ

لهم وأمل لهم » .

الذى يطلع فجر قلبه ، ويتلا نوره التوحيد فيه ، ثم قبل متوع نهار إيمانه انكسفت شمس يومه ، وأظلم نهار عرفاته ، ودجا ليل شكه ، وغابت نجوم عقله .. غُذِّتْ عَنْ ظُلُمَاتِهِ .. ولا حرج (١)

[ ذلك جزاؤهم على معالائهم مع الناقين ، وتظلمهم .. فلذا تَوَهَّنَهُمُ لِللَّائِكَةِ تَصِلُ آلَامُهُمْ ، ولا تقطع به ذلك عقوباتهم ] (٢) .

قوله جل ذكره: « أم حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ » .

ليس الأمر كما توهموه ، بل الله يفضحهم ويكشف نواياهم ، ولقد أخبر الرسول عنهم ، وعرفه أعيانهم .

(١) القشيري هنا يشير إلى طريقة الصوفية ثم يفسحون تقديم مع الله ، ويتخلون عن طريق الإرادة بعد قطعهم مسافة قصيرة .

(٢) ما بين القوسين الكبيرين ساقط فى م وثابت فى ص .

قوله جل ذكره : « ولو نشاء لأرناكم قَلَمَرَهُمْ

بسيام وَلَتَشْرُقَهُمْ فِي لَعْنِ الْقَوْلِ » .

أى فى معنى الخطاب ، فالأَسِيرَةُ تَقُلُّ على السَّيرَةِ ، وما يخامر القلوب فَعَلَى الوجوه  
يلوحُ أثره :

لستُ بمن يُلدى ما هوان من كرامة

إنَّ الحبَّ والبغى على الوجه علامة

والمؤمنُ ينظر بنور القُرْآنَةِ<sup>(١)</sup> ، والعارفُ ينظر بنور التحقيق ، والوحدُ ينظر بالله  
فلا يستر عليه شيء<sup>(٢)</sup> .

ويقال : بصائرُ الصديقين غيرُ مَظْلَمَةٌ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سدوا كل  
خوخة غير خوخة أبي بكر »<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَلَنُبَوِّئَنَكُمْ حَقِّي نَعَمَ الْمُجَاهِدِينَ

مَنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنُبَوِّئُ أَخْبَارَكُمْ » .

بالابتلاء والامتحان تبين جواهرُ الرجال ، فيظهر المحملُ ، ويفتضح الماذقُ ، ويكشف  
للناثق ، فالذين آمنوا وأخلصوا نجوا وتخلصوا ، والذين كفروا وتناثقوا وقصوا<sup>(٤)</sup> فى الهوان  
وأذلُّوا ، ورسخوا بالشقاوة وقُطِعوا .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّيعُوا اللَّهَ وَاطِّيعُوا

الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ » .

(١) هكذا فى م وحى فى ص (يعين القُرْآنَةِ) . روى الترمذى والطبرانى من حديث أبي أمامة ، والترمذى  
من حديث أبي سعد ، والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى يثبتون صحيح عن أنس «اتقوا قرآنة المؤمنين فإنه ينظر بنور الله» .

(٢) يفيد هذا الكلام فى ترتيب القوم : مؤمن ثم عارف ثم موحى فالمرسلون أهل درجات السالكين .

(٣) يقول القشيري فى كتابه والمراتب : ص ٧٧ : « كان الصديق مخصوصاً من البصيرة بما لم ينص به غيره  
قال (ص) : « سدوا كل خوخة غير خوخة أبي بكر » . وذلك لما اقتضوا فى المسجد من كل دار خوخة ،  
والإشارة فيه أن للصديق ليس بمحتج من الإيسار بمجال » .

(٤) بَطَلَتْ (وقصوا) فى ص ، وموجودة فى م .

« لا تطلوا أعمالكم » : بآرياء والإعجاب وللإحفظه .  
 « لا تطلوا أعمالكم » : بالمساكنة إليها . « ولا تطلوا أعمالكم » بطلب الأعراض عليها .  
 « لا تطلوا أعمالكم » : بتوهمكم أنه يجب بها شيء دون فضل الله <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « فلا تهتؤا وتدعوا إلى السلم وأنتم  
 الأعلون والله ممكم » .

أي لا تميلوا إلى الصلح مع الكفار وأنتم الأعلون بالحجة <sup>(٢)</sup> .  
 أنتم الأعلون بالنصرة . قوله « والله ممكم » . أي بالنصرة ويقال : لا تفضوا بقلوبكم ،  
 وقوموا بالله ؛ لأنكم — والله ممكم — لا يفتي عليه شيء منكم ، فهو على النوام براكم .  
 ومن علم أن سيده يراه يتعمل كل مشقة مشتتلاً بروحه :

« ولن يقركم أعمالكم »

أي لا ينقصكم أجر أعمالكم .

قوله جل ذكره : « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن  
 تؤمنوا وتتقوا يؤتيكم أجوركم  
 ولا يئالكم أموالكم »

تجنبوا الشرك والمعاصي حتى يفتيكم أجوركم .

والله لا يئالكم من أموالكم إلا اليسير منها وهو مقدار الزكاة <sup>(٣)</sup> .  
 « إن يئالكم فئسفكم تبطلوا  
 ويخرج أضغانكم » .

(١) هذه الإشارة موجبة إلى الذين يزعمون أن الطاعة توجب على الله الثواب . ويرى القسري أنه لا وجوب على الله ؛ فكل شيء من فضله ؛ لأن طاعة العبد لا توجب لله شيئاً ، ومصلحته لا تلحق به سبحانه شيئاً . والله يغفر لمن يشاء ويطلب من يشاء .

(٢) منه هذا الحد انتهت النسخة م ، ولذا فإننا نقتد على النسخة ص في بقية السورة ، وهي مساحة كبيرة .

(٣) وهي على حد تعبير سفيان بن عيينة : شيع من فيض .

« الإحفاء » الإلحاح في السألة ... وهذا إنما يقوله لمن لم يُوقَّ شُحَّ نفسه ، فأما الإخوان ومن عَكَتْ رِيَّتُهُمْ في باب حرية القلب فلا يُسأَحون في استيفاءِ دَرَجَةٍ ، ويُطالَبون ببذل الروح ، والزام الترامات .

قوله جل ذكره : « ها أنتم هؤلاء تُدْعَوْنَ لَتَتَّقُوا

في سبيلِ اللَّهِ فَمَنْكُمْ مَنْ يَخْشَى اللَّهَ مِنْ يَخْشَى وَمَنْ

يَخْشَى فَلَمَّا يَخْشَى عَنْ نَفْسِهِ » .

الْيَخْشَى مَنْعُ الْوَجَابِ ، وإذا بخل فلَمَّا يَخْشَى عَنْ نَفْسِهِ لَأَنَّهُ لَوْ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَخَصَلَ لَهُ الثَّرَاءُ — هَكَذَا يَتَنَ .

وقوله جل ذكره : « وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ » .

« غَنِيٌّ » بنفسه على قول ، و« غَنِيٌّ » بوصفه على القول الثاني <sup>(١)</sup> . وغناه كونه لا تَتَقَدَّرُ مراداته . أما العبدُ فهو فقيرٌ بنفسه ؛ لأنه لا يَسْتَفِي من مولاة ؛ في الابتداء منذ خَلَقَهُ إلى الانتهاء ، وهو في دوام الأوقات مفتقرٌ إلى مولاة .

والفقيرُ الصَّاحِقُ مَنْ يَشْهَدُ انْفِتْقَارَهُ إِلَى اللَّهِ . وَصِدْقُ الْفَقِيرِ فِي شَهَادَةِ قَوْلِهِ إِلَى اللَّهِ . وَمَنْ افْتَقَرَ إِلَى اللَّهِ اسْتَفْنَى بِاللَّهِ ، وَمَنْ افْتَقَرَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَقَعَ فِي الذُّلِّ وَالْهَوَانِ .

وَيَقَالُ : اللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ طَاعَتِكُمْ ، وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى رَحْمَتِهِ .

وَيَقَالُ : اللَّهُ غَنِيٌّ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ لِأَنَّكُمْ لَا بَدِيلَ لَكُمْ عَنْهُ .

قوله جل ذكره : « وَإِنْ تَقُولُوا يُسْتَبَدَّلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ

ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ » .

يُسْتَبَدَّلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ بِكَوْنِهِمْ أَشَدَّ مِنْكُمْ طَاعَةً ، وَأَصْدَقَ مِنْكُمْ وِفَاءً ؛ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ أَمْثَالِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُونَ أَمْثَالَكُمْ فِي الصِّيَانِ وَالْإِعْرَاضِ وَتَرْكِ الشُّكْرِ وَالْوَفَاءِ ... بَلْ سَيَكُونُونَ خَيْرًا مِنْكُمْ .

(١) أي يمكن أن تكون من صفات الذات أو من صفات الفعل انظر « الفنى » في كتاب « التمهيد في التذكير » للإمام القشيري تحقيق د . بسيرى .

## سورة الفتح

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » تشير إلى سُموه في أزلِه ، وعلوه في أبدِه ؛ وُسُموه في أزلِه نَفْيُ البداية عنه بحقِّ القَدَم ، وعلوه في أبدِه نَفْيُ الانتهاء عنه باستحالة المَدَم ؛ فعرفة سُموه توجبُّ للعبد سُموًا ، ومعرفة علوه توجبُّ للعبدِ علوًا<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا » .

فتحنا لك قضاءً بيِّنًا ، وحكمتنا لك بتقوية دين الإسلام ، والنصرة على عدوك ، وأكرمناك بفتح ما اتفق على قلب من هو غيرك — من قَبْلِكَ — بتفصيل شرائع الإسلام ، وغير ذلك من فوحات قلبه صلوات الله عليه .

نزلت الآية في فتح مكة ، ويقال في فتح الحديبية<sup>(٢)</sup> .

ويقال : هديناك إلى شرائع الإسلام ، ويُسَمَّرُنا لك أمور الدين .

« ليفتر لك الله ما هُدم من ذنبك »

وما تأخر .

(١) واضح أن مذهب التشيكي في معرفة أسماء الله سبحانه لا يقتصر على المعرفة الكلاسيكية النظرية بل يتجاوز ذلك إلى التأديب بها ، والتخلق بأخلاق الله .. فالعمل مترتب على العلم (انظر مقصدنا لكتاب التحرير في التذكير) .

(٢) يقال هرب ... هرباً بين مكة والمدينة (رواية محمد بن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور ابن عفرمة وسروان بن الحكم) وأنها نزلت في سنة الحديبية . (كذلك في البحار في سماع قتادة عن أنس) . وقال السجستاني : « وبينما هو يفر قال . وقال مجاهد : كان نزع الحديبية آية عظيمة إذ نزع ماؤها فتح فيها قدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه . وقال الشعبي : هو نزع الحديبية ؛ فقد أصاب فيها ما لم يصب في غزوة : ففرقه له ذنبه ، وبيع بيعة الرضوان ، وأسلموا تغلّ غير ، وبلغ الهدى محله ، وظهرت الروم على القرس . »

كلا القسمين — للتقدم وللأختر — كان قبل النبوة<sup>(١)</sup> .

ويقال « ما تقدم » من ذنب آدم يحرمك ، « وما تأخر » : من ذنوب أمك<sup>(٢)</sup> .  
وإذا نُحِلَّ على ترك الأوَّل<sup>(٣)</sup> قد غفر له جميع ما فصل من قبيل ذلك ، قبل النبوة  
وبعدها<sup>(٤)</sup> .

ولما نزلت هذه الآية قالوا : هنيئاً لك يا فاضل الله تعالى :

« ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها .. » ويقال :  
حسان الأبرار سيئات القرين .

« وَبِمَنْ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ وَبِهِدْيِكَ صِرَاطًا  
مُسْتَقِيمًا » .

بِمَنْ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ بالنبوة ، وبوفاء العاقبة ، وببسط الشريعة ، وبشفاعته لأمته ، وبرؤية الله  
غداً ، [ ويظهر ديبه على الأديان ، وبأنه سيد ولد آدم ، وبأنه أَقْسَمَ بحياته ، وخصه بالبيان ]<sup>(٥)</sup> .  
وبسائر كلامه سبعانه ليلة المراج ، وبأن بقته إلى سائر الأمم .. وغير ذلك من مناقبه .

« وبهديك صراطاً مستقيماً » يثبتك على الصراط المستقيم ، ويزيدك هداية على هداية ،  
وبهدي بك اتلخق إلى الحق .

ويقال : بهديك صراطاً مستقيماً بترك خطأك .

« وينصرك الله نصراً عزيزاً » .

---

(١) نصّ القشيري على وقيل النبوة لأن الأنبياء موصوفون من القلب.

(٢) هذا أيضاً قول طه الأخراسي .

(٣) ترك الأول تعبير أدبي مذهب عن القلب . ويقال : كان القلب المتقدم على يوم بدر قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إن تلك هذه المصابة لا تميد في الأرض » . والقلب المتأخر كان يوم حنين حيث رمى جبرائيل في وجوه المشركين قائلاً : « شأحت الوجوه .. سم . لا ينصرونه » . فانهمز القوم عن آخرهم ، ولم يبق أحد إلا استلأت حنائه وملا وحسبائه . وعند عودة النبي مع أصحابه قال لهم : لو لم أدرهم لم ينهزموا ! فانزل الله عز وجل : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

(٤) رمى القوم من أنس أن النبي فرح بهذه الآية فرحاً شديداً وقال : لقد أنزلت على أبي أحب إلى ما عمل وجه الأرض .

(٥) ما بين القسمين الكبيرين موجود في ص وغير موجود في م .



لا ذلٌّ فيه ، ونكون غالباً لا يُنَالُكَ أَحَدٌ .

ويقال : ينصرك على هوالك ونفسك ، وينصرك بحسن خلقك ومقامك الأذى من قومك .  
ويقال نصراً عززاً : مُيزَ أ لك ولن آمن بك .

وهكذا اشتملت هذه الآية على وجوه من الأفضال أكرم بها نبيّه — صلى الله عليه وسلم — وخصّه بها من التفتح والظفر على النفس والمو ، ونيسر ما انطلق على غيره ،  
والمغفرة ، وإعلاء النعمة والمداية والنصرة . . ولكل من هذه الأشياء خصائص عظيمة .

قوله جل ذكره : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوبِ

للمؤمنين » . .

السكينة ما يسكن إليه القلب من البصائر والحجج ، فيرتقى القلب بوجودها عن حدِّ  
الفكرة إلى رَوْج اليقين وتلج القواد ، تنصير الموم ضرورة<sup>(١)</sup> . . وهذا للخواص .

فأما عوام المسلمين فالمراد منها : السكون والطمانينة واليقين .

ويقال : من أوصاف القلب فى اليقين للمعارف والبصائر والسكينة .

وفى التفسير : السكينة ربح هفافة . وقالوا : لها وجه كوجه الإنسان . وقيل لها جناحان .

« ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »

أى يثبت مع يقينهم وسكوناً مع سكونهم . نطلع أفار عين اليقين على نجوم علم اليقين ،  
ثم نطلع شمس حق اليقين على بذر عين اليقين .

« وفى جنود السموات والأرض وكان

اللهُ عليماً حكيماً » .

« جنود السموات والأرض » : قيل : هى جميع القلوب الدالة على وحدانية الله .

ويقال : ملك السموات والأرض وما به من قوى تنهر أعداء الله .

---

(١) أى لا يعود كسبه حيث لم يمه الإنسان من نفسه لنفسه شئ .

وقال : هم أَعصارُ دينه .

ويقال : ما سُلطه الحقُّ على شيء فهو من جنوده ، سواء سُلطه على وليِّه في الشدة والرخاء ، أو سُلطه على عدوه في الراحة والبلاء .

قوله جل ذكره : « لِيُدْخِلَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ » ، وكان ذلك

عند الله فوزاً عظيماً .

يَسْتُرُ ذُنُوبَهُمْ وَيَحْطُلُهَا عَنْهُمْ . . . وذلك فوزٌ عظيم ، وهو الظفرُ بالنبية<sup>(١)</sup> .

وسؤالُ كلِّ أحدٍ ومأموره ، ومُبْتَنَاهُ ومقصوده مختلفٌ . . . وقد وعدَ الجميع ظفراً به .

قوله جل ذكره : « وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ

وَالْمُشْرِكَاتِ ، الْفَاسِقِينَ بِاللَّهِ عَنَ السَّوْمِ

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْمِ » .

يُعَذِّبُهُمْ فِي الْأَجَلِ بِعَذَابِهِمْ وَسَوْءِ عِقَابِهِمْ .

و« عَنَ السَّوْمِ » : هو ما كان بنير الإخن ؛ غنونا أَنَّ الله لا ينصر دينه وتبَّيه عليه السلام .

« عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْمِ » : عاقبتهم تدور عليهم وتحقق بهم .

« وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ » : أي لم يكن عن فضل ، وحقت فيهم كلمته ، وما سبقت لهم — من الله سبحانه —

قِسْمَتُهُ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً » .

« أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً » : على أَمَّتِكَ يومَ القيامة . ويقال : شاهداً على الرُّسُلِ والكتب .

ويقال : شاهداً بوحدايتنا وربوبيتنا . ويقال : شاهداً لأَمَّتِكَ بتوحيدنا . « ومبشراً » :

لم منَّا بالثواب ، « ونذيراً » للخلق ؛ زاجراً ومُحَذِّراً من المعاصي والمخالفات .

---

(١) هكذا في م وهو في ص بالنسبة .

وقال : شاهداً من قَبَلِنَا ، وَمُبَشِّرًا بَأَمْرِنَا ، وَنَذِيرًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَنُؤَاتِيَنَّكَ .

قوله جل ذكره : « لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُؤْمِّرُوهُ وَتُؤْفِقُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » .

قرئ<sup>(١)</sup> : « لَيُؤْمِنُوا » بالياء ؛ لأن ذكر المؤمنين جرى ، أى ليؤمن المؤمنون بالله ورسوله ويعزروه وينصروه أى الرسول ، وتوفقوه : أى يُعْقِلُوا الرسولَ . وتُسَبِّحُوهُ : أى تُسَبِّحُوا الله وتزهوه بكرة وأصيلًا<sup>(٢)</sup> .

وقرئ<sup>(٣)</sup> : « لَتُؤْمِنُوا » — بالياء — أياً للمؤمنون بالله ورسوله ونُؤْمِّرُوهُ — على الخطابية . وتُؤْمِّرُوهُ يكون بإنثاءه بكل وجه على نفسك ، وتقدم حكمه على حكمك . وتوفقوه يكون بتابع سنته ، والعلم بأنه سيّدُ برئته<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ » .  
وهذه البيعة هى بيعة الرضوان بالمدينة تحت شجرة<sup>(٥)</sup> .

وذلك أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث عثمان رضى الله عنه إلى قريش ليُكَلِّمَهُمْ فَأَرْجَفُوا بِقَتْلِهِ . وأتى عروة بن مسعود<sup>(٦)</sup> إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال :  
جئت بأوشاب الناس لتفض بيضتلك يديك ، وقد استمدت قريش لتتالك ، وكأني بأصحابك

- (١) قراءة ابن كثير وابن عيينة وأبو عمرو .. وكذلك وسبحوه بالياء ، والبايئون بالياء على الخطاب .  
(٢) ونلاحظ أن القشيري قد توقف قبل تسبحوه فجعلها بالياء ، وهناك من المفسرين من يرى ذلك أيضاً (انظر القزطلي ص ١٦٨ ص ٢٦٧) .  
(٣) عززت الرجل أى رددت عنه ونصرته وأيدته — وهو من الأعداد — لأنه قد بأت بمعنى أدبته ولئسنته .  
(٤) إشارة إلى قوله تعالى : وقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة والسرة : شجرة الطلع .  
(٥) جاء فى السيرة لابن اسحاق ص ٣ ص ٧٧٨ :  
بعد أن خرج الرسول صلى الله عليه وسلم عام المدينة يريد زيارة البيت ، فلما سمعت قريش بذلك امتدعت لقتاله مع أنه لم يكن يهوى قتالا وتماعبت السفراء به وبيتهم ، وكان كل سفير من قريش يلعب إلى النبي ثم يعود ليقع قريش بحقيقة نية النبي ولكهم كانوا لا يرضون بما جاء به ، حتى جاء دور عروة بن مسعود انتهى — وهو عنه قريش غير ستم وقال النبي وإن قريش قد خرجت منها المود المظالم ، قد ليسوا جلود الثور ، يباعدون الله لا تدخلها أبداً عليهم حنة . وحيثما قال عروة : وإيم الله لكأن هؤلاء — يريد أصحاب الرسول — قد انكشفوا منك غداً . فانبرى أبو بكر قائلاً : أئمن نكشفه مع ... الخ .

قد انكشوا عنك إذا منهم حرّ السلاح ! قال أبو بكر : أنظن أنا نعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فبايهم النبي صلى الله عليه وسلم على أن يُقاتلوا وألا يهزروا<sup>(١)</sup> ، فأنزل الله تعالى :  
« إِن الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ : أَى عَقْدُكَ عَلَيْهِمْ هُوَ عَقْدُ اللَّهِ .

قوله جل ذكره : « يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » .

أى « يد الله » : فى اللنة عليهم بالتوفيق والمداية<sup>(٢)</sup> : « فَوْقَ أَيْدِيهِمْ » بالوفاء حين بايعة .  
ويقال : قدرة الله وقوته فى نصرته دينة ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فوق نصرهم لدين الله ولرسوله .

وفى هذه الآية تصريحٌ بين الجمع<sup>(٣)</sup> كما قال : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى »  
قوله جل ذكره : « فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ »  
أى عذاب النكث عائدٌ عليه .

« وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْرُ يَدِ  
أَجْرًا عَظِيمًا » .

أى من قام بما عاهد الله عليه على التمام فمِثْرُ يَدِ أَجْرًا عَظِيمًا .  
وإذا كان العبد بوصف إخلاصه ، بما أمل الله فى شئ هو به متحقق ، وله بقلبه شاهدٌ  
فإن الوساطة التى تظهرها أماراتُ التعريفات تجعله محمواً فى أسرارِهِ . . والحكم عندئذ راجعٌ  
إلى الواحد — جل شأنه<sup>(٤)</sup> .

(١) قال جابر بن عبد الله بايعة رسول الله (ص) تحت الشجرة على الموت وعلى ألا نفر فبايعة نكث أحد منا البيعة إلا جدد بين يديهم وكان مثاقفاً اخيراً تحت بطر بغيره ولم يسرع القوم .

(٢) نلاحظ أن التفسير هنا يقول اليد حتى يبنى عن الله الاتصاف بالجارحة .

(٣) أنت حين بايعة أو حين ربيت فأنت من حيث الظاهر تقوم بمثل وأنت فى حال الفرق ، ولكن الحقيقة أنه لا فاعل إلا الله فتمت التوفيق والهداية والإصابة . . وهذا هو حال الجمع . وبمقدار ما يكون العبد فى منزلة التمكن وبمبدأ من التلوين يكون دنوه من حال الجمع ، إلى بعدها حال جمع الجمع . . وبيننا صل الله عليه وسلم كان عنده إذ هو صلوات الله عليه محمول لا متحمل ؛ أى يربيه لا ينضه .

(٤) أى إذا أقصى العبد يقينه من الفرقان عندئذ فيكون نقطة وما يظهر عليه من الله وبائه .

قوله جل ذكره : « سيقول لك المخفون من الأعراب

شغللتنا أموالنا وأهلونا فلنستغفر لنا

يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم »

لما قصد رسول الله عليه وسلم التوجه إلى الحديبية تخلف قوم من الأعراب عنه . قيل : هم أسلم وجهينة وغفار ومزينة وأشجيم ، وقالوا : « شغللتنا أموالنا وأهلونا » وليس لنا من يقوم بشأنا وقالوا : انتظروا ماذا يكون ؛ فقام في قريش إلا أكلة رأس<sup>(١)</sup> . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوه مُتَتَرِّين بأنه لم يكن لهم أحد يقوم بأمرهم ؛ وقالوا : استغفر لنا .

فأطلعهم الله — سبحانه — على كذبهم ونفاقهم ؛ وأنهم لا يقولون ذلك اخلاصاً ، وهـدم سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، فإنيهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم .

« قُلْ قَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ

أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ

اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُخِيرُ »

فَضَحَّعَهُمْ . ويقال : ما شغل المبد عن الله شؤم عليه .

ويقال : عُذْرٌ لِلْمَآذِ فِي تَوْبَةٍ لِلنَّافِقِ كَلَامُهَا لَيْسَ حَقَاقٍ .

قوله جل ذكره « بَلْ عَلَّانُمُ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ

إِلَى أَهْلِهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ

وَعَلَّانُمُ ظَنُّ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا » .

حسبتم أن لن يرجع الرسول والمؤمنون من هذه السفرة إلى أهلهم أبداً ، وزَيَّنَتْ لَكُمْ الْأَمَانِي الْأَيْمُودُوا ، وَأَنَّ اللَّهَ لَنْ يَنْصَرَهُمْ . « وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا » أي هالكين فاسدين .

---

(١) أي هم قليل .

ويقال : إنَّ العدوَّ إذا لم يقدر أن يكيدَ بيده يتمنى ما تتناصر عنه مُكْبِتُهُ ، وتلك صفةُ كلِّ عاجزٍ ، ونمتُ كلَّ لثيم . ثم إنَّ الله — سبحانه — بعكس ذلك عليه حتى لا يرتفع مراده « ولا ينجي المكرُ السيِّئ إلا بأهله <sup>(١)</sup> » .

ويقال : من العقوبات الشديدة التي يماقِبُ اللهُ بها المُبْطِلُ أنْ يتصوَّرَ شيئاً يتنَّاه ويومِنُ نفسه عليه لفرط جهله . ويُلقى الحقُّ في قلبه ذلك التمتي حتى تسول له نفسه أن ذلك كالكائن .. ثم يعذبه اللهُ بامتناعه .

قوله جل ذكره : ومن لم يؤمن بالله ورسوله فلأنَّا اعتدنا للكافرين سيراً «

وما هو آت قريب . . . وإنَّ الله ليرضى عننا الظلمةَ ثم لا يفلتون من عقابه . . . وكيف — وفي الحقيقة — ما يحصل منهم هو الذي يحرمه <sup>(٢)</sup> عليهم ؟

قوله جل ذكره : « ولله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُنفِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفوراً رحيماً »

ينفرُ — وليس له شريك يقول له : لا تفعل ، ويعذب من يشاء — وليس هناك مانع عن فعله بقول له : لا تفعل .

قوله جل ذكره : « سَيَقُولُ الْمُشْكِكُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَوَاقِمَ لِلتَّحْزِينِ أَخَذْتُمْ حُرُوبًا تَقْبَحُكُمْ يَوْمَ تَدْعُوا اللَّهَ لِنَصْرِكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ »

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لما رجعوا من الحديبية وعدم الله خير ،

(١) آية ٤٣ سورة فاطر .

(٢) حكنا في ص رمي في (بحر) بالزاي وقد رجحنا (بحر) أولاً لاتصالها بمنعش لثيم وكون الله — في الحقيقة — فاعل كل شيء سي أكساب العباد . وثانياً لأنها لو كانت بالزاي لقال : يجرهم عليه .

وَأَنَّ فِيهَا سِيفَةٌ بِأَعْدَائِهِ ، فَلَمَّا هَمَّ بِالنَّجْوَى أَرَادَ مَوْلَاهُ الْخَلْفُونَ أَنْ يَتَّبِعُوهُ لَاعْلَوْا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّمَا يُخْرَجُ مَعِيَ إِلَى خَيْرٍ مِنْ خُرُجِي إِلَى الْحَدِيثِ ، وَاللَّهُ بِذَلِكَ حَكَمٌ أَلَا يُخْرَجُوا مَعَنَا »

قَالَ الْمُتَخَلِّفُونَ : إِنَّمَا يَقُولُ لِلَّذِينَ هُمْ ذَلِكَ حَسَدًا لَنَا ؛ وَلَيْسَ هَذَا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ لِيُكَذِّبَهُمْ ، وَلِيُبَيِّنَ حُكْمَهُ أَلَا يَسْتَصِحُّهُمْ فَهُمْ أَهْلُ مِلْعَةٍ ، وَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا مَرَادَهُمْ ، وَرَدُّوا بِالْمَلَّةِ وَافْتَضَحَ أَمْرُهُمْ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « قُلْ لِلْمُتَخَلِّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرَةٌ مِنْ

إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأُسْرٍ شَدِيدٍ قَاتِلُونَهُمْ  
أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تَطَلَّعُوا بِوَيْتِكُمْ اللَّهُ  
أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَأَن تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ  
يُغْذِبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا »

جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْإِمَامَةِ أَصْحَابُ مَسِيلَةٍ — وَقَدْ دَعَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ وَحَارِبُهُمْ ، فَلَايَةُ تَدُلُّ عَلَى إِمَامَتِهِ . . وَقِيلَ هُمْ أَهْلُ فَارَسَ — وَقَدْ دَعَاهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَحَارِبُهُمْ ؛ فَلَايَةُ تَدُلُّ عَلَى حُجَّةِ إِمَامَتِهِ . وَحُجَّةُ إِمَامَتِهِ تَدُلُّ عَلَى حُجَّةِ إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ . « أُولَى بِأُسْرٍ شَدِيدٍ » أُولَى شَدَّةً . فَإِنْ أَطْلَعْتُمْ اسْتَوْجِبْتُمُ الثَّوَابَ ، وَإِنْ تَخَلَّفْتُمْ اسْتَحَقَقْتُمُ الْعِقَابَ . وَذَلِكَ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَمْجُوزُ أَنْ تَكُونَ لِلْعَبْدِ بَدَايَةُ غَيْرِ مُرَضِيَةٍ ثُمَّ يَتَغَيَّرُ بِمَدْعَا إِلَى الصَّلَاحِ — كَمَا كَانَ لِمَوْلَاهُ وَأَنْشَدُوا :

إِذَا قَسَدَ الْإِنْسَانُ بَدَّ صِلَاحَهُ

فَرَجَّ لَهُ عَوْدَةُ الصَّلَاحِ . . لَمَّا

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) المِثْرَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي إثْبَاتِ حُجَّةِ الْإِسْلَامِ جَاءَتْ فِي مَوْضِعٍ لَمْ تَرُدَّ فِي مَوْضِعٍ .

يُدخله جنات تجري من تحتها الأنهارُ  
ومن يقولُ «يُذْهِبُ عَنَّا يَا أَلِيا»

هؤلاء أصحاب الأعدار . . . رفع عنهم الحرجَ في عطفهم عن الوقفة في قتال المشركين .

وكذلك من كان له عُذرٌ في الجاهدة مع النفس . . . فإنَّ الله يحبُّ أنْ توفى رُخصه كما  
كما يجب أن توفى عزائه<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « قد رَضِيَ اللهُ عن المؤمنين إذ

يبايعونك تحت الشجرة فَكَلِمَ ما في قلوبهم

فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَمَّا بِهِمْ فَتَحًا قَرِيبًا » .

هذه بيعة الرضوان ، وهي البيعة تحت الشجرة بالحديبية ، وسميت ببيعة الرضوان لقوله تعالى

« قد رَضِيَ اللهُ عن المؤمنين . . . » .

وكانوا اثناً وخمسةً وقيل وثلاثاً وقيل وأربعمائة . وكانوا قصدوا دخول مكة ، فلما بلغ  
ذلك للمشركين قابضهم صائدٌ لهم عن المسجد الحرام مع أنه لم يكن خارجاً لحرب ، قصده  
المشركون ، ثم صلحوا على أن ينصرفَ هذا العام ، ويقيم بها ثلاثاً ثم يخرج ، (وأن يكون  
بينه وبينهم صلح عشرة أعوام يتدخل فيها الناس ويأمن بعضهم بعضاً)<sup>(٢)</sup> وكان النبي قد رأى في  
منامه أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين ، فبشر بذلك أصحابه ، فلما صدعهم المشركون خامر قلوبهم  
شوق ، وعادت إلى قلوب بعضهم همةٌ حتى قال الصديق : لم يُقَلَّ العام ! فسكنت قلوبهم بنزول  
الآية ؛ لأنَّ الله سبحانه علم ما في قلوبهم من الاضطراب والتشكك . فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ في قلوبهم ،

(١) هذه لفظة عامة جداً ، حيث لم تصدر من الكثيرة في سائر مصنفاته أن يستجيز الرخصة . وربما هو  
يحدث هنا من عامة المسلمين ، ولكن حينئذ يتحدث عن الصوفية يعتبر الجور إلى الرخصة بمثابة نسخ عقد الإرادة  
(أنظر الرسالة ص ١٩٩) .

(٢) ما بين الأقواس كلمة من معناها اعتماداً على المصادر المختلفة . أوردناها ليوضح الساق



وَيُثَبِّتُ الْيَقِينَ . وَأَتْلَاهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا « هو فَتَحُ خَيْرٍ بِمدَّةٍ بَسِيرَةٍ ، وَما حَصَلُوا عَلَيْهِ مِنْ مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ . وَقِيلَ مَا يَأْخُذُوكَ إِلَى يَوْمِ الْبَيِّنَاتِ <sup>(١)</sup> .

وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَخَطَّرَ بِبَالِ الْإِنْسَانِ خَوَاطِرُ « مُشْكِكَةٍ ، وَفِي الرَّيْبِ مَوْقِفَةٌ ، وَلَكِنْ لَا عِبْرَةَ بِهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا لَازِمَ التَّوْحِيدُ قَلْبَهُ ، وَقَارَنَ التَّحْقِيقُ سِرَّهُ فَلَا يَضُرُّهُ كَيْدُ الشَّيْطَانِ ، قَالَ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا فَلَا ظَنَّهُمْ بِمَبْصُورٍ « <sup>(٢)</sup> .

« وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ تَأْخُذُوكُمَا » وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَنْفَعُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْبَيِّنَاتِ فَجَعَلَ لَكُمْ هَذِهِ — يَمْنَى خَيْرٍ <sup>(٣)</sup> ، وَقِيلَ : الْحَدِيثِيَّةُ .

« وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ » لِمَا خَرَجُوا مِنَ الدِّينَةِ حَرَمَهُمُ اللَّهُ ، وَحَفِظَ عِيَالَهُمْ ، وَحَيَّيْنَتَهُمْ حِينَ هَبَّ الْيَهُودُ <sup>(٤)</sup> فِي الدِّينَةِ بِمَدِّ خُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ ، فَفَعَلَهُمُ اللَّهُ عَنْهُمْ .

أَوْ يُقَالُ : كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِيَّةِ .

« وَلَتَكُونَنَّ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا »

لَتَكُونَنَّ هَذِهِ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَعِلَامَةً يَسْتَعْدِلُونَ بِهَا عَلَى حِرَاسَةِ اللَّهِ لَهُمْ .

« وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا » : فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَالثَّقَّةِ بِهِ .

وَيُقَالُ : كَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنِ الْعِبَادَةِ أَنْ يَرْتَزِقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، لِأَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَتَكَفَّفَ النَّاسُ .

وَيُقَالُ : أَنْ يَرْتَقِعَ عَنْهُ أَيْدِيَ الظُّلَمَةِ .

---

(١) هَذَا أَيْضًا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَجَمَاهُ .

(٢) آيَةُ ٢٠١ سُورَةِ الْأَعْرَافِ .

(٣) يُرْجَعُ أَنَّهَا غَيْرُهَا ، لِأَنَّ الْحَدِيثِيَّةَ كَانَ فِيهَا صِلَعٌ .

(٤) يُرْجَعُ الْعِبَارَةُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ كَفَّ أَيْدِيَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْحَدِيثِيَّةِ مَذْكُورٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :

« وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ »

ويقال : ألا تمحله المطالبة بسبب كثرة اليال وتعتهم الكبيرة على انظر بدينه ؛ فيأخذ من الأحياء — برخصة التأويل — ما ليس بهيئته (١) .

قوله جل ذكره : « وأخرى لم تحذروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً »

قيل : ففتح الروم وقرس (٢) . وقيل : ففتح مكة (٣) .

وكان الله على كل شيء قديراً : فلا تسقوا بنوره قلوبكم .

قوله جل ذكره : « ولو قاتلكم الذين كفروا لولاوا الأديار ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً »

يعني نخير وأسد وعصفان وغيرهم — لو قاتلكم لانهزموا ، ولا يجدون من دون الله ناصرأ  
قوله جل ذكره : « مُسِنَّةٌ اللهُ التى قد خَلَّتْ من قبل  
وَلَنْ تَجِدَ لِسِنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا »

أى مُسِنَّةٌ اللهُ خَلَّتْهم ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

قوله جل ذكره : « وهو الذى كفَّ أيديهم عنكم

وأيديكم عنهم يبطن مكة من بعد أن

أنظركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً »

قيل إن سمين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التميم متسلعين يريدون قتله (فأخذناهم سِلْماً فاستحييناهم) فأنزل الله هذه الآية في شأنهم (٤) .

(١) مرة أخرى تلبه إلى إضافة هذا الكلام إلى حوقف التشيرى من الرخصة ومداها .

(٢) قال ابن عباس : هي أرض فارس والروم وجميع ما قصه المجلدون . وهو قول الحسن ومقاتل وابن أبي نيل .

(٣) عن الحسن أيضاً وقناة ، وقال عكرمة : حين .

(٤) في س ، وم (فأخذناهم سِلْماً) ، وما خطأ في النسخ ، فالرواية عن يزيد بن حارون قال : أخبرنا حماد ابن سلمة عن ثابت عن أنس أن (ثمانين) رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي (ص) من جبل التميم متسلعين يريدون —

وقيل أخذ اثني عشر رجلا من المشركين - بلا عَهد - فنَّ عليهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> وقيل : هم أهلُ الحديبية كانوا قد خرجوا لمنع المسلمين ، وحصل تراضٍ الأجر بينهم ؛ فاضطروهم للمسلمين إلى بيوتهم ، فأنزل الله هذه الآية بين عليهم حيث كف أيدي بعضهم عن بعض عن قدرة من المسلمين لا عن عجز ؛ فأما الكفار فكفوا أيديهم رُعباً وخوفاً ؛ وأما المسلمون فتَهيَّأوا من قِبَلِ الله ، لما في أصلاهم من المؤمنين - أراد الله أن يخرجوا ، أو ليأعلم أن قوماً منهم يؤمنون .

والإشارة فيه : أن من التهمة الباردة والنم السنية أن يَنتم الناسُ منك ، وتسلم منهم . وإن الله فضل بأوليائه ذلك ، فلا من أحد عليهم حيفٌ ، ولا منهم على أحد حيفٌ ولا حسابٌ ولا مطالبة ولا ملجٌ ولا معاتبة ، ولا صداقة ولا عداوة . . وكذا من كان بالحق - وأنشدها :

فلم يبق لي وقتٌ في كسرِ مُحَايِفِ

ولم يبق لي قلبٌ لذكرِ موافقِ .

« قوله جل ذكره : » هم الذين كفروا وصدّوكم عن المسجدِ

الحرام والمهدى معكوكاً أن يبلغَ محله »

« كفروا » وجحدوا ، « وصدّوكم » ومنعوكم عن المسجد الحرام سنة الهدية .

« والمهدى معكوكاً<sup>(٢)</sup> » أي منعوا المهدى أن يبلغَ منجره ، فمعكوكاً حالٌ من الهدى

أي محبوساً .

— مرة ( أن يعيبوه على غفلة ) رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فأخذواهم مسلّاً فاستعينا بهم . ( أي أغفروا تهوراً وأسلموا أنفسهم ) وقال ابن الأثير : السلم ( يكرس السنين وتضيق اللسان في الصلح ) . وفي رواية تنادي أن النبي سألهم : هل لكم حل فذة ؟ ( أي عهد ) قالوا : لا ، فأرسلهم فزلت .

وفي رواية الترمذي أنهم ثمانون رجلاً هبطوا عليه عند صلاة الصبح ، فأخذهم وأحضرهم . وذكر ابن هشام أنهم يسمون الصفاة .. ومنهم مطوية وأبوه .

(١) عن قتادة - أن المشركين رموا رجلاً من أصحاب النبي يقال له زُئيم يسهم فقتلوه ، فبغت النبي فبلا تأثر بالثني عشر ظارفاً من الكفار ، فقال لهم النبي ( زئيم ) : هل لكم حل فذة ؟ ... الخ .

(٢) في البخاري عن ابن عمر قال : خرجنا مع رسول الله ( صلى ) مشيرين فمال كدار قريش فوق البية فخر الرسول وعلق رأسه ، فخرهوا بغيره وعلقوا ، وقد غضب الرسول من توقف عن ذلك .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ساق تلك السنة سبعين سنة .

قوله جل ذكره : « ولولا رجالٌ مؤمنونٌ ونساءٌ

مؤمناتٌ لم تعلموا أن تطهروا <sup>(١)</sup> فخصيكم  
منهم مَعْرَةً بغير علم ليدخل الله في رحمته  
من يشاء »

لو تسلط عليهم لأصابتهم معرة ومضرة منكم بغير علم لسلطناكم عليهم ولأنقرناكم بهم .  
وفي هذا تعريف للبد بأن أموراً قد تنلق وتنتسر فيضيق قلب الإنسان . . والله في ذلك  
سيرٌ ، ولا يدم ما يجري من الأمر أن يكون خيراً للبد وهو لا يدري . . كما قالوا :  
كم مرة خفت بك السكارة خير لك الله . . وأنت كاره

قوله جل ذكره : « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم  
الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته  
على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم  
كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها  
وكان الله بكل شيء عليا »

يعني الألفة <sup>(٢)</sup> ؛ أي دقتهم ألفة الجاهلية أن يمتصوكم عن السجد الحرام سنة الحديبية ،  
فأنزل الله سكينته في قلوب المؤمنين حيث لم يقابلهم بالخلاف والحاربة ، ووقفوا واستقبلوا  
الأمر بالعلم .

« وألزمهم كلمة التقوى » وهي كلمة التوحيد تصدروا عن قلب صادق : فكلمة التقوى  
يكون معها الاتقاء من الشرك .

---

(١) أن تطهروا : بالتثنية والإيقاع بهم . يقال وطئت القوم : أي أوقعت بهم . فجواب لولا محذوف والمنى :  
ولو أن أنثرا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموا لأن الله لكم في دخول مكة ، ولسلطكم عليهم ، ولكننا  
صنا من كان فيها بكم وإيمانهم .  
(٢) مكلفاً في م وهي في ص (الآية) وقد رجعنا الأولى ..

« وكانوا أحقُّ بها » حسب سابق حُكْمِهِ وقَدِيمِ<sup>(١)</sup> عِلْمِهِ ... وكان الله بكل شيء عليمًا ،  
ويقال : الإِزامُ في الآية هو إِزامُ الإِكرامِ ولطف ، لا إِزامُ الإِكرامِ وعُنفٍ ؛ وإِزامُ برِّ  
لا إِزامُ جبر . .

وكم بأسطين إلى وصلنا

أَكفهمو ... لم يتلوا نصيبا !

ويقال كلمة التوى : التوامى بينهم يحفظ حق الله .

ويقال : هي أن تكون لك حجة فقال الله ولا تبديها للناس .

ويقال : هي سؤالك من الله أن يحرُكَكَ من اللامع .

قوله جل ذكره : لقد صدَّقَ اللهُ رُسُلَهُ الرؤيا بالحقِّ  
لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الحرامَ إِن شَاءَ اللهُ  
آمَنِينَ مُحَقَّقِينَ رُحُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ  
لا تخافون فليعلم ما لم تعلموا فجعل من دون  
ذلك فصحا قريبا . .

أى صدقه<sup>(٢)</sup> في رؤياه ولم يكذبه ؛ صدقه فيما أراه<sup>(٣)</sup> من دخول مكة « آمَنِينَ مُحَقَّقِينَ  
رُحُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ » كذلك أراه لما خرج إلى الحديبية وأخير أصحابه . فوطئ أصحابه غُوسَهُمْ  
على دخول مكة في تلك السنة . فلما كان من أمر الحديبية عاد إلى فلوب بعص المسلمين شيء ،  
حتى قيل لهم لم يكن في الرؤيا دخولهم في هذا العام ، ثم أذن الله في العام القابل ، فأُتِيَ اللهُ :  
« لقد صدقَ اللهُ رُسُلَهُ الرؤيا بالحق » فكان ذلك تحقيقا لما أراه ، فرؤياه صلوات الله عليه حق ؛  
لأن رؤيا الأنبياء حق .

(١) صكَّأى : صومى في م ( وقفه ) وقد رجعت الأول .

(٢) أى على حدِّ الجار كقوله تعالى : وصفوا ما عاهدوا الله عليه . ؟

(٣) إشارة إلى الرؤيا التي أراه إليها من دخوله وصحبه مكة آمَنِينَ .

وكان في ذلك نوعُ امتحانٍ لهم : « فلم مالم تملوا » أنتم من الحكمة في التأخير <sup>(١)</sup> .  
 وقوله : « إن شاء الله » ممناه إذ شاء الله قوله : « إن كنتم مؤمنين »  
 وقيل : فلما على جهة تنبيههم إلى التأذُّب بتقديم الشيئة في خطابهم <sup>(٢)</sup>  
 وقيل يرجع تقديم الشيئة إلى : إن شاء الله آمين أو غير آمين .  
 وقيل : يرجع تقديم الشيئة إلى دخول كلمتهم أو دخول بعضهم ؛ فإن الدخول كان بعد سنة ،  
 ومات منهم قومٌ .

قوله جل ذكره . « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين  
 الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله  
 شهيداً » .

أرسل رسوله مجداً صلى الله عليه وسلم بالدين الحق ، وشريعة الإسلام ليظهره على كل  
 ما هو دين <sup>(٣)</sup> ؛ فإما من دين لقوم إلا ومنه في أيدي المسلمين سرٌّ ؛ وللإسلام البرزاة والقبلة عليه  
 بالحجج والآيات .

وقيل : ليظهره وقت نزول عيسى عليه السلام <sup>(٤)</sup> .

وقيل : في القيامة حيث يظهر الإسلام على كل الأديان .

وقيل : ليظهره على الدين كله بالحجة والدليل .

قوله جل ذكره . « محمد رسول الله والذين معه أشداءُ  
 على الكفار رحماءُ بينهم »

(١) قد تكون الحكمة في التأخير هو ما يحدث لم من الخير والصلاح والتفوق وكثرة العدد ، فإنه عليه السلام  
 رجع من هذا إلى غير فافتتحها ، ورجع بأموال وعدة ورجال أضاف ما كان عليه في ذلك العام ،  
 وأقبل على مكة في أمة وعدة . بذلك على ذلك أنهم كانوا عام الهديبية سنة ست عديم ألف وأربعمائة ، وكانوا بعده  
 عشرة آلاف .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى : هو لا تقولان لشيء إنى فاعل ذلك نداء إلا أن يشاء الله .

(٣) أى من (الدين) في الآية اسم جنس ، أو اسم بمعنى المصدر ، ويستوى فيه المفرد والجمع .

(٤) أى عند نزوله لا يبق على وجه الأرض كافر .

« أشداء » . جمع شديد ، أى فيهم صلابة مع الكفار .

« رجاء » . جمع رجيم ، وصفهم بالرجة والثوالة فيما بينهم .

« ... تراهم ركعاً سجداً آييتون فضلاً من الله ورضواناً »

تراهم راكعين ساجدين يطلبون من الله الفضل والرضوان .

« ... سيأثمون في وجوههم من أثر السجود »

أى علامة التضعف التى على الصالحين .

ويقال : هم فى القيامة يوم تبيضُ وجوهٌ ، وأنهم يكرنون غداً محيطين .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار »<sup>(١)</sup>

ويقال فى التفسير : « مه » أبو بكر ، و « أشداء على الكفار » عر ؛ و « رجاء بينهم :

عثمان ، و تراهم ركعاً سجداً » على رضى الله عنهم<sup>(٢)</sup>

وقيل : الآية عامة فى المؤمنين .

« ذلك مثلمهم فى التوراة ومثلهم

فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره

فاستنطق فاستوى على سوتة<sup>(٣)</sup> يصحبه

الزراع ليقيظ بهم الكفار » .

هذا مثلمهم فى التوراة ، وأما مثلمهم فى الإنجيل فكزرع<sup>(٤)</sup> أخرج شطأه أى : فراخه .

---

(١) جاء فى سنن ابن حبانة : حدثنا إسحاق بن محمد الطلسي قال حدثنا ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كثرت صلاته ... » وقال ابن العربي : هو مدحوس على وجه اللطع .

(٢) هكذا فى م أما فى ص فلم يرد ذكر الصحابة ورضوان الله عليهم سوى الجزء الأخير الخاص ببل كرم الله وجهه ، وقد يمكن لو تركنا ما جاء فى هامش ص ٤٢٥ - أن نستنبط أن فاعل ص - الذى هو فاعل الأصل كما قلنا فى مدخل الكتاب - ربما كان شيعياً .

(٣) فعل هذا يجوز الوقف على (التوراة) ثم يستأنف الكلام فيكون هناك مطلق . وقال مجاهد : هو مثل واحد . وعند النسب : مكتوب فى الإنجيل : سخرج قوم يفتنون نبات الزرع وأمرون بالمعروف ويمنون عن المنكر (ص ١٦٤) .

يقال : أشطأ الزرعُ إذا أخرج صفاره على جوانبه . « فآزره » أى علونه . « فاستنظ » أى غلظ واستوى على سوقه ؛ وآزرت الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض . يجب هذا الزرعُ الزراع ليغبط بالمسلمين الكفار ؛ شبه النبي (صلى الله عليه وسلم) بالزرع حين تخرج طاقه واحدة ما ينبت حولها فتشدد ، كذلك كان وحده في قوة دينه بمن حوله من المسلمين .

فَسَنَ حمل الآية على الصحابة : فمن أبنضهم دخل في الكفر ، لأنه قال : « ليغبط بهم الكفار » أى بأصحابه الكفار . ومن حمل على المسلمين ففيه حجة على الإجماع ، لأن من خاف الإجماع — فانه ينافي به الكفار — فمخالف الإجماع كافر

قوله جل ذكره : « وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ

مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

وَعَدَ المؤمنين والمؤمنات مغفرة للذنوب ، وأجرًا عظيمًا في الجنة قوله : « منهم » للجنس أو للذين ختم لهم منهم بالإيمان .



## بسم الله الرحمن الرحيم

[ « بسم الله » : إخبارٌ عن وجود الحقّ بنعتِ  
الْقِدَمِ .

« الرحمن الرحيم » : إخبارٌ عن بقاءه بوصفِ  
القِلاهِ والكَرَمِ .

كاشَفَ الأرواحَ بقوله : « بسم الله » فَهَيَّيْهَا .  
وكاشَفَ النفوسَ بقوله : « الرحمن الرحيم »  
فَهَيَّيْهَا ؛ فالأرواحُ دَهَنَى في كَشْفِ جِلالِهِ ، والنفوسُ  
عَمَلَتْهُى إلى لُطْفِ جِلالِهِ ] .

عبد الكريم التتيرى

في

بسمه « الشمس »



## سُورَةُ الْجُحُرَات

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ كريمٌ مَنْ تَنَمَّلَ إِلَيْهِ مِنْ زُلَّاتِهِ تَفَعَّلَ عَلَيْهِ بِنَجَاتِهِ ، وَمَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِطَاعَاتِهِ تَطَوَّلَ عَلَيْهِ بِرِجَاتِهِ .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ عزيزٌ مَنْ تَرَوَّبَ إِلَيْهِ بِمَنَاجَاتِهِ قَابَلَهُ بِلُطْفِ أَفْضَالِهِ ، وَمَنْ تَحَبَّبَ إِلَيْهِ بِإِيمَانِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِكُشْفِ جَلَالِهِ وَجْهِهِ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ

يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » : شهادةٌ للنَّادَى بِالشَّرَفِ .

« لَا تَقْدُمُوا » أَمْرٌ بِجَعْلِ الْكَفِّ قَدَّمَ الْإِكْرَامَ بِالشَّرَفِ عَلَى الْإِزَامِ بِالْكَفْلِ أَيْ  
لَا تَقْدُمُوا بِمَكِّكُمْ « بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » : أَيْ لَا تَقْدُمُوا أَمْرًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، أَيْ  
لَا تَقْدُمُوا مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِكُمْ شَيْئًا .

وَيَقَالُ : قُوا حَيْثَا وَقِفْتُمْ ، وَافْعَلُوا مَا بِهِ أَمِرْتُمْ ، وَكُونُوا أَصْحَابَ الْاِتِّدَاعِ وَالْاِتِّبَاعِ . .  
لَا أَرْهَبُ الْاِجْدَاعَ وَالْاِجْدَاعَ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفُوا أَصْوَاتَكُمْ

فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ  
بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ  
تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » .

أَمَرَهُمْ بِحِفْظِ حَرَمَتِهِ ، وَمِرَاعَاةِ الْأَدَبِ فِي خِدْمَتِهِ وَحَبِيَّتِهِ ، وَالْأَنْظُرِ إِلَى الْإِلَهِ بِالْعَيْنِ الَّتِي يَنْظُرُونَ بِهَا إِلَى أَمْثَالِهِمْ . وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ يُخَلِّقُ يُبْلِغُهُمْ فَنِيئِي الْأَيْبِ سَطْوَاهُ مَجَاسِرِينَ ، وَلَا يَكُونُوا مَعَ مَا يَشْرَهُمْ مِنْ تَخَلُّقِهِ عَنْ حُدُودِهِ زَائِدِينَ .

وَيَقَالُ : لَا تَبْدَأُوهُ بِمَحْدِثٍ حَتَّى يُفَاتِحَكُمْ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يُضِلُّونَ أَصْوَابَهُمْ عِنْدَ

رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ

قُلُوبَهُمْ لَتَتَوَّيَّ لَهُمْ مَغْرَةً وَأُجْرٌ

عَظِيمٌ » .

هَمُّ الَّذِينَ تَعَمَّ السَّكِينَةُ عَلَيْهِمْ مِنْ هَيْبَةِ حَضْرَتِهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لَتَتَوَّيَّ بَانْتِزَاعِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا ، فَاتَّقُوا سُوءَ الْأَخْلَاقِ ، وَوَاعُوا الْأَدَبَ .

وَيَقَالُ : هُمُ الَّذِينَ انْسَلَخُوا مِنْ عِلَاقَاتِ الْبَشَرِيَّةِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ

الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ •

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ

لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

أَيُّ لَوْ عَرَفُوا قَدْرَكَ لَمَا تَرَكَوا حُرْمَتَكَ ، وَالزَّمُوا هَيْبَتَكَ .

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَسْتَعْجِلُوا ، وَلَمْ يَوْقُظُوا وَقْتُ الْقِيلُولَةِ بِمَنَاقِبِهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ <sup>(١)</sup> .

أَمَّا أَصْحَابُهُ — صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ — الَّذِينَ يَعْرِفُونَ قَدْرَهُ فَإِنَّ أَحَدَهُمْ — كَأَنَّهُ يَخْرُجُ بَابَهُ بِالْأُظْلَافِ » .

(١) يُقَالُ : نَزَلَتْ فَيَقُومُ مِنْ بَيْنِ تَعَمُّ نَسَمِ الْأَخْرَجِ بْنِ حَابِسٍ وَسُوَيْدِ بْنِ حَاشِمٍ ، وَكَعْبِ بْنِ وَكَيْعٍ ، وَهَيْبَةِ ابْنِ حَصَنٍ ، وَأَنَّ الْأَخْرَجَ نَادَى النَّبِيَّ (ص) مِنْ وَرَاءِ حِجْرَتِهِ أَنْ اخْرُجْ إِلَيْنَا فَإِنَّ مَدِينَتَنَا زِينٌ وَفَنَاتُنَا شَيْنٌ . وَكَانَ ذَلِكَ وَقْتُ الظُّلُمَةِ وَالنَّجَى فِي رَأْسِهِ وَبَعْضُ شَعْوَتِهِ الْخَاسَةِ . فَاسْتَيْقِظَ وَخَرَجَ لَهُ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ

بِئْسَ مَا تَحْتَبِرُونَ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِم

فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ بَادِئِينَ » .

دلَّت الآية (١) على تَرْكِ السَّكُونِ إِلَى خَيْرِ النَّاسِقِ إِلَى أَنْ يَظْهَرَ حِدْقُهُ .

وفي الآية إشارة إلى تَرْكِ الاستِجَاعِ إِلَى كَلَامِ السَّاعِي وَالنَّمَامِ وَالْمُتَلَبِّ لِلنَّاسِ .

وَالْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى قَبُولِ خَيْرِ الْوَاحِدِ إِذَا كَانَ عَدْلًا .

وَالْفَاسِقُ هُوَ الْخَارِجُ عَنِ الطَّاعَةِ (٢) . وَيُقَالُ هُوَ الْخَارِجُ عَنْ حَدِّ اللَّوْمَةِ .

وَيُقَالُ : هُوَ الَّذِي أَتَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ .

قوله جل ذكره : « وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ

فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمْرِ لَنَنْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ

وَكُرْهُ إِلَى كُفْرٍ وَالنَّاسِقِ وَالنَّاسِقِ

وَالْمُصِيبِينَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ » .

أَيُّ لَوْ وَاقِفَكُمْ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا تَطْلُبُونَ مِنْهُ لَوْ قَبِلْتُمْ فِي الْعَتَمَةِ

— وَهُوَ الْفُسَادُ (٣) . وَلَوْ قَبِلَ قَوْلَ وَاحِدٍ (قَبْلَ وَضُوحِ الْأَمْرِ) لَأَصَابَتْكُمْ مِنْ ذَلِكَ شِدَّةٌ .

وَالرُّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَا يُطِيعُكُمْ فِي أَكْثَرِ الْأُمُورِ إِذَا لَمْ يَرَفَعْ ذَلِكَ مَصْلَحَةَ لَكُمْ

وَالَّذِينَ .

---

(١) يُقَالُ : نَزَلَتْ فِي الْوَلِيِّ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ .. أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ (ص) لِيَجِسَّ الْمَسْجِدَاتِ مِنْ بَنِي الْمُصَلِّقِ .  
فَلَمَّا أَهْمَرُوهُ تَقَدَّمُوا نَحْوَهُ فَهَاجَهُمْ ؛ فَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ إِحْنَةٌ .. فَجَادَ مِنْ قُوْرِهِ إِلَى النَّبِيِّ وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَنْ  
الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَقْبَعْهُ النَّبِيُّ (ص) بِمَا سَمِعَ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ لِيُثْبِتَ مِنَ الْأَمْرِ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ عَلَى إِسْلَامِهِمْ ،  
وَأَنَّهُمْ كَانُوا خَارِجِينَ إِلَى مَقْبَرِ النَّبِيِّ لِأَكْرَامِهِ ، وَاسْتَيْقَنَ خَالِدٌ مِنْ ذَلِكَ حِينَ سَمِعَ أَذَانَهُمْ وَصَلَاتَهُمْ .. فَجَادَ إِلَى النَّبِيِّ  
وَجَلَّ حَقِيقَةُ الْأَمْرِ .

(٢) مُشْتَقٌّ مِنْ فَسَّطَتِ الرِّبْلَةَ أَيْ عَرِجَتْ مِنْ قَشَرِهَا ، وَالْفَلَاةُ مِنْ جَعْرِهَا .

(٣) كُنْتُ مِمَّنْ أُغْرِي : هُوَ : الْفُجُورُ وَالزُّنَا — كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ . وَهُوَ : الْوُقُوعُ فِي أَمْرٍ شَقِيقٍ كَمَا جَاءَ  
فِي آخِرِ سُورَةِ بَرَاءَةِ .

« ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ » : الإسلام والطاعة والتوحيد ، وزَيَّنَهَا فِي قُلُوبِكُمْ .

« وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ . . » : هذا من تلوين الخطاب .

وفي الآية دليل على صحة قول أهل الحق في القَدَر<sup>(١)</sup> ، ونخصيم المؤمنين بالطائف لا يشترك فيها الكفار . ولولا أَنَّهُ يَوْفُرُ الدَّوْعَى لِلطَّاعَاتِ لَمَلَّصَ الضَّرِيطُ وَالتَّقْصِيرُ فِي الْعِبَادَاتِ .

« فَضلاً من الله ونسة » : أى فَلَلَ هذا بكم فضلاً منه ورحمة . والله عليم حكيم .

قوله جل ذكره : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ<sup>(٢)</sup> مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا

فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَقِيَ أَحَدُهُمَا عَلَى

الْأُخْرَى فَاتْلُوا عَلَى نَبِيِّ حَقٍّ تَقَى إِلَى

أَمْرِ اللَّهِ فَإِن تَأَمَّتْ فَاَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

بِالدَّلِيلِ وَأَقْسِمُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِمِينَ » .

تدل الآية على أن المؤمن بفسقه — والنسق دون الكفر — لا يخرج عن الإيمان لأن إحدى الطائفتين — لا محالة — فاسقة إذا اقتتلا .

وتدل الآية على وجوب نصرة المظلوم ؛ حيث قال : « فَإِن بَقِيَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرَى . . . » .

والإشارة فيه : أن النفس إِذَا ظَلَمَتِ الْقَلْبَ بَدَعَتْهُ إِلَى شَهَوَاتِهَا ، واشتغلها في فسادها فيجب

---

(١) يقصده القشيري أن القتالين بأن الله سبحانه المتفرد بخلق ذوات العباد وخلق أفعالهم وصفاتهم واختلاف السنتهم و... على صواب لأن الآية سريعة في خلق الأفعال ؛ فهو الذي حَبَّبَ إِلَى الْإِيمَانِ وَالنَّكَمِ .

(٢) يقال نَزَلَتْ فِي ابْنِ أَبِي حَتْمٍ وَقَتَّ الرُّسُولُ عَلَى عَجَلٍ بِهِ بَغْيُ الْأَنْصَارِ وَهُوَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ ابْنُ أَبِي حَتْمٍ : سَبِيلُ حِمَارٍ فَتَنَّهُ أَذَانًا ، فَأَنْبَرَى لَهُ عَيْدُ اللَّهِ بَيْنَ رِوَاةٍ قَاتِلًا ؛  
وَأَغْرَأَ ابْنُ بُولٍ حِمَارَهُ لِأَطِيبٍ مِنْ مَسْكِكَ .

وبعد أن مضى الرسول (ص) طال الغرض بينهما حتى استبأ وتجادلا ، واشتبك الأوس والخزرج وتجادلوا بالعصى . وقيل بالأيدى والتعال والسيف ، فخرج الرسول (ص) إليهم فأصلح بينهم .

أَنْ يَتَأَمَّلَهَا حَتَّى تَتَخَنَ بِالْجِرَاحَةِ بَسُوفَ الْجُلْعُدَةِ . فَمِنْ اسْتِجَابَتِ إِلَى الطَّلَاعَةِ يُقْنَى عَنْهَا لِأَنَّهَا هِيَ  
الطَّلَاعَةُ إِلَى بَابِ اللَّهِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّمَا لِلَّذِينَ نَزَّلُوا إِخْوَةً فَأَصْلَحُوا بَيْنَ  
أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » .

إِعْلَاقُ الصِّلَحِ بَيْنَ الْمُتَعَايِنِينَ مِنْ أَوْكَدِ عَزَائِمِ الدِّينِ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى عِظَمِ وَزْرِ الرَّاغِبِ وَالْمُتَمَامِ ؛ وَلِلصَّدْرِ فِي إِفْسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ .  
(وَيَقَالُ إِنَّمَا يَتَمَّ ذَلِكَ بِسُوءِ التَّلَبُّعِ مَعَ اللَّهِ فَلَمَّا عَلِمَ صِدْقَ هِمَّةِ عَبْدٍ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ  
الْبَيْنِ) (١) فَهُوَ يَرْفَعُ عَنْهُمْ تِلْكَ الصَّبِيَّةَ (٢) .

فَمَا شَرَطَ الْأَخُوَّةَ : قَبْلَ حَقِّ الْأَخُوَّةِ فِي الدِّينِ لَا تُخَوِّجُ أَخَاكَ إِلَى الْإِسْمَاعَةِ بِكَ أَوِ التَّمَسُّ  
النَّصْرَةِ عَنْكَ ، وَأَلَّا تُقَصِّرَ فِي تَقَدُّرِ أحواله بَحْثِ بِشْكَلٍ عَلَيْكَ مَوْضِعَ حَاجَتِهِ فَيَسْتَحْتَاجُ  
إِلَى مَسَاءَلَتِكَ .

وَمِنْ حَقِّهِ لَا تُلَبِّسَهُ إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِكَ بَلْ تَبْطِئْ عُذْرَهُ ؛ فَلَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْكَ وَجْهَهُ عُذَّتْ  
بِاللَّامَةِ عَلَى فَسَادِكَ فِي خِفَاءِ عُذْرِهِ عَلَيْكَ وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ تُتَوَبَّعَ عَنْهُ إِذَا أَذْنَبَ ، وَتَعَوَّدَ  
إِذَا مَرَضَ . وَإِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ فَلَا تُطَالِبْهُ بِالْبَلَدِ عَلَيْهِ وَإِرَازِ الْحُجَّةِ — كَمَا قَالُوا :

إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَأْلُوا مَنْ دَعَاهُمْ لِأَيَّةٍ حَرْبٍ أَمْ لِأَيِّ مَكَانٍ

وَمِنْ حَقِّهِ أَنْ تَحْفَظَ عَهْدَهُ الْقَدِيمَ ، وَأَنْ تُرَاعِيَ حَقَّ فِي أَهْلِ التَّصْلِيحِ بِهِ فِي الشَّهَدِ وَالنِّيَابِ ،  
وَفِي حَالِ الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ (٣) — كَمَا قِيلَ :

وَحَلِيلٌ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُنْصَفًا كُنْتَ مُنْصَفًا

(١) مَا بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ مَوْجُودٌ فِي مَوْسُطٍ فِي ص .

(٢) مَحْكَوًا فِي مَوْسُطٍ فِي صِ الْمَصِيَّةِ وَتَحْنُ تَوَثُّرِ الْأَوَّلِ لِلْإِسْمَاعَةِ لِمِيقَاتِهِ .

(٣) فِي هَذِهِ الْفَقْرَةِ مَا يَدْسُفُ مَزَامِيرَ الَّذِينَ يَقُولُونَ أَنَّ الصُّوفِيَّةَ قَوْمُ الْإِنْزَالِ بَيْنَ ، لَا يَهْتَمُّونَ بِمَعْنَى الْعَلَاقَاتِ  
الْإِبْتِهَاجِيَّةِ وَلَا يَقْتَدِرُونَهَا .

تَحَقَّى لَهُ الْأَمْرَ بَيْنَ وَكُنْ مَلَاظِقًا  
إِنْ يَقُلْ لَكَ اسْتَوِ احْقِرَةً تَ رَضَى لَا تَخْلُفًا

قوله جل ذكره: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَكُمُ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نَمَلًا مِنْ نَمَلٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْسِنِ اثْنِ الْأَسْمِ الْفُسُوقُ بَدِ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » .

نهي الله — سبحانه وتعالى — عن ازدراء الناس ، وعن الفِئَةِ ، وعن الاستهانة بالحقوق ، وعن تَرْكِ الاحترام .  
« وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ » : أى لَا يَبِينَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، كقوله : « وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ »<sup>(١)</sup> .  
ويقال : ما استصغر أحدٌ إلا سَلَطَ عليه . ولا يَبْنِي أَنْ يُتَمَتَّرَ بظواهر أحوال الناس قَلْبًا فِي الرِّوَايَا خَبَايَا . والحقُّ يَسْتَرُ أَوْلِيَاءَهُ فِي حِجَابِ الصَّمَةِ<sup>(٢)</sup> ؛ وقد جاء في الخبر :  
« رَبُّ أَشْمَثَ أَغْبَرُ ذِي طَمَرَيْنِ لَا يُؤْتِيهِ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَيِّرِهِ »<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، أَعْيَبُ

(١) آية ٢٩ سورة النساء .

(٢) الصمة هنا بمعنى خول الذكر وانقطاع المنظر .

(٣) في بعض الروايات زيادة : « وَإِنَّ الْبِرَّاءَ مِنْهُمْ » ، وعند مسلم بلفظ « رَبُّ أَشْمَثَ أَغْبَرُ مَفْغُورٌ إِنْ الْأَبْوَابُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَيِّرِهِ » .



أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً  
فكرهتوه واحسوا الله إن الله  
توابٌ رحيم .

النفس لا تصدق ، والقلب لا يكذب . والتمييز بين النفس والقلب مُشْكِلٌ وَمَنْ  
يَقِيَتْ عليه من حظوظه بَقِيَّةٌ — وَإِنْ قَلَّتْ — فليس له أن يدعى بِلِيبِ القلب بل هو بنفسه  
مادام عليه شيءٌ من نفسه ، ويجب أن يتَّخِذَ نفسه في كل ما يقع له من قصاص غيره .. هذا  
أمرٌ للمؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يخطب . « كلُّ الناس أهـ من عمر ..  
أمرأهـ أهـ من عمر » .

« ولا تجسوا » . والعارف لا يفرغ من شهود الحق إلى شهود الخلق .. فكيف  
يضرغ إلى تجسس أحوالهم ؟ وهو لا يضرغ إلى نفسه فكيف إلى غيره ؟ « ولا يفتب بفسكم  
بعضاً » : لا تحصل النبية للخلق إلّا من النبية عن الحق .

« يجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً .. » جاء في التفسير أن المقصود بذلك النبية ،  
وعلى ذلك يدل ظاهر الآية . وأحسن الكفار وأقلهم قدراً مَنْ يأكل الميتة .. وعزيزٌ رؤية  
مَنْ لا يفتاب أحداً بين يديك .

قوله جل ذكره : « يأبى الناسُ إلّا أنّا خلقناكم من ذكرٍ  
وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا  
إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله  
عليمٌ خبيرٌ » .

إنّا خلقناكم أجمعكم من آدم وحواء ، ثم جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا لا لتكاثروا  
ولا لتنافسوا . فإذا كانت الأصولُ تربيةً ونفقةً وعَلَقَةً .. فالنفاخر بماذا ؟ أبا لحا السنون ؟ أ  
بالنطقة في قرار مكين ؟ أم بما ينطوى عليه ظاهرك مما تعرفه ؟ (١) وقد قيل :

(١) ربما نفهم من هذه العبارة ما يقصده القشيري في موضع آخر مماثل من سفرية بالإنسان وتعلم لجبر .  
كان يقول له : من أنت أيها الإنسان ؟ أنت كَيْفٌ في قميصٍ أ لا ترى إلى ربيعٍ إبطك إذا عرفت ، وإلى ربيعٍ  
فمك إذا جئت ! ... ونحو ذلك .

إِنَّ آيَاتِنَا تَدُلُّ عَلَيْنَا فَانظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآيَاتِ  
 أم بأفلاك التي هي بارياء مشوبة؟ أم بأحوالك التي هي الإعجاب مصعوبة؟ أم بمعاملتك  
 التي هي ملائ بالخيالة؟

«إن أكرمكم عند الله أتقاكم؟ أتاكم أي أبعدكم عن نفسه، فالتقوى هي التحرر  
 من النفس وأطماعها وحظوظها. فأكرم المبدأ عند الله من كان أبعد عن نفسه وأقرب  
 إلى الله تعالى.

قوله جل ذكره: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا  
 وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا».

الإيمان هو حياة القلب، والقلب لا يمينا إلا بعد ذبح النفس، والنفس لا تموت ولكنها  
 تتيب، ومع حضورها لا يتم خير، والاستسلام في الظاهر لإسلام. وليس كل من استسلم  
 ظاهراً غلب في سره.

«وَلَوْ أَنِّي دَخَلْتُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»

في هذا دليل على أن محل الإيمان القلب. كما أنه في وصف الناقين قال تعالى:  
 «في قلوبهم مرض»؛ ومرضى القلب والإيمان ضلآن.

«إِنَّمَا لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ  
 ورسوله ثم لم يرتابوا وجامعوا  
 بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله  
 أولئك هم الصادقون».

جعل الله الإيمان مشروطاً بمخال ذكراها، ونص عليها بلفظ «إنما» وهي لتحقيق  
 الذي يقتضى طرد المكسر؛ فنخرج عن هذه الشروط التي جعلها للإيمان فردود  
 عليه قوله.

والإيمان يوجب للمبد الأمان، فإلم يكن الإيمان موجباً للأمان نه حبه غيره أولى.

قوله جل ذكره : « قُلْ أَتُكْفِرُونَ بِاللّهِ بِدِينِكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ

مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللّهُ

بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

تدل الآية على أن الوقوف<sup>(١)</sup> في المسائل الدينية يُعتبر واجباً ؛ فالأساس منه توأخذه ،  
والأحكام منه تُطلب ، وأوامره مُتَّبعة<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَحْتَسِبُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْأَلُوا قُلَّ

لَا يَحْتَسِبُونَ عَلَى إِسْلَامَتِكَ بِلِ اللَّهِ

يَمُنُّ عَلَيْكَ أَنْ هَذَا كَمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ » .

من لاحظ شيئاً من أعماله وأحواله فإنّ وآها من نفسه كان شركاً ، وإنّ وآها لنفسه  
كان مكرماً فكيف ين البد بما هو شركك أو بما هو مكر ؟ !

والذي يجب عليه قبول اليقظة ... كيف يرى لنفسه على غيره منة ؟ ! هذا ليس في فضيلة !  
بل اليقظة لله ؛ فهو ولي النعمة . ولا تكون للمنة منة إلا إذا كان البد صادقاً في حاله ،  
فأما إذا كان معولاً في صفة من صفاته فهي محنة لصاحبها لا منة .

واليقظة تُكدر المنع إذا كانت من المخلوقين ، ولكن باليقظة تطيب النعمة إذا كانت  
من قبل الله .

قوله جل ذكره : « إِنْ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاللّهُ بِصِيرٍ بِمَا تَعْمَلُونَ » .

---

(١) هكذا في م وهي بمعنى (التوقّف) (والترقّب) منه بعض الأمور . ولهذا فإ جاء في من وهو (التوقّف)  
نطقاً في التسع .

(٢) فالإتياع واجب ولا إتياع مرفوض - كما نهى التشيرى من قبل .

وَمَنْ وَفَّ هَاهُنَا تَكْدَرُ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ؛ إِذْ لَيْسَ يَدْرِي مَا غَيْبُهُ فِيهِ ، وَفَى مَعْنَى هَذَا  
قَوْلُ الْقَائِلِ :

أَبْكِي .. وَهَلْ تَدْرِي مَا يَكُونُ ؟  
أَبْكِي حَتَّى أَنْ تَفَارِقَنِي  
وَتَقْطَعِي وَضْعِي وَتَهْجُرَنِي<sup>(١)</sup>

---

(١) نَ (الْعَم) لِمَرْجَعٍ وَتَقْطَعِي (حِيل) وَتَهْجُرَنِي (الْعَم ص ٣٠٥) وَكَلَامًا صَحِيحًا فِي الْمَعْنَى مَلَامٌ لِلْوَزْنِ .

## سُورَةُ قَت

« بسم الله » اسم جَبَرَ أحوالَ مَنْ رَحِمَهُ ، متَجَبَّرٌ بكبريائه على مَنْ أَقَامَهُ قَهْرَهُ وَحَرَمَهُ .

« بسم الله » لطيفٌ يعلمُ خفايا تصنعُ العابدين ، غافراً لجلالِ ذنوبِ العاصين .

قوله جل ذكره : « قَ وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ » .

قَ مفتاحُ أسمائه : « قَوِي وَقَادِرٌ وَقَدِيرٌ وَقَرِيبٌ » . . أَسْمَ بهذه الأسماءِ وَالْقُرْآنِ الْحَمِيدِ .  
وجوابُ الْقَسَمِ محذوفٌ ومعناه لَتُبَيِّنَنَّ فِي الْقِيَامَةِ .

ويقال جوابه : « قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ » أي لقد عَلِمْنَا .  
وحذفت اللامُ لَمَّا تَطَاوَلَ الْخُطَابُ .

ويقال : جوابه قوله : « مَا يَدُلُّ الْقَوْلُ لَدَى » .

قوله جل ذكره : « يَلْعَجِيوْا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » .  
قال السكافرون هذا شيءٌ عجيبٌ .

« مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » : هو محمد صلى الله عليه وسلم  
والتعجبُ نَوْحٌ من تعبيرِ النَّفْسِ عَنْ اسْتِعْمَادِهَا لِأَمْرِ خَارِجِ الْمَادَةِ لَمْ يَقَعْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ قَبْلُ .  
وقد مضى القولُ فِي إِنْكَارِهِمْ لُبُثِ وَاسْتِعْمَادِهِمْ ذَلِكَ :

« أَثْنَا مِثْنًا وَكُنَّا تَرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ »

أَي يَبْعُدُ عِنْدَنَا أَنْ نُبْثَ بَعْدَ مَا مِثْنًا . فقال جل ذكره :

« قد علمنا ما تنقص الأرض منهم  
وعندنا كتابٌ حفيظٌ » .

في هذا تسليةٌ للعبد فإنه إذا وُسِدَ التراب ، وانصرف عنه الأصحاب ، واضطرب لوفاته  
الأحباب .. فَمَنْ يَتَّقِدْهُ وَمَنْ يَتَّعِدْهُ ... وهو في شفير قبره ، وليس لهم منه شيء سوى  
ذكره ، ولا أحدٌ منهم يدري ما الذي يقاسيه للسكين في حُرَّتِه ؟ فيقول الحقُّ — سبحانه :  
« قد علمنا .. » ولعله يخبر للملائكة قائلاً : عبيدُ الذي أخرجته من دنياه — ماذا بقي بينه  
من يهواه ؟ هذه أجزاؤه قد تفرقت ، وهذه عظامه بليت ، وهذه أعضاؤه قد تفتقت  
« وعندنا كتابٌ حفيظٌ » : وهو اللوحُ المحفوظ ؛ أثبتنا فيه تفصيل أحوال الخلق من  
غير نسيانٍ ، وبيننا فيه كلُّ ما يحتاج العبدُ إلى تذكره .

قوله جل ذكره : « بل كذبوا بالحقِّ لما جاءهم فهم  
في أمرٍ مريجٍ » .

« مريجٌ » أى مختلط ومُلتبس ؛ فهم يترددون في ظلماتٍ عمُيرٍ ، ويضطربون في شكهم .

قوله جل ذكره : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف  
بكيناها وزيناها وما لها من فروجٍ » .

أَوَلَمْ يَتَدَبَّرُوا بما رُفِعنا فوقهم من السماء ، رُفِعنا سَكَنُهَا فَسَوَّيْنَاهَا ، وأثبتنا  
فيها الكواكبَ وبها زيناها ، وأدركنا فيها شمسها وقمرها ؟ أَوَلَمْ يروا كيف جَلَسْنَا عَيْنَهَا  
وَوَضَعْنَا أَوْرَاقَهَا ؟

« والأرض مددناها وأقمنا فيها رواسيَ  
وأثبتنا فيها من كلِّ زوجٍ بهيجٍ » .

والأرض مددناها ؛ جعلناها لهم مهاداً ، وجعلنا لها الجبالَ أوتاداً ، وأثبتنا فيها أشجاراً  
وأزهاراً وأنواراً .. كل ذلك :

« تَبَصَّرَ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ »

علامة ودلالة لكل من أناب إلينا ، ورجع من شهود أفعالنا إلى رؤية صفاتنا ، ومن شهود صفاتنا إلى شهود حقنا وفاتنا<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَتَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ

جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ » .

أنزلنا من السماء ماء مباركاً كثير النفع والزيادة ، فأنبتنا به « جنت وحب الحصيد » : أى الذى يُحصَد — كما قول : مسجد الجلع .

الأجزاء متجانسة . ولكن أوصافها فى الطوم والروائح والألوان والميئات والقادر مختلفة .

قوله جل ذكره : « وَالتَّخْلُ بِاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ » .

والتخلُ باسقات : طويلات ، لها طلع منضود بعضه فوق بعض لكثرة الطلع أو لا فيها من الثمر . وكيف جعلنا بعض الثمار متفرقة كالتفاح والكثيرى وغيرها ، وكيف جعلنا بعضها مجتمعة كالناب والرطب وغيرها . كل ذلك جعلناه رزقاً للعباد ولكي يتنصوا به .

« . . . وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ

انخروج » .

وكما سقنا هذا الماء إلى بلدة جفّ نباتها ، وكما فعلنا كل هذه الأشياء ونحن قادرون على ذلك — كذلك نجممكم فى الحشر والنشر ، فليس بعنكم بأبعد من هذا .

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ

الرُّسِّ وَثَمُودُ » وعادى فرعون ولأخوان

---

(١) هذا الترتيب فى منازل الشهود له أهمية فى فهم المراجع الروسى عند هذا الإمام ، وواضح منه أن أهل درجات الشهود شهود الذات .. وذلك بشرائط سبقت الإشارة إليها فى غير موضع من الكتاب ، ولكننا مع ذلك لا ننسى أن القشبرى — كما نعرف من منهجه — يرى الاستشراق من (الذات) من الحال ، فقد جلت الصدية عن الإدراك والحققة .. مهما ساء إليه فى مراجعته الروسى .

لو ط • وأصحاب الأيكة وقوم مُنِيع  
كل كذب الرُّسل غفٌّ وعيد •

إِنَّا لَمْ نَمَجِّزْ عَنْ هَؤُلَاءِ — الَّذِينَ ذَكَرَ أَسْمَاءُ — وَفِي تَهْدِيدٍ لَمْ وَتَسْلِيَةً لِلرَّسُولِ •

« أَفَمَعِينَا بِأَخْلَقِ الْأَوَّلِ ؟ بَلْ مِمَّ فِي  
لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ » •

أَيْ إِنَّا لَمْ نَمَجِّزْ عَنْ أَخْلَقِ الْأَوَّلِ .. فَكَيْفَ نَمَجِّزْ عَنْ اخْلُقِ الثَّانِي — وَهُوَ الْإِعَادَةُ ؟ لَمْ  
يَمُتْ عَلَيْنَا فَعَلْ شَيْءٌ ، وَلَمْ تَمُتْ مِنْ شَيْءٍ .. فَكَيْفَ يَشُقُّ عَلَيْنَا أَمْرُ الْبَيْتِ أَيُّ لَيْسَ كَذَلِكَ <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ  
بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ  
الْوَرِيدِ » •

نَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ شَهَوَاتٍ تَطْلُبُ اسْتِفْلَاضَهَا ، مِثْلَ التَّصَنُّعِ مَعَ الْخَلْقِ ، وَسُوءِ الْخُلُقِ ،  
وَالْحَقْدِ .. وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَكَاثِ النَّفْسِ الَّتِي تُشَوِّشُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْوَقْتِ •

« وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » فَحَبْلُ الْوَرِيدِ أَقْرَبُ أَجْزَاءِ نَفْسِهِ إِلَى نَفْسِهِ ، وَالرَّادُّ  
مِنْ ذَلِكَ الْعِلْمُ وَالنُّورَةُ ، وَأَنَّهُ يَسْمَعُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا يَشْكُلُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ •  
وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ هَيْبَةٌ وَفَزَعٌ وَخَوْفٌ قَوِيمٌ ، وَدَوَّحٌ وَسَكُونٌ وَأَنْسُ قَلْبِهِ قَوِيمٌ •

قوله جل ذكره : « إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ  
الشَّمَالِ قَعِيدٌ » •

خَوَاتِمُهُمْ بِشَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ وَحُضُورِ الْخَفِطَةِ • وَبِكِتَابَتِهِمْ عَلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ ، فَهِيَ قَعِيدٌ <sup>(٢)</sup> كُلُّ

(١) فَلَا اسْتِفْهَامَ هُنَا لِلإِنْكَارِ أَوَّلَئِكَ •

(٢) حَبْرٌ مِنَ الْمَتْنِ بِالْمَعْرِفَةِ لِلدَّلَالَةِ بِرَأْسِهِ عَلَى الْإِثْنَيْنِ مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مَعَهُ وَوَالِدِي      بَرِيئًا وَمِنْ أَجْلِ الْبَلَوِ رَمَانِي  
لِي رَمَانِي بِأَمْرِ كُنْتُ مَعَهُ بَرِيئًا وَكَانَ وَلَدِي مَعَهُ بَرِيئًا •



أحد : ويقال : إذا كان العبدُ قاعداً فواحدٌ عن يمينه يكتب خيراتِه ، وواحدٌ على يساره يكتب معاصيه ، وإذا قام فواحدٌ عند رأسه وواحدٌ عند قدميه ، وإذا كان ماشياً فواحدٌ قائمٌ بين يديه وآخرٌ خلفه .

ويقال : هما اثنتان بالليل لكل واحدٍ ، واثنان بالنهار .

ويقال : بل الذى يكتب الخيرات اليوم يكون غيره غداً ، وأما الذى يكتب الشر والمعصية بالأمس فإنه يكون كاتباً للطاعة غداً حتى يشهد طاعتك .

ويقال : بل الذى يكتب المعصية اثنان ؛ كل يوم اثنان آخران وكل ليلة اثنان آخران ثلاثاً يُعلم من مساويك إلا القليل منها ، ويكون علمٌ للمعاصي متفرقاً فيهم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » .

إننا أشرفت النفس على الخروج من الدنيا فأحوالهم مختلفة ؛ فبعضهم من يزداد في ذلك الوقت خوفاً ولا يتبين إلا عند ذهاب الروح حاله . ومنهم من يكشف قبل خروجه فيسكن رَوْعَهُ ، ويحفظ عليه عقله <sup>(٢)</sup> ، ويتم له حضوره وتمييزه ، فيسلم الروح على مهلٍ من غير استكراه ولا هيبوس . . ومنهم ، ومنهم . . وفي معناه يقول بعضهم :

أنا إن ميتاً - والهوى حشوقلى - فبداه المسوى يموت السكرامُ

ثم قال جل ذكره : « ونفخ في الصور ذلك يومُ

الوعيد • وجاءت كل نفسٌ معها سائقٌ وشهيدٌ » .

سائقٌ يسوقها إما إلى الجنة أو إلى النار ، وشهيدٌ يشهد عليها بما فعلت من الخير والشر .

(١) واضح من ذلك مقدار ما يمتدح الصوفية في نفوس المعاصي من تفاؤل ورجاء أعملى في فتح باب التوبة

(٢) معقولة (عقله) من اللسعة م ، وموجودة في م .

ويقال له : « لَدُّ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ

غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » .

الْمُؤْمِنُونَ — الْيَوْمَ بَصَرُهُمْ حَدِيدٌ ؛ يُبْصِرُونَ رُشْدَهُمْ وَيَحْذَرُونَ شَرَّهُمْ .

والكافر يقال له غداً : « بَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ » أَيْ : هَا أَنْتَ عَلِمْتَ مَا كُنْتَ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ ؛ الْيَوْمَ لَا يُسْمَعُ مِنْكَ خَطَابٌ ، وَلَا يُرْفَعُ عَنْكَ عَذَابٌ .

قوله جل ذكره : « وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ » .

لَا يَخْفَىٰ مِنْ أَحْوَالِهِمْ شَيْءٌ إِلَّا ذُكِّرَ ، إِنْ كَانَ خَيْرًا يُمَازُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ خَيْرٍ يُحَاسِبُونَ عَلَيْهِ : إِنَّمَا بَرَحَةٌ مِنْهُ فَيُفْتَرُ لَهُمُ وَيَنْجُونَ ، وَإِنَّمَا عَلَىٰ مَقْدَارِ جُرْمِهِمْ يُعَذَّبُونَ .

« أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ •

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ » .

مَنَّاعٍ لِلزَّكَاةِ الْفَرُوضَةِ .

وَيَقَالُ : يَمْنَعُ قَضْلَ مَا بِهِ وَقَضْلَ كَلَّتِهِ عَنِ السَّالِمِينَ .

وَيَقَالُ : يَمْنَعُ النَّاسَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ، وَيَسِيءُ الْقَوْلَ فِيهِمَا حَتَّىٰ يَرْهَقَ النَّاسَ فِيهِمَا .

وَيَقَالُ : الْمَنَّاعُ لِلْخَيْرِ هُوَ الْبِعُوانُ عَلَى الشَّرِّ .

وَيَقَالُ : هُوَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ : « وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » (١) .

« مَرِيبٌ » : أَيْ يُشَكِّكُ النَّاسَ فِي أَمْرِهِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُخْلَصٍ ، وَيُلْبِسُ عَلَى النَّاسِ حَالَهُ

لِأَنَّهُ مَنَّافِقٌ .

قوله جل ذكره : « قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْلَيْتَهُ وَلَكِنْ

كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ » .

يَقُولُ الْمَلَكُ مِنَ الْخَفَظَةِ الْمَوْكَلُّ بِهِ : مَا أَعْجَبْتَهُ عَلَى الزَّيْغَةِ .

---

(١) آيَةُ ٧ سُورَةُ الْمَاعُونِ .

وإنما<sup>(١)</sup> كَتَبْتُهَا بعد ما فَعَلَهَا — وذلك حين يقول الكافر : لم أَفْعَلْ هذا ، وإنما أَعْجَلَنِي  
بِالْكَتَابَةِ عَلَى ، فيقول الملكُ : وَيَنَّا ما أَعْجَلْتَهُ ..

وقال : هو الشيطانُ المَقْرُونُ بِهِ ، وَحين يلتقيان في جهنم يقول الشيطانُ : ما أكرهته  
على كفره ، ولكنه فعل — باختياره — ما وَسَّوَسْتُ بِهِ إِلَيْهِ .

فيقول جل ذكره : « قَالِ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ  
إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ • مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ  
وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ » .

لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ الْيَوْمَ وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِالْعُدَاوَةِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ الْقَتْلِ .

قوله جل ذكره : يَوْمَ قَوْلِ لَّجْنَتِهِمْ هَلِ امْتَلَأَتْ وَقَوْلِ  
هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ<sup>(٢)</sup>

« قَوْلِ لَّجْنَتِهِمْ » ، وقول : القَوْلُ هنا على التَوْشُّعِ ؛ لأنه لو كانت جهنم من يَجِبُ لثَلَاثِ  
ذَلِكَ بَلْ يُخَيِّرُهَا حَتَّى يَقُولَ ذَلِكَ .

« هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ » : على جهة التَضْيِيقِ ، والاستِزَادَةِ مِنَ الْكُفَّارِ .

ويقال : بَلْ قَوْلِ « هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ » : أَى لَيْسَ فِي زِيَادَةِ كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قِيلَ لَهُ :  
يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ : هَلْ تَرَجَعَ إِلَى دَارِكَ ؟ قَالَ : وَهَلْ تَرَكْ لَنَا عَقِيلَ دَارِأ ؟<sup>(٣)</sup> أَى لَمْ يَتْرَكْ ،  
فَإِنَّ اللَّهَ — تَعَالَى — يَمْلَأُ جَهَنَّمَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمَصَاةِ ، فَإِذَا مَا أُخْرِجَ الْمَصَاةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَزَادَ  
غَيْظُ الْكُفَّارِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بِهِمْ جَهَنَّمَ .

(١) هكذا في ص وهي ق م ( ما ) والصواب ما أثبتنا ..

(٢) عن قتادة عن أنس عن النبي (ص) قال : يَلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ قَلَمَهُ فَيَقُولُ  
قَطْ قَطْ . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ : يُقَالُ لَّجْنَتِهِمْ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ فَيَضَعُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَلَمَهُ  
مَلِيحًا فَيَقُولُ : قَطْ قَطْ ( البخاري - ٣ ص ١٢٨ ) .

(٣) عن الزهري عن علي بن حسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد أنه قال قال زمن الفتح : يا رسول الله ،  
أَيْنَ تَنْزِلُ هَذَا ؟ قَالَ لَيْسَ (ص) : وَهَلْ تَرَكْ لَنَا عَقِيلَ مِنْ مَزَلِ ؟ ثُمَّ قَالَ : لَا يَهْرَثُ الْمُؤْمِنُ الْكُفَّارَ وَلَا يَهْرَثُ الْكُفَّارُ  
الْمُؤْمِنَ ( البخاري - ٣ ص ٤٢ ) .

قوله جل ذكره : « وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلتَّقِينِ غَيْرَ بَعِيدَ » .

يقال : إِنَّ الْجَنَّةَ تُقَرَّبُ مِنَ التَّقِينِ ، كَأَنَّ النَّارَ تُجَرُّ بِالسَّلاسلِ إِلَى الْحَشَرِ نَحْوِ الْجُرُومِينَ .

ويقال : بَلِ اقْتَرَبَ الْجَنَّةُ بِأَنْ يَهْلِلَ عَلَى التَّقِينِ حَشَرٌ مِثْلُهَا . . . وَهُمْ خَوَاصُ الْخَوَاصِ .

ويقال : هُم ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ : قَوْمٌ يُحْشَرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ مَشَاءً وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ : « وَسَيَقِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا <sup>(١)</sup> » — وَهُمْ عَوَامُ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٢)</sup> وَقَوْمٌ يَحْشَرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ رُكْبَانًا عَلَى طُلُعَاتِهِمْ لِلصُّورَةِ لَمْ بِصُورَةِ حَيَوَانَ ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ جَلَّ وَعَلَا : « يَوْمَ نَحْشُرُ لِلتَّقِينِ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا <sup>(٣)</sup> » — وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْخَوَاصُ وَأَمَّا خَاصُ الْخَاصِ فَهُمْ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ : « وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلتَّقِينِ » أَيْ تُقَرَّبُ الْجَنَّةُ مِنْهُمْ

وقوله : « غَيْرَ بَعِيدَ » تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ : « وَأَزَلَّتِ » .

ويقال : « غَيْرَ بَعِيدَ » : مِنَ الْعَاصِينَ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ .

قوله جل ذكره : « هَذَا مَا تَدْعُونَ لَكُلِّ أَوْسَاطٍ خَفِيفَ » .

الْأَوْسَاطُ : الرَّاجِعُ إِلَى اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ .

« خَفِيفَ » : أَيْ مَحَافِظُ عَلَى أَوْفَاتِهِ ، ( وَيُقَالُ مَحَافِظُ عَلَى حَوَاسِهِ فِي اللَّهِ حَافِظٌ لِأَخْلَاصِهِ مَعَ اللَّهِ ) <sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : « مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبِ وَجَاءَ

بِقَلْبٍ مُنِيبٍ » .

الْخَشْيَةُ مِنَ الرَّحْمَنِ هِيَ الْخَشْيَةُ مِنَ التَّرَاقِ . ( وَالْخَشْيَةُ مِنَ الرَّحْمَنِ تَكُونُ مَقْرُونَةً بِالْإِنْسِ ؛ وَلِفُلْكَ لَمْ يَقُلْ : مِنْ خَشْيِ الْجَبَّارِ وَلَا مِنْ خَشْيِ التَّهَارِ ) <sup>(٥)</sup> .

(١) آيَةُ ٧٣ سُورَةِ الزُّمَرِ .

(٢) مَا بَيْنَ الْقَتُوبَيْنِ مَوْجُودٌ فِي مٍ وَغَيْرِ مَوْجُودٌ فِي صٍ

(٣) آيَةُ ٨٥ سُورَةِ مَرْيَمَ .

(٤) مَا بَيْنَ الْقَتُوبَيْنِ مَوْجُودٌ فِي صٍ وَسَاقِطٌ فِي مٍ .

(٥) مَا بَيْنَ الْقَتُوبَيْنِ مَوْجُودٌ فِي صٍ وَسَاقِطٌ فِي مٍ .

ويقال: الخشية من الله تنضى العلم بأنه يفعل ما يشاء وأنه لا يسأل عما يفعل .

ويقال: الخشية ألطف من الخوف ، وكأنها قريبة من المحبة<sup>(١)</sup> .

« وجاء قلب منيب » : لم يقل بنفسه مطيعة بل قال : قلب منيب ليكون للخصام في هذا أمل ؛ لأنهم — وإن تصرفوا بنفوسهم وليس لهم صدق القدر — فلهم الأنف بطوبهم وصدق الندم .

قوله جل ذكره : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » .

أى يقال لهم : ادخلوها بسلامة من كل آفة ، ووجود رضوان ولا يستدل عليكم الحق أبداً .

ومنهم من يقول له الملك : ادخلوها بسلام ، ومنهم من يقول له : لكم ما تشاؤون فيها — قال تعالى :

« لهم ما يشاؤون فيها ولقدئنا مزيد » .

لم يقل : « لهم ما يسألون » بل قال : « لهم ما يشاؤون » : فكل ما يخطر بيلم فلن سؤالهم يتحقق لهم في الوهلة ، وإذا كانوا اليوم يقولون : ما يشاء الله فلن لم نغداً منه الإحسان . وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

« ولقدئنا مزيد » : اتفق أهل التفسير على أنه الرؤية ، والنظر إلى الله سبحانه<sup>(٢)</sup> . وقوم يقولون : للزيد على الثواب في الجنة — ولا منافاة بينهما .

---

(١) يقول الفقهاء شيخ الفقه : هي مراتب : الخوف والخشية والمحبة : فالخوف من شرط الإيمان « وخالفوه إن كنتم طائفة من الخشية من شرط العلم » : « إننا ينشئ الله من عباده الطيبين والمحبة من شرط المعرفة » ويصلحكم الله نفسه . وقال أبو القاسم الحكيم : الخوف حل فربين : رغبة وخشية ؛ فالحاسب الرغبة يلتصق بالمرتب إذا عاف وحاسب الخشية يلتصق إلى الرب (رسالة ص ٦٥) .

(٢) أجمعوا على أن الله تعالى يرى بالابصار في الآخرة ، وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين ؛ لأن ذلك كرامة من الله تعالى لقوله : « الذين أحسنوا الحسن وزيادته . وجوزوا الرؤية بالقلب وأوجهاها بالسبح ؛ وإنما جازى بالقلب لأنه موجود ، وكل موجود تجوز رؤيته إذا وضع الله سبحانه فيها الرؤية له ، ولو لم تكن للرؤية جائزة عليه لكانت موالعوس عليه السلام : « أرى أنظر إليك جهلاً وكثراً . وجاء السبح بوجوه في مثل : —

قوله جل ذكره: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ مِثْلَهُ

مَنْهُمْ يَتْلُونَ قُنُوتًا فَفَاجَأُوا فِي الْبُلَاةِ... هل

من محيص؟» .

أى اعتبروا بالذين تقدمواكم؛ انهكموا فى ضلالتهم، وأصبروا، ولم يتلوا... فأهلكناهم  
وما أبقينا منهم أحداً .

قوله جل ذكره: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» .

قيل: «لن كان له قلب»: أى من كان له عقل . وقيل: قلب حاضر . ويقال قلب على  
الإحسان مقبيل . ويقال: قلب غير قلب .

«أو ألقى السمع»: استمع إلى ما يتكادى به ظاهره من الخلق وإلى ما يسود إلى سره  
من الحق<sup>(١)</sup> . ويقال: لن كان له قلب صايح لم يسكر<sup>(٢)</sup> من الغفلة . ويقال: قلب يد  
أنفاسه مع الله . ويقال: قلب حتى ينور المواقة . ويقال: قلب غير معرض عن  
الاعتبار والاستبصار .

ويقال: «القلب» — كما فى الخبر — بين إصبعين من أصابع الرحمن: «أى بين نصيتين؛  
وهما ما يدفعه عنه من البلاء، وما ينفعه به من النماء، فكل قلب متنع الحق عنه الأوصاف  
القميمة وألزمه النعمت الحليدة فهو الذى قال فيه: «لن فى ذلك لذكرة لمن كان له قلب» .  
وفى الخبر: «لن لله أوائى وألوى القلوب، وأقربها من الله مارق وصفا» شبه القلوب  
بالأوائى؛ قلب الكافر منكوس لا يدخل فيه شئ، وقلب المنافق إناء مكسور، ما يلتقى فيه  
من أوله يخرج من أسفه، وقلب للؤمن إناء صحيح غير منكوس يدخل فيه الإيمان ويبقى .

«... كما أنهم عز وجلهم يرمضن لهجو يرونه» . ووجهه يرمض ناجية إلى ربها ناظرة .. وقوله «... إنكم سترون  
ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تغطىون فى رؤيته يوم القيامة» . وأجسوا هل أنه لا يرى فى الدنيا بالأبصار ،  
ولكن بالقلوب ؛ لأن الدنيا دار غناء ولا يرى الباقى فى الدار الآتية .. وهى هل بعدم رؤية بلا كيفية ولا إحاطة .

(١) منكلا فى م وهى فى ص ( الخلق ) وهى خطأ فى النسخ .

(٢) منكلا فى م وهى فى ص ( يسكن ) وهى خطأ فى النسخ .

ولكن هذه القلوب مخنقة ؛ قلبٌ مُطْفِئٌ بالاضلالات وضنون الآفات ؛ فالشرابُ الذي يُقْنَى فيه يصعبه آثر ، ويطفئ به .

وقلبٌ صفا من الكنوزات وهو أعلاهما قدراً .

قوله جل ذكره : « وقد خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

وما بينهما في ستة أيامٍ وما نَسْنَا من

لُنُوبٍ » .

وَأَنى يَمَسُّهُ الثُّنُوبُ . • وهو صمدٌ لا يحدث في ذاته حادث ١٩

قوله جل ذكره : « فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ

الغروبِ » .

إِن تَأْذَنُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَمِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَفْتَدِسُ عَنْهَا تَتَّقِي فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ،

وَأَسْرِوحْ مِنْ ذَلِكَ بِتَسْبِيحِكَ لَنَا .

« وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ النُّجُودِ » .

فَاللَّيْلُ وَقْتُ الظُّلُوعِ — وَالصَّفَاءُ فِي الظُّلُوعِ أَمٌّ وَأَصْفَى .

قوله جل ذكره : « وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي لِلنَّادِ مِنْ مَّكَانٍ

قَرِيبٍ • يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ

ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ » .

النَّادِ مِنْ الْحَقِّ — سُبْحَانَهُ — وَارِدٌ عَلَيْهِمْ ، كَمَا أَنَّ التَّجْرِيَّ مُحْمَلٌ دَائِمًا بِهِمْ . وَالنَّادِ

الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِمْ يَكُونُ بِنْتَةً وَلَا يَكُونُ لِلْعَبْدِ فِي رِضَاةٍ اخْتِيَارٍ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا نَعْنِي نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ » .

إِلَيْنَا مَرْجِعُ الْكُلِّ وَمَصِيرُهُمْ .

قوله جل ذكره: «يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا  
ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ» .

هذا يسيرٌ علينا : سواء خففناهم جملةً أو فرادى<sup>(١)</sup> ؛ قال تعالى : « ما خلقكم ولا بشيءٍ  
إلا كنفسٍ واحدة »<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم  
بجبارٍ فَذَكِّرْ التَّوْرَانِ مَنْ يَخَافُ  
وعيدٌ » .

ما أنت عليهم بْمُتَكَلِّفٍ مُّكْرِهِم .

وإنما يُؤْمَرُ التَّضَوُّيفُ وَالْإِنْذَارُ والتذكيرُ في التلاوة ، فأما مَنْ لَا يَخَافُ فلا يَنْبَغُ فِيهِ  
التَّضَوُّيفُ — ومُطَوِّرُ السَّمَاءِ عَلَى الْأَفْهَامِ .

---

(١) حكمة في من وحى في م (فرداً)  
(٢) آية ٢٨ سورة النحل .



## سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

بسم الله كلمة عزيزة مَنْ ذَكَرَهَا عَزَّ لِسَانُهُ ، وَمَنْ عَرَفَهَا اهْتَزَّ بِصَبْغَتِهَا جَنَانُهُ  
« بسم الله » كلمة للألباب غلاية ، كلمة لأرواح الحبيبين سلاية .

قوله جل ذكره : « وَالْقَارِيَاتِ ذُرُوءًا » فالجارات وقراء .  
« وَالْجَارِيَاتِ يُشْرَا » فالجاريات يُشْرَا . « فَالْمُتَّسِكَاتِ أُمْرًا »  
« إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ » وإنَّ  
الدين لواقع .

والذارياتُ : أى الرياح الخملات « وقراء » أى السحاب « فالجاريات » أى السفن .  
« المتكسات أمرا » أى للانسكة .. أقسم يرب هذه الأشياء وقدرته عليها . وجواب القسم :  
« إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ » ، « والإشارة في هذه الأشياء أن من جهة الرياح . الرياح الصبيحية (١)  
تحمل أنينَ للشقائق إلى ساحلِ العزّة فيأتى نسيمُ التربةِ إلى تشامُ أسرارِ أهلِ الحبة ..  
فندلثذ يجلدون راحةً من غلَبَاتِ الوعة ، وفي معناه أنشدوا :

وإني لأستهدى الرياحَ نسيكُم إذا أقبلتْ من أرضكم بهبوب  
وأسألكم حملَ السلامِ إليكمو فلئنْ هي يوماً بَلَّغَتْ .. فأجيبى

ومن السحاب ما يطر بعتاب الغيبة ، ويؤذن بهواجم النوى والفرقة . فلذا عن لهم من  
ذلك شيء أبصروا ذلك تنور بصائرهم ، فيأخفون في الابتال ، والتضرع في السؤال استمادةً  
منها .. كما قالوا :

(١) إشارة إلى صيحاتهم عند اشتداد الوجد .

أقول — وقد رأيتُ لها سحابة من المجران مقبلة إلينا  
وقد سحَّت عزاليها<sup>(١)</sup> يَبِينُ حوالينا الصدودُ ولا علينا  
وكأقذ يحملُ للآحُ بعضَ القراء بلا أجرة طمأ في سلامة السفينة — فهو لاء<sup>(٢)</sup> يرْجُون  
أنْ يُحْمَلُوا في فُلْكَ العناية<sup>(٣)</sup> في بحار<sup>(٤)</sup> القدرة عند تلاطم الأمواج حول السفينة .  
ومِنَ اللامِكةِ مَنْ يَنْزِلُ لتفقد أهل الوصلة ، أو لتنزية أهل للصيبة ، أو لأنواعٍ من  
الأمر تتصل بأهل هذه القصة ، فهو لاء القوم يألونهم عن أحوالهم : هل عندهم خيرٌ عن  
فراقهم ووصلهم — كما قالوا :

بربِّكما يا صاحبيَّ قِيًّا يا أسائلكم عن حالهم وأسألانيا  
«إنما توعدون لصادق . وإن الدين لواقع » : الحقُّ — سبحانه — وَعَدَ الطيبين  
بالجنة ، والثابتين بالرحمة ، والأولياء بالقرية ، والعارفين بالوصلة ، وَعَدَ أرباب المصائب بقوله :  
« أولئك عليهم صلاتٌ من ربهم ورحمة<sup>(٥)</sup> » وهم يتصدون لاستبطاء حُسْنِ المباد — واللهُ  
دعوفٌ بالمباد .

قوله جل ذكره : « والسَّاءَ ذَاتِ الْحَيْكَةِ • إِنَّكُمْ لِنَاقِلِينَ »  
قولٌ مُخْتَلَفٌ • يُؤَفِّكُ عنه مَنْ  
أُنْكَ

« ذات الحيك » أي ذات الطرائق الحسنة — وهذا قَسَمٌ نَاقِلِينَ ، وجوابه : « إنكم لنقلين »  
قول مُخْتَلَفٌ • يبقى في أمر محمد صلى الله عليه وسلم فأحدهم يقول : إنه ساحر ، وآخر يقول :  
مجنون ، وثالث يقول : شاعر .. وغير ذلك .

(١) الأزل من السحاب مالا مطر فيه (الربيع ٢ ص ٦٠٥) .

(٢) يقصد الصوفية .

(٣) هكذا في ص وهي في م (الكتافية) .

(٤) هكذا في ص وهي في م (محال) .

(٥) إشارة إلى الآيتين ١٥٦ و ١٥٧ من سورة البقرة .

والذين إذا أسأبتهم حبيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » : « أولئك عليهم صلات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

والإشارة فيه إلى القسم بباء التوحيد ذات الزينة بشمس العرفان ، وقر الحجة ، ونجوم  
 القرب .. إنكم في باب هذه الطريقة لني قول مختلف ؛ فَمِنْ مُتَكْرِرٍ يَحِدُ الطريقة ، ومن  
 مُتَعَرِّضٍ يَمْرُضُ على أهلها يتوهم همتهم في القيام بحق الشريعة<sup>(١)</sup> ، ومن متمسك<sup>(٢)</sup> لا يخرج  
 من ضيق حدود العبودية ولا يعرف خبراً عن تخصيص الحق أوليائه بالأحوال السنية ،  
 قال قائلهم :

قد سَحَبَ الناسُ أذيالَ الظنون بنا وفَرَّقَ الناسُ فينا قولم فِرَقاً  
 فكاذبٌ قد رمى بالظنِّ غَيْرَكُمْ وصادقٌ ليس يدري أَنَّهُ صَدَقَا  
 قوله جل ذكره : « يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أَرَاكَ » .

أى يُصَرِّفُ عَنْهُ مَنَ صُرِفَ ، وذلك أنهم كانوا يصدّون الناسَ عنه<sup>(٣)</sup> ويقولون:  
 إنه لجهنون .

قوله جل ذكره : « قُتِلَ الظَّالِمُونَ • الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ  
 سَاهَوْنَ » .

لَمِنَ الكَذَّابِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةِ الضَّلَالَةِ وَظُلْمَةِ الْجَهْلَةِ سَاهَوْنَ لَاهُونَ .

قوله جل ذكره : « يَسْأَلُونَ أَبَانَ يَوْمَ الدِّينِ • يَوْمَ هُمْ  
 عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ • ذُوقُوا فَتَنَاتِكُمْ  
 هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ » .

يسألون أبان يوم القيامة ؟ يستعجلون بها ، فلاجل تكذيبهم بها كانت غمرتهم لاتسكن

(١) نلاحظ هنا حرص الإمام القشيري على أن أرباب الحقيقة لا ينتكروا بحال من الأحوال لأى حق من  
 حقوق الشريعة .

(٢) مكلفاً في ص وهي ذم (مشتق) التي هي غلط في التنسخ .

(٣) وانسخ أن القشيري يرى التفسير (م) التي في الآية مائتاً إلى الرسول (ص) . ويبيده بعض المفسرين  
 إلى القرآن أو إلى الدين أو إلى (ما توعدون) . ومعنى عبارة القشيري أنه يصرف عنه من صرفه في سابق علمه .

إليها . ويوم م على النار يُحْرَقُونَ وَيُذَبِّحُونَ قَالَ لَهُم : فَاسُوا عِقَابَكُمْ ، هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَمْتِعُونَ .

والإشارة فيه إلى الذين يَكْذِبُونَ في أعمالهم لَنَا يتدخلهم من الرياء ، ويكذبون في أحوالهم لَنَا يتدخلهم من الإعجاب ، ويكذبون على الله فيما يدَّعونه من الأحوال . . قُتِلُوا وَلَمِنُوا . . وسيلقون غيبه تلييهم بما يُحَرِّمُونَ من اشتِام راحة الصدق .

قوله جل ذكره : « إِنَّ لِلَّذِينَ فِي جَنَّتِ وَعَمُونَ • آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ » .

في عاجلهم في جناتٍ وَعَمِلِهِمْ ، وفي آجلهم في جناتٍ فَضْلِهِمْ ؛ فذلَّا درجات ونجاة ، واليوم قُرْبَاتٍ ومناجاة ، فسا هو مؤَجَّلٌ حظُّ أَعْصِهِمْ ، وما هو مُحْتَلٌّ حقُّ رَبِّهِمْ . م آخِذِينَ اليوم ما آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ؛ يأخذون نصيبهم منه يَبِيدُ الشكر والحمد ، وغدا يأخذون ما يعطيهم رَبُّهُمْ في الجنة من فزون العطاء والرَّغْد .

وَمَنْ كَانَ اليومَ آخِذَهُ بلا واسطة من حيث الإيمان والإحسان ، وملاحظة القسمة في العطاء والحرمات . كان غداً آخِذَهُ بلا واسطة في الجنان عند اللقاء والبيان . « إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ » ؛ كَانُوا وَلَكِنِّهِم اليومَ بَانُوا<sup>(١)</sup> وَلَكِنِّهِمْ بعد ما أَعْدَنَاهُمْ حصولاً واستبانوا . . فهم كما في الخبر : « أَعْبَدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ . . . »<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ • وبِالْأَسْعَارِ مُمِ يَسْتَفْرُونَ » .

(١) العارف كائن بائن (هذا رأى يحيى بن حماد : رسالة القشيري ص ١٥٧) والمعنى أنه وإن بدا بين الناس يشاركونهم ويشارفهم إلا أنه مشتغل عنهم بمعرفة لا يُشغل عنه طريقة عين .  
(٢) جاء في الحلية عن زيد بن أرقم : وأعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يتركك ، وأعسب نفسك في الموت ، وأتق دعوة المظلوم « كذلك رواه الطبراني والبيهقي عن حماد بن عمار : وأعبد الله ولا تترك به شيئاً وأصل كأنك تراه ، وأعد نفسك في الموت » .

المضى إثمًا : كانوا قليلًا وكانوا لا يتعلمون إلا بالليل ( كقوله تعالى : « وقليلٌ من عبادة الشكور »<sup>(١)</sup> ) أو : كان نومهم بالليل قليلًا ، أو :<sup>(٢)</sup> كانوا لا يتعلمون بالليل قليلًا<sup>(٣)</sup> .

« وبالأَسْطَر هم يخفرون » : أخبر عنهم أنهم — مع تهديم دُعائهم — يُنْزِلُون أنفسهم في الأسعار منزلة الماصين ، فيستفرون استصغاراً لِقُدْرَتِهِمْ ، واستغفاراً لِقُصْرِهِمْ .

والليلُ .. للأحِبِّ في أنسٍ للنَّجاةِ ، وللصَّائِغِ في طلب النجاة . والسهرُ لهم في ليلهم دائماً : إِمَّا قَرَطُوا سَبْعَ أَوْ لِسْدَةً لَمَّيْ ، وَإِمَّا لاشْتِيَاقٍ أَوْ قِرَافٍ — كما قالوا :

كَمْ لَيْلَةٍ فَيَاكَ لِاصْبِحَ لَهَا أَفْنَيْتَهَا قَاجِنًا عَلَى كِبْدِي  
قَدْ غُصَّتِ الْعَيْنُ بِالْمَوْجِ وَقَدْ وَصَّصَتْ خَدَى عَلَى بَنَانِ يَدِي

وإِذَا لَكِ الْكَمَالُ أَنْسَى وَطِيبَ رُوحٍ — كما قالوا :

سَقَى اللَّهُ عَيْشًا قَصِيراً مَضَى زَمَانَ الْهَوَى فِي الصَّبَا وَالْجُحُونَ  
لِيَالِيهِ تَحْكِي انْسِلَادَ لَحَافِظِ لَمَّيْ عِنْدَ ارْتِدَادِ الْجَفُونَ

قوله جل ذكره : « وفي أموالهم حقٌ للسائل والمحروم » .

السائلُ هو الْمُتَكَسِّفُ ، والمحرومُ هو الْمُتَصَنِّفُ — ويقال هو الذي يحرم نفسه بترك السؤال .. هؤلاء هم الذين يُمِطُونَ بِشَرَطِ الْمَلِكِ<sup>(٤)</sup> ، فَأَمَّا أَصْحَابُ الرِّوَاةِ : فغيرُ المستحقِّ للمُلْكِ أَوْلى من للمستحقِّ<sup>(٥)</sup> . وأما أهل الفترة فليس لهم مَالٌ حَقٌّ تتوجه عليهم مطالبية ؛ لأنهم أهل الإيثار — في الوقت — لكلِّ ما يُفْتَحُ عَلَيْهِمْ بِهِ .

(١) آية ١٣ سورة سبأ .

(٢) ما بين القوسين موجود في م وسقط في ص .

(٣) يقول اللغوي : ولا يجوز أن تكون ما نافية على معنى أنهم لا يجمعون من الليل قليلاً ويحبرته كله لأن ما نافية لا يصلح ما بعدها فيها قبلها فلا نقول : زَيْدًا ماضرب (اللسن ٤ ص ١٨٤) .

(٤) أي حسب شرائط الشريعة في الزكاة .

(٥) هكذا في م وهي شطرية يخطأ لوقتها في ص ... والمبارة قد تبدل غامضة ، وقد يكون مراد التفسيرى — إن صححت عنه العبارة هكذا — أن أهل الرِّوَاةِ لا يفتقدون في مطالبهم بما تفرغه الشريعة للمستحقين وحسب فإن المستحق يأخذ ما هو حق له ، وإنما يسطرون دائماً ويعنون دائماً بغض النظر عن استحقاق أو عدمه .

قوله جل ذكره : « وفي الأرض آيات للموقنين • وفي

أنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ • وفي السماء

رِزْقُكُمْ وما تَعْدُونَ » .

كما أَنَّ الأرضَ تحمل كلَّ شيءٍ ، فكذلك المارِف يتعمل كلُّ أحد .

وَمَنْ استقلَّ أحدًا أو تبرَّعَ برؤية أحدٍ فَلْيَنْتَبِهْهُ عن الحقيقة ، ولطالمة الخلق بين  
الضرورة — وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة .

ومن الآيات التي في الأرض أنها يُلقَى عليها كلُّ قنارَةٍ وقلمة — ومع ذلك تُنْثَرُ  
كلُّ زهرٍ ونورٍ .. كذلك المارِف يشرب كلُّ ما يُسْقَى من الجفاف ، ولا يترشح إلَّا بكلِّ  
خُلُقٍ عُلِيَ وشيعة زكَّية <sup>(١)</sup> .

ومن الآيات التي في الأرض ( أَنَّ ما كان منها سبعًا يُزَكُّ ولا يُعَمَّرُ لأنه لا يحتمل  
المارة — كذلك الذي لا إيمان له بهذه الطريقة يُهْتَمَل ، فقابلته بهذه الصفة ) <sup>(٢)</sup> كإلقاء  
البذر في الأرض السبعة .

« وفي أنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » : أي وفي أنفُسِكُمْ أيضًا آيات ، فتبها وفتحها في همتها <sup>(٣)</sup> ،  
ووقاحتها في صفتها ، ومنها دعاؤها الرقيقة فيما ترى منها وبها ، ومنها أحوالها الرقيقة حين ترم  
أَنَّ دَرَّةً أو ( . . . ) بها أو منها .

« وفي السماء رِزْقُكُمْ وما تَعْدُونَ » : أي قسمة أرزاقكم في السماء ، فاللائكة للوُكُلُون  
بالأرزاق ينزلون من السماء .

ويقال : السماء هاهنا للطير ، فبالطير ينبت الحبُّ والمرعى .

---

(١) يقول الجنيد : « الصوفى كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل طيب » ، وقال أيضا :  
« إنه كالأرض يطرحها البر والفتاجر » ( الرسالة ص ١٣٩ ) .

(٢) ما بين القومين موجود في م وسقط في م .

(٣) هكذا في م وهي في م ( صفتها ) ويبدو أن الهاء اشتبهت ط للناسخ .

(٤) مشتبهة في النسختين .

ويقال : على رب السماء أرزاقكم لأنه صَنَّاها .

ويقال : قوله : « وفي السماء رزقكم » وما هنا وقف ثم يتبعني : « وما توعدون » .

قوله جل ذكره : « فَوَرَّبَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لِأَنَّهُ لَخَقٌّ مِثْلُ

مَا أَنْتُمْ تَتَّقُونَ » .

أى : إنَّ البعث والنشرَ لَخَقٌّ .

ويقال : إنَّ نصرى لحيدر ولدين ، ولذى أناكم به من الأحكام — لَخَقٌّ مِثْلُ مَا أَنْتُمْ تَتَّقُونَ .

كما يقال : هذا حقٌّ مثل ما أخطأنا .

ويقال : معناه : « أَنَّ اللَّهَ رَازِقُكُمْ » — هذا القولُ حقٌّ مثلما أنكم إذا سئَلْتُمْ مَنْ رَبُّكُمْ؟ وَمَنْ خَالِقُكُمْ؟ قُلْتُمْ : اللَّهُ . . فكما أنكم تقولون : إنَّ اللَّهَ خَالِقُ — وهذا حقٌّ .. كذلك القولُ بأنَّ اللَّهَ رَازِقٌ — هو أيضاً حقٌّ .

ويقال : كما أنَّ نَفْثَكَ لا يَحْكُمُ به غيرُكَ فَرِزْقُكَ لا يأكله غيرُكَ .

ويقال : الفائدة والإشارة في هذه الآية أنه حال برزقك على السماء ، ولا سبيلَ لك إلى المروج إلى السماء لتشتغلَ بما كلفك ولا تنصَّ في طلب ما لا تصل إليه .

ويقال : في السماء رزقكم ، وإلى السماء يُرْفَعُ عَمَلُكُمْ . . فَإِنَّ أَرْضَكَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكَ رِزْقُكَ فَأَصْبَحْتَ إِلَى السَّمَاءِ عَمَلَكَ — ولماذا قالوا : الصلاة قَرْبُ بَابِ الرِّزْقِ ، وقال تعالى : « وَأَمْرٌ أَهْلُكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَانْصَالَكَ رِزْقًا » (١) .

قوله جل ذكره : « هل أتاك حديثُ إِبْرَاهِيمَ

الْمَكْرَمِينَ » .

---

(١) آية ١٣٢ سورة طه .

قيل في التفسير : لم يكن قد أتاه خبرهم قبل نزول هذه الآية .  
وقيل : كان عددهم اثني عشر مَلَكًا . وقيل : جبريل وكان معه سبعة . وقيل :  
كانوا ثلاثة .

وقوله : « المكرمين » قيل لقيامه — عليه السلام — بخدمةهم . وقيل : أكرم الضيفَ  
بطلاقة وجهه ، والاستقبال بوقودهم .

وقيل : لم يتكلم إبراهيمُ لهم ، وما اعتذر إليهم — وهذا هو إكرام الضيف — حتى  
لا تكون من المضيف عليه مَنَّةٌ فيحتاج الضيف إلى تحملها .

ويقال : تمام مكرمين لأن غير المدعو عند الكرام كرم .

ويقال : ضيفُ الكرام لا يكون إلا كريمًا .

ويقال : المكرمين عند الله .

قوله جل ذكره : « إزدخلوا عليه فقالوا سلاماً قال

سلامٌ قومٌ مُنْكَرُونَ » .

أى سلّمنا عليك ( سلاماً ) قال إبراهيم : لكم منى ( سلامٌ ) .

وقولهم : « سلاماً » أى لك منا سلام ، لأنّ للسلام : الأمان .

« قومٌ مُنْكَرُونَ » : أى أنتم قوم منكرون ؛ لأنه لم يكن يعرف مثلهم فى الأضياف .  
ويقال : غُرَبَاء .

قوله جل ذكره : « فَرَأَى إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِمِجْلٍ مَمِينٍ •

فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ » .

أى عدَلَ إليهم من حيث لا يطلون <sup>(١)</sup> ، وكذلك يكون الروغان <sup>(٢)</sup> .

(١) أى من حيث لا يعلم الأضياف .

(٢) وكذلك يكون روغان للكرام : غفّة حتى لا يُسبب لأضيافه الحرج .



« لجاء بمجلى سمين » فشواه ، وقربه منهم وقال : « ألا تأكلون ؟ » وحين امتنعوا  
عن الأكل :

« فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا :  
لَا تَخَفْ ، وَبَشِّرْهُمْ بِبَلَاءٍ عَظِيمٍ » .

تَوَمَّ أَنْهُمْ لِمَوْصٍ قَالُوا لَهُ : « لَا تَخَفْ » .

« وبشروه بسلام عليم » : أى بشروه بالولد ، وبقاء هذا الولد إلى أن يصير علياً ؛ والعليم  
مبالغة من العلم ، وإنما يصير علياً بعد كبره .

« فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي مَرَّةٍ فَصَكَّتْ  
وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ » .

« فى مَرَّةٍ » أى فى صيحة شديدة ، « فصكت وجهها » أى فضربت وجهها بيدها كمنفل  
النساء « وقالت عجوز عقيم » : أى أنا عجوز عقيم . وقيل : إنها يومها كانت ابنة ثمان  
وتسعين سنة ، وكان إبراهيم ابن تسع وتسعين سنة .

« قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ  
الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ » .

أى قلنا لك كما قال ربك لنا ، وأن نُنْخِرَكَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ، الذى  
لا يخفى عليه شئ<sup>(١)</sup> .

« قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ؟ » .

سألم : ما شأنكم ؟ وما أمركم ؟ وماذا أُرْسِلتم ؟

« قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ »

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَبْلًا مِّن طِينٍ »

---

(١) روى ابن جرير قال قال عاصم بن سميح : انظرى إلى سقف بيتك ، فتنارت فلاناً جفوعه موقوفة شجرة .

مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ • فَأَخْرَجْنَا  
مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَمَا وَجَدْنَا  
فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ •

هم قوم لوط ، ولم نجد فيها غيرَ لوطٍ ومن آمن به .

قوله جل ذكره : « وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ » .

تركنا فيها علامةً يستبر بها الخائفون — دون القاسية عليهم <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ  
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ » .

أى بحجة ظاهرة بالهرة <sup>(٢)</sup> .

.... إلى قوله : « وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَكُوسِعُونَ » : أى جعلنا فيها وبين الأرض  
سمة ، « وَإِنَّا لَنَاقِرُونَ » : على أن تزيد في تلك <sup>(٣)</sup> السمة .

« وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ لِلْهَادُونَ » .

أى جعلناها مهاداً لكم . ثم أثنى على نفسه قائلاً : « فَنِعْمَ لِلْهَادُونَ » .  
دلٌّ بهنا كله على كمال قدرته ، وعلى تمام فضله ورحمته .

قوله جل ذكره : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

أى صنفين في الحيوان كالفرد والأنثى ، وفي غير الحيوان كالحركة والسكون ، والسواد  
والبياض ، وأصناف للتضادات .

(١) قيل على ماء أسود متين .

(٢) حكاه في م وهي في ص ( ظاهرة ) وكلاهما مقبول في السياق .

(٣) حكاه في م وهي في ص ( سلك ) والسياق لا يقبل هذه .

قوله جل ذكره: «قَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ

نَذِيرٌ مِّمَّنْ» .

أى طرِجُوا إِلَى اللَّهِ — والإنسان يأتى حالتين؛ إمّا حالة رغبة فى شيء، أو حالة رغبة من شيء، أو حال رجاء، أو حال خوف، أو حال جَلْبٍ نَفْعٍ أو رُفْعِ ضَرٍّ . وفى الحالتين ينبغى أن يكونَ فِرَاقُهُ إِلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَّ هُوَ اللَّهُ .

ويقال: مَنْ صَحَّ فِرَاقُهُ إِلَى اللَّهِ صَحَّ قَرَارُهُ مَعَ اللَّهِ .

ويقال: يجب على العبد أن يفرّ من الجهل إلى العلم، ومن الهدى إلى التقى، ومن الشرك إلى اليقين، ومن الشيطان إلى الله .

ويقال: يجب على العبد أن يفرّ من ضلّه — الذى هو بلاؤه إلى ضلّه الذى هو كُفَايَه، ومن وصفه الذى هو سخطه إلى وصفه الذى هو رحته، ومن غسه — حيث قال: «ويعزركم الله غسه» إلى غسه حيث قال: «قَرِّبُوا إِلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>:

قوله جل ذكره: «وَلَا تَجْهَلُوا مَعَ اللَّهِ لَمَّا آخَرَ إِيَّائِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مِّمَّنْ» .

منه نَذِيرٌ مِّمَّنْ .

أَخَوْتُكُمْ أَلَمْ عَوِجَتْ بِإِنْ أَشْرَكْتُمْ بِهِ — فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ .

ثم بيّن أنه على ذلك جرّت عبادتهم فى تكذيب الرُّسُلِ، كأنهم قد توصوا بما بينهم بذلك .

قوله جل ذكره: «فَقَتُلُوا عَنْهُمْ فَأَنْتَ بِمَلُومٍ» .

فَأَهْرَضْ عَنْهُمْ فَلَيْسَتْ تَلَحُّقُكَ — بسوء صنيعهم — ملامة<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره: «وَدَّ كُرُّكَ فَإِنَّ الْاِكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» .

دَكَّرَ الْمَاصِينَ عَقُوبَتِي لِيَرْجِعُوا عَنْ مَخَالَفَةِ أَمْرِي، وَدَكَّرَ لِلطَّيِّمِينَ جَزِيلَ ثَوَابِي لِيَزِدَادُوا

(١) هنا استخدم التشبيه فى ثقافته الكلامية فيما يتصل بصفات (الفضل) وصفات (الآفات) (أنظر تقديمنا لكتاب التفسير فى التذكير) .

(٢) حكلا فى م ومى فى ص (ملايه) ومى عطفاً من التامع .

طاعة وعبادة ، وَذَكَرَ المَارْفِينَ مَا صَرَفْتُ عَنْهُمْ مِنْ بِلَاقِي ، وَذَكَرَ الْأَغْنِيَاءَ مَا أَنْحَتُ<sup>(١)</sup> لَهُمْ مِنْ إِحْسَانِي وَعَطَائِي ، وَذَكَرَ الْقُرَاءَ مَا أَوْجِبْتُ لَهُمْ مِنْ صَرْفِ الدُّنْيَا عَنْهُمْ وَأَعَدَدْتُ لَهُمْ مِنْ لِقَائِي .

قوله جل ذكره : « وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا • إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ اللَّتِينِ » .

الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ فِي آزَالِي ، وَخَصَّصْتُهُمْ — الْيَوْمَ — بِمَحْضَرِ إِقْبَالِي ، وَوَعَدْتُهِمْ جَزِيلَ أَفْضَالِي — مَا خَلَقْتُهِمْ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي .

وَالَّذِينَ سَخَطْتُ عَلَيْهِمْ فِي آزَالِي ، وَرَبِطْتُهِمْ — الْيَوْمَ — بِالْغُلْزَانِ فِيمَا كَلَّفْتُهُمْ مِنْ أَعْمَالِي ، وَخَلَقْتُ النَّارَ لَهُمْ — بِحُكْمِ الْهَيْبَةِ وَوَجُوبِ حُكْمِي فِي سُلْطَانِي — مَا خَلَقْتُهِمْ إِلَّا لِنَاقِي وَأَنْكَالِي ، وَمَا أَعَدَدْتُ لَهُمْ مِنْ سِلَاحٍ وَأَغْلَالِي .

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ أَنْ يُطْعَمُوا أَوْ يَرْزُقُوا أَحَدًا مِنْ عِبَادِي فَإِنَّ الرِّزْقَ أَنَا .

وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا فَلَئِنْ أَنَا اللَّهُ « ذُو الْقُوَّةِ » : اللَّتِينُ الْقَوِيُّ .

قوله جل ذكره : « فَلْيَنْ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا . مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِظُونَ » .

لَمْ نَصِيبْ مِنَ الْعَذَابِ مِثْلَ نَصِيبِ مَنْ سَلَفَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْكَافِرِ فَلَيْسَ اسْتِعْجَالُ الْعَذَابِ — وَالْعَذَابُ لَنْ يَفُوتَهُمْ ؟ .

« فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ » .

وهو يوم القيامة .

(١) مَكَلَّفَاتِي وَمَعْنَى فِي ص (الْمَكْتُوبِ) وَمَعْنَى غَيْرِ مُلَاحَظَةٍ لِلْمَلَأَقِ .

## سُورَةُ الطُّورِ

• قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمة ما استوت على قلب عارفٍ إِلَّا تَيَسَّتَهُ بكشف جلاله ، وما استوت على قلب مُتَأَقِّبٍ إِلَّا أكرمته بلفظ أفضاله .. فهى كلمة قَهَّارَةٌ للقلوب .. ولكن لالكل قلب ، مَذْهَبٌ للكروب .. ولكن لالكل كُرب .

قوله جل ذكره : « وَالطُّورِ • وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ •  
فِي رَقٍّ مَنشُورٍ » .

أقسم الله بهذه الأشياء ( التى فى مطلع السورة ) ، وجواب القسم قوله : « إِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ » . وَالطُّورُ هو الجبلُ الذى كَلَّمَ عليه موسى عليه السلام ؛ لأنه مَعْلٌ قَدَّمَ الأحياء وقت سماع الخطاب . ولأنه للوضع الذى سَمِعَ فيه موسى ذِكْرَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وذِكْرَ أُمَّتِهِ حتى نادانا ونحن فى أصلاب آبائنا فقال : أعطيتكم قبل أن تَسْأَلُونِ « وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ » : مكتوب فى الصلحف ، وفى اللوح المحفوظ .

وقيل : كتاب للملائكة فى السماء يقرءون منه ما كان وما يكون .

ويقال : ما كتب على نفسه من الرحمة لمباداه .

ويقال ما كتب من قوله : سبقت رحمتى غضبى <sup>(١)</sup> .

ويقال : هو قوله : « وَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزُّبُرِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِ الصَّالِحِينَ » <sup>(٢)</sup> .

(١) فى الحديث أن الله كتب فى كتاب فهو منه فوق العرش : وَإِنْ رَحِمْتِ سَبَقَتْ غَضَبِى » .

(٢) آية ١٠٠ سورة الأنبياء .

وقال : الكتب للطور في أعمال البلاد يُسَطَّى لبيادهم بأيمانهم وشمالهم يوم القيمة .  
« في رفق منشور »<sup>(١)</sup> : يرجع إلى ما ذكرنا من الكتاب .

« والبيت المور » .

في السماء الرابعة<sup>(٢)</sup> - ويقال : هو قلوب المايدين المارقين للممورة بحسبته ومعرفته . ويقال :  
هي مواضع عباداتهم ومجالس خلواتهم . وقيل : الكعبة .

« والسقف للرفع »

هي السماء . وقيل سماء جميعهم في لللكوت .

« والبحر للسجور »

البحار الملوحة .

أقسم بهذه الأشياء : إنَّ عذابي لواقع . وعذابي في الظاهر ما توعد به عبادي العاصين ،  
وفي الباطن الحجاب بعد الحضور ، والسر بعد الكشف ، والرد بعد التبول .

« ما كاه من دافع »

إذا ردَّ عبداً أكرم القضاء يردّه :

إذا انصرفت نسي عن الشيء لم تكن إليه بوجه آخر - المحر - مشيل

قوله جل ذكره : « يومَ تَمُورُ السماءُ مَوْرًا » وتسير الجبالُ

سيرًا » .

« تَمُورُ » : أي تدور بما فيها ، وتسير الجبالُ عن أماكنها ، قسیر سيرا .

« فويلٌ يومئذٍ للمُكَذِّبِينَ » الذين هم في خوضد

يلبون .

(١) الفرق هو الصحيفة أو الجلة التي يكتب فيه ، منشور لا غم عليه أو لاج .

(٢) يقابل للكعبة مسمور باللائكة .

الويل لكلمة قولها الرب لم يضع في الهلاك .

« في خوض يلبون » : في باطل التكذيب يخوضون .

« يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا » هذه النار التي كنتم

بها تُكذَّبون « أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ » .

يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى النَّارِ دَعَا ، ويقال لهم : هذه هي النار التي كنتم بها تُكذَّبون . .

ثم يألون : أمنا من قيل السحر على ما قلتم أم غطى على أبصاركم ؟ !

قوله جل ذكره : « أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ

عَلَيْكُمْ إِنَّا نَجْزِي مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

والصبر على الجزاء في العقوبة لاقية له ، لأن عذابهم عقوبة لهم :

قوله جل ذكره : « إِنَّا لِلَّذِينَ فِي جَنَّتِ وَنَسِمْ » فأكهن

بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب

البحيم » .

المتقون في جنات ونسيم عاجلاً وآجلاً<sup>(١)</sup> . « فأكهن » أي مُنجِيبين بما آتاهم ربهم

وما أعطاهم .

ويقال : « فأكهن » : أي ذوقوا فأكهة : كقولهم رجل تلمر أي ذوتمر ، ولا بن أي

ذو لبن .

قوله جل ذكره : « كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »

قوم يصير لهم ذلك هنيئاً بطعمه ولذته ، وقوم يصير هنيئاً لهم سماع قولهم

(١) يشير التفسير إلى النسيم الساجل الذي هو الوصلة والقرية . فمن المعلوم أن الصوفية يسلكون طريقهم

في حياة وسطى فيها قِيَامَةٌ وحشر ونفث وثواب ؛ وطاب ؛ بما يشرون ؛ من هجر ووصل ، وخوف ورجاء . ونحو ذلك من الأسرار .

عنه — سبحانه — منيتاً ، وقوم يصير لهم ذلك هنيئاً وهم يشهدونه :

فاشرب على وجهها كثرَئِها مُدَامَةً في الكئوس كالشَّربِ

« مُتَكِينٍ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ

وَزَوَاجِنَامٍ بِحُورٍ عَيْنٍ »

يظَلُّونَ فِي سُرُورٍ وَجُورٍ ، وَنَصِيبٍ مِنَ الْأَنْسِ مَوْفُورٍ .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمُ

يُلَاقِيهِمُ الْحَقْنَاءُ بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمُ »

يُكْمَلُ عَلَيْهِمُ سُرُورُهُمْ بِأَنْ يُلْحِقَ بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ ؛ فَإِنَّ الْأَفْرَادَ بِالنِّعْمَةِ عَمَّنِ  
الْقَلْبُ مُشْتَقِلٌ بِهِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْقَرْبَةِ بِوَجِبِ تَنْفَعِ الْعَيْشِ .

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَلْبُ الْوَلِيِّ يَلَاظُهُ مِنْ صَدِيقٍ وَقَرِيبٍ ، وَوَلِيٍّ وَخَادِمٍ ، قَالَ تَعَالَى  
فِي قِصَّةِ يُوسُفَ : « وَأَتَوْنِي بِأَمْلِكُمْ أَجْمَعِينَ »

وَفِي هَذَا اللَّفْظِ قَالُوا :

إِنِّي عَلَى جَفَوَاتِهَا — فَهَرَبْتُهَا وَبُكَلْتُ مُتَّصِلَةً بِهَا مُتَوَسِّلَةً

لأحبها ، وَأَحْبَبْتُ مَنْزِلَهَا الْفَتَى نَزَلَتْ بِهِ وَأَحْبَبْتُ أَهْلَ الْمَنْزِلِ

« وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ

كُلُّ أَمْرٍ إِذَا مَا كَسَبَ رَهِيْنٌ »

أَيُّ مَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ أَجْرِهِمْ مِنْ شَيْءٍ بَلْ وَفِينَا وَوَفَّرْنَا . وَفِي الْإِبْتِدَاءِ نَحْنُ أَوْلَايُنَا وَزِدْنَا .  
عَلَى مَا أَعْطَيْنَا .



« كل امرئ بما كسب رهين » مُطَالَبٌ بَعْلُهُ ، يوفى عليه أجره بلا تأخير ، وإن كان ذنباً فالكثير منه مفضور ، كما أنه اليوم مستور .

قوله جل ذكره : « وأمددناهم بنாகية ولمح عما يشبهون

• يتنازعون فيها كأساً لا لنفوس فيها

ولا تأثم »

أى لا يجرى بينهم باطل ولا يؤثمهم كما يجرى بين الشرب<sup>(١)</sup> فى الدنيا ، ولا يذهب الشرب بقولهم فيجرى بينهم ما يخرجهم عن حد الأدب والاستقامة .

وكيف لا يكون مجلسهم بهذه الصفة ومن العلوم من يستقيم ، وهم يشهد منه وعلى رؤية منه ؟ .

قوله جل ذكره : « ويظوف عليهم غلمان لهم كنائهم

لؤلؤ مكنون » .

والقوم عن النار وعن النار مختطفون لاستيلاء ما يسترقهم ؛ فالشراب يؤنسهم ولكن لا يمنهم بمانسهم<sup>(٢)</sup> ؛ وإذا كان — اليوم — للعبد وهو فى السجن فى طول عمره ساعة<sup>(٣)</sup> امتناع عن سماع خطاب الأعيار ، وشهود واحد من المخلوقين — وإن كان ولناً عزيزاً ، أو أخاً شقيقاً — فى الحال أن يظن أنه يراد من الأعلى إلى الأدنى . . . إن كان من أهل القبول والجنة ، ومن الحال أن يظن أنه يكون غداً موسوماً بالشقاوة .

وإذا كان العبد فى الدنيا يقامى فى غربته من مَعَاذَةِ اللّٰهِ والى — فإذا يجب أن يقال إذا

---

(١) الشرب بالفتح القوم يشربون ويستمعون على الشراب (الوسط والسادن) .

(٢) هكذا فى م وهو أقرب إلى الصواب مما جاء فى ص (بجالسهم) باللام لأن السياق يتقدم بالأمر ؛ فالأمر الحاصل يومئذ بالحق لا بالخلق .

(٣) حله محاولة طبية يقدمها التفسير الإشارى عند بحث قضية التنمى فى الآخرة ونفى المسيات من هذا المنتمى ؛ لأنه إذا تصورنا أن العبد فى ساعة القضاء يكون محمداً فيها يشهد ، وأن ذلك يحدث فى الدنيا .. فما بالك فى الآخرة وهم نظرون إلى وجه ؟ !

رجع إلى منزله ؟ أبقى على ما كان عليه في سفرته ؟ أم بقي غير ما كان يقامى في سفرته ،  
ويصرع غير ما كان يُنتهى من كسات كُرْبته ؟ .

قوله جل ذكره : « وأقبل بعضهم على بعضٍ يقاتلون »

قالوا إنا كنا قَبْلُ في أهلنا مشفقين •

فَنَ اللَّهُ علينا ووفانا عذابَ السَّومِ » .

فولأَنهم قالوا : « فَنَ اللَّهُ علينا » لكانوا قد لاحظوا إشفاقهم ، ولكن الحق - سبحانه -

اخطئهم عن مُهود إشفاقهم ؛ حيث أشهدهم مِنته عليهم حتى قالوا : « فَنَ اللَّهُ علينا ، ووفانا  
عذاب السوم ، إنا كنا مِن قَبْلُ ندعوه إنه هو البرُّ الرحيم » .

قوله جل ذكره : « فَذَكَّرْنَا أَنتَ نعمة رَبِّكَ بكاهنر

ولا مجنون » .

أى أنهم يطمون أَنك لست بك كهكة ولا جنون ، وإنما قالوا ذلك على جهة التفتية ؛

فالتفتية يسط لسانه فيمن يسبُّ بما يعلم أنه منه برىء •

« أم يقولون شاعرٌ تَرَبَّصُ به رَيْبٌ »

المُنُون • قلْ تَرَبَّصُوا فَنِي مَعَكُمْ مِنَ

الْمُتَرَبِّصِينَ » .

تربص به حواشي الألام ؛ فإنَّ مِثْلَ هذا لا يدوم ، وسيبوت كما مات مِن قَبْلِهِ كَهَانٌ

وشراء .

وقال : قالوا : إنا أباه مات شاباً ، وَرَجَوْا أَنْ يَمُوتَ كما مات أبوه ، صَلَّ تعالى :

« قل تَرَبَّصُوا ... » فَإِنَّا مُتَنظِرُونَ ، وجاء في التفسير أَنَّ جِمْهَمَ ماثوا . فلا ينبغي

لأحد أَنْ يُؤْمَلَ موتَ أحد . قَتَلَ مَنْ تَكُونُ هذه صَنَعَتُهُ إِلَّا سَبَقَتْهُ الْمَنِيَّةُ — دونَ أَنْ  
يُدْرِكَ ما يَتَمَنَّاهُ مِنَ الْأَمْنِيَّةِ .

قوله جل ذكره: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ إِحْلَافُهُمْ بِهِذَا أَمْ م  
قَوْمٌ طَائِفُونَ» .

أنا نمرم عقولهم<sup>(١)</sup> بهذا؟ أم تحلمهم بمجاوزة الحد في ضلالهم وطمعهم على هذا؟  
قوله جل ذكره: «أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ» فليأتوا  
بمحدثٍ مثله إن كانوا صادقين .  
إننا كانوا يزعمون أنك تقول هذا القول<sup>(٢)</sup> من ذاتِ نفسك فليأتوا بمحدثٍ مثله إن  
كانوا صادقين فيما رموك به !

قوله جل ذكره: «أَمْ خُلِيفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ م  
الطَّافُونَ؟» .

كلّا ليس الأمرُ كذلك ، بل الله هو الخالق وهم المخلوقون .  
أم هم الذين خلقوا السموات والأرض؟ أم عندهم خزانٌ ربّك .  
— أى خزانٌ أرزاقه ومقدوراته؟ أم هم للسيطرون المتسلطون على الناس؟ .  
أم لهم سُلّمٌ يرتقون فيه فيستمتعون ما يجري في السموات؟ فليأتِ مستمتعهم بسلطانٍ مبين .  
ثم لماته سَفَهَ أحلامهم قال :

«أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ» • أم

تألم أجراً فهم من منعم متقنون .

أم تألم على تبليغ الرسالة أجراً فهم متقنون من الثرّم والإِزام في السال (بحيث يزهدم  
ذلك في اتباعك؟ .

---

(١) كانت قريرش يدعون أدل الأحلام والنهى — فليناد الأعلام إلى الكفار في الآية بجاز فيه سخرية منهم .

(٢) ما بين القوسين إضافة من جانبنا كي يوضح السياق — فالنشيرى كما هو واضح في آخر السورة لا يعنى سوى كلمات متعشبة ، وإنما هم الجانب الإشارى — إن وجد .

أم عندهم علم الغيب فهم يكتبون ذلك ؟  
 أم يريدون كيداً<sup>(١)</sup> أى أن يمكروا بك مكرًا فالذين كفروا هم للسكرانين .  
 أم لهم إله غير الله يفعل شيئًا مما يفعل الله ؟ تنزيهاً له عن ذلك !

قوله جل ذكره : « وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا  
 يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ » .

أى إن رأوا قطعة من السماء ساقطة عليهم قالوا : إنه سحبٌ مركوم<sup>(٢)</sup> رُكْم بمعنى على  
 بعض وللقصود أنهم مهما رأوا من الآيات لا يؤمنون . ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء حتى  
 شاهدوا بالعين قالوا : إنما سُكِرَتْ أبصارنا ، وليس هذا عيانًا ولا مشاهدَةً .

قوله جل ذكره : « فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي  
 فِيهِ يُصْعَقُونَ • يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ  
 كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ » .  
 أى فأعرض عنهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يموتون ، يوم لا يُغْنِي عنهم كَيْدُهُمْ شَيْئًا ،  
 ولا يُنصَرُونَ من هذا بنا .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ  
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَلْمِهُونَ » .

دون يوم القيامة لهم عذاب القتل والنسيء ، وما نزل بهم من الهوان والخرى يوم  
 بدر وغيره<sup>(٣)</sup> .

« وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَلْمِهُونَ » : أَنَّ اللَّهَ نَاصِرٌ لِدِينِهِ .

قوله جل ذكره : « وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ  
 بِأَعْيُنِنَا » .

(١) يقال هو كيدهم الرسول والمؤمنين يدبر الفتنة - وقد يقصد به الكفاز أجمعين .

(٢) فى ص (مكروم) وهى خطأ فى النسخ .

(٣) ويقال عذاب القبر لأنه يسبق القيامة .

أنت بمرأى مِنَّا، وفي نصرَةٍ مِنَّا .

« فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا »<sup>(١)</sup> : في هذا تخفيفٌ عليه وهو ينامى الصبر .

« وَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ » .

أى تقوم للصلاة المفروضة عليك .

« وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ »

قيل : للقرآن والماء وركعتا التبر .

وفي الآية دليل وإشارة إلى أنه أمره أن يذكُرَه في كل وقت ، وألا يخلو وقت من ذِكْرِهِ .

والصبرُ لحكم الله شديدٌ ، ولكن إذا عرَفَ اطلاعَ الربِّ عليه سهلَ عليه ذلك وهان .

---

(١) التبرير بالجمع هنا قد يفيد زيادة الرعاية في حق المصطفى صلوات الله عليه ، خصوصاً إذا تذكرنا أنه سبحانه قال في حق موسى عليه السلام «وَلَتَصْنَعَنَّ عَلَيْنِي» فالتميز في هذه الحالة بالفرق ، والله سبحانه أعلم .

## سُورَةُ النَّجْمِ

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

«بسم الله» اسمٌ جليلٌ رحيمٌ، يعلم<sup>(١)</sup> فيما يعلم، ويستر ما يصير ويفتر<sup>(٢)</sup>، وعلى العقوبة يقدر، يبرئ ويخفى، ويعلم ولا يُخفى .

قوله جل ذكره: «والنجم إذا هوى» ما ضلَّ صاحبكم وما غوى<sup>(٣)</sup>

والثريا إذا سقط وغرب . ويقال: هو جنس النجوم أقسم بها .

(ويقال: هي الكواكب)<sup>(٤)</sup> . ويقال: أقسم بنجوم القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ويقال هي الكواكب التي تُرى بها الشياطين .

ويقال أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم عند مُنصرفه من المراج .

ويقال: أقسم بضياء قلوب المارقين ونجوم عقول الطالبيين .

وجواب القسم قوله: «ما ضلَّ صاحبكم وما غوى»: أى ما ضلَّ عن التوحيد قط ، وما غوى: أى: «التي»: تفيض الرشد . . وفى هذا تخصيصٌ للنبي صلى الله عليه وسلم حيث تولى — سبحانه — اذنب عنه فيما رُمى به ، بخلاف ما قال لنوح عليه السلام وأُزِنَ له حتى قال: «ليس بى ضلالة»<sup>(٥)</sup> ، وهود قال: «ليس بى سفاهة»<sup>(٦)</sup> . . وغير ذلك ، وموسى

(١) هكذا فى م وهـ، فى ص (يكلم) وواضح أنها خطأ من الناسخ .

(٢) هكذا فى م وهـ فى ص (يفتر) وهى خطأ من الناسخ .

(٣) من جود فى م وسقط فى ص .

(٤) آية ٦١ سورة الأعراف .

(٥) آية ٦٧ سورة الأعراف .

قال لقرون : « وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً » (١) . وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم :  
 « ماضٍ صاحبكم وماغوى » : معناه ماضٍ صاحبكم ، ولا تغفل عن الشهود طرفة عين .  
 قوله جل ذكره : « وما ينطق عن الهوى » إن هو  
 إلا وحيٌ يوحى » .

أى ما ينطق بالهوى ، وما هذا القرآن إلا وحيٌ يوحى . وفي هذا أيضاً تخصيص له  
 بالشهادة ؛ إذ قال لعاود : « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » (٢) .  
 وقال في مكة نبيينا صلى الله عليه وسلم : « وما ينطق عن الهوى » .

( ومتى ينطق عن الهوى وهو في محل التجوى ؟ في الظاهر زمومٌ بزمام التقوى ، وفي  
 السرائر في إيواء الولي ، مُصَنَّى عن كدورات البشرية ، مُرَقَّى إلى شهود الأحديّة ،  
 مُكَاشَفٌ بجلال الصمدية ، مُخْتَطَفٌ عنه بالسكّلية ، لم تبق منه إلا الحقُّ بالحقِّ بقية . ومن  
 كان بهذا النعت . . متى ينطق عن الهوى ؟ ) (٣) .

قوله جل ذكره : « علّمهُ شديدُ التَّوْبَى » \* ذو مِرَّةٍ  
 فاستوى \* وهو بالآفقي الأعلى » .

أى جبريل عليه السلام . و « ذو مِرَّة » : أى ذو قوة وهو جبريل . وهو بالآفقي  
 الأعلى ، أى جبريل .

« ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى \* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ  
 أَوْ أَدْنَى » .

دنا جبريل من محمد عليه السلام ، فتدلى جبريل : أى نَزَلَ من العلو إلى محمد .  
 وقيل : « تدلى » قيد الزيادة في التَّوْبَى ، وأنَّ محمداً عليه السلام هو الذى دنا من ربّه  
 دَنُو كرامة ، وأنَّ إبليساً هنا معناها السجود .

(١) آية ١٠٢ سورة الإسراء .

(٢) آية ٢٦ سورة ص .

(٣) كل ما بين القوسين موجود في مكان آخر ، وغضناه في مكانه الصحيح حتى يستقيم السياق .

وقال : دنا محمد من ربّه بما أودع من لطائف اللعنة وزوائدها ، فقلّلى يسكون قلبه إلى ما أدناه .

« فكان قلب قوسين أو أدنى » : فكان جبريل — وهو في صورته التي هو عليها — من عند صلى الله عليه وسلم بحيث كان بينهما قدّو قوسين أو أدنى .

ويقال : كان بينه — صلى الله عليه وسلم — وبين الله قدّو قوسين : أراد به دُنُو كرامة لا دُنُو مسافة .

ويقال : كان من حادثهم إذا أرادوا تحقيق الألفّة بينهم إلصاق أحدهم قوسه بقوس صاحبه عبارة عن <sup>(١)</sup> عقد اللوالة بينهما ، وأنزل الله — سبحانه — هذا الخطاب على مقتضى مهبودم . ثم رفع الله هنا فقال : « أو أدنى » أى بل أدنى .

قوله جل ذكره : « فأوحى إلى عبده ما أوحى »

أى أوحى الله إلى محمد ما أوحى . ويقال : أحسنه احتمالاً <sup>(٢)</sup> لم يطلع عليها أحد .  
ويقال : قال له : ألم أجعلك نبياً فأوحيك ؟ ألم أجعلك ضالاً فهديتك ؟  
ألم أجعلك عائلاً فأغنيك ؟ ألم أشرح لك صدرك ؟  
ويقال : بشره بالمحوض والكوثر .

ويقال : أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها ، وعلى الأمم حتى تدخلها أمّتك . والأولى أن يقال : هذا الذى قاله كله حسن ، وغيره عالم يطلع أحد .. كله أيضاً كان له فى تلك الليلة وحده ، إذ رقاؤه إلى مارقاه ، ولقاؤه بما لقاه ، وأدناه حيث لا دنو قبله ولا بعده ، وأخذنه عنه حيث لا غير ، وأصحاه له فى عين ما صحاه عنه ، وقال له ما قال .. دون أن يطلع أحد على ما كان بينهما من السر <sup>(٣)</sup> .

(١) كما تقول فى أسلوبنا الآن (تسيراً من ..)

(٢) هكذا فى ص وصى أصوب مما جاء فى م (أجمله إجمالاً) بالجمع فالسياق يرفضها .

(٣) هذه الفقرة الأخيرة محاولة من جانب أرباب الحقيقة لفهم بعض جوانب فى قصة الإسراء والمعراج . ومضمون كلام التفسيرى أننا لو كنا نستطيع حدوث أسرار الكشوفات والمواصلات بين تنحى للأفرياء العارفين .. فكيف لا نضلّهم بالقبس المصطفى عليه صلوات الله وسلامه ؟ وبمضى أكثر : نجد التفسير الصوفى يبرز نفسه فى قوة ونسامة لتوضيح قضية من قضايا الصوفيين ، كانت موضع جدل فى زمانها وبعد زمانها .



قوله جل ذكره : « ما كَذَّبَ التَّوَّادُ مَا رَأَوْا » .

ما كَذَّبَ تَوَّادٌ عُمِدٌ صلى الله عليه وسلم لما رآه يبصره من الآيات . وكذلك قال : رأى ربه تلك الآية على الوصف الذى عليه قبل أن يراه<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « أَفْتَأْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَوْنَ » .

أفتجادونه على ما يرى ؟

قوله جل ذكره : « وَقَدْ رَأَى نَزْلَهُ أُخْرَى • عِنْدَ سِدْرَةِ  
النتَنِ • عِنْدَهَا جَنَّةُ الْأَوَّلَى » .

أى جبريلُ رأى الله مرةً أخرى حين كان محدّد عند سدرة المنتهى ؛ وهى شجرة فى الجنة ، وهى منتهى اللانكسة ، وقيل : تنهى إليها أرواحُ الشهداء . ويقال : تنهى إليها أرواحُ المخلّقى ، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى — وعندها « جنة للأولى » وهى جنة من الجنان .

قوله جل ذكره : « إِذْ يَنْشَى السُّدْرَةَ مَا يَنْشَى » .

يشأها ما يشأها من اللانكسة ما الله أعلم به .

وفى خبر : يشأها وفرف طير خُضِر .

ويقال : يشأها فَرَّاشٌ من ذهب .

---

(١) يقول القشيري فى كتابه المراج ص ٩٤ : « واختلفوا فى رؤية الله سبحانه ليلة المراج » فقالت عائشة رضى الله عنها : إن النبى (ص) لم يَرِ ربه ليلة المراج ، ومن زعم أن محمداً رأى ربه ليلة المراج فقد أعظم حل الله القرية . وقال ابن عباس : إن نبينا (ص) رأى ربه ليلة المراج .

ثم اختلفت الرواية عن ابن عباس ؛ ففى رواية أنه رآه بين راسه ، وفى رواية أنه رآه بقلبه . وقال أهل التحقيق من أهل السنة : اختلفهم فى هذه المسألة دليل على إيمانهم أن الحق سبحانه يبرز أن يرى ؛ لأن لولا أنهم كانوا مطمئنين على جواز الرؤية لم يكن لاختلافهم فى الرؤية فى تلك الليلة معنى .

وقد رويت فى هذا الباب أخبار ، واه أعلم بصحتها ، فإن صح ذلك لها وجده من التأويل ، من ذلك ما روى أنه قال : « رأيت ربي فى أحسن صورة - فهذا الخبر يحتمل وجوداً منها : رأيت ربي وأنا فى أحسن صورة بنى فى أكل رتبة وآتم فضيلة ، وأقوى ما كنت ؛ لم يصحبنى دعش ، ولا دهقنى سيرة .

ويمكن أن تكون الرؤية بمعنى العلم ، أى رأيت من تقوى الله تعالى ودلائل حكمته ، ولم يشأنى جهود الصور من ذكر المصور ، بل ورأيت الغافل فى القفل .

وقيل : الصورة بمعنى الصفة ، يقال : أرنى صورة هذا الأمر أى : صفته . وهى فى معنى علمه ، أى رأيت على ربي أحسن صفة من جلالة وصفه وإنفصاله معنى

ويقال : أعطى رسول الله (ص) عندها خواتيم البقرة ، وغُفِرَ لِمَن مات من أُمَّتِهِ لا يشرك بالله شيئاً .

قوله جل ذكره : « ما زاغ البصر وما طغى »

ما مَالَ — صلوات الله عليه وسلامه — ببصره عما أُبَيح له من النظر إلى الآيات ، والاعتبار بدلائلها .

فما جاوزَ حدَّه ، بل رآه شروطَ الأدب في الحضرة (١) .

قوله جل ذكره : « لقد رأى من آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » .

أى « الآية » الكبرى ، وحَذَفَ الآية ٠٠ وهى تلك التى رآها فى هذه الآية ٠ ويقال : هى بقاؤه فى حال لقائه رَبِّه بوصفِ الصَّخْرِ ، وحَفَظَهُ حتى رآه (٢) .

قوله جل ذكره : « أفرأيتم اللاتَ والعزىٰ » وَمَتَّعَ الثَّالِثَةَ

الأخرى • أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ؟

• تلك إنا قسَّيْنَاهُ بَيْنَهُنَّ •

هذه أصنامُ كانت العرب تبيدها ؛ فاللات صنمٌ لتتيف ، والعزى شجرة لنطفان ، ومناة صخرة لهذيل وخرأعة (٣) .

ومعنى الآية : أخبرونا ... هل لهذه الأصنام التى تبيدونها من دون الله من القدرة أن تفعل بمائذِها ما فعلنا نحن لمحمد صلى الله عليه وسلم من الرُّتب والتخصيص ؟

(١) قال أبويزيد البسطامى : حفظ النبى (ص) طرفه فى المسرى ، فما زاغ البصر وما طغى ، فعلمه بما يقول له من المشاهدة ، فلم يشاهد فى ذلك شيئاً ، ولم يسر طرفه أحدًا ، ثم لما وردَ إل محل الأديب نظر إلى الجنة والنتار ، والإنبياء والملائكة للإخبار بها ، وتأديب الخلق بها ؛ فالتقام الأول مقام غصون والمقام الثانى مقام صوم . وقال روج : لما أكرمَ عليه الصلاة والسلام بأعظم الشرف فى المسرى صَكَتْ حَيْثُ عَنْ اللغات إلى الآيات والكرامات والجنة والنتار فما زاغ البصر وما طغى ؛ أى ما أمار طرفه شيئاً من الأكرام ، ومن شامد البحر استقل الأنهار والأودية .

(٢) سئل الشبل : « كيف ثبت النبى (ص) فى المراج لِقائه والحاطية ؟ فقال : إنه مُبَيَّنٌّ لأمْرِ مُسَكِّنٍ فيه ويقارن القشيري فى موضع آخر بين موسى عليه السلام إذ خرَّ صَحفاً بمجرد سماع النداء وبين تبيُّنًا عليه الصلاة والسلام إذ ثبت فى محل المشاهدة ، ويضيف : إن موسى فى حال التلوين ، وعمه فى حال التنكين .

(٣) هذه الأصنام كلها مؤنثات .. وكانوا يقولون : إن الملأكة وهذه الأصنام بنات الله !

ثم ويُنهِمُ فقال : أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ تَحْتَارُونَ لِأَهْكُمْ الْبَيْنَ وَتَنْسُونَ الْبَيِّنَاتِ إِلَى اللَّهِ ؟ تَكَلِّمُوا إِنْ كُنْتُمْ نَاصِحِينَ ۚ

قوله جل ذكره : « إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ

وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ سُلْطَانًا إِنْ

يَقْبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى » .

أَنْتُمْ ابْتَدَعْتُمْ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ بِهِذَا ، أَوْ أُذِنَ لَكُمْ بِهِ .

فَأَنْتُمْ تَقْبَعُونَ الظَّنَّ ، « وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصِلُ إِلَى الْحَقِّ شَيْئًا » (١)

« وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى » : فَأَعْرَضُوا عَنْهُ ، وَكَأَنَّ ظَنَّنَا الْكُفْرَ أَوْجَبَ لَهُمُ الْجَهْلَ

وَالْخَيْرَةَ وَالْحُكْمَ بِالْخَطَأِ — فَكَذَلِكَ فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ (٢) : « مَنْ عَرَّجَ عَلَى أَوْصَافِ الظَّنِّ لَا يَمْتَنِعُ » (٣)

بشئ من الحقيقة ؛ فليس في هذا الحديث إِلَّا الْقَطْعُ وَالتَّحَقُّقُ ، فَتَهَارُمُ قَدَمَتَيْ (٤) ، وَتُشْمِسُهُمْ

قَدْ طَلَعَتْ ، وَعُلُومُهُمْ أَكْثَرُهَا صَارَتْ ضَرُورِيَّةً .

أَمَّا الظَّنُّ الْجَلِيلُ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، وَالتَّبَاسُّ عَاقِبَةُ الرَّجُلِ عَلَيْهِ لَيْسَ (٥) أَيْضًا مِنْ

هَذِهِ الْجُمْلَةِ ذَاتِ الظَّنِّ الْمَعْلُولِ فِي اللَّهِ ، وَفِي صِفَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ .

قوله جل ذكره : « أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى » .

أَي لَيْسَ (٦) لِلْإِنْسَانِ مَا يَتَمَنَّى ؛ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى طَوْلَ الْحَيَاةِ وَالرِّفَاقِيَّةَ وَخِصْبَ الْمَيْثِرِ ..

وَمَا لَهَا نَهَايَةٌ لَهُ ، وَلَكِنْ أَحَدًا لَا يَبْلُغُ ذَلِكَ تَجَامُهُ .

(١) آيَةُ ٢٨ فِي السُّورَةِ نَحْسَبُهَا .

(٢) يَقْصِدُ طَرِيقَةَ الصُّوْفِيَّةِ .

(٣) فِي م (يُضَلُّ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي التَّحْقِيقِ

(٤) فِي ص (مَنْعَ) بِالتَّوْنِ وَهِيَ خَطَأٌ ، فَتَمْرُجُ النَّهَارِ مِنَ الْمَصْطَلَحَاتِ الصُّوْفِيَّةِ الَّتِي زَادَهَا التَّشْبِيرُ عَلَى (الْوَارِثِ

وَالطَّوَالِغِ وَالْوَارِثِ) كَمَا نَوَهْنَا مِنْ قَبْلِ .

(٥) حَكَاهُ فِي م وَهِيَ فِي ص (لَيْبِنَ) وَهِيَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِخِ .

(٦) هِيَ (أَمْ) الْمُتَقَطَّعَةُ ، وَهِيَ الْمَهْزُوزَةُ فِيهَا لِلْإِنْكَارِ ، أَيْ لِلْإِنْسَانِ — بِعَنِ الْكُفْرِ — مَا تَمَنَّى مِنْ شَفَاعَةِ الْأَصْنَامِ ،

وغير ذلك من التَّمَنَّى .

ويقال : ما يقينه الإنسان أن يرتفع مراده واجبا في كل شيء — وأن يرتفع مراده عبدي واجبا في كل شيء ليس من صفات الخلق بل هو لله ، الذي له ما يشاء :

« ظله الآخرة والأولى » .

له الآخرة والأولى خلقا وملكا ، فهو الملك المالك صاحب الملك التام . فأما الخلق فالنقص لازم للكل .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ مَلَكَ فِي السَّنَاتِ لَا تُنْفِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى » .

وهنا رد عليهم حيث قالوا : إن الملائكة شفعاؤنا عند الله (١) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسْخَرُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا » .

هذه التسمية من عندهم ، وهم لا يتبعون فيها علما أو تحقيقا . بل غنا — والظن لا يفيد شيئا .

قوله جل ذكره : « فَأَعْرِضْ عَنْ نَوَائِي عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا • ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَخْتَلِفُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَخْتَلِفُ » .

أى أعرض عن أي شيء أعرض عن القرآن والإيمان به وتدبر معانيه ، ولم يريد إلا الحياة الدنيا .

(١) لا تنفع شفاعة أحد إلا إذا أذن الله .. فإذا كانت الملائكة نع كثرتها وفرها من الله لا تصلح للشفاعة إلا بإذن من الله — فكيف تصلح هذه الأصنام للشفاعة ؟ !

ذلك مبلّغهم من العلم ؛ وإتماموا بقاديا لأنهم لم يملوا حديث الآخرة ، وإنّ ربك عليم  
بالضالّ ، عليمٌ بالمتديّ .. وهو يجازي كلّ بما يستحقّ .

قوله جلّ ذكره : « وَفِي مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ  
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ » .

يجزي الذين أساءوا بالمعويات ، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .  
قوله جلّ ذكره : « الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْقَوَاعِشِ  
إِلَّا الْقَلِيلَ » .

الذنوب كلّها كباير لأنها مخالفةٌ لأمر الله ، ولكنّ بعضها أكبر من بعضٍ . ولا شيء  
أعظم من الشرك . « والقواش » المماضي .  
« إلا اللّهم » : تكلّموا فيه ، وقالوا : إنه استثناء منقطع ، والهم ليس يثم ولا من جملة  
القواش .

ويقال : اللّهم من جملة القواش ولكن فيها اشتباهاً — فأخير أنه ينفرد بها .  
ويقال : اللّهم هو أن يأتي المرء ذلك ثم يُفْلِحَ عنه بالتوبة .  
وقال بعض السلف : هو الوقعة من الزّنا تحصل مرة ثم لا يعود إليها ، وكذلك شرب  
الخمر ، والسرقة . . وغير ذلك ، ثم لا يعود إليها .  
ويقال : هو أن يهيم بالزّنة ثم لا يفعلها .

ويقال : هو النّظر . ويقال : ما لاحدٌ عليه من المماضي ، وتُكفّر عنه الصلوات .  
(والأصحّ أنه استثناء منقطع وأن اللّهم ليس من جملة المماضي) <sup>(١)</sup> .

قوله جلّ ذكره : « إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَنَّةِ هُوَ أَعْلَمُ  
بَكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ

---

(١) ما بين القوسين موجود في م وغير موجود في ص .

أَجِنَّةٌ فِي بَطُونِ أَهْلِكُمْ ظَلُمُوكُمْ أَنْفُسَكُمْ  
أَهْسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَى .

« إِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ » : يَتَنى خَلْقَ آدَمَ .

وَيَقَالُ : تَزَكِيَةُ النَّفْسِ مِنْ عِلَامَاتِ كَوْنِ الْمَرْءِ مَحْبُوبًا عَنِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الْجَنُوبَ إِلَى الْغَايَةِ  
وَالْمُسْتَرْفِقَ فِي شَهْوَدِيَّةٍ لَا يَزْكِي نَفْسَهُ <sup>(١)</sup> .

« هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَتَى » : لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِكُمْ مِنْكُمْ .

وَيَقَالُ : مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ عَلَى الْبَسِيطَةِ أَحَدًا شَرًّا مِنْهُ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ .

وَيَقَالُ : الْمُسْلِمُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِمَحِثٍ يَرَى كُلَّ مُسْلِمٍ خَيْرًا مِنْهُ ؛ فَلَمَّا رَأَى شَيْخًا ، قَالَ :  
هُوَ أَكْثَرُ مَعِيَ طَاعَةً وَهُوَ أَفْضَلُ مَعِيَ ، وَإِنْ رَأَى شَابًا قَالَ : هُوَ أَفْضَلُ مَعِيَ لِأَنَّهُ أَقْلُ  
مَعِيَ دَنْبًا .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « أَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى » وَأَعْطَى قَلِيلًا  
وَمَا كَدَى .

أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ ، وَتَصَدَّقَ بِالْقَلِيلِ . « وَأَا كَدَى » أَيْ قَطَعَ عِلَاقَتَهُ .

« أَعْنَدَهُ عِلْمُ النَّيْبِ فَهُوَ يَرَى »

« فَهُوَ يَرَى » : فَهُوَ يَعْلَمُ حَقِّةَ ذَلِكَ . يُقَالُ : هُوَ الْمُنَافِقُ الَّذِي يُبَيِّنُ عَلَى الْجَهْدِ قَلِيلًا  
ثُمَّ يَقْطَعُ ذَلِكَ :

« أَعْنَدَهُ عِلْمُ النَّيْبِ » : فَهُوَ يَرَى حَالَهُ فِي الْآخِرَةِ ؟

« أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى »  
وَلِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى .

---

(١) قَارَنَ ذَلِكَ بِقَوْلِ النَّفْسِ فِي ذِكْرِ الْمَرْءِ لَطَاعَتَهُ : « . . . وَهَذَا إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْجَابِ أَوْ الرِّيَاءِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِرَافِ بِالنِّمَّةِ . فَإِنَّهُ جَائِزٌ لِأَنَّ الْمَسْرَةَ بِالطَّاعَةِ طَاعَةٌ وَذِكْرُهَا شُكْرٌ » النَّفْسُ ج ٤ ص ١٩٨ . وَنَحْنُ أَنْ قِيَامَ عِبَارَةِ النَّفْسِ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ التَّصْوِيبَ : فَالْأَوَّلُ أَنْ يُقَالُ : وَهَذَا إِذَا كَانَ عَلَى سَبِيلِ الْإِعْتِرَافِ بِالنِّمَّةِ - لَا عَلَى سَبِيلِ الْإِعْجَابِ أَوْ الرِّيَاءِ - فَإِنَّهُ جَائِزٌ . .

أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ هَذَا الْكَافِرُ بِمَا فِي صَاحِبِ مُوسَى ، وَصَفِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ؛ أَيْ أَمَّ مَا طُولِبَ بِهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ .

قوله جل ذكره : « أَلَا تَرَىٰ وَازِرَةً وَّرَزًا أُخْرَىٰ • وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ • وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ • ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَىٰ » .

النَّاسُ فِي سَعْيِهِمْ مُخْتَلِفُونَ ؛ قَدْ كَانَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا خَيْرَ صَفْقَةٍ ، وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ الْجَنَّةِ رَجَحَتْ صَفْقَتُهُ ، وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ فِي رِيَاضَةِ نَفْسِهِ وَصَلَ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ فِي الْإِرَادَةِ شَكَرَ اللَّهُ سَعْيَهُ ثُمَّ هَدَاهُ إِلَى نَفْسِهِ .

وَأَمَّا الذَّنْبُ — فَإِذَا كَانَ سَعْيُهُ فِي طَلَبِ غَفْرَانِهِ ، وَتَدَمَّرَ الْقَلْبُ عَلَى مَا اسْوَدَّ مِنْ دِيْوَانِهِ ، سَوْفَ يَجِدُ مِنَ اللَّهِ التَّوَابَ وَالْكَرَامَةَ وَالزَّلَّةَ .

وَمَنْ كَانَ سَعْيُهُ فِي عَدِّ أَغْصَانِهِ مَعَ اللَّهِ ؛ لَا يَمُرُّجُ عَلَى تَقْصِيرٍ ، وَلَا يَقْرُطُ فِي مَأْمُورٍ فَسِيرَى جَزَاءَ سَعْيِهِ مُشْكُورًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، ثُمَّ يَشْكُرُهُ بِأَنَّهُ يُخَاطِبُهُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ إِسْمَاعِيلُ كَلَامَهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ : عَبْدِي ، سَمِيكَ مُشْكُورٌ ، عَبْدِي ، ذَنْبُكَ مَغْفُورٌ .

« ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَىٰ » : هُوَ الْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ وَالْأَجَلُ ، جَزَاءٌ غَيْرُ مُقْطَعٍ وَلَا مَمْنُوعٍ .  
قوله جل ذكره : « وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ لِلنَّبِيِّ » .

إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ ، فَاجْتَنَاءُ الْأَشْيَاءِ مِنَ اللَّهِ خَلْقًا ، وَانْتِهَاءُ الْأَشْيَاءِ إِلَى اللَّهِ مَصِيرًا .  
وَيَقَالُ : إِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَاشْكُرُوا .

وَيَقَالُ : إِذَا وَصَلَ الْعَبْدُ إِلَى مَرْفَعَةِ اللَّهِ فَلَيْسَ بَدَنُهُ شَيْءٌ إِلَّا أَلْفَافًا مِنْ مَالٍ أَوْ مَنَالٍ أَوْ تَحْقِيقِ آمَالٍ أَوْ أَحْوَالٍ . . يُجْزِيهَا عَلَى مَرَادِهِ — وَهِيَ حَظْوَةٌ لِلْعِبَادِ .

قوله جل ذكره : « وَأَنَّهُ هُوَ أَوْحَىٰ وَأَنْتَ أَتَىٰ » .

أَرَادَ بِهِ الضَّعْفَ وَالْبُكَاءَ الْمُتَارِفَ عَلَيْهِمَا بَيْنَ النَّاسِ ؛ فَهُوَ الَّذِي يُجْزِيهِ وَيَخْلُقُهُ .

ويقال : أضحك الأرضَ بالنباتِ ، وأبكى السماءَ بالطير .  
 ويقال : أضحك أهلَ الجنة بالجنة ، وأبكى أهل النار بالنار .  
 ويقال : أضحك المؤمنَ في الآخرة وأبكاه في الدنيا ، وأضحك الكافرَ في الدنيا وأبكاه في الآخرة .  
 ويقال : أضحكهم في الظاهر ، وأبكاهم بقلوبهم .  
 ويقال : أضحك المؤمنَ في الآخرة بفقرائه ، وأبكى الكافرَ بهوانه .  
 ويقال : أضحك قلوبَ المارفين بالرضا ، وأبكى عيونهم بخوف التراق .  
 ويقال : أضحكهم برحمته ، وأبكى الأعداء بسخطه .  
 قوله جل ذكره : « وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا » .  
 أماته في الدنيا ، وأحياه في القبر ؛ فالتبر ! فالتبر إما للراحة وإما للإحساس بالقربة .  
 ويقال : أماته في الدنيا ، وأحياه في الحشر .  
 ويقال : أمات قوسَ الزاهدين بالمجاهدة ، وأحيا قلوبَ المارفين بالمشاهدة .  
 ويقال : أمات قوسهم بالماملات ، وأحيا قلوبهم بالمواصلات .  
 ويقال : أماتها بالمهنية ، وأحياها بالأنس .  
 ويقال : بالاستقار ، والتجلى .  
 ويقال : بالإعراض عنه ، والإقبال عليه .  
 ويقال : بالطاعة ، والمصيبة .

قوله جل ذكره : « وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ  
 وَالْأُنثَى » .

سماهما زوجين لازدواجهما عند خلقهما من النطفة .

قوله جل ذكره : « وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى » .  
 « أَغْنَى » : أعطى النِّى ، « أَقْنَى » : أ كثر القنية أى المال . وقيل « أَقْنَى » :  
 أى أحوجه إلى المال — فعلى هذا يكون المعنى : أَنَّهُ خَلَقَ النِّى وَالْقَر .



ويقال : « أتقى » أى أرضه بما أعطاه<sup>(١)</sup>.

ويقال : « أغنى » أى أقم ، « وأقى » : أى أرضى .

« وأنه هو ربُّ الشَّعْرى »

( الشَّعْرى : كوكبٌ يطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر ، وكانت خراطة تبديها فأعلم الله أنه ربُّ مبيدوم هنا<sup>(٢)</sup> .

« وأنه أهلكَ علماً الأول » ونموداً

فأبقى • وقومَ نُوحٍ من قبلُ لهم  
كانوا هم أظلمَ وأظنى .

عاد الأولى هم قوم هود ، وعاد الأخرى هى إرم ذات المهاد ، كأهلكَ نموداً فأبقى منهم  
أحداً • وأهلكَ من قبلهم قومَ نُوحٍ الذين كانوا أظلمَ من غيرهم وأغوى لِطُولِ أعمارهم ،  
وقوة أجسادهم .

« والموتىكة أهوى • فشأها ما عصى »

أى المحضوف بها ، وهى قرى قوم لوط ، قلبها جبريل عليهم ، فهى مغلوقة معكوسة .  
وقوله : « أهوى » أى : أسقطها الله إلى الأرض بعدما أقتلها من أصلها ، ثم عكسها  
وأقامها فى الأرض ، فشأها ما غشاها من المذاب .

قوله جل ذكره : « فبأى آلاء ربك تنبأى ؟ »

فبأى آلاء ربك — أيها الإنسان — تتشكك ؟ وقد ذكر هذا بعد ما عدَّ إقامته عليهم  
وإحسانه إليهم .

قوله جل ذكره : « هذا نذيرٌ من النذر الأولى » .

---

(١) أنى : من معانها أرضى — كما ورد فى أكثر المعاجم .

(٢) ما بين القوسين لإضافة من جانبنا امتداداً على كتب التفسير ، وهى غير موجودة فى نص التشيرى :  
ولكننا أردنا إضافتها لثقل النظر إلى خاطرة تراودنا .. أليس هناك ارتباط بين افتتاحية السورة « ووالتم إذا هم »  
وبين هذه النهاية ؟ . عابدون ومعبودون يهود ونساقطون ويهلكون .. أبعد هذا أيها الإنسان تتشكك فى أن هذا  
النذير صلوات الله عليه لم يأت بهمأ ؟ !

هو محمد صلى الله عليه وسلم ، أرسلناه نذيراً كما أرسلنا الرُّسُلَ الآخرين .  
 « أَزِفَتِ الْأَرْزَقُ » • ليس لها من دون  
 الله كاشفة » .  
 أى قَرَبَتِ القِيَامَةُ . ولا يقدر أحدٌ على إقامتها إلا الله ، وإذا أقامها فلا يقدر أحدٌ على  
 ردّها وكشفها إلا الله .  
 ويقال : إذا قامت قِيَامَةُ هذه الطائفة — اليوم — فليس لها كاشفٌ غيره . وقِيَامَتُهُمْ قوم  
 في اليوم غيرَ مَرَّةٍ . قوم بالمَجَرِّ والنَّوَى والفراق .  
 قوله جل ذكره : « أَفْمَنْ هَذَا الْحَلِيشُ تَعَجَّبُونَ .... » .  
 .. أفمن هذا القرآن تعجبون ، وتكونون في شكٍّ ، وتستعزّون ؟  
 « وَأَنْتُمْ سَالِدُونَ » : أى لاهون ..  
 « فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا » : فاسجدوا لله ولا تعبدوا سواه <sup>(١)</sup> .

(١) عن الأسود بن يزيد عن عبيد الله قال : « ... فسجد رسول الله (ص) وسجد من خلفه إلا رجلاً رأىته  
 أعبد كفا من تراب فسجد عليه فرأيت به ذلك قتل كافرًا وهو أمية بن خلف » (البخارى ج ٣ ص ١٣٠) .

## سُورَةُ الْقَمَرِ <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » : كلمة بها نور القلوب والأبصار ، وببرقاتها يحصل سرور الأرواح والأسرار .  
كلمة تدل على جلالة — الذي هو استحقاقه لأوصافه . كلمة تدل على فته الذي هو غاية  
أفضاله وألطافه .

قوله جل ذكره : « اقتربت الساعة وأنشأ القمر » .

أجمع أهل التفسير على أن القمر قد انشق على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .  
قال ابن مسعود <sup>(٢)</sup> : « رأيت حراء بين فلقى القمر » ولم يوجد لابن مسعود مخالف في ذلك ؛  
قد روى أيضاً عن أنس وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم . . كلهم رووا  
هذا الخبر .

وفيه إعجاز من وجهين : أحدهما رؤية من رأى ذلك ، والثاني خفاء مثل ذلك على من  
لم يره ؛ لأنه لا ينكتم مثله في المادة فلذا خفي كان نقض المادة .  
وأهل مكة رأوا ذلك ، وقالوا : إن عملاً قد سحر القمر .

ومعنى « اقتربت الساعة » : أي ما بقى من الزمان إلى القيامة إلا قليل بالإضافة إلى ماضى .  
قوله جل ذكره : « وإن يروا آية يمسحوا ويقلوا »

(١) يسميها البخاري : سورة واقتربت الساعة .

(٢) عن يحيى بن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي مسر عن ابن مسعود قال : انشق القمر على  
عهد رسول الله (ص) فرقتين : فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه . فقال رسول الله (ص) : المبدوا .

ومن فتادة عن أنس قال : انشق القمر فرقتين .

ومن مجاهد عن أبي مسر عن عبد الله قال : انشق القمر ونحن مع النبي (ص) فصار فرقتين . فقال لنا : اذهبوا  
اشهدوا . ( البخاري ٣ ص ١٣٠ ) .

وقد جاء في النسق : قال ابن مسعود رضي الله عنه « رأيت حراء بين فلقى القمر » ( تفسر ص ٢٠١ ) .

سِحْرٌ مُسْتَعَرٌ • وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا  
أَمْرَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَعَرٌّ •

يعنى أن أهل مكة إذا رأوا آية من الآيات أعرضوا عن النظر فيها ، ولو نظروا لحصل لهم العلم واجباً .

« سحر مستمر » : أى دائمٌ قوىٌ شديد .. ( ويقالُ إنهم قالوا : هذا ذاهب لا يتبقى مدته )<sup>(١)</sup> فاستمر : أى ذهب .

« وكذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُمْ » : التكذيبُ واتِّباعُ الهوى قريان ؛ فلِذَا حَصَلَ اتِّبَاعُ الهوى فَمِنْ شَوَائِهِ يَحْصُلُ التَّكْذِيبُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَلْبَسُ عَلَى قَلْبِ صَاحِبِهِ حَتَّى لَا يَسْتَبْصِرَ<sup>(٢)</sup> الرُّشْدَ .  
أما اتِّبَاعُ الرضا فمقرونٌ بالتصديق ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَبْرِكُ اتِّبَاعَ الْحَقِّ يَفْتَحُ عَيْنَ الْبَصِيرَةِ فَيَحْصُلُ التَّصْدِيقُ .

وكلُّ امرئٍ حَبْرَتٌ لَهُ نَفْسُهُ وَالتَّقْدِيرُ فَلَا عَمَلَةَ يَسْتَقِرُّ لَهُ حَاصِلٌ مَا قَسَمَ وَقَدَّرَ لَهُ .  
« وكلُّ امرئٍ مستقر » : يستقرُّ عَلَى الْوَعْدِ فَيُجَبُّ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَيَسْتَقِرُّ عَلَى الْكَافِرِ فَيُجَازَى .

قوله جل ذكره : « ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجرٌ •  
حَكْمَةٌ بِالْفَاءِ فَمَا تَنْفِرُ الشُّذْرُ » .

جاءهم من أخبار الأنبياء والأمر الذين من قبلهم والأزمنة الماضية ما يجب أن يحصل به الارتداعُ ، ولكنَّ الْحَقَّ — سبحانه — أَسْبَلَ عَلَى بَصَائِرِهِمْ سُجُوفَ الْجَهْلِ فَمَتَمَوْا عَنْ مواضع الرُّشْدِ .

« حكمة بالفة .. » : بدل من ( ما ) فيما سبق : ( ما فيه مزدجر ) .  
والحكمة البالغة هي الصحيحة الظاهرة الواضحة لمن تفكَّرَ فيها .

« فما تنفر النذر » : وأى شيءٍ يَنْفِي الْإِنْذَارُ النَّذِيرَ وَقَدْ سَبَقَ التَّقْدِيرُ لَهُمُ بِالْشَّقَاءِ ؟

(١) ما بين القوسين موجود فى م وغير موجود فى ص .

(٢) هكذا فى ص . وهى فى م ( لا يستبصر ) ، والأصوب ما أثبتنا .

قوله جل ذكره : « قَتَلَهُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الْبَاقِعُ إِلَى شَيْءٍ »  
 سُكَّرَ • خُشِمًا أَوْ بَصَارِهِمْ •

« قَتَلَهُ عَنْهُمْ » : هاهنا تمام الكلام — أى فأعرض عنهم . وهذا قبل الأمر بالقتال .  
 ثم استأنف الكلام : « يَوْمَ يَدْعُ الْبَاقِعُ .. » والجواب : « يخرجون من الأجداث » —  
 أراد به يوم القيامة .

ومعنى « نُكِّرَ » : أى شئاً ينكرونه ( يَهْوِلُوهُ وَفُظَاعَتُهُ )<sup>(١)</sup> وهو يوم البعث والحشر .  
 وقوله : « خُشِمًا » منصوب على الحال ، أى يخرجون من الأجداث — وهى القبور —  
 خاشعي الأبصار .

« ... كَانَهُمْ جُرَادٌ مُنْتَشِرٌ •  
 مُهْمَطِينَ إِلَى الْبَاقِعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ  
 هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ » .

كَانَهُمْ كَالْجُرَادِ لِكَثْرَتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ ، « مهْمَطِينَ » : أى مُدْبِئِي النَّظَرِ إِلَى الْبَاقِعِ — وهو  
 إِسْرَافِيلُ .  
 « يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ » : لتوالى الشدائد التى فيه .

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا

عَبْدَنَا وَقَالُوا مُجْنُونٌ • وَازْدَجَرُوا •  
 فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّى مُغْلُوبٌ فَاتَّخِذْ •  
 فَتَخْتَصِمُوا أَبَوَابَ السَّمَاءِ بِمَا هُمْ شُهَيْرٌ •

كَذَّبَ قَوْمُ نُوحٍ نَبِيَّهُمْ ، وَقَالُوا : إِنَّهُ مُجْنُونٌ ، وَزَجَرُوهُ وَشَتَّوْهُ .  
 وَقِيلَ : « اذْدَجِرْ » : أى اسْتَطَارِعْتَهُ ، أى قَوْمُ نُوحٍ قَالُوا لَهُ ذَلِكَ .  
 فَدَعَا رَبُّهُ فَقَالَ : إِنِّى مُغْلُوبٌ ؛ أى بِتَسْلُطِ قَوْمِى عَلَى • فَلَمْ يَكُنْ مُغْلُوبًا بِالْحُجَّةِ لِأَنَّ الْحُجَّةَ  
 كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ نُوحٌ لِلَّهِ : اللَّهُمَّ فَاتَّخِذْ مِنْهُمْ أَى اتَّخِذْ •

(١) ما بين القوسين توضيح من جانبنا غير موجود فى النص .

ففتحنا أبواب السماء بماء منصَّبٌ ، وشققنا عيوننا بالهَاءِ ، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمرٍ قد قُدِّرَ في اللوح المحفوظ ، وقُدِّرَ عليه بإهلاكهم !  
وفي التفاسير : أن الماء الذي نَبَحَ من الأرض نَصَبَ . والماء الذي نزل من السماء هو البعْثُ اليوم .

« وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ »  
وحملنا نوحاً على « ذات ألواح » أى سفينة ، « ودسر » يعنى للسامير وهى جمع دسار أى مسار .

« تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا »  
« تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا » : أى بمرأى مِنَّا . وقيل : تَجْرَى بِأَوْبَانِنَا .  
ويقال : بأعين ملائكتنا الذين وكلناهم لحفظهم .  
ويقال : بأعين الماء الذى أنبئناه من أوجه الأرض .  
« جَزَاءُ لِمَن كَانَ كُفِرًا » : أى الذين كفروا بنوح <sup>(١)</sup> .  
قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ »  
جعلنا أمر السفينة علامةً بَيِّنَةً لِمَن يَتَّبِعُهَا .  
« فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ » : فهل منكم من يعتبر ؟ . أمرهم بالاعتبار بها <sup>(٢)</sup> .  
قوله جل ذكره : « فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ »

فالها على جهة التنظيم لأمره .

وقد ذَكَرَ نوح هنا على أفصح بيان وأقصر كلام وأتم معنى <sup>(٣)</sup> .

(١) يرى بعض المفسرين أن (الذى كُفِرَ) هو نوح عليه السلام لأنه مكفور به ، فكل نبي رحمة لأنه ، فكان نوح رحمة مكفورة .

(٢) أى أن الاستفهام - بلغة البلاغيين - قد خرج عن معناه الأصل إلى الأمر .

(٣) كان القشيري يريد أن يوضح تعليلاً (لتكرار) قصة نوح . ونحن نعلم أن القشيري لا يستريح تماماً لمكرة القول بالتكرار في القرآن .

وكان نوحٌ - عليه السلام - أطول الأنبياء عمراً ، وأشدّهم لبلاءً متأسّاةً

ثم إن الله - سبحانه - لما نجّى نوحاً منته ببد هلاك قومه ومنتع أولاده ، فكلّ من على وجه الأرض من أولاد نوح عليه السلام . وفي هذا قوة لرجاء أهل الدين ، إذا تقوا في دين الله عنة ؛ فإن الله يهلك - عن قريب - عدوهم ، ويمنّهم من ديارهم وبلادهم ، ويورثهم ما كان إليهم .

وكذلك كانت قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه ، وسنة الله في جميع أهل الضلال أن يُزي أوليائه بعد أن يزحق أعداءه .

قوله جل ذكره : « ولقد يسرّنا القرآنَ لذّكرٍ فهل من مُدّكرٍ »

يسرّنا قراءته على ألسنة الناس ، ويسرّنا علمه على قلوب قورم ، ويسرّنا فهمه على قلوب قورم ، ويسرّنا حفظه على قلوب قورم ، وكلّهم أهل القرآن ، وكلّهم أهل الله وخاصته .

ويقال : كاشف الأرواح من قورم - بالقرآن - قبل إدخالها في الأجساد .

« فهل من مدكر » لهذا المهد الذي جرى لنا معه .

قوله جل ذكره : « كذّبت عادٌ فكيف كان عذابى

ونذُرٌ » إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً

في يوم نحسٍ مُستمرٍ » تنزع الناس

كأنهم أعجازٌ مُنقعرٍ » .

كذّبوها هوذا ، فأرسلنا عليهم « ريحاً صرصراً » أى : باردة شديدة المهبوب ، يُسحق

لها صوت .

« في يوم نحسٍ مستمرٍ » أى : في يوم شؤمٍ استمرّ فيه العذابُ بهم ، ودام ذلك

فيهم ثمانية أيامٍ وسبّع ليالٍ . وقيل : دأب الشؤم تنزع راحته الناس عن حُرْمِهم التي جروها

حتى صاروا كأنهم أسافلُ نخلٍ مُنْقَطِعٍ . وقيل : كانت الريح تقطع رموسهم عن مناكبهم  
ثم تُلقي بهم كأنهم أصولُ نخلٍ قطعت رموسها .

« ولقد يَسْرُنَا القرآنَ الَّذِي كُرِّهُلِ  
مَنْ مُدَّ كَرِيءٌ ؟ » .

هَوْنًا قراءته وحِفْظَه ؛ فليس كتبٌ من كُتِبَ اللهُ تعالى يُقرأ ظاهراً إلا القرآن .  
قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ » قالوا آبشراً  
مِنَّا واحداً نَقِيعُهُ ؟ .. إنا إذاً لفي  
ضلالٍ وسعيرٍ » .

م قوم صالح . وقد مضى القولُ فيه ، وما كان من عقرم لئانقة . . إلى أن أرسل الله  
عليهم صيحةً واحدةً أوجبت هذا الملاك ، قَصِيرَمَ كالمشم ، وهو اليابس من النبات ،  
« المحتظر » : أى : المجمول في الخطيئة ، أو الحاصل في الخطيئة <sup>(١)</sup> ..

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ »  
إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آلَ لُوطٍ  
نَحْنُ إِنَّمَا بَنَيْنَاهُمْ يَسْحَرَ » نعمةً من عندنا  
كذلك نجزي مَنْ شَكَرَ » .

فأرسلنا عليهم « حاصباً » : أى : حجارةً رُمُوا بها .  
« كذلك نجزي مَنْ شَكَرَ » : أى : جميلنا لإنجائهم في إهلاكِ أعدائهم .  
وهكذا نجزي من شكر ؛ فنل هذا ناملُ به مَنْ شَكَرَ نعمتنا .  
والشُّكْرُ عَلَى نِعَمِ الدِّعِ آتٍ مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعَمِ النِّعَمِ -- وَلَا يَعْرِفُ ذَلِكَ إِلَّا كُلُّ  
مُوقِفٍ كَيْسٍ .

« فَلَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَفَوْقَ أَعْيُنِهِمْ وَنُذُرٌ »

---

(١) يقصد التشيرى أنها قد تقرأ بفتح الفاء وبكسرهما .



جاء جبريلُ ومَسَحَ بِمِنْحِهِ عَلَى وجوههم فَمَتُوا ، ولم يمتدوا<sup>(١)</sup> للخروج — وكذلك أجرى سُنَّتَهُ في أوليائه أَنْ يَلْبِسَ على قلوبِ أعدائهم حتى يلبس عليهم كيف يُؤذون أوليائه ثم يُخَلِّصُهُمْ مِنْ كَيْدِهِمْ .

قوله جل ذكره : « سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ » .

أخبر أنه يُمَلِّحُ هذا بأعلاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحقَّقَ ذلك يومَ بدر ، فصار ذلك من معجزاته صلوات الله عليه وسلامه<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ يُسَبِّحُونَ فِي الدُّنَى عَلَى وجوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَعَرٍ » .

سَبَّحُهُمْ على الوجوهِ أَمَارَةٌ لِإِذْلَامِهِمْ ، ولو كان ذلك مرةً واحدةً لكانت عظيمةً فكيف وهو التأييد والتضليل ؟ ! .

وكما أَنَّ أَمَارَةَ الدَّلِّ تَظْهَرُ على وجوههم ضَلَامَةٌ لِإِعْزَازِ اللُّؤْمِينِ وإِكْرَامِهِمْ تَظْهَرُ على وجوههم ، قال تعالى : « وَجْهَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ »<sup>(٣)</sup> . وقال : « نَعْرِفُ فِي وجوههم نَضْرَةَ النَّعَمِ »<sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ »

أَيَّ بِقَدَرٍ مَكْتُوبٍ فِي اللُّوحِ الْخَفِوْظِ .

ويقال : خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ مَا عَلِمْنَا وَأَرَدْنَا وَأَخِيرْنَا .

قوله جل ذكره : « وَمَا أَرْزَأْنَا إِلَّا وَاحدةً كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ »

أَيَّ إِنَّا أَرَدْنَا خَلَقْ شَيْءٌ لَا يَحْتَسِرُ وَلَا يَحْتَدِرُ عَلَيْنَا ، قول له : كُنْ — فيكون

(١) مَكَلًا فِي مَوْحِي فِي ص (لَمْ يَبْتَكَرُوا) .

(٢) عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال وهو في قبة يوم بدر : اللهم إني أنشدك بهذا وبعثك ، اللهم إن تشأ لا تشأ بعد اليوم — فأُعيد أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ، ألهمت على ربك فخرج وهو يقول : سَهَزَمَ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ (البخارى ج ٣ ص ١٣١) .

(٣) آية ٢٢ سورة التين .

(٤) آية ٢٤ سورة المطففين .

بقدرتنا . ولا يقتضى هذا استثنائاً<sup>(١)</sup> قوله فى ذلك الوقت ولكن استثنائاً أن يقال قوله القديم أن يكون أمراً فذلك للكون إنما يحصل فى ذلك الوقت .

« طلع باليمر » : أى كأن هذا التدرج عندكم ( أى قدر ما يلح أحدكم بيمره ) لا تلحقكم به مشقة — كذلك عندنا : إذا أردنا نخلق شيئاً قل أو كثر ، صغر أو كبر — لا تلحقنا فيه مشقة .

قوله جل ذكره : « وقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر » .

أى أهلكنا الترون التى كانت قبلكم فكلهم أمثالكم من بنى آدم ...

« وكل شئ فعلوه فى الزبر » .

فى الوح المحفوظ مكتوب قبل أن يسله<sup>(٢)</sup> . وفى صحيفة اللائكة مكتوب . لا ينادر صفة ولا كبيرة إلا أحصاها ..

« وكل صغير وكبير مستطر » .

كل صغير من الخلق ، وكل كبير من الخلق — تحتمله النية .

ويقال : كل صغير من الأعمال وكبير مكتوب فى الوح المحفوظ ، وفى ديوان اللائكة .

وتعريف الناس عما يكتبه اللائكة هو على جهة التخويف ؛ لئلا يتجاسر المبدع على الزلة إنما عرف الحاسبة عليها وللطالبة بها .

قوله جل ذكره : « إن المضيئين فى جنات ونهر » فى

مقتدر صدق عند مليك مقتدر » .

---

(١) هكذا فى م — وحى — فى ص ( استثناء ) وكلاماً يمكن أن يتفكه السياق . هل معنى أن قوله القديم ه كن ه لا ( يستأنف ) عند غلق الحديث . وطى معنى أنه لا يشترط أن يستوفى معنى السعة الأمر بكن اكفاء بقوله القديم — والله أعلم .

(٢) هكذا فى وحى ص أصوب فى السياق من ( يسله ) التى جاءت فى م لأن ما ( فعلوه ) التى فى الآية تزود إلى ذلك .

لم يأتين وأنهار ، والجمعُ إذا قوبل بالجمع فالأحدُ تقابلُ بالأحد .  
 فظلمُ هذا الخطأ يقتضى أن يكون لكل واحدٍ من اللتين جنةٌ ونهرٌ .  
 « في مقعد صدقٍ » : أى فى مجلسٍ عِزٍّ .  
 « عند ملكٍ مقتدرٍ » : أراد به عِشَّةَ القُرْبَةِ والزُلفَى .

ويقال : مقعد الصدق أى مكان الصدق ، والصدق فى عبادته مَنْ لا يَتَعَدَّى على ملاحظة الأطلاع ومطالمة الأعراض .

ويقال : مَنْ طلب الأعراض هَتَكَهُ الأطلاع ، وَمَنْ صَدَّقَ فى الصَّوْدَةِ تَحَرَّرَ عن القاصد الدُّنْيَا .

ويقال : مَنْ اشتغل بالدنيا حَجَبَتْهُ الدُّنْيَا عن الآخرة ، وَمَنْ أَسْرَهْ نَعْمُ الْجَنَّةِ حَجَبَ عن القيام بالحقيقة ، وَمَنْ قَامَ بالحقيقة شُغِلَ عن الكون بمحلته (١) .

\*\*\*

---

(١) أرباب الحقيقة لا تشغلهم فكرة الثواب والعقاب على النحو المألوف عند العامة بنفوسهم . فجنسهم الكبرى من رؤسهم محبوبهم ، ولم فى ذلك أقوال كثيرة شراً ونشراً .. من ذلك :  
 قوله أبى على الروزبهارى :

من لم يكن بك فانياً من حبه	ومن الهوى والأنس بالأحباب
أو ثمة صباهٍ حيث له	ما كان مغترفاً من الأسباب
فكان بين المراتب والقف	لئال حظ أو لحسن ملك

ويقول الجني : كل حبة كانت لغرض إذا زال الغرض زالت تلك الحبة . ويقول يحيى بن معاذ :

إن ذا الحب لمن يفنى له	لا لدار ذات لفسو وطرف
لا ولا القردوس - لا يألئها -	لا ولا العوداء من فوق عُرْف

ويقول أحسن :

كلهم يهيمون من خوف نار	وهرون الجنان حلقاً جزلاً
ليس لى فى الجنان النار رأى	أنا لا أجنى بصبي بهلا

( انظر كتابنا « نشأة التصوف الإسلامى » ط المعارف ص ١٩٥ ، ص ١٩٦ ) .

## سُورَةُ الرَّحْمَنِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » : إخبارٌ عن عِزِّهِ وعظمته .

« الرحمن الرحيم » : إخبارٌ عن فضله ورحمته .

فيشهود عظمته يكمل سرورُ الأرواح ، وبوجود رحمته يحصل نعيم الأشباح . ولولا عظمته لما عَبَدَ الرحمنَ عابِدٌ ولولا رحمته لما أَحَبَّ الرحمنَ واحدٌ .

قوله جل ذكره : « الرحمنُ » • عِلْمُ القرآن .

أى الرحمن الذى عَرَفَهُ للوحدون وجَعَدَهُ الكافرون هو الذى عِلَّمَ القرآن . ويقال : الرحمن الذى رحمهم ، وعن الشُّرك عصمتهم ، وبالإيمان أكرمهم ، وكَلَمَةُ التَّقْوَى أزمهم — هو الذى عرفهم بالقرآن وعلمهم .

ويقال : اضرد الحقَّ بتعليم القرآن لِمِبادِهِ .

ويقال : أجرى اللهُ تعالى سُنَّتَهُ أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ نَبِيُّنا صلى اللهُ عليه وسلم شيئاً (١) أَشْرَكَ أُمَّتَهُ فِيهِ (٢) عَلَى مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِمْ ؛ فَكَأَنَّ قَوْلَهُ (صلى) : « وَعَلَيْكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ » (٣) .

قال لأُمَّتِهِ : « الرحمنُ » • عِلْمُ القرآن .

ويقال : عِلَّمَ اللهُ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ أَمَرَهُ بِعَرَضِهَا عَلَى اللَّائِكَةِ وَذَكَرَ آدَمُ ذَلِكَ لِمَنْ — قال تعالى : « أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ » يَا آدَمُ ، وَعَلَّمَ (نَبِيُّنا صلى اللهُ عليه وسلم) (٤)

(١) (شيئاً) غير موجودة في م . وموجودة في ص — والسياق يقوى بها .

(٢) حكنا في ص وهي في م (فيه أنه) .

(٣) « وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ » آية ١١٣ سورة النساء .

(٤) ما بين القوسين إضافة من جانبنا ليتضح السياق .

للسلبي<sup>(١)</sup> القرآن فقال صلى الله عليه وسلم : « لاصلاح إلا بقائمة الكتاب ، والمصلح مناج ربّه » قال لآدم : أذكرك ما علمت لللائكة . وقال لنا : ناجي يا عبدي بما علمت<sup>(٢)</sup> . وقد يلاطف مع أولاد الخدم بما لا يلاطف به آباؤهم .

ويقال : لما علم آدم أسماء الخلق قال له : أخير لللائكة بذلك ، وعلمنا كلامه وأسماءه قال : اقرأوا على وخطبوا به معي .

ويقال : علم الأرواح القرآن — قبل تركيبها في الأجساد بلا واسطة<sup>(٣)</sup> ، والصبيان إنما يملكون القرآن — في حال صغرهم — قبل أن تعرف أرواحنا أحداً ، أو سمعنا من أحد شيئاً . علمنا أسماءه :

أناي هو اها قبل أن أعرف الهوى ضادف قلبي فارغاً فتنكتنا  
ويقال : سقيا لأيام مضت — وهو يملنا القرآن .

ويقال : برحمته علمهم القرآن ؛ فبرحمته وصلوا إلى القرآن — لا بقراءة القرآن يصلون إلى رحمته .

قوله جل ذكره : « خلق الإنسان » علمه البيان .  
« الإنسان » : ما هنا جنس الناس ؛ علمهم البيان حتى صاروا مُميّزين<sup>(٤)</sup> — فافصلوا بالبيان عن جميع الحيوان . وعلم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون ويتخاطبون به . والبيان ما به تبيين للمعاني — وشرحه في مسائل الأصول .

ويقال : لما قال أهل مكة إنما يعلمه بشر ردّ الله — سبحانه — عليهم وقال : بل علمه الله ؛ فالإنسان على هذا القول هو محمد صلى الله عليه وسلم . وقيل هو آدم عليه السلام .  
ويقال : البيان الذي خص به الإنسان (عوماً) يعرف به كيفية مخاطبة الأغيار من الأمثال والأشكال . نوامياً أهل الإيمان وللمعرفة فيبائنهم هو علمهم كيفية مخاطبة مولاها — ويان

(١) حكينا في م وهي في م (المسلمون) وهي خطأ في النسخ .

(٢) أنظر كتابنا (القبسلة بين أهل العبادة وأهل الإشارة) ورأينا في معنى (الرحمن) .

(٣) إشارة إلى يوم الله .

(٤) بتشديد الياء وفتحها حل معنى أن البيان علامة تعزيم من سائر الحيوان ، وبكسر ما حل معنى أن البيان وسيلة للفرد بها الإنسان لتصير مما تكتنه نفسه لتتيز بين الأحياء .

السيد مع الحق مختلف : قومٌ يَخْلُطُونَهُ بلسانهم ، وقومٌ بأفاسهم ، وقوم بدموعهم :  
دموعُ الفتي عمّا يحسُّ تَرَجُّمُ وأشواقه تَبْدِين ما هو يكتم  
وقومٌ بأعينهم وحنينهم :

قُلْ لِي بِالسنة التنفس كيف أنت وكيف حالك ؟

قوله جل ذكره : « الشمس والقمر يحسبان » .

يعنى يجرى أمرهما على حدٍّ معلوم من الحساب . في زيادة الليل والنهار ، وزيادة القمر  
وتقصانه ، وتعرّفُ بحرياتها الشهورُ والأيامُ والسنوات والأعوام . وكذلك لها حساب إذا  
انتهى ذلك الأجلُ . . . فالشمسُ تُكَوِّرُ والقمرُ يَنْكَدِرُ .

وكذلك لشمس<sup>(١)</sup> للمارف وأقارِ المولود — في طلوعها في أوج<sup>(٢)</sup> القلوب والأسرار —  
في حكمة الله حسابٌ معلومٌ ، يُجرىها على ما سبق به الحكمُ .

قوله جل ذكره : « والنجم والشجر يسجدان » .

ويقال : النجم من الأشجار : ما ليس له ساق<sup>(٣)</sup> ، والشجر : ما له ساق .

ويقال : النجوم الطالمة والأشجارُ الثابتةُ « يسجدان » سجودَ دلالة على إثبات الصانع  
بنمت استحقاقه للجلال .

قوله جل ذكره : « والسماء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ » .

سَمَكَ السماء وأعلاها ، وعلى وصفِ الإقتلِ والإحكام بنها ، والنجوم فيها أجراها ،  
وبثَّ فيها كواكبها ، وحفظ عن الاختلال من كَيْبها ، وأثبت على ما شاء مشارقها ومغاربها . .  
وخلَقَ لِليزانَ بين الناس ليمتروا الإنصافَ في المعاملات بينهم .  
ويقال : لِلْيَزَانِ الْمَدْلُ .

« أَلَا تَطَّلُونَا فِي الِليزان »

(١) هكذا بالمفرد في م وهي في ص بالجمع (شمس) ونرجع أنها بالمفرد حسبما نعرف من أسلوب القشيري  
فشمس الحقائق واحدة إذا طلعت فشمس نورها آثار العلوم .

(٢) هكذا في م وهي أصوب مما جاء في م (روح) فلامنى لها هنا .

(٣) لأنه ينجم عن الأرض بلا ساق مثل البقول (النبس) = ٤ ص ٢٠٧ .

احفظوا المَدْلُ في جميع الأمور ؛ في حقوق الآخرين وفي حقوق الله ، فباعتبار المدل ، وتركه الحيفِ ومجاوزة الحدِّ في كل شيء ؛ ففي الأعمال يُعتبر الإخلاصُ ، وفي الأحوال الصدقُ ، وفي الأتاس الحقائقُ ومساواة الظاهرِ والباطنِ وتركُ اللذائنةِ والخلعِ والكبرِ ودقائق الشُّركِ وخفايا النفاقِ وغوامض الجنايات .

« وأقيموا الوَزنَ بالقِسطِ ولا تُضَيروا

للميزان » .

(وأقيموا الوزن بالمكيال الذي يحبون أن تُكَالُوا به ، وعلى الوصف الذي ترجون أن تنالوا به معكم ومشرىكم دون تطقيف)<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « والأرضَ وضعها للأنام \* فيها

فاكهةٌ والنَّخلُ ذاتُ الأكمام \*

والحبُّ ذو المَصْفِ والرَّيْحَانُ » .

خلق الأرضَ وجعلها مهاداً ومشوى للأنام .

وقال : وضعها على الماء وبسط أقطارها ، وأبنت أشجارها وأزهارها ، وأجرى أنهارها وأغطش ليها وأوضح نهجها .

« فيها فاكهة . . » يعني ألوانُ الفاكهة المختلفة في ألوانها وطعمها وروائحها ونفعها

وضررها ، وحرارتها وبرودتها . . وغير ذلك من اختلاف في حبها وشجرها ، وورقها ونورها .

« والنَّخل ذاتُ الأكمام » وأكمام النخل ليفها وما يغطيها من السَّف .

« والحبُّ » : حبُّ الخنطة والشعير والميس وغير ذلك من الحبوب .

« ذو المَصْفِ » : والمصف ورق الزرع<sup>(٢)</sup>

(١) ما بين القوسين مضطرب في النص حاولنا تنظيمه على معنى .

(٢) قال الضحاك : المصف حببتين ، وقال بعضهم المصف هو الماء كقول من الحب ، والرَّيْحَانُ النعنع الذي لم يزل . وقال أبو مالك : المصف أول ما يلبث تسبب التبط جبراً . وقال بعضهم : للمصف ورق الخنطة . ( البخاري ٣ ص ١٣١ ) . وصيت الرياح عواصف لأنها تأتي بالمصيف وهو ورق الزرع وحطاه .

« والرحمن » الذى يُشَمُّ . . . ويقال : الرزق لأن العرب تقول : خرجنا نطلب ورحمن الله ، ذكروهم عظيمَ مِنَّةٍ عليهم عما خَلَقَ من هذه الأشياء التى يتضمنون بها من مأْكولاتٍ ومشموماتٍ وغير ذلك .

قوله جل ذكره : « فَبَإَى آلاءِ رَبِّكَ أَنْ تُكَذِّبَ »

فَبَإَى آلاءِ رَبِّكَ تَجْمَعَانِ ؟ والآلاءُ النِّعَماءُ .

والثَّنيةُ فى المطالب للمُكَلِّفِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

ويقال : هى على عادة العرب فى قولهم : خَلِىٌّ ، وَفِىٌّ ، وَأَرْحَلَاهَا بِالْغِلَامِ ، وَأَزْجَرَاهَا بِالْغِلَامِ .

قوله جل ذكره : « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ »

« الْإِنْسَانُ » : بنى آدم ، وَالصَّلْصَالُ الطينُ الْيَابِسُ الذى إِذَا حُرِّكَ صَوَّتْ كَالْفَخَّارِ .  
ويقال : طينٌ مَخْلُوطٌ بِالرَّمْلِ .

ويقال : مُنْتَنٌ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ صَلَّ وَأَصْلَ إِذَا تَنَبَّرَ .

« وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَلِجٍ مِنْ نَارٍ »

للجوج : هو الالهة المختلط بواد النار

« فَبَإَى آلاءِ رَبِّكَ أَنْ تُكَذِّبَ »

يُذَكِّرُ انْطَلَقَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ كَمَا سَبَقَ — وَكَرَّرَ اللهُ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الْآيَةَ فى غير موضع على جهة التَّعَرُّفِ بِالنِّمَّةِ عَلَى التَّفْصِيلِ ، أَى سَمَةً بِسَمَتِهِ .

ووجهُ النِّمَّةِ فى خلقِ آدمَ من طينٍ أَنَّهُ رَفَعَهُ إِلَى رَجْتِهِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينٍ .

ويقال ذُكِّرَ آدمَ نِسْجَتَهُ وَذُكِّرْنَا نَسْبَتَنَا لِثَلَاثِ نَسَبٍ بِأَحْوَالِنَا .

ويقال عَرَفَهُ قَدْرَهُ لِثَلَاثِ جَمْعَى <sup>(١)</sup> طَوَرَةٍ .

(١) مَكَلَّى مِى وَهَى فِى م (لا يبدو) .



قوله جل ذكره : « رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ » فَبَيَّنْ  
آلَاءَ رَبِّكَ لَا تُكَذِّبُنَ .

« المشرقين » : مشرق الصيف ومشرق الشتاء وكذلك مغربهما .

ووجه التسمية في ذلك جريانها على ترتيب واحد حتى يكمل ارتفاع الخلق بهما .  
ويقال : مشرق القلب ومغربه ، وشوارق القلب وغواره إنما هي الأنوار والبصائر  
التي جرى ذكر بعضها فيما مضى .

قوله جل ذكره : « مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْقَاؤَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ  
لَا يَبِينُ » .

« برزخ » أى حاجز بقدرة تلاً ينلب أحدهما الآخر ، أراد به البحر المذب والبحر  
الملح . ويقال : لا يبينان على الناس ولا يفرقانهم .

« يُخْرِجُ مِنْهَا الْاُؤُلُوءَ وَالرَّجَانُ »

الؤلؤ : كبار الدر ، والرَّجَان : صغار الدر . ويقال : الرِّجَانُ التَّلُّ .

وفي الإشارة : « خَلَقَ فِي الْقُلُوبِ بَحْرَيْنِ : بَحْرُ الْخَوْفِ وَبَحْرُ الرَّجَاءِ » . ويقال التَّبْضُ والتَّبْطُ  
وقيل الميية<sup>(١)</sup> والأنس . يُخْرِجُ مِنْهَا الْاُؤُلُوءَ وَالْجَوَاهِرَ وهى الأحوال الصافية واللطائف المتوالية .

ويقال : البحرين . إشارة إلى النفس والقلب ، فالقلب هو البحر المذب والنفس هى البحر  
السلح . . فن بحر القلب كلُّ جوهرٍ ثمين ، وكلُّ حلقه لطيفة . . ومن النفس كل خلق  
ذمى<sup>(٢)</sup> . والدر من أحد البحرين يخرج ، ومن التللى لا يكون إلا التماسح مما لا تحذر له  
من سواكن القلب . « بينهما برزخ لا يبينان » : يصون الحق هذا عن هذا ، فلا يبين هذا  
على هذا .

قوله جل ذكره : « وَهُوَ الْجَوَارِ الْاُنْتِثَاتُ فِي الْبَحْرِ  
كَالْاَعْلَامِ »

« الجوارى » : واحدها جارية ، وهى السفينة .

(١) مكنتا في م وهى الصواب أساً في سر نهى (المبيط) وهى غلط في التنسخ .

(٢) النفس عنه المصونية عمل الملوالات والقلب عمل المصودات .

## « الأعلام » : الجبال

( له هذه السفن التي أنشئت وخلق في البحر كأنها الجبال العالية )<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ »

كل من على وجه الأرض في حكم الفناء من حيث الجواز . ومن حيث الخبر : ستبقى الدنيا ومن عليها و يبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام . « والوجه » : صفة لله سبحانه — لم يلد عليه القتل قطعاً ودل عليه جوازاً ، وورد الخبر بكونه قطعاً .

ويقال : في بقاء الوجه بقاء القات ، لأن الصفة لا تقوم بنفسها ، ولا بحالة شرطها قيامها بنفسه وذاته . ولأمانة تخصيص الوجه<sup>(٢)</sup> بالذكر أن ما عداه يُعرَفُ بالقتل ، والوجه لا يُعَدُّ بالقتل ، وإنما يُعرَفُ بالقتل والأخبار . و « يبقى » : وفي بقاءه . سبحانه خَلَفَ عن كل تلف<sup>(٣)</sup> ، وتوليةً للسلين عما يصيبهم من اللصائب ، وبقوتهم من اللواهب . قوله جل ذكره : يَأْتِهِ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ يَوْمَ هُوَ فِي شَأْنٍ .

أهل السموات يسألون أبداً للنفرة ، وأهل الأرض يسألونه الرزق والنفرة ، أي لا بُدَّ لأحدٍ منه ( سبحانه ) .

وفي السموات والأرض مَنْ لَا يَأْتِيهِ : وهم مَنْ قِيلَ فِيهِمْ : مَنْ شَفَلَهُ ذِكْرِي عن مسألي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين<sup>(٤)</sup> .

ويقال : ليس كلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يسألونه يَمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ولكن :

بَيْنَ الْخَمِينِ سِرٌّ لَيْسَ يُنْشِئُهُ قَوْلٌ وَلَا قَلَمٌ لِلتَّخَلُّقِ يَحْكُمُهُ

(١) ما بين التوسمين مشترك في هامش الورقة بالنسخة ص

(٢) سقطت لفظة (الوجه) من النسخة م .

(٣) هكذا في م وهي في ن (ثالث) وهي صحيحة ولكن السياق والموسم اللغوية تتأكل : (تلف) .

(٤) « من شفعه ذكرى من مسألي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » رواه البخاري في التاريخ ، والبيهقي في السنن ، والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب .

« كل يوم هو في شأن » من إحياء وإماتة ، وقبض قوم وبسط قوم .. وغير ذلك من فنون أقسام المحلوقات ، وما يُجرى عليها من اختلاف الصفات .

وفي الآية ردٌّ على اليهود حيث قالوا : إنَّ اللهَ يستريح يوم السبت لا يفعل شيئاً ، فأخبر أنه كل يوم هو في شأن ، ولو أخذ العالم لحظة من حِفْظِهِ لثلاثي وبَعل .

( ومن شأنه أن يفرّ ذنباً ، ويستريح عيلاً ، ويذهب كرباً )<sup>(١)</sup> ، ويطيّب قلباً ، ويُفقي عبداً ويُدْني عبداً ... إلى غير ذلك من فنون الأفعال . وله مع عباده كل ساعةٍ برٌّ جديدٌ ، وسِرٌّ<sup>(٢)</sup> بينه وبين عبده — عن الرقباء — بعيد .

ويقال : كل يوم هو في شأنٍ سَوِيٍّ للتدبير إلى أوقاتها .

ويقال : كل يوم هو في شأنٍ إظهارٍ مستورٍ وسرٍّ ظاهريٍّ ، وإحْضارٍ غائبٍ وتنْظيرٍ حاضرٍ .

قوله جل ذكره : « سَتَرْتُ لَكُمُ الْبَصِيرَاتِ »<sup>(٣)</sup> .

أى للحساب يومَ القيامة — وليس به اشتغالٌ ... تعالى اللهُ عن ذلك .

ومعنى الآية : سنقصد لحسابكم .

قوله جل ذكره : « بِمَشْرِعِنَا وَبِإِذْنِنَا يُتْلَى »<sup>(٤)</sup> .

أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْصَارِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ فَتَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ

إِلَّا بِإِذْنِنَا .

أَقْصَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ نَوَاحِيهَا . أى إِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا مِنْ مَلَكِكُمْ فَخْرُجُوا .

(١) هذا الرأي أيضاً لأبي العريضة (الكنزى ٣٠ ص ١٣١) .

(٢) هكذا في م ، أما في ن فهي (يُسْر) وقد رجحنا الأول لأن (السِر) يكون بعيداً عن الرقباء .

(٣) (القصص) = الإِيس والجن سُميوا بذلك لأنهما نَقَلَا الأَرْضَ .

ثم قال : « لا تتفنون إلا بسلطان » . أى لا تملكون إلى موضع إلا وهناك سلطانى ومثلكى ولا تتفنون فى قُلُوبِ إلا وهناك عليكم حجة <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « يُرْسَلُ عَلَيْكَ شُواظٌ مِنْ نَارٍ

وَيَحْمَسُ فَلَا تَنْصِرَان » .

أى فلا تنفان . والشواظُ : اللهبُ من النار لا دخلَ معه . والنحاس : الصُّفْرُ <sup>(٢)</sup> للذئاب

قوله جل ذكره : « فَلِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً

كَالدِّهَانِ » .

بنفك بعضها عن بعض . وتصير فى لون الورد الأحمر . ويقال : بها القُرْشُ الموردة كالدهان

وهو جمع دهن . أى كدهن الزيت وهو دوى الزيت .

ويقال : كما أن الوردة يتلون لونها ، إذ تكون فى الربيع إلى الصُّفْرَةِ ، فلذا اشتدت الوردة

كانت حمراء ، وبعد ذلك إلى الغبرة — فكذلك حالُ السماء تتلون من وصفٍ إلى وصفٍ

فى القيامة .

قوله جل ذكره : « فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ

وَلَا جَانٌ » .

أراد فى بعض أحوال <sup>(٣)</sup> القيامة لا يُسألون ، ويُسألون فى البعض . . . . . فيومُ القيامة

طويلٌ .

ويقال : لما كانت لهم يومئذٍ علامات : ظلكلر سوادُ الوجه وذُرْقَةُ العين ، وللمسلمين

بياض الوجه وغير ذلك من العلامات — فاللائكة لا يحتاجون إلى سؤالهم : من أتم ؟ لأنهم

يرفون كَلَّا بسلام .

(١) هكذا فى م وهو فى ص (وجهه) . فلذا قبلنا (حجة) فيكون المعنى أنكم أيها توجبهم فى بقاع السنوات

والأرض فتجبرون دائما برهاناً على وحدانية الله ، وشامداً على ربوبيته . ولذا قبلنا (وجهه) فهو على معنى : « فأينا تواروا ثم (وجه) الله » .

(٢) الصفرة = للنحاس الأصفر .

(٣) أحوال القيامة هنا بمعنى مواطن القيامة فى ذلك اليوم الطويل . وربما كانت (أحوال) .

وقال : لا يُسْأَلُونَ سَوْأًا يُكَونَ لَهُمْ وَيُسْأَلُونَ<sup>(١)</sup> سَوْأًا يَكُونُ عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيَامِ شُيُوعِهِمْ »

بالتواصي والأقدام » .

الْمُؤْمِنُونَ عُرِفُوا بِحَسَنَاتِهِمْ ، وَالْكَافِرُونَ سَوِّفَ يُعْرِفُونَ زُرْقُ الْمَيِّتِ ، فَيُعْرِفُ الْمَلَائِكَةُ هَؤُلَاءِ .  
فَيَأْخُذُونَ بِنَوَاصِيهِمْ ، وَيَجْزِيهِمْ مَرَّةً بِهَا مَرَّةً بِأَقْدَامِهِمْ ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ فِي النَّارِ ، وَيَطْرَحُونَهُمْ  
فِي جَهَنَّمَ :

« هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ »

• يَطْرَحُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حِمِيمٍ آتٍ • .

يقال لهم : هذه جهنم التي كنتم بها تكذبون !

« حِمِيمٌ » : ماء حارٌّ • « آتٍ » : تأتي في النصيح

قوله جل ذكره : « وَلَمَّا خَفَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ »

يقال : لَمَّا خَفَ قُرْبَ رَبِّهِ مِنْهُ وَأُطْلِعَهُ عَلَيْهِ .

ويقال : لَمَّا خَفَ وَقُوفَهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ — جَنَّاتٍ ، ونقطة التثنية هنا على الماحة في قولهم :

خَلِيلٌ وَنَعْمَةٌ •

وقيل : بل جَنَّاتٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ ، مُتَّجِلَةٌ فِي الدُّنْيَا مِنْ حِلَاةِ الطَّاعَةِ وَرُوحِ<sup>(٣)</sup> الْوَقْتِ ،

وَمُؤَجَّلَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَهِيَ جَنَّةُ الثَّوَابِ • ثُمَّ هُمْ يُخْتَلَفُونَ فِي جَنَّتِ الدُّنْيَا عَلَى مَقَادِيرِ أَسْوَأِهِمْ كَمَا

يُخْتَلَفُونَ فِي الْآخِرَةِ عَلَى حَسَبِ دَرَجَاتِهِمْ •

« ذَوَاتَا أَفْئَانٍ » : فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكَ تَكْذِبَانِ

فِيهِمَا غِيَانٌ تَجْرِيَانِ •

هَذَا عَلَى أَنَّ الْجَنَّتَيْنِ فِي الْآخِرَةِ . وَالْأَفْئَانِ الْأَغْصَانُ • وَهِيَ جَمْعُ قَتْنٍ •

(١) سَلَّطَتْ (وَيُسْأَلُونَ) هَلْ مِنْ مَوْجُودَةٍ فِي مَوْجُودَةٍ •

(٢) هَذِهِ الْمَحَاوَلَاتُ الَّتِي يُلْهَى بِهَا الْقُرْآنُ بِمَقْصُودِهَا — حَسْبَا تَقُلْ — لِتَتَفَرَّقَ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ وَبَيْنَ آيَاتٍ أُخْرَى

مِثْلُ : « قَوْلُكَ لِقَائِهِمْ أَجْمَعِينَ » وَمِثْلُ « قَوْلِهِمْ لَكُمْ مَسْكُونُونَ » •

وَمِنْ قِبَلِ هَذِهِ الْمَحَاوَلَاتِ قَوْلُ تَعَاذُ : عَسَى اللَّهُ عَلَى أَنْفُسِ الْقَوْمِ وَتَكَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ •

(٣) مَكَدًا فِي مَوْجُودَةٍ فِي مَوْجُودَةٍ •

ويقال : ذواتا ألوانٍ من كلِّ صنفٍ ولونٍ تشبه النفسُ والعينُ — وتكون جمع فن .  
 « فيهما عينان تجريان » إحداهما التنعيم ، والأخرى السلبيل .  
 ويقال : عينان تجريان غداً لمن كان له — اليومَ — عينان تجريان بالنعيم .  
 « فيهما من كلِّ فاكهة زَوْجان » .  
 زوجان أى صنفان وضربان ؛ كالرطب واليابس ، والعنب والزبيب .  
 ويقال : إنها في نهاية الحسن والجودة .

« مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ  
 اسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ » .

بطانتها من استبرق فكيف بظلماتها ؟ . « والبطائن » : ما على الأرض . « والاستبرق » :  
 الديباغ القليظ . وإنما خاطبهم على قَدَرِ قَهْمِهِمْ ؛ إذ يقال إنه ليس في الجنة شيء مما يُشْبِه ما في  
 الدنيا ، وإنما الخطاب مع الناس على قَدَرِ أَفْهَامِهِمْ<sup>(١)</sup> .

« وجنى الجنتين دان » : أى ما يجنى من ثمرها — إذا أرادوه — دنا إلى أفواههم فتناولوه  
 من غير مَشَقَّةٍ تناولهم . وفى الخبر المسند : « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ  
 أَكْبَرُ غَرَسَ اللَّهُ لَهُ شَجَرَةً فِي الْجَنَّةِ أَصْلُهَا الذَّهَبُ وَفَرْعُهَا الْبَرُّ وَطَلْعُهَا كُنُودُ الْأَبْكَارِ أَلَيْنَ  
 مِنْ الزُّبْدِ وَأَحْلَى مِنَ الْمَسَلِّ ، كُلُّهُ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا عَادَ كَمَا كَانَ » — وذلك قوله : ودنا  
 الجنتين دان .

ويقال : ينالها القائم والقاعد والنائم .

قوله جل ذكره : « فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الْغُرُفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ  
 أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ » .

أى فى الجنان حورٌ قَصَرْنَ عِيَّوَهُنَّ عن غير أزواجهن .  
 وإذا كانت الزوجات قاصراتِ الْغُرُفِ عن غير أزواجهن فأولى بالبعد إذ رجا لقاءه  
 — سبحانه — أن يقصر طَرَفَهُ وَيَقْصُهُ عَنْ غَيْرِ مُبْلَغٍ .

(١) هذا رأى على حاسب كبير من الأهمية يوضح مدى تصور التفسيرى لنعم الجنة واجتماعها من المصاحف .

بل من الكل . . إلى أن يقاه .

ويقال : من الأولياء مَنْ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ — وَإِنْ أُمِّحَ لَهُ ذَلِكَ لَمْ تَعْرِضْهُ عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَلَوْ هَمَّ عَنْ الْخَوَافَاتِ<sup>(١)</sup> — وَأَنْشَدُوا :

جُنُنًا بَلَّيَ وَهِيَ جُنْتُ بَغِيرَتَا

وَأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لَا تَزِيدُنَا

ويقال : هُنَّ مَنْ قَصُرَتْ يَدُهُ عَنِ الْحَرَامِ وَالشَّبَهَةِ ، وَطَرَفُهُ عَنِ الرَّبِّ .

« لَمْ يَلْمِزْنِ مَنْسَ قَلْبِهِمْ وَلَا جَانِ » : لَمْ يَصْغِبْنِ غَيْرُ الْوَلِيِّ وَلَمْ يَحْزَنْ غَيْرُهُ ، وَفِي الْخَبَرِ . اشْتَقَّتِ الْجِنَّةُ لثَلَاثَةً<sup>(٢)</sup> .

« كَاهِنٌ الْيَقُوتِ وَاللَّرْجَانُ » .

أى : فِي صَفَاءِ الْيَقُوتِ وَلَوْنِ اللَّارْجَانِ .

قوله جل ذكره : « هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ؟ » .

يقال : الْإِحْسَانُ الْأَوَّلُ مِنْ اللَّهِ وَالتَّانِي مِنَ الْعَبْدِ ؛ أَى : هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ بِالْصَّوَرَةِ إِلَّا أَنْ يُحَسِّنَ لَنَا بِالْخَلْقَةِ ؟ وَهَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ بِالْوَلَاءِ إِلَّا أَنْ يَحْسَنَ لَنَا بِالْوَفَاءِ ؟ .

ويصح أن يكون الْإِحْسَانُ الْأَوَّلُ مِنَ الْعَبْدِ وَالتَّانِي مِنْ اللَّهِ ؛ أَى : هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَ مِنْ حَيْثُ الطَّاعَةِ إِلَّا أَنْ يُحَسِّنَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ الْقَبُولِ وَالتَّوَابِ ؟ .

وهل جزاء من أحسن من حيث الخَلْقَةِ إِلَّا أَنْ يُحَسِّنَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ النِّعَةِ ؟

ويصح أن يكون الْإِحْسَانُ الْفَائِضُ مِنَ الْحَقِّ ؛ أَى : هَلْ جَزَاءُ مَنْ أَحْسَنَّا إِلَيْهِ فِي الْإِبْتِدَاءِ

إِلَّا أَنْ يُحَسِّنَ إِلَيْهِ فِي الْإِتِّهَادِ ؟ وَهَلْ جَزَاءُ مَنْ فَاتَحْنَاهُ بِالطَّلَفِ إِلَّا أَنْ تُرْفِيَ لَهُ فِي النِّفْلِ وَالطَّلَفِ ؟ .

(١) يضاف هذا الكلام إلى رأى القشيري في موضوع «المرغصة» .

(٢) إن الجنة تشترك في ثلاثة : حل وجوار وسلاية .

(الترمذي عن أنس ، ورواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي ربيعة الأيادي . وقد حسن الترمذي شديده . قاله الحافظ الميمني ) ويرجح أن الموضع الصحيح للغير هو يد النص القشيري السابق ، ويرجح أيضاً أن السبب في استبعاد القشيري بهذا الخبر جتا هو إثبات اشتقاق الجنة لأهل الخصوص ، بينما هؤلاء الزهاد الثلاثة لا أقرب لهم في العارفين ، لأنهم ياتون بربهم .

ويصح أن يكون كلاهما من البد ؛ أى : هل جزء من آمن بنا إلا أن يثبت في المستقبل على إيمانه ؟ وهل جزء من عَدَّ معنا عقد الوفاء إلا أن يقوم بما يقتضيه بالتفصيل ؟

وقال : هل جزء من بَدَّ عن نفسه إلا أن تُرَبِّهَ مِنَّا ؟

وهل جزء من قَيَّ عن نفسه إلا أن يبقى بنا ؟

وهل جزء من رَفَعَ لنا خطوة إلا أن نكافئه بكل خطوة ألف خطوة ،

وهل جزء من حفظ لنا طَوْفَهُ إلا أن نُكْرِمَهُ بقائنا ؟

قوله جل ذكره : « وَبَيْنَ دُونِهَا جَنَّتَانِ » .

هما جنتان غير هاتين اللتين ذُكِرَتَا ؛ جنتان أُخْرَانِ . وليس يريد دونهما في التفضيل ، ولكن يريد « جنتان » سواء<sup>(١)</sup> .

« مُدْهَمَّتَانِ » .

أى : خضراوان خُضِرَ تغرب إلى السواد . فالدهمة السواد<sup>(٢)</sup> والتل منه ادهامٌ والاسم منه مُدْهَمٌ ، والوُثْث مدهماتٌ ، وثنية للوُثْث مدهماتان .

« فِيهِمَا عَيْنَانِ فَصَلَخَتَانِ » :

والتَّصَخُّ قَوْرَانُ العَيْنِ بالماء .

« فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَمُخَلٌّ وَرُمَّانٌ »

الأشياء متشابهة . . والسيون<sup>(٣)</sup> فلا .

« فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ » .

(١) قال ذلك يرى النسي الذي يقرن : هما جنتان من دون تلك الجنتين المرعوثتين المقربين وهما من دونهما من أصحاب البقيع وفي موضع آخر من تصفيتها ذاتها يقول النسي : وإنما تقامرت صفات هاتين الجنتين عن الأولين لأن مدهماتان دون ( ذواتنا أفتان ) وفصاختان دون ( جبريان ) وفاكة ( دون كل فاكهة ) ( النسي - ٤ ص ٢١٢ ) .

(٢) هذا رأى الخليل أيضاً .

(٣) ربما يقصد التشبیه ( الإيهان ) فهذا هو الاصطلاح المألوف استعماله في علمي الفلسفة والكلام - بل إن التشبیه نفسه يستعمل في مثل هذا الموضع . والمقصود أن القرآن يتحدث عن نعيم الجنة حسب أنهما للناس ، ولكن الإيهان غير الأسماء .



أى : حورٌ خَيْرَاتُ الأخلاقِ حَسَنُ الوجوه . واحدها حَيْرَة والجمع خَيْرَات وعذا هو الأصل ثم خُفِّفَ فصارت خيرات .

« حُورٌ مقصوراتٌ في الخيام » .

مقصورات على أزواجهن . وهُنَّ لَيْنٌ هو مقصورٌ الجوارح عن الزَّلَّات ، مقصورٌ القلب عن الغفلات ، مقصور السَّرُّ عن مساكنة الأشكال والأعلال والأشبه والأمثال .

وفي بعض التفسير : أن الخليفة من دُرَّةٍ عجوة فرسخ في فرسخ لما ألف باب<sup>(١)</sup> .

ويقال : قصرت أنفسهم وقلوبهم وأبصارهم على أزواجهن . وفي الخبر : أنهم يملن بمن الناحات<sup>(٢)</sup> . فلا نبؤس ، الخالجات فلا نبيد ، الراضيات فلا نسط .

وفي خبر عن عائشة رضى الله عنها : أن المؤمناتِ أَجَبْنَهُنَّ : نحن المصليات وما صَلَّيْن ، ونحن الصائمات وما صُمِمْنَ ، ونحن المتصدقات وما تَصَدَّقْتُنَّ ، قالت عائشة يظلمن قوله . « لَمْ يَطْلُبْنَهُنَّ<sup>(٣)</sup> إِنْ سِ قَبْلَهُمْ وَلَا بَعْلًا » .

قوله جل ذكره : « مُنْكِحَتْنِ عَلَى رَقَبٍ خَفِيرٍ وعبري حسان » .

قيل : رباض الجنة ، وقيل : المجالس ، وقيل : الزرابي والوسائد — وهى خَفِيرٌ وعبري حسان : المعبري عند العرب كلُّ ثوبٍ مُوَشَّى .

قوله جل ذكره : « تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » .

مضى تفسيره .

(١) حدثنا محمد بن المنى قال : حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد : حدثنا أبو هريرة الجوني عن أبي بكر بن عبد الله ابن قيس عن أبيه : أن رسول الله (ص) قال : إن في الجنة خيمة من الزلوة عجوة فرسخها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمنون .. البخاري ٣٠ ص ١٣٢ . وذكر ابن جرير الطبري أن الخليفة لزلوة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ لما أريته آلاف مصراع من ذهب (٢٧٠ ص ٨٤) .  
(٢) ونحو الناحات فلا نبؤس أبداً ، نحن الخالجات فلا نموت أبداً .. رواه الترمذي عن جل ، وقال : حديث غريب . ورواه الترمذي . وأبو نعيم عن أبي أوفى في صفة الجنة ، وذكره الصراح في اللع ص ٣٤٥ .  
(٣) الطمث : الجماع بالتمسية

## سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » : اسم جبار من اعتق بشأنه أحضره بإحصائه ، فإنَّ أُنْبِيَّ إِلَّا تَمَادِيًا فِي عَصِيَانِهِ حَالًا يُنْفِ وَيُنْزِلُ وَيُنْزِلُ (١) بِقَهْرِ سُلْطَانِهِ ، وإنَّ لَمْ يَلْزَمْ هُنَا (٢) الطَّاعَةُ أَجْنَافًا بِالْبَلَاءِ فَيَأْتِيهَا بِاضْطِرَارِهِ .

اسم عزيز أزلِّي ، جبارٌ صَدِيدٌ ، قَهَّارٌ أَحَدِيٌّ ، لِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيٌّ ، وَبِالْعَاصِينَ حَفِيٌّ ، لَيْسَ لِحَمَلِهِ كُفْيٌ ، وَلَا فِي جَلَالِهِ سَمِيٌّ ، لَكِنَّهُ (٣) لِقَصَاةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيٌّ .

قوله جل ذكره : « إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ » لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَأَذِيَّةٍ » .

إِذَا قَامَتِ الْقِتَالَةُ لِإِبْرَدِهَا شَوْءٌ .

« كَأَذِيَّةٍ » هَلَاكًا مُصَدَّرٌ : كَالْمَالِيَّةِ ، وَالْعَاقِبَةِ ، أَيْ : هِيَ حَقٌّ لَا يَرُدُّهَا شَوْءٌ ، وَلَيْسَ فِي وَقْعِهَا كَذِبٌ .

يُقَالُ : إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ قَمَنَّ سَلَكٌ مِنْهَا فِي الصَّحَةِ وَالْإِسْقَامَةِ وَصَلَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَلَقِيَ الْكِرَامَةَ ، وَمَنْ حَازَ عَنْ نَهْجِ الْإِسْقَامَةِ وَقَعَ فِي النَّدَامَةِ وَانْتِرَامَةٍ ، وَعِنْدَ وَقْعِهَا يُقْبِلِينَ الصَّادِقُ مِنَ الْمَآذِقِ :

إِذَا اشْتَبَكَتْ صَمُوعٌ فِي خُدُودِ نَبِيَّيْنِ مِنْ بَنِي مِمْنَ تَبَاكِي  
« خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ »

(١) مَكَلَّا فِي م وَهِيَ فِي م (إِسْمَاءٌ) .

(٢) مَكَلَّا فِي م وَهِيَ فِي م (شِدَّةٌ) الْطَّاعَةُ .

(٣) مَكَلَّا فِي م ، وَهِيَ مَوْجِدَةٌ كَلِمَةٌ غَيْرُ رَافِعَةٍ الْكِتَابَةِ .

« خافضة » : لأهل الشقلة ، « راضة » : لأهل الرقاق .

« خافضة » : لأصحاب الدعوى ، « راضة » : لأرباب اللطف .

« خافضة » : للنفوس ، « راضة » : للقلوب .

« خافضة » : لأهل الشهوة ، « راضة » : لأهل الصفة .

« خافضة » : لمن جحد ، « راضة » : لمن وخذ .

قوله جل ذكره : « إِخَارُجَتِ الْأَرْضُ رُجَاءً » .

حرّكت حركةً شديدة .

قوله جل ذكره : « وَبُشِّرَ الْجِبَالُ بَآءً » فكانت

عبارةً مُبَشِّرًا .

فَقُتَّتْ فكانت كالمباء الذي يقع في الكوة عند شعاع الشمس .

قوله جل ذكره : « وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً » فَأَصْحَابُ

الْيَمِينَةِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ وَأَصْحَابُ

السُّفْلَةِ مَا أَصْحَابُ السُّفْلَةِ •

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ .

« ما أصحاب اليمين » ؟ هل جهة التضخيم لشأنهم والتنظيم لقُدْرَم ، ( وهم أصحاب اليمين

والبركة والثواب )<sup>(١)</sup> .

« ما أصحاب للشامة » : على جهة التنظيم والمبالغة في دَمَمهم ، وهم أصحاب الشؤم على أنفسهم ويقال :

أصحاب اليمين هم الذين كانوا في جانب اليمين من آدم عليه السلام يومَ القَدَر ، وأصحاب للشامة

هم الذين كانوا على شمله .

---

(١) موجود في ص وغير موجود في م .

وقال : الذين يُطَهِّرُونَ الْكِتَابَ بِأَيْمَانِهِمْ ، والذين يُطَهِّرُونَ الْكِتَابَ بِشَهَادَتِهِمْ .

(وقال : هم الذين يُؤْخَذُ بِهِمْ ذات اليمين .. إلى الجنة ، والذين يُؤْخَذُ بِهِمْ ذات الشمال .. إلى النار) (١)

« والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ » : وهم الصف الثالث . وهم السَّابِقُونَ إلى انقضاء الحجة ، (والأفضل الجية) (٢)

وقال : السَّابِقُونَ إلى الهجرة . وقال : إلى الإسلام . وقال : إلى الصلوات الخمس .  
وقال : السَّابِقُونَ بصدق القدم . وقال : السَّابِقُونَ بملكو الميم . وقال : السَّابِقُونَ إلى كل خير . وقال السَّابِقُونَ للتسارعون إلى التوبة من الذنوب فيسارعون إلى الندم إن لم يتسارعوا بصدق القدم .

وقال : الذين سبقت لهم من الله الحسنى فسبقوا إلى ما سبق إليه :

« أولئك الْمُقَرَّبُونَ »

ولم يقل : الْمُقَرَّبُونَ ، بل قال : أولئك الْمُقَرَّبُونَ — وهذا عين الجمع ، فكلم الكفاة أنهم بمقرب ربهم سبقوا — لا يُقَرَّبُهُمْ (٣)

« في جناتِ النعيم »

أى : في الجنة (٤) . وقال : مقربون إلا من الجنة فعال أن يكونوا في الجنة ثم يُقَرَّبُونَ من الجنة ، وإنما يُقَرَّبُونَ إلى غير الجنة : يُقَرَّبُونَ من بساط القربة . .

وأنى بالبساط ولا بساط ؟ مقربون . . ولكن من حيث الكرامة لا من حيث المسافة ؛ مُقَرَّبَةٌ قلوبهم من الجنة وقلوبهم إلى الحق .

مُقَرَّبَةٌ قلوبهم من بساط المرفة ، وأرواحهم من ساحات الشهود — فالحق عز و .. لا قُربَ ولا بُعدَ ، ولا فصلَ ولا وصالَ .

(١) موجودة في م وغير موجود في ص .

(٢) موجودة في م وغير موجود في ص .

(٣) هذه إشارة إلى أن القليل الإنساني — وحده — لا يؤول عليه إذا قيس بالفضل الإلهي .

(٤) يتحدث القشيري هنا في غرضه حال لفرق والجس .

ويقال : مغربون ولكن من حظوظهم ونعيمهم . وأحرألم - وإن سَفَتْ - فالحق  
فراء الرواء .

قول جلي ذكره : « ثلثة من الأولين » وقليل من  
الآخرين .

الثلثة : الجماعة - ويقال : ثلثة من الأولين الذين شاعلوا أنبياءهم وقليل من الآخرين الذين  
شاعلوا نبيك على الله عليه السلام .

ويقال : ثلثة من الأولين : من السلف وقليل من المتأخرين : من الأمة .

« على سُرى موضوعة »<sup>(١)</sup> .

أى منسوجة نسيج المدرج من القصب . جاء فى التفسير : طول كل سرير ثمانية ذراع ،  
إن أراد الجلوس عليه تواضع ، وإن استوى عليه ارتفع .

« مُتَكَبِّينَ عليها متقابلين » .

أى لا يرى بعضهم قفا بعضي . وصَمَمَ بصفاء المودة وتَهَذَّبَ الأخلاقى .

« يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَهُنَّ مَثَلْدُون » .

يطوف عليهم وهم مقيمون لا يرحلون ولهنَّ فى سِرٍّ واحدة . لا يهرمون .

وقيل : مُقَرَّبُونَ (المثالة - القُرْبُ)

« بأكوابٍ وأباريقٍ وكأسٍ من

مَمِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عنها ولا يُزِفُونَ » .

« بأكواب » جمع كوب وهى آنية بلا عروة ولا خرطوم ، « وأباريق » : جمع إبريق  
وهو عكس الكوب (أى له خرطوم وعروة) .

ولا صداع لم فى شربهم إيلها ، كما لا تلعب عتولم بسبيها .

ولم كذلك فأكهة مما يتخيرون ، ولم طير مما يشتبهون ، وخور عين ، كأمثال الفؤاد  
للكنون ، أى : للصون ، جزاء بما كانوا يعملون .

(١) ومَنْ لَلْوَب تَسَجَّهَ بِالْجَوْهَرِ ، فهو واضن وهى واحدة والمفعول موضون .

قوله جز ذكره: « لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَنًّا وَلَا نَابِئًا \*  
إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا » .

اللفظ: الباطل من القول، والتأنيب: الإثم والهديان  
ولا يسمعون إلا قِيلًا سَلَامًا، وسَلَامًا: نعت للقتل .

« وأصحابُ اليمين ما أصحابُ اليمين \* في سِدْرٍ مَحْضُودٍ » : لا شوكَ فيه ، « وطلح  
منضود » : والطلح شجر الوز ، متراكم تضيد بعضه على بعض .  
« وظلٍ ممدود » كما بين الإسفار<sup>(١)</sup> إلى طلوع الشمس<sup>(٢)</sup> . وقيل : ممدود أى دائم .  
« وماء مسكوب » : جَارٍ لا يتصبون فيه .  
« وفاكهة كثيرة » : لا مقطوعة عنهم ولا ممنوعة منهم .  
« وفُرُشٍ مرفوعة » لم . وقيل : أراد بها النساء<sup>(٣)</sup> .  
« إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنثَاءً \* فجعلنهن أبكاراً » أى الحور العين .  
« عُرُبًا » : جمع عَرُوبٍ<sup>(٤)</sup> وهى الفئجة المتصبية إلى زوجها . ويقال عرباً : أى مُتَشَبِّهَات  
إلى أزواجهن .

« أَتْرَابًا » : جمع رَبٍّ ، أى : هُنَّ عَلَى سِنٍّ واحدة .  
« لأصحاب اليمين » : أى خلقناهن لأصحاب اليمين .  
« ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ \* وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ » : أى : ثلثة من أوّل هذه الأمة ، وثُلثة من  
أُخْرَاهَا .

« وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال \* فى سَمُومٍ وَحِيمٍ » : والسَمُومُ فيجُ جهنم وحرّها .  
والحيم : للله الحار .

(١) طلوع الفجر أو المسح .

(٢) سقطت (الشمس) من م .

(٣) لأن المرأة يكنى منها بالفراش .

(٤) جاء عند البخارى : عروب مثل : حروب مثل : السرية وأهل المدينة : الفئجة ، وأهل

المران : الشكيلة (البخارى ٣٠ ص ١٢٢) .

« وغلٌّ من يحسوم » ، وهو الدخان الأسود .

« لا بارد ولا كرم » : لا بارد : أى لا راحة فيه . ولا كرم : ولا حسن لم : ( حيث لا يقع فيه ) .

« إنهم كانوا قبل ذلك مُّزَفِّينَ » : أى : كانوا فى الدنيا مُّمتَّعِينَ .

« وكانوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ » : أى الذَّنْبَ الْعَظِيمَ .

« وكانوا يقولون أئنا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَالًا أئنا لَمُوتُونَ ؟ » : أى : أنهم يُكذِّبون بالبعث .

ثم يقال لم : « إنكم أيها الضالون المُكذِّبون » اليوم « لا تكون من شجرة من زُقوم » وجاء فى التفسير : أن الزقوم شجرة فى أسفل جهنم إذا طُرِحَ الكافرُ فى جهنم لا يصل إليها إلا بعد أربعين خريفاً .

« فالتَّوَنُّ مِنْهَا الْبُطُونُ » فشاربون عليه من الحميم « شرابٌ لا تهأون به » فشاربون شرب الحميم : وهى الإبل العطاش . ويقال : الحميم أى الرَّمْلُ ينضب فيه كلُّ ما يصبُّ عليه . هذا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ : يوم القيامة .

قوله جل ذكره : « نحن خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ » . نحن خلقناكم : يا أهل مكة — فهلاً آمَنْتُمْ لتتخلصوا ؟ تؤمنون وتكاتبون .. واليومَ نَتَقَدِّرُونَ ! ولكن لا ينفعكم ذلك ولا يُسْمَعُ منكم شيء .

وإن أشدَّ العقوبات عليهم يومئذ أنهم لا يضرعون من آلام غويهم وأوجاع أعضائهم إلى التحسُّر على ما فاتهم فى حق الله .

وقال : أشدُّ البلاء — اليوم — على قلوب هذه الطائفة (١) خوفهم من أن يَسْتَكْلَمَ — غداً — بمقاساة آلامهم عن التحسُّر على ما تكدَّرَ عليهم من للشارب فى هذا الطريق . وهذه عنة لا شيء أعظم على الأصحاب منها . وإنَّ أصحاب القلوب — اليوم — يتهللون إليه ويقولون : إنَّ

(١) يتصد الصوفية .

حَرَمَتَنَا مشاهدَ الأُنسِ فلا تَشْفَلْنَا بِذَلَّاتٍ تَشْفَلُنَا عن التَّحَرُّرِ على ما هَاجَنا ، ولا بِالْأَلَمِ تَشْفَلُنَا  
عن التَّأَسُّفِ على ما عَدِمَتْنَا مِنْكَ .

قوله جل ذكره : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ \* أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ  
أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ؟ » .

يقال : مَنَى الرجلُ وأَمْنَى . وللمنى : هل إذا بَشَرْتُمْ وأنزلتم واعتقد الولد .. أأنتم تَخْلُقُونَهُ  
أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ؟ واخْلُقْ ههنا : التصور ؛ أى : أأنتم تجمعون صُورَ اللولود وترَكِّبُون  
أعضاءه .. أم نحن ؟ .

وهم كانوا يَتَرَوْنَ بالإنشاء الأولى فاحتجَّ بهنا ( على جواز الإنشاء الأخرى عند البعث  
الذى كانوا يَتَكْرَهُونَهُ . وهذه الآية أصلٌ فى )<sup>(١)</sup> إثبات الصانع ؛ فلن أصلُ خَلْقَةِ الإنسان من  
قطرتين : قطرة من صُلْبِ الأب وهو للمنى وقطرة من تربية الأم<sup>(٢)</sup> ، وتجتمع القطرتان فى  
الرَّحِمِ فيصير الولد . وينقسم للامان المختلطان إلى هذه الأجزاء التى هى أجزاء الإنسان من النظم  
والتَّصَبُّبِ والرِّقِّ والجِلْدِ والشَّعْرِ . ثم يركبها على هذه الصور فى الأعضاء الظاهرة وفى الأجزاء  
الباطنة حيث يُشَكِّلُ كل عضو بشكلٍ خاص ، والعظام بكيفية خاصة .. إلى غير ذلك .  
وليس يخلو : إمَّا أَنْ يَكُونَ الأَبْرَآنِ يصنمانه — وذلك التقديرُ محالٌ لتقاصر عِلْمُهما  
وقُدْرَتُهما عن ذلك وتمنَّيهما الولدَ ثم لا يكون ، وكراهتهما الولدَ ثم يكون !  
والنُّطْقَةُ أو القَطْرَةُ محالٌ تقديرُ فيلها فى نَفْسِها على هذه الصورة لكونها من الأموات  
بَعْدُ ، ولا عِلْمُ لها ولا قُدْرَةُ .

أَوْ مِنْ غَيْرِ صَانِعٍ .. وبالضرورة يُدْعَمُ أنه لا يجوز .  
فلم يَبْقَ إلَّا أَنْ الصَّانِعَ الْقَدِيمَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ هو الْخَالِقُ<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ اللَّوْتَ وَمَا نَحْنُ  
بِمُعْصِيَيْنَ \* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ  
وَنُنَشِّئَكُمْ فِياً لَا تَعْلَمُونَ » .

(١) ما بين القوسين موجود فى م وغير موجود فى ص .

(٢) تربية الأم عطلة الصدر والجمع ترائب .

(٣) هذا نموذج طوب يصور طريقة التشييد بشكله .



يَكُونُ الْمَوْتُ فِي الرُّبُوعِ الَّذِي يَرِيدُهُ ؛ مِنْكُمْ مَنْ يَمُوتُ صَبَاً وَمِنْكُمْ مَنْ يَمُوتُ شَاباً ،  
وَمِنْكُمْ مَنْ يَمُوتُ كَهْلاً ، وَيَعْلَلُ غَضَبُهُ وَبِأَسْبَابٍ مُتَفَوِّتَةٍ فِي أَرْوَاقِهِ خَطِيئَةٌ .

« وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ فِي تَحْدِيرَاتِنَا فَيَقُولُنَا شَيْءٌ وَلَسْنَا بِمُجِيرِينَ مِنْ أَنْ تَخْلُقَ أَمْثَالَكُمْ ،  
وَلَا بِمُجِيرِينَ عَنْ تَبْدِيلِ صُورِكُمُ الَّتِي تَطْلُونَ ؛ إِنْ أَرَدْنَا مَسْحَكُمْ وَتَبْدِيلَ صُورِكُمْ فَلَا يَمْنَعُنَا  
مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ .

وَقَالَ : وَتَشْكُمُ فَيَا لَا تَطْلُونَ مِنْ حَكْمِ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ (١) .

قوله جل ذكره : « وَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا  
تَذَكُّرُونَ » .

أَي : أَنْتُمْ أَتَرْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى .. فَهَلَّا تَذَكُّرُونَ لِتُطْلَوْا جَوَازَ الْإِعَادَةِ ؛ إِذْ هِيَ فِي مَعْنَاهَا (٢) .

قوله جل ذكره : « أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُمُونَ \* أَلَأَنْتُمْ  
تَزْعُمُونَ أَمْ نَحْنُ الزَّالِمُونَ ؟ »

أَي : إِنْهَا أَتَقِيمُ الْحَبَّ فِي الْأَرْضِ .. أَلَأَنْتُمْ تُنْذِرُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمُنْذِرُونَ ؟ وَكَلَيْكَ وَجْهُ  
الْحُكْمِ فِي إِبْنَاتِ الزَّرْعِ ، وَاحْصَامِ الْحَبِّ الْوَاحِدَةِ عَلَى الشَّجَرَةِ النَّاجِيَةِ مِنْهَا ( فِي قَشَرِهَا وَلِحَافِهَا  
وَجَذْعِهَا وَأَغْصَانِهَا وَأَوْرَاقِهَا وَنَمَارِهَا ) (٣) — كُلُّ هَذَا :

« قَدْ نَشَأَ الْجُلُتَاءُ حُلُلًا فَظَنَّمْ  
تَفَكَّهُونَ » .

لَوْ نَشَأَ الْجُلُتَاءُ حُلُلًا يَابِسًا بَدَّ خُضْرَتُهُ ، فَصِرَتْهُمْ تَتَجَبَّيُونَ وَتَتَلَمَّحُونَ عَلَى تَبِكِّمْ فِيهِ ،  
وَأَخَافُكُمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَوْلُونَ :

« إِنْهَا لَمُفْرَمُونَ \* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ »

أَي : لَمْ يُفْرَمُوا غَرَامَةً مَا أَغْنَيْنَا فِي الزَّرْعِ ، وَقَدْ صَارَ ذَلِكَ غَرَامًا عَلَيْنَا — فَالْفَرَمُ مَنْ  
ذَهَبَ إِخْلَافُهُ بَنِي عِوَضٍ .

(١) وَضَحَ هَذَا السُّطْرُ فِي مَكَانٍ تَالٍ يَبْدُ ( فِي مَعْنَاهَا ) فَتَقْلَبُ إِلَى مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ .

(٢) أَيْ أَنَّ الْإِعَادَةَ لَا تَفْتَرِقُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ .

(٣) مَا يَمُنُّ الْقَوْمِينَ مَوْجُودٌ فِي مَوْجُودٍ وَغَيْرُ مَوْجُودٍ فِي مَوْجُودٍ .

« بل نحن محرومون » بل نحن محرومون بعد أن ضاع مِنَّا الرزق .

قوله جل ذكره : « أفأريت الله الذي تشرَّبون • أنتم  
أنزلتموه مِنَ الْمُزْنِ أم نحن المنزلون  
• لو نشاء جَعَلْنَاهُ أَجْلًا فلولًا  
تَشْكُرُونَ » .

أنتم أنزلتموه من السحاب .. أم نحن نُنْزِلُهُ متى نشاء أنى نشاء كما نشاء على من نشاء وعلى  
ما نشاء ؟ ونحن الذين نجعله غثًا في الوقت وفي التدار وفي الكيفية ، في القِلَّة وفي الكثرة .  
ولو نشاء لجعلناه ملحًا .. ألا تشكرون عظيمَ نعمةِ الله — سبحانه — عليكم في تمكينكم  
من الانتفاع بهذه الأشياء التي خَلَقَهَا لكم .

قوله جل ذكره : « أفأريت النار التي توردون • أنتم  
أنشأتم شجرَها أم نحن المنشئون •  
نحن جعلناها تذكرةً ومتاعًا  
للقَّوِينَ » .

وَرَى الزَّيْتُ يُرِي فهو وار .. وأَوَاهُ يُورِيه أى يَقْدَحُهُ .

يعنى : إِنْما قدَحتم الزيت • أَرَأَيْتُمْ كيف تظهر النار — فهل أنتم تحقِّقون ذلك ؟  
أنتم أنشأتم شجرَها — يعنى المَرْخَ والعَفَّارَ <sup>(١)</sup> — أم نحن المنشئون ؟  
« نحن جعلناها تذكرةً » : أى يمكن الاستدلالُ بها .

« ومتاعًا للقَّوِينَ » : يقال : أقوى الرجلُ إِنْما نزل بالقواء أى : الأرض الخالية .

فاللعنى : أن هذه النار « تذكرة » يتذكَّرُ بها الإنسان ما نَعَدَهُ به في الآخرة من نار  
جهنم ، و « متاعا » : يستمتع بها للسافر في سفره في وجوه الانتفاع المختلفة .

---

(١) المَرْخ : شجر ينفرش ويطول في السماء ليس له ورق ولا شوك ، مربع الوردى يُنتفع به .  
والعَفَّار : شجرة من الفصيلة الأريكية لها ثمر ليمُّ أحمر ، وينضج منها الزباد فيسحق الوردى . وفي أمثال العرب :  
« فى كل شجر نار واستجد المَرْخُ والعَفَّار » .

قوله جل ذكره : « صَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ »

أى : اسبحْ بِمُفَكَّرِكَ فى بحار عقلك ، وَغُصْ بِقُوَّةِ التَّوْحِيدِ فيها تَطَقَّرْ بِجِوَاهِرِ الْعِلْمِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُقَصِّرَ فى الفِئَافِ لِسَبِّ أَوْ لآخر ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَخَالَكَ الشُّبُهَةُ فَيَتَلَفَّ رَأْسُ مَا لِكَ وَيَخْرُجَ مِنْ يَدِكَ وَهُوَ دِينُكَ وَاعْتِقَادُكَ . . . وَإِلَّا غَرَقْتَ فى بحار الشُّبُهَةِ ، وَضَلَلْتَ .

وهذه الآيات <sup>(١)</sup> التى عَدَّها الله — سبحانه — مُتَهَيِّدًا لسلوكِ طريقِ الاستدلال ، فسكا فى الظَّهِيرِ « فِكْرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ » — وقد نَبَّهَ الله سبحانه بهذا إلى ضرورة التَّضَكُّيرِ .

قوله جل ذكره : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ

لَقَسَمٌ لَوْ تَطَّلَوْنَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ

كَرِيمٌ \* فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ \* لَا يَمَسُّهُ

إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ \* نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ

الْعَالَمِينَ » .

قيل : هى مواقع نجوم السماء : ويقال : مواقع نجوم القرآن على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم .

« إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ \* » : والكُرُمُ نَقَى الدَّمَاءِ — أى : أنه غير مخلوق <sup>(٢)</sup> : ويقال : هو « قرآن كريم » : لأنه يدل على مكارم الأخلاق .

ويقال هو قرآن كريم لأنه من عند رب كريم على رسول كريم ، على لسان مَلَكٍ كريم . « فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ » : يقال : فى اللَوْحِ الْمُحْفُوظِ . ويقال : فى المصاحف . وهو محفوظ عن التبدل . « لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » : عن الأُدْنَسِ وَالسُّيُوفِ وَالْمَعَاصِي .

(١) إذا تدبرنا هذه الآيات أفينا القرآن يخاطب العقل الإنسانى بالتدبر فى ثلاثة أشياء : الفناء والماء والنار ، وبدون الثلاثة لا تقوم الحياة ولا تنظم .

(٢) هذه إحدى الأفكار الخاطئة التى اشجر حولها الخلاف بين الأشاعرة الذين يقولون : (القرآن غير مخلوق) وبين المعتزلة الذين يقولون : إنه مخلوق .

ويقال : هو خيرٌ فيه معنى الأمر : أى لا ينبغي أن يمسَّ للصفِّ إلا مَنْ كان متطهراً  
من الشرِّ والذنوبِ والأحداث<sup>(١)</sup> .

ويقال : لا يدطمه ويذكره إلا مَنْ آمَنَ به .

ويقال لا يقره إلا للوحدون ، فأما الكفار فيكرهون سماعته فلا يقره .

وقرى المطهرون : أى الذين يطهرون قلوبهم عن الذنوب والخلقِ الدنى .

ويقال : لا يمسُّ خيره إلا مَنْ طهر يومَ القسمة عن الشقاوة .

ويقال : لا يفتح لهم طاعة إلا مَنْ طهر سره عن الكون<sup>(٢)</sup> .

ويقال : المطهرون سرائرهم عن غيره .

ويقال : إلا المحقرمون له القائمون بحقه .

ويقال : إلا مَنْ طهر بهاء السعادة بماء الرحمة

« تنزيل من ربِّ العالمين » : أى مُنزَّل من قبله — سبحانه .

قوله جل ذكره : « أفبها الحديث أتمُّ مُذهنون »

ومجسولون رزقكم أنكم تُكذِّبون .

أبها القرآن أتمُّ ناصحون ، وبه تُكذِّبون .

« ومجسولون رزقكم ... » : كانوا إذا أمطروا يقولون : أمطرتنا ينوه كذا .

يقول : أمجسولون بذل إيمانهم الله عليكم بالمطر الكفران به ، وتوهون أن للطر — الذى

هو نعمة من الله — من الأنواء والكواكب ؟ !

ويقال : أمجسولون حظكم ونصيبكم من القرآن التكذيب ؟ .

قوله جل ذكره : « فولا إذا بكت الحلقوم » وأتمُّ

حينئذ تنظرون • ونحن أقربُ إليه

منكم ولكن لا تبصرون •

(١) هى هنا جميع حدِّث أى الجملة التى ترتفع بالوضوء أو الغسل أو التيمم .

(٢) لتذكر أن هذا الكتاب الذى وضعه القشيري هو لهم (لغالب الإدارات) القرآنية ، ولندرك رآيه  
فى سيات هذا اللون من التفسير وأعله .

يخاطبُ أولياء الميت<sup>(١)</sup> يقول : «لما بَلَّغْتُ رَوْحَهُ المَقْصُومَ ، وَأَمَّ تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا المَرِيضِ ، رَجَعْتُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَعَمَّقْتُمْ بِهِ ؟ فَخُصِّنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالرَّؤْيَةِ وَالْقُدْرَةِ ... وَلَكِنْ لَا تَبْصُرُونَ !

ويقال : أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْبَدَنُ مِنَ الْحَقِّ عِنْدَمَا يَتِمُّ اسْتِقْلَالُهُ ذِكْرُهُ وَشَهَادَةُ عَلَيْهِ ، فَيُفْتَحِي لِإِحْسَاسِ الْبَدَنِ بِنَبِيهِ ، وَطَى حَسَبِ انْتِزَاعِ الْعِلْمِ وَالْإِحْسَاسِ بِالْأَعْيَالِ — حَقٌّ عَنْ نَفْسِهِ — يَكُونُ تَحَقُّقُ الْبَدَنِ فِي مِرَرِهِ حَتَّى لَا يَرَى غَيْرَ الْحَقِّ .

فَاتَّقِرْبُ وَالْبَدَنُ مَعْنَاهَا : أَنَّ الْبَدَنَ فِي أَوَانِ مَحْوِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْخَذْ — بَدَنٌ — عَنْ نَفْسِهِ ؛ فَإِذَا أَخَذَ عَنْهُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا الْحَقُّ . . . لِأَنَّهُ حَيْثُ لَا قُرْبَ وَلَا بُعْدَ .

قوله جل ذكره : « فَلَوْلَا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ • تَرْجِسُونَهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ » .

ليس لكم من أمر الموت شيء .

« تَرْجِسُونَهَا » أَيْ : تَرْدُّونَ الرُّوحَ إِلَى الْجَسَدِ .

« إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ » : فِي أَنَّهُ لَا يَشْأَلُ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ • فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَفْسٌ » .

الْمُقَرَّبُونَ هُمُ الَّذِينَ قَرَّبَهُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ ، فَهَلُمَّ « رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ » .

ويقال : الرُّوحُ الاستراحة ، والرَّيْحَانُ الرِّزْقُ .

وقيل : الرُّوحُ فِي الْقَبْرِ ، وَالرَّيْحَانُ : فِي الْجَنَّةِ .

(١) فِي م (الْبَيْتِ) وَفِي ص (الْمَيْتِ) وَهَذِهِ هِيَ الصَّوَابُ .

(٢) نَشِيرُ أَنَّ تَفْسِيرَ الْقُبُورِ هُنَا مُقْتَضِبٌ ، وَيَلْزِمُ التَّوَضُّعُ : تَرْتِيبُ الْآيَةِ هُوَ : فَلَوْلَا تَرْجِسُونَهَا إِذَا بَلَّغْتَ الْمَقْصُومَ إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ... أَمَّا نَحْنُ فَخُصِّنْ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ يَا أَهْلَ الْمَيْتِ بِقُدْرَتِنَا وَعِلْمِنَا أَوْ بِمَلَائِكَةِ الْمَوْتِ . أَمَّا أَنْتُمْ ... فَا لَكُمْ لَا تَرْجِسُونَ الرُّوحَ إِلَى الْبَدَنِ بِمَعْنَى بُلُوغِهِ الْمَقْصُومَ إِن لَمْ يَكُنْ تَمَّةً قَائِمَةً وَكُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي تَعْطِيلِكُمْ وَكَفَرِكُمْ بِالْمُهَيِّئِ الْمَيْتِ وَالْمُهَيِّدِ الْحَيِّ ؟ !

ويقال : لا يخرج مؤمنٌ من الدنيا حتى يوتى برِيحانٍ من رِيحان الجنة فيشمه قبل خروج روحه ، فالروح راحة عند الموت ، والريحان في الآخرة .

وقيل : كانت قراءة النبي (ص) « الروح » بضم الراء أى لم فيها حياة دائمة .

ويقال : الروحُ لقلوبهم ، والريحان لنفوسهم ، والجنة لأبدانهم .

ويقال : روحٌ في الدنيا ، وريحانٌ في الجنة ، وجنةٌ نعيم في الآخرة .

ويقال : روحٌ وريحانٌ مُعجَّلان ، وجنة نعيم مؤجلة .

ويقال : روحٌ للمابدين ، وريحان للمارفين ، وجنةٌ نعيم لعوام المؤمنين .

ويقال : روحٌ نسيم التربة ، وريحان كمال البسط ، وجنة نعيم في محل المناحة .

ويقال : روحٌ رؤية الله ، وريحانُ سماع كلامه بلا واسطة ، وجنة نعيم أن يدوم هذا ولا ينقطع .

قوله جل ذكره : « وأما إن كان من أصحاب اليمين »

فسلامٌ لك من أصحاب اليمين .

أن نبهرك بسلامة أحوالهم .

ويقال : سترى فيهم ما تحب من السلامة .

ويقال : أمانٌ لك في بابهم ؛ فلهم السلامة . ولا تُشغلُ قلبك بهم

ويقال : فسلامٌ لك — أيها الإنسان — إنك من أصحاب اليمين ، أو أيها الإنسان الذي من أصحاب اليمين .

قوله جل ذكره : « وأما إن كان من المكذبين

الضالِّين » فنزلٌ من حميم

وتصليةٌ جسيم .

إن كان من المكذبين لله ، الضالِّين عن دين الله فله إظامةٌ في الجمع .

قوله جل ذكره : « إِنَّ هَذَا لَوَاقِعٌ لِّلْيَقِينِ » فَسَبِّحْ بِاسْمِ

رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

هذا هو الحق اليقين الذي لا محالة حاصلٌ .

« فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ » أى قَدَّسَ اللَّهُ عَمَّا لَا يَجُوزُ فِي وَصْفِهِ .

ويقال : صَلَّ اللَّهُ . ويقال : اشكر الله على عصمة أُمَّتِكَ مِنَ الضَّلَالِ ، وعلى توفيقهم

فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِكَ .

## سُورَةُ الْحَدِيدِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

سَمَاعُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ شَرَابٌ يَسْقِي بِهِ الْحَقُّ — سُبْحَانَهُ وَبَعَالَى — قُلُوبَ أَحِبَّائِهِ ،  
فَإِذَا شَرِبُوا طَرِبُوا ، وَإِذَا طَرِبُوا انْبَسَطُوا<sup>(١)</sup> ، ثُمَّ لَشُهودَ حَقِّهِ<sup>(٢)</sup> فَرَضُوا ، وَبَسَمِ قُرْبِهِ  
اسْتَأْنَسُوا<sup>(٣)</sup> ، وَعِنْدَ الْإِحْسَاسِ بِهِمْ غَابُوا . . . فَقَوْلُهُمْ تُسْتَفْرَقُ<sup>(٤)</sup> فِي لُطْفِهِ ، وَقُلُوبُهُمْ تُسْتَهْلِكُ  
فِي كَشْفِهِ .

قوله جل ذكره : « سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

التَّسْبِيحُ التَّضَبُّبُ والتَّنْزِيهِ ، وَيَكُونُ بِمَعْنَى سَهَابَةِ الْأَسْرَارِ فِي بَحَارِ الْإِجْلَالِ ، فَيُظْفَرُونَ  
بِجَوَاهِرِ التَّوْحِيدِ وَيَنْظُمُونَ فِي عَقُودِ الْإِيمَانِ ، وَيُرَضَّعُونَ فِي أَطْوَاقِ الْوَصْلَةِ :

وقوله « مَا » فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمُرَادُ بِهِ « مِنْ » فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَسْجُدُونَ  
لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا ؛ طَوْعًا تَسْبِيحَ طَلْعَةِ عِبَادَةٍ ، وَكَرْهًا تَسْبِيحَ عِلَامَةِ دِلَالَةٍ .

وَتَحْتَمِلُ « مَا » عَلَى ظَاهِرِهَا فَيَكُونُ الْمَعْنَى : مَا مِنْ مَخْلُوقٍ مِنْ عَيْنٍ أَوْ أَثَرٍ إِلَّا يَدُلُّ عَلَى  
الصَّانِعِ ، وَعَلَى إثْبَاتِ جَلَالِهِ ، وَعَلَى اسْتِحْقَاقِهِ لِمَوْتِ كِبَرِيَّائِهِ .

(١) انْبَسَطُوا أَيُّ : ذَاتُوا حَالِ الْبَسْطِ . وَيَصِلُ الْمَارِفُ إِلَى التَّبْيِضِ وَالْبَسْطِ بِهِ حَالُ الْإِرْجَاءِ وَالْخَوْفِ . وَالْمَبْسُوطُ  
قَدْ يَكُونُ فِيهِ بَسْطٌ يَسَّحُ الْخَلْقَ فَلَا يَسْتَوْحِشُ مِنْ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ ، وَيَكُونُ مَبْسُوطًا لَا يُوَثِّرُ فِيهِ شَيْءٌ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ  
(الرسالة ص ٣٥) .

(٢) شُهودَ حَقِّ اللَّهِ لَا يَمُوتُ إِلَّا بِهِ اعْتِقَادَ حَقِّقِ الْمَيَّةِ .

(٣) مِنَ الْأَنْسِ . سَمِلَ الْجَنِيَّةَ عَنْهَ فَقَالَ : هُوَ ارْتِفَاعُ الْحَشَةِ مَعَ وجودِ الْحَيَّةِ . وَسَمِلَ ذُو التَّوْنِ عَنْهَ فَقَالَ :  
هُوَ انْبَسَاطُ الْمَهَبِ إِلَى الْمَهْرُوبِ .

وَسَمِلَ اللَّيْلَ عَنْهَ فَقَالَ : هُوَ شَيْءٌ مِمَّا (التَّصَرُّفُ لِلْكَلاَهَانِي ص ١٢٦، ١٢٧) .

(٤) مُسْتَهْلِكًا مَكْلَمًا مَبْنِيًّا لِلسَّجْهُولِ لِأَنَّ الْمَقْرُوعَ أَنْ شَمْسَ الْحَقِيقَةِ يَسْتَفْرَقُ نُورَهَا بِنُجُومِ الْقَمَلِ .



ويقال : يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، كُلُّ مَا قَفَّ عَلَى الْبَابِ بِشَاهِدِ الطَّلَبِ ...  
ولكنه — سبحانه عز وجل (١).

ويقال : مَا تَقَلَّبَ أَحَدٌ مِنْ جَانِدٍ أَوْ سَاجِدٍ إِلَّا فِي قَبْضَةِ الْعَزِزِ الْوَاحِدِ ، فَمَا يُصَرِّفُهُمْ إِلَّا مَنْ خَلَقَهُمْ ؛ فَمِنْ مُطْبِعِ أَلْبَسَهُ نَطَاقَ وَقَاةٍ — وَذَلِكَ فَضْلُهُ ، وَمِنْ عَاصِرِ رَبَطِهِ عَثَقَةُ الْخِذْلَانِ — وَذَلِكَ عَزْلُهُ .

« وَهُوَ الْعَزِزُّ الْحَكِيمُ » : الْعَزِزُّ : الْمُرْتَضَى لِمَنْ طَلَبَ الْوَصُولَ ، بَلِ الْعَزِزُّ : الْمُتَقَدِّسُ عَنْ كُلِّ وَصُولٍ . . . فَمَا وَصَلَ مَنْ وَصَلَ إِلَّا حَفَظَهُ وَنَصَبَهُ وَصَفَتُهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ .

قوله جل ذكره : « لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي

وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

الْمُلْكُ مَبَالِغَةٌ مِنَ الْمَلِكِ ، وَهُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى الْإِبْدَاعِ ، وَلَا مَالِكٌ إِلَّا اللَّهُ . وَإِذَا قِيلَ لِفِيهِ : مَالِكٌ فَلَيْ سَبِيلُ الْجَزَاءِ ؛ فَالْأَحْكَامُ الْمُتَعَلِّقَةُ فِي الشَّرِيعَةِ عَلَى رَمْلِكِ النَّاسِ صَحِيحَةٌ فِي الشَّرْعِ ، وَلَكِنْ لَفْظُ الْمَلِكِ فِيهَا تَوْشُّعٌ كَمَا أَنَّ لَفْظَ التَّيْمِ فِي اسْتِمَالِ التُّرَابِ — عِنْدَ عِلْمِ الْمَاءِ — فِي السُّفْرِ جَزَاءٌ ، فَالسَّائِلُ الشَّرِيعَةَ فِي التَّيْمِ صَحِيحَةٌ ، وَلَكِنْ لَفْظُ التَّيْمِ فِي ذَلِكَ جَزَاءٌ .

« يُحْيِي وَيُمِيتُ » : يُحْيِي النُّفُوسَ وَيُمِيتُهَا . وَيُحْيِي الْقُلُوبَ بِإِقْبَالِهِ عَلَيْهَا ، وَيُمِيتُهَا بِإِعْرَاضِهِ عَنْهَا .  
ويقال : يُحْيِيهَا بِنُظَرِهِ وَتَفَضُّلِهِ ، وَيُمِيتُهَا بِقَهْرِهِ وَتَعَزُّزِهِ .

قوله جل ذكره : « هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ »

وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

« الْأَوَّلُ » : لِمُسْتَحَقَاتِهِ صِفَةُ الْقِدَمِ ، وَ « الْآخِرُ » لِمُسْتَحَقَاتِهِ نَفْتُ الْمَدَمِ .

وَ « الظَّاهِرُ » بِاللُّوِّ وَالرُّضَةِ ، وَ « الْبَاطِنُ » : بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ .

ويقال : « الْأَوَّلُ » فَلَا اِسْتِخْتِاجَ لَوْجُودِهِ وَ « الْآخِرُ » فَلَا اِسْتِغْلَاقَ لِثَبُوتِهِ .

« الظَّاهِرُ » فَلَا خِفَاءَ فِي جَلَالِ عِزِّهِ ، « الْبَاطِنُ » فَلَا سَبِيلَ إِلَى إِدْرَاكِ حَقِّهِ .

ويقال « الْأَوَّلُ » بِإِلْهَادِهِ ، وَ « الْآخِرُ » بِإِلْتِهَادِهِ ، وَ « الظَّاهِرُ » بِإِلْخَافِهِ ، وَ « الْبَاطِنُ »

بِنَعْتِ الْعِلَاقَةِ وَعِزِّ الْكِبَرِيَاءِ .

---

(١) أَيْ حَلَّتِ الْعَمْدَةُ أَنْ يَسْتَشْرِفَ مِنْ ذَاتِهَا أَحَدٌ .. فَكُلُّ مَا قَفَّ بِالْبَابِ عَلَى الْبَسَاطَةِ .

وقال « الأول » بالناية ، و « الآخر » بالمداية ، و « الظاهر » بالرعاية ، و « الباطن » بالولاية .

ويقال : « الأول » بالخلق ، و « الآخر » بالرزق ، و « الظاهر » بالإحياء ، و « الباطن » بالإماتة والإفناء .

قال تعالى : « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم » (١) .

ويقال : « الأول » لا زمان ، و « الآخر » لا بأوان ، و « الظاهر » بلا اقتراب ، و « الباطن » بلا احتجاب .

ويقال : « الأول » بالوصلة ، و « الآخر » بالقطعة ، و « الظاهر » بالألفة ، و « الباطن » بالبعد (٢) عن مشابهة الجملة (٣) .

ويقال : « الأول » بالتعريف ، و « الآخر » بالتكليف ، و « الظاهر » بالتشريف ، و « الباطن » بالتعنيف (٤) .

ويقال : « الأول » بالإعلام ، و « الآخر » بالإلزام ، و « الظاهر » بالإيضاح ، و « الباطن » بالإكرام .

ويقال : « الأول » بأن اصطفاك « والآخر » بأن هذالك ، و « الظاهر » بأن دعاك ، و « الباطن » بأن كفالك .

ويقال (٥) : « من كان الغالب عليه اسمه « الأول » كانت فكرته في حديث ساقته : بماذا سمّاه مولاه ؟ وما الذي أجرى له في سابق حكمه ؟ أبعدته أم بشقائه ؟ .

---

(١) آية ٤٠ سورة الروم .

(٢) سقط - (بالبعد) في النسخة م ووجودة في ص

(٣) المقصود (بالجملة) هنا جملة الخلوقات .

(٤) هكذا في م وهي في ص (بالتعريف) وهذه وإن كانت - صحيحة إلا أن السياق الموسيقي الذي جرى عليه المصنف يرجح (بالتعنيف) على معنى أنه علم ضعف عياده فلم يكلفهم فوق طاقتهم .

(٥) هذه الفقرة عامة في بيان أن الصوفية حيناً يتصانون لدراسة الأسماء والصفات يمتدنون بالألاداب ؛ والسرور وكيف يتخلّق الصوفي بأخلاق الله ويتأدّب بأسمائه أنظر مقدمة كتاب ؛ التعبير في التذكير بتحقيق بديوني .

وَمَنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ اسْمُهُ «الآخر» كانت فكرته في : بماذا ينعم له حاله ؟ وإلّا ،  
يصير مآله ؟ أعلى التوحيد يُخْرِجُ من ديناه أو — والعياذُ بالله — في النارِ غداً — مثواه ؟  
وَمَنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ اسْمُهُ «الظاهر» فاشتغله بشكر ما يمرى في الحال من توفيق  
الإحسان وتحقيق الإيمان وجعل السكينة وحسن الرعاية .

وَمَنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى قَلْبِهِ اسْمُهُ «الباطن» كانت فكرته في استبهام أمره عليه فيتعزّر  
ولا يدري . . أَفْضَلُ ما يامله به ربه أم مَكْرٌ ما يستدرجه به ربه ؟

وقال : «الأول» علم ما يفعله عباده ولم يمنعه علمه من تعريفهم ، «والآخر» رأى  
ما عَمِلُوا ولم يمنعه ذلك من غفرانهم «والظاهر» ليس يَخْفَى عليه شيء من شأنهم ، وليس يَدْعُ  
شيئاً من إحسانهم «والباطن» يعلم ما ليس لهم به عِلْمٌ من خسرانهم ونقصانهم فيدفع<sup>(١)</sup> عنهم  
ضوءَ حَسَبِهِمْ وأحزانهم .

قوله جل ذكره : «مُرْ الْقَدْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» .

مضى الكلام في ذلك .

«يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا» .

أى ما يدخل فيها من القطر ، والكنوز ، والبذور ، والأموات الذين يَدْفَنُونَ  
فيها ، «وما يخرج منها» من النبات وانفجار الميرون وما يُسْتَخْرَجُ من المادن .

«وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ» .

من المطر والأرزاق . أو ما يأتى به للملائكة من القضاء والوحى .

«وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا» .

أى وما يصعد إليها من الملائكة ، وطاعات العباد ، ودعوات الخلق ، وصحف المكلفين ،  
وأرواح المؤمنين .

(١) هنا إشارة لعمد دفع أو المنع إلى لا يفطن إليها الناس .

« وهو معكم أينما كنتم والله  
بما تعملون بصير » .

« وهو معكم » بالعلم والقدرة .

ويقال (١) : « يعلم ما يليج في الأرض » إذا دُفِنَ القَبْدُ فَاَللهُ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ مَا أَلَدَى كَانَ  
فِي قَلْبِهِ مِنْ إِخْلَاصٍ فِي تَوْحِيدِهِ ، وَوُجُودِ أَحْزَانِهِ خَسْرَانِهِ ، وَشَكْلِهِ وَجُودِهِ ، وَأَوْصَافِهِ  
الْمَحْمُودَةِ وَالْمَنْمُودَةِ . . وَنَحْوَ ذَلِكَ مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ .

« وما ينزل من السماء » على قلوب أوليائه من الألفاظ والكشوفات وفنون الأحوال  
العزيزة .

« وما يرج فيها » من أغصان الأولياء إذا تصاعدت ، وحسراتهم إذا علت .

قوله جل ذكره : « يُورِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُورِجُ  
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ » .

مضى معناه .

قوله جل ذكره : « آمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقِذُوا  
جَمْعَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا  
مِنْكُمْ وَأَنْقِذُوا لَهُمْ أَجْرَ كَبِيرٍ » .

صَدَّقُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَصَدَّقُوا « مَا جَمَعَكُمْ مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » بِتَمْلِكِكُمْ ذَلِكَ وَتَصْيِيرِهِ  
إِلَيْكُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَتَصَدَّقُوا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرُوا بِهِ لَهُمْ ثَوَابٌ عَظِيمٌ ؛ فَإِنَّ مَا نَعُو بِهِ  
الْأَيْدِي مَوْضِعٌ لِلزَّوَالِ ، فَالْصَّغِيرُ مَنْ قَدَّمَ فِي دُنْيَاهُ مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ عِبَارَةً حَالِهِ ، وَالشَّقِيُّ  
مَنْ سَارَ فِيهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَيَالُ مَا لَهُ .

قوله جل ذكره : « وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولِ  
يَدْعُوكُمْ لَتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ  
مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ » .

(١) هذه الفقرة استلزاماً لأئمة القشيري متأخراً عن مومنه الأصل قليلاً .

أى شيء لكم في تَرْكِكُمْ الإيمان بالله وبرسوله ، وما أتاكم به من الخير والنشر ،  
وقد أراح العلة بأن الآخ لكم الحجة ، وقد أخذ ميثاقكم وقت الذر ، وأوجب عليكم  
ذلك بجمك الشرع .

قوله جل ذكره : « هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ

بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَعَوِّفٌ رَّحِيمٌ » .

ليُخْرِجَكُم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ظلمات الشك إلى نور اليقين .

وكذلك يُرِيهِم في أنفسهم من الآيات بكشوفات السر وما يحصل به التعريف مما يجدون

فيه النفع والخير ؛ فيخرجهم من ظلمات التدبير<sup>(١)</sup> إلى سعة فضاء التضيؤ ، وملاحظة فنون

جريان المقادير .

وكذلك إذا أرادت النفس الجنوح إلى الرخص والأخذ بالتخفيف<sup>(٢)</sup> وما تكون عليه

المطالبة بالأشقى — فلن يادر إلى ما تدعوه الحقيقة إليه وجد في قلبه من النور ما يعلم به غلظة

مواجه النفس<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « وما لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

ما في أيديكم ميراثه لله ، وعن قريب سيُنْقَلُ إلى غيركم ولا تبقون بتناول أحاسنكم . وهو

بهذا يمنهم على الصدقة والبدار إلى الطاعة وترك الإخلاد إلى الأمل . ثم قال :

« لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَهَقَ مِنْ

قَبْلِ النِّفَاحِ وَقَاتَلَ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً

(١) أى ظلمات التدبير الإنسان ، والتمويل على النفس ، فاعتماد الإنسان على تدبيره مجلبة لفقائه . . . وأن العليل

أن يكون ذا تدبير ؟

(٢) هكذا في م وهي الصواب أما (التخفيف) أى في من فهي خطأ في النسخ ؛ لأن الأسير عاص جنوح إلى

(التخفيف) كما نعلم

(٣) يتفق هذا مع قول الرسول الكريم «استطت قلبك ولو أفتاك المفتونه» .

من الذين أعتقوا من بعدُ وقَاتلوا  
وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ وَاللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

لا يستوى منكم من أَتَى قبل فتح مكة والحديبية والذين أعتقوا من بعد ذلك . بل أولئك  
أعظم ثواباً وأعلى درجةً من هؤلاء ؛ لأنَّ حاجة الناس كانت أكثر إلى ذلك وكان ذلك  
أشدَّ على أصحابه <sup>(١)</sup> .

ثم قال : « وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسَيْنَ » إلَّا أنَّ فضيلة السَّيِّئِ لهم ، ولهذا قالوا :  
السَّيِّئَ السَّيِّئَ قَوْلًا وَفِعْلًا حَذَّرَ النَّفْسَ حَسْرَةَ الْمُسْبِقِ

قوله جل ذكره : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا  
حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » .

للمراد بالقرض الصدقة ، وإنما ذكرها سبحانه كذلك تطبيعاً لقلوبهم ، فكان للتصدق  
وهو يقترض شيئاً كالذي يقطع شيئاً من ماله ليدفعه إلى الْمُتَقَرِّضِ .

ويقال « يقرض » أى يفعل فضلاً حسناً ، وأراد بالقرض الحسن ها هنا ما يكون من وجه  
حلالي ثم من طيب قلب ، وصاحبه مخلص فيه ، بلا ريب يشوبه ، وبلا من على الفقير ،  
ولا يُسَكِّدُهُ تطويل الوعد ، ولا ينتظر عليه كثرة الأعراض .

ويقال : أن قرضه وتعلقه عن قلبك حُبُّ الفارين <sup>(٢)</sup> ، ففي الخبر : « خير الصدقة ما كان  
عن ظهر غنى » <sup>(٣)</sup> وَمَنْ لَمْ يَتَحَرَّرْ مِنْ شَيْءٍ غَرَّجَهُ عَنْهُ تَكَلُّفٌ <sup>(٤)</sup> .

(١) لأن الإسلام لم يكن بعد . قد مر واستمكن وانتشر في الأرجاء .

(٢) أى دون أن يكون قصدك حل ما تملك عوضاً أو عرقاً سواء في الدنيا أو في الآخرة إذ يكفي أن تعلم  
أى طرف لك أن تُقْرِضَ اللَّهَ !!

(٣) حدث الليث عن عبد الرحمن بن عذالة بن مسافر عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله  
(ص) قال : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » وأيضاً بن تمول « البخاري » ص ١٩١ ( كتاب النفقات ) .

(٤) هكذا في ص وهي في م وتكلف . كما أثبتنا لأن السياق يقتضيه ذلك . وتوجيه بعد ( تكلف ) عبارة منهية  
في الخط والمعنى ، تشبه أن تكون : ( وهو حل من يصل إليه ربي به ) .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى

نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ  
الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

وهو نورٌ يُشعِلُ للمؤمنين وللمؤمنات بقدر أعمالهم الصالحة ، ويكون ذلك النور معالرج  
شعاع يمشون فيها والنورُ يسمى بين أيديهم ، ويحيط بجميع جهاتهم .  
ويقال : « وبِأَيْمَانِهِمْ » كُتِبَهُمْ .

« بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ » أى بشارتكم اليوم — من الله جنات . وكما أن لم في العرصة  
هذا النور فالיום لم في قلوبهم وبواطنهم نورٌ يمشون فيه ، ويهتدون به في جميع أحوالهم ، قال  
صلى الله عليه وسلم : « المؤمن ينظر بنور الله » وقال تعالى : « فهو على نورٍ من ربه <sup>(١)</sup> » .  
وربما ينبسط ذلك النورُ على مَنْ يَقْرُبُ مِنْهُمْ . وربما يقع من ذلك على القلوب قهراً —  
ولأوليائه — لاحتلا — هذه الخصوصية .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَاقِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ

آمَنُوا انظُرُوا هَيْتَ مِنْ نُورِكُمْ » .

انظرونا فلنلحق بكم لنقتبس من نوركم . وذلك لأن المؤمنين والمنافقين يُعْلِقُونَ كُتُبَهُمْ  
وهم في النور ، فإذا مرُّوا . . . انطلق النور أمام المناققين وسبق المؤمنين ، فيقول المنافقون  
للمؤمنين : انظرونا حتى هتيس من نوركم . فيقول المؤمنون :

« قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَانظُرُوا نَوْرًا »

أى إلى الدنيا وأخلصوا ! — تحريفاً لهم أنهم كانوا منافقين في الدنيا .

ويقال : ارْجِعُوا إِلَى حُكْمِ الْأَوَّلِ فَاطْلُبُوا <sup>(٢)</sup> هذا من التسمية — وهذا على جهة ضرب  
المثل والاستبعاد .

(١) آية ٢٢ سورة الزمر .

(٢) مكدأى ص رمى فى م (تأملوا) وقد آتينا الأول لأنها آكد فى الاستبعاد - وهو المقصود .

« فَتُربِيتُهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ  
وظَاهَرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ » .

« بسور : وهو جَبَلُ أصحاب الأعراف ، يستر بينهم وبين الناقين ، فالوجه الذى على  
المؤمن فيه الرحمة وفى الوجه الآخر العذاب .

قوله جل ذكره : « ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا : بلى ،  
ولكنكم فتنتم أنفسكم ... » .  
ألم نكن معكم فى الدنيا فى أحكام الإيمان فى الناكحة والمعاشره ؟  
قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم ..

« وتربيتهم ، وارتبتم ، وغرّيتكم الأمانى حتى جاء أمر الله  
وغرّيتكم بالله الفُرُورُ » .  
تربيتهم من الإخلاص ، وشككتهم ، وغرّيتكم الشيطان ، وركبتهم إلى الدنيا .  
قوله جل ذكره : « فاليومَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْأَكُمُ النَّارُ مِنْ مَوَلاكُمْ  
وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ » .

النارُ ما أَوْأَكُمُ ومصيرُكم ومُتَقَبِّلُكُمْ .

وهى « مولاكم » أى هى أولئى بكم ، وبشِّرِ المصير !

ويقال : خافَةُ الضمائر والسرائر لا تنكتم بموافقة الظاهر<sup>(١)</sup> ، والأسرار لا تنكتم عند الاختبار

قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ  
قُلُوبُهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ  
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

---

(١) السياق حديث عن المنافقين وعن الكفار .. وأراد التفسيرى أن ينقل هذا السياق إلى الجور الصورى فوجه  
تعبيره لأرباب : الرباء والدعوى ، أولئك الذين يظنون أنهم إن تصاهروا بالقيام بموافقة بشرية وموافقة القوم  
فإن الأسرّة سريماً ما تكشف السريرة - على حد تعبيره - فى موضع مماثل .



مِنْ قَبْلُ فَتَلَّ عَلَىٰ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ قَسَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ .

أَلَمْ يَحْزَنْ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَوَاضَعَ قُلُوبُهُمْ وَتَلِينَ لَدِكُورِ اللَّهِ وَلِلْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَبَرِّ ؟  
وَأَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ؟ وَأَرَادَ بِهِمُ الْيَهُودَ ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْيَهُودِ  
فَاسِقُونَ كَافِرُونَ .

وَأَرَادَ بِطُولِ الْأَمَدِ الْفَتْرَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ مُوسَى وَنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي الْخَبَرِ :  
أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابَتْهُمْ مَلَأَةٌ قَالُوا : لَوْ حَدَّثْتَنَا .

فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ .. » فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَالُوا :

لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا !

فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « نَحْنُ نَحْصِي عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ... » فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَالُوا : لَوْ ذَكَّرْتَنَا  
وَوَعَّظْتَنَا !

فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ السُّورَةَ .

وَفِي هَذِهِ آيَةٍ مَا يَشَبْهُ الْاسْتِطْعَاءَ .

وَإِنْ قِسْوَ الْقَلْبِ تَحْمِلُ مِنَ اتِّبَاعِ الشَّهْوَةِ ، وَالشَّهْوَةِ وَالصَّفْوَةِ لَا تَجْتَمِعَانِ ! فَلَمَّا حَصَلَتْ  
الشَّهْوَةُ رَحَلَتِ الصَّفْوَةُ . وَمَوْجِبُ الْقِسْوَةِ هُوَ انْحِرَافُ الْقَلْبِ عَنْ مَرَاقِبَةِ الرَّبِّ . وَقَالَ : مُوجِبُ  
الْقِسْوَةِ أَوَّلُهُ خَطَرَةٌ فَإِنْ لَمْ تُتَذَكَّرْ صَارَتْ فِكْرَةٌ وَإِنْ لَمْ تُتَذَكَّرْ صَارَتْ مَرِجَةٌ ، فَإِنْ لَمْ تُتَذَكَّرْ  
جَرَتْ الْخَفَالَةُ ، فَإِنْ لَمْ تُتَذَكَّرْ بِالثَّلَاثِ صَارَتْ قِسْوَةً وَبَعْدَ ذَلِكَ تَصِيرُ طَبْعًا وَرِيثًا<sup>(١)</sup>

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخْصِي الْأَرْضَ بِدُمُوتِهَا

قَدِينَتَا لَكُمْ الْآيَاتِ لِيَسْلَمَ تَقُولُونَ » .

يُخْصِي الْأَرْضَ بِدُمُوتِهَا بِإِنْزَالِ الْمَطَرِ عَلَيْهَا وَإِخْرَاجِ النَّبْتِ مِنْهَا .

---

(١) رَوَاهُ الْكُتُبُ ؛ وَهِيَ أَيُّ تَطْلُعٍ وَتَدْنُسُ ، وَرَأَتْ لِقَاضِي أَيُّ حَبِثَ وَغَلَّتْ . (الرَّاسِيطُ) .

وَيُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ — بعد إعراض الحق عنها — بحسن إقباله عليها<sup>(١)</sup> .  
 قوله جل ذكره : « إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالصَّدَقَاتِ وَأَقْرَضُوا  
 اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفْ لَهُمْ وَلَهُمْ  
 أَجْرٌ كَرِيمٌ » .

أى للتصدقين والتصدقات .

« وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » : يعنى فى التواضع .  
 « يُضَاعَفْ لَهُمْ » فى الحسنات ، الحسناتُ بِشَرِّ أَمْتَالِهَا .. إلى ما شاء الله  
 « وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ » : ثوابٌ كبيرٌ حَسَنٌ . والثوابُ الكَرِيمُ أَنَّهُ لَا يَضِيقُ بِأَفْصَى الْأَجْرِ  
 عَلَى الطَّاعَةِ — وَإِنْ قَلَّتْ .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ  
 الصَّدِّيقُونَ وَالشَّهَادَةُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ  
 أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ » .

الصَّدِّيقُونَ : مبالغة فى الصدق ، والشهداء : الذين استشهدوا فى سبيل الله ، هَلُمُّوا مُنُونٌ بِمَنْزِلَةِ  
 الصَّدِّيقِينَ وَالشَّهَادَةِ — لَهُمْ أَجْرُهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَنُورُهُمْ فِي الْقِيَامَةِ .

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا  
 أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ » .

وَالصَّدِّيقِينَ مَنْ اسْتَوَى ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ .

ويقال : هو الذى يعمل الأمر على الأشق ، ولا يَنْزِلُ إِلَى الرُّخْصَةِ ، ولا يَجْحَدُ  
 لِلْأَوَّلِيَّاتِ .

وَالشَّهَادَةُ : الَّذِينَ يَشْهَدُونَ بِتَرْجِيهِمْ مَوَاطِنَ الْوَصْلَةِ ، وَيَتَكْفَوْنَ بِأَسْرَارِهِمْ فِي أَوْطَانِ الْقُرْبَةِ ،  
 « وَنُورُهُمْ » : مَا كَعَلَ الْحَقُّ بِهِمْ بِصَائِرِهِمْ مِنْ أَنْوَارِ التَّوْحِيدِ .

(١) كَانَ الْمَرْدُودُ أَنْ تَكُونَ الصَّيَارَةُ حَكَمًا :

(وَيُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِدَعْوَاهُ عَنْهَا) .

فَانْتِصَالُ ( الْحَقِّ ) فِي الْإِخْلَاقَةِ مَسْأَلَةٌ تَهْمُ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ الْمُتَحَقِّقِينَ الْفَائِزِينَ مِنَ الْخَلْقِ الْبَاطِنِ بِالْحَقِّ .

قوله جل ذكره : « اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو  
 وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر  
 في الأموال والأولاد » .

الحياة الدنيا مُرْسَمَةٌ للزوال ، غيرُ لابِثَةٍ ولا مأكنة ، وهى فى الحالٍ شاغلةٌ من الله ،  
 مُعَلِّمةٌ <sup>(١)</sup> وغيرُ مُثَبِّةٌ ، وتجرى على غيرِ سنن الاستقامة كجريان لَيب <sup>(٢)</sup> الصبيان ، فهى تُلهى  
 عن الصوابِ واستقبالِ الحقِّ ، وهى تُلغى وتُكثِّرُ فى الأموال والأولاد .

« كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ  
 ثُمَّ يَهْبِجُ قَرَأَهُ مُعْضِرًا ثُمَّ يَكُونُ  
 حُطْلَامًا » .

الكفار : الزَّوَّاج .

هو فى غايةِ الحُسْنِ ثم يهْبِجُ قَرَأَهُ يأخذ فى الجفاف ، ثم ينشئ إلى أن يحطم ويكسر .  
 « وفى الآخرة عذابٌ شديدٌ » .

لأهله من الكفار .

« ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ » .

لأهله من المؤمنين .

« وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الرُّؤسِ » .

الدنيا حقيرةٌ — وأحقُّرُ منها قَدْرًا طالِبُها وأقلُّ منه خَطَرًا المزاحم فيها ، فهاهى إلّا جيفةٌ ؛  
 وطالِبُ الجيفةِ ليس له خطرٌ . وأخسُّ أهل الدنيا مَنْ يَمْلِكُ بها .  
 وهذه الدنيا النعمومة هى التى تَشغُلُ العبدَ عن الآخرة !

(١) وما كانت - (معلمة) فى الأصل ؛ فقد لبس الدنيا ذات قيمة ولكنها فى الحقيقة عديمة القيمة .

(٢) فى النسختين (لعب) الأطفال ، ومع ذلك فقد آثرنا أن نثبت هنا (لعب) بالرغم من تحسنا لاستعمال  
 (اللعب) فى موضع سبق ؛ ذلك لأننا نرى إضافة اللب إلى الصبيان لا يزيد المعنى تأكيداً ، فاللعب ظاهرة فيسيولوجية  
 تجرى على غير نظام — وهذا هو المطلوب — هته الكبر والصغار على حد سواء ، بينما إضافة اللب إلى الصبيان تعطى  
 المعنى المطلوب .

قوله جل ذكره : « سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ » .

أى سارعوا إلى تحملٍ يوجب لكم مغفرةً من ربكم ، وذلك العمل هو التوبة .  
 « وجنة عرضها ... » ذكر عرضها ولم يذكر طولها ؛ فالطول على ما يوافيه العرضُ .  
 « أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ » : وفي هذا دليلٌ على أنَّ الجنة مخلوقة<sup>(١)</sup> .  
 « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

وفي ذلك ردٌّ على من يقول : « إن الجنة مُسْتَحَقَّةٌ على الطاعات ، ويجب على الله إيصالُ الصِدْرِ إليها »<sup>(٢)</sup> ... لأن الفضل لا يكون واجباً .

ويقال : لما سمعت أسرار المؤمنين<sup>(٣)</sup> هذا الخطاب<sup>(٤)</sup> ابتدأت الأرواحُ مُقْتَضِيَةَ السَّارِعَةِ من الجوارح ، وصارت الجوارحُ مُصِيبَةً لِلْمُطَالَبَةِ ، مُتَبَشِّرَةً بِرِغَايَةِ حَقِّقِ اللَّهِ ؛ لأنها علمت أن هذا الاستدعاء من جانب الحقِّ سببُها .

قوله جل ذكره : « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » .

المصيبة حَصْلَةٌ<sup>(٥)</sup> تقع وتحصل . فيقول تعالى : لا يحصل في الأرض ولا في أنفسكم شيءٌ

---

(١) هكذا أيضاً يرى ابن القيم في (إنبياح الجيوش الإسلامية ص ٥٢) .  
 والأشاعر . والسلف يرون ذلك ويرون أن الجنة والدار مخلوقتان الآن وأنهما بلقيتان .  
 (٢) هذا رأى المعتزلة الذين اعتبروا ذلك من مقتضيات العدل الإلهي .  
 (٣) هكذا في م وهي في ص (الموسمين) .  
 (٤) هكذا في ص وهي في م (الخطاة) وواضح فيها خطأ النسخ لأن الأمر متعلق بالفعل (سابقوا ...) .  
 (٥) بمعنى حادث يحصل ، وهي في (غصلة) بالفتح والمصواب حصة . (انظر ما يقوله التفسير في سورة التناجين عند وما أصاب من مصيبة على معنى : (غسل الم غصلا وغصلة) أى وقع بلزق الهدف أو أصابه .

إلا وهو مُنْبِتٌ في القروح المحفوظ على الوجه الذي سبق به العلم ، وحق فيه الحكم ؛ قبل أن تخلق ذلك أجهتاه في القروح المحفوظ .

فكلُّ ما حصل في الأرض من خصيب أو جدير ، من سمة أو ضيق ، من فتنة أو استقامة وما حصل في النفوس من حزن أو سرور ، من حياة أو موت كلُّ ذلك مُنْبِتٌ في القروح المحفوظ قبل وقوعه بزمان طويل .

وفي قوله : « من قبل أن نبرأها » دليلٌ على أن أكساب المباد مخلوقة لله سبحانه . وللمبدء في العلم بأن ما يصيبه : من بطل وراحة وغير ذلك من واردات القلوب من الله — أشدُّ السرور وأتمُّ الأنس ؛ حيث علم أنه أفرد بذلك بظهور غيب منه ، بل وهو في كنز المذم ، ولهذا قالوا :

ستيا لمهلك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصباة مهيأ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » .

عَدَمُ الفرح بما آتاهم هو من صفات المتحورين من رِقِّ النفس ، فقيمة الرجال تبين بتغيرهم — فمن لم يتغير بما يرد عليه — بما لا يريد — من جفاء أو مكروه أو محنة فهو كامل ، ومن لم يتغير بالمسار كما لا يتغير بالضار ، ولا يسره الوجود كما لا يحزنه العدم — فهو سيّد وقه<sup>(٢)</sup> .

ويقال : إنما أردت أن تعرف الرجل فاعلمه عند اللوارد ؛ فالتغير علامة بقاء النفس بأى وجه كان :

« والله لا يجب لكلُّ مُتَحَالٍ ظهور » .

(١) وهكذا نرى أن الجبرية عند التصوفية ترتبط بالهبة القديمة ، فالفقه الباري . الخالق للبدن من العدم .. لن يريد به إلا الخير .. وحتى لو أصاب المبدء تلف .. فحسباً به فهو تلف في سبيل المهبوب .  
(٢) التغير من علامات العلويين ، والقياس في المسار والمضار — عند تقلب الأحوال حل المبادف — من علامات التمكن . فسادات الوقت هم أهل التمكن .

فالاختيال من علامات بقاء النفس ورؤيتها<sup>(١)</sup>، والقنغر<sup>(٢)</sup> (نأج<sup>(٣)</sup>) عن رؤية ما به يفتخر .  
 قوله جل ذكره : « الَّذِينَ يَخْضِبُونَ وَيُمْرُونَ النَّاسَ  
 بِالْبَخْلِ ، وَمَنْ يَقُولُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ  
 النَّفِيُّ الْخَبِيرُ » .

يُخْلَوُا بِكَتَّانٍ صَفَةِ نَبِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَتَّبَعُوا أَتْبَاعَهُمْ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ لِمَا خَانُوا  
 مِنْ كِسَادِ سَوْقِهِمْ وَبِطْلَانِ رِيَاسَتِهِمْ .

« وَمَنْ يَقُولُ . . . عَنِ الْإِيمَانِ ، أَوْ إِعْطَاءِ الصَّدَقَةِ » فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّفِيُّ الْخَبِيرُ .  
 والبخلُ — على لسان العلم — مَنَعُ الْوَاجِبِ<sup>(٤)</sup> ، فأما على بيان هذه الطاقة<sup>(٥)</sup> فقد قالوا :  
 البخلُ رؤية قَدَرٍ لِلْأَشْيَاءِ ، والبخلُ الذي يُعْطَى عِنْدَ السُّؤَالِ<sup>(٦)</sup> ، وقيل : مَنْ كَتَبَ  
 عَلَى خَاتَمِهِ اسْمَهُ فَهُوَ بَخِيلٌ<sup>(٧)</sup> .

قوله جل ذكره : « قَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا  
 مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ  
 النَّاسُ بِالْقِسْطِ » .

أَي أَرْسَلْنَاهُمْ مُؤَيَّدِينَ بِالْحُجُبِجِ اللَّائِمَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ ، وَأَرْخْنَا الْعِلَّةَ لِمَنْ أَرَادَ سُلُوكَ  
 الْحُجَّةِ النَّثْقَى ، وَيَسْتَرْفِئَ السَّبِيلَ عَلَى مَنْ آتَرَ اتِّبَاعَ الْهَدْيِ . وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ الْمُنْزَلَةَ ،  
 وَ « الْمِيزَانَ » : أَيْ الْحُكْمَ بِالْقُرْآنِ ، وَاعْتِبَارَ الْمَدْلِ وَالْتِسْوِيَةِ بَيْنَ النَّاسِ .  
 « لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ » : فَلَا يَظْلِمُ أَحَدٌ أَحَدًا .

(١) حكى في من وهى أسوب من (زيثها) التي في م ، فروية النفس آفة يجر منها أرباب الطريق — خاصة  
 أهل الملاحة .

(٢) إضافة من عتدا حتى يتضح السياق .

(٣) يقصد منع الزكاة المفروضة حسب علوم الشريعة .

(٤) يقصد طائفة الصوفية .

(٥) أي لا ينتظر حتى يسأله سائل ، وإنما هو يعطى دائماً دون انتظار للدعوة داخ أو سؤال سائل .

(٦) لأنه ينبغي أن يكون مستمداً لإضافته لغيره ، عند أي ظرف من الظروف ، والمقصود أن يكون في العبد

ليثار القنيتان (راجع فصل الفتوة في رسالة القشيري) .

قوله جل ذكره : « وأتزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ

ومنافعٌ للناسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ

وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

« أزلنا الحديد » : أى خلقنا الحديد .

ونصرة الله هي نصرته دينه ، ونصرة الرسول بالاتباع سنته .

« إن الله قوى عزيز » : أقوى من أن يُنازعه شريكٌ ، أو يضارعه فى الملكِ ملك ،

وأعز من أن يحتاج إلى ناصر .

قوله جل ذكره : « ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيمَ وجعلنا

فى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ »

أى : أرسلنا نوحاً ، ومن بعده إبراهيمَ ، وجعلنا فى نسلِهِمَا النبوةَ والكتاب .

« فَنَهَّمْهُمْ هَتِيرًا » .

أى : مستجيبٌ .

« وكثيرٌ منهم فاسقون » .

خرجوا عن الطاعة .

قوله جل ذكره : « ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا

بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ

وجعلنا فى قلوب الذين آتَيْنَاهُم رَأْفَةً

ورحمةً » .

أى : أرسلنا بعيسى ابن مريم .

« وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا

عليهم » .

يَبَيِّنُ أَنَّهُ لَمْ يَأْمُرْ بِالرَّهَابَانِيَّةِ<sup>(١)</sup> بَلْ هُم الَّذِينَ ابْتَدَعُوهَا

(١) الرهبانية هي : القفلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف - صيغة فعلان من رعب مثل غشيان من حش ، وكانوا يهربون إلى الجبال والصحراوات ليخلصوا من الفتنة فى دينهم ، ويقطعون أنفسهم عن الزواج والنسل .

ثم قال :

« إِلَّا ابْتَغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ » .

م الذين ائردوا بما عقده معنا ( أن يقوموا بحقنا )<sup>(١)</sup>

« فَأَتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ  
وَكثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسْتَوُوا » .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ  
وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ  
مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُصْلَحْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ  
بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلوا .

« كَفْلَيْنِ » : أى نصيبَيْن ؛ نصيباً على الإيمان بالله ، وآخر على تصديقهم  
وإيمانهم بالرسول .

قوله جل ذكره : « لَيْسَ لَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ  
أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ  
وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » .

ومعناه : يعلم أهل الكتاب ، و « لا » صلة . أى : ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرُونَ على  
شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> ، فإن الفضل بيد الله . و « اليد » هنا بمعنى : القدرة ، فالفضل بقدرة الله .

(١) ما بين القوسين موجود في ص وغير موجود في م .

(٢) ونظيره قول ابن جني في « لتلا يعلم أهل الكتاب » أى ليطلوا فهي مؤكدة قائمة مقام إعادة الجملة مرة  
أخرى . (الإيقاظ للسيوطي ١٠ ص ١٧١ ط المجلس .



والإشارة في هذا : أَهْوَا اللهَ يَحْفَظُ الأَدبَ مَعَهُ ، ولأنَّنا مَنَّا مَكْرَهَهُ أَنْ يَسْتَلْبِكم مَوْتُكم  
 مِنْ أَوْفَاتِكُمْ . وَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ مِنْ بَقَاتٍ تَهْدِيرُهُ فِي تَغْيِيرِ مَا أَذَاقَكُم مِنْ أَنْسٍ عَجَبَةٍ .  
 وَاتَّبِعُوا السُّفَرَاءَ وَالرُّسُلَ ، وَحَافِظُوا عِلَّ اتِّبَاعِهِمْ حَتَّى يُؤْتِيَكُم نَصِيحِينَ مِنْ فَضْلِهِ :  
 عَصَةِ وَنِعْمَةٍ ؛ فَالْصِّمَّةُ مِنَ الْبَقَاءِ عَنْهُ ، وَالنِّعْمَةُ هِيَ الْبَقَاءُ بِهِ .  
 وَقَالَ : يُؤْتِيَكُم نَصِيحِينَ : نَصِيحًا مِنَ التَّوْفِيقِ فِي طَلَبِهِ ، وَنَصِيحًا مِنَ التَّحْقِيقِ فِي وَجُودِهِ<sup>(١)</sup>

---

(١) (الوجود) هنا ليس معناه (نشد السند) بل هو أعل درجات الشهود ، فالترجيح بداية ، والوجود واسطة  
 في الوجود نهاية (نشر الرسالة ص ٣٧) .

## سُورَةُ الْمُحَادَّةِ

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم»

«بسم الله» كلمة من عَرَفَهَا بَدَلَ الرُّوحِ فِي طَلِبِهَا — وَإِنْ لَمْ يَحْظَ بِوَصُولِهَا ، كَلِمَةً مِنْ طَلِبِهَا أَكْتَفَى بِالطَّلَبِ مِنْ<sup>(١)</sup> قِبُولِهَا .

كَلِمَةُ جِبَارَةٍ لَا تَنْظُرُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ ، كَلِمَةُ قَهَارَةٍ لَا يُوجَدُ مِنْ دُونِهَا مُتَّحِدٌ .  
كَلِمَةُ مِنْهَا بِلَاءُ الْأَحْيَابِ — لَكِنْ بِهَا شِفَاءُ الْأَحْيَابِ .

قوله جل ذكره: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ» .

لَمَّا صَدَقَتْ<sup>(٢)</sup> فِي شِكَاوِهَا إِلَى اللَّهِ وَأَيَّسَتْ مِنْ اسْتِكْشَافِ مُرْمَا مِنْ غَيْرِ اللَّهِ —  
أَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهَا: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ...» .

تَفَرَّعَتْ إِلَى اللَّهِ ، وَرَفَعَتْ قِصَّتَهَا إِلَى اللَّهِ ، وَنَشَرَتْ غُصَّتَهَا<sup>(٣)</sup> بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ — فَنَظَرَ إِلَيْهَا اللَّهُ ، وَقَالَ: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ» .

وَيَقَالُ: صَارَتْ فَرْجَةٌ<sup>(٤)</sup> وَرُخْصَةٌ لِلسَّالِكِينَ إِلَى الْقِيَامَةِ فِي مَسَاقَةِ الظُّهَارِ<sup>(٥)</sup> ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُونَ أَنَّ أَحَدًا لَا يَخْضِرُ عَلَى اللَّهِ .

وَفِي الْخِطْرِ: أَنَّهُمَا قَالَتِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ أَوْسًا تَزَوَّجْنِي شَابَةً غَنِيَةً ذَاتَ أَهْلٍ ،

(١) وَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: أَكْتَفَى مِنَ الْقَبُولِ بِالطَّلَبِ ، أَيْ أَكْتَفَى أَنْ يَشْرَفَ بِطَلِبِهَا وَعَلَى اللَّهِ إِيْمَامُ الْفِعْلِ بِالْقَبُولِ — وَهَذَا أَسَاسٌ هَامٌّ فِي مَنَهِجِ الْعَالَمِيِّينَ وَالسَّالِكِينَ .

(٢) هِيَ خَوْلَةٌ بَلَّتْ ثَمَلِيَّةَ امْرَأَةِ أَوْسَ بْنِ الصَّامِتِ أَمْعَى عِبَادَةٍ .

(٣) هَكَذَا فِي ص وَهِيَ فِي م (قِصَّتُهَا) وَقَدْ أَكْرَمْنَا مَا جَاءَ فِي م لِتَلْوِينِ الْكَلَامِ وَخِدْمَةِ السِّيَاقِ .

(٤) فِي التَّنْسِيخِ (فَرْجَةٌ) وَلَا يَأْسُ بِهَا فِي الْمَعْنَى وَلَكِنَّا نَشِيرُ أَنَّ (فَرْجَةً) تَدْعِمُ السِّيَاقَ عَلَى نَحْوِ أَكْثَرِ .

(٥) ظَاهِرُ امْرَأَتِهِ ظَهَارًا أَيْ قَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهَرِ أَيْ: أَيْ أَنْتِ لِي أُمٌّ .

ومالي كثير ، فلما كثرت سبقي<sup>(١)</sup> ، وذَهَبَ مالي ، وتَرَكَ أَهْلِي جُلُوعًا عَلَيْهِ كَظْهَرِ أُمِّهِ ،  
وقد عَديمٌ ونَدِيمٌ ، وَإِنِّي لِي مِنْهُ صَبِيَّةٌ صَارَا إِنِ ضَمَّتَهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا ، وَإِنْ ضَمَّتَهُمْ  
إِلَيَّ جَاعُوا .

قَالَ لَهَا الرُّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِي رِوَايَةٍ — : مَا أَمَرْتُ بِشَيْءٍ فِي شَأْنِكَ .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ قَالَ لَهَا : بَيَّنْتِ عَنْهُ (أَيِ حَرَمْتَ عَلَيْهِ) .

فَرَدَّدَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) فِي ذَلِكَ ، وَشَكَتُ .. إِلَى أَنْ أُنْزِلَ اللَّهُ حُكْمَ الظَّهَارِ .

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : « وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ

نِسَائِهِمْ لَمْ يَنْكِحُوا أُمَّهَاتَهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ

إِلَّا الْأَلَاءُ وَقَدْ نَهَى عَنْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ

مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ

لَعَلْفٍ عَفُورٌ » .

قَوْلُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لِنِسَائِهِمْ — جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الشَّرْكِ — أَنْتِ عَلَى كَظْهَرِ أُمِّي ..

هَذَا شَيْءٌ لَمْ يَحْكَمْ اللَّهُ بِهِ ؛ وَلَا هَذَا الْكَلَامُ فِي نَفْسِهِ صِدْقٌ ، وَلَمْ يَبَيَّنْ فِيهِ شَرْعٌ ،

وَلِنَعْمَا هُوَ زُورٌ مَحْضٌ وَكَذِبٌ صِرْفٌ .

فَقِيلَ الْكَافَّةُ أَنَّ الْخَفَائِقَ بِالتَّلَاسِ لَا تَتَمَرَّزُ<sup>(٢)</sup> ؛ وَالسَّبَبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا فَبِالْمَعَادَةِ

لَا يَثْبُتُ ؛ فَالْمَرَأَةُ لَمَّا سَمِعَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَوْلَهُ : بَيَّنْتِ عَنْهُ — كَانَ وَاجِبًا عَلَيْهَا

السَّكُونُ وَالصَّبْرُ ؛ وَلَكِنْ الْفُرُودَةُ أَنْفَقَتْهَا وَحَلَّتْهَا عَلَى الْمَعَادَةِ ، وَحَصَلَتْ مِنْ ذَلِكَ

سَأَلَةٌ : وَهِيَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْيَاءِ يَحْكُمُ فِيهَا ظَاهَرُ الظُّهْرِ بِشَيْءٍ ؛ ثُمَّ تُنْفَرُ الْفُرُودَةُ ذَلِكَ

الْحُكْمَ لِمَصَاحِبِهَا<sup>(٣)</sup> .

قَوْلُهُ جَلْ ذَكَرَهُ : « وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ

(١) فِي رِوَايَةٍ : غَلَا سَبْقِي وَشَرَّتْ بِلَاقِي — أَيْ كَثُرَ وَلَدِي .

(٢) رُبَّمَا كَانَتْ فِي الْأَصْلِ (لَا تَتَمَرَّزُ) وَهِيَ ذَلِكَ فَالْمَعْنَى هَكَذَا مَقْبُولٌ .

(٣) هَذِهِ غُرَّةٌ وَحِيدَةٌ بِأَنَّكَ الْمُخْتَصِي بِالظَّاهِرِ ، وَدَعْوَةٌ إِلَى التَّوْبَةِ .

يُودُونَ لِمَا ظَلَمُوا ضَعِيفُ رَقَبَةٍ يَتَن  
قَبِيلُ أَنْ يَمَامًا • ذَلِكَ كَمْ تَوَعَّلُونَ بِهِ  
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ •

الظَّالِمُونَ — وإن لم يكن له في الحقيقة أصل ، ولا بصحيحه نطق أو دلالة شرع ، فإنه  
بعد ما رُفِعَ أمره إلى الرسول (ص) وُلِّحَ بشيء ما ، وقال فيه حكمه ، لم يُخَلِّ اللهُ ذلك من  
بيان ساق به شرعه ؛ فقفى فيه بما انتظم جواب الأمر كله .

فارتفع الأمر حتى وصوله إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ، والتعاظم لديه محل  
التمسك عنده فضله ، وأعاد للمرأة حقها ، وكان سبيلاً لتحديد السألة برؤيتها . . . وهكذا فإن  
كل صمير إلى زواله . . . وكلُّ ليلٍ — وإن طالت — فإلى إسفار (١) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا  
كَأَكْبَتِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ  
أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ  
عَذَابٌ مُهِينٌ » .

الذين يُحَادِّثُونَ أمر الله ويتركون طاعة رسول الله أَذَلُّوا وَخَذَلُوا ، كما أَذَلُّ  
الذين من قبلهم من الكفار والمعصاة .

وقد أجرى الله سُنَّتَهُ بالانتقام من أهل الإجمام ؛ فَمَنْ ضَيَّعَ لِلرَّسُولِ سُنَّةً ، وأحدثَ  
في دبه بِدْعَةً انخرط في هذا السلك ، ووقع في هذا الدُّلُّ .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا  
كَانُوا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » .

يقال : إذا حوسِبَ أحدٌ في القيلة على عمله تصور له ماضيه وتذكره ، حتى كأنه قائم  
في تلك الحالة عن بساط الزُّلَّةِ ، فيقع عليه من التلجلج والنَّدَم ما يَنسَى في جَنَبِهِ كُلَّ عَقوبة .

(١) حدث تدخل من جانبنا في ترميم هذه الفقرة التي جاءت في التفسيرين منهية الكتابة والمعنى .

فنبيلُ السلمِ ألا يحومَ حولَ مخالفةِ أمرِ مولاہ ، فإنَّ جَبْرِيَّ المقدورُ وقعَ في هجنةِ  
التفصيرِ فلتكنْ زَلَّتْهُ على بال ، وليتضرعْ إلى الله بحسنِ الإبهال .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَلْعَنُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى  
ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ  
إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ  
وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنَّمَا كَانُوا  
ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

مَعِيَّةُ الْحَقِّ — سبحانه — وإن كانت على العموم بالسلم والرواية ، وعلى  
الخصوص بالتفصيل والنصرة — فلهذا الخطاب في قلوب أهل المعرفة أثرٌ عظيمٌ ، ولهم  
إلى أن ينتهي الأمرُ بهم إلى التوَلَّى<sup>(١)</sup> فالوَلَّى فالهَيَّان في غمارِ سماعِ هذا عيشِ راغد .

ويقال : أصحابُ الكهف — وإن جَلَّتْ رَجَبُهُمْ واختصت من بين الناس مرتبتهم —  
فالحقُّ سبحانه يقول : « سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ »<sup>(٢)</sup> ولَمَّا انتهى إلى هذه الآية  
قال : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة ... » فشقَّتْ بين مَنْ رَابِعُهُ  
كَلْبُهُ وبين مَنْ رَابِعُهُ رَبُّهُ ۱۱

ويقال : أهلُ التوحيد ، وأصحابُ العقول من أهل الأصول يقولون : اللهُ واحدٌ لا من طريق  
العدد<sup>(٣)</sup> ، والحقُّ يقول : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ... » ويقال : حيثما كنتَ  
فأنا مَعَكَ ؛ إن كنتَ في المسجد فأنا مَعَكَ ، وإن كنتَ في اللصطة فأنا مَعَكَ ، إن طَلَبَ المَلَامَةَ

(١) وردت التأويل في ص والتأول في م والصحيح — في نظرنا — أن تكون التوَلَّى ؛ فهو المنزل التي تسبق  
الوَلَّى والهَيَّان .

(٢) آية ٢٢ سورة الكهف .

(٣) الواحدة على الحقيقة ليس عدداً لأن العدد هو ما بلغ نصف مجموع حاشيته ، وليس قبل الواحد شيء .

التأويل<sup>(١)</sup> وشوقوا طوبى أولى الواجيد فلا بأس — فأنا معهم .

إن حضرت المسجد فأنا معك يسباغ النعمة ولكن وعداً ، وإن أتيت المصطبة فأنا معك بالحره وإسبال ستر المنفرة ولكن هتداً .

هَبْكَ تَبَاعَدْتَ وَخَالَفْتَنِي قَدَرُ أَنْ تَخْرُجَ عَنْ لُطْفِي ١٩

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَأَى الَّذِينَ نَهَوْا عَنِ النَّجْوَى

ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ  
وَالْمُدَّوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ، وَإِذَا  
جَامُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ » .

أَذَوُ قُلُوبِ السَّلْمِينَ بِمَا كَانُوا يَتَنَاجَوْنَ بِهِ فَيَا يَنْهُمْ<sup>(٢)</sup> ، ولم تكن في تناجيهم فائدة إلا قصدهم بذلك شغل قلوب المؤمنين ، ولم يتهوا عنه لما نهوا عنه ، وأصرُّوا على ذلك ولم يَنْزَجِرُوا ، فتوَعَّدَ اللَّهُ على ذلك ، وتكون عقوبتهم بأن تنامز اللامسكة في بابهم فَيَا يَنْهُمْ ، وحين يشاهدون ذلك تَرْجَمُ ظَنُونُهُمْ ، ويتمذَّبون بتقسُّم قلوبهم ، ثم لا يتكشف الحال لهم إلا بما يزيدهم حزناً على حزنٍ ، وأسفاً على أسفٍ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ

فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْمُدَّوَانِ وَمَعْصِيَةِ  
الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا  
اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ » .

إنما قَبِحَ ذلك منهم وعَظُمَ الخطأُ لأنه قُصِمَ إفساد ذات البين ، وخير الأمور ما عاد بإصلاح ذات البين ، وبكسه إذا كان الأمر بضده .

(١) هذان حجج أهل هذه الطائفة أظهر من حجج كل أحد ، وقواعد مدعيهم أقوى من قواعد كل مذهب . والناس : إما أصحاب النقل والأثر ، وإما أرباب النقل والفكر .. وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة ، فالتى للناس غيب فهو لهم ظهور ، والتى للخلق من المعارف مقصود فلهم من الحق سبحانه موجود ، فهم من أهل الرمال والناس أهل الاستدلاله الرسالة التشريعية ص ١٩٨ وانظر تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٤٥ .

(٢) كان اليهود والمنافقون يتنازعون فيما بينهم وبآيهم إغاطة للمؤمنين ، وكانوا إذا أقبلوا على الرسول قالوا له : السلام عليك يا محمد .. ولهم هو الموت .

قوله جل ذكره : « إِنَّمَا التَّجْوِي مِنْ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ إِلَّا

يُؤْذِنَ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ » .

التجوى من تزيين الشيطان ليحزن الذين آمنوا . وإذا كانت المشاهدة غالباً ، والقلوبُ

حاضرة ، والتوكلُ صحيحاً ؛ والنظرُ من موضعه صائباً فلا تأثيرَ لثُل هذه الحالات ، وإنما

هذا للضعفاء .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا قَلِيلٌ لَكُمْ

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ

لَكُمْ وَإِنَّا قَلِيلٌ انشُرُّوا فَانْشُرُوا » <sup>(١)</sup> .

لكالبرحة بهم وتعام رأفته عليهم ، علمهم مراعاةَ حُسنِ الأدبِ بينهم فيما كان من أمور

المادة (دون أحكام العبادة) <sup>(٢)</sup> في التفسُّح في المجالس والنظام في حال الرَّحمة والسكرتة ..

وَأَعَزِّزْ بِأَقْوَامٍ أَمَرَهُمْ بِدَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ بِدَقَائِقِهِمْ بِأَصُولِ الدِّينِ وَتَحَقُّقِهِمْ بِأَرْكَانِهِ ١

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا نَجْعَلُكَ الرُّسُولَ

فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَ ذَلِكَ

خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطِيعُوا فَإِنِ لَمْ تَجِدُوا فَإِنِ اللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ » <sup>(٣)</sup> .

لَكَ كَانَ الْإِذْنُ فِي التَّجْوِي مَقْرُونًا بِبَذْلِ الْمَالِ امْتَنَعُوا وَتَرَكُوا ، وبذلك ظَهَرَتْ جواهر

---

(١) (انشُرُوا) أى : انهبوا للتوسعة على القلبين ، أو انهبوا من مجلسه صلى الله عليه وسلم إذا أيسرهم بالتوسعة منه ، أو انهبوا إلى الصلاة ، أو إلى الجهاد ، أو إلى أعمال الخير .

(٢) هذه موجودة في م وغير موجودة في م ص .

(٣) وَنُحِصَّ بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْمُنَاجَاةِ مِنْ غَيْرِ صَدَقَةٍ . وقيل : كَانَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ثُمَّ نُسِخَ . وقيل : مَا كَانَ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ نُسِخَ . . ويمكن : أَنَّ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ كَانَ يَصْدُقُ بِدَرْجَةٍ كُلِّهَا نَالِي الرُّسُولَ - أى بداية : لَأَنْ ثُمَّ تَوَقَّفَ لَهَا نُسْخَةُ الْآيَةِ ، وَأُزِيلَتْ الْمُؤَلَّفَةُ .

الأخلاق وتقلدوا الرجال — وقد قال تعالى : « ولا يتألكم أموالكم » إن يسألكوها  
فيخسفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم »<sup>(١)</sup>.

قوله جل ذكره : « ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم » .

مَنْ وافقَ مغضوباً عليه أَشْرَكَ نَفْسَهُ فِي اسْتِحْقَاقِ غَضَبِ مَنْ هُوَ الْغَضَبَانِ ؛ فَمَنْ  
تَوَلَّى مغضوباً عليه مِنْ قِبَلِ اللَّهِ اسْتَوْجَبَ غَضَبَ اللَّهِ وَكَتَبَ لَكَ هَوَانًا وَخُسْرَانًا .

« وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »  
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا لِإِنِّهِمْ سَاءَ  
مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ • اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ  
جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ  
عَذَابٌ مُهِينٌ »

هذا وصفٌ للناقضين

« اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً » أى وقايةً وستراً ؛ وَمَنْ أَسْتَرَّ بِجُنَّةٍ طَاعَتَهُ لَتَسْلَمْ لَهُ دُنْيَاهُ فَإِنَّ  
سَهَامَ التَّشْدِيرِ مِنْ ذِرَائِهِ تَكْشِفُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْمُرُ . . . فَلَا دِينَ لَهُ بَقِي ، وَلَا دُنْيَاهُ تَسْلَمُ ، وَلَقَدْ  
قَالَ تَعَالَى : « لَنْ تُقْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا »<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ  
كَأَيِّ حَالٍ كَانُوا لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى  
شَيْءٍ أَلَّا لِيُنْفِخَهُمُ السَّكَّادُونَ » .

عَوْبُهُمُ الْكِبَرَى طَهُمُ أَنْ مَا عَمِلُوا مَعَ الْخَلْقِ يَتَنَسَّى أَيْضًا فِي مُعَامَلَةِ الْحَقِّ ، فَقَرَّطُ الْأُنْجَبَةِ  
وَقَايَةُ الْجَهْلِ أَكْثَبُهُمْ عَلَى مُنَاقَرَتِهِمْ فِي وَهْدَةٍ تَدْمِيهِمْ .

(١) آية ٣٧ سورة محمد .

(٢) آية ١٠ سورة آل عمران .



قوله جل ذكره : « اسْتَعِذْ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْتَاهُمْ

ذِكْرُ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

إِذَا اسْتَعِذَ الشَّيْطَانُ عَلَى عَبْدٍ أَنْتَاهُ ذِكْرُ اللَّهِ .

وَالنَّفْسُ إِذَا اسْتَوَلَتْ عَلَى إِنْسَانٍ أَنْتَهُ اللَّهُ .

وَلَقَدْ خَسِرَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ، وَأَخْصِرُ مِنْهُ مَنْ أَعَانَ نَفْسَهُ — الَّتِي هِيَ أَعْلَى عَدُوِّهِ ،

إِلَّا بِأَنْ يَسِيَّ فِي قَهْرِهَا لَكُمُ يَصْعِدُ مِنْ كَثَرِهَا .

قوله جل ذكره : « إِنْ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ » .

مَنْ أَرْجَمَتْهُ شِقْوَتُهُ لَمْ تُنْقِصْهُ قُوَّتُهُ ، وَمَنْ قَسَصَهُ التَّنْذِيرُ لَمْ يَنْقُصْهُ التَّنْذِيرُ ، وَمَنْ اسْتَهَانَ

بِالَّذِينَ انْغَرَطَ فِي سَلَكِ الْأَذَلِّينَ .

قوله جل ذكره : « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي

إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

الَّذِي لَيْسَ لَهُ إِلَّا التَّنْذِيرُ .. كَيْفَ تَكُونُ لَهُ مَقَاوِمَةٌ مَعَ التَّنْذِيرِ ؟ (١) .

قوله جل ذكره : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ » .

مَنْ جَنَعَ إِلَى مَنْعَرَفٍ عَنْ دِينِهِ ، أَوْ حَادَّ مَنْ تَبَدَّلَ عَنْ عَهْدِهِ نَزَعَ اللَّهُ نُورَ التَّوْحِيدِ مِنْ

قَلْبِهِ فَهُوَ فِي خِيَاثَةِ جَائِزٍ عَلَى عَقِيدَتِهِ ، وَسَيُذَوَّقُ قَرِيبًا وَبَآلًا أَمْرَهُ .

« أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَ بِرُوحٍ مِنْهُ » .

خَلَقَ اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ وَأَتَمَّتْهُ ، وَقَالَ : جَمِلَ قُلُوبُهُمْ مُطَوَّرَةً بِاسْمِهِ .. وَأَعَزَّزَ

بِحِلَّةٍ لِأَسْرَارِ قَوْمِ طَرَاذُهَا اسْمُ « اللَّهِ » ١١

(١) التَّنْذِيرُ الْمَخْلُوقُ وَالتَّنْذِيرُ الْمَسْمُوعُ .

## سُورَةُ الْحَشْرِ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ عزَّزَ - الْكَوْنُ بِمَجْلَهٗ فِي طَلَبِهِ .. وَهُوَ عَزَّزَ .

الشَّمْسُ وَالْأَقَارُ وَالنَّجُومُ ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَجَمِيعُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَعْيَانِ وَالْأَنْبَارِ  
مُتَنَادِيَةً عَلَى أَنْفُسِهَا : نَحْنُ عِبِيدُهُ .. نَحْنُ عِبِيدُ مَنْ لَمْ يَزَلْ .. نَرِيدُ مَنْ لَمْ يَزَلْ .

قوله جل ذكره : « سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ » وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

قَدَسَ اللَّهُ وَتَزَهَّدَ كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؛ فَكُلُّ مَا خَلَقَهُ جَمَلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ دَلِيلًا ، وَلَيْزَنَ  
أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ الْإِلَهِيَّةَ طَرِيقًا وَسَبِيلًا .

أَمَّا<sup>(٢)</sup> كُلُّ شَيْءٍ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَيْهِ وَحِكْمَتُهُ ، وَرَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ، وَذَلِكَ شَاهِدٌ عَلَى  
مُسَبِّتِهِ وَإِرَادَتِهِ .

« وَهُوَ الْعَزِيزُ » فَلَا شَيْءَ يَسَاوِيهِ ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمُلْكِ بِنَازِعِهِ وَيُضَاهِيهِ .

« الْحَكِيمُ » الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يُوجَدُ فِي حُكْمِهِ غَيْبٌ ، وَلَا يَتَوَجَّهُ عَلَيْهِ عَقَبٌ<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ

الْحَشْرِ » .

هُم أَهْلُ النَّصِيرِ ، وَكَانُوا قَدْ عَاهَدُوا النَّبِيَّ (ص) أَلَّا يَكُونُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ بَعْدَ اخْتِدَافِهِمْ قَضُوا

(١) وَيُسَمَّى ابْنُ عَبَّاسٍ سُورَةَ الْعَمِيرِ (الْبَحَارِيُّ ٣٨ ص ١٢٣) .

(٢) هَكَذَا فِي ص. وَهِيَ فِي م. (أَيْقُنَ) وَهِيَ ضَعْفٌ فِي النَّصْرِ .

(٣) هَكَذَا فِي ص. وَهِيَ فِي م. (عَبَب) وَهِيَ ضَعْفٌ فِي النَّصْرِ .

العَهْدَ ، وبأيامو أباسفیان وأهل مكة ، فأخبر الله تعالى رسوله بذلك ، فبعث صلوات الله عليه إليهم محمد بن مسلمة ، فأومأ أنه يشكو من الرسول في أخذ الصدقة . وكان رئيسهم كعب ابن الأشرف قتلته محمد بن مسلمة ( غيلة ) ، وغزاهم <sup>(١)</sup> رسول الله (ص) وأجلام عن حصونهم للنيمة وأخرجهم إلى الشام ، وما كان للمسلمون يتوقمون الظفر عليهم لكثرتهم ، ولينعة حصونهم .

وظلوا يهدمون دورهم بأيديهم يفتقون ليخرجوا ، ويقطعون أشجارهم ليسدوا الثقب ، فسُموا أول الحشر ، لأنهم أول من أُخرج من جزيرة العرب وحُشِر إلى الشام .  
قال حل ذكره : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » .

كيف نصرَ المسلمين — مع قِلَّتِهِم — عليهم — مع كَثَرَتِهِم . وكيف لم تمنعهم حصونهم إذا كانت البائرة عليهم . وإذا أراد الله قهرَّ عدوٍّ استنوق <sup>(٢)</sup> أسدُّه .

ومن مواضع العبرة في ذلك ما قاله : « ما ظننم أن يخرجوا » بحيث داخلتمكم الريبة في ذلك لِقِرطِ قُوَّتِهِم — فصأتهم بذلك عن الإعجاب .

ومن مواضع العبرة في ذلك أيضاً ما قاله « وظننوا أنهم ما رعتهم حصونهم من الله » فلم يكن كما ظننوه — ومن قُوَّةٍ بمخلوق أسئلته ذلك إلى صقاره <sup>(٣)</sup> ومددته .

ومن الدلائل الناطقة ما ألقى في قلوبهم من الخوف والرعب ، ثم تخريبهم بيوتهم بأيديهم علامة ضعف أحوالهم ، وبأيدي المؤمنين لقوة أحوالهم ، فتمت لهم القلبة عليهم والاستيلاء على ديارهم وإجلاؤهم .

هذا كله لا بد أن ينصل به الاعتبار — والاعتبار أحدُ قوانين الشرع .  
ومن لم يتشبر بغيره اعتبر به غيره .

(١) حاصرهم إحدى وعشرين ليلة وأمر بقطع نجايمهم وأبى عليهم إلا الجلاء هل أن يحل كل ثلاثة آيات على بغير واحد ما شاموا من متاعهم فجلوا إلى أربحا وأذرعات بأرض الشام .

(٢) الألف والسين والتاء فيها الصيرورة أي صار نافذة والتمسود : تحاذل لتجبر وصغر شأنه .

(٣) تصفاه الرضى بقتله والمحو .

ويقال : يُخَوِّونَ يَوْمَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، وقولهم باتباع شهوات غورهم ، ودينهم بما يمزجونه به من البدع .

قوله جل ذكره : « ولولا أن كَتَبَ اللَّهُ عليهم الجلاء لَمَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ » .

ولولا أن قضى الله عليهم أن يخرجوا لمذبذبهم الله بالقتل والاستقصال (١) ، ثم في الآخرة لهم عذاب النار .

« ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يُشَاقِّ اللَّهَ فإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » .

ذلك بأنهم خالفوا أمر الله . والمشاقة أن يتحول المرء إلى شق آخر . فالعاصي إذا اتقل من المطيعين إلى العصاة قد شاقَّ الله ، ولين شاقَّ الله عذاب النار . قوله جل ذكره : « مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ » .

اللين : كل نوع من التغييل ماعدا العجوة والبرقي (٢) .

لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع بعض نخيل بني النضير قالت اليهود : ما فائدة هذا ؟ ! .

فبقي المسلمون عن الجواب ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ليوضح أن ذلك بإذن الله . فاقطع الكلام .

وفي هذا دليل على أن الشريعة غير مُمَلَّكَةٍ ، وأن الأمر الشرعي إذا جاء بطل التعليل ،

(١) هكذا في م وهي في م (الاستيعار) وهي غطاء في النسخ .

(٢) واحدة للبرقية ، وهو نوع جيد من التمر ملوَّح أحمر مشرب بصفرة : (الوسيط) .

وَسَكَتَتِ الْأُنْسَةُ عَنْ الْمَطَالِبَةِ بِـ « لَمْ ؟ » وَخُطُورُ الْإِعْتِرَاضِ أَوْ الْإِسْتِجْلَاعِ خُرُوجٌ عَنْ حَدِّ الْعِرْفَانِ ، وَالشَّيْخُ .

قَالُوا : مَنْ قَالَ لِأَسَاتِيزِهِ وَشَيْخِهِ (١) : « لَمْ ؟ » لَا يَفْلَحُ . وَكُلُّ مَرِيدٍ يَكُونُ لِأَمْثَالِ هَذِهِ الْخُطُوطِ فِي قَلْبِهِ جَوْلَانٌ لَا يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ . وَمَنْ لَمْ يَتَجَرَّدْ قَلْبُهُ مِنْ طَلَبِ التَّعْلِيلِ ، وَلَمْ يَبْتَازْ حُسْنَ الرِّضَا بِكُلِّ مَا يَجْرِي وَاسْتَحْصَانَ مَا يَبْدُو مِنَ النِّيبِ لِرَبِّهِ وَقَلْبِهِ — فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ .

قَوْلُهُ جَلْ ذِكْرُهُ : « وَمَا آتَاهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجِثْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

يُرِيدُ بِذَلِكَ أَمْوَالَ بَنِي النَّضِيرِ (٢) ، فَقَدْ كَانَتْ مِنْ جِلَّةِ الْغَنِيِّ لَا مِنَ الْغَنِيَةِ ؛ فَالْقِيَّةُ مَا صَارَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمْوَالِ الْكُفَّارِ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ وَلَا إِجْبَافٍ خَيْلٍ وَرِكَابٍ ، وَتَدَخَّلَ فِي جِلَّتِهِ أَمْوَالُهُمْ إِذَا مَاتُوا وَصَارَتْ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ . وَالْغَنِيَّةُ مَا كَانَتْ بِقِتَالٍ وَإِجْبَافٍ خَيْلٍ وَرِكَابٍ . وَقَدْ خَصَّ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِأَمْوَالِ هَؤُلَاءِ قُرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَاسْتَأْثَرَ لِنَفْسِهِ بِمَا شَاءَ ، فَطَابَتْ نَفْسُ الْأَنْصَارِ بِذَلِكَ ، وَشَكَرَ اللَّهُ لَهُمْ . ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُحَرَّرَ الْقَلْبَ مِنَ الْأَعْوَاضِ وَالْأَمْوَالِ صِفَةً السَّادَةِ (٣) وَالْأَكَابِرِ . وَمَنْ أَسْرَكَ الْأَخْطَارُ وَبَقِيَ فِي شَيْءٍ فَخَسَّ فَبُهِقَ فِي تَضْيِيقِهِ وَتَدْنِيْقِهِ ، وَهُوَ فِي مَصَادِقَتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ وَمُطَالَبَتِهِ مَعَ النَّاسِ دَائِمًا يَبْتَغِي فِي اسْتِيفَاءِ حَظْوَلِهِ — وَهَذَا لَيْسَ لَهُ مِنْ مَذَاقَاتِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ (٤) شَيْءٌ .

(١) لَاحِظْ كَيْفَ يُوَسِّعُ التَّقْشِيرُ إِشَارَتَهُ إِلَى الْمُرِيدِينَ ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عَلَيْهِ عِلَاقَتُهُمْ بِشُيُورِهِمْ .

(٢) عَنْ الْحَزْرِيِّ عَنِ مَالِكِ بْنِ أَوْسٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ دَعْنٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مَا آتَاهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ (ص) مَا لَمْ يُوجِبِ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ يُخَيَّرُ وَلَا رِكَابٍ ، فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) خَاصَةً يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةً سِتَّةً ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكَرَاعِ حَقًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (الْبَيْهَقِيُّ ٢٠ ص ١٢٣) .

(٣) هَكَذَا فِي ص وَهِيَ فِي م (السَّادَةُ) وَهِيَ خَطَأٌ مِنَ النَّاسِ .

(٤) يَتَقَبَّضُ طَرِيقَةُ الصَّرْفِيَّةِ .

وأهل الصفاء لم يَتَّبِعْ عليهم من هذه الأشياء بقیةً ، وأما مَنْ بَقِيَ عليه منها شيءٌ ، فترسم (١) سوقی\* . لا متحقق صوفي\* .

قوله جل ذكره : « وما آتاكم الرسول فخذوه ،

وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتوا الله

إن الله شديد العقاب » .

هذا أصل من أصول وجوب متابعتها ، ولزوم طريقته وسيرته — وفي العلم تفصيله .

والواجب على المبتدئ عرض ما وقع له من الخواطر وما اكتشف به من الأحوال على العلم — فما لا يقبله الكتاب والسنة فهو في ضلال (٢) .

قوله جل ذكره : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من

ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله

ورضواناً وينصرون الله ورسوله

أولئك هم الصادقون » .

يريد أن هذا الذي لهؤلاء الفقراء الذين كانوا متدائراً مائة رجل .

« يبتغون فضلاً من الله » وهو الرزق « ورضواناً » بالثواب في الآخرة .

وينصرون دين الله ، « أولئك هم الصادقون » : والفقير الصادق هو الذي يترك كل سبيل

وعلاقة ، ويفرغ أوقاته لعبادة الله ، ولا يعط (٣) قلبه على شيء سوى الله ، ويقف مع الحق راضياً بمرئياته حكيمه فيه .

(١) هكذا في م وهي في ص (منوهم) . وعلى الأول يكون المعنى أنه شخص همه الرسوم والأشكال ، أما باطنه وحقيقته فغير رسمه ، وعلى الثاني يكون المعنى أنه يكتفي من التصوف بالسمة أي العلامة ؛ كالشرب مثلاً .. وباطنه غير سليم . والربط بين الصفاء والتصوف — كما يتضح من العبارة — عنصر أساسي في مذهب القشيري . (انظر الرسالة باب التصوف) .

(٢) نحسب أنه ليس بعد هذا مجال للتخصيص بأن الصوفية يمانون بالشريعة أو يقلعون من قدرها . فمحصول خواطرهم ، ومكتشفاتهم من خلال الأحوال .. كل ذلك ينبغي ألا يكون مرفوضاً من الشرع . ومحاولة عقد لقاء بين الحقيقة والشريعة عنصر أساسي آخر في مذهب القشيري — رحمه الله .

(٣) عطف يعطف هنا بمعنى مال وانحنى تجاه ناحية تاركاً ناحية أخرى — وهذا هو أصل معنى اللفظة قبل أن تأخذ معانيها المتوسعة .

فوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » .

نزلت هذه الآية في الأنصار . « تبوءوا الدار » أى سكنوا المدينة قبل المهاجرين .. « يحبون من هاجر إليهم » من أهل مكة .

« ولا يجدون في صدورهم حاجة » بما خصَّصَ به المهاجرون من الفىء ، ولا يجدونهم على ذلك ، ولا يفترون بقلوبهم على حكم الله بتخصيص المهاجرين ، حتى لو كانت بهم حاجة أو اختلال أحوال .

« وَمَنْ يُوقِ شَعْنُ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَالِحُونَ » .

قبل نزل الآية<sup>(١)</sup> في رجلٍ منهم أُهْدِيَتْ لَهُ رَأْسُ شاةٍ فظاف على سبعة آيات حتى انتهى إلى الأول .

وقيل نزلت في رجلٍ منهم نزل به ضيفٌ فترَّب منه الطعام وأطفا السراج ليوم ضيفه أنه يأكل ، حتى يؤثِّر به الضيف على نفسه وعلى عياله ، فأنزل الله الآية في شأنه<sup>(٢)</sup> .

ويقال : الكرمُ مَنْ بَنَى الدارَ لضيافته وإخوانه ( والتمُّ مَنْ بناها لنفسه )<sup>(٣)</sup> .

وقيل : لم يقل الله : وَمَنْ يَتَّقِ شَعْنُ نَفْسِهِ يَلْ قَالَ : وَمَنْ يُوقِ شَعْنُ نَفْسِهِ<sup>(٤)</sup> .

ويقال : صاحبُ الإِثَارِ يُؤْثِرُ الشَّيْءَ عَلَى نَفْسِهِ — وهو جاعل .

(١) حديث القشيري : « رُفِعَ عَنِ الْإِنْبَارِ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ شَمْعًا لِقِصَلِ الَّذِي عَقَدَهُ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْفِتْرِ »

(٢) هكذا في رواية أبي هريرة ( البخاري ٣ - ١١٣ ) .

(٣) ما بين القوسين موجود في ص وغير موجود في م .

(٤) فتقاه من الله لا من نفسه .

وقال : مَنْ مَيَّزَ بَيْنَ شَخْصٍ وَشَخْصٍ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ إِيضَارٍ حَتَّى يُؤَثِّرَ الْجَمِيعَ دُونَ تَمْيِيزٍ .

وقال : الإِيضَارُ أَنْ تَرَى أَنَّ مَا بَأْيَدِي لِلنَّاسِ لَمْ ، وَأَنْ مَا يَحْصِلُ فِي يَدِكَ لَيْسَ إِلَّا كَالْوَدِيعَةِ وَالْأَمَانَةِ عِنْدَكَ تَحْتَظَرُ الْإِذْنَ فِيهَا .

وقال : مَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ مَلَكًا فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْإِيضَارِ .

وقال : الْمَابِذُ يُؤَثِّرُ بِدَنِيَاهُ غَيْرَهُ ، وَالْعَارِفُ يُؤَثِّرُ بِالْجَنَّةِ غَيْرَهُ <sup>(١)</sup> .

وعَزَّزْتُ مَنْ لَا يُطْلَبُ مِنَ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ شَيْئًا : لَأَنِّي الدُّنْيَا مِنْ جَاهٍ أَوْ مَالٍ ، وَلَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْأَفْضَالِ ، وَلَا مِنْهُ أَيْضًا ذَرَّةً مِنَ الْإِقْبَالِ وَالْوَصَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ <sup>(٢)</sup> .

... وَهَكَذَا وَصَفُ الْفَقِيرِ ؛ يَكُونُ بِسُقُوطِ كُلِّ أَرْبَعٍ .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَنِيهِمْ يَقُولُونَ :

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

أَيُّ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَنِيهِمْ ، ثُمَّ أَجْبَالُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَدْهُؤَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . . . كُلُّهُمْ يَتَرَحَّمُونَ عَلَى السَّالِفِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ ، وَيَسْلُكُونَ طَرِيقَ الشَّقَّةِ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْتَفْتَرُونَ لَهُمْ ، وَيَصْبِرُونَ مِنْ أَفْئِدَةٍ أَنْ يَحْمِلَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قُلُوبِهِمْ غِلًّا أَى حِيَدًا . وَمَنْ <sup>(٣)</sup> لَا شَفَقَةً لَهُ عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الدِّينِ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَتُوا يَقُولُونَ :

(١) وَمَنْ قَبِيلُ ذَلِكَ مَا يَقُولُهُ الْحَسَنِ النَّوَوِيُّ (ت ٢٩٥ هـ) :

« اللَّهُمَّ إِنْ يَكُنْ قَدْ سَبِقَ فِي مَشِيئَتِكَ إِلَيَّ لِاتَّخَلُّفِ أَنْ تَمْلَأَ النَّارَ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مَا فِي وَسْطِي وَأَنْ تُلْغِبَ بِهِمُ إِلَى الْجَنَّةِ » .

(٢) لِأَنَّ الْأَحْوَالَ مِنَ اللَّهِ ، فَهِيَ مِنْ عَيْنِ الْجُودِ ، كَأَنَّ الْمَقَامَاتِ يَهْلِلُ الْمَجْهُودُ .

(٣) سَقَطَتْ (وَمَنْ) مِنْ مَوْحِي مَوْجُودَةٍ فِي ص ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ السِّيَاقِ .



لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ  
الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ  
مَعَكُمْ وَلَا نَطْلِعَ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ،  
وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ، وَاللَّهُ  
يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ .

يريد بهم منافقو المدينة ؛ ظاهروا بنى النصير وقرينة ، وعاهدوهم على الموائمة بكل وجه ،  
فأخبر الله — سبحانه — أنهم ليسوا كالفالوا وعاهدوا عليه ، وأخبر أنهم لا يتناصرون ، وأنهم  
يتخاذلون ، ولكن ساعدوهم في بعض الحروب فإنهم يتخاذلون إن رأوهم يهزمون أمام  
من يجاهدونهم .

قوله جل ذكره : « لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ »  
ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .  
أخبر — سبحانه — أن المسلمين أشد رهبة في صدورهم من الله <sup>(١)</sup> ، وذلك لِقَوْلِهِمْ ،  
ولمعارض قلوبهم عن الله .

قوله جل ذكره : « لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَوْمٍ مَحْصَنَةٍ »  
أو من وراء جدر بأُسُهم بينهم شديد .  
أخبر أنهم لا يحسرون على مقاتلة المسلمين إِلَّا عُثَانَةً ، أو من وراء جدران .  
ولمّا يشتد بأسهم فيا بينهم ، أى إذا حارب بعضهم بعضاً ، فأما معكم ... فلا .  
« تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » ذلك بأنهم  
قوم لا يفقهون .

اجتماع النفوس — مع تنافر القلوب واختلافها — أصل كل فساد ، وموجب كل غفائل ،  
ومقتضى تجاسر العدو .

(١) والمعنى أنهم يخافونهم يقولون : نحن نخاف الله ، ولكنكم في الحقيقة يخافون منكم خوفاً أشد من خوفهم  
من الله ، وذلك لقلة يقينهم ... الخ .

واهاق القلوب؛ والاشتراك في الميعة؛ والتساوى في التصدير يوجب كُلاًّ غفراً وكلّ سادة . . . ولا يكون ذلك للأعداء قط؛ وليس فيهم إلا اختلال كلّ حال، وانقراض كلّ شئيل .

قوله جل ذكره: «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاتُوا قَوْلِهِمْ قَرْيَةً كَمَثَلِ بَنِي قَرْيَةَ كَمَثَلِ بَنِي النَّصِيرِ»<sup>(١)</sup>؛ ذاق النصير وقال أمرهم قبل قريظة يستن<sup>(٢)</sup>؛ وذاق قريظة يندمهم ويال أمرهم .

قوله جل ذكره: «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ؛ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ» .  
أى مثلاً هؤلاء المنافقين مع النصير — في وعدهم بعضهم لبعض بالتناصر — كمثل الشيطان «إذ قال للإنسان . . .» .

وكذلك أرباب الفترة وأصحاب الزلة وأصحاب الدعاوى . . هؤلاء كلهم في درجة واحدة في هذا الباب — وإن كان بينهم تفاوت — لا تنفع صُحبَتهم في الله؛ قال تعالى: «الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»<sup>(٣)</sup> وكلّ أحد — اليوم — يَأْتِي شَكْلَهُ؛ فصاحب الدعوى إلى صاحب الدعوى، وصاحب المعنى إلى صاحب المعنى .

قوله جل ذكره: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرُوا نَفْسَهُمْ مَقَدِّمَتٍ لِنَفْسِهِمْ وَأَعِزَّ اللَّهُ لِنَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْرٌ مِمَّا يَحْسَبُونَ» .

(١) يرى النسيان: «مَشَكَّهُمْ كُلُّ أَهْلِ بَدْرٍ» (التفسير: ٤ ص ٢٤٣) .  
(٢) وكان ذلك عقب مرجع النبي (ص) من الأحزاب؛ ففي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما رجع النبي (ص) من الأحزاب، ورجع له سلاحه وانقلب إليه حويله فقال: «قد وددت أني أراهم وأراهم ما رأيت» .  
(٣) قال ابن كثير: «الْمُتَّقِينَ» . وأشار إلى معنى الآية (البقرة: ١٩٠ ص ٢٣) .  
(٤) الآية ١٧ سورة الفرقان

التقوى الأولى على ذكر العقوبة في الحال والفكر في العمل خيره وشره<sup>(١)</sup>.

والتقوى الثانية تقوى للمراقبة والمحاسبة ، ومن لا محاسبة له في أعماله ولا مراقبة له في أحواله .. فمن قريب سيفضح<sup>(٢)</sup>.

وعلامه من نظر لئله أن يحسن مراعاة يومه ؛ ولا يكون كذلك إلا إذا فكر فيما عيَّله في أمسه والناس في هذا على أقسام : مُفَكِّرٌ في أمسه : ما الذي قُسم له في الأزل؟ وآخر مُفَكِّرٌ في غده : ما الذي يلقاه ؟ وثالثٌ مُسْتَقِلٌّ بوقته فيما يلزمه في هذا الوقت فهو مُصْطَلَمٌ عن شاهده موصولٌ بربه ، مُنْذَرَجٌ في مذكوره<sup>(٣)</sup> ؛ لا يتطلعٌ للماضي والمستقبل ، فتوقيت الوقت يشبهه عن وقته<sup>(٤)</sup>.

قوله جل ذكره : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله

فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ».

تركوا طاعته فتركهم في المذاب ؛ وهو الخذلان حتى لم يتوبوا .. أولئك هم الفاسقون<sup>(٥)</sup>.

قوله جل ذكره : « لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ».

لا يستوي أهل النار مع أهل الجنة .

وأصل كل آفة نسيان الرب ، ولولا التسيان لما حصل العصيان ، والذي نسي أمر

نفسه فهو الذي لا يجتهد في تحصيل توبته ، ويُسوِّفُ فيما يلزمه به الوقت من طاعته .

(١) ويكون العبد فيها في مرحلة التنبية ( أي قبل الفكر ) : فما دام هناك وارد لغواب أو عتاب أو فكر في حاله أو حال - فهذه في منزل السالكين دون المرحلة الثانية

(٢) تفيد هذه الإشارة في توضيح الفرق في الاصطلاح بين : المراقبة والمحاسبة .

(٣) لأن أقصو درجات الذكر أن يبقى الذائر في المذكور ، وقد اعتبرنا الأوصاف أسماءً معصولة نعيماً من فناء الإرادة الإنسانية ، ويجرد العبد من كل فعل في نفسه ولتفسيه .

(٤) ولهذا يقولون : الصواب أين وقته ؛ ومعناه أنه مشغول بما هو أول به في الحال ، قائم بما هو مُتَلَذِّبٌ به في الخلق ، مستسلمٌ لما يبدؤه من الغيب من غير اختيار له . ومن ساءله الوقت فالوقت له وقت ، ومن ناكه الوقت فالوقت عليه وقت . ( الرسالة ص ٣٤ ) .

(٥) سيحود للتفسير لإتمام إشارة هذه الآية بيد الآية التالية .

قوله جل ذكره : « وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبِلٍّ لِرَأْيِنَا  
خَلْقًا مُتَعَدِّدًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ  
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَذَكَّرُونَ » .

أى لو كان للجبل عقل وصلاح ففكر وبيّر ، وأنزلنا عليه هذا القرآن تلخّص وخشّص .  
ويموز أن يكون على جهة ضرب المثل كما قال : تكاد السموات يتقطّرن منه <sup>(١)</sup> ويدل عليه  
أيضاً قوله :

« وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ : لِيَذْكُرُوا وَيَهْتَدُوا ، أَيْ بِذَلِكَ أَمْرُهُمْ ، وللتصوّد بيان  
قسوة قلوبهم عند سماع القرآن .

وقال : ليس هذا الغلط على وجه التاب معهم ، بل هو على سبيل الدح و بيان  
تخصيصه ليأثم بالقوة ؛ قال : « وَأَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جِبِلٍّ » لم يُنزل : وتلخّص — وهؤلاء  
خصّصتهم بهذه القوة حتى أطلقوا سماع خطابي <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « هُوَ اللَّهُ الْغَى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ » .

« النيب » : مالا يُعرَف بالضرورة ، ولا يُعرَف بالقياس من المعلومات <sup>(٣)</sup> . ويقال : هو  
ما استأثر الحق بعلومه ، ولم يعمل لأحد سبيلاً إليه .  
« والشهادة » : ما يَتَوَرَّفُ الخلق .  
وفى الجملة : لا يَتَرَبُّبُ عَنْ عِلْمِهِ معلوم .

(١) آية ٩٠ سورة مريم .

(٢) يتصل هذا بموسوع السماع عند الصوفية ، وقد عده السراج له فصلاً متصلاً بالسمع ، ومن أقرّاه المتصلة  
بهذه الشبهة إلى آثارها القشيري يقول السراج : ألا ترى أحسن يكون ما كنا فيترك ويظهر من التفسير والشيخ ،  
وقد يكون من هو أقوى منه ما كنا في وجهه لا يظهر منه شيء من ذلك (السمع ص ٢٧٥) ويجب الجنبه حين سئل عن  
سكوته وقلة اضطرابه عند السماع : وترى الجبال تحجبها جليدة وهي تمر مر السحاب .

(٣) أى لا يعرف بالضرورة العقلية ولا بالقياس النقل لأن النقل يستند أحكامه من الحسّات ، والنيب بعيد  
عن الحسّات ، فلا سبيل للخلق إليه يورثهم المعرفة وحدها .

قوله جل ذكره : « هو الله الذى لا إله إلا هو التليُّ  
 القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز  
 الجبار المتكبر سبحان الله عما  
 يشركون » .

التليُّ : ذو القدرة على الإيجاد .

القدوس : المنزه عن الآفة والنقص .

السلام : ذو السلامة من النقائص ، الذى يسلم على أوليائه ، والذى سلم المؤمنين من عذابه .  
 المؤمن : الذى يصدق عبده فى توحيده فيقول له : صدقت يا عبدى .

والذى يصدق نفسه فى إخباره أى يعلم أنه صادق .

ويكون بمعنى المصدق لوعده . ويكون بمعنى المخبر لبلاده بأنه يؤمنهم من عقوبته .

المهيمن : الشاهد ، ومعنى الأيمن ، وقال مؤيد ( مثنيل ) من الأمن قلبت همزته هاء  
 وهو من الأمان ، وقال بمعنى للمؤمن .

العزيز : الغالب الذى لا يُمَلَب ، والذى لا مثيل له ، والمستحق لأوصاف الجلال ،  
 وبمعنى : المميز لبلاده . والتتبع الذى لا يقلد عليه أحد .

الجبار : الذى لا تصل إليه الأيدى . أو بمعنى المصلح لأمرهم من : جبر الكسرة . أو بمعنى  
 القادر على تحصيل مراده <sup>(١)</sup> من خلقه على الوجه الذى يريد من : جبرته على الأمر وأجبرته .  
 المتكبر : المتعزز عن الآفات .

قوله جل ذكره : « هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء

الحسن يستبح له ما فى السموات والأرض  
 وهو العزيز الحكيم » .

(١) هكذا فى م ومعنى فى ص (مرات) .

هو القشبي للأعيان والآثار .

« له الأسماء الحسنى » : المسميات الحسان .

« وهو الرمز الحكيم » : مضمي منها ، وقد استقصينا الكلام في معاني هذه الأسماء

( في كتابنا المسمى : « البيان والألفة في معاني أسماء الله تعالى » )<sup>(١)</sup> .

---

(١) ما بين القوسين غير موجود في م وهو موجود في ص . وعلم أول مرة نعرف لقشيري كتاباً بهذا الاسم فلم يرد ذكره في كتب التفهيم والتراجم . وكنا نعلم حتى هذه اللحظة أن القشيري قد عالج دراسة الأسماء والصفات في كتابين فقط أولها : التحرير في التفكير تحقيق بسوي . والثاني : شرح أسماء الله الحسنى تحقيق الحلواني .

## سُورَةُ الْمَتَحَةِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » اسم ملك لا أصل لملكه عند حَدَثٍ ولا نَسَلٍ له ، فَتَنَّهُ يَرْثُ . ملك لا يَسْتَقْلَهُ بِمِيشٍ وَعَدَدٍ ، ولا يَمُزُّ بِقَوْمٍ وَعَدَدٍ . ملكٌ لِلْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> بِأَجْمَعٍ — لكنه اختار قوماً — لا ليَضِيعَ بِهِمْ — بل لِنَقِمِهِمْ ، وردَّ آخِرِينَ وَأَدْلَمَ بِمَنِّهِمْ وَوَضَعِهِمْ :

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ وَاجِدَاءِ مَرْضَايَ » <sup>(٢)</sup> .

قال صل الله عليه وسلم : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » <sup>(٣)</sup> وأوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام : « عادِ نَفْسَكَ فليس لي في الملكة مُتَارَعٌ غِيْهَا » . مَنَّ عَادَى نَفْسَهُ قَدْ قَامَ بِحَقِّ اللَّهِ ، وَمَن لَمْ يَمَادِ نَفْسَهُ لَحِقَتْهُ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ . وَأَصْلُ الْإِيمَانِ الْمَوَالَاةُ وَالْعَادَاةُ فِي اللَّهِ وَمَنْ جَنَحَ إِلَى الْكُفَارِ أَوْ إِلَى الْخَارِجِينَ عَنْ دَائِرَةِ الْإِسْلَامِ انْحَازَ إِلَى جَانِبِهِ .

(١) هكذا في م وهي المصواب أما في م فهي (الحق) وهي خطأ من النسخ .

(٢) نزلت الآية في حاطب بن أبي بلتعة الذي بعث في السر يكاتب مع امرأة يقال لها سارة ، فأنزل الله بها . ثم روي عنهم فيه من استبعاد النبي لهم والتهويل للقتال ، فوضعت الكتاب في حفاص شعرها . ونزل الله بها . ثم روي عنهم فيها بالآخر ، فأرسل في إثرها فرسانه ، فأنزلوها الكتاب منها .

وسميناهم صر رضي الله عنه بضرب عنق حاطب قال الرسول : وما يدريك يا عمر لما أتته قد طلع على أهل بدر فقال لهم : أصلو ما شئتم فقد غفرت لكم ؟ فقالت حينئذ صر : ونزلت الآية .

(٣) ينظر المصونية إلى النص على أنها عمل المملولات (الرسالة ص ٤٨) .

قوله جل ذكره : « وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أُخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ

وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ

السَّبِيلِ » .

أنا أعلم « بما أخفيتم » من دقائق التصنع وخفيات الرءاء .

« وما أعلنتم » من التزيين للناس .

« ما أخفيتم » من الاستمرار بالزفة ، « وما أعلنتم » ، من الطاعة والبر .

« ما أخفيتم » من الخيانة « وما أعلنتم » من الأمانة .

« ما أخفيتم » من التلئب والنش للناس ، « وما أعلنتم » من القضيحة للناس .

« ما أخفيتم » من ارتكاب المحظورات ، « وما أعلنتم » من الأمر بالمعروف .

« ما أخفيتم » من ترك الحشمة منى وقلة المبالاة باطلاعى ، وما أعلنتم من تعليم

الناس وعظمتهم .

« ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السبيل » قد ساد عن طريق الدين ، ووقع

في الكفر .

قوله جل ذكره : « إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ

وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمُ

بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ \* نَنْتَفَعُكُمْ

أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ » .

إِنْ يَتَّقُوا بِكُمْ وَصَادَفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ ، وَلَنْ تَسْلَمُوا مِنْ أَيْدِيهِمْ بِالسُّوءِ وَلَا مِنْ

أَلْسِنَتِهِمْ بِالْمُذْمَرِ .

« وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ » : وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ تَوَدُّدُكُمْ وَتَهَرُّبُكُمْ إِلَيْهِمْ ، وَلَا مَا يَنْتَفِعُكُمْ

وَيَنْتَفِعُ مِنْ الْأَرْحَامِ . ثُمَّ عَقُوبَةُ الْآخِرَةِ تَذَرِكُكُمْ <sup>(١)</sup> .

(١) لأنكم حينئذ تكونون قد أنتم قرآنكم بأفعالكم على حقوق الله .



وكذلك صفة الخائف ، ولا ينبغي للمرء أن يسطش إلى عشيرته — وإن دأبته في طاعة ،  
ولا أن يمتدح بغيرهما — وإن لا يفتنه في حلة

قوله جل ذكره : « قد كانت لكم أسوة حسنة في

إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا

بركاه منكم وما يتبذرون من دون الله ،

كفرنا بكم ، وبذا بيننا وبينكم

العداوة والبنضاء أبداً حتى تؤمنوا

بالله وحده . إنا قول إبراهيم لأبيه

لأستغفرنَّ لك وما أملكُ لك من

الله شيء » .

أي لكم قدوة حسنة بإبراهيم ومن قبله من الأنبياء حيث تبرؤوا من الكفار من أقوامهم ؛

فالتدوا بهم .. إنا استغفار إبراهيم لأبيه — وهو كافر — فلا تفتوا به .

ولا تستغفروا للكفار . وكان إبراهيم قد وعده أبوه أنه يؤمن فذلك كان يستغفر له ،

فلم يتبين له أنه لن يؤمن تبرأ منه

ويقال : كان منافقاً .. ولم يستلم إبراهيم ذلك وقت استغفاره له .

ويقال : يجوز أنه لم يعلم في ذلك الوقت أن الله لا يفر للكفار .

والقائمة في هذه الآية تخفيف الأمر على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بغيرهم

أن من كانوا قبلهم حين كذبوا بأنبيائهم أهلهم الله ، وأنهم صبروا ، وأنه ينبغي لذلك

أن يكون بالصبر أمرهم .

قوله جل ذكره : « ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا

وإليك المصير » .

أخبر أنهم قالوا ذلك .

ويصح أن يكون مثله : قولوا : « ربنا عليك توكلنا » .

وقد مضى القول في معنى التوكل والإجابة .

قوله جل ذكره : « رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا  
وَاعْتِزْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ » .

رَبَّنَا لَا تُخْلِفْ عَمْدَنَا ، وَلَا تُؤْمِرْهُمْ عَلَيْنَا .

والإشارة في الآية : إلى الأمرِ بِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِي السَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ وَالْإِخْلَاصِ وَالصِّدْقِ  
وَالْعَصْرِ وَكُلِّ خُصْلَةٍ لَهُ ذَكَرَهَا لَنَا .

قوله جل ذكره : « عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ  
كَذَبْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وقههم في مقتضى قوله تعالى : « عَسَى اللَّهُ » عند حدِّ التجاوز . . لَا حُكْمًا بِالْقَطْعِ ،  
وَلَا دَفْعَ قَلْبٍ بِالْأَسْ . . ثُمَّ أَمَرَهُم بِالْاِقْتِصَادِ فِي الْمَلَاوَةِ وَالْوَلَايَةِ مَعَهُمْ بِعَقْلِهِمْ ، وَعَرَفَهُمْ  
بَوُقُوعِ الْأَمْرِ حَسَبَ قَدِيرِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَجَرَّيَانِ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مَا يَرِيدُ لَهُمْ ، وَصَدَّقَ هَذِهِ التَّرْجِيهَ  
بِلَاغِيَانِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، وَكَيْفَ أَسْلَمَ كَثِيرُونَ ، وَحَصَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ  
مَوَدَّةٌ أَكِيدَةُ .

قوله جل ذكره : « لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ  
فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ  
تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْقَاسِطِينَ » إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ  
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ  
وَنَظَّاهِرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ  
تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ  
الظَّالِمُونَ » .

وَأَمَّا مَنْ كَانَ فِيهِمْ ذَا خُلُقٍ حَسَنٍ ،  
مُسْلِمًا أَوْ كَافِرًا ، فَالْإِسْلَامُ وَالْإِسْلَامُ

أو كان منه المسلمين وجهه ففزع أو رفق - فقد أترحم باللائنة منه . وللوقت طويهم شاهد  
لهذه الجلة ، فإن الله يحب الرقيق في جميع الأمور<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ  
لِلزَّيْنَتِ مَهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ إِنَّ اللَّهَ  
أَعْلَمُ بِإِعْلَانِكُمْ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ  
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ..... » .

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهن باليمين ، فيحلفن لهن لم يخرجن إلا لله ، ولم يخرجن  
مناطة لأزواجهن ، ولم يخرجن طمعا في مال .

وفي الجلة : الامتحان طريق إلى المعرفة ، وجواهر<sup>(٢)</sup> الناس قبيح التجربة<sup>(٣)</sup> . ومن أقدم  
على شيء من غير تجربة تمسك كأس الندم .

« وَلَا تُنْكِحُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ »<sup>(٤)</sup> .

لا توافقوا من خاف الحق في قليل أو كثير .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ  
يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا  
وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ  
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ  
أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَفْعِلْنَ فِي  
مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ  
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

(١) قال عبد الله عليه وسلم : « إن الله رقيق يحب الرقيق ، يمدح على الرقيق مالا يعطى على العتق » .

(٢) مطلقا في صيغة الجمع ثم في زوجة واحدة وهي تعادل النسخ .

(٣) من كان في عيبه من غير أن يكون في عيبه .

(٤) الكافر من كفر بالله أو نكح ما حرم الله عليه .

والزنا من زنا مع ما حرم الله عليه .

إذا جأك النساء يباينك على الإسلام فطالين وشارطن بهذه الأشياء :

ترك الشرك ، وترك السرقة والزنا وقتل الأولاد والافتراء في إلحاق النفس ،  
وألا يصميك في معروف ؛ فلا يخالفك فيما تأمرهن به ، ويدخل في ذلك ترك النياحة وشق  
الجيوب وتنف الشعر عند المصيبة وتحنيش<sup>(١)</sup> الوجوه والتبرج وإظهار الزينة . . . وغير ذلك  
عما هو من شائر الدين في الجملة .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا  
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوا مِنَ الْآخِرَةِ  
كَأَنَّهُمْ الْكَفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ  
الْقُبُورِ » .

الذين غضب الله عليهم هم الكفار . يسوا من الآخرة كأئس أصحاب القبور أن يعودوا  
إلى الدنيا ويؤمنوا ( بعد ما تبينوا سوء منقلبهم ) .

وقال : كأئس الكفار حين اعتقدوا أن الخلق لا يبعثون في القيامة<sup>(٢)</sup> .

(١) خشر . أي جرح بشرته .

(٢) هكذا في م وهي في س ( الآخرة ) وكلامها صحيح في السياق .

## سُورَةُ الصَّاف

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمة مِنْ وَحْيِ اللَّهِ لِرَفَائِهَا لَمْ يَصْغُرْ عَنْ ذِكْرِهَا بِلسَانِهِ ثُمَّ لَا يَقْتَرِحُ حَقَّ يَصِلُ إِلَى اللُّسُوسِ بِهَا مِجْنَانَهُ : فِي الْبَدَايَةِ بِتَأْمُلِ بَرَاهِنِهِ لِمَعْرِفَةِ سُلْطَانِهِ ، ثُمَّ لَا يَزَالُ يَزِيدُهُ فِي إِحْسَانِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ فِي شَأْنِهِ بِالتَّصَقُّقِ بِمَا هُوَ كَمِيَانُهُ .

قوله جل ذكره : « سَبِّحْهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِفُوهُ تَبَيُّهُهُ فَلْيُصِفْ قَلْبَهُ مِنْ آثَارِ نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِفُوهُ فِي الْجَنَّةِ عَيْشُهُ فَلْيُصِفْ مِنْ أَوْضَارِ ذَنْبِهِ نَفْسَهُ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ

مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ

أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ » .

جاء في التفسير أنهم قالوا : لو عَلِمْنَا مَا فِيهِ رِضَا اللَّهِ لَفَعَلْنَا وَلَوْ فِيهِ كُلُّ جُهدٍ . . ثُمَّ لِمَا كَانَ يَوْمٌ أَحَدٌ لَمْ يُبْتَغُوا ، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْمَتَلَبِ <sup>(١)</sup> .

وَفِي الْجُمْلَةِ : خَلْفُ الْوَعْدِ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ ، وَمَعَ اللَّهِ أَقْبَحُ .

وَيَقَالُ لِإِظْهَارِ التَّجَلُّدِ مِنْ غَيْرِ شُهُودِ مَوَاضِعِ التَّقَرُّ إِلَى الْحَقِّ فِي كُلِّ نَفْسٍ يُؤْذَنُ بِالْبَقَاءِ عَمَّا حَصَلَ بِالْهَوَى <sup>(٢)</sup> . . . وَاللَّهُ يُحِبُّ الْتَّيْبَرِيَّ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ .

(١) قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ : لَمَّا أُعْبِرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ (ص) بِثَوَابِ شَهَادَةٍ بِدَرِّ قَالِ بِمَعْنَى الصَّحَابَةِ : الْقَهْمُ اشْتِدَادُ لُحْنِ لِقِينَا فَتَلَا تَسْتَفْرِشْنَ فِيهِ وَسَمِعَتْ . . فَقَرُّوا يَوْمَ أُحُدٍ ، فَعَبَّرَ بِهِمْ اللَّهُ بِذَلِكَ .  
(٢) أَيْ بِهَوَى النَّفْسِ ؛ تَحْوِيلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ لَهُ فِي الْأَمْرِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَتَبَيَّرَهُ هَوَالِي مَكْنَى لَهُ .

وقال : لم يتوعد — سبحانه — زَقَرٌ بِمَثَلِ مَا عَلَى هَذَا حِينَ قَالَ : « كَبُرَ مَقَاتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَصْلُحُونَ » (١) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُفْيَأُونَ مَرْصُومًا » .

الحبة توجبُ الإثارة ، وتهدمُ مَرَادَ حبيبتك عَلَى مَرَادِ نَفْسِكَ ، وتقدمُ محبوب حبيبتك عَلَى محبوبِ نَفْسِكَ . فإِذَا كَانَ الْحَقُّ تَعَالَى يُحِبُّ مِنَ الْعَبْدِ أَنْ يُقَاتِلَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرَهُ فَكُنْ لَمْ يُؤْتَرْ مَحْبُوبٌ أَفْزَعٌ عَلَى مَحْبُوبِ نَفْسِهِ — أَيْ عَلَى سَلَامَتِهِ — انْصَلَحَ مِنْ مَحَبَّةِ لَرَبِّهِ ، وَمَنْ خَلَا مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَقَعَ فِي الشَّقِّ الْآخِرِ ، فِي خُسْرَانِهِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِغُلَامِكُمْ أَنْ تَبْتَاعُوا بِأَنفُسِهِمْ آلِهَةً لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا قُلُوا لَهُمْ عَسَىٰ أُنْتَبِهُوا » .

لَمَّا زَاغُوا بِتَرْكِ الْحَدِّ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِنَفْضِ الْمَهْدِ .  
ويقال : لَمَّا زَاغُوا عَنْ طَرِيقِ الرُّشْدِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِالْصَدِّ وَالرَّدِّ وَالْبُغْضِ مِنَ الْوُدِّ .  
ويقال : لَمَّا زَاغُوا بظواهرهم أَزَاغَ اللَّهُ سِرَاطَهُمْ .  
ويقال : لَمَّا زَاغُوا عَنْ خِدْمَةِ الْبَابِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ التَّشَوُّقِ إِلَى الْبَسَاطِ .  
ويقال : لَمَّا زَاغُوا عَنِ الْمَعَادَةِ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الْإِرَادَةِ .

قوله جل ذكره : « وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي » .

(١) عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : « أَنْتَبِهُ لَيْلَةَ أُسْرَى . يَأْتِي عَلَى قَوْمٍ يُقَرَّبُونَ شِعَابَهُمْ شِعَابًا . يَسْأَلُونَ مِنْ مَالِكِي . أَسْأَلُ عَنْهُمْ ( = تَحْتَ وَمَالِكِي ) قُلْتُ : « هَلْ هَلَاكٌ فِي جَبْرِيلَ ؟ » قَالَ : « هَلَاكٌ عَظِيمٌ . أَسْأَلُكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَدْرُونَ . كَتَبَ اللَّهُ وَلَا يَمْلِكُونَ » . (ابن نعيم من حديث مالك بن دينار عن جماعة )

اسمُهُ - أَحَدٌ ، قَلْبًا جَاعِمٌ بِالْبَيْنَاتِ قَالُوا  
هَذَا سِحْرٌ مَبِينٌ .

بَشَّرَ كُلُّ نَبِيٍّ قَوْمَهُ بِنَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم ، وأَفَرَدَ اللهُ - سبحانه - عيسى بالذِّكْرِ  
في هذا الموضع لأنه آخِرُ نَبِيٍّ قَبْلَ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وسلم : فَيَبِّينُ بذلك أن البشارة به عَمَّتْ  
جميع الأنبياء واحدًا بعد واحد حتى انتهت بعيسى عليه السلام .

قوله جل ذكره : « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ  
بَأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ » (١) .

فَمَنْ احْتَالَ لَوْنَهُ ، أَوْ رَامَ وَهْيَهُ انْكَسَ عَلَيْهِ كَيْدُهُ ، وَاتَّقِضَ عَلَيْهِ تَدْيِيرُهُ .  
« وَيَأْتِي اللهُ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ نُورُهُ » : كَمَا قَالُوا :

وَقَدْ سِرُّ فِي عُلَاهُ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْمِدَى ضَرْبٌ مِنَ الْمَذْبَانِ  
كَأَنَّهُ قَالَ : مَنْ تَمَيَّ أَنْ يُطْفِئَ نُورَ الْإِسْلَامِ بِكَيْدِهِ كَمَنْ يَحْتَالُ وَيَزَاوِلُ إِطْفَاءَ شَمَاعِ  
الشَّمْسِ بِفَتْهٍ وَنَفْخَةٍ فِيهِ - وَذَلِكَ مِنَ الْحَالِ .

قوله جل ذكره : « هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى  
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ  
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » .

لَمَّا تَجَاعَدَ قَوْمُهُ عَنْ نَصْرَتِهِ ، وَانْزَعَرُوا أَعْلَاؤَهُ لِمُكَذِّبِهِ ، وَجَعَلُوا مَا شَاهَدُوهُ مِنْ صِدْقِهِ  
قَيْصَرًا لَهْ أَنْصَارًا مِنْ أُمَّتِهِمْ : نَزَاعُ الْقِبَالِ ، وَالْأَحَادُ الْأَفْضَلُ ، وَالسَّادَاتُ الْأَمَامِلُ ، وَأَفْرَادُ  
الْمَنَاقِبِ - فَبَذَلُوا فِي إِطَاعَتِهِ وَتَهْمَرَةِ دِينِهِ مُهْجَتَهُمْ ، وَلَمْ يُؤْثِرُوا عَلَيْهِ شَيْئًا مِنْ كِرَامَتِهِمْ ، وَوَقَّوهُ

(١) حَتَّى صَلاَءَ مِنْ ابْنِ مَبَاسَ : أَنَّ الْوَحْيَ جَاءَ أَبْلَغًا عَلَى رَسُولِ اللهِ (ص) أَرْبَعِينَ يَوْمًا قَالَ كَبَّابُ بْنُ الْأَشْرَفِ :  
يَا مَسْمُورُ الْيَهُودِ : أَبْشِرُوا ! فَقَدْ أَطْفَأَ اللهُ نُورَ مُحَمَّدٍ كَمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ ، وَمَا كَانَ لَيْمَ أَرَاهُ ؛ فَخَرَنَ النَّبِيَّ (ص) -  
فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْآيَةَ وَاتَّصَلَ الْوَحْيُ بِهَذَا .

بأرواحهم ، ( وأمدكم الله سبحانه جوفيته كي ينصروا دينه ، أولئك أقوامٌ عَصَى اللهُ  
بجاء الصلاة طينتهم ، وخلق من نور التوحيد أرواحهم <sup>(١)</sup> ) وأهلهم يوم القيامة للسيادة على  
أضرابهم .

وقد أرسل الله نبيه لدينه مَوْضِعًا ، وخلق مَنَصِحًا ، ولتوحيدهم مَعْلِنًا ، ولجهده  
في الدماء إليه مستغْرغًا . . . فَأَقْرَعَ بِنُصْحِهِ قُلُوبًا نُكِرًا ، وَبَعَثَ بِنُورِ تَبْلِيغِهِ عِيُونًا  
مُحْيَا .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى

تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \*  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ  
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

تَمَيَّ الْإِيمَانُ وَالْجِهَادُ تِجَارَةً لِنَا فِي التَّجَارَةِ مِنَ الرَّيْحِ وَالْخُسْرَانِ وَنَوْعِ تَكْسِبٍ مِنَ  
التَّاجِرِ — وَكَذَلِكَ : فِي الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ رِيحُ الْجَنَّةِ وَفِي ذَلِكَ يَجْتَدِ الْعَبْدُ ، وَخُسْرَانُهَا إِنْ كَانَ  
الْأَمْرُ بِالضَّدِّ .

وقوله : « تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ . . . » أَى فِي ذَلِكَ جِهَادُكُمْ وَإِيمَانُكُمْ وَاجْتِهَادُكُمْ ، وَهُوَ  
خَيْرٌ لَكُمْ .

ثُمَّ يَبَيِّنُ الرِّيحَ عَلَى تِلْكَ التَّجَارَةِ مَا هُوَ قَال :

« يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ  
جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

(١) حـا بين القوسين ورد في م ومقط في ص .



ومساكن طيبة في جنات عدن ذلّة  
الغزو العظيم .

قدم ذكر أهم الأشياء — وهو النفرة . ثم إذا فرغت القلوب عن النقوبة قال :  
« ويدخلكم جنات ... » فيبدأ ما ذكر الجنة ونعيمها قال : « ومساكن طيبة » :  
وبما نال عليه تلك المساكن ؟ لا طلب إلا برؤية الحق سبحانه ، ولذلك قالوا :

أجبرنا ما أوحى النارَ بدمكم إذا غيبتوها ونحن حضوراً  
نحن في أكل السرور ولكن ليس إلا بكم يوم السرور  
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي أنكم غيبٌ ونحن حضور  
قوله جل ذكره : « وأخرى نجحونها نصر من الله  
وفتح قريب وبشر المؤمنين » .

أى ولكم نعمة أخرى نجحونها : نصر من الله ؛ اليوم حفظ الإيمان وتثبيت الأقدام  
على صراط الاستقامة ، وغداً على صراط القِيامة .

« وفتح قريب » : الرؤية والزفة . وقال الشهود . وقال : الوجود <sup>(١)</sup> أبداً الأبد .

« وبشر المؤمنين » : بأنهم لا يتفوتون عليك في هذا التواصل .

قوله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصاراً لله »

كما قال عيسى : « أين مريم للحواريين  
من أنصارى إلى الله ؟ قال  
الحواريون : نحن أنصار الله فأمنت

---

(١) لفظة (الوجود) بالمعنى المسمى مقبولة هنا ، ولكننا في ذات الوقت لا نستبعد أن تكون (الخلود)  
إشارة إلى قوله تعالى : « خالدين فيها أبداً » .

طائفة من بني إسرائيل وكفرت  
طائفة فأيدتنا الذين آمنوا على عدوهم  
فأصبحوا ظاهرين» .

أى كونوا أنصاراً لدينه ورسوله كما أن عيسى لنا استمناً واستنصرَ الحواريين نصره ..  
فانصروا محمداً إذا استنصركم .  
ثم أخبر أن طائفة من بني إسرائيل آمنوا ببيسى فأكرموا ، وطائفة كفروا فأذلوا ،  
وأغترَّ أوليائه على أعدائه ... لكن يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه يُظفرُ  
أوليائه على أعدائه .

## سُورَةُ الْجُمُعَةِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسم عزيز إذا تَجَلَّى لِقَلْبٍ عَتِيدٍ بوصفِ جلالِهِ تَجَمَّعتْ أَفْكَارُهُ على بساطِ جُودِهِ فلم يَفْرُقْ بسواه <sup>(١)</sup> .

وَمَنْ تَجَلَّى لِسِرِّهِ بَنعتْ جلالُهُ اندرَجَتْ جِلَّتُهُ ، واسْتَهْلِكَ في وجودِهِ فلم يَشْمَرْ بِكَرَامِهِ دُنْيَاهُ ولا بظُلُمِ عُقْبَاهُ ..

وَكَمْ لَهُ مِنْ إِحْسَانٍ ! وَكَمْ لَهُ مِنْ أَمْتَالِمِ : « جَرَى الْوَادِي ضَلَمٌ عَلَى الْقَرَى » <sup>(٢)</sup>  
قوله جل ذكره : « يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ » .

تَسْبِيحٌ في عَمَارٍ توحيدِ الخلقِ أسرارُ أهلِ التحقيق ، وَجَعَرُم بلا شاعلي ؛ فَبَد ما حصلوا فيها فلا خروجَ ولا براحَ ، فَخَازَتْ أَيْدِيهِمْ جِوَاهِرَ التَّفْرِيدِ فَرَصَمُوا فِي تاجِ العرفانِ كِي يَكْبِسُوهُ يَوْمَ الْقَاءِ .

« السَّلَكِ التَّقْدُوسِ الْبَزِيرِ الْحَكِيمِ » .

« لِلَّهِ » : الْمَلِكُ لِلْفَرْدِ بِاسْتِحْقَاقِ الْجَبْرُوتِ .

« التَّقْدُوسِ » : الْمُنَزَّهٌ عَنِ الدَّرَكِ وَالرَّصُولِ : فَلَيْسَ يَدُ الْخَلْقِ إِلَّا عِرْفَانُ الْحَقَائِقِ بَنعتِ التَّصَالِي ، وَالتَّأَمُّلُ فِي شُهُودِ أَضْلَاهُ ، فَأَمَّا الْوُقُوفُ عَلَى حَقِيقَةِ أَثْنَيْتِهِ — فَتَدَجَّلَتْ الصِّدْقَةُ عَنْ

(١) لاحذ عنا مئة استعمال الاصطلاحين (الجمع والفرق) .

(٢) الْقَرَى = مجرى الماء في الروضة والجمع : أقرية وأقراومقران ، ويضرب للثل عند تجاوز الشيء حده .

إشرافه عليه ، أو طمع إدارته في حال رؤيته ، أو جواز إحاطة في العلم . . . فليس إلا قلة  
بلائه مُسْتَنْقِ ، وحالة بشهود حقٍ مستغرق (١) :

وَقُلْنَا لَنَا : نَحْمَسُ الْأَهْلَةَ إِنَّمَا نَفْضِي لَيْسَ يَسْرَى بَلِيلٌ وَلَا تَحْرَى (٢)

قوله جلد كره : « هو الذي يَسَّ في الأئمة رسولا منهم

يَطْرَأ عليهم آياته وَيَزْكِيهم وَيُكَلِّمهم

الكتاب والحكمة وإن كانوا من

قَبْلُ أَنِي ضَلُّوا مِين » .

جرمهم عن كل تكلفٍ لِيَتَمَلَّمْ ، وعن الأوصافِ بِطَلَبٍ (٣) . ثم يَسَّه فيهم وأظهر  
عليه من الأوصاف ما قلَّ الجميع .

فكما أَيْتَمَّه في الاجتهاد عن أبيه وأمه ، ثم آوَاه بِلُغْتِهِ - وكان ذلك المبلغ وأتم - فإنه  
كذلك أفردَه عن تكلفِ العلم - ولكن قال : « وَعَلَيْكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَم » (٤) .

وقال : « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا » (٥) أبسه لئلا

الْبُزَّة ، وتَوَجَّه بطبع الكرامة ، وَخَلَّجَ عليه حُسْنَ التَّوَلَّى . . لتكون آثار البشرية عنه  
متدرجة (٦) ، وأَنوارُ الحقائق عليه لائحة .

وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَنَا يَعْلَمُوا بِهِمْ وهو

الْفَرْزُ الْحَكِيمُ » .

(١) هذه الفقرة التي كتبها القسيري عن (الكنوز) على جانب كبير من الأهمية ، إذ هي توضح : أن الصوفي  
مهما لو وقع في معراج الروحي لا يستشرف من (الذات) تفهيمات الصاعدة عن ذلك ، وإنما هو يتحقق من جهود  
(القل) .. ولا شك أن أهل السنة المقلدين سيجدون في هذا النص ما يظنهم نحو التصوف وأهله .

(٢) أي ولا تستعيف .. والمقصود أن السالكين طريق الله دائماً على الحرب سائرُونَ وَأَن الحق سبحانه  
لا يخوف على كتبه .

(٣) حتى ينفذ عنه سوء الظن في تعلمه شيئاً من الكتب السابقة ، وأن ما يدمر إليه ثمرة قرائته .

(٤) آية ١١٢ سورة النساء .

(٥) آية ٥٢ سورة الشورى .

(٦) هي حكايا في من وى م مشبهة ، والمقصود لتطوى عنه آثار البشرية - لا البشرية نفسها - وتلوح  
عليه أنوار الحقائق.

أى بَيْتَهُ فِي الْأَمِينِ ، وَفِي آخِرِينَ مِنْهُمْ وَهِيَ الْمَجْمُوعَةُ ، وَمِنْ يَأْتِي ١٠٠ إِلَى يَوْمِ التَّيْلَةِ ؛ فَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَبْعُوثٌ إِلَى النَّاسِ كَأَنَّهُ .

قوله جل ذكره : « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ »  
والله ذو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

يقصد به هنا النبوة ، يُؤْتِيهَا « مَنْ يَشَاءُ » ؛ وَفِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ : إِنَّهَا تُنْصَحُ لِكثَرَةِ طَاعَةِ الرَّسُولِ — وَرَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ : إِنَّهَا لَتُخَصِّمُهُمْ بِطَيْبَتِهِمْ ؛ فَالْفَضْلُ مَا لَا يَكُونُ مُسْتَحَقًّا ، وَالْإِسْتِحْقَاقُ قَرَضٌ (١) لَا فَضْلَ .

وَيَقَالُ : « فَضْلُ اللَّهِ » هَذَا هُوَ التَّوْفِيقُ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ .

وَيَقَالُ : هُوَ الْأَنْسُ بِاللَّهِ ، وَالْمَبْدُ يَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ إِذَا وَجِدَ الْأَنْسَ .

وَيَقَالُ : قَطَعَ الْأَسْبَابَ ، — بِالْجَلَّةِ — فِي اسْتِحْقَاقِ الْفَضْلِ ، إِذَا أَحَالَهُ عَلَى الشَّيْءِ .

قوله جل ذكره : « مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا بِالتَّوْرَةِ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا »  
يَنْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ .

« ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا » : ثُمَّ لَمْ يَسْلُكُوا بِهَا .

وَيُلْحَقُ بِهِؤْلَاءَ (٢) فِي الْوَعِيدِ — مِنْ حَيْثُ الْإِشَارَةُ — لِلْوَسْوَاسِ (٣) بِالتَّحْلِيلِ فِي أَيْ

(١) حَكَاهُ فِي مِصْبَحِي فِي مِ (فَرْدٍ) وَهِيَ خَطَأٌ فِي التَّنْخِصِ ؛ إِذَا الْقِسْمُ أَنَّهُ مِنْهُ الْإِسْتِحْقَاقُ فَضْلًا مِنْهُ لَا (فَرْدًا) عَلَيْهِ ؛ فَلَا وَجُوبَ عَلَى اللَّهِ — كَمَا نَعْرِفُ مِنْ مَطْلَبِ التَّخْشِيرِ .

(٢) أَيْ بِالْهُدَى الَّذِينَ لَا فَائِلَةَ لَهُمْ شَيْئًا يَحْمِلُوهَا مِنَ الْكُتُبِ ، نَحْنُ نَبِيْرُ مُحَمَّدٍ ، وَهُمْ يَحْمِلُونَ بِهِ .

(٣) حَكَاهُ فِي مِصْبَحِي فِي مِ (الْمُؤْمِنُونَ) .

معنى شئت : في علم الأصول ، وبما طريقه أدلة القول ، وفي هذه الطريقة (١) بما طريقه للنازلات .

قوله جل ذكره : « قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا (٢) إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَقَاتُوا لِلْوَيْلِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ • وَلَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ » .

هذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم ، فَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ عَنْ تَمَنَّى الْمَوْتِ إِلَى هَذِهِ اللَّذَّةِ دَلٌّ عَلَى صِدْقِهِ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ (٣) .

ويقال : من علامات المحبة الاشتياق إلى المحبوب ؛ فإذا كان لَا يَصِلُ إِلَى قَاتِهِ إِلَّا بِالْمَوْتِ فَتَمَنَّى — لَا محالة — شرطاً ، فَأَخْبِرَ أَنَّهُمْ لَا يَمْنُونَهُ أَبَدًا . . . . . وَكَانَ كَمَا أَخْبَر .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنْ بِالْوَيْلِ الَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

الْمَوْتُ حَتْمٌ مَقْضِيٌّ . وفي الخبر : « مَنْ كَرِهَ قِتَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ قِتَاءَهُ » . وَالْمَوْتُ جِزْرٌ وَالْقَصْدُ عِنْدَ اللَّهِ . . . . . وَمَنْ لَمْ يَعْشَ عَقِيقًا فَلَيْمَتْ طَرِيقًا (٤) .

(١) بقصد طريقة الصوفية .  
(٢) أعطى التبليغ في م وجعلها (آتوا) .  
(٣) والآية تؤكد هذا مرتين باستعمال أسلوب إنشائي ( فتقَاتُوا ) وأسلوب خبري ( ولا يَمْنُونَهُ أَبَدًا ) .  
(٤) مثل الجنينة عن الطرف فقال : « اجتناب كل محقق ديني واستعمال كل خلق سنيي » وأن تعمل به ثم لا ترى أنك حملت « (البحر السراج ص ٩٦٢) .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ

مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

أَوْجِبَ السَّعْيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا ، وَأَمَرَ بِتَرْكِ الْبَيْعِ (١) .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ عَلَى الظَّاهِرِ ؛ أَيْ تَرْكُ الْعَمَلَةِ مَعَ الْخَلْقِ (٢) ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ عَلَيْهِ وَعَلَى

مَعْنَى آخَرٍ : هُوَ تَرْكُ الْأَشْغَالِ بِمُلَاحَظَةِ الْأَعْرَاضِ (٣) ، وَالتَّنَاسُ مِنْ جَمِيعِ الْأَعْرَاضِ إِلَّا مَعَاقِدَ

الْأُمُورِ ؛ فَفَهُمْ مَنْ يَسَى إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسَى إِلَى اللَّهِ ، بَلْ يَسُونَ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

جَهْرًا يَجْهَرُ ، وَيَسُونَ إِلَى اللَّهِ تَالِي سِرًّا بِسِرٍّ .

قوله جل ذكره : « فَلِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْشَرُوا

فِي الْأَرْضِ وَأَجْنُوا مِنْ قُضْلِ اللَّهِ

وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

إِنَّمَا يَنْصَرَفُ مَنْ كَانَ لَهُ بَيْعٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، أَوْ شَقْلٌ يَقْصِدُهُ وَيَشْتَلُّ بِهِ — وَلَكِنْ ..

مَنْ لَا شَقْلَ لَهُ وَلَا مَأْوَى .. فَلَيْلَ أَيْنَ يَرْجِعُ ؟ وَإِنَّمَا يُقَالُ : « وَاجْتَنُوا مِنْ قُضْلِ اللَّهِ » إِذَا كَانَ

لَهُ أَرْبَبٌ .. فَأَمَّا مَنْ سَكَنَ عَنِ الْمَطَالِبَاتِ ، وَكَفَى دَاءَ الطَّلَبِ .. فَالَهُ وَاجْتِنَاءُ مَا لَيْسَ

بِرَبِّدِهِ وَلَا هَوًى فِي رِقَّةٍ ۱۹

قوله جل ذكره : « وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا مُغْضُوا

إِلَيْهَا وَتَرَكُوا قُلُوبَهُمْ شَاظِمًا .. قُلُوبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ

(١) مَكَلَّفًا فِي مَنْ وَجَّهَ لِقَابِهَا حَسَبَ الْآيَةِ ، وَلَكِنَّا فِي مِ (الْمَجْمُوعِ) .

(٢) مَكَلَّفًا فِي مَنْ وَجَّهَ فِي مِ (الْحَقِّ) وَجَّهَ عَطَا فِي التَّسْعِ .

(٣) جَمِيعِ (صَرَخَ) الْحَيَاةِ الْهَدَنِيَا .

خَيْرٌ مِنَ الْفُتُورِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ  
الرَّازِقِينَ .

مَنْ أَسْرَهُ أَخْطَرُ الْأَشْيَاءِ اسْتَجْلِبَ لِكُلِّ دَائِعٍ جَرَّهُ إِلَيْهِ لَهْوٌ أَوْ حَقْلٌ عَلَيْهِ سَهْوٌ  
وَمَنْ مَلَكَهُ سُلْطَانُ الْحَقِيقَةِ لَمْ يَتَعَرَفْ عَنِ الْحُضُورِ ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ فِي حَالِ الشُّهُودِ . « قُلْ مَا عِنْدَ  
اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الْفُتُورِ وَمِنَ التَّجَارَةِ » وَمَا عِنْدَ اللَّهِ لِلْمُبَادِ وَالزُّهَادِ — غَدًا (١) — خَيْرٌ مِمَّا (٢) نَالُوهُ  
فِي الدُّنْيَا قَدْ . وَمَا عِنْدَ اللَّهِ لِلْمَارْفِقِينَ — قَدْ . — مِنْ وَارِدَاتِ التَّلَوُّبِ وَبَوَادِهِ (٣) الْحَقِيقَةِ خَيْرٌ  
مِمَّا يُؤَمِّكِلُ الْمُسْتَغْنَى (٤) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

---

(١) ويجوز أنها في الأصل « غدا » لتقابل « قَدْ » فهذا نجد في تعبير التشيخي مألوف ، ومع ذلك فالوجه  
(غدا) .

(٢) هكذا في ص وهي في م (من) والصواب (ما)

(٣) البوادة ما يقع قلبك من اللب على سبيل الوعدة ، وهي إما موجبات فرح أو موجبات ترح ، ومادات  
الوقت لا تغيرهم البوادة ، لأنهم فوق ما يفيقون حالاً وقوة (الرسالة - ص ٤٤) .

(٤) موجودة في ص وغير موجودة في م وهي ضرورية لسياق ، والمستأنف : هو المرید المبتلى الذي ما زال  
يفكر في الثواب الآجل والثواب الآجل .



## سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » اسم من تحقق به صدق في أقواله ، ثم صدق في أعماله ، ثم صدق في أخلاقه  
ثم صدق في أحواله ، ثم صدق في أخلاقه (١) .. فصدقه في القول ألا يقول إلا عن برهان ،  
وصدقه في العمل ألا يكون للبدعة عليه سلطان ، وصدقه في الأخلاق ألا يلاحظ إحسانه  
مع الكفاية بين التفتان ، وصدقه في الأحوال أن يكون على كشف وبيان ، وصدقه في الأنفاس  
ألا يفتن إلا على وجود كالبيان (٢) .

قوله جل ذكره : « إنا جاءك المنافقون قالوا : نشهد  
إناك رسول الله ، والله يعلم إناك  
لرسوله والله يشهد إن المنافقين  
لكاذبون » .

كذبهم فيها قالوا وأظهروا ، ولكنهم لم يشهدوا عن بصيرة ولم ينفذوا صدقك ، فهم لم  
يكذبوا في الشهادة (٣) ولكن كذبهم في قولهم : إنا هم مخلصون لك ، مُصدّقون لك .  
فصدّق الله لا ينزع مع قبح الحجة .

(١) حكاه في من وحى في م (النامية) والصاب ما أبحثا بدليل ما ينفذ .

(٢) لاحظ هنا كيف تنفق إشارة البسطة مع السهولة العام للسورة .

(٣) أنه تقريرهم بأن محمداً رسول الله حقيقة ليس فيها كذب ، فمن حيث الظاهر قد تنقلت أنتم بالصدق ،  
ولكن الكلاب كامن في القلب .

ويقال : الإيمان ما يوجبُ الأمان ؛ فالإيمانُ يوجبُ المؤمن إذا كان عاصياً خلاصه من العذاب أكثره وأقله .. إلا ما يثقله من (أعلى) (١) جهنم إلى أسفلها .

قوله جل ذكره : « اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا

عن سبيلِ اللَّهِ فَهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

تَسْتَرُّوا بِأَيْمَانِهِمْ ، وَتَكْشِفُوا بِضَاقِهِمْ عَنْ أَسْتَارِهِمْ فَانْقَضُوا ، وَذَاقُوا وَهَالَ أحوَالِهِمْ .

قوله جل ذكره : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ

عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ » .

استضاءوا بنور الإجابة فلم يَبْسُطْ عليهم شعاعُ السادة ، فانقطع نورهم بقهرِ الحرمان ، ويقوا في ظلمات القصة الساجدة بِكُمْ الثقلوة .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَانُهُمْ

وَلَا يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ فَهُمْ كَانَتْ كُفْرُهُمْ

مُسْتَدَّةً يُعْجَبُونَ كُلَّ صِغِيرَةٍ عَلَيْهِمْ

فَمُتَدِّدَةً فَأَعْدَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فَهُمْ كَانَتْ كُفْرُهُمْ

يُؤْفَكُونَ » .

أى هم أشباحٌ وقوالبٌ وليس وراءهم ألبٌ وحقائق — فالجوز (٢) القارحُ مزِينٌ ظاهرُهُ ولكن له لب الصبيان (٣) .

« يحسبون كل صيغة عليهم .. » وذلك لِجَبِينِهِمْ ؛ إذ ليس لهم اهتمامٌ برَبِّهِمْ ، ولا استقلالٌ بنبيهِمْ .

(١) سقطت (أعلى) من النسخ في م وهي موجودة في ص .

(٢) حكاه في م وهي في ص « الخوض » وقد رجعت الأول .

(٣) في هذه الإشارة تقييده إلى قاعدة صوفية ؛ لأن العبرة بمخالفات الأرواح لا بمظاهر الأشباح (أى الأجساد) .

« هم العدو فاحذرهم » - يا محمد - فاحذروهم ، ولا يفرّبك ربّهم  
في الكلام على وجه التودّد والتّقرّب .

قوله جلّ ذكره : « وإنا قيل لهم تآلوا يستغفروا لكم  
رسول الله قوّوا رؤوسهم ورايتهم  
يصدّون وهم مُستكبرون » .

سموا إلى ما يقال لهم على وجه التّكبر ، وإظهار الاستغناء عن استغفاركم لهم . . . نقل  
سبيلهم ، فليس للتّصحّح فيهم مسأغ ، ولن يُصحّحهم من سكرتهم إلى آخر ما سبقوه من العقوبة ،  
فإدام الإصرار من جانبهم فليهم :

« سوا عليهم استغفرت لهم أم لم  
تستغفر لهم لن يفرّ الله لهم إن الله  
لا يهدي القوم الفاسقين » .

قد سبق اليك بذلك :

قوله جلّ ذكره : « هم الذين يقولون لا تنفقوا على من  
عند رسول الله حتى ينفصوا والله  
خزائن<sup>(١)</sup> السموات والأرض ولكن  
النافقين لا يفقهون » .

كانهم مربوطون بالأسباب ، محبسون عن شهود التقدير ، غير متحقّقين بتصرف الأيام ،  
فأنطقهم بما خامر قلوبهم من تمسّي انقضاء نور رسول الله ، واتسكت تخليهم ، فتواصوا فيما بينهم  
بقولهم : « لا تنفقوا على من عند رسول الله » قال تعالى « والله خزائن السموات . . . » .

وليس استغلالك - يا محمد - ولا استغلال أصحابك بالمرزوقين . . بل بالرازي ؛ فهو  
الذي يحكمكم .

(١) « وفي خزائن السموات والأرض » هذا أجاب كثير من أبواب الطريق كلمات الاسم والجند والشيء  
عند كانوا يسأل أحدهم : من أين تأكل ؟

قوله جل ذكره : « يقولون لئن رجعنا إلى الدينِ  
 لئن فرجَ الأعرُ منها الأذلُّ وفهُ العِزَّةُ  
 ورسولُهُ وللمؤمنين ولكن للناسِ  
 لا يعلمون » .

إنما وقع لهم الفلُطُ في تعيين الأعرُ والأذلُّ ؛ فتَوَهَّسُوا أَنَّ الأعرُ هم المنافقون ، والأذلُّ هم  
 المسلمون ، ولكن الأمر بالعكس ؛ فلا جرَمَ غَلَبَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم والمسلمون ،  
 وأذلَّ المنافقون بقوله : « وفهُ العِزَّةُ ورسولُهُ وللمؤمنين » ؛ فهُ عِزُّ الإِلمية ، ورسولُ عِزِّ النبوة ،  
 وللمؤمنين عِزُّ الولاية . . . وجميع ذلك فهُ ؛ فِيزُهُ القَدِيمُ صَفَتُهُ ، وعِزُّ الرسولِ وعِزُّ المؤمنين  
 لَهُ فِعْلاً وَمِنَّةً وَقَضَاءً ، فَإِنَّا فَهُ العِزَّةُ جَمِيعًا .

ويقال : كما أَنَّ عِزَّةَ اللهِ — سبحانه — لا زوالَ لها فِيزَةُ الأنبياءِ بَأَن لا عَزَلَ لَهُمْ ،  
 وعِزَّةُ المؤمنين بِأَلَّا يَبْقَى مِنْهُمْ مَخْلُوقٌ فِي النَّارِ .

ويقال : مَنْ كَانَ إِيمَانُهُ حَقِيقًا فَلَا زوالَ لَهُ .

ويقال : مَنْ تَمَرَّدَ بِالْفِطْرِ لَمْ يَلْعَنهُ تَمَرُّدٌ عَنْ حَالِهِ بغيرِ اللهِ .

ويقال : لا عِزَّ إِلَّا فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَلَا ذُلَّ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ . . وما سوى هذا  
 فلا أصلَ لَهُ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ  
 أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ  
 وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ  
 الْخَاسِرُونَ » .

لا تُضَيِّعُوا أُمُورَ دِينِكُمْ بسببِ أَمْوَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ بل آخِرُوا حَقَّ اللهِ ، وَاسْتَفْهِلُوا بِهِ  
 بَيْعَتَكُمْ أُمُورَ دُنْيَاكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ ؛ فَإِنَّا كُنْتُ فَهُ كَانَ اللهُ لَكَ (١) .

(١) لتذكرك ما قلناه في منبخل هذا الكتاب بأن للتفسير نفسه له ضرب المثل على ذلك حين هاجر من بلد  
 تاركاً أهله في رعاية الله حيناً ثم رُفِعتْ عَيْنُهُ لِمَحَلَّةٍ .

وقال : حق الله بما ألزمك القيام به ، وحقق ضمن لك القيام به ؛ فاستغل بما كُفِّتَ  
لا بما كُفِّيت .

قوله جل ذكره : « وَأَنْتُمْ مِّنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِّنْ قَبْلِ

أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ

وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ » .

لَا تَنْفَعُوا بِسَلَامَةِ أَوْقَاتِكُمْ ، وَتَرَقَّبُوا بِنَتْلِ آجَالِكُمْ ، وَتَأْمَنُوا بِمَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ

مِنَ الرَّحِيلِ ، وَلَا تَرْجُوا فِي أَوْطَانِ النَّسُوفِ .

## سُورَةُ التَّغَابُنِ

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

«بِسْمِ اللَّهِ...» كلمة عزيزة مَنْ ذَكَرَهَا يحتاج إلى لسانٍ عزيزٍ في الفنية لا يُبْتَدَلُ ، وفي ذِكْرِ الْأَعْيَارِ لَا يُسْتَمْسَلُ . وَمَنْ عَرَفَهَا يحتاج إلى قلبٍ عزيزٍ ليس في كلِّ ناحية منه خَلِيطٌ ، ولا في كلِّ زاوية زَيْطٌ .

قوله جل ذكره: «يُسَبِّحُ فِيهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» .

الْمَخْلُوقَاتُ كُلُّهَا بِعِلْمِهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُسَبَّحَةٌ... ولكن لَا يَسْمَعُ تَسْبِيحَهَا مَنْ بِهِ طَرَشُ النُّكْرَةِ .

ويقال : الذي طَرَأَ صَمَمُهُ قَدْ يَرْجَى زَوَالَهُ بِنَوْعِ مَعَالِجَةٍ ، أَمَّا مَنْ يُولَدُ أَصَمًّا فَلَا حِيلَةَ فِي تَحْصِيلِ سَمَاعِهِ . قال تعالى : «فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ لِلْوَيْ» <sup>(١)</sup> وقال تعالى : «وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ» <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ فَتِنْكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» .

منكم كافرٌ في سابقِ حُكْمِهِ سَمَاءَهُ كَافِرًا ، وَعَلِمَ أَنَّهُ يَكْفُرُ وَأَرَادَ بِهِ الْكَفْرَ... وكذلك

(١) آية ٥٢ سورة الروم .

(٢) آية ٢٢ سورة الأنفال .

كانوا . ومنكم مؤمنٌ في سابق حُكمِهِ سَمَاءَ مُؤْمِنًا ، وَعِلْمٌ فِي آرَالِهِ أُمٌّ يُؤْمِنُ وَخَلَقَهُ مُؤْمِنًا ،  
وَأَرَادَهُ مُؤْمِنًا . . والله بما تعملون بصير .

قوله جل ذكره : « خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ  
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ  
الْمَصِيرُ » .

« خلق السموات والأرض بالحق » : أى وهو مُحِيقٌ فِي خَلْقِهِ .  
« وصوَّركم فأحسن صوركم » لم يَقُلْ لشيءٍ من المخلوقات هذا الذى قال لنا ، صوَّرَ الظاهرَ  
وصوَّرَ الباطنَ ؛ فالظاهر شاهدٌ على كمال قدرته ، والباطن شاهدٌ على جلال قربه (١) .

قوله جل ذكره : « يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم  
ما تسرون وما تعلنون والله عليمٌ  
بذات الصدور » .

قَصَّروا بِحُكْمِكُمْ عن مطلوبكم ، فهو يتقاصر عنه علومكم ، وأنا أعلمُ ذلك دونكم . .  
فانصَبُوا مَعِيَ ، فَأَنَا بِذَلِكَ أعلم ، وعليه أقدر .  
ويقال : « ويعلم ما تسرون » . فاحذروا دَقِيقَ الرِّبَا ، وَخَفَى ذَاتِ الصَّدُورِ « وما تعلنون » :  
فاحذروا أن يَخَافَ ظَاهِرُكُمْ باطنكم .

في قوله « ما تسرون » أمرٌ بالراقبة بين العبد وربه .  
وفي قوله « ما تعلنون » أمرٌ بالصدق فى المعاملة والمحاسبة مع المخلوق (٢) .  
قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَأْنِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن  
قَبْلُ فَذَلَقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

(١) - القربة هنا إشارة إلى تميز الإنسان من بين المخلوقات بقيامه بالحبة بمناعها الخاص بينه وبين الحق سبحانه ،  
وقد سبق بيان ذلك في مواضع مختلفة .  
(٢) مرة أخرى تنبه إلى ضرورة فهم الفرق بين اصطلاحى : المراقبة والمحاسبة - حسب المسج للتشيرى .

ألم • ذلك بأنه كانت تأتيهم رُسُلهم  
 بالبينات قالوا أبشرْ يَهْدُوا  
 فكفروا وتَوَلَّوْا وأستغنى الله واللهُ  
 غنيٌ حميدٌ .

المراد من ذلك هو الاعتبار بِمَنْ سَلَفَ ، وَمَنْ لم يسترِ عَثَرَ فِي مَهَوَاتِهِ مِنَ الْأَمَلِ ،  
 ثم لَا يَنْقَسِحُ إِلَّا بِمَدْفُوعَاتِ الْأَمْرِ مِنْ يَدِهِ .

« ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم .. » . شاهدوا الأمر من حيث انقلبوا فَضَلُّوا  
 فِي مَتَاهَاتِ الْإِشْكَالِ الْمُخْتَلِقَةِ الْأَحْوَالِ . ولو نظروا بين الحقيقة لِتَخَلُّصُوا مِنْ تَفْرِقَةِ الْأَبْطَالِ ،  
 واستراحوا بِشُهُودِ<sup>(١)</sup> التَّعْدِيرِ مِنْ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ ذَاتِ<sup>(٢)</sup> التَّنْصِيرِ .

قوله جل ذكره : « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا  
 قُلْ : بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ  
 بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » .

لِلرُّبِّ نَوْحَانٌ : مَوْتُ نَفْسٍ ، وَمَوْتُ قَلْبٍ ؛ فِي الْقِيَامَةِ يُبْعَثُونَ مِنْ مَوْتِ النَّفْسِ ، وَأَمَّا  
 مَوْتُ الْقَلْبِ فَلَا يَمُتُ مِنْهُ — عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ مَخْلُصِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ ، قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمْ : « قَالُوا  
 يَا وَيْلَتَا مَنْ يَبْعَثُنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ؟ »<sup>(٣)</sup> فَوَعَدَهُ لَمَّا قَالُوا ذَلِكَ ؛ فَوُتُّ قُلُوبُهُمْ مُسَرَّعَةً إِلَى  
 أَنْ تُصِيرَ مَعَارِفُهُمْ ضَرُورِيَّةً ، فَهَذَا الْوَقْتُ وَقْتُ مَوْتِ قُلُوبِهِمْ .

قوله جل ذكره : « فَلَا تُنَبِّئُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّوْرِ الَّذِي  
 أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ » .

« النَّوْرُ الَّذِي أَنْزَلْنَا » : التَّرَاقُّمُ . وَبِمُحْزُورٍ أَنْ يَكُونَ مَا أُنْزِلَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ مِنَ السَّكِينَةِ  
 وَفُضُونِ الْأَلْفَافِ .

(١) حَكَاهُ فِي صِصٍ وَصِي فِي م ( مِنْ شُهُودٍ ) وَهِيَ غُضَّافٌ مِنَ النَّاسِ .  
 (٢) فِي الْقَسَمَتَيْنِ ( خَوِي ) وَهِيَ رَأَيْنَا أَنْ تَكُونَ ( ذَاتِ ) أَوْ ( ذَوَاتِ ) .  
 (٣) آيَةُ ٥٢ سُورَةِ يَس ، وَالْفَرْقُ وَاضِحٌ بَيْنَ هَذِهِ الْقَائِلَةِ وَبَيْنَ مَا قَالَ أَسْعَابُ الْكَهْفِ الْمُؤْمِنُونَ .



قوله جل ذكره : « يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ

يَوْمُ التَّنَائُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ

صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ

جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

اللطيف — يومئذ — في غين لأنه لم يستكثر من الطاعة ، والسامى في غين لأنه استكثر من الزلة<sup>(١)</sup> .

وليس كل النبين في تفاوت الدرجات قلة وكثرة ، فالنبين في الأحوال أكثر .

قوله جل ذكره : « مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا يَأْتِرُ اللَّهُ

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ » .

أَيَّ حَصَلَةٍ حَصَلَتْ فَبِنِ قَبِيلِهِ خَلَقًا ، وبطله وإرادته حُكْمًا .

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ حَتَّى يَهْتَدِيَ إِلَى اللَّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ — الْيَوْمَ —

وَفِي الْآخِرَةِ يَهْدِيهِ إِلَى الْجَنَّةِ .

ويقال : « يَهْدِ قَلْبَهُ » لِلْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ ، وَالتَّنَقُّيَّ مِنْ شُعْ النَّفْسِ .

ويقال : « يَهْدِ قَلْبَهُ » لِاتِّبَاعِ السُّنَنِ وَاجْتِنَابِ الْبِدْعَةِ .

قوله جل ذكره : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا

الْبَلَاغُ لِلْبَيِّنِ » .

(١) قال بعض الصوريين: إن الله كتب الدين على المخلوق أجمعين ، فلا يليق أحدٌ ربه إلا ملبوناً ؛ لأنه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء الثواب ، وفي الآخر قال النبي (ص) : « لا يليق الله أحدٌ إلا نادماً إن كان سيئاً إن لم يحسن ، وإن كان محسناً إن لم يزدده للقرطبي ج ١٨ ص ١٣٨ .

طاعةُ الله واجبَةٌ ، وطاعةُ الرُّسُلِ — الذين هم سفراءُ بينه وبيننا — واجبَةٌ .  
كذلك . والأنوار التي تظهر عليك <sup>(١)</sup> وتطالبُ بختصاصها كلها حقٌّ ، ومن الحقِّ . . فتهب  
طاعتها أيضاً .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ  
وَأَوْلَادِكُمْ فَادْعُوا لَكُمْ فَاحْزُرُوا ،  
وَإِن تَفَرَّقُوا فَتَفَرَّقُوا عَلَى اللَّهِ  
فَاحْزُرُوا » .

إِذَا دَعَوْتُكَ لِتَجْمَعَ لِمَا دُنِيَاهُمْ مِنْكَ ، أَمَا إِذَا أَخَذْتُمْ مِنْهَا عَلَى وَجْهِ الْغَفَاءِ <sup>(٢)</sup>  
فَلْيَسُوا لَكُمْ أَعْدَاءُ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ  
عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » .

« فِتْنَةٌ » : لأنهم يشغلونكم عن أداءِ حقِّ الله ؛ فاستيقنوا عن الله مشغولاً بجمعه فهو غيرُ  
ميسورٍ عليكم .

ويقال : إِذَا جَمَعْتُمُ الدُّنْيَا لِنَبِيٍّ وَجْهَهُ فَإِنَّكُمْ تُشْغَلُونَ بِذَلِكَ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ مَوْلَاكُمْ ،  
وتشغلكم أولادُكم ، فيقومون بهم عن طاعةِ الله — وذلك فِتْنَةٌ لَكُمْ . . ترومون إصلاحهم .  
فصلون أنتم وم لا يملكون ! .

قوله جل ذكره : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا  
وَأَقْبُوا خَيْرًا لِّأَعْيُنِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ  
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

(١) الغطاء هنا موصوفٌ لك صاحب الأحوال والكشوفات .

(٢) صَفَّ حَقًّا وطافاً أي كَفَّ ما لا يحل ولا يحل . ويقال : هم أغنى الفقير ، أي : إذا انقضوا لا يأتون .  
(الوسيط) .

أى ما دمت في الجلة مستطيعين ويوجه عليكم التكليف فاتقوا الله . والتقوى عن شهود  
التقوى بد ألا يكون قصير في التقوى غايته التقوى .

« ومن يوق شح نفسه » حتى ترتفع الأخطار<sup>(١)</sup> عن قلبه ، ويصغر من ريق الكونيات ،  
فأولئك هم المفلحون .

قوله جل ذكره : « إن تُقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه  
لكم ويغفر لكم والله شكورٌ حلیم . »

يتوجه بهذا الخطاب إلى الأغنياء ليبدل أموالهم ، ولتقراء في إخلاء ألبهم وأوقاتهم من  
مراداتهم وإثارة مراد الحق على مراد أنفسهم .

فالنقطة يقال له : آثر حُكمي على مرادك في مالك ، والتفكير يقال له : آثر حُكمي  
في تفكيرك وقلبك ووقتك وزمانك .

« عالمُ النسيب والشهادة المزيّر الحكيم » .

جلّ شأنه .

---

(١) المقصود بالأخطار هنا : حيلان أن تفتي أهمية وشأنك .

## سُورَةُ الطَّلَاقِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ مَنْ لَاسَبِيلَ إِلَى وَصَالِهِ ، وَلَا غُنْيَةَ — فِي غَيْرِهِ — عَنْ رِغَالِهِ ، اسْمٌ مَنْ عَلَيْهِ وَقَعَ فِي كُلِّ سَكُونٍ وَرَاحَةٍ ، اسْمٌ مَنْ عَرَفَهُ وَقَعَ فِي كُلِّ اضْطِرَابٍ وَإِطَاحَةٍ<sup>(١)</sup> ، الْعُلَمَاءُ بِرَأْبِ عَلَيْهِمْ اسْتَقَلُّوا فَاسْتَرَا حُوا ، وَالْمَارْفُونُ بِسُلْطَانِ حُكْمِهِ اصْطَلَبُوا عَنْ شَوَاهِدِهِمْ .. فَاجَاوَا وَطَاحُوا .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

فَطَلَّقُوهُنَّ لِمَدَّتِْنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ

وَأْتُوا اللَّهَ رِبْكَمُ... » .

الطَّلَاقُ — وَإِنْ كَانَ فِرَاقًا — فَمَنْ يَحْمِلُهُ الْحَقُّ مَحْظُورًا . . . . وَإِنْ كَانَ مِنْ وَجْهِ مَكْرُوهًا .

وَالطَّلَاقُ وَقْتِيَّةٌ<sup>(٢)</sup> : سُنِّيَّةٌ وَبِدْعِيَّةٌ ، وَمُبَاحَةٌ ، لَا سُنِّيَّةٌ وَلَا بِدْعِيَّةٌ ؛ فَالسُّنِّيَّةُ : أَنْ تَطْلُقَ فِي طَهْرٍ لَمْ تَبَاشِرْ فِيهِ طَلَقًا وَاحِدَةً ، وَالْبِدْعِيَّةُ : فِي حَالِ الْحَيْضِ وَطَهْرٍ جُمُوعَتِ فِيهِ ، وَالْمُبَاحَةُ : فِي طَهْرٍ بَدَحَيْضٍ ثُمَّ يَطْلُقُهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجَامِعَهَا<sup>(٣)</sup> — وَالطَّلَاقُ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدَةٍ .

(١) أَطَاحَ إِطَاحَةً أَيْ أَتَمَّهَا وَأَذْنَبَهُ .

(٢) أَيْ وَجُوهٌ مُرْتَبِطَةٌ بِأَوْقَاتٍ خَاصَةٍ . رَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : الطَّلَاقُ عَلَى أَرْبَعَةِ وَجُوهٍ : وَجْهَانِ حَالَتَانِ وَوَجْهَانِ حَرَامَتَانِ : فَأَمَّا الْحَالَتَانِ فَأَنْ يَطْلُقَهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جِمَاعٍ ، وَأَنْ يَطْلُقَهَا حَامِلًا مُسْتَحَبًّا حَمْلُهَا . وَأَمَّا الْحَرَامَتَانِ فَأَنْ يَطْلُقَهَا وَهِيَ حَائِضٌ ، أَوْ يَطْلُقَهَا حِينَ يَجَامِعُهَا لَا تَدْرِي أَشْتَمَلَ الرَّجُلُ عَلَيْهَا أَمْ لَا .

(٣) قَالَ السُّدِّيُّ : نَزَلَتْ فِي عَهْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ حَاضَةً تَطْلُقُهَا وَاحِدَةً ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِأَنْ يَرَا جَمَاعًا ثُمَّ يَسْكُمُهَا حَتَّى تَطْهَرُ وَيَحْيِضَ ثُمَّ تَطْهَرُ ، فَلِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْلُقَهَا فَلْيَطْلُقْهَا حِينَ تَطْهَرُ — مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجَامِعَهَا . وَيَقَالُ : إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ الْأَنْصَارِيَّةِ .. ظَلَمَ يَكُنْ قَبْلَهَا لِمُطَلَّاقَةٍ حَدَّثَتْ ، وَحِينَ طَلَّقَتْ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ (ص) طَلَّقَتْ بِالْعِدَّةِ (مَكَّة) فِي كِتَابِ أَبِي دَاوُدَ ) .

وَالْمِدَّةُ — وإن كانت في الشريعة لتحصين ماء الزوج (محاماة على الأنساب) (١) لتلا  
يدخل على ماء الزوج ماء آخر — فالغالب والأقوى في معناها أنها للوفاء للصحة الماضية في وصلة  
النكاح (٢).

والإشارة في الآيات التالية إلى أنه بعد أن انتهت الوصلة فلا أقل من الوفاء مدة لهذه  
الصغيرة التي لم تحض، وهذه الآيسة من الحيض، وتلك التي انقطع حيضها، والحُبْلَى  
حتى تلد... كل ذلك مراعاة للحرمة: وعِدَّةُ الْوَفَا تُشْهَدُ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ فِي كَوْنِهَا أَطْوَلُ؛  
لأن حرمة الليت أعظم (٣) وكذلك الإمداد في أيام المِدَّة... للمنى فيه ما ذكرنا من مراعاة  
الوفاء والحرمة.

قوله جل ذكره: «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ  
اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ».

العبودية: الوقوف عند الحد، لا بالتقصان عنه ولا بالزيادة عليه، ومن راعى مع الله حدّه  
أخلص الله له عَهْدَهُ..

«لا تدري لعل الله يُخَدِّثُ بِمَدِّ ذَلِكَ أَمْرًا».

قالوا: أراد تَدَامًا، وقيل: قَلْبًا، وقيل: مَثَلًا إليها، أو لما إليه؛ فإن القلوب  
تقلب:

والإشارة في إباحة الطلاق إلى أنه إذا كان الصبر مع الأشكال حقًا للحرمة المتقدمة  
فانطلاق من مسكنة الأمثال، والتجرد لبيعة الله تعالى أولى وأحق.

قوله جل ذكره: «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا •  
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ».

(١) موجودة في ص وغير موجودة في م.

(٢) القشيري يركز جهده في استخراج إشارات في الصحة والصاحب وغير ذلك من المعاني من آيات الطلاق —  
غير مهم جفاسيل هذا الموضوع الراسع الذي تنص به كتب الفقه للتخصص.

(٣) يقول القشيري في الموضع ١٨٨ من المجلد الأول من هذا الكتاب: كانت عِدَّةُ الْوَفَا في ابتداء الإسلام  
سنة مستديرة كقول العرب؛ وقيلهم: ثم تُسَبَّحُ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعِشْرَةِ أَيَّامٍ؛ إِذْ لَا يَدَّ مِنْ انْتِهَاءِ مَدَّةِ الْإِمْدَادِ.  
«والمطالعات متاع بالمعروف» والإشارة فيه ألا تجسروا على اللزاق والحرمان فيضامف ملين البلاد.

إذا صدقَ العبدُ في قواه أخرجه من بين أشفاله كالشجرة تُخرجُ من بين المحين لا يعلقُ بها شيءٌ . ويضربُ الله تعالى على الشقي سرادقاتِ عنايته ، ويدخلُه في كنف الإيواء ، ويصرفُ الأشغال عن قلبه ، ويخرجُه من ظلمات تديره ، ويجردهُ من كل أمر ، وينقله إلى شهود فضاء تقديره .

قوله جل ذكره : « وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » .  
لم يقل : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلْهُ حَسْبُهُ ، بل قال : فهو حسيبه ؛ أى فالفعل حسيبه أى كافي به .

« إِنْ اللَّهُ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا » .

إذا سبقَ له شيءٌ من التقدير فلا محالة يكون ، وتوَكَّلْهُ لا يتغير المقدور ولا يستأخر ، ولكن التوَكَّلْ بنيانه على أن يكون العبدُ مَرُوحَ القلب غيرَ كارهٍ .. وهذا من أجل النعم .  
قوله : « وَاللَّائِي يَنْتَسِنَ مِنَ الْهَيْضِ » ... إلى قوله :  
« يَحْمِلُ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا » .

التوكلُ : شهودُ قَبيكُ خارجًا عن الكنه<sup>(١)</sup> تجري عليك أحكامُ التقدير من غير تدبير منك ولا اطلاع لك على حكميه ، وسبيلُ العهدِ الخلودُ والرضا دون استسلام الأمر ، وفي الخبر : « أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » : ومن العلم القى لا ينفع — ويجب أن تستميدَ منه — أن يكون لك شغلٌ أو يستقبلك منهم من الأمر ويشقه عليك وجهُ التدبير فيه ، وتكون ضالًّا بالتفويض — فقلبك العلم وتمنيك أن تعرفَ متى يصلح هذا الأمرُ ؟ ولأى سببٍ ؟ ومن أى وجهٍ ؟ وعلى يد مَنْ ؟ ... كل هذا تخليطٌ ، وغيرُ مُسلمٍ شيءٌ منه للأكابِر .

فيجب عليك السكونُ ، وحسنُ الرضا . حتى إذا جاء وقتُ الكشفِ فسترى صورة الحال وتعرفه ، وربما ينتظر العبدُ في هذه الحالة تريقًا في المنام أو ينظر في (...)<sup>(٢)</sup> من الجامع ،

(١) المكنة بضم الميم هي ما في إمكان الإنسان وجعله واستطاعته .

(٢) مشبهة في التسميتين .

أَوْ يَرْجُو يَنْ حَالَهُ أَنَّ يَجْرَى عَلَى لِسَانِ مُسْتَطَقٍ فِي الْوَقْتِ . . كُلُّ هَذَا تَرْكٌ لِلْأَدَبِ ، وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِذَلِكَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ ، بَلِ الْوَاجِبُ السَّكُونُ .

قوله جل ذكره : « لَيُفْنِقَنَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَيُفْنِقَنَّ » مَا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا .

إِذَا اتَّسَعَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى قَدَرِ الْمَكْنَةِ يُطْلَبُ بِالْإِعْطَاءِ وَالنَّفَقَةِ فَنَ قَدَرِ عَلَيْهِ رِزْقُهُ — أَيْ ضَيْقٌ — فَلَيُفْنِقَنَّ مَا آتَاهُ اللَّهُ أَيْ مِنْ مَتَاعِ الْيَتِّ ، وَمَنْ رَأْسُ الْمَالِ — إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الرِّيحِ ، وَمِنْ ثَمَرِ الضَّمَةِ — إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ النَّفْلِ .

وَمَنْ مَلَكَ مَا يَكْفِيهِ لِلْوَقْتِ ، ثُمَّ أَهَمَّ بِالزَّيَادَةِ لِئَلَّا يَكُنْ ذَلِكَ أَهْتَابًا غَيْرُ مَرْضَى<sup>(١)</sup> عَنْهُ ، وَمَصَاحِبُهُ غَيْرُ مُعَانٍ . فَأَمَّا إِذَا حَصَلَ الْجَزُ بِكُلِّ وَجْهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى : لَا يَكْفِي نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَدَ عَصْرِ يَسْرًا . هَذَا مِنْ أَصْحَابِ الْمَوَاعِيدِ — وَتَصَدِّقُهُ عَلَى حَسَبِ الْإِيمَانِ ، وَذَلِكَ عَلَى قَدَرِ الْيَقِينِ — وَبَيْنَهُ عَلَى حَسَبِ الْقِسْمَةِ . وَانْتَظَارُ الْيُسْرِ<sup>(٢)</sup> مِنْ اللَّهِ صِفَةُ الْمُتَوَسِّطِينَ فِي الْأَحْوَالِ ، الَّذِينَ أَعْطَوْا عَنْ حَدِّ<sup>(٣)</sup> الرِّضَا وَاسْتَوَاهُ وَجُودِ السَّبَبِ وَقَدَّرَهُ ، وَارْتَقَوْا عَنْ حَدِّ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ ، وَعَاشَوْا فِي أَفْيَاءِ<sup>(٤)</sup> الرِّجَالِ يُتَكَلَّمُونَ<sup>(٥)</sup> بِمُحَسَّنِ الْمَوَاعِيدِ . . وَأَبْدَأَ هَذِهِ حَالَتَهُمْ وَهِيَ سَكَاتُ<sup>(٦)</sup> :

إِنْ تَأْتَيْكَ الْعُورُ بِمَكْرُوهِهِ قَمِشْ بِتَهْوِينِ تَصَانِفِهِ  
فَمَنْ قَرِيبٍ يَنْجَلِي غَيْمُهُ وَتَنْقُضُ كُلُّ تَصَارُفِهِ

(١) مَكْنَا فِي مَنْ وَهِيَ فِي م (مَرْحُوم) .

(٢) مَكْنَا فِي م وَهِيَ فِي ص . (الْبَرِّ) وَهِيَ آخِرُهَا الْأَوَّلُ نَظَرًا لِسِيَاقِ الْآيَةِ ذَاتِهَا .

(٣) مَكْنَا فِي م وَهِيَ فِي ص (دَرَجَةٍ) وَهِيَ آخِرُهَا الْأَوَّلُ بِدَلِيلِ وَرُودِهَا فِيهَا بِهِ .

(٤) مَكْنَا فِي مَنْ وَلَكِنَّا فِي م (الْغَاءِ) وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ .

(٥) أَيْ يُتَكَلَّمُونَ الْقَتْلُ .

(٦) أَيْ أَنَّ النَّصَّ الشَّعْرَى لِقَشِيرَى نَفْسِهِ . (انْظُرْ الْقَشِيرَى الشَّاعِرَ فِي كِتَابِنَا : الْإِمَامُ الْقَشِيرَى)

قوله جل ذكره : « وكأين من قرية عتت عن أمر ربها  
ورُسِلَ لها نبيهاها حياها شديدا  
وعذبناها عذابا نكرا \* فذاقت  
وبال أمرها وكان عاقبة أمرها  
خسرا » .

من زرع الشوك لم ينح الورد ، ومن أضاع حق الله لا يطاع في حظ نفسه <sup>(١)</sup> . ومن  
اجترأ <sup>(٢)</sup> بمخالفة أمر الله فليصير على مقاساة عقوبة الله .

قوله جل ذكره : « قد أنزل الله إليكم ذكرا \*  
رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبینات  
ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
من الظلمات إلى النور » .

إن كتاب الله فيه بيان لكل شيء . فمن استضاء بنوره اهتدى ، ومن لجأ إلى سمة  
فناه وصلى من داد الجهل إلى شفاة <sup>(٣)</sup> .

ومن يؤمن بالله ، ويميل صالحا لله ، وفي الله ، لله دواء النسي من الله . قال تعالى :  
« قد أحسن الله له رزقا » .

والرزق الحسن ما كان على حد الكفاية ؛ لا هصان فيه تمتلئ الأمور بسببه ، ولا زيادة  
فيه تشغله عن الاستمتاع بما رزق الحرصه .

كذلك أرزاق التلويح أحسنها أن يكون له من الأحوال ما يشغل به في الوقت ؛ من غير

(١) هكذا في ص وهي أصوب مما في م (حق نفسه) فالحقوق لله والمخطوط للبد .

(٢) هكذا في ص وهي أصوب مما في م (استرأ) فسياق الآية يوحى بذلك .

(٣) أصل الجملة (وصل إلى شفاة من داد الجهل) .. ولكن حرص القشيري على التركيب الموسيقى دمه إلى

هذه الصياغة .



قصانٍ يحمله بعمْدٍ بَطْشُهُ ، ولا تكون فيه زيادة فيكون على خَطَرٍ من مغالطة لا يخرجُ منها  
إِلَّا بتأييدٍ سماويٍّ من الله (١) .

قوله جل ذكره : « اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ

الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

لِتُعلموا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا » .

خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، وَخَلَقَ مَا خَلَقَ وَهُوَ يُحْيِي فَا خَلَقَ وَأَمْرٌ ، حَتَّى نَعْلَمَ اسْتِطَاعَتَهُ

جَلَالِهِ وَكَمَالِ صِفَاتِهِ ، وَأَنَّهُ أَمْضَى فَا قَضَى حُكْمًا ، وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا .

---

(١) رأى القشيري في « الرزق الحسن » مفيد في دراسة الجانب النفسي عند الصوفية ، والحدود التي يبدأ عندها الصراع الداخلي ، وآفات ذلك ، وعلاجه .

## سُورَةُ التَّحْرِيمِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » . اسمٌ عزيزٌ يُبْهَلُ مَنْ عَصَاهُ ، فإذا رجع وناداه .. أجابه ولَّيَّاهُ (١) فلَنْ  
لم يتوسَّلْ بِصِدْقٍ قَدِيمِهِ فِي اجْتِدَاءِ أَمْرِهِ ثُمَّ تَنَصَّلَ بِصِدْقِي نَدَمِهِ فِي آخِرِ حَرَمِهِ أَوْسَمَهُ غَفْرًا (٢) ،  
وقبل منه عُدْرًا ، وَأَكْمَلَ لَهُ دُخْرًا ، وَأَجْزَلَ لَهُ بَرًّا .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ  
لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

جاء في القصة : أن النبي صلى الله عليه وسلم حرَّم على نفسه مارية القبطية ، وفي الحال حَلَفَ  
أَلَّا يَطَّأَهَا شَهْرًا مِرَاعَةً قَلْبٍ حَفْصَةٍ حَيْثُ رَأَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهَا فِي يَوْمِهَا (٣) .  
وقيل : حرَّم على نَفْسِهِ شَرْبَ الصَّلِمْ لَمَّا قَالَتْ لَهُ زَوْجَاتُهُ ، إِنَّا نَشِمُ مِنْكَ رِيحَ الْمَغَافِرِ !  
— وَالْمَغَافِرُ صَمْغٌ فِي الْبَادِيَةِ كَرِيهِةُ الرَّائِحَةِ ، وَيُقَالُ : بَقْلَةٌ كَرِيهِةُ الرَّائِحَةِ ... فَضَاتِبَةُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ .  
وهي صَغِيرَةٌ مِنْهُ عَلَى مَذْهَبٍ مِنْ جَوَازِ الصَّفَاثِرِ عَلَيْهِ ، وَتَرَكَّ لِلْأَوَّلَى عَلَى مَذْهَبٍ  
مَنْ لَمْ يَجُوزَ .

(١) هكذا في م وهي في ص (أبكاه) وهي عَطَأَ فِي التَّنْصِغِ .

(٢) هكذا في م وهي في ص (حفوا) وهي وإن كانت مقبولة إلا أن التركيب الموسق يجعلنا نؤثر (غفرًا) .

(٣) الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال : دخل الرسول (ص) بأم ولده مارية في بيت حفصة وكانت  
حفصة غابت إلى بيت أبيها فقالت : تدخلها يبي ! ما صنعت في هذا من بين نسائك إلا من هوأني عليك فقال لها :  
لا تذكرى هذا لئلا تفسد فهي حرام على إن قربتها .

وقيل : إنه طَلَّقَ خُصَّةً واحدةً ، فأمره الله بمراجعتها ، وقال له جبريل : إنها  
صَوَّالَةٌ قَوَّامَةٌ

وقيل : لم يطلقها ولكن تمَّ بتطليقها فَمَنَّمَهُ اللهُ عَنْ ذَلِكَ .

وقيل : لما رآته خُصَّةٌ مع مارية في يومها قال لها : لَأَنْتِ مُسِيرَةٌ إِلَيْكَ سِيرًا فَلَا تَمْنَحِي  
أَحَدًا : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَكُونُ بَعْدِي لِأَبْنِي بِكَرٍ وَلِأَبْنِيكَ .

ولكن خُصَّةٌ ذَكَرَتْ هَذَا لِعَائِشَةَ ، وَأَوْحَى اللهُ لَهُ بِذَلِكَ ، فَسَأَلَ النَّبِيَّ خُصَّةٌ : لِمَ أَخْبَرْتِ  
عَائِشَةَ بِمَا قُلْتَ ؟ .

قَالَتْ لَهُ : وَمَنْ أَخْبَرَكَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ أَخْبَرَنِي اللهُ ، وَعَرَفْتُ خُصَّةً بَعْضَ مَا قَالَتْ ،  
وَلَمْ يَصْرُخْ لَهَا بِمَجْمَعِ مَا قَالَتْ ، قَالَ تَعَالَى : « عَرَفَ<sup>(١)</sup> بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ » ، فَاتَّبَعْتُهَا  
عَلَى بَعْضٍ وَأَعْرَضْتُ عَنْ بَعْضٍ — عَلَى عَادَةِ الْكِرَامِ .

وَيَقَالُ : إِنَّ النَّبِيَّ — صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَتَاوَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ :  
« اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ قَاطِعٍ يَقْطَعُ عَنْكَ » .

وظَاهِرُ هَذَا الْخُطَابِ<sup>(٢)</sup> عَتَابٌ عَلَى أَنَّهُ مِرَاعَاةٌ قَلْبَ امْرَأَتِهِ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مَا أُجِلَّ  
اللهُ لَهُ .

وَالْإِنشَارَةُ فِيهِ : وَجُوبُ تَقْدِيمِ حَقِّ اللهِ — سُبْحَانَهُ — عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ .

قوله جل ذكره : « قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِيَّةَ أَيَّامِنَاكُمْ »

والله مولاكم وهو العليم الحكيم .

أَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ عِنَايَةً بِأَمْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَجَاوُزًا عَنْهُ . وَقِيلَ : إِنَّهُ كَفَّرَ بِتَقَرُّبِهِ رَقِيبَةً ،  
وَعَاوَدَ مَارِيَةَ .

---

(١) وفي قراءة هَمَزَةٍ بدون التشديد : أَيْ غَضِبَ فِيهِ وَجَازَى عَلَيْهِ ، وَهُوَ كَقَوْلِكَ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ : لَا مَعْرَفَ  
لَكَ مَا فَعَلْتَ أَيْ : لَا جَازِيَتَكَ عَلَيْهِ ، وَجَازَاهَا النَّبِيُّ بِأَنْ طَلَّقَهَا طَلْقَةً وَاحِدَةً . وَكَانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَسِي  
يَحْسِبُ بِالْجِهَادَةِ مَنْ يَفْرَأُهَا مُشَدَّدَةً .

(٢) أَيْ « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحَرِّمْ مَا أُجِلَّ اللهُ كَ... »

واللهُ — سبحانه — أجرى سنته بأنه إذا ساكن عبْدٌ بقلبه إلى أحدِ شَوْشٍ على خواصه محلٍّ ما كته غيرةً على قلبه إلى أن يُؤاودَ ربّه ، ثم يكفيه ذلك — ولكن بعد تطويل مدّةٍ ، وأنشدوا في معناه :

إذا علقتُ روحى حبيباً تملّقتُ به غيرُ الأيامِ كى تَسْلَبْنِيَّ

وقد ألقى الله في قلبِ رسوله صلى الله عليه وسلم تناسياً بينه وبين زوجته فاعتزلهن (١) ، وما كان من حديث طلاق حفصة ، وما عاد إلى قلب أبيها ، وحديث الكفاية ، وإما كه عن وطء مارية تسعاً وعشرين ليلة ... كل ذلك غيرةً من الحق عليه ، وإرادته — سبحانه — تشويشُ قلوبهم حتى يكون رجوعهم كلهم إلى الله تعالى بقلوبهم .

قوله جل ذكره : « إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ

قُلُوبُكُمْ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ

هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ .

عاتبهما على السر من خَطَرَاتِ القلب ، ثم قال : « وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ... » .

« صالح المؤمنين » مَنْ لم يكن منهم في قلبه شقاق ، مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وجاء : أن عمر بن الخطاب لما سمع شيئاً من ذلك قال لرسول الله :

لو أمرتني لأخبرنَّ عَنْهَا ! (٢)

(١) دخل عليه عمر في المشربة فإذا هو مضطجع على حصير قد أثير في جنبه ، وجوارده قبضة من شبر وتكاد عزائته تخلو من كل شيء فيكي عمر وقال : يا بني الله .. أنت رسول الله .. وذاك حصير وكسرى في الثياب والأنهار ، فقال النبي : يا ابن الخطاب ألا ترعى أن تكون لنا الآخرة ولم الدنيا ؟ فقال عمر : إن كان يشق عليك من أمر النساء .. فإن كنت تظلمن فإن الله معك وملائكته ، وأنا وأبوي بكر والمؤمنون ! ولم يزل يحدّثه حتى تبسّم صلوات الله عليه وعرجا إلى الناس .

(٢) لما سمع عمر الناس بالمسجد يقولون : لقد طلق الرسول نساءه ! غضب وذهب إلى بيت النبي ليبلغ الأمر فذهب أولاً إلى عائشة وقال : يا بنت أبي بكر أبلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله ؟ فالتفت : يا ابن الخطاب عليك بهيئتك ، فأتته إلى حفصة وقال : والله لقد علمت أن رسول الله لا يجيبك ولولا أنا لفلتلك .. فبككت بكاءً شديداً . وذهب إلى رسول الله قائلاً : والله لئن أفرق رسول الله بفرب عتي ابنتي لفعلت .

والمتاب في الآية مع عائشة وحصة رضي الله عنهما إذ تكلمتا في أمر مارية .

ثم قال تعالى زيادة في المتاب وبين القصة :

« عسى رَبُّهُ أَنْ يُلْقِيَنَّكَ أَنْ يَبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ .  
مَلَائِكَةً مُؤْمِنَاتٍ قَاتِلَاتٍ تَأْتِيَنَّكَ عَابِدَاتٍ سَائِمَاتٍ  
يَتَّبِعُنَّكَ مِنَ الْغَايِبِ وَأَبْكَارًا » .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ  
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ  
وَالْحِجَارَةُ » .

أي : قفّوهم ، وأذّبوهم ، وادعهم إلى طاعة الله ، وامنعهم عن استحقاق العقوبة بإرشادهم  
وتعليقهم .

ودلت الآية : على وجوب الأمر بالمعروف في الدين للأقرب فالأقرب .

وقيل : أظهرُوا من أنفسكم المبادئ ليصلّوكم منكم ، ويمتدوا كدائكم .

ويقال : دلّوهم على السنّة والجماعة .

ويقال : علّموهم الأخلاق الحسان .

ويقال : مروهم بقبول النصيحة .

« وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » : الوقود : الحطب .

ويقال : أمر الناس يصلح بحجرة أو مدّرة ، فإن أصل الإنسان مدرة ، ولو أنه أقام حجرة  
مقام مدّرة فلا غرر من فضل الله .

اللهمّ فأتّق فيها بدّلنا حَجَرًا وَخَلَصْنَا مِنْهَا .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا

الْيَوْمَ إِنَّمَا تُخْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ »

إذا فات الوقت استفضل الأمر ، وانلق الباب ، وسقط الحيل . . فالواجب البدار  
والفرار لتصل إلى رَوْحِ القرار .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً  
نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ  
عَنكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ  
تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ »

التوبة النصوح : هي التي لا يقبها قفس .

ويقال : هي التي لا تراها من نفسك ، ولا ترى نجاستك بها ، وإنما تراها بربك .

ويقال : هي أن تجد المرارة في قلبك عند ذكر الزلة كما كنت تجد الراحة لنفسك عند فعلها .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَهُ نُورُهُمْ يَسَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

يَقُولُونَ : رَبَّنَا أَتَيْنَا لَنَا نُورًا وَغَفِرَ

لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

لا يخزي الله النبي : يترك شفاعة ، والذين آمنوا معه بالتضاميم بعد ما قبل فيهم شفاعة .

« نورهم يسى بين أيديهم وبأيمنهم » عبر بذلك عن أن الإيمان من جميع جهاتهم .

ويقال : بأيمنهم كتب نجاتهم : أراد نور توحيدهم ونور معرفتهم ونور إيمانهم ،

وما يخصهم الله به من الأنوار في ذلك اليوم .

« يقولون : ربنا آتينا لانا نورنا » : يستديمون التضرع والابتهال في السؤال (١) .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ

عَلَيْهِمْ وَمَا وَاهِمُ جَهَنَّمَ بِلُصُورِ » .

أمره باللباقة في وقت الدعوة ، وقال : « وجادلهم بالتي هي أحسن » (٢) ثم لما أمرهوا —

بعد بيان الحجة — قال : « وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » : لأن هذا في حال إصرارهم ، وزوال اعتذارهم .

(١) هذه الإشارة موجهة إلى الصوفية من يمدكي لا يكفوا عن التضرع والابتهال قط فإن غير العمل أدومه ؛  
للاستدامة شرط أساسي لأن الطريق الصوفي طويل وشاق .

(٢) آية ١٢٥ سورة التمل

قوله جل ذكره : « ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ

نُوحٍ وامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ  
من عبادنا صالحين غَفَا عَنْهُمَا فلم يَفْنِيَا  
عَنْهُمَا من الله شيئًا ، وقيل ادْخَلَا  
النَّارَ مع الْفَاسِقِينَ . »

لَمَّا سَبَقَتْ لهما التَّوْفِيقُ يَوْمَ الْقِسْمَةِ لَمْ تَنْفَعْهُمَا التَّوْبَةُ يَوْمَ الْقَوْبَةِ .

قوله جل ذكره : « وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا  
امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي  
عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِئْسَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . »

قالوا : صَنَعْتَ هَيْئًا حَيْثُ طَلَبْتَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَكَانَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تَطْلُبَ الْكَبِيرَ .. وَلَا كَأَنَّ  
تَوَهَّمُوا : فَإِنَّهَا قَالَتْ : رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ ، فَطَلَبْتُ جِوَارَ الْفَرَسِ ، وَلَيْتَ فِي الْجِوَارِ أَفْضَلُ  
من أَلْفِ قَصْرِ فِي غَيْرِ الْجِوَارِ . ومن المَعْلُومِ أَنَّ الْمُنْدَبَةَ هُنَا عِنْدِيَّةُ التَّوْبَةِ وَالْكَرَامَةِ .. وَلَكِنَّهُ  
عَلَى كُلِّ حَالٍ يَتَلَهَّى بِمَزِيَّةٍ عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَهُ خُصُوصِيَّةٌ . وَفِي مَعْنَاهُ أَتَشَلَّوْا :

إِنِّي لِأَحْسُدَ جَارَكُمْ لِجِوَارِكُمْ طُوبَى لِمَنْ أَضْحَى لِجَارِكِ جَارًا  
يَالَيْتَ جَارَكَ بِاعْنَى مِنْ دَارِهِ شَيْئًا لِأَعْطِيهِ بِشِيرِ دَارًا

قوله جل ذكره : « وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَخْضَعَتْ  
فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ  
بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتُمْ مَن قَائِلِينَ . »

خَتَمَ السُّورَةَ بِذِكْرِهَا بَعْدَ مَا ذَكَرَ امْرَأةَ فِرْعَوْنَ ، وَهِيَ مِنْ جَمَلَةِ النِّسَاءِ ، وَلَمَّا كَثُرَ فِي هَذِهِ  
السُّورَةِ ذِكْرُ النِّسَاءِ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنْ لَا يُحْثَلَ السُّورَةُ مِنْ ذِكْرِهَا تَخْصِيصًا لِقَوْلِهَا (١)

(١) حَكَاهُ فِي مَنْ وَهَى فِي مِ (لَا كَرَاهَا) وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَا . وَجَمِيلٌ مِنَ التَّشْبِيرِ أَنْ يُلْفَتَ نَظَرُنَا إِلَى هَذَا  
الْمُلْحَظِ - الَّذِي نَفْظُنْ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَيْ : فِيهِ تَنْبِيهٌُ لِنِسَاءِ النَّبِيِّ بِمَرْضَى تَعُوذِيْنَ لِامْرَأَتَيْنِ صَالِحَتَيْنِ عَزِيزَاتٍ مِنَ الدُّنْيَا .

(١)

## سُورَةُ الْمُلْكِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ مَنْ لَمْ تَتَمَطَّرْ الْقُلُوبُ إِلَّا بِسْمِهِ إِقْبَالَهُ ، وَلَمْ تَتَقَطَّرْ الصُّمُوعُ إِلَّا لَوَاعِهِ  
فَرَأَاهُ أَوْ رَوَّجَ وَصَالَهُ ؛ فَنَمَوْعُهُمْ فِي كُلِّهَا الْخَالِقِينَ مُنْسِكِبَةً ، وَقُلُوبُهُمْ فِي حُومِ أَحْوَالِهِمْ مُنْتَهَبَةً  
وَعُقُولُهُمْ فِي غَالِبِ أَوْقَاتِهِمْ مُنْتَهَبَةً .

قوله جل ذكره : « تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

تَقْدِيرٌ وَمَعَالَى ، مَنْ إِحْسَانُهُ تَوَاتَرَ وَتَوَاتَى ، فَهُوَ لِلشُّكْرِ فِي جَلَالِ كِبَرِيَّاتِهِ ، الْمَجْرُودُ  
فِي عِلَالِهِ بِهَائِهِ وَدَوَامِ سَنَائِهِ .

« يَدُهُ الْمُلْكُ » : قُدْرَتُهُ إِظْهَارُ مَا يَرِيدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

« الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ  
أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْفَعُولُ » .

خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ، إِجْلَاءً لِلْخَلْقِ ، يَخْتَبِرُهُمْ لِيُظْهِرَ لَهُ شُكْرَانَهُمْ وَكَفَرَانَهُمْ ، كَيْفَ  
يَكُونَانِ عِنْدَ الْحِفْظَةِ فِي الصَّبْرِ وَعِنْدَ النِّعْمَةِ فِي الشُّكْرِ — وَهُوَ الْعَزِيزُ الْفَعُولُ .

« الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا  
مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ  
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُتُورٍ ؟ »

---

(١) قَالَ صِلَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَأْنِ هَذِهِ السُّورَةِ : « هِيَ الْمُنَافَعَةُ مِنَ الْمُنْجَبَةِ فَتُنَبِّهُكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » .



عَرَفَهُمْ كَالْقُدْرَةِ بِدَلَالَتِ خَلْقِهِ ، فَسَكَ السَّمَاءَ وَأَمْسَكَهَا بِأَمْعَدٍ ، وَرَكَّبَ أَعْزَاجَهَا  
غَيْرَ مُسْتَعِينٍ بِأَحَدٍ فِي خَلْقِهَا ، وَبِالنَّجْمِ زَيَّنَّهَا ، وَمِنْ اسْتِرَاقِ سَمْعِ الشَّيَاطِينِ حَصَّنَهَا ،  
وَبِزَيْرِ تَعْلِيمٍ مُعَلِّمٍ أَحْكَمَهَا وَأَتَمَّنَهَا .

« مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُوتٍ ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ؟ » : لَا تَرَى  
فِيهَا خَلْقًا تَفَاوُتًا يَنَاقِزُ آثَارَ الْحِكْمَةِ وَلَا يَدُلُّ عَلَى كَالِ الْقُدْرَةِ .

وَيَقَالُ : مَا تَرَى فِيهَا تَفَاوُتًا ، فِي اسْتِفْنَائِهِ عَنِ الْجَمِيعِ . . مَا تَرَى فِيهَا تَفَاوُتًا فِي الْخَلْقِ ؛ تَخْلُقُ  
الْكَثِيرَ وَالْيَسِيرَ عِنْدَهُ سَيَّانَ ، فَلَا يَسْهَلُ عِنْدَهُ الْقَلِيلُ وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ ؛ لِأَنَّهُ مُتَّزِدٌ  
عَنِ السَّهْوَةِ عَلَيْهِ وَلِخَوْقِ الْمَشَقَّةِ بِهِ .

فَأَنْصَرِفْ النَّظَرَ ، وَكَرِّرْ السَّبْرَ وَالْفِكْرَ . . فَلَنْ تَجِدَ فِيهَا عَيْبًا<sup>(١)</sup> وَلَا فِي عِزِّهِ قُصُورًا .

قوله جل ذكره : « وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ  
وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا  
لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ » .

زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالْكَوَاكِبِ وَالنَّجْمِ ، وَزَيَّنَ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَنْوَارِ وَالنَّجْمِ ؛  
فَالْمُؤْمِنُونَ قُلُوبُهُمْ مَزِينَةٌ بِالتَّصَدِيقِ وَالْإِيمَانِ ثُمَّ بِالتَّحْقِيقِ بِتَأْمُلِ الْبِرِّهَانِ ، ثُمَّ بِالتَّوْفِيقِ لَطَلَبِ  
الْبَيَانِ . وَالْعَارِفُونَ قُلُوبُهُمْ مَزِينَةٌ بِشَمْسِ التَّوْحِيدِ ، وَأَرْوَاحُهُمْ مَزِينَةٌ بِأَنْوَارِ التَّفَرِيدِ ، وَأَسْرَارُهُمْ  
مَزِينَةٌ بِآثَارِ التَّجَرِيدِ<sup>(٢)</sup> . . . وَعَلَى الْقِيَاسِ : لِكُلِّ طَاقَةٍ أَنْوَارٌ .

« وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ » : فَنِ النَّجْمِ مَا هُوَ لِلشَّيَاطِينِ رُجُومٌ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ لِنَاصِيَةِ  
مَعْلُومٍ . . فَأَخْبِرْ أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْقُوَّةِ بِوَاسِطَةِ الرُّجُومِ لَا يَكْفِي ، وَلِئِنْ عَايَنَّا بَعْضَهُمْ مُؤَيَّدِينَ فِي السَّعِيرِ .

(١) هَكَذَا فِي مَوْحِي فِي ص (مِثْلًا) .

(٢) يُمَيِّزُ الْكَلَامَ بَيْنَ التَّفَرِيدِ وَالتَّجَرِيدِ فَيَقُولُ (مُلَخَّصًا) :

التَّجَرِيدُ : أَنْ يَتَجَرَّدَ بَيَظَاهِرُهُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَيَبْطِئُ عَنِ الْأَعْوَاضِ ، يَقْدِرُ ذَلِكَ لَوُجُوبِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى لَا لَمَلَةٍ فِيهِ  
وَلَا لَسِيْبٍ سَرَاهُ ، وَيَتَجَرَّدُ بِسَرِهِ عَنِ الْقِسَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ الَّتِي يَنَازِلُهَا .  
وَالْتَفَرِيدُ : أَنْ يَتَفَرَّدَ مِنَ الْأَشْكَالِ ، وَيَتَفَرَّدَ فِي الْأَحْوَالِ ، وَيَتَوَسَّدَ فِي الْأَمَالِ وَيَتَغَيَّبُ عَنِ رُؤْيَا أَسْوَالِهِ بِرُؤْيَا مَحْوَرَتِهَا  
وَلَا بَأْسَ بِأَشْكَالِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ (التَّخَرُّفُ ص ١٤٣) .

قوله جل ذكره : « ولذين كفروا بربهم عذابٌ جهنم  
 وبئس المصير • إذا ألقوا فيها سيعوا  
 لها شقيقاً وهي تقور • تكادُ تنبذُ من  
 القيطِ كُلِّها ألقى فيها فرجٌ سألهم  
 خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ » .

أخبر : أنهم محتج عليهم بإرسال الرسل ، فقول لهم الملائكة : ألم يأتكم نذير ؟  
 « قالوا : بلى قد جاءنا نذيرٌ فكذبنا  
 وقُلْنَا ما نَزَّلَ اللَّهُ من شيء إن أنتم  
 إلا في ضلالٍ كبير • وقالوا لو كنَّا  
 نسمعُ أو نَعْقِلُ ما كنَّا في أصحاب  
 السَّعير • » .

« وقالوا أنو كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ .. » فأخبر أنهم لم يكن لهم سمع قبول ، فاستوجبوا  
 العقوبة لأجله<sup>(١)</sup> ، لم يسموا نصيحة الناصحين ولا وعظ الراسخين ، ولا ما فيه قلوبهم حياة .  
 وفي الآية للمؤمنين بشارة ؛ لأنهم يسمعون ويقبلون ما يسمعون ؛ فإنَّ مَنْ سَمِعَ بالحق  
 سمع كل ما يقال عن الحق مِنْ كُلِّ مَنْ يقول عن الحق ، فيحصل له انهم لما يسمع ، لأنه إذا  
 كان من أهل الحقائق يكون سَمْعُهُ من الله وبالله وفي الله .

قوله جل ذكره : « فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب  
 السعير • » .

اعترفوا بذنبهم ولكن في غير وقت الاعتراف .. فلا جرّم يقال لهم : « فسحقاً  
 لأصحاب السعير • » .

(١) من الآية ومن إثباتها يتضح : أن العقوبة لا تكون إلا بعد إرسال الرسل الذين يتسلطون بالحجة  
 ويستقنون الطرد .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ

لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ » .

الخشية توجب علم التوابع<sup>(١)</sup> فيكون البعد أبداً — لازعاجه — كالتب على القلق ؛ لا يتر له أونهازه ، يتوقع العقوبات مع مجارى الأملس ، وكلنا ازداد فى الله طاعة ازداد لله خشية .

قوله جل ذكره : « وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » .

خوفهم بعليه ، وتدبهم إلى مراقبه ؛ لأنه يعلم السر وأخفى ، ويسمع الجهر والنجوى .. ثم قال مبيناً :

« أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

الْخَبِيرُ » .

وفى كل جزء من خلقه — من الأعيان والآثار — أدلة على علمه وحكمه .

قوله جل ذكره : « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا

فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهَا

وإليه التَّشُورُ » .

أى إذا أردتم أن تغربوا فى الأرض سهّل عليكم ذلك .

كذلك جعل النفس ذلولاً ؛ فوطأ ألبتها بالوطأ وجَدَّتْهَا مُسَاعِدَةً مُوَاقَّةً ، مُتَابِعَةً مُسَابِقَةً .. وقد قيل فى مفتها :

هى النفس ماعودتها تعود . وللدهر أيام تُدْمُ وتُحْمَدُ

قوله جل ذكره : « أَمِئْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ

الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَعُورُ » أَمِئْتُمْ مَنْ

(١) مكلنا فى م وهى فى م (هفراق) والصواب ما أثبتنا — بتدليل ما بعدها .

فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا  
فَسَتَمْلِكُونَ كَيْفَ تُنْذِرُ .

« من في السماء » أراد بهم الملائكة الذين يسكنون السماء ، فهم موكلون بالذاب .

وخرّفهم بالملائكة أَنْ يُنْزِلُوا عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ مِنَ السَّمَاءِ ، أَوْ يُخْسِفُوا بِهِمُ الْأَرْضَ ،  
وَكَذَلِكَ خَوَّفَهُمْ أَنْ يُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً كَمَا أُرْسِلُوا عَلَى قَوْمِ لُوطَ . وَيَنْ أُنَّ مَنْ كَذَّبَ  
قَبْلَ هَؤُلَاءِ رُسُلَهُمْ كَيْفَ كَانَتْ عُقُوبَتُهُمْ ، ثُمَّ زَادَ فِي الْبَيَانِ وَقَالَ :

« أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ  
وَيَقْبِضْنَ مَا يُتَكَبَّرُونَ إِلَّا الْإِلَهِ الرَّحْمَنُ  
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ .

أولم يروا كيف خلق الطيور على اختلاف أجناسها ، واختصاصها بالطيران لأن لها أجنحة —  
بمخلاف الأجسام<sup>(١)</sup> الآخر . . . من الذي يمكنهم ويحفظهم ومن يقبض ويبسط أجنحتهم  
في الفضاء ؟ وما الذي يوجه العقل حفظ هذه الطيور أم بقية الأجسام الأخر ؟ .

« أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ  
يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ  
الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ .

إِنْ أَرَادَ الرَّحْمَنُ بِكَ سُوْيَا . فَمَنْ الَّذِي يُوسِّعُ عَلَيْكَ مَا قَبَضَهُ ، أَوْ يَحْصُو مَا أُنْثَاهُ ،  
أَوْ يَقْدِمُ مَا أَخَّرَهُ ، أَوْ يُؤَخِّرُ مَا قَدَّمَهُ ؟ .

قوله جل ذكره : « أَفَتَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ  
أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ .  
مُسْتَقِيمٌ • قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ .

---

(١) هكذا في م وهي في ص (الأصنام) والصواب ما أنبأه ، لأن المقصود المقارنة بين الطيور وغيرها من  
الأجسام بصفة عامة .

وَحَصَّكُم بِالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْأَفْئِدَةِ ، وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ عَظِيمَ نِعْمِهِ .  
 « وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ؟ » .  
 وأجاب عنه حيث قال : لَا تَسْتَعْجِلُوا الْعَذَابَ ، وَبَيَّنَّ أَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ كَيْفَ يَخْفَوْنَ  
 وَكَيْفَ يَنْدَمُونَ .

قوله جل ذكره : « قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَّهُ وَمَنْ  
 مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ  
 مَنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ  
 أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا . . . »  
 وَإِلَيْهِ أَمْرُنَا — جَلَّةٌ — فَوَضَعْنَا .

« قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا  
 فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ » .  
 مَنْ الَّذِي يَأْتِيكُمْ بِالمَاءِ إِذَا صَارَ غَوْرًا فِي الْأَرْضِ لَا تَنَالُهُ الْأَيْدَى .  
 وَهَذِهِ آيَاتٌ جَمِيعُهَا عَلَى وَجْهِ الْاِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ . . . وَلَمْ يَكُنْ لَوَاحِدٍ عَنْ ذَلِكَ جَوَابٌ .

## سُورَةُ الْقَلَمِ <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ كَرِيمٌ مَنْ شَهِدَ لِقَلَمِهِ لَمْ يَتَذَلَّلْ بِسَلَمِهِ لَخَلْقٍ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ فِيهَا نَابَهُ مِنْ ضَرٍّ أَصَابَهُ أَوْ خَيْرٍ أَرَادَهُ بِمُحَدَّثٍ مَرْزُوقٍ .

إِنْ أَعْطَاهُ قَابِلُهُ بِالشُّكْرِ ، وَإِنْ مَنَعَهُ اسْتِجَابَهُ بِحَمْدِهِ <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْكَرُونَ » .

« ن » قيل : الحوت الذي على ظهره الكون ، ويقال : هي الدواة .

ويقال : مفتاح اسمه ناصر واسمه نور .

ويقال : إنه أقسمُ بِنُصْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِجَبَائِدِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَأَقْسَمَ بِالْقَلَمِ — وَجَوَابُ الْقَسَمِ قَوْلُهُ :

« مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ رَهْكَ يَمُجْنُونَ • وَإِنْ »

لَكَ لِأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ » .

مَا أَوْجِبَ لَصَدْرِهِ مِنَ الْوَحْشَةِ مِنْ قَوْلِ الْأَعْدَاءِ عَنْهُ :

لَإِنَّهُ يَمُجْنُونَ ، أَزَالَهُ عَنْهُ بَنَفِيهِ ، وَمُحَقِّقًا ذَلِكَ بِالْقَسَمِ عَلَيْهِ .. وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ تَعَالَى مَعَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَمَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ فِيهِ يَرُدُّهُ — سُبْحَانَهُ — عَلَيْهِمْ بِخَطَابِهِ وَعَنْهُ بِبَنَفِيهِ .

(١) هكذا في ص ٠ وفي سورة ن وَالْقَلَمِ .

(٢) يمكن أن يفيد ذلك في التمييز بين الشكر والحمد — كما يرى القشيري .

« وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ » : أى غير منقوص .. لَأَسَمْتَ هِجْتَهُ صلى الله عليه وسلم  
عن طلب الأعراس أثبت الله له الأجر ، قال له : إن لك لأجرًا غير منقوص - وإن  
كنت لا تريد .

ومن ذلك الأجر العظيم هذا اخلُق ، فأنت لست تريد الأجر - وبنا لست تريد ؛  
فلولا أن خصصناك بهذا التحرر لكنت كأمنالك في أنهم في أسير الأعواس .

قوله جل ذكره : « وَإِنَّكَ لَمَلِكٌ خُلِقْتَ عَظِيمٌ » .

كما عرّفه الله سبحانه أخبار مَنْ قَبْلَهُ من الأنبياء عرّفه أنه اجتمعت فيه مفرقات أخلاصهم  
قال له : إِنَّكَ لَمَلِكٌ خُلِقْتَ عَظِيمٌ .

ويقال : إنه عرّض عليه مفاتيح الأرض فلم يقبلها ، ورقاه ليلة المراج ، وأراه جميع  
المملكة والجنة فلم يلتفت إليها ، قال تعالى : « مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى » فما التفت يميناً  
ولا شمالاً ، ولهذا قال تعالى : « وَإِنَّكَ لَمَلِكٌ خُلِقْتَ عَظِيمٌ » .. ويقال : « حل خلق عظيم » :  
لأبالبلاء تنعرف ، ولا بالعطاء تنصرف ؛ احتل صلوات الله عليه في الأذى شجّ رأسه ونفّره ،  
وكان يقول :

« اللهم اغفر تقوى فإنيهم لا يعلمون » . وغداً كل يقول : نسي نسي وهو صلوات الله  
عليه يقول : أمتى أمتى .

ويقال : قلّله بحسن الأخلاق بقوله : « خُذِ النُّفُوسَ وَأْمُرْ بِالْعُرَى وَأَعْرِضْ عَنْ  
الْجَاهِلِينَ » (١) .

سأل صلوات الله عليه جبريل : بماذا يأمرني ربى ؟ قال : بأمرك بحسن الأخلاق ؛ يقول  
لك : « مِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ مَنْ ظَلَمَكَ ، فَادَّبَ بِهَذَا ؛ فَأَنْتَ عَلَيْهِ  
وقال : « وَإِنَّكَ لَمَلِكٌ خُلِقْتَ عَظِيمٌ » .

قوله جل ذكره : « فَسَبِّحْهُ وَيُسَبِّحُوكَ \* بِأَيْكُمُ  
الْمُفْتُونُ \* »

(١) آية ١٩٩ سورة الأعراف .

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ مِّثْلَ مَنْ  
سِوَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُتَّقِينَ .

المختون : الجنون لأنه قَتَلَ أَيْ مُحِنَ بِالْجُنُونِ .

« لَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ » .

مُتَبَوِّدُكَ وَاحِدٌ فَلْيَكُنْ مُتَبَوِّدُكَ وَاحِدًا . . وَإِذَا شَهِدْتَ مُتَبَوِّدُكَ وَاحِدًا فَلْيَكُنْ  
مُتَبَوِّدُكَ وَاحِدًا .

« وَذُؤَالُو تَدْعِيْنُ قِيْدِيْنُونِ » .

مَنْ أَصْبَحَ عَلِيًّا تَمَى أَنْ يَكُونَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مَرَضَى . . وَكَذَا مَنْ وَسَمَ بِكَيْ الْمَجْرَانِ  
وَدَّ أَنْ يُشَارِكَهُ فِيهِ مَنْ عَادَاهُ .

« وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَاقٍ مُبِينِ »

وَهُوَ الَّذِي سَقَطَ مِنْ عَيْنِنَا ، وَأَفِينَاهُ بِالْهَدَى عَنَّا .

« هَمَّازٍ مَشَاءَ بَنِيهِ »

مُحِبُّوبٍ عَنَّا مُتَدَبِّرٍ بِخِلَافِ الْوَقِيعَةِ فِي أَوَّلِيَانَا .

« مَتَاعٌ لِلْغَيْرِ (١) »

مُهَانٍ بِالشَّحْ ، مَسْلُوبِ التَّوْفِيقِ .

« مُعْتَدٍ أَهْمِ »

مُتَعَرِّجٍ الْحَيَاءِ ، مُشَقَّتٍ فِي أَوْدِيَةِ الْحَرَمَانِ .

« عُلٌّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمِ »

لَيْمِ الْأَصْلِ ، عَدَمِ التَّضَلُّ ، شَدِيدِ الْخُصُومَةِ بِبَاطِلِهِ ، غَيْرِ رَاجِعٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْغَيْرِ  
إِلَى حَاصِلِهِ .

« أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ • إِذَا تَنَازَعْتُمْ

عَلَيْهِ آتَيْنَا قَالِ أَسْلَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ »

(١) عند الجمهور - هو الوليد بن المغيرة ، وكان يقول لبني النضر : من أسلم منكم منتد رضى .



(أى: لا تطه لأن كان ذا مالٍ وبين.. ثم استأنف الكلام قال<sup>(١)</sup>): إذا تلى.. فأبكتها بالتكذيب، وحكم أن القرآن من الأساطير.

«سَمِعُهُ عَلَى الْخُرطوم»

أى سَجَمَل له فى القيامة على أنه نشوبها لصورته كى يُعَرَف بها .

قوله جل ذكره: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ» .

أى امتحنهم<sup>(٢)</sup>.. حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فأبطلهم الله بالبلوى، حتى أكلوا الجَنَفَ — كما بلونا أصحاب الجنة، قيل: إن رجلاً من أهل اليمن كانت له جنة مشربة وكان له ثلاثة بنين، وكان للساكيت كل ما تملكه للنَّجَل فلم يحظه من السكر، فإذا طُرِح على البساط فكل شئ سقط عن البساط فهو أيضاً للساكين، فما أخطأه القنطار من نخله وكرمه يذعه للساكين. وكان يجتمع منه مال، فلما مات هو قال وَرَثَتُهُ: إِنَّ هَذَا الْمَالُ قَرَّبَ مِنَّا، وليس يمكننا أن نعمل ما كان يفعله أبونا، وأقسموا ألا يُعطوا للفقراء شيئاً، فأهلك الله جَنَّهُمْ؛ فذموا وتابوا.

وقيل: أبذلهم الله جنة حسنة، فأقسموا ليصرمن جَنَّهُم وقت الصبح قبل أن تظن المساكين، ولم يقولوا: إن شاء الله:

«فَطَلَّ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ

نَائِمُونَ» فأصبحت كالصرم.

أرسل عليها من السماء آفة فأحرقت ثمارهم. وأصبحت «كالصرم» أى كالليل المسود، فنادى بعضهم بعضاً وقت الصبح: أن اغدوا على حرمكم إن أردتم الصرام، فانطلقوا

(١) ما بين القوسين موجود فى ص وغير موجود فى م.. والمعنى: لا تطه - مع هذه العناوين والمطالب - ليعلموا وحظه من الدنيا وكثرة أولاده.

(٢) يقصد أهل مكة حين دعا عليهم الرسول: اللهم اشد وطأتك على مصر، واجعلها عليهم سجين كسنى يوسف.

لا يرضون أصواتهم فيما بينهم ثلاثاً يسميهم أحدٌ . وقصدوا إلى المرام « على حَزْبٍ » أى :  
قادرين عند أنفسهم ، ويقال : على غضبٍ منهم على الساكنين .

فَلَمَّا رَأَوْا الْجَنَّةَ وَقَدْ اسْتَوْصِلَتْ قَالُوا : لَيْسَتْ هَذِهِ جَنَّتُنَا ۖ ۱۱

ثُمَّ قَالُوا : بَلْ هَذِهِ جَنَّتُنَا . . وَلَكِنَّا حَرِمْنَا خَيْرَهَا .

قَالَ أَوْسَطُهُمْ : أَيْ أَعْدَلُهُمْ طَرِيقَةً وَأَحْسَنُهُمْ قَوْلًا :

« أَتَمَّ أَقْلُكُمْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ؟ »

أى : تستنون وتقولون : إن شاء الله <sup>(١)</sup> .

« قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ »

ثُمَّ أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامَمُونَ ، ويقولون :

« عسى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا »

إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ .

قال تعالى : « كَذَلِكَ الْعَذَابُ » لأهل مكة « وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ » :

وهكذا <sup>(٢)</sup> تكون حالُ مَنْ له بدايةٌ حسنةٌ ويحْدُ التوفيقُ على التَّوَالَى ، ويَجْتَنِبُ اللَّامِى ،  
فَيَعُوْذُ اللَّهُ فِي الْوَقْتِ نَشَاطًا ، وَتَلَوُّحٌ فِي بَاطِنِهِ الْأَحْوَالُ . فَلَمَّا بَدَّرَ مِنْهُ سَوْءٌ دَعَا أَوْ تَرَكَهُ  
أَدْبَى مِنْ آتَابِ الْعِلْمَةِ تَلَسَّدَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْأَحْوَالُ وَبَقِيَ فِي قُرْبِهِ <sup>(٣)</sup> مِنَ الْأَعْمَالِ . فَلَمَّا حَصَلَ مِنْهُ  
بِالْمَبَادَاتِ لِإِخْلَالٍ ، وَلِبَعْضِ الْقَرَائِضِ لِإِهْمَالٍ — أَهْلَبَ حَالَهُ ، وَرَدَّ مِنَ الْوَصَالِ إِلَى الْبِمَادِ ،  
وَمِنَ الْإِقْتِرَابِ إِلَى الْإِعْتِرَابِ عَنِ الْبَابِ ، فَصَارَتْ صِفَتُهُ قَسْوَةً . وَلَمَّا كَانَ لَهُ بِذَلِكَ  
تَوْبَةٌ ، وَعَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ نَدَامَةٌ — قَدَّ فَاتَ الْأَمْرُ مِنْ يَدِهِ ، وَقَلْبًا يَصِلُ إِلَى حَالِهِ .

(١) هذا أيضاً رأى مجاهد ، فجعل قول : إن شاء الله من التيسيع ، وهذه هي حقيقة تقديم المشيئة ، فهي  
نزيهة بأن لا شيء إلا بمشيئته .

(٢) هذه الإشارة موجهة إلى أرباب السلوك يقصد بها إلى التوضيح أن العبادة بالغوايم ، وينبغي الاهتمام بهذه  
الفقرة كلها عند بحثنا عن « وصايا القشيري المريدين » .

(٣) جمع آخره وهو ما أسود من الجِلْدِ وَتَقَشَّرَ .

ولا يمد أن ينظر إليه الحق بأفضاله ، فيقبله بعد ذلك رعاية لما سلف في بدايته من أحواله... فإن الله تعالى رعونته بعباده .

قوله جل ذكره : « إِنَّ لِلتَّقِيينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٍ  
النَّعِيمَ » .

الذين يتقون الشرك والكفر ، ثم للمامى والقِسق ، لم عند الله الثواب والأجر .

قوله جل ذكره : « أَفَنَجْعَلُ لِلسَّالِئِن كَالْجَرَمِيْن ؟ »

مالك كيف تحكون ؟ أم  
لكم كتاب فيه تدرسون ؟

كيف تحكون ؟ هل لديكم حجة ؟ أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟ أم لكم مناهجود  
فيها تحكون ؟ والمقصود من هذه الأسئلة نفي ذلك .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ  
إِلَى السَّجْدِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ »

« عن ساقٍ » : أى عن شِدَّةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

ويقال فى التفسير : عن ساقِ العرش .

يُؤْمَرُونَ بِالسَّجْدِ ؛ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَسْجُدُونَ ، وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَيُشَدُّ أَسْلَابُهُمْ فَلَا تَنْحَنِي .

وقيل : يكشف المريض عن ساقه — وقت التوفى — لِيُبَيَّرَ ضَعْفُهُ ، ويقول المؤذِّن :  
حى على الصلاة — فلا يستطيع .

وعلى الجملة قد خوفهم بهذه القالة : إمّا عند انتهائهم فى الدنيا أو ابتلائهم فى الآخرة .

« .... وقد كانوا يُدْعَوْنَ إِلَى

السجود وهم ساليون » .

يُذَكِّرُهُمْ بِذَلِكَ لِيَزِدَادُوا حَسْرَةً ، وَلِتَكُونَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ أَبْلَغَ .

قوله جل ذكره : « قَدْزَى وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ

سَلَتْنَاهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ » .

سَلَتْنَاهُمْ مِنْ الصُّفُوفِ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ .

والاستدراجُ : أَنْ يَرِيدَ الشَّيْءَ وَيَطْوِي عَنْ صَاحِبِهِ وَجْهَ الْقَصْدِ فِيهِ ، وَيُدْرِجُهُ إِلَيْهِ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ ، حَتَّى يَأْخُذَهُ بِنَتَائِجِهِ .

ويقال : الاستدراج : التَّسْكِينُ مِنَ النِّعَمِ مَقْرُوناً بِنِسْيَانِ الشُّكْرِ (١) .

ويقال : الاستدراجُ : أَنَّهُمْ كَمَا أَزْجَدُوا مَصِيَّةً زَادَهُمْ نِعْمَةً .

ويقال : أَلَا يَعْلَمُونَ فِي حَالِ الزَّلَاقَةِ ، وَإِنَّمَا يُؤَخِّرُ الْعُقُوبَةَ إِلَى مَا بَعْدَهَا .

ويقال : هو الاشتغال بالنعمة مع نسيان المنعم .

ويقال : الاغترارُ بطول الإسهال .

ويقال : ظلمٌ مغبوط وباطلٌ مُشَوَّش .

قوله جل ذكره : « وَأَمْ لَمْ يَأْنِ كَيْدِي مَتِينٌ »

أَمْ لَمْ يَأْنِ لَهُمْ .. ثُمَّ إِنَّا أَخَذْتَهُمْ فَأَخَذِي أَلِيمٌ شَدِيدٌ .

قوله جل ذكره : « أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ

مُسْتَقْلُونَ » .

أَي : لَيْسَ عَلَيْهِمْ كَلْفَةٌ مُقَابِلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَلَيْسَتْ عَلَيْهِمْ غَرَامَةٌ إِنْ هُمْ أَتَوْكَ .. فَأَنْتَ لَا تَسْأَلُ أَجْراً .. فَمَا مَوْجِبَاتُ التَّأَخُّرِ وَتَرْكُ الاستِجَابَةِ ؟

« أَمْ حِينَدُمُ النَّيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ؟ » .

أَمْ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنَ النَّيْبِ فَاعْتَرَدُوا بِهِ وَأَوْجِبَ لَهُمْ أَلَا يَسْتَجِيبُونَ ؟ » .

(١) فِي التَّسْكِينِ (بِلِسَانٍ) وَهِيَ غِيْطٌ قَطْعًا ، فَقَدْ اسْتَعْمِلَتْ عَلَى كَلَامِ النَّاسِئِينَ . وَإِلَيْهِ رَأَيْنَا قَوْلَ سَقِيَانِ الثَّوْرِيِّ فِي « شَهْرِهِمْ » نَسِجَ عَلَيْهِمْ كَتَمَ وَتَلَسَّجَ الشُّكْرَ (الْفَرَطِيُّ ص ١٨٠ ص ٢٥١) .

قوله جل ذكره: « فَاَمِنْهُمْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ

كَصَاحِبِ الْحَوْتَ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ».

صاحب الحوت : هو يونس عليه السلام ، نادى وهو مكظوم : ملوه بالنيظ على قومه .

فَلَا تَسْتَجِبْ — يا محمد — بتوبة قومك كما استجبل يونس قلقى مالى ، وَتَذَكَّرْتُ عند جريان حكمتنا ، وَلَا تُعَارِضْ حُدُودَنَا .

« لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نَعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِتَذَّ

بِالرَّاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ » .

أى : لولا أن الله رحمه فضله لطرَحَ بالقضاء وهو مذمور ولكن :

« فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجُعِلَ مِنَ الصَّالِحِينَ » .

« فاصفاه واختاره ، وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون .

قوله جل ذكره: « وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ

بِأَبْصَارِهِمْ » .

كانوا إنما أرادوا أن يُصَيِّبُوا شيئاً بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام ، ثم جاءوا ونظروا إلى ذلك

الشيء ثلاثين : ما أحسنه من شيء ! فكان يسقط المنظور في الوقت . وقد ضلوا ذلك بالهم

ملوات الله عليه ، قالوا : ما أفصحه من رجل ! ولكن الله سبحانه حفظه ، ومَرَّ بذكره عليه (١) .

---

(١) تلبه إلى نقطة حادة .. وردود اسم القشيري عنه القرطبي لا يضى أنه إمامنا عبد الكريم القشيري صاحب هذا الكتاب ، بل ربما كان أحد أيتامه الستة .. فكلمهم أئمة . وربما كان ابنه أبا نصر عبد الرحمن ( انظر القرطبي الجزء العشرين ص ٥٤ ) وليس أدل على ذلك من المقارنة بين قول القشيري هنا وما جاء عنه القرطبي في ص ١٨ ص ٢٥٥ ( قال القشيري : وفي هذا نظر لأن الإصابة بالعين إنما تكون مع الاستحسان والإعجاب لا مع الكراهية والبغض ، ولهذا قال : ويقولون إنه ينجون ) أى يسبونك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن .

## سُورَةُ الْحَاقَّةِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » كلمة عزيزة محتاج في سماعها إلى تَعَمُّرِ عَزِيْزٍ لم يُسْتَمَلْ في سماع الغيبة ، ومحتاج في معرفتها إلى قلبٍ عَزِيْزٍ لم يَتَبَدَّلْ في النقلة والفتية ، لم ينظر صاحبه بعينه إلى ما فيه رُبَّة ، ولم تتبع نفسه اللَّبْسُ <sup>(١)</sup> والطَّبَّةُ <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « الْحَاقَّةُ \* مَا الْحَاقَّةُ \* وما أدراك ما الْحَاقَّةُ » .

« الْحَاقَّةُ » : اسمٌ للقيامة لأنها تَحُقُّ <sup>(٣)</sup> كلَّ إنسانٍ بِصَلَةِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

« وما أدراك ما الْحَاقَّةُ ؟ » : استفهام يفيد التعظيم لأمرها ، والتضخيم لشأنها .

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيَانِهِ وَاقْتَرَفَ الْكَافِرَةَ » .

ذَكَرَ في هذه السورة : الذين كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ من الأمم ، وأصرُّوا على كُفْرِهِمْ ، ولم يقبلوا النصيحة من أنبيائهم ، فأهلكهم ، واقتم لأَنْبِيَاءَهُ مِنْهُمْ .

والفائدة في ذِكْرِهِم : الاعتبارُ بِهِمْ ، والتَّحَوُّرُ عَمَّا ضَلُّوا لئلا يُصِيبَهُمْ ما أَصَابَهُمْ .

وعقوبة هذه الْأُمَّةِ مُؤَجَّلَةٌ مُؤَخَّرَةٌ إِلَى الْقِيَامَةِ ، وَلَكِنْ خَوَّاهُمْ عِقَابُهُمْ مُعَجَّلَةٌ ؛ قَوْمٌ

(١) هكذا في ص أمّا في م نفس (الله) .

(٢) هكذا في ص وهي في م (الطبية) وقد رجحنا - وهو ترجيح جيد - أنها قد تكون (الطبية) بمعنى الحاد والمهارة للتأجيل من الحيلة والتدبير ، وربما كانت ( ولم يتبع مع نفسه اللين والطبية فالتنفس أعدى الأعداء ) .

(٣) لأنها تحق كل عاق في دين الله أي كل غاصم ( وهو قول الأزهري ) . وساقته أي غاصمه وادعى كل واحد منهما الحق (الصالح) .

من هذه الطاقة إذا أشاعوا سرّاً ، أو أضعوا أدباً يباقيهم برياض الحجة<sup>(١)</sup> ، فلا يبقى في قلوبهم أثرٌ من الاحتشام للدين ، ولا يَمَّا كان لم من الأوقات ، ويصيرون على خطرٍ في أحوالهم بأن يُعْتَضِنُوا (بالاعتراض على التقدير<sup>(٢)</sup>) والتسنة .

وأما فرعون وقومه فكان عذابهم بالفرق . . . كذلك مَنْ كان له وقتٌ فارغٌ وهو بطاعة ربّه مشغولٌ ، والحق عليه مُقْبِلٌ — فلذا لم يشكر النعمة ، وأساء أدبه ، ولم يَعْرِفْ قَدْرَ ما أنعم الله به عليه رَدَّه الحقُّ إلى أسباب التفرقة ، ثم أغرقه في بحار الاشتغال فيتكرر مَشْرَبُهُ ، ويصير على خطرٍ بأن يَدْرِكَ سُخْطُ الحقِّ وغضبه .

قوله جل ذكره : « إِنَّا قَاتَلْنَا طَافِيًا لِلْمَاءِ حَمَلًا كُفَّ فِي الْجَارِيَةِ » .

وكذلك تكون ميتته على خواصٍّ أوليائه حين يسلمهم في سفينة العافية ، والكفون يتلاطم في أمواج بحار الاشتغال على اختلاف أوصافها ، فيكونون بوصف السلامة ، لا مُتَنَزِّعَةً ولا محاسبة لهم مع أحد ، ولا تَوْفُّعٌ شيء من أحدهم ؛ سالون من الناس ، والناس منهم سالون .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا نُبِّخَ فِي السُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ . . . . . » .

بدأ في وصف القيامة والحساب . .

« . . . . . يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ » .

وفي كلِّ نفسٍ مع هؤلاء النعم<sup>(٣)</sup> محاسبة ومطالبة ، منهم مَنْ يستحق الماتية ، ومنهم من يستحق للماتية .

(١) في الإشارة قياس على الرياح التي أحلكت عاداً .

(٢) موجود في من أما في م فهي (الإعراس) فقط .

(٣) يقصد أهل المجاهدات والملاقات .

قوله جل ذكره: « فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيهِ • إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ » .

يسلم له السرورُ بنعمة الله ، ويأخذ في الحمد واللدح .

« فهو في عيشة راضية » .

القوم — غداً — في عيشة راضية أى مَرْضِيَّة لهم ، وهؤلاء القوم — اليوم — في عيشة راضية ، والفرق بينهما أنهم — غداً — في عيشة راضية لأنه قد قُضِيَتْ أوطارُهم ، وارتفعت مآرُهم ، وحصلت حاجَتُهم ، وهم — اليوم — في عيشة راضية إذ كَفَوْا مآرِيَهُمْ فَدَفَعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ حَوَائِجَهُمْ ؛ فليس لهم إِرَادَةُ شَيْءٍ ، ولا تَمَسُّهُمْ حَاجَةٌ . وإنما هم في رَوْحِ الرضا .. ضَيْشُ أولئك في المعطاء ، وَعَيْشُ هؤلاء في الرضاء ؛ لأنه إذا بدا عِلْمُ من الحقيقة أو معنى من معانيها فلا يكون ثمة حاجة ولا سؤال . ويقال لأولئك غداً .

« كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ » .

ويقال لهؤلاء : اسمعوا واشهدوا .. اسمعوا منا .. وانظروا إلينا ، واستأنسوا بقرئنا ، وطالعوا جمالنا وجلالنا .. فَأَتَمَّ بنا ولنا .

قوله جل ذكره : « وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشَاحِلِهِ فَيَقُولُ : يَا لَيْفَى لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيهِ • وَلَمْ أُدْرِ مَا حِسَابِيهِ • يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ » .

هناك — اليزم — أقوامٌ مهجورون تصاعد حسراتُهم ، ويتضاعف أُنْبُؤُهُمْ — ليَلَمَهم ونهارُهم — قليلُهم وويلٌ ونهارُهم بُعَادٌ ؛ تَسَكَّدَتْ مشارِبُهُمْ ، وخربت أوطانُ أُنْسِهِمْ ، ولا بكائُهم يُرَحِّمُ ، ولا أُنْبُؤُهُمْ يُسَمِّعُ .. فَيَنْدَمُ أنهم مُبْعَدُونَ .. وهم في الحقيقة من القومِ مرحومون ، أسبل عليهم السترَ فَصَغَّرَهم في أعينهم — وهم أكرمُ أهل القصة كما قالوا :



لا تُنْكِرُون جِطَى هَوَاكَ فَإِنَّمَا ذَاكَ الْجَعْدُ عَلَيْكَ سَتَرٌ مُّسَبَّلٌ  
 قوله جل ذكره : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ •  
 وما لا تبصرون • » .  
 « لا » : صلة وللمنى : أقسم ؛ كأنه قال : أقسم بجميع الأشياء ، لأنه لا ثالث لما يبصرون  
 وما لا يبصرون . وجواب القسم :

« إِنَّهُ تَقُولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • » .

أى وجهه عند الله . وقول الرسول الكريم هو القرآن ، أو قراءة القرآن .  
 وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن أى أن محمداً ليس شاعراً ولا كاهناً بل هو :  
 « نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ السَّالِّينَ » .  
 قوله جل ذكره : « وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ •  
 لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ • ثُمَّ لَقَطَعْنَا  
 مِنْهُ الْوَتِينَ » .

أى لو كان محمدٌ يكذب علينا لمعناه منه وعصمناه عنه ، ولو تعدد لعدّ بناه . والقول بعصمة  
 الأنبياء واجب . ثم كان لا ناصر له منكم ولا من غيركم ، وهذا القرآن :

« وَإِنَّهُ لَفُزْكَةٌ لِلْمُتَّقِينَ • وَإِنَّا لَنَنْصُرُ  
 أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ • وَإِنَّهُ لَكَفَرَةٌ  
 عَلَى الْكَافِرِينَ • وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ » .

حقّ اليقين هو اليقين فالإضافة هكذا إلى نفس الشيء <sup>(١)</sup> .

وعلم الناس تخلف في الطرق إلى اليقين خفاءً وجلاءً ؛ فما يقال عن الترقى بين علم اليقين  
 وعين اليقين وحقّ اليقين يرجع إلى كثرة البراهين ، وخفاء الطريق وجلائه ، ثم إلى كون  
 بعضه ضرورياً وإلى بعضه كسبياً ، ثم ما يكون مع الإدراكات <sup>(٢)</sup> .

(١) لو كان اليقين نمطاً لم يجوز أن يضاف إليه كذا لا تقول : هذا ورد الأحمر ، بالإضافة هنا - كما  
 يرى القشيري - إلى الشيء نفسه . فإن القرآن حق يقينٌ ويقينٌ حق .  
 (٢) انظر محاولة القشيري للفرقة بين معانيها في رسالته ص ٤٧ .

## سُورَةُ الْمَعَايِجِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمةٌ من قَالَهَا وَجَدَ جَلَّالَهَا ، وَمَنْ شَهِدَهَا شَهِدَ جَلَّالَهَا .

وليس كلُّ مَنْ قَالَهَا نَالَهَا ، وَلَا كُلُّ مَنْ احْتَمَلَهَا <sup>(١)</sup> عَرَفَ جَلَّالَهَا .

كَلِمَةٌ رَفِيعَةٌ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَلْبَابِ مَنِيعةٌ ، كَلِمَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ الصَّمَدِيَّةِ دَالَّةٌ ، كَلِمَةٌ لَا بُدَّ لِلْعَبْدِ مِنْ ذِكْرِهَا فِي كُلِّ حَالَةٍ .

قوله جل ذكره : « سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ » .

الباءُ في « بِعَذَابٍ » بمعنى عن ، أَيْ سَأَلَ سَائِلٌ <sup>(٢)</sup> عَنْ هَذَا الْعَذَابِ لِمَنْ هُوَ ؟  
قَالَ تَعَالَى :

« لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ \* مِنْ

اللَّهِ ذِي الْمَارِجِ » .

هَذَا الْعَذَابُ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَارِجِ ؛ فَهَذَا الْعَذَابُ مِنَ اللَّهِ .

وَمَعْنَى « ذِي الْمَارِجِ » ذِي الْفَضْلِ وَمَعَالِي الدَّرَجَاتِ الَّتِي يُبْلَغُ إِلَيْهَا أَوْلِيَائِهِ .

قوله جل ذكره : « تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ

كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » .

(١) هكذا في النسختين ، ولو صحَّ أنها هكذا في الأصل فربما كان المعنى : لَيْسَ كُلُّ مَنْ ادَّعى أَنَّهُ بِحِيلَةٍ وَتَدْبِيرٍ وَمَهَارَةٍ وَحِفْظٍ وَصَلَّ إِلَيْهَا قَدْ عَرَفَ أَسْرَارَهَا .

(٢) هُوَ النَّصْرُ بَيْنَ الْحَارِثِ قَالَ : إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أَلْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . وَبِمَا تَكُونُ سَأَلَ بِمَعْنَى دَعَا ، وَيَكُونُ السَّائِلُ هُوَ النَّبِيُّ (ص) .

« الروح » أى جبريل ، فى يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة من ألام الدنيا  
يعنى به يوم القيامة .

ويقال : معناه يحاسبُ المخلوق فى يومٍ قصيرٍ ووقتٍ يسيرٍ ما لو كان الناسُ يشغلون به  
لكان ذلك خمسين ألف سنة ، واللهُ يُجزئ ذلك ويُخصيه فى يومٍ واحد .

ويقال : من أسفل المخلوقات إلى أعلاها مسيرة خمسين ألف سنة للناس ؛ فثلاثون  
تخرج فيه من أسفل إلى أعلاه فى يومٍ واحد .

قوله جل ذكره : « فَأَصْبِرْ صَبْرًا جِيلًا » .

فأصبر — بالهمزة (١) — على مقاساة أذام صبراً جليلاً . والصبرُ الجليلُ ما لا شكوى فيه .

ويقال : الصبرُ الجليلُ ألا تستقبل الصبرَ بل تستعذبه .

ويقال : الصبرُ الجليلُ ما لا ينتظرُ البعدُ الخروجَ منه ، ويكون ساكنًا راضيًا .

ويقال : الصبرُ الجليلُ أن يكون على شهود الثبيل .

ويقال : الصبرُ الجليلُ ما تبرؤ من الشكوى والدعوى .

قوله جل ذكره : « إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَهِيمًا \* وَزَاهٍ قَرِيبًا »

إِنَّ ما هو آتٍ قَرِيبٌ ، وما استبعدَ مَنْ يستبعدُ إِلَّا لَأَنَّهُ مُرْتَابٌ ؛ فَأَمَّا الْوَاتِقُونَ  
بِالشَّيْءِ فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَبْعِدٍ لَهُ .

قوله جل ذكره : « يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ \*

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ » .

الإشارة فيه أنه فى ذلك اليوم مَنْ كان فى سُوءٍ غُفُوته وَثُرُوءٌ صولته يلين ويستكين

وَيَضَعُ مَنْ كَانَ يَشْرَفُ ، وَيَذُلُّ مَنْ كَانَ يُذِلُّ .

قوله جل ذكره : « وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حِمِيًّا » .

لَا يَتَفَرَّغُ قَرِيبٌ إِلَى قَرِيبٍ ؛ فَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

---

(١) مكذبا فى ص وى فى م (بالهمزة) وراجع فيها أنها اشتبهت على الناسخ .

ولا يَحْمَدُ الْمُسَاكِينَ - في ذلك اليوم - إلا الله .

« يَصْرَوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرَمِ لَوْ يَنْتَدِي  
مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ يَبْنِيهِ • وصاحِبَتِهِ  
وَأَخِيهِ • وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ • وَمَنْ  
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ » .

« يَصْرَوْنَهُمْ » أى يعرفون آثارهم ، ولكن لا تَرْتُقُ قُلُوبُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ .  
وَيَنْتَدِي الْجَرِمُ يَوْمَئِذٍ أَنْ يُنْتَدَى مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ بِأَعَزَّ مَنْ كَانَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ  
قُرْبٍ وَنَسِيبٍ وَحِمِيمٍ وَلَوْلَا ، وَبِكُلِّ مَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَخْلُصَ مِنَ الْعَذَابِ .  
« كَلَّا إِنَّهَا لَأُفْلَى » .

اسم من أسماء جَهَنَّمَ .

« تَرْاعَةَ لِلشَّوَى » (١) .

قَلَاعَةٌ لِلْأَطْرَافِ . تَكْشِطُ الْجِلْدَ عَنِ الْوَجْهِ وَعَنِ الْعُنُقِ .

قوله جل ذكره : « تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى » .

قول جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ : يَا فُلَانُ .. إِلَى الْإِلَى .

والإشارة فيه : أَنَّ جَهَنَّمَ الدُّنْيَا تَطْلُقُ قَلْبَ الْمَرْءِ فَتُدْعُوهُ بِكَلَابِ الْجَرِمِ إِلَى نَفْسِهِ وَتَجْرُهُ  
إِلَى جَمْعِهَا حَتَّى يُوْثَرَهَا عَلَى نَفْسِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ لَهُ ؛ حَتَّى لَقَدْ يَبْخَلُ بِذِيَاهِ عَلَى أَوْلَادِهِ وَأَعْرَافِهِ ...  
وَقَلِيلٌ مَنْ نَجَا مِنْ مَكْرِ الدُّنْيَا وَتَسْوِيلَاتِهَا .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا » .

---

(١) وَالشَّوَى جَمْعُ شَوَاةٍ وَهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ ، قَالَ الْأَمَّيْنُ :

قَالَتْ قُتَيْبَةُ : مَا لَهَا قَدْ جِلَّتْ شَيْئًا شَوَاتُهُ

وَجَاءَ نِ الصَّمَاعُ : الشَّوَى جَمْعُ شَوَاةٍ وَهِيَ جِلْدَةُ الرَّأْسِ . وَهِيَ الْيَدَانِ وَالرِّجْلَانِ وَالرَّأْسُ مِنَ الْأَمَمِينَ ،  
وَكَأَنَّ مَا لَيْسَ مَقْتَلًا . يُقَالُ : رَمَاهُ فَأَشَوَاهُ أَيْ لَمْ يَصِبِ الْمَقْتُلَ .

وَقَالَ الصَّمَاعُ : تَقْرَى الْجِلْدُ وَالْعَمَمُ عَنِ الْعُنُقِ حَتَّى لَا تَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ . وَنَرَى أَنَّ الْمَقْصُودَ - وَاللهُ أَعْلَمُ .  
أَنَّ الْعَذَابَ لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ ، حَتَّى يَسْتَمِرَّ وَاقِعًا بِهِمْ إِلَى الْأَبَدِ .

وغيره ما يتلوه :

« إِنَّا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزَوْكَ • وَإِنَّا مَسَّهُ  
الْخَيْرُ مَنَوْنَا » .

وَالْهَلَسُ شِدَّةُ الْحَرِّ مَعَ الْجَزَعِ . ويقال هُلوعا : متقلباً في غمرات الشهوات .

ويقال : يَرْضِيهِ التَّلِيلُ وَيُخْطِلُهُ الْبَسِيرُ .

ويقال : عند الحنة يدعو ، وعند النمة ينسى ويجهو .

« إِلَّا الْمُصَلِّينَ • الَّذِينَ هُمْ عَلَى  
صَلَاتِهِمْ حَاضِرُونَ » .

استثنى منهم المصلين — وهم الذين يلزمون أبداً مواطنَ الافتقار ؛ مِنْ صَلَاتِهِمْ  
بِالْمَكَانِ<sup>(١)</sup> .

« وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ  
لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

وَهُوَ الْمُنْكَفَفُ وَالْمُتَعَفِّفُ .

وَمِنْ عَلَى أَفْسَامٍ مِنْهُمْ مَنْ يُؤَثِّرُ بِجَمِيعِ مَالِهِ ؛ فَأَمْوَالُهُمْ لِكُلِّ مَنْ قَعَدَ ، لَا يَحْصُونَ  
سَائِلًا مِنْ عَائِلٍ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْطَى وَيَمْسِكُ — وَهَؤُلَاءِ<sup>(٢)</sup> مِنْهُمْ — وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى يَدَهُ  
يَدَ الْأَمَانَةِ فَلَا يَتَكَلَّفُ اخْتِيَارَهُ ، وَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ مَا يُشَارُ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الْأَمْرِ ؛ إِنَّمَا بِالْإِمْسَاكِ يَنْقِفُ  
أَوْ يَبْذِلُ الْكُلَّ أَوْ الْبَعْضَ فَيَسْتَجِيبُ عَلَى مَا يُطَالَبُ بِهِ وَمَا يَتَضَيَّعُ حُكْمُ الْوَقْتِ . . . .  
وَهَؤُلَاءِ أُنْتَهُمُ .

(١) سَكَبَتْ لِلنَّاقَةِ أَوْ الْحَامِلِ وَنَحَوَهَا اسْتَرْخَى صَلَاحًا لِقَرَبِ تَنَاجِيهَا (الفرسي).

(٢) أَيْ الَّذِينَ تَصَدَّقَتْ عَنْهُمْ الْآيَةُ .

« وَالَّذِينَ يُضَدِّقُونَ يَوْمَ الْقَدَرِ » .

وأما زهم الاستعداد للموت قبل نزوله ، وأى يكونوا كما قيل :

مستوفزون على رجل كآتهم قد يريدون أن يمضوا فيرتعوا

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ هُمْ قُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ »

إلا على أزواجهم أو ما ملكت

أيمانهم فإنهم غير ملومين • فمن أبغى

وراء ذلك فأولئك هم الملعونون .

ولما تكون صحتهم مع أزواجهم لتنفيف وصون النفس ، ثم لا يتشاء أن يكون له ولد من صلبه يذكر الله . وشرط هذه الصفة : أن يعيش معها على ما يهون ، ولا يبرحها إلى هوى نفسه ويعملها على مراده وهو .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ »

يعقلون الأمانات التي عندهم للخلق ولا يخونون فيها . وأمانات الحق التي عندهم أعضاءهم الظاهرة — فلا يدسونها بالخطايا ؛ فالمرأة التي في قلبهم أمانة عندهم من الحق ، والأسرار التي بينهم وبين الله أمانات عندهم . والفرائض والوالموازم والتوحيد .. كل ذلك أمانات .

ويقال : من الأمانات إقرارهم وقت الذر . ويقال : من الأمانات عند العبد تلك المحبة التي أودعها الله في قلبه .

قوله جل ذكره : « وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ » .

شهادتهم لله بالوحدانية ، وفيها بينهم لبعضهم عند بعض — يقومون بحقوق ذلك كله .

قوله جل ذكره : « فَلِلَّذِينَ كَفَرُوا ثَلَاثٌ مُّهْلِكَةٌ »

عن المؤمنين وعن الشمال عزين » .

والإعطاء أن يُقبلَ بصره إلى الشيء فلا يرفسه عنه ، وكذلك كانوا يفعلون عند النبي صلى الله عليه وسلم « وعزين » : أى خلقاً خلقاً ، وجماعة جماعة .

« أَطْلِعْ كُلَّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ؟ »

كلا .. إنك لاتدعو عن هذا ! وليس هذا بصواب ! فليهم - اليوم - كفار ، وغداً ياملون بما يستوجبون .

« فلا أقسمُ ربُّ للشارق والمغرب . . » لا — هنا صلة ، والملقى أقسم . وقد مضى القولُ في للشارق والمغرب - « إنا قادرون » على ذلك .

« فذرهم يخوضوا ويلعبوا » غاية التهديد والتوبيخ لهم .

« يومَ يخرجون من الأجداثِ سِراعاً » كأنهم يسرعون إلى أصنامهم ، شبه إسرائيل حين قاموا من القبور يسراعهم إلى النُصبِ - اليوم - كي يقوموا بعبادتهم إياها .

## سُورَةُ نُوحٍ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمُ مَنْ قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَقَامَتِ الْأَسْرَارُ وَالْقُلُوبُ بِنَصْرَتِهِ .. دَلَّتِ الْأَقْصَالُ عَلَى جَلَالِ شَانِهِ ، وَدَلَّتِ الرَّقَابُ عِنْدَ شُهُودِ سُلْطَانِهِ . أَشْرَقَتِ الْأَقْطَارُ بِنُورِهِ فِي الْعَقَبِي ، وَأَشْرَقَتِ الْأَسْرَارُ بِظُهُورِهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ الْقُدُّوسُ بِالْوَصْفِ الْأَعْلَى .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ

قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

أَرْسَلْنَا نُوحًا بِالنَّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ . « أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ » أَيْ بَانَ أَنْذَرُهُمْ وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ مِنْ اللَّهِ فَضْلٌ<sup>(١)</sup> ، وَلَهُ بِحَقِّ مُلْكِهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا أَرَادَ ، وَلَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ إِرْسَالُ الرُّسُلِ لِأَنَّ حَقِيقَتَهُ لَا تَهِيلُ الْوُجُوبَ .

وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ إِلَى مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ جَائِزٌ<sup>(٢)</sup> ، وَتَكْلِيفُهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَقْلِ جَائِزٌ<sup>(٣)</sup> .

فَنُوحٌ — عَلِمَ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ .. وَمَعَ ذَلِكَ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ :

« قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ •

أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَقْرَبُوا إِلَهُهُ وَأَطِيعُوا »

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ (فَعِلَ) وَهِيَ صَوَابٌ يَدُلُّ عَلَى قَوْلِهِ قَبْلَ ذَلِكَ : (أَنْ يَفْعَلَ) مَا أَرَادَ وَلَكِنَّا رَجَعْنَا (فَعِلَ) لِأَنَّ التَّشْدِيدَ يَسْتَحْسِنُ اسْتِعْمَالَ (الْفَعِلِ) عِنْدَمَا يُتَحَدَّثُ عَنْ فَعْلٍ (الْوُجُوبِ) عَلَى اللَّهِ .

(٢) كَيْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً ، قَالَ تَمَالَى : « وَسَلَا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِثَلَاثَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بِمَا بَعْدَ الرُّسُلِ » .

(٣) وَلَكِنْ لَا عِقَابَ إِلَّا بِمَا بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ ؟ لِأَنَّ الْعَقْلَ وَحْدَهُ غَيْرُ كَافٍ فِي قَطْعِ الْمَلْعُورَةِ (تَقَارُنَ ذَلِكَ بِأَرَادَ الْمَعْتَرِزَةِ) .



« يَنْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرُكُمْ  
إِلَى أَجَلٍ مُّتَعَيَّنٍ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ  
لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

ينفر لكم « من » ذنوبكم : من هنا الجنس لا للتبويض كقوله تعالى :  
« فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ » .

ويقال : ما فعلوه دون ما هو معلوم أنهم سيفعلونه ؛ لأنه لو أخبرهم بأنه غفر لهم ذلك كان  
إغراء لهم .. وذلك لا يجوز . فأبوا أن يقبلوا منه ، قال :

« قَالَ رَبُّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا  
وَنَهَارًا • فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا » .

يَنْ أَن الهداية ليست إليه ، وقال : إِن أَرَدْتُ إِيْعَانَهُمْ قُلُوبُهُمْ بِقُدْرَتِكَ — سبحانه .  
قوله جل ذكره : « وَأَصْرُوا وَاسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا »

وإني ما ازددت لهم دعاء إلا ازدادوا إصرارًا واستكبارًا .

ويقال : لنا حام بينهم إصرارهم تولد من الإصرار استكبارهم ، قال تعالى :  
« فَتَالِ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ قَسَّتْ قُلُوبُهُمْ » <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا • ثُمَّ إِنِّي »

أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا •  
هَلَلْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ  
غَفَّارًا • يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا •  
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ  
جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » .

(١) آية ١٦ سورة الحديد .

لِيَعْلَمَ الْعَالَمُونَ : أَنَّ الْاِسْتِغْفَارَ قَرَعُ أَبْوَابِ النِّعَةِ ، فَن وَقْتُ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ فَلَنْ يَصِلَ  
إِلَى مُرَادِهِ إِلَّا بِتَقْدِيمِ الْاِسْتِغْفَارِ .

وَيَقَالُ : مَنْ أَرَادَ التَّنَزُّلَ فَلْيَهْ بِالْمُنْدَرِ وَالتَّنَزُّلِ .

قوله : « يَرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ . . . » : كَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَّمَاءً أَزْدَادِي فِي بَيَانِ  
وَجْهِهِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ زَادُوا فِي الْكُفْرِ وَالتَّنْيَانِ .

قوله جَلِّ ذِكْرَهُ : « مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ؟ »

مَا لَكُمْ لَا تَخَافُونَ اللَّهَ عَظَمَةً ؟ وَمَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ وَلَا تَوْتَلُونَ عَلَى تَوْفِيرِكُمْ لِلْأَمْرِ  
مِنْ اللَّهِ لَطَمًا وَنَمَةً ؟ .

« أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ

سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا \* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ

نُورًا \* وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا »

ثُمَّ نَبِّهَهُمْ إِلَى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا مِنَ الدَّلَالَاتِ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ ، وَعَلَى أَنَّ  
خَالِقَهَا يَسْتَحِقُّ صِفَاتِ الْمُلُوكِ وَالْمَرْءَةِ .

ثُمَّ شَكَاهُ نُوحٌ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ :

« قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي هُمْ عَصَوْنِي

وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ

إِلَّا خُسَارًا \* وَمَكُرُوا مَكْرًا كُبْرَارًا »

يعني كبراءهم وأغنياءهم الذين ضلُّوا في الدنيا وهلكوا في الآخرة .

« وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي

الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » .

وَذَلِكَ بِتَعْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى إِيَّاهُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مَنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ . فَاسْتَجَابَ اللَّهُ  
فِيهِمْ دَعَاءَهُ وَأَهْلَكَهُمْ .

## سُورَةُ الْجِنِّ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » اسم عزيز به أَقَرَّ مِنْ أَقَرِّ بربوبيته ، وبه أَصَرَّ مِنْ أَصَرٍّ على معرفته ، وبه استقرَّ من استقرَّ من خلقته ، وبه ظَهَرَ ما ظَهَرَ من مقدوراته ، وبه بَطَّنَ ما بَطَّنَ من مخلوقاته<sup>(٢)</sup> ، فَمَنْ جَعَلَهُ فَنبْذَلْهُ<sup>(٣)</sup> وحرمانه ، ومن وَحَدَ<sup>(٤)</sup> فيلحاضه وامتنانه .

قوله جل ذكره : « قُلْ أُوْحِيْ إِلَى أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ قَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجبًا »

قيل : إن الجن كانوا يأتون السماء فيستمعون إلى قول الملائكة ، فيحفظونه ، ثم يلقونه إلى السكينة ، فيريدون فيه ويتقصون .. وكذلك كانوا في الفترة التي بين نبينا صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام . فلَمَّا بُعِثَ نبينا صلى الله عليه وسلم وَرَجُوا بالشُّبْهِ عَمَّ إبليس أنه وقع شيء<sup>(٥)</sup> ففر جنوده ، فأق سمع منهم إلى بطن غلّة واستمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم فآمنوا ، ثم آتوا قومهم وقالوا : إِنَّا سَمِعْنَا قرآنًا عجبًا يهدي إلى الرشد فآمنوا به ... إلى آخر الآيات .

( وجاءه سبعون منهم وأسلموا وذلك قوله تعالى : « وإخاضرنا إليك نفراً من الجن .. »<sup>(٦)</sup> )

(١) أخطأ النسخ في ص وجعلها (سورة المزمل) بينا للتفسير جازم لسورة الجن .

(٢) إشارة إلى الجن .. وهنا نوع من الترابط بين إحصاءات البسلة والسورة .

(٣) الباء هنا معناها ( بسبب ) أي أن الملائكة جحد بسبب إعلان الله له في القصة .

(٤) هكذا في ص وهي الصواب بينا هي في م ( تصد ) ونحن نعلم أن للتشوي يستعمل ( جحد ) و ( وحده )

متقابلين .

(٥) وحدث شيء في الأرض ( الترمذي ) .

(٦) ما بين التوسين ورد في م ولم يرد في ص ، والآية هي رقم ٢٩ سورة الأحقاف .

قوله جل ذكره : « وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة

ولا ولدا » .

الجدة الطاهرة ، والنطة استحقاق ثوبت الجلال .

« وأنه كان يقول سمعنا على الله

شعلنا » .

أراد بالنبيه الجاهل بالله يعنى إبليس . والشطط السرف .

« وأنا ظننا أن لن حول الإنسان

والجن على الله كذبا » .

فى كفرهم وكلمهم بالشرك .

« وأنه كان رجال من الإنسان يهودون

برجال من الجن فزادهم رهقا » .

أى ذلة وصغار ؛ فالجن زادوا للإنسان ذلة ورهقا<sup>(١)</sup> (فكانوا إذا نزلوا يقولون : نعوذ  
برب هذا الوادى فيقوم الجن أنهم على شئ فزادهم رهقا<sup>(٢)</sup>) حيث استعانوا بهم .

قوله جل ذكره : « وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث

الله أحدا » .

أى ظنوا كما ظن الكفار من الجن ألا بعث ولا نشور — كما ظنتم أيها الإنسان .

« وأنا لسننا السماء فوجدناها ملئت

حرما شديدا وشهبا » .

يعنى حين منموا عن الاستماع .

« وأنا كنا نحمد منها مقاعد للسمع

فمن يستمع الآن يمد له شهابا رصدا » .

(١) أى أن الجن زادوا الإنسان رهقا وهو الخليفة والإثم حين استعانوا بنبي الله .

وقال مجاهد : زاد الإنسان الجن رهقا أى ظفنا هذا التصديق قالت الجن : صدنا الإنسان والجن .

(٢) ما بين الفرسين موجود فى ص وغير موجود فى م .

فَالْآنَ قَدْ مُنِمْنَا .

« وَأَنَا لَا خَيْرَ لَشَرِّ أُرِيدَ بَيْنَ فِي  
الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ؟ » .  
« وَالْوَلِيُّ اسْتَغَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ  
لَأَسْتَبِيحَهُمْ مَلَهُ غَدَاً » .

الاستقامة على الطريقة تنفض إلى كمال النعمة وإكثار الراحة . والإعراض عن الله  
يوجب تنقص المشي ودوام الخوبة .

قوله جل ذكره : « وَأَنْ لِلسَّاجِدِ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ  
اللَّهِ أَحَدًا » .

للمسجد فضيلة ، ولهذا خصه الله سبحانه وأفرده بالذكر من بين البقاع ؛ فهو محل العبادة ..  
وكيف يُحَلُّ المأبد عنده إذا حلَّ محلَّ قَدَمِهِ <sup>(١)</sup> ١٩ .

و يقال : أَرَادَ بالسَّاجِدَ الأَعْضَاءَ الَّتِي يَسْجُدُ عَلَيْهَا ، أَعْبَرُ أَنَّهَا اللَّهُ ، فَلَا تَعْبُدُوا بِنَاءً لَهَا غَيْرَ اللَّهِ .  
قوله جل ذكره : « وَأَنْتَ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا  
يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا » .

لما قام عبد الله بنى عمداً عليه السلام يدعو اتَّخَلَّقَ إِلَى اللَّهِ كَادَ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَكُونُونَ  
مَجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ ، يَمْنُونَهُ عَنِ التَّبْلِيغِ ، قُلْ يَا مُحَمَّد :

« قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا  
وَلَا رَشَدًا » • قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ  
اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ  
مُلْتَجَاً » .

لَا أَقْدِرُ أَنْ أَدْفَعَ عَنْكُمْ ضَرًّا ، وَأُاسْوِقَ لَكُمْ خَيْرًا .. فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ اللَّهِ . وَلَنْ أَجِدَ  
مِنْ دُونِهِ مُلْتَجَاً إِلَّا :

---

(١) العبارة غامضة وتحتاج إلى توضيح .. وربما قصد التثنية إلى أنه إذا كان المسجد وهو محل قدم المأبد  
مكرماً .. لما يملك بالمأبد نفسه ، وعمله عند الله ؟ .

« إِنْ بَلَغْنَا مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ »

فَلَنْ يَنْجِيَنِي مِنْ اللَّهِ إِلَّا تَبْلِيغِي رَسُولَانَهُ بِأَمْرِهِ .

« وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قُلْنَا لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » .

قوله جل ذكره : « قُلْ إِنْ أَذْرَى أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَحْسِلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا »

أى : لا أذرى ما تُوعَدُونَ من العقوبة ، ومن قيام الساعة أقرب أم بعيد ؟ فكونوا على حذر . ويجب أن يتوقع البدءُ العقوباتُ أبدًا مع مجارى الأفعال ليسلم من العقوبة .

قوله جل ذكره : « عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا » إلا مَنْ أَرَفْنَاهُ مِنْ رَسُولِهِ

فيظلمه بقدْر ما يريد .

« لِيَعْلَمَ (١) أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَيْسَ بِهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا » .

أرسل مع الوحى ملائكةً قُدَّامَهُ وَخَلْفَهُ . . هم ملائكةٌ حَفَظَةُ ، يحفظون الوحى من الكهنة والشياطين ، حتى لا يزيّدوا أو ينقصوا الرسلاتِ التى يحملها . . . والله يعلم ذلك ، وأحاطَ علّمه به .

---

(١) قرأ ابن عباس (ليعلم) أى : ليسلم الناس أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم .

## سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

«بسم الله»: الحادثاتُ بالله حصلت ، قلوبُ العارفين بالله عرفت ما عرفت وأرواحُ الصديقين بالله ألفت من ألفت وفهومُ اللوحدين باحاتِ جلاله وقفت ، ونفوسُ العابدين بالجز عن استحقاق عبادته أنصفت وعقولُ الأولين والآخرين بالجز عن معرفة جلاله أعرفت .

قوله جل ذكره: «يأيها المزمِّل \* قم الليلَ إلا قليلاً» ،

أى: للزمِّل اللتلفُ في نيايه . وفي الخبر: أنه كان عند نزول هذه الآية عليه مِرطٌ من شعرٍ ووترٍ ، وقالت عائشة رضى الله عنها: كان نصفه على وأنا نائمة ، ونصفه على رسول الله وهو يُصَلِّي ، وطولُ المِرطِ أربعة عشر ذراعاً<sup>(١)</sup> .

«نصفه أو أقص منه قليلاً \* أو زد»

عليه ورتِّل القرآن ترتيلاً» .

قم الليل إلا قليلاً ، نصفه بَدَل منه ؛ أى: قم نصف الليل ، وأقص من النصف إلى الثلث أو زد على الثلث ، فكان عليه الصلاة والسلام في وجوب قيام الليل محجراً ما بين ثلث الليل إلى النصف وما بين النصف إلى الثلث . وكان ذلك قبل فرض الصلوات الخمس ، ثم نُسِخَ بعد وجوبها على الأمة — وإن كانت بقيت واجبة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويقال: يأيها المزمِّل بأعباء النبوة . . قم الليل .

(١) معنى هذا: أن السورة مدنية رويته مكة ، لأن النبي لم يبين بمائته إلا في المدينة .

ويقال : يَا أَيُّهَا الَّذِي يُخْفِي مَا خَصَّنَاهُ بِهِ قُمْ فَأَنْذِرْ .. فَإِنَّا نَصْرُنَاكَ<sup>(١)</sup> .

ويقال : قُمْ بِنَا .. يَا مَنْ جَلَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُن فِيهِ كُلُّ النَّاسِ .. قُمْ أَنْتَ فَلَيْسَكُن الْكُلُّ .. وَلَقَدْ أَنْتَ .

ويقال : لَمَّا فَرَضَ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِاللَّيْلِ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ لِأَجْلِ أُمَّتِهِ وَإِكْرَامًا لِنَافِعِهِ وَقَدَرِهِ .  
وفي الخبر : « أَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّاءِ الدُّنْيَا ... » وَلَا يَدْرِي التَّأْوِيلَ لِلْخَبَرِ<sup>(٢)</sup> ،  
أَوْ أَنَّ التَّأْوِيلَ مَعْلُومٌ .. وَإِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ إِلَى التَّأْوِيلِ فَلِلْأَحْبَابِ رَاحَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَوَجُوهٌ  
مِنَ الْإِحْسَانِ مَوْفُورَةٌ .

قوله جل ذكره : « وَرَزَّلْنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا »

إِذْ تَرَجَّعَ يَسِيرُكَ فِي قَهْمِهِ ، وَتَأَنَّنَ بِلِسَانِكَ فِي قِرَاءَتِهِ .

« إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا » .

قيل : هُوَ الْقُرْآنُ . وَقِيلَ : كَلِمَةٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

ويقال : الْوَحْيُ ؛ وَثَمَّاهُ ثَقِيلًا أَيْ خَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلًا فِي الْمِيزَانِ .

ويقال : ثَقِيلٌ أَيْ : لَهُ وَزْنٌ وَخَطَرٌ . وفي الخبر : كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ — وَهُوَ عَلَى  
نَاقَتِهِ — وَضَعَتْ جِرَانُهَا<sup>(٣)</sup> ، وَلَا تَكَادُ تَتَحَرَّكُ حَتَّى يُسْرِمَ عَنْهُ .

ودروى ابن عباس : أَنَّ سُورَةَ الْأَنْعَامِ نَزَلَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً فَبَرَكَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ثَقُلِ الْقُرْآنِ وَهَيْبَتِهِ .

ويقال « ثَقِيلًا » سَمَاعُهُ عَلَى مَنْ جَعَلَهُ

(١) جَدَانُ تَحْرِيجَانُ عِجَازِيَانِ الْفَلْظَةُ (الْمُزْمَلُ) .

(٢) هَذَا الْخَبَرُ ضَعِيفٌ كَانَ مُوَضَّعٌ نَظَرٌ ؛ فَقَدْ رَوَى عَنْ طَرِيقَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ الشَّكِّ ، فَقَدْ صَحَّحَ مُسْلِمٌ  
مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثَلَاثَةُ يَمَمَاتٍ يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا  
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى سَاءِ الدُّنْيَا كُلِّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمُضِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ،  
أَنَا الْمَلِكُ مِنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ؟ مِنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ ؟ مِنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ ؟ فَلَا يَزَالُ  
كَذَلِكَ حَتَّى يَمُضِيَ الْقَبْرِ . وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ أَبِي مِلْجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الرَّسُولَ (ص)  
قَالَ : يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ يَمُضِي ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ .. « وَكَهَذَا أَنْتَظِمُ الْخَبَرَ وَالْقُرْآنَ .  
(٣) أَيْ : صَلَبَهَا .



ويقال : « قَبِيلًا يَمِينُهُ — إِلَّا عَلَى مَنْ أَيْدٍ قُوَّةٌ سَمَوِيَّةٌ ، وَرُبِّي فِي حِجْرِ الْقَرِيبِ »  
 قوله جل ذكره : « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً  
 وَأَقْوَمُ قِيلًا » .

أى : ساءت الليل ، فكل ساعة تحدث فيها ناشئة<sup>(١)</sup> ، وهى أشد وطأً أى : مُوَطَّاةً  
 أى : هى أشد مواهةً للسان والقلب ، وأشد نشاطاً .

ويحصل : هى أشد وأغلظ على الإنسان من القيام بالنهار .  
 « وأقوم قِيلاً » أى : أَيْبَنُ قولاً .

ويقال : هى أشد مواطأةً للقلب وأقوم قِيلاً لأنها أبعد من الرياء ، ويكون فيها حضورُ  
 القلب وسكونُ السرِّ أبلغ وأتم .

قوله جل ذكره : « إِنَّ بَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا » .

أى : سبحاً فى أعمالك ، والسبح : القهلب والسرعة ، ومنه السباحة فى الماء .

فاللغى : مناهيك فى النهار فيما يَسْفُكُكَ كثيرةً — والليل أُخِلَّ لك .

قوله جل ذكره : « وَأَذْكُرُ اسمَ رَبِّكَ وَتَقُولُ إِلَهُ  
 تَبْتِيلًا » .

أى : اقطع إلى انقطاعاً تاماً .

« رَبُّ الشَّعَرِيقِ وَالتَّغْرِيبِ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا » .

الوكيلُ مَنْ تَوَكَّلُ إِلَيْهِ الْأُمُورُ ؛ أى : تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَكِلْ أُمُورَكَ إِلَيْهِ ، وثيق به ..

ويقال : إنك إذا اتخذت من المخلوقين وكيلاً اخترلوا مالكَ ومطالبوك بالأجرة ،

وإذا اتخذت وكيلاً أَوْفَرُ عَلَيْكَ مَالِكَ وَأَعْطَيْكَ الْأَجْرَ .

(١) قال ابن مسعود : الحيشة يقرولون : نشأ أى قام .

فكان ناشئة الليل مصدر بمعنى قيام الليل ... مثل شامطة وكاذبة .. فإذا افترضنا أنها كلمة شائعة الاستعمال  
 عند الحيشة بهذا المعنى فلها ذات أصل عربى أيضاً .

وقال : وكيف ينفق عليك من مالك ، وأنا أربزك وأفق عليك من مالي .  
 وقال : وكيف من هو في التقدير دونك ، وأنت تترفع أن تكلمة كثيراً . . وأنا ربك  
 وسيدك وأحب أن تكلمني وأكلمك .

قوله جل ذكره : « وأصبر على ما يقولون وأهجرم  
 هجرًا جيلًا » .

الهجر الجليل : أن تمايزهم بظاهرك وتباينهم بيسرك وقلبك .  
 وقال : الهجر الجليل ما يكون لحق ربك لا ليعظ نفسك .  
 وقال : الهجر الجليل ألا تكلمهم ، وتكلمني لأجلهم بالدعاء لهم .  
 وهذه الآية منسوخة بآية القتال<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وذري المكذبين أولي النعمة  
 ومهلهم قليلاً » .

أى : أولي النعم<sup>(٢)</sup> ، وأنظرهم قليلاً ، ولا تهتم بشأنهم ، فإن أ كفيك أمرهم .  
 قوله جل ذكره : « إن لنا أنكلاً وجحياً \* ومقاماً  
 ذا غصّة وعذاباً ألياً » .

ثم ذكر وصف القيامة قال :

« يوم تَرْجُفُ الأرضُ والجبالُ  
 وكانت الجبالُ كُثيباً مهيلًا » .

(١) قال قتادة : كان هذا قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم فنسخت آية القتال ما كان قبلها  
 من فترك . (القرطبي) ١٩٠ ص ٤٥ .

(٢) هم صناديد قريش ، وروساء مكة من المستقرين .

وقال يحيى بن سلام : إنهم بنو المخيرة .

وقالت عائشة : لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسيراً حتى وقعت وقعة بدر .

ثم قال :

« إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا  
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
رَسُولًا » .

يعنى : أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاهِدًا عَلَيْكُمْ « كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ  
رَسُولًا » ، « فَمَعَىٰ فِرْعَوْنَ الرَّسُولُ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا » قِيلًا .  
« فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا » من هَوَاهُ يصير الولدانُ شيئاً — وهذا على  
صَرَبِ المثل .

« السَّيِّئُ مُنْقَطِرٌ بِهِ » أى يَنْقُطُ : اليوم لهوهُ <sup>(١)</sup> .

ويقال : مُنْقَطِرٌ بِاللَّهِ أى : بِأَمْرِهِ .

« كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا » : فَأَوْعَدَ اللَّهُ سَيِّدَهُ .

« إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ » : يعنى : هذه السورة ، أو هذه الآيات مَوْعِظَةٌ ؛ فَمَنْ انْظَرِ  
بِهَاسِدٍ .

« إِنَّ رَبَّكَ » يا محمد « يَلْمُكَ أَفْجًا يَوْمَ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَىٰ اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَافَةَ مِنْ  
الَّذِينَ مَعَكَ » من المؤمنين .

« وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » فهو خَالِقُهَا « عَلِيمٌ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ » وتعليموه .

« فَتَكَبَّ عَلَيْكُمْ » أى : خَفَّفَ عَنْكُمْ <sup>(٢)</sup> ، « فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » من خمس آيات  
إلى ما زاد . ويقال : من عَشَرَ آياتٍ إلى ما يزيد <sup>(٣)</sup> .

(١) هكذا في م وهي في ص (لقوله) والصواب : ما جاء في م كما هو واضح من السياق .

(٢) كان الرجل لا يدرى متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح غافقاً أن يخطئ . فانقضت أقدامهم ، وانقضت ألوانهم ، فرحمهم الله وغفب عنهم (مقاتل) .

(٣) قال الحسن : من قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن ، وقال كعب : كُتِبَ من الثمانين .  
وفي حديث مسند عن عبد الله بن عمرو : أن النبي (ص) قال : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » (= أعلى من الأجر قطاراً) « خرج به أبو داود الطيالسي في مسنده .

« عَلِيمٌ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ » يسافرون ، ويعلم  
 أصحاب الأعداء ، فَتَسْخَعُ عَنْهُمْ قِيَامَ اللَّيْلِ .  
 « وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ » للقروضة .  
 « وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا » مضى معناه .  
 « وَمَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ » أى : ما تقدموا من طاعة يجدها عند الله ثواباً  
 هو خيرٌ لكم من كل متاع الدنيا .

## سُورَةُ الْمَدَّثَرِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمةٌ سَمَاعُهَا تَزْهَةُ قُلُوبِ النَّفَرَاءِ ، كَلِمَةٌ سَمَاعُهَا بِهِجَةٌ أَسْرَارِ الضَّغْفَاءِ ، رَاحَةٌ أَرْوَاحِ الْأَحْيَاءِ ، قُوَّةٌ قُلُوبِ الْأَوْلِيَاءِ ، سَنَوَةٌ صُدُورِ الْأَصْفِيَاءِ ، قُرَّةٌ عَيْنِ أَهْلِ الْبَلَاءِ .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ • قُمْ فَأَنْذِرْ » .

يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ بِشَوْبِهِ .

وهذه السورة من أول ما أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ . قِيلَ : لِمَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبَ إِلَى حِرَاءَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، فَبَسَا لَهُ جَبْرِيلُ فِي الْمَوَاءِ ، فَرَجَعَ الرَّسُولُ إِلَى بَيْتِ خَدِيجَةَ وَهُوَ يَقُولُ « دُثْرُونِي دُثْرُونِي » فَدَثَّرَ بِشَوْبٍ فَنَزَلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ وَقَالَ : « يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ » <sup>(١)</sup> .

وقيل : أَيُّهَا الطَّالِبُ صَرَفَ الْأَذَى عَنْكَ بِالْإِثَارِ اطْلُبْهُ بِالْإِنْذَارِ .

وَيَقَالُ : قُمْ بِنَا ، وَأَسْقِطْ عَنْكَ مَا سَوَانَا ، وَأَنْذِرْ عِبَادَنَا ؛ فَقَدْ أَفْنَاكَ بِأَشْرَفِ الْمَوَاقِفِ ، وَوَقَفْنَاكَ بِأَعْلَى الْمَقَامَاتِ .

وَيَقَالُ : لِمَا سَكَنَ إِلَى قَوْلِهِ : « قُمْ » وَقَامَ قَطَعَ سِرَّهُ عَنِ الشُّكُونِ إِلَى قِيَامِهِ ، وَمِنَ الطَّاعِنَةِ فِي قِيَامِهِ .

قوله جل ذكره : « وَرَبِّكَ فَكَّرْ » .

---

(١) حَدَّثَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : جَابُرْتُ بِمَاءِ حِرَاءَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي نَزَلَتْ فَاسْتَبَلْتُ بِلَاحِ الْوَادِي ، فَتَوَدَّيْتُ ، فَظَنَنْتُ أَمَّا زَعْلَانِي وَحَنَ بَيْنِي وَحَنَ شَمَالِي فَلَمْ أَرَأِ أَحَدًا ، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَظَنَنْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، ثُمَّ تَوَدَّيْتُ فَغَضِبَ رَأْسِي غَضَابًا جَبْرِيلُ عَلَیَّ حَرَشَ فِي الْهَوَاءِ فَأَخْبَعَنِي رَجْفَةً شَدِيدَةً فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ : دُثْرُونِي . فَصَبَا عَلَيَّ مَاءٌ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ يَهْدِيهِ الْتَهَابَةُ : دُثْرُونِي وَصَبَا عَلَيَّ مَاءٌ بَارِدًا فَدُثْرُونِي وَصَبَا عَلَيَّ مَاءٌ بَارِدًا فَنَزَلَتْ : يَا أَيُّهَا الْمَدَّثَرُ » .

كَبَّرَهُ عَنْ كُلِّ طَلَبٍ ، وَوَصَلَ وَفَصَلَ ، وَعَلَّقَ وَخَلَّقَ .

« وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » .

طَهَّرَ قَلْبَكَ عَنِ الْخِلَاقِ أَجْمَعِ ، وَعَنِ كُلِّ صِفَةٍ مَذْمُومَةٍ .

وَطَهَّرَ نَفْسَكَ عَنِ الرِّزَالَتِ ، وَقَلْبَكَ عَنِ الْخَافَاتِ ، وَسِرِّكَ عَنِ الْإِغْتِنَاتِ .

وَيَقَالُ : أَهْلَكَ طَهَّرَهُم بِالْوَعْدِ ؛ قَالَ تَعَالَى : « هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ » <sup>(١)</sup> ، فَيُغَيِّرُ عَنْهُمْ  
— أحياناً — بِالْقِيَابِ وَالْأَلْبَاسِ .

قوله جل ذكره : « وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ » .

أى : العاصي . ويقال : الشيطان . ويقال : طَهَّرَ قَلْبَكَ مِنَ الْخَطَايَا وَأَشْغَالَ الدُّنْيَا .

ويقال : مَنْ لَا يَصِيحُ جِسْمَهُ لَا يَجِدُ ثَهْوَةَ الْعِلْمِ كَذَلِكَ مَنْ لَا يَصِيحُ قَلْبَهُ لَا يَجِدُ  
حِلَاوَةَ الْعِلَاقَةِ .

« وَلَا تَتَّبِعْ تَتَكْبِرُ » .

لَا تُطِعْ عِلَاءَ تَطْلُبُ بِهِ زِيَادَةً عَلَى مَا نَعْلِيهِ .

ويقال : لَا تَتَكَبَّرِ الْعِلَاقَةُ مِنْ نَفْسِكَ .

ويقال : لَا تَتَمَنَّ بِمَلِكٍ فَتَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ ، وَتُتَجَبَّ بِهِ .

« وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ » .

أى : أَنْتَ تُؤَدِّي فِي اللَّهِ . فَاصْبِرْ عَلَى مُتَلَاسِيَةِ أَذَاهِ .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا خِرَ فِي النَّاقُورِ » فذلِكَ يَوْمٌ مِثْلُ

يَوْمٍ عَصِيرٍ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ .

يعنى : إِذَا قَامَتِ الْقِيَامَةُ ، فذلِكَ يَوْمٌ عَصِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ هَيِّنٍ .

قوله جل ذكره : « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا » .

---

(١) آية ١٨٧ سورة البقرة .

أى : لا تَهْمُ بِشَأْنِهِمْ ، وَلَا تَحْتَمِلْ ؛ فَإِنَّ أَكْفِيكَ أَمْرًا .  
 إِنِّي خَلَقْتُهُ وَحَدَى ؛ لَمْ يَشْرِكْنِي فِي خَلْقِ إِيَّاهُ أَحَدٌ .  
 ويعمل : خَلَقْتُهُ وَحْدَهُ لَا غَصْرَ لَهُ .

قوله جل ذكره : « وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا •  
 وَبَنِينَ شُهُودًا » .

حضوراً معه لا يحتاجون إلى الشفيع .

« وَوَعَدْتُ لَهُ نَعِيمًا » .

أراد : تسهيل التصرف ، أى : مكنته من التصرف في الأمور <sup>(١)</sup> .

« ثُمَّ بَطَعُ أَنْ أَزِيدَ » .

يطعم أن أزيدَه في النعمة :

« كَلَّا ، إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا » .

جَحَودًا .

« سَأَرْفَعُهُ صُودًا » .

سأعزله على مشقة من العذاب .

« إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ • قَتَلَ كَيْفَ

قَدَّرَ • ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ » .

أى : لَمِنْ كَيْفَ فَكَّرَ ، وَكَيْفَ قَدَّرَ ، وَيُنَى بِهِ : الْوَلِيدُ بْنُ الْمُنِيرَةِ <sup>(٢)</sup> الَّذِي قَالَ فِي النَّبِيِّ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ لَيْسَ بِشَاعِرٍ وَلَا بِمُجَنِّونٍ وَلَا بِكَذَّابٍ ، وَإِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا سَاحِرٌ ، وَمَا بَاقِي  
 بِهِ لَيْسَ إِلَّا سِحْرٌ يُرْوَى :

(١) وأصح من هذا أن ألتشىرى يؤمن بحرية الإنسان ، وأن الجبرية منه ليست مطلقة .

(٢) كان الوليد يدهى وجماعة قريش فلما سمعت منه واصفاً القرآن : والله إن له لخلوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثل ، وإن أسفله لمخفق ... قالت قريش : صبا الوليد لتصبين قريش كلها ، فلما ذهب إليه أبو جهل ليشعري . قال له بعد أن فتنه مزاحمهم : ما هو إلا ساحر ! أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟

« ثُمَّ نَظَرَ • ثُمَّ عَرَسَ وَبَسَرَ (١) •  
 ثُمَّ أَذْبَرَ • وَاسْتَكْبَرَ • قَالَ :  
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ • إِنَّ هَذَا  
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ • سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ •  
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ • لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ •  
 لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ » .

لَا تُبْقِي نَحْمًا ، وَلَا تَذَرُ عَظْمًا ، تحرق بشرة الوجه وتُسَوِّدُهَا ، من لاحت الشمس ولوحت .  
 « عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ » .

قال للمشركون : نحن نجمع كثير .. فما يفعل بنا تسعة عشر ؟ ! فأنزل الله سبحانه :  
 « وَمَا جِئْنَا بِأَحْبَابِ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً  
 وَمَا جِئْنَا بِحَدِيثِهِمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ  
 كَفَرُوا لِيُثْبِتُ الَّذِينَ أَوْثُوا  
 الْكِتَابَ وَزُحَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيْمَانًا  
 وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أَوْثُوا الْكِتَابَ  
 وَالْمُؤْمِنُونَ » .

فيزداد المؤمنون إيمانًا ، ويقول هؤلاء : أى فائدة فى هذا التذر ؟ قال تعالى :  
 « كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ •  
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ » .

ثم قال :

« وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ  
 وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ » .  
 أى : تهاوت علوم الخلق فلم تعلق إلا بمقدار دون مقدار ، والذى أحاط بكل شئ . علمًا  
 هو الله — سبحانه .

---

(١) بَسَرَ أى كلى وجهه وتغير لونه .



## « كَلَّا وَالْقَمَرِ »

كَلَّا — حرفُ ردعٍ وتوبيه؛ أى: ارتدعوا عما أنتم عليه، واتنبهوا لغيره.  
وأقسم بهذه الأشياء «كَلَّا وَالْقَمَرِ»: أى بالقمر، أو بقمرته على القمر.  
وبالليل إذا أذبر.. وقُرئ: «وَدَبَرَ» أى: مضى، «والصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرَ» أى: تجلّى  
«لَهَا لِإِحْدَى الْكُبَرِ».

أى: النار لإحدى الدواهي الكُبرى.

ويقال فى «كَلَّا وَالْقَمَرِ» إشارةً إلى أقمار العلوم إذا أخذ هلالها فى الزيادة بزيادة البراهين،  
فإنها تزداد، ثم إذا صارت إلى حدِّ التمام فى العلم وبلغت الناية تبدوا أعلام المعرفة، فالعلم يأخذ  
فى النقصان، وتطلع شمسُ المعرفة، فكأنه إذا قُربَ القمرُ من الشمس يزداد نقصانه حتى إذا  
قرب من الشمس تماماً صار محاقاً — كذلك إذا ظهر سلطانُ الرِّفَاقِ تأخذ أقمارُ العلوم  
فى النقصان لزيادة المعارف؛ كالسراج فى ضوء الشمس وضياء النهار. «والليل إذا أذبر» أى إذا  
انكشفت ظلمةُ البواطن، «والصبح إذا أسفر» وتجلّت أنوار الصِّقَاقِ فى السرائر.. إنها  
لإحدى النظامين! وذلك من باب التنويف من عودة الظلم إلى القلوب<sup>(١)</sup>.

«نَذِيرًا لِلْبَشَرِ» فى هذا تحذيرٌ من الشواغل التى هى قواطع عن الحقيقة، فيحذروا  
للساكنة والملاحظة إلى الطاعات والواجبات.. فإنها — فى الحقيقة — لا خطرَ لها<sup>(٢)</sup>.  
«لَئِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَذَكَّرَ أَوْ يَتَأَخَّرَ» عن الطاعات.. وهذا على جهة التهديد.  
قوله جل ذكره: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ».

أى: مرتبنة بما عملت، ثم استثنى:

«إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ».

(١) من خصائص أسلوب القشيري — كما أوضحت ذلك فى كتابنا حه — أنه كثيراً ما يستعين بمظاهر الطبيعة: الليل والنهار — والقمر والشمس والجبال والمطر والبحار وغير ذلك كقولهم: «من طريق ذلك دقائق العلم الصوري».

(٢) يقصد أن نظرة الإنسان إلى عمله، وإصطاد هذا العمل قيمة.. من قبيل دعوى النبيص.. المهم فى الطريق فضل الله واجتهاد الله.

نقال : إنهم غير مرتين بأعالم ، ويقال : هم الذين قال الله تعالى في شأنهم : « هؤلاء في الجنة ولا أبالي » ١ .

وقيل : أطلاق للمؤمنين <sup>(١)</sup> .

« في جنات يساءلون \* عن المجرمين \*  
ما سلككم في سقر ؟ \* قالوا لم نك  
من المصلين \* ولم نك نطعم  
اليسكين \* وكنا نخوض مع  
الخالطين \* وكنا نكذب يوم  
الدين » .

هؤلاء يساءلون عن المجرمين ، ويقولون لأهل النار إذا حصل لهم إشراف عليهم :  
ما سلككم في سقر ؟ قالوا : ألم نك من المصلين ؟ ألم نك نطعم اليسكين ؟ .

وهذا يدل على أن الكفار مخاطبون بتفصيل الشرائع .

« وكنا نخوض مع الخالطين » : نشرع في الباطل ، ونكذب يوم الدين .

« حتى أنايا اليقين » .

وهو معاناة القيامة .

« فما تنضمهم شقاعة الشافين » .

أى : لا تنالهم شقاعة من يشفع .

« فما لهم عن آتة كرهة مؤمنين <sup>(٢)</sup> »

والتذكرة : القرآن :

« كأنهم حمر مستنفرة \* فرقت

من قسوة » .

(١) قال ابن عباس : هم الملائكة . وقال علي بن أبي طالب : هم أولاد المؤمنين لم يكتسبوا فيرتبوا بكسبهم . وقال الفسحاك : الذين سبقوا لهم من الله الحسن . وقال مقاتل : هم الذين كانوا على بين آدم يوم الدار . والله أعلم .  
(٢) معرضين منصوب على الحال من المأمو الميم في (لم) ، وفي اللام معنى القتل فنصباب الحال على معنى القتل .

كانهم مُحَرَّرُونَ نَافِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ أَسَدٍ<sup>(١)</sup>

• بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ  
يُؤْتِيَ صُحُفًا مُنشَرَةً •

بل يريد كل منهم أن يعطى كتاباً منشوراً •

• كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ •

أى : كَلَّا لَا يُعْطَوْنَ مَا يَمْنُونُ لَهُمْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ •

• كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ • فَمَنْ شَاءَ  
ذَكَرْهُ •

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ — لَا أَنْ تَشَاءُوا

• هُوَ أَهْلُ التَّنْزِيلِ •

أَهْلٌ لَأَنْ يَنْتَقِيَ •

• فَأَهْلُ النُّفُورِ •

وَأَهْلٌ لَأَنْ يَنْفِرَ لِمَنْ يَنْتَقِيَ — إِنْ شَاءَ •

---

(١) القصيدة بلسان العرب : الأسد ، أو أول الليل ، أو للتهديد ، و بلسان الحبشة : حُرمة .

## سُورَةُ الْقِيَامَةِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمة عزيزة مَنْ سَمِعَهَا بِشَاهدِ الْعِلْمِ اسْتَبْصَرَ ، وَمَنْ سَمِعَهَا بِشَاهدِ الْمَعْرِفَةِ تَعَيَّرَ ..  
فَالْإِلَهَاءُ فِي سَكُونِ بَرَهَانِهِ ، وَالْعَارِفُونَ فِي دَهْشِ سُلْطَانِهِ .. أَوَّلُكَ فِي نِجْمِ عُلُومِهِمْ ، فَأَحْوَالُهُمْ  
صَحْوٌ فِي صَحْوٍ ، وَهَوْلَاءُ فِي شُمُوسِ مَمَارِضِهِمْ : فَأَوَقَاتُهُمْ حَوْثٌ فِي حَوْثٍ .. فَشَتَانٌ مَا هُمَا !!  
قوله جل ذكره : « لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

أى : أَقْسَمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

« وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ » .

أى : أَقْسَمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ، وَهِيَ النَّفْسُ الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا ، وَتَعْرِفُ قِصَاصَ حَالِهَا .

وَيَقَالُ : غَدًا .. كُلُّ نَفْسٍ تَلُومُ نَفْسَهَا : إِمَّا عَلَى كُفْرِهَا ، وَإِمَّا عَلَى قَصْرِهَا — وَعَلَى هَذَا  
فَالْقَسَمُ يُكُونُ إِضْمَارًا « الرَّبِّ » أَى : أَقْسَمُ بِرَبِّ النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ . وَلَيْسَ لِلْوَمِ النَّفْسُ فِي الْقِيَامَةِ  
خَطَرٌ — وَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْكُكُلِ<sup>(١)</sup> وَلَكِنَّ الْفَائِذَةَ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ كُلَّ النَّفُوسِ غَدًا — سَتَكُونُ  
عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ . وَجَوَابُ الْقَسَمِ قَوْلُهُ : بَلَى ...

قوله جل ذكره : « أَفَحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْعَ عِظَامَهُ ؟ »

أَيُّظُنُّ أَنَّا لَنْ نَبْنِيَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ؟

« بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ »

« قَادِرِينَ » نَسَبٌ عَلَى الْحَالِ ؛ أَى بَلَى ، نَسَوِيَ بَنَانَهُ فِي الْوَقْتِ قَادِرِينَ ، وَتَقْدِرُ أَى نَجْمِلُ

(١) هَكَذَا فِي مِ وَهُوَ الصَّوَابُ أَمَّا فِي مِ فَهُوَ (الْإِكْل) وَهُوَ غَطَاءٌ قَلْبًا .

أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخُفِّ البعير وظلف الشاة .. فكيف لا تقدر على إعادته ؟ !

« بل يُريدُ الإنسانُ لِيَقْبُرَ أَمَلُهُ » .

يُقَدِّمُ الزَّالَةَ ويؤخر التوبة . ويقول : سوف أتوب ، ثم يموت ولا يقرب . ويقال : يعزم<sup>(١)</sup> على ألا يستكثر من معاصيه في مستأنف<sup>(٢)</sup> وقته ، وبهذا لا تَنْحَلُّ — في الوقت — عقدة الإصرار من قلبه ، وبذلك لا تصحُّ توبته ؛ لأنَّ التوبة من شرطها العزم على ألا يعود إلى مثل ما عَمِلَ . فلذا كان استعلاء الزَّالَةِ في قلبه ، ويفكر في الرجوع إلى مثلها .. فلا تصح تدامته .

قوله جل ذكره : « يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ »

على جهة الاستبعاد ، قال تعالى :

« فَلِذَا يَرَى الْبَصَرُ » وَخَسَفَ الْقَمَرُ »

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » يقول

الإنسانُ يومئذٍ المفرَّ ؟ » .

« يَرَى بِكسر الراء مِمَّاها تَعَيَّرَ » ، « وَيَرَى » بفتح الراء شَخَصَ (فلا يَطْرَفُ) من البريق ،

وذلك حين يُقَاد إلى جهنم بسبعين ألف سلسلة ، كل سلسلة بيد سبعين ألف ملك ، لها زفير

وشهيق ، فلا يَبْقَى مَلَكٌ ولا رسولٌ إلَّا وهو يقول : نفسى نفسى !

« وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ » كأنهما نوران عقيران<sup>(٣)</sup> .

ويقال : يجمع بينهما في إلَّا نورَهما .

---

(١) هكذا في هوهم الصواب أما في ص نهر (يزعم) وهي خطأ قطعاً بدليل ما بعدها ... من شرطها

(الزعم) .

(٢) أي : في المستقبل .

(٣) قال ابن عباس وابن مسعود : يجمع بينهما أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين

مظلمين مقرنين كأنهما نوران عقيران .

وفي مسند أبي داود الطيالسي عن يزيد القرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي (ص) قال : قال رسول الله ص .

« إن الشمس والقمر نوران عقيران في النار » .

« يقول الإنسان يومئذ أين اللقي؟ » وللقي موضع القرار إليه ، فيقال له :  
« كلاً لا وزر »

اليوم ، ولا مهرب من قضاء الله<sup>(١)</sup> .

« إلى ربك يومئذ المنتصر » .

أى : لا تحيد عن حكمه .

« يُنبئوا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر » .

أى : يَعرِف ما أسلفه<sup>(٢)</sup> من ذنوب أحصاها الله — وإن كان العبد نسيها .

« بلى الإنسان على نفسه بصيرة \* ولو ألقى معاذيره » .

للإنسان على نفسه دليل علامة وشاهد ؛ فأعضاؤه تشهد عليه بما عمله .  
ويقال : هو بصيرة وُحْجَةٌ على نفسه فى إنكار البعث .

ويقال : إنه يعلم أنه كان جاحداً كافراً ، ولوائى بكل حجة فلن تُسمع منه ولن تنفعه .  
قوله جل ذكره : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَقْبَلْ بِهِ \*  
إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَلِذَا قَرَأَاهُ \* فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ » .

لا تستعمل فى تلقى القرآن على جبريل ، فإن علينا جمعه فى قلبك وحفظه ، وكذلك  
علينا نيسر قراءته على لسانك ، فلذا قرأناه أى : جمعناه فى قلبك وحفظك فاتبع بإقرائك جمعه .  
« ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ » .

نُبين لك ما فيه من أحكام الحلال والحرام وغيرها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
يستعمل فى التلقف مخافة النسيان ، فنهى عن ذلك ، وضمن الله له التيسير والتسهيل .

(١) الوزر فى اللغة ما يلجأ إليه من حسن أو جيل أو نحوهما : قال الشاعر :

لعمري ما للفقى من وزر من الموت يدركه والكبر

(٢) مكلفاً م وهي فى ص (أسفله) وهي خطأ من الناسخ .

قوله جل ذكره : « كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْمَاجِلَةَ • وَتَذَرُونَ

الْآخِرَةَ » .

أى : إنما يحملهم على التكذيب للتيامة والنشر أنهم يحبون الماجلة في الدنيا ، أى : يحبون البقاء في الدنيا .

« وتذرون الآخرة » : أى : تتركون العمل للآخرة . ويقال : نكفرون بها .

قوله جل ذكره : « وجوه يومئذ ناضرة • إلى ربها

ناظرة » .

« ناضرة » : أى مشرقة حسنة ، وهى مشرقة لأنها إلى ربها « ناظرة » أى رائية لله .  
والنظر المقرون بـ « إلى » مضافاً إلى الوجه<sup>(١)</sup> لا يكون إلا الرؤية ، فالله تعالى يخلق الرؤية في وجوههم في الجنة على قلب العادة ، فالوجوه ناظرة إلى الله تعالى .  
ويقال : العين من جملة الوجه ( فاسم الوجه )<sup>(٢)</sup> يناوله .

ويقال : الوجه لا ينظر ولكن العين في الوجه هى التى تنظر ؛ كما أن النهر لا يجرى ولكن للاء في النهر هو الذى يجرى ، قال تعالى : « جنات تجري من تحتها الأنهار » .

ويقال : في قوله : « وجوه يومئذ ناضرة » دليل على أنهم بصفة الصحو ، ولا تتناحلهم حيرة ولا دهش ؛ فالنصرة من أمارات البسط لأن البقاء في حال القاء أتم من القاء .

والرؤية عند أهل التحقيق تقتضى بقاء الرأى ، وعندهم استهلاك المبدى في وجود الحق أتم ؛ فالذين أشاروا إلى الوجود رأوا الوجود أعلى من الرؤية .

قوله جل ذكره : « وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ • تَلْفَنُ أَنْ

يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ » .

(١) (مضافاً إلى) مضافاً (سواءً إلى) .

(٢) ما بين القوسين وارد في ص ولم يرد في م وهو هام في توضيح السياق .

« باسرة » : أى كالحلة عابسة . « فاقرة » أى : داهية<sup>(١)</sup> وهى جازم فى النار على التأيد .  
(تظن أن يخلق فى وجوهم النظر<sup>(٢)</sup>) .

ويحصل أن يكون معنى « تظن » : أى يخلق خلقاً فى قلوبهم يظهر أثره على وجوهم .  
« كلاً إذا بَلَّغْتَ التَّرَاقِي » وقيل مَنْ رَاقٍ • وظنَّ أَنَّهُ  
الفراقُ • والتفتِ السَّاقُ بالسَّاقِ •  
إلى ربِّكَ يومئذٍ المساقُ » .

أى ليس الأمر على ما يظنون ؛ بل إذا بلغت نفوسهم التراقي<sup>(٣)</sup> ، وقيل : مَنْ راقٍ ؟  
أى يقول مَنْ حوله : هل أحدث يرقيه ؟ هل طيب يلاويه ؟ هل دواء يشفيه؟<sup>(٤)</sup> .

ويقال : مَنْ حوله من اللانسكة يقولون : مَنْ الذى يرقى بروحه ؛ أملاصكة الرحمة  
أو ملاسكة المذاب ؟ .

« وظن أنه الفراق » : وعلم لليت أنه للموت ١ .

« والتفت الساق بالساق » : ساقا لليت . فتقرن شدة آخر الدنيا بشدة أولها الآخرة .  
« إلى ربك يومئذ المساق » أى اللانسكة يسوقون روحه إلى الله حيث يأمرهم بأن يحملوها  
إليه : إما إلى عليين — ثم لها تفاوت درجات ، وإما إلى سبعين — ولها تفاوت دركات .  
ويقال : الناس يُكفِّنون بदन لليت ويسلونه ويصلون عليه .. والحق سبحانه يُليْسُ  
روحَه ما نستحق من الحلل ، ويسله بماء الرحمة ، ويصلى عليه وملائكته .

قوله جل ذكره : « فلا صدق ولا صلى » • ولكن  
كذب وتولى » .

(١) الفاقرة لها معان كثيرة منها : الداهية ، والأمر العظيم ، والشر ، والهلاك ، ودعوى النار . وهى  
فى الأصل : الوسم على أنف البعير بجديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم .  
(٢) العبارة هكذا فى م أما فى ص فهى ( ..... التظن ) بدلا من ( النظر ) ، ويمكن قبول عبارة م على أساس  
ن (النظر) أمر عظم — وهو أحد معاني الفاقرة ( كما قلنا .. ولكننا نرجع — والله أعلم — أن العبارة ربما كانت  
فى الأصل على هذا النحو : [ تظن : (أى) يخلق فى وجوهم ( كقن ) ] فحق هذا الظن غلو فى وجوهم من قبل الله ..  
وربما يتأيد ما ذهبنا إليه بما جاء بعدها مباشرة .

(٣) جمع (ترقوة) : العظام التى تكثف مقدم الخلق من أمل الصدر ، وهى موضع الحشيرة .

(٤) معروف الأرقية ولادواء الموت .. ولكنهم يتسامحون هكذا على وجه التعمير عند الإغفاءة على الموت .



يعنى : الكافر ما صدق الله ولا صلى له ، ولكن كذب وتولى عن الإيمان . وتدل الآية على أَنَّ الكفار مخاطبون بتفصيل الشرائع .

« ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُتُّ » .

أى : يبتغى ويختال .

« أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَى » .

القرب إذا دعت على أحد بلذكروه قالوا : أولى لك اوهنا أتبع اللفظ اللفظ على سبيل المبالغة . ويقال : معناه الويل لك يوم تحيا ، والويل لك يوم تموت ، والويل لك يوم تبعث ، والويل لك يوم تدخل النار<sup>(١)</sup> .

« أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى » .

مُهْمَلًا لَا يُسَكَّفُ ؟ . ليس كذلك .

« أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً مِنْ مَعِي مُنْقًى » ثم كان علقه

فَخَلَقَ نَفْسًى • فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ

الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى •

« من معنى يعنى » أى تلقى فى الرحم ، ثم كان علقه أى : دما عيبا<sup>(٢)</sup> ، فسمى أعضائه فى بطن أمه ، وَرَكَّبَ أَجْزَاءَهُ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فى الخلقة ، وجعل منه الزوجين : إن شاء خَلَقَ الذَّكَرَ ، وإن شاء خَلَقَ الْأُنْثَى ، وإن شاء كليهما .

« أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ لَكُمُوهَ ؟ » .

أليس الذى قدر على هذا كله بقادر على إحياء الموتى ؟ فهو استغنام فى معنى التقرير<sup>(٣)</sup> .

(١) فى معنى « الويل لك » تقول النساء :

هَمَسْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الْمَسْجُومِ قَالُوا لَيْسَ أَوَّلَ مَا

سَأَحْمِلُ نَفْسِي عَلَى آلَةٍ فَمَا عَلَيْهَا وَإِنَّمَا مَا

ويقال : إن الرسول هدد أبا جهل بهاتين الآيتين ... حتى إذا كان يوم بدر ، ضرب الله عنقه وقتل شر قتله .

(٢) اللحم اللين : اللحم الذى لم ينضج (الوسط) .

(٣) هكذا فى م وهى المصوب أما فى ص فهى (الفتنير) بالدال وهى خطأ .

## سُورَةُ الْإِنْسَانِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ جَبَّارٌ تَوَحَّدَ فِي آزَالِهِ بِوصفِ جبروته ، وَتَفَرَّدَ فِي آيَادِهِ بِنِعْمَتِ مَلِكُوتِهِ ؛ فَأَزَلَهُ أَبَدُهُ ، وَأَبَدَهُ أَزَلُهُ ، وَجَبَرُوتُهُ مَلِكُوتُهُ ، وَمَلِكُوتُهُ جَبَرُوتُهُ .

أَحَدِيُّ الْوَصْفِ ، صَدِيدِيُّ الْقَاتِ ، مُقَدِّسُ النَّعْتِ ، وَاحِدُ الْجَلَالِ ، فَرْدُ التَّمَالِ ، دَائِمُ الْبَرِّ ، قَدِيمُ الْبَقَاءِ .

قوله جل ذكره : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا » .

في التفسير : قد أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا لَهُ خَطَرٌ وَمَقْدَارٌ . قيل : كَانَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَطْرُوحًا جَسَدُهُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ . ثُمَّ مِنْ صَلَاحٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ مِنْ حِمْلٍ مَسْنُونٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ خَلَقَهُ بَعْدَ مِائَةِ وَعِشْرِينَ سَنَةً <sup>(١)</sup> .

وَقَالَ : « هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ . . . » : أَيُّ لَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ وَقْتُ إِلَّا كَانَ مَذْكُورًا إِلَى .

وَقَالَ : هَلْ غَفَلْتُ سَاعَةً عَنْ حِفْظِكَ ؟ هَلْ أَقْبَيْتُ — لِحَظَةً — حَبْلَكَ عَلَى غَارِيكِ ؟ هَلْ أَخْلَيْتُكَ — سَاعَةً — مِنْ رِعَايَةِ جَدِيدَةِ وَحَايَةِ مَزِيدَةِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا » .

(١) وزاد ابن سمرود أربعين سنة فقال : وَأَتَامَ وَهُوَ مِنْ تَرَابٍ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ خَلَقَهُ بَعْدَ مِائَةِ وَسِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ (حِكَاةُ الْمَأْرُوسِ) .

« من نطفة » : أى من قطرة ماء ، « أمشاج » : أخلط من بين الرجل والمرأة .  
ويقال : طوراً نطفة ، وطوراً علقمة ، وطوراً عظماً ، وطوراً كحماً .

« نبتليه » : نمتحنه ونختبره . وقد مضى منناه . « فجعلناه سمياً بصيراً » .

« إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكَرًا  
وإِنَّمَا كَفَرُوا » .

أى : عرفناه الطريق ؛ أى طريق الخير والشر .

وقيل : إِنَّمَا للشفاة ، وإِنَّمَا للسعادة ، إِنَّمَا شاكرًا من أوليائنا ، وإِنَّمَا أن يكون كافرًا  
من أعدائنا ؛ فإِنَّ شَكَرَ فيالتوفيق ، وإن كَفَرَ فيالظلمان .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا  
وَأَغْلَالًا وَسُمِيرًا » .

أى : سِلاسلًا لم سلاسل يُسحبون فيها ، وأغلالًا لأعناقهم يُهانون بها ، « وسُميرًا » :  
نارًا مستمرة .

« إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ  
مِزَاجُهَا كَافُورًا » .

قيل : الْبَرُّ : الذى لا يُضمِرُ الشرَّ ، ولا يؤذى النَّفْسَ .

وقيل : الْأَبْرَارُ : هم الذين سَتَّ هِمَّتُهُمُ عن المستحقرات ، وظهرت في قلوبهم بتابع الحكمة  
فأتقوا عن مُسَاكَةِ الدنيا .

بشربون<sup>(١)</sup> من كَأْسٍ رَائِحَتُهَا كَرَامَةُ الْكَافُورِ ، أو ممزوجة بالكافور .

ويقال : اختلفت مشاربهم في الآخرة ؛ فكلُّ يُسَقَى ما يليق بجماله . . . وكذلك في الدنيا  
مشاربهم مختلفة ؛ فمنهم مَنْ يُسَقَى مَزَجًا ، ومنهم مَنْ يُسَقَى صِرْفًا ، ومنهم مَنْ يُسَقَى على

---

(١) يتحدث القشيري في هذه السورة عن الشراب على غير تفصيل يستحق التأمل ، وينبى أن يضاف إل  
حديثه عنه في رسالته عنه بحث هذا الموضوع عنه هذا الصوق السقي الجليل .

النَّوْبَ ، ومنهم من يُسْقَى بالثُّجْبَ ومنهم من يُسْقَى وحده ولا يُسْقَى بما يُسْقَى غيره ، ومنهم مَنْ  
يُسْقَى هو والقوم شراباً واحداً .. وقالوا :

إِنْ كُنْتَ مِنْ نَدَمَى فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ التَّسْلِمِ  
وفائدة الشراب — اليوم — أَنْ يَسْخَلَهُمْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَيُرْمِحَهُمُ عَنِ الْإِحْسَاسِ ، وَيَأْخُذَهُمْ  
عَنْ قَضَايَا الْعَقْلِ .. كَذَلِكَ قَضَايَا الشَّرَابِ فِي الْآخِرَةِ ، فِيهَا زَوَالُ الْأَرْبِ ، وَسُقُوطُ الطَّلَبِ ،  
وَدَوَامُ الطَّرَبِ ، وَذَهَابُ الْحَرْبِ ، وَالتَّفَلُّعُ عَنْ كُلِّ سَبَبٍ .  
وقد قالوا :

عَاقِرٌ عَقَارُكَ وَاصْطَلَحَ وَأَقْدَحَ سُرُورُكَ بِاقْدَحِ  
وَاطْلَعُ عِنَارُكَ فِي الْمَوَى وَأَرْحُ عَنُوكَ وَاسْتَرْحُ  
وَافْرَحْ بِوَقْتِكَ إِنَّمَا عُمُرُ الْفَقْرِ وَقْتُ الْفَرَحِ

قوله جل ذكره : « عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا  
تَفْجِيرًا » .

يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ، ومعناه أَنْ تَلْكَ الْعَيُونَ تَجْرَى فِي مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ عَلَى مَا يَرِيدُونَ .  
واليوم — لَمْ يَعْيُونْ فِي أَسْرَارِهِمْ مِنْ عَيْنِ الْحُبَّةِ ، وَعَيْنِ الصَّفَاءِ ، وَعَيْنِ الْوَفَاءِ ، وَعَيْنِ الْبَسْطِ ،  
وَعَيْنِ الرُّوحِ .. وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَغَدًا لَمْ يَعْيُونَ .

« يُوفُونَ بِالنَّذْرِ »

ثم ذكر أحوالهم فِي الدُّنْيَا قَالَ : يُوفُونَ بِالْهَدْيِ التَّدِيمِ الَّذِي يَنْهَمُ وَبَيْنَ اللَّهِ عَلَى  
وَجْهِ مَخْصُوصٍ .

« وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا » .

قاسياً ، منتشرًا ، ممتدًا .

« وَيُطْعِمُونَ الطَّامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » .

أى : على حُبِّهِم للطعام لحاجتهم إليه . ويقال : على حُبِّ الله ، ولذلك يُطْعِمُونَ .  
ويقال : على حُبِّ الإطعام .

وجاء في التفسير : أن الأسير كان كافرًا — لأنَّ اللِّمَّ ما كان يُستأجر في عهده — فطاف على بيت فاطمة رضى الله عنها<sup>(١)</sup> وقال : تأسرونا ولا تطعمونا<sup>(٢)</sup> !

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا » .

إنما نطعمكم ابتغاء مرضاة الله ، لا نريد من قبلكم جزاء ولا شكرًا .

ويقال : إنهم لم يذكرُوا هذا بألسنتهم ، ولكن كان ذلك بضمايرهم .

« إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَنُوسًا قَمَطَرًا » .

أى : يوم القيامة

« فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ »

(١) هكذا في م ، وفي ص (صل الله عليهما) .

(٢) قال الأمير وهو واقف بالباب : «السلام عليكم أهل بيت محمد ، تأسرونا وتشعلونا ولا تطعمونا ! أطعموني فإن أسير محمد » . فأعطوه الطعام وسكنوا ثلاثة أيام وليلاتها لم يتوقفوا شيئاً إلا الماء القراح .. حتى لصق بطن فاطمة بظهرها وغارت ميناها من شدة الجوع » . فلما رأها التى (ص) وعرف الجماعة في وجهها بكى وقال : « واغوثاه يا الله ! أهل بيت محمد يموتون جوعاً » فنزلت الآية . ولكن بعض رجال الحديث يطمنون في هذا الخبر . يقول الترمذى الحكيم في نوادر الأصول : « هو حديث مزوق مزيف ؛ لأن الله تعالى يقول : يسألونك ماذا ينفقون قل العفو » ، والتي يقول : « غير الصدقة ما كان من ظهر غنى » .

« وَقَامُوا أَي : أعطاهم » نضرةً وسروراً » .

« وَجَزَامَ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَريراً »

كَأَنَّمَا عَلَى مَا صَبَرُوا مِنَ الْجُوعِ وَمَقَاسَاتِهِ جَنَّةٌ وَحَريراً

« مُتَكَبِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ »

وَاحِدُهَا أَرِيكَةٌ ، وَهِيَ السَّرِيرُ فِي الْحِجَالِ <sup>(١)</sup> .

« لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا »

أَي : لَا يَتَأَذُّونَ فِيهَا بِحَرٍّ وَلَا بَرَدٍ .

« وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ

قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا » .

يَتَكُونُونَ مِنْ قُطَافِهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ ؛ فَإِنْ كَانُوا قُبُورًا تَذَلُّ لَهُمْ ،

وَإِنْ كَانُوا قِيَامًا — وَهِيَ عَلَى الْأَرْضِ — ارْتَقَتْ إِلَيْهِمْ .

« وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآثِينٍ مِنْ فِضَّةٍ »

الْأَسْمُ فِضَّةٌ ، وَالْمِثْنُ لَا تَشْبُهُ الْمِثْنِ <sup>(٢)</sup>

« وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا »

« قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا »

أَي : فِي صِفَاءِ الْقَوَارِيرِ وَبَيَاضِ الْفِضَّةِ .. قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَى مَقْدَارِ إِرَادَتِهِمْ .

« وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا

زَنْجَبِيلًا » .

لِلْمَقْصُودِ مِنَ الْعَطِيبِ ، قَدْ كَانُوا (أَي الْعَرَبُ) يَسْتَطِيبُونَ الزَّجْبِيلَ ، وَيَسْتَلْذِنُونَ نَسِجَتَهُ ،

---

(١) جِيعَ حَبْلَةٍ وَهِيَ سِتْرٌ يَشْرَبُ عَلَى سَرِيرٍ لِلْعُرْسِ كَالْقَبَةِ .

(٢) مِنْ هَذَا يَنْضَحُ أَنَّ الْقَشِيرَى بَرَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَصَفَتْ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ تَصَوُّرَاتُهُمُ الْعَنَابِيَّةُ لِلْجَلَالَاتِ

النَّصَّةِ .. فَالْأَلْفَاظُ هِيَ الْأَلْفَاظُ وَلَكِنَّ الْحَقَائِقَ هِيَ آخَرُ .

وبه يشبهون الفا كفة ، ولا يريدون به ما يقرص اللسان<sup>(١)</sup> .

« عينا فيها تُسَمَّى سلبيلاً » .

أى : يُسَمَّوْنَ مِنْ عَيْنٍ — أَثَبَتَ لِلسَّمِيِّ وَأَجْمَلَ مَنْ يَسْتَقِيمُ ؛ لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَسْتَقِيمُ الْحَقُّ — سَبَّحَانَهُ — بِلا واسطة .

قوله جل ذكره : « وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا » .

أى : يَخْدُمُهُمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (وصفا لا يجوز واحد منهم حد الوصاف)<sup>(٢)</sup> .

وجاء فى التفسير : لَا يَهْرَمُونَ وَلَا يَمُوتُونَ . وجاء مَقْرَظُونَ .

إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ مِنْ صَفَاءِ أَلْوَانِهِمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا<sup>(٣)</sup> .

وفى التفسير : مامِنَ إِنْسَانٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَيَخْلَعُهُ أَلْفُ غَلَامٍ .

قوله جل ذكره : « وَإِذَا رَأَيْتَ نَمِيماً وَمُنْكَا كَبِيراً » .

« نَمِيْمٌ » : أى فى الجنة .

« مُنْكَا كَبِيراً » : فى التفسير أن لللائكة تستأذن عليهم بالدخول .

وقيل : هو قوله : « لَمْ يَأْمُرْ بِمَا يَشَاءُونَ فِيهَا »<sup>(٤)</sup> ويقال : أى لا زوال له .

---

(١) من ذلك قوله المسيب بن طس يصف ثمر المرأة :

وكان طمس الزنجبيل به إذ تلتته وسلطنة الخمر

وقال الأحمى :

كان القرد نذل والزنجبيل سل بانما بنها وأرديا مشورا

(والأردى = هو السسل) .

(٢) هكذا فى النسختين وفيها شيء من غموس .

(٣) قيل : إنما شبههم باللؤلؤ المنثور لأنهم سرّاح فى الخدمة ، يخلّوّن المود العين إذ شبهن باللؤلؤ المكثرون المنثورون لأنهن لا يمتنّ بالخدمة (القرطبي ١٩٥ ص ١٤٤) .

(٤) آية ٣٥ سورة ق .

« عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ  
وَيَسْتَبِقُونَ وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ  
وَسَقَمَ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا » .

يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَصْفُ لِلْأَبْرَارِ . وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ لِلْوَلَدَانِ وَهُوَ أَوْلَى ، وَالْأَسْمُ  
يُؤَافِقُ الْأَسْمَ دُونَ الْعَيْنِ <sup>(١)</sup> .

« شَرَابًا طَهُورًا » : الشَّرَابُ الطَّهُورُ هُوَ الطَّاهِرُ فِي نَفْسِهِ الْمُطَهَّرُ لَتَبَرِهِ .

فَالشَّرَابُ يَكُونُ طَهُورًا فِي الْجَنَّةِ — وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ التَّطْهِيرُ لِأَنَّ الْجَنَّةَ لَا يُحْتَاجُ فِيهَا  
إِلَى التَّطْهِيرِ .

وَلَكِنَّهُ — سَبْحَانَهُ — لَمَّا ذَكَرَ الشَّرَابَ — وَهُوَ الْيَوْمَ فِي الشَّاهِدِ نَجَسٌ — أَخْبَرَ أَنْ  
ذَلِكَ الشَّرَابُ غَدًا طَاهِرٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ مُطَهَّرٌ ؛ يُطَهَّرُهُمْ عَنْ حُبِّهِ الْأَغْيَارِ ، فَمَنْ يَحْتَسِرُ مِنْ ذَلِكَ  
الشَّرَابِ شَيْئًا طَهَّرَهُ عَنْ حُبِّهِ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَالْخَلْقَاتِ .

وَيَقَالُ : يُطَهَّرُ صُدُورَهُمْ مِنَ النَّيْلِ وَالْفَسْ ، وَلَا يُبْقِي لِبَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ خَصِيصَةً  
(وَلَا عِدَاوَةً) <sup>(٢)</sup> وَلَا دَعْوَى وَلَا شَيْءَ .

وَيَقَالُ : يُطَهَّرُ قُلُوبَهُمْ عَنْ حُبِّهِ الْخُلُوعِ الْعَيْنِ .

وَيَقَالُ : إِنْ لِللَّائِكَةِ نَرَضَ عَلَيْهِمُ الشَّرَابَ فَيَأْبُونَ قَبُولَهُ مِنْهُمْ ، وَيَقُولُونَ :

لَقَدْ طَلَلْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَإِذَا هُمْ بِكَلَسَاتٍ تُلَاقِي أَفْوَاهَهُمْ بَغِيرَ أَكْفٍ ؛ مِنْ غَيْبِ  
إِلَى عَيْدٍ .

وَيَقَالُ : الْيَوْمَ شَرَابٌ وَغَدًا شَرَابٌ .. الْيَوْمَ شَرَابُ الْإِنْسَانِ <sup>(٣)</sup> وَغَدًا شَرَابُ الْكَلَسِ ،  
الْيَوْمَ شَرَابٌ مِنَ اللَّطْفِ وَغَدًا شَرَابٌ يُفَارِقُ عَلَى الْكَفِّ .

(١) أَرَأَيْتَ كَيْفَ يُلْقِ الْبَشِيرُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؟

(٢) شَيْءٌ مَوْجُودٌ فِي مَوْجُودَةٍ فِي مَوْجُودَةٍ .

(٣) هَكَذَا فِي مَوْجُودَةٍ فِي مَوْجُودَةٍ ، وَالْهَوَايَا مَا اثْبَتْنَا كَمَا يَتَضَعُ فِيهَا بَعْدَ (آتَمَةٍ) .



ويقال : مَنْ سَاقَ الْيَوْمَ شَرَابَ حُبَّتِهِ آتَسَهُ وَشَجَّتَهُ ؛ فَلَا يَسْتَوْجِبُ فِي وَقْتِهِ مِنْ شَيْءٍ ،  
وَلَا يَبْقِيَنَّ بَرُوحَهُ عَنْ يَدَّلْ . وَمَنْ مَقْتَضَى شُرْبَهُ بِكَأْسٍ حُبَّتِهِ أَنْ يَجُودَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ بِالْكُونَيْنِ  
مِنْ غَيْرِ تَمَيُّزٍ ، وَلَا يَبْقَى عَلَى قَلْبِهِ أَثَرٌ لِلْأَخْطَارِ .

وَمِنْ أَعَارِ شُرْبِهِ تَذَلُّهُ لِكُلِّ أَحَدٍ لِأَجْلِ مَحَبَّتِهِ ، فَيَكُونُ لِأَصْنَرِ الْخَدَمِ ثُرَابَ الْقَدَمِ ،  
لَا يَصْعَكُ فِيهِ لِتَكْبُرِ عَرَقٍ .

وقد يكون من مقتضى ذلك الشراب أيضاً في بعض الأحيان أَنْ يَكْبِيَ عَلَى أَهْلِ  
الْمَارَنِ .

وَمِنْ مَقْتَضَى ذَلِكَ الشَّرَابِ أَيْضاً أَنْ يَمْلِكَهُ سُرُورٌ وَلَا يَتَمَلَّكَ مَمٌّ مِنْ خَلْعِ الْمَنَارِ  
وَالْقَاءِ قَتَاعِ الْحَيَاءِ <sup>(١)</sup> وَيُظْهِرُ مَا هُوَ بِهِ مِنَ الْوَجْدِ :

يَطْلُعُ فِيكَ الْمَنَارَ قَوْمٌ فَكَيْفَ مِنْ مَالِهِ عَنَارُ ؟

وَمِنْ مَوْجِبَاتِ ذَلِكَ الشَّرَابِ سَقُوطُ الْحَشْمَةِ ، فَيَتَكَلَّمُ بِمَقْتَضَى الْبَسْطِ ، أَوْ بِمَوْجِبِ نَظَرِ  
الشُّكُورِ ، وَبِمَا لَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهُ — فِي حَالِ صَبْرِهِ — سَفِيحٌ بِالْمُنَاقِشِ <sup>(٢)</sup> . . . وَعَلَى هَذَا  
تَحَلُّوا قَوْلَ مُوسَى : « رَبِّ أَرِنِي أَظْهَرِ لِيكَ » <sup>(٣)</sup>

قَالُوا : سَكَّرَ مِنْ سَمَاعِ كَلَامِهِ <sup>(٤)</sup> ، فَتَطَلَّقَ بِذَلِكَ لِسَانُهُ . وَأَمَّا مَنْ يَسْقِيهِمْ شَرَابَ التَّوْحِيدِ  
فَيَنْفِي عَنْهُمْ شَهْوَةَ كُلِّ غَيْرٍ فَيَهْمُونَ فِي أَوْدِيَةِ الْعِزِّ ، وَيَتَبَهَوْنَ فِي مَفَاوِزِ الْكِبَرِيَاءِ ، وَتَتَلَاشَى

(١) هكذا في م وهي في من (الحياة) ، والملائم خلع المنار إلقاء قناع (الحياة) . والمقصود بها تجاوز حد الصبر على المحكوم من الحب ، ونطق القلب وهو في غلبات الشهود بشغفات ظاهرها مستفتح وإن كان باطنها في غاية التسلية (انظر تعريف السراج للشطرنج في العلم) .

(٢) المناقش جمع مناقش ، ويقال في المثل : استخرجت منه حتى بالمناقش أي تمت كثير حتى استخرجت منه حتى (الوسيط) .

(٣) آية ١٤٣ سورة الأعراف .

(٤) التفسير (كلامه) يعود على الرب ؛ سبحانه حيناً قال : « إِنِّي أَنَا اللَّهُ » ، وفي موضع آخر يصف التفسير موسى عليه السلام بأنه كان في حال التلوين فظهر عليه ما ظهر ، بينما المصطفى (مر) ليلة المراج كان في حال التمكن فما زاح بصبره وما طوى .

جلتهم في هواء الفردانية . . فلا عقل ولا تمييز ولا فهم ولا إدراك . . فكل هذه الممانى ساقطة .

فالمبدئ يكون في ابتداء الكشف مستوعباً ثم يصير مستغرقاً ثم يصير مُستهلكاً ..  
« وأن إلى ربك للنهي »<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنْ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا » .

قال لم : هنا جزاء لكم ، « مشكوراً » : وشكره لسميهم تكثير الثواب على القليل من العمل — هذا على طريقة العلماء ، وعند قوم شكرهم جزاؤهم على شكرهم .  
ويقال : شكره لم ثناؤه عليهم بذكر إحسانهم على وجه الإكرام .

قوله جل ذكره : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا »  
في مُدَّةٍ<sup>(٢)</sup> سنين .

« فَأَصِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ  
آثِمًا أَوْ كَفُورًا » .

أى : لرض بضائه ، واستسلم ليحكمه .

« وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا » : أى : ولا كفوراً ، وهذا أمر له بإفراد ربه بطاعته .  
« وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً  
وَأَصِيلًا \* وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْبُدْ لَهُ  
وَسُبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا » .

الترغيب في الأول ، ثم النقل<sup>(٣)</sup>

« إِنْ هَؤُلَاءِ .. »

(١) آية ٤٢ سورة النجم .

(٢) هكذا في النسختين ولا نستبعد أنها في الأصل (عدة) وكلامها صحيح في السياق .

(٣) فالصلة جاءت في الأول (بكرة وأصيل) صلاة الصبح ثم الظهر والعصر (ومن الليل) المغرب والعشاء

ثم من بعد ذلك النقل وهو (وسبحه ليلاً طويلاً) : لأنه تطوع ، قيل : هو منسوخ بالصلوات الخمس ، وقيل : هو خاص بالنبي (صلى الله عليه وسلم) .

أى كفار قريش .

« يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ  
يَوْمًا حَسِيلًا » .

أى : لا يسلون ليوم القيامة .

قوله جل ذكره : « نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَمَهُمْ وَإِنَّا  
شَفِيقْنَا بَدَلْنَا أَمَنَاتَهُمْ تَبْدِيلًا » .

أعلمناهم ، وخلقنا غيرهم بدلاً عنهم . ويقال : أخذنا عنهم لليثاق<sup>(١)</sup> .

« إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ ... »

أى : القرآن تذكرة .

« فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا » .

بطاعته .

« وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا » • يَدْخُلُ مَنْ  
يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ  
عَذَابًا أَلِيمًا » .

أى : عذاباً أليماً موجعاً يخلص وَجْهَهُ إِلَى قلوبهم .

---

(١) تأخرت هذه العبارة عن موضعها ، فأرجعناها إلى مكانها .

## سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمةٌ مَنْ سمعها بسمع الوجدِ وَفِي له فلم ينظرْ إلى أحد ، وَمَنْ سمعها بسمع العلمِ جَادَ له فلم ييخلُ بروحه على أحد .

ومن سمعها بسمع التوحيدِ جَرَدَ سِرَّهُ عن إيتارٍ<sup>(١)</sup> ما سواه في الدنيا والعُقبى عيناً وأثراً  
فما كان هذا كله إلا حاصلًا به كائنًا منه .

قوله جل ذكره : « وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا » .

« للرسلات » : اللائكة ، « عُرْفًا » أى : أرسلوا بالمعروف من الأمر ، أو كثيرين  
كعُرْفِ القُرس .

« فَالْمُصِيفَاتِ عَصْفًا » .

الرياحُ الشديدة ( المواصلاتُ تأتي بالصف وهو ورق الزرع وحطامه ) .

« وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا » .

الأمطار ( لأنها تنشر النبات . فالنشر بمعنى الإحياء ) . ويقال : السَّحْبُ تنشرُ النفيث .  
ويقال : اللائكة .

« فَالْمُنَادَاتِ قُرْفًا » .

لللائكة ؛ تفرق بين الحلال والحرام .

« فَالْمُكَاتِبَاتِ ذِكْرًا \* عُنْدَرًا أَوْ

نُذْرًا » .

(١) هكذا في ص ومي في م (تياب) ومي غلطاً من التاسع .

لللائكة : تُلَقِّ الوحيَ على الأنبياء عليهم السلام ؛ إعذاراً وإشعاراً ..

وجوابُ التَّسْمِ :

« إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ » .

فأقسم بهذه الأشياء : إِنَّ التَّيْلَمَةَ لَحَقٌّ .

قوله جل ذكره : « فَلَمَّا النَّجْمُ طُمِسَتْ » .

إِنَّمَا تكون هذه التَّيْلَمَةُ . « وطُست » : ذهب ضوؤها .

« وَإِذَا الْجِبَالُ نُفِثَتْ » .

ذَهَبَ بِهَا كُلُّهَا بِسُرْعَةٍ ، حَتَّى لَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ .

« وَإِذَا الرُّسُلُ اقْتَتَتْ » لِأَيِّ يَوْمٍ

أَجَلَتْ • ليومِ الْفَصْلِ » .

أى : جَعَلَ لها وَقْتًا وَأَجَلًا لِفَصْلِ التَّضَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَقَالَ : أُرْسِلَتْ لِأَوْفَاتٍ مَعْلُومَةٍ .

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ »

على جِهَةِ التَّظْهِيرِ .

« وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ » .

مَضَى تَفْسِيرُ مَعْنَى الْوَيْلِ .

وَيَقَالُ فِي الْإِشَارَاتِ : فَلَمَّا نَجْمُ الْمَارِفِ طُمِسَتْ بِوُقُوعِ النَّفْيَةِ .

وَلَمَّا الْجِبَالُ نُفِثَتْ : الْقُلُوبُ السَّاكِنَةُ بِيَقِينِ الشُّهُودِ حُرَّكَتْ عَقُوبَةً عَلَى مَا هَمَّتْ بِالَّذِي

لَا يَجُوزُ . فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلرُّبَابِ الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةِ الْحَاصِلَةِ مِنْ ذَوَى الْقُلُوبِ الْمُطْبَقَةِ الْخَالِيَةِ

مِنَ الْمَانِي .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ • ثُمَّ نُنْشِئُهُمُ

الْآخِرِينَ » .

الَّذِينَ كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ ، وَجَعَلُوا آيَاتِنَا ؟ فَتَمَّا أَهْلَكْنَا الْأَوَّلِينَ كَذَلِكَ فَعَلَ بِالْمُجْرِمِينَ إِذَا

فَعَلُوا مِثْلَ فِعْلِهِمْ .

« ويلٌ يومئذٍ للكافرين » الذين لا يستوى ظاهريهم وباطنيهم في التصديق .  
وهكذا كان المتصدون من أهل الزَّوْلَةِ والفترة في الطريقة ، والخيانة في أحكام الحجة مُدْبِرُوا  
بالحرمان في عاجلهم ، ولم يذوقوا من المآل شيئا .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ؟ » .

أى : حثير . وإذا قد علمت ذلك ظم لم تقيسوا أمر البعث عليه ؟

ويقال : ذَكَّرْهُمْ أَصْلَ خَلْقِهِمْ لئلا يُفْتَبِحُوا بأحوالهم ؛ فإنه لا جِنْسَ من المخلوقين  
والخلوقات أشد دعوى من بنى آدم . فمن الواجب أن يَفَكَّرَ الإنسان في أصله ... كان  
نطفة وفي انتهائه يكون جيفة ، وفي وساطة حاله كنيف في قيض ! ! فبالحرى ألا يُدَلَّ  
ولا يفتخر :

كيف يزهو مَنْ رَجِيَهُ أَبَدَ الدهرِ ضِعْمُهُ

فهو منه وإليه وأخوه ورضيعه

وهو يدعوهُ إِلَى التَّعَشُّسِ<sup>(١)</sup> بصغر فيطيعه !! ؟

ويقال : يُذَكِّرْهُمْ أَصْلَهُمْ .. كيف كان كذلك .. ومع ذلك قد ظلمهم إلى أحسن صورة ،

قال تعالى :

« وصوركم فأحسن صوركم » ، والذي يفعل ذلك قَادِرٌ على أن يُرْقِيَك من الأحوال

الخسيسة إلى تلك المنازل الشريفة .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا \* أَحْيَاءَ

وَأَمْوَاتًا » .

« كِفَاتًا » أى : ذات جَمْعٍ ؟ فالأرض تضمهم وتجمعهم أحياء و أمواتا ؛ فهم يعيشون على

ظهورها ، ويودعون بمد اللوت في بطنها ..

« وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ شَاخِصَاتٍ وَأَسْتِينَاكُمْ مَاءً قَرَاتًا » .

(١) الحش يفتح الماء وضعا = الكثيف .

والمقصود : كيف تراه أيتها الإنسان ، وإن ما يعفقه جسمك من فضلات ملازم لك حياتك . ليك ونهارك ،  
وأنت تطعمه صاغرا إذا أمرك وذاك بالفتاب إلى الحش ؟

أى : جبالاً مرتحات ، وجبلنا بها للماء سفياً لكم . يُدْكَرُهم عظيم مِنْتهِ بذلك ملبهم .  
والإشارة فيه إلى عظيم مِنْتهِ أنه لم يَخْصِفْ بِكم الأرض - وإن علم ما علمت .  
« أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ » .

يقال لهم : اطلقوا إلى النار التي كذَّبتُمْ بها .

« أَطْلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ • لَا ظُلِيلٌ وَلَا يُنْفَى  
مِنَ الْقَبْرِ » .

كذلك إذا لم يعرف المبدأ قَدْراً فلتطرح طريقته إلى الله قبله ، وتعرَّضْه بتركه .. فإذا  
رجع إلى الخلق عند استيلاء النفة نزعَ اللهُ عن قلبه الرحمة ، وانسَدَّتْ عليه طُرُقُ رُشْدِهِ ،  
فيتردد من هذا إلى هذا إلى هذا .

ويقال لهم : اطلقوا إلى ما كنتم به تكذِّبون . والاستقلالُ بالله جنةُ الأولى ، والرجوعُ  
إلى الخلقِ قَرْعُ بابِ جهنم .. وفي معناه أُنْشِدُوا :

وَلَمْ أَرَ قَبْلِي مَنْ يَفَارِقُ جَنَّةَ وَيَرْجِعُ بِالتَّحْقِيلِ بَابَ جَهَنَّمَ

ثم يقال لهم إذا أخذوا في التَّشَلُّ والاعتذار :

« هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ • وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَلِرُونَ » .

فإلى أن تنقضي مدَّةُ العقوبة فيُخْتَدَرُ : أَنْ اسْتَغْفَتْ وَقَدْ اسْتَوْفَتْ لَكَ وَقْتُ . فأما الآن ..  
فصبراً حتى تنقضي أيامُ العقاب .

« هَذَا يَوْمُ الْقَعْلِ جَمْعاً كِ  
وَالْأَوَّلِينَ » .

فصلنا بكم ما ضلنا بهم في الدنيا من الخفلات ، كذلك اليوم سنفل بكم ما فعل بهم  
من دخول النيران

قوله جل ذكره : « إِنَّ لِلضَّالِّينَ فِي ظُلُمٍ وَعَيُونَ » .

اليوم .. في ظلال النخلة والحماة ، وغداً ... هم في ظلال الرحة والسكلاة .

اليوم .. في ظلال التوحيد ، وغداً .. في ظلال حُسن الزيد .

اليوم .. في ظلال المعارف ، وغداً .. في ظلال اللطائف .

اليوم .. في ظلال التعريف ، وغداً .. في ظلال التشريف .

« كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » .

اليوم تشربون على ذكره .. وغداً تشربون على شهوده ، اليوم تشربون بكلمات الصفاء وغداً تشربون بكلمات الولاء .

« إنا كذلك نجزي المحسنين » .

والإحسان من العبد ترك الكل لأجله كذلك غداً : يحازيك بترك كل الحاصل عليك لأجلك .

قوله جل ذكره : « كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون » .

هذا خطاب للكفار ، وهذا تهديد ووعيد ، والويل يومئذ لكم .

قوله جل ذكره : « وإذا قيل لهم أركعوا لا يركعون » .

كانوا يصرون على الإباء والاستكبار فسوف يقاسون البلاء العظيم<sup>(١)</sup> .

[ ذكر في التفسير : أن المتقين دائماً في ظلال الأشجار ، وقصور الدر مع الأبرار ، وعيون جارية وأنهار . ، وأنوار من الفاكهة والثمار . . من كل ما يريدون من الملك الجبار . وقال لهم في الجنة : كلوا من ثمار الجنة ، واشربوا شرباً سليماً من الآفات . « بما كنتم تعملون » من الطاعات . « كذلك نجزي المحسنين » من الكرامات . قيل : كلوا واشربوا هنيئاً : لا تبعه عليكم من جهة الخصومات ، ولا أذية في المأكولات والمشروبات .

وقيل : المعنى الذي لا تبعه فيه على صاحبه ، ولا أذية فيه من مكروه لنيره . ]

---

(١) إلى هنا انتهى تفسير السورة في م النسخة ص . وكل ما بين القوسين الكبيرين موجود في النسخة م .



(١)

## سُورَةُ النَّبَاِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » اسمُ مَلِكٍ تَجَمَّلَ عِيَادُهُ بِطَاعَتِهِ ، وَتَزَيَّنَ خَدَمُهُ بِمِلَادِهِ ، وَهُوَ سَبْحَانَهُ لَا يَجْعَلُ بِطَاعَةِ اللَّطِيفِينَ ، وَلَا يَتَزَيَّنُ بِخِدْمَةِ الْعَابِدِينَ ؛ فَرِيقَةُ الْعَابِدِينَ صُدَّارُ طَاعَتِهِمْ ، وَرِيقَةُ الْمَارِفِينَ حَلَّةُ مَرَقَتِهِمْ ، وَرِيقَةُ الْمُحِبِّينَ نَاجُ وَلَايَتِهِمْ . . . وَرِيقَةُ الْمَذْنُونِ غَسَلُ وَجُوهِهِمْ بِصَوْنِهِ (١) عِبْرَتِهِمْ .

قوله جل ذكره : « عَمَّ يُتْلَا » عن النَّبِيِّ الْعَظِيمِ •  
الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

مُخْتَلِفُونَ بِشِدَّةِ انْكَارِهِمْ أَمْرَ الْبَيْتِ ، وَلَا تَنَاسٍ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَكَثْرَةِ مُسَاءَلَتِهِمْ عَنْهُ ، وَكَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِمْ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَعْنَاهُ .

تَكَرَّرَ مِنْ اللَّهِ أَنْزَالُ أَمْرِ الْبَيْتِ ، وَكَمْ اسْتَدْلُّ عَلَيْهِمْ فِي جَوَازِهِ بِوُجُوهٍ مِنَ الْأَمَثَلَةِ . .  
فَهَذَا مِنْ ذَلِكَ ، يَقُولُ : « عَمَّ يُتْلَا » . عَنْ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ : عَنْ الْخَلِيفِ الْعَظِيمِ « الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ » قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جِهَةِ الْاجْتِهَادِ عَلَيْهِمْ :

« أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِيعَادًا ؟ »

ذَلَّلْنَاهَا لِمَنْ حَقَّى سَكَنُوهَا

« وَالْجِبَالِ أَوْتَانًا ؟ » .

---

(١) هذا هو اسم السورة كما جاء في من أمّا في من لغتها (سورة عم يتسألون) .

(٢) هي في م (بضرب) وهي في م (بصوت) وكلاماً غير مقبول في السياق ، وقد رجعنا أن تكون في الأصل (بصوت) على أساس أن التفسير يستعمل الفعل (تتقلد) مع (البقرة) في مواضع مماثلة ، كما أنها أقرب في الرسم .

أوتلنا للأرض حتى نَمِيدَ بِهِمْ .

« وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا »

ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَحَسَنًا وَقَبِيحًا . - وغير ذلك

« وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا »

أى راحة لكم ، لَتَنْقَطِعُوا عَنْ حَرَكَاتِكُمُ الَّتِي تَعْتِمِدُ بِهَا فِي نَهَارِكُمْ .

« وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا »

تُغَطِّي ظُلُمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ فَتَسْكُنُوا فِيهِ .

« وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا »

أى وقتَ مَعَالِكِكُمْ .

« وَبَيَّنَّا فَرْقَكُمْ سَبْتًا شَدِيدًا »

أى سبعَ سَمَوَاتٍ .

« وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا »

أى الشمسَ ، جَعَلْنَاهَا سِرَاجًا وَقَادًا مُشْتَعِلًا .

« وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا »

« لِلْمُعْصِرَاتِ » الرِّيحُ الَّتِي تَمْصِرُ السَّحَابَ <sup>(١)</sup> .

« مَاءٌ ثَجَّاجٌ » مَطَرٌ صَبِيلًا .

« لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا »

« وَجَنَّتْ أَقْفَافًا »

« حَبًّا » كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ ، « وَجَنَّتْ أَقْفَافًا » بَسَاتِينَ يَلْتَفُّ بِمَعْضَاهَا بَعْضُهَا .

وَإِذَا قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ فَهَلَّا عَلِمَ أَنَّ قَادِرَهُ عَلَى أَنْ أُعِيدَ الْخَلْقَ وَأَتِمَّ الْقِيَامَةَ ؟

(١) وَالْمُعْصِرَاتُ أَيْضًا السَّحَابُ تَمْتَصِرُ بِالْمَطَرِ ، وَأَعْصَرَ الْقَوْمُ أَيْ : أَمْطَرُوا ، وَهِيَ « وَفِيهِ يَمْصُرُونَ » وَالْمُعْصِرَةُ الْجَارِيَةُ أَوَّلُ مَا أَدْرَكَتِ الْغُرُفُ . فَالْمُعْصِرَةُ السَّحَابَةُ الَّتِي حَانَ لَهَا أَنْ تَمْطُرَ (الْمُصْطَح) .

فَبَدَأَ أَنْ عَدَّ عَلَيْهِمْ بَعْضَ وَجُوهِ إِسْمَاهُ ، وَتَمَكِّنُهُمْ مِنْ مَنَاصِمِهِمْ .. قَالَ :

« إِنَّ يَوْمَ الْقِتْلِ كَانَ مِثْقَالًا »

مضى معناه

« يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ  
أَفْوَاجًا » .

أى فى ذلك اليوم تأتون زمرًا وجعلاتٍ .

« وَضَعْتَ السَّيِّئَاتِ فَكَانَتْ أَبْوَابًا »

أى : تَشَقَّقَتْ وَاضْطَرَّتْ .

« وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا »

أى كالسراب .

« إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَافًا » .

أى ممرًا . ويقال : ذات ارتقابٍ لأهلها .

« لَطَّاعِينَ مَأْبَا »

أى مرجأ .

« لَا يَتَّبِعُ فِيهَا أَحَدًا »

أى دهورًا ، واللفى مؤبدين

« لَا يُلَاقُونَ فِيهَا بَرَأً وَلَا شِرَابًا »

إِلَّا حَيْثُ وَعَسَاةَا »

مضى معناه . ثم يُعَدَّبُونَ بعد ذلك بأنواعٍ أُخَرَ مِنَ الْعَذَابِ .

« جَزَاءُ وِفَاةَا »

أى : جُوزُوا عَلَى وَفْقِ أَعْمَالِهِمْ . ويقال : عَلَى وَفْقِ مَا سَبَقَ بِهِ التَّعْدِيرُ ، وَجَرَى

بِهِ الْحُكْمُ .

« لَئِنْهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا »

لا يؤمنون فيرجون الثواب ويخافون العقاب .

« وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا » (١) .

أى : تكذّبوا .

« وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا »

أى : كتبناه كتاباً ، وعلّمناه علماً .

والسَّيِّعُ الزَّاهِدُ يحصى نسيجه ، والمهجورُ البائسُ يحصى أيام هجرانه ، والذي هو صاحب وصالي لا يتفرّغ من وصله إلى تذكّر أيامه في المدد ، أو الطول والتصر .

وللائكة يحصون زلّات الماصين ، ويكتبونها في صحائفهم . والحق سبحانه يقول :

« وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا » فسكّا أحصى زلّات الماصين وطاعات الطمّين فكذلك أحصى أيام هجران المهجورين وأيام محن المتحنّين ، وإنّ لهم في ذلك لِسُؤْلَةً ونَسْأَةً :  
ثَمَانٍ قَدْ مَضَيْنَ بِهَا تَلَاقِي وَمَا فِي الصِّرَافِ عَنْ ثَمَانٍ

وكم من أقوامٍ جاوزت أيام قترهم الحدّ ! وأزّبت أوقات هجرانهم على الحصر !

قوله جل ذكره : « فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا »

يأبها المُنْتَحِنُونَ في الجنة .. إفرحوا وتمتعوا فلن نزيدكم إلا نواباً .

أيها الكافرون .. احترقوا في النار .. ولن نزيدكم إلا عذاباً (٢)

ويأبها الطمّيون .. افرحوا وارتموا فلن نزيدكم إلا فضلاً على فضل .

يأبها المساكين .. لبسكوا واجزعوا فلن نزيدكم إلا عزلاً على عزل .

قوله جل ذكره : « إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا • حِطَائِقَ وَأَعْنَابًا

• وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا • وَكَأْسًا دِهَاقًا •

(١) في «كذابا» يقول النجاشي : هي لغة يمانية فسيحة ؛ يقولون : كلّبت به كذاباً وعقرت القميص خيراً .  
فكل فعل في وزن (فعل) مضمره فاعل مشددة في لغتهم .

(٢) قال أبو هريرة : سألت النبي (ص) من أشد آية في القرآن فقال : قوله تعالى : « فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا » أى : « كلما نضجت جلودكم بدلناكم جلوداً غيرها » و« كلما غبت زنادكم سيراً » .

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَنَافًا وَلَا كِتَابًا •

جزءاً من ربك عطلة حباباً •

مُسَلَّمٌ لِلتَّائِبِينَ مَا وَعَدْنَاهُمْ بِهِ .. فَهَنَيْتُ لِمَنْ مَا أَعَدْنَا لَهُمْ مِنَ الْفَوْزِ بِالْبُيُوتِ وَالْفَقْرِ بِالسُّؤْلِ  
وَالْمُنْيَةِ : من حائِثٍ وَأَعْنَابٍ ، ومن كَوَاعِبِ أَتْرَابٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

فِي أَيُّهَا الْمُهَيَّمُونَ الْمُتَيَّمُونَ هَنِيئًا لَكُمْ مَا أَتَمَّ فِيهِ الْيَوْمُ فِي سَبِيلِ مَوْلَاكُمْ مِنْ تَجَرُّدٍ وَقَرٍ ،  
وَمَا كَلَّفَكُمْ بِهِ مِنْ تَوَكُّلٍ وَصَبْرٍ ، وَمَا تَجَرَّعْتُمْ مِنْ صَدٍّ وَهَجَرٍ •

أَحْرَى الْمَلَابِسِ مَا تَلَقَى الْحَبِيبَ بِهِ يَوْمَ التَّزَاوُرِ<sup>(١)</sup> فِي الثَّوْبِ الَّذِي خَلَّمَا  
قوله : « لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا ... » أَذَانُهُمْ مَصُونَةٌ عَنْ سَمَاعِ الْأَغْيَارِ ، وَأَبْصَارُهُمْ مَحْفُوزَةٌ  
عَنْ مَلَاظِمَةِ الرُّسُومِ وَالْأَكْثَارِ •

قوله جل ذكره : « رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

الرَّحْمَنُ لَا يُعَلِّقُونَ مِنْهُ خُطَابًا »

وَكَيْفَ تَكُونُ لِلْمُسْكُونِ الْخَلْقِ الْفَقِيرِ لِلْمُسْكِنِ مُكْنَةً أَنْ يَمْلِكَ مِنْهُ خُطَابًا ؟ أَوْ يَنْفُسَ  
بِدُونِهِ نَفْسًا ؟ كَلَّا - - بَلْ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْجَبَّارُ •

قوله جل ذكره : « يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا

لَا يَسْكُتُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ

وَقَالَ صَرَابًا »

إِنَّمَا تَظْهَرُ الْهَيْبَةُ عَلَى السُّومِ لِأَهْلِ الْجَمْعِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَأَمَّا الْخَوَاصُ وَأَصْحَابُ الْخُضُورِ  
فَهُمْ أَبْنَاءُ عِمْدَةِ الرِّبِّ بَنَتِ الْهَيْبَةَ ، لَا نَفْسَ<sup>(٢)</sup> لَهُمْ وَلَا رَاحَةَ ؛ أَحَاطَ بِهِمْ سِرَادُهَا وَاسْتَوَلَتْ  
عَلَيْهِمْ حَقَائِقُهَا •

---

(١) هكذا في م وفي ق من (التزاور) وهي خطأ من القاسم ، والمقصود من النص القسري : أن الله يجب  
أن يرى على الفقراء ثياب التجرد لأنها الثياب التي خلصها عليهم بنفسه حيناً آخر وأحقه حل حظوظهم .  
(٢) هكذا في م وفي ق من (لا تفرح لم ولا فرحة) وربما كانت (فرجة) بالجم .

قوله جل ذكره : « فَلَكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ

إِلَى رَبِّهِ مَا يَبْأَى » .

م بمشهد الحق ، والحكم عليهم الحق ، حكم عليهم بالحق ، وهم مجنوبون بالحق للحق .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَنزَلْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا » .

وهو عند أهل النقلة بعيد ، ولكنه في التحقيق قريب .

« يَوْمَ يَنْظُرُ لِلرُّءُوسِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

وَيَقُولُ الْكَافِرُ <sup>(١)</sup> : يَا لَيْتَنِي

كُنْتُ تُرَابًا » .

مضوا في ذل الاختيار والتمنى <sup>(٢)</sup> ، وبينوا في حسرة التمنى ، ولو أنهم رضوا بالتقدير

لتخلصوا <sup>(٣)</sup> عن التمنى .

---

(١) قيل : يراد بالكافر هنا أي بن خلف أو عتبة بن أبي معيط . ويرى أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الكريم القرشي - صاحب هذا الكتاب : هو إبليس ، يقول : يا ليتني خلقت كآدم من تراب ولم أقل أنا خير منه لأن من نار . (القرطبي ج ١٩ ص ١٨٩) .

(٢) وردت في الفسطين (التمنى) وهي مقبولة ، ولكننا نرجح أنها ربما كانت في الأصل (التنى) لأن الاختيار كان في الدنيا ، واختيار المرد - حسب نظرية القرشي - عملية لعنائه وشقائه .. هذا فضلا عن أن إثبات (التنى) يزيد التمنى - نظراً لطول الفاصلة - قوة وجهالا .

(٣) هكذا في م وهي في س (لتخلصوا) وواضح فيها خطأ النسخ .

## (١) سُورَةُ النَّازِعَاتِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » اسمٌ عزيزٌ لربِّ عزيز ، سماعه يحتاج إلى سميعٍ عزيز ، وذكره يحتاج إلى وقتٍ عزيز ، وفهمه يحتاج إلى قلبٍ عزيز .

وأنى لصاحبِ سمعٍ بالنبية مُبتَدَل ، ووقتٌ مُعْطَلٌ في الخسائسِ مُسْتَعْرِق ، وقلبٌ في الاشتغال بالأغيار مستعمل .. أنى له أن يصلح لسماع هذا الإسم ١٩ .

قوله جل ذكره : « وَالنَّازِعَاتِ غَرَقًا » .

أى اللائكة ؛ نَزَعُ أرواحِ الكفَّارِ من أبنائهم .

« غَرَقًا » : أى إغراقًا كالغريقِ في قَوْسِهِ (٢) .

ويقال : هى النجوم تنزع من مكانٍ إلى مكان .

« وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا » .

هى أغصانُ المؤمنين تَنْشَطُ للخروج عند الموت .

ويقال : هى اللائكة تَنْشَطُ أرواحَ الكفَّارِ ، وتنزعها فيشتدُّ عليهم خروجُها .

ويقال : هى الوحوش تنشط من بليرٍ إلى بليرٍ .

ويقال : هى الأوهاق (٣) .

(١) هكذا فى ص وهي ق م (سورة والنازعات) بإثبات الواو .

(٢) إغراق النازح فى القوس أن يبلغ مداهما ويستغرق شهما .

(٣) هكذا فى م وهي ق (ص الارهاق) بالراء وهي خطأ فى النسخ ، والأيهاق جمع وهق بمركتين وقد يسكن : الحبل تشد به الإبل والغيل حتى تؤخذ وفى طوته أنشودة . وأوهق الدابة أى طرح فى حنفها الوهق . وعن مكرمة ومطاء : الأوهاق تنشط السهام .

ويقال : هي النجوم تنشط من للشارق إلى للغارب ومن للغارب إلى للشارق .

« وَالسَّاعَتِ سَبْعًا »

اللائكة تسبح في نزولها .

ويقال : هي النجوم تسبح في أخلاكا .

ويقال : هي السفن في البحار .

ويقال : هي أرواح للؤمنين تخرج بسهولة لشوقها إلى الله .

« فَالسَّاعَتِ سَبْعًا » .

اللائكة يسبقون إلى الخير والبركة ، أو لأنها تسبق الشياطين عند نزول الوحي ، أو لأنها تسبق بأرواح السكفار إلى النار .

ويقال : هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في الأقول .

« ظِلْمَةُ بَرَاتٍ أَمْرًا » .

اللائكة تنزل بالحرام والحلال .

ويقال : جبريل بالوحي ، وميكائيل بالقطر والنبات ، وإسرافيل بالصّور ، وملاك الموت يخبئ الأرواح . . عليهم السلام .

وجواب القسم قوله : « إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِزَّةٌ لِمَن يَخْشَى » (١)

قوله جل ذكره : « يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ » .

تتحرك الأرض حركة شديدة .

« تَتْبِعُهَا الرَّادِفَةُ » .

النفخة الأولى في الصور . وقيل : الراجعة النفخة الأولى والرادفة النفخة الثانية .

(١) هذه هي الآية رقم ٢٦ بالسورة وهو اختيار القرطبي أيضاً .. وهي كما ترى متأخرة جداً . ويرى بعض المفسرين أن جواب القسم مفسر لأنه لا يفتقر على السامع ، ويرى آخرون - كالقراء - أنه اليمث بدليل « أنذا كنا عظاما غفرة » .

ويرى القرطبي : أنه قسم جوابه : إن القيامة حق .



« قلوبهم يومئذٍ واجبة » .

خاتمة .

« يقولون أئینا لمرءودون فی  
الخطیئة (۱) » .

أى إلى أول أمرنا وحالنا ، یعنی أئینا متابعین ونُزِدُ إلى الدنيا ( ونمشی علی الأرض  
بأقدامنا ) ؟ - قالوه علی جهة الاستیسلام .

« أئینا کُنّا عِظَمًا مُخْرِءً » .

أى بالیة .

« تلك إنا سکرۃ خالیة » .

.. رَجَعَتْ ذَاتُ خسران ( ما دام المصیرُ إلى النار ) .

قوله جل ذكره : « فإِنَّا هِیَ زَجرَةٌ واحدة » • فإذا

م بالساهرة (۲) » .

جاء فی التضریر لِمَتِها أرضُ الحشر ، ویقال : إِنها أرضٌ یضاه لم یُضَ الله فیها (۳) .

ویقال : الساهرة نَفْثَةُ العُشور تذهب بنومهم وتبهرم .

قوله جل ذكره : « هل أتاك حَدِیثٌ مُّؤمى » •

إذ ناداهُ رَبُّهُ بِالوادی الْقَـسْدِ

بَطُومِ » .

أى الأرضُ الملهوة المباركة . « طومى » اسم الوادى هناك .

« أَذْهَبَ إلی فِرْعَوْنَ إِنْهُ طَمَنُ » •

قُلْ هل لك إلی أَنْ تَرَکُنِ » .

(۱) سمیت الأرضُ الخافرة لأنها مستقرُ الموائز .

(۲) سمیت الأرضُ بالساهرة لأن فیها نومُ المجرمین وسهره (الفرمان) ، وقال أبو کبیر المذلل :

یرتدن ساهرة کأن جبینها وصیبا أمداف لیل مظلم

(۳) هذا رأى ابن عیسی .

قلنا له : اذهب إلى فرعون إنه طغى ، قل له : هل يقع لك أن تؤمن وتظهر من ذنوبك .  
وفى التفسير : لو قُلْتُ لا إله إلا الله فَلَمْ تَكُنْ مُلْكًا لا يزول ، وشبابك لا يهرم ، وتعيش  
أربعمائة سنة في السرور والنعمه .. ثم لك الجنة في الآخرة .

« وأهديكَ إلى ربِّك فضحتى » .

أَقْرَأَ لَكَ بِالآيَاتِ صِحَّةَ مَا أَقُولُ ، وأعرفك صحة الدين .. فهل لك ذلك ؟ فلم يَقْبَلْ .

ويقال : أظهر له كل هذا التلطُّفَ ولكنه في خفيٍّ مِرَّةٍ وواجبٍ مَكْرِهٍ به أنه صَرَفَ  
قلبه عن إيراد هذه الأشياء ، وإيثار مراده على مراد ربِّه ، وألقى في قلبه الامتناع ، وترك قبول  
الذمِّح .. وأى قلبٍ يسمح هذا الخطاب فلا يتقطع لذوبة هذا اللفظ ؟ وأى كَيْدٍ تعرف هذا  
فلا تَنَشَقَّقَ لصعوبة هذا المكر ؟

قوله جل ذكره : « فأراه الآية الكبرى » .

جاء فى التفسير : هى إخراج يده بيضاء لما شاع كشعاع الشمس . قال فرعون : حق  
أشاورُ هلمنان<sup>(١)</sup> ، فتأوَّره ، قال له هامان : أبعد ما كُنْتُ ربًّا تكون مروبًّا ؟ ! وبعد  
ما كنت مَلِكًا تكون مملوكًا ؟

فكذَّبَ فرعونُ عند ذلك ، وعصى ، وجمع السَّحرة ، ونادى :

« قَالِ أَنَا رُبُّكُمْ أَلْعَلَّ » .

ويقال : إنَّ إبليسَ لما سمع هذا الخطابَ فَرَّ وقال : لا أطيق هذا !

ويقال قال : أنا ادَّعَيْتُ الخيريةَ على آدمَ ففقيت ما فقيت .. وهذا يقول :  
أنا ربُّكم الأعلى .

قوله جل ذكره : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى » .

---

(١) يقصد القشيري من يبعد إلى شيئين : أولهما أن فساد الملوك قد يكون بسبب وزرائهم وحاشيتهم .. ولعلنا  
نذكر ما قلناه في المدخل عن أن أشدَّ الهمة على أمت بالقشيري كانت بسبب الكهنة وزير السلطان مفلح .  
وثانيهما أن المسببة للسبب قد تؤدى إلى هلاك صاحب المصسوب ، وفى هذا تحليل لأرباب الطريق ( راسع  
باب المسببة في قرسالة ص ١٤٥ ) .

أى فى إهلاكنا فرعون كَيْبَرَة لِن يَحْشَى .

قوله جل ذكره : « أَتَمَّ أَشَدُّ خَلْقًا أَمَّ السَّمَاءِ

بَنَاهَا • رَفَعَ سَمَكَهَا فُسُومًا •

وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا •

« فُسُومًا » جعلها مستوية • « وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا » أَظْلَمَ لَيْلَهَا • « ضُحَاهَا » ضَوْؤُهَا وَنَهَارُهَا •

« دَحَاهَا » بَسَطَهَا وَمَدَّهَا •

« أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا •

أَخْرَجَ مِنَ الْأَرْضِ الْعَيْنَ الْمُنَجَّرَةَ بِالْمَاءِ ، وَأَخْرَجَ النَّبَاتِ ..

« وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا •

أَثْبَتَهَا أَوْتَانًا لِلْأَرْضِ •

« مُتَلَا لَكُمْ وَلَأَنْبَاءَكُمْ •

أى أَخْرَجْنَا النَّبَاتَ لِيَكُونَ لَكُمْ بِهِ اسْتِمَاعٌ ، وَكَذَلِكَ لِأَنْبَاءِكُمْ •

« فَإِذَا جَاءَتِ الطَّلَامَةُ الْكُبْرَى •

الداحية الْمُطْلَى .. وهى القيامة •

« يَوْمَ يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَنَّ •

وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ رَأَى ، فَمِمَّا مِنْ طُلَى وَكَفَرَ وَآثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَلِنَّ الْجَحِيمُ لَهُ الْمَأْوَى

وَالْمُسْتَقَرُّ وَالْمَثْوَى •

« وَأَمَّا مَنْ خَلَفَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَى

النَّفْسَ عَنِ الْمَسْئِئِ • فَلِنَّ الْجَنَّةَ

هِيَ الْمَأْوَى •

« مقام ربه » : وقوفه غَدَاً فى محل الحساب • ويقال : إقبالُ الله عليه وأَنَّهُ رَاهَهُ .. وهذا

عينُ المراقبة ، والآخِرُ محلُ المحاسبة •

« ونهى النفس عن الهوى » أى لم يتابع هواه .

قوله جل ذكره : « يسألك عن الساعة أيات  
من سلها ؟ » .

أى متى قوم ؟

« فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذَكَرِهَا » .

مِنْ أَيْنَ لَكَ عَلَيْهَا وَلَمْ نَمُكْ ذَلِكَ <sup>(١)</sup> .

« إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا » .

أى إنما يعلم ذلك ربك .

« إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا » .

أى مخوف ، فيقبل تخويفك مَنْ يَخْشَاهَا ويؤمن .

« كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا

إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » .

« كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ الْقِيَامَةَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ؛ فليشده ما يرون قتل عندهم كثرة  
ما لبسوا تحت الأرض .

---

(١) روى الإمام البخارى في نهاية حديثه عن هذه السورة قال : حدثنا أحمد بن المقدم حدثنا الفضيل بن سليمان  
حدثنا أبو حازم حدثنا سهل بن سعد رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله (ص) قال بأصبعه هكذا بالوسطى والى  
نيل الإبهام بيشت والساعة كهاتين . (البخارى ص ٣٠ ص ١٤٢) .

## سُورَةُ عَبَسَ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » . اسم كرم بسط للمؤمنين بسطاً جوده ، اسم عزيز انشد على الأوليئ  
والآخرين طريق وجوده . . . وأنى بذلك ولا حذله ؟ من الذى يدركه بالزمان والزمان خلقه ؟  
ومن الذى يحسب فى المكان والمكان فضله ؟ ومن الذى يعرفه — إلا وبه يعرفه ؟ ومن الذى  
يذكره<sup>(٢)</sup> — إلا وبه يذكره ؟

قوله جل ذكره : « عَبَسَ وَتَوَلَّى • أَلَىٰ جِهَةٍ  
الْأُخْرَىٰ » .

نزلت فى ابن أم مكتوم ، وكان ضريراً .. أتى النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده العباس  
ابن عبد المطلب وأمية بن خلف الجهمي<sup>(٣)</sup> — يرجو الرسول صلى الله عليه وسلم ليعانتهما ،  
فكره أن يقطع حديثه معهما ، فأعرض عن ابن أم مكتوم ، وعبس وجهه ، فأنزل الله  
هذه الآية .

وجاء فى التفسير : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أثره ، وأمر بطليه ، وكان بعد ذلك  
يبره ويكرمه ، فاستخلفه على المدينة مرتين .

وجاء فى التفسير : أنه صلى الله عليه وسلم لم يعين — بعد هذا — فى وجه صغير قط ،  
ولم يعرض عنه .

(١) هكذا فى م وهى فى ص (سورة الأعراس)

(٢) هكذا فى ص . هى فى نظراً أصوب من (يدركه) التى فى م لأن السياق يفيد ما سيكون : (إلا وبه يدركه)  
والله سبحانه مزمع من المذكر والحق كالتصرف من ملتبس التثنية . أما المذكر فهذا مقبول على حد تعبير ذى النون  
المصرى : (لا أعرفك إلا بك ولا أذكرك إلا بك) .

(٣) يقول ابن العري : غير صحيح أن أمية هذا كان فى هذا المجلس ، فله كان بمكة وابن أم مكتوم  
كان بالمدينة وكان موته كافراً ، ولم يقصد المدينة ، ولا اجتمع بالذى .

ويقال : في الخطاب لُفْتُ .. وهو أنه لم يواجه بل قاله على الكناية<sup>(١)</sup> ، ثم بعده قال :

« وما يُدْرِكُ لَهْ يَزَكِّيْ » .

أى يذكر بما جعل منك أو .

« أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعُ الذِّكْرُ » .

قوله جل ذكره : « أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى » فأتت له

تَصَدَّى \* وما عليك ألا يَزَكِّيْ » .

أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى مِنْ فَسْهِ فَإِنَّهُ اسْتَفْنَى عَنْ اللَّهِ .

ويقال : استفنى بالله فأنت له تصدى ، أى تُقِيلُ عليه بوجهك .

« وما عليك ... » فأنت لا تُوَاحِدُ بِالْأَيِّزَكِّيْ هو فإتما عليك البلاغ .

« وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى » .

لَطَّيَسَ الْعِلْمُ ، ويعنى الله فأنت عنه تَقْلَهُى ، وتشتاغل .. وهذا كله مِنْ قِبَلِ التَّابِ  
معه لأجل القراء .

قوله جل ذكره : « كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ \* فَمَنْ شَاءَ

ذَكَرْهُ » .

القرآن تذكرة ؛ فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذَّكَّرَهُ ذَكَرْهُ ، وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ أَلَّا يَذَّكَّرَهُ  
لَمْ يَذَّكَّرْهُ ؛ أى بذلك جرى القضاء ، فلا يكون إلا ما شاء الله .

ويقال : الكلام على جهة التهديد ؛ ومعناه : فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَهُ فَلْيَذَّكَّرْهُ ، وَمَنْ شَاءَ  
أَلَّا يَذَّكَّرَهُ فَلَا يَذَّكَّرْهُ ا كَقَوْلِهِ « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ »<sup>(٢)</sup> .

وقال سبحانه : « ذَكَرْهُ » ولم يقل « ذَكَرْهَا » . لأنه أراد به القرآن .

قوله جل ذكره : « فِي صُحُفٍ مُسْكَّرَةٍ » .

---

(١) أى تحدث عن عيوس الوجه بفسير الثائب ، ثم جاء التاب بفسير الخطاب .

(٢) آية ٢٩ سورة الكهف .

أى صحف إبراهيم وموسى وما قبل ذلك ، وفى الألواح المحفوظ .

« مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ » .

مرفوعة فى التَّذَرُّعِ والرتبة ، مطهرة من التناقض والكذب .

« بِأَيْدِي سَفَرَةٍ » .

أى : لللائكة الكتبية .

« كِرَامٍ بِرَّةٍ » .

كرامٍ عند الله بِرَّةٍ .

قوله جل ذكره : « قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » ١ .

لَيْنَ الْإِنْسَانِ مَا أَعْظَمَ كُفْرَهُ ١ .

« مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ » من نطفة

خَلَقَهُ قَدْرُهُ » .

خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَقَدَّرَهُ أَطْوَاراً : من نطفة ، ثم مَلَقَهُ ، ثم طَوَّرَهُ بِدَاطُورٍ .

قوله جل ذكره : « ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ » .

يَسَّرَ عَلَيْهِ السَّبِيلَ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَأَلْهَمَهُ كَيْفَ التَّصَرُّفِ .

وَيُقَالُ : يَسَّرَ عَلَيْهِ الْخُرُوجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَخْرُجُ أَوَّلًا رَأْسُهُ مَسْكُومًا .

« ثُمَّ أَمَانَةً فَأَقْبَرَهُ » .

أى : جعل له قَبْرًا ثَلَاثَةً قَتَرَتِ السَّيَّاحُ وَالطَّيْرُ وَثَلَاثًا يَنْضَحُ .

« ثُمَّ لَنَا شَاءَ أَنْشَرَهُ » .

بَعَثَهُ مِنْ قَبْرِهِ .

« كَلَّا لَنَا يَنْقُضِي مَا أَمَرَهُ » .

أى : عصى وَخَالَفَ مَا أَمَرَ بِهِ .

ويقال : لم يقض الله ما أمره به ، ولو قضى عليه وله ما أمره به لكان ضلماً<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « قَلِيلٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى طَعَامِهِ »

أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا • ثُمَّ شَقَقْنَا

الْأَرْضَ شَقًّا • فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا •

وَعَيْنًا وَقَصْبًا • وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا •

وَحَدَائِقَ غُلْبًا •

في الإشارة : صَبَبْنَا ماء الرحمة على القلوب القاسية فَلَانَتْ لِقَنَرَةٍ ، وصَبَبْنَا ماء التعريف على القلوب فَبَتَتْ فِيهَا أَزْهَارُ التَّوْحِيدِ وَأَنْوَارُ الصِّغَرِ .

« وَقَصْبًا » أَيْ التَّتَّ<sup>(٢)</sup> .

« وَحَدَائِقَ غُلْبًا » مَتَكَافَةً غُلَاظًا .

« وَفَاكِهَةً وَأَبًّا » .

الفاكهة : جميع الفواكه ، و « أَبًّا » : للرعى .

« مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَعْلَامِكُمْ ... » .

« فَلِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ » أَيْ : القيامة ؛ فيومئذٍ يفر للرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، ثُمَّ يَبَيِّنُ

مَا سَبَبَ ذَلِكَ قَال :

« لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ

يُقَنَّى » .

لا يَفْرَخُ إِلَى ذَاكَ ، وَلَا ذَاكَ إِلَى هَذِهِ . كَذَلِكَ قَالُوا : الْإِسْقَامَةُ أَنْ تَشْهَدَ الرِّقَّةَ

---

(١) أَيْ : كَلَامًا لَمْ يَقْضِ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامَ بِأَمْرِهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ ، بَلْ أَمْرُهُ بِمَا لَمْ يَقْضِ لَهُ ... وَهَذَا الرَّأْيُ لِلْإِمَامِ ابْنِ فُورْكَ شَيْخِ الْقَشِيرِيِّ .

(٢) سَمِيَ التَّتُّ قَصْبًا لِأَنَّهُ يَقْصَبُ ، أَيْ يَقْطَعُ بِمَعْنَى ظُهُورِهِ مَرَّةً بِمَرَّةٍ (الْحَسَنُ) وَيُرَى ابْنُ جَبَلٍ أَنَّهُ أَرِطَبٌ لِأَنَّهُ يَقْصَبُ مِنَ التَّنْفُلِ ، وَلِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَتَبَّ قَبْلَهُ .



قيامه ، فما من ولي ولا عارف إلا وهو — اليوم — قلبه يفر من أخيه وأمه وأبيه ،  
وحاجته وبنيه .

فالعارف مع الخلق ولكنه يمارتهم بقلبه — قالوا :

فقد جعلك في القوادح عذابي

وأبحث جسي من أراد جلوس<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « وَجُوهٌ يُؤْمِنُ بِسُورَةٍ • ضاحكةٌ

مستفيرة • » .

وسبب استشارهم بخطف ؛ فهم من استشاره لوصوله إلى جنته ، ومنهم لوصوله إلى  
الطور العين من حظيته . • ومنهم ومنهم ، ويضهم لأنه ينظر إلى ربه فراه .

« وَجُوهٌ يُؤْمِنُ بِهَا غَبْرَةٌ •

تَرَهُّهَا قَرَّةٌ • أولئك هم الكفرةُ

الغبرة • » .

وهي قَبْرَةُ النَّبِيِّ . « ترهتها قرة » . وهي ذل الحبيب .

(١) أحد يمين يتباد إلى راحة المعوية ، • الثاني :

فالجسم من الجليس مؤلّس وحبيب قلب في القوادح أليس

( نشأة التصوف الإسلامي من ١٩١ ط العارف تأليف بيوت ) .

## سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

- قوله جل ذكره . « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .
- « بِسْمِ اللَّهِ » كلمة أُتْلِجَتْ من قومٍ قلوبًا ، وأَوْجِيت من آخرين قلوبًا ؛ من اللطيمين أُتْلِجَتْ ، ومن العاصين أَوْجِيتْ ، ومن للرَّيدين أُبْهِجَتْ ، ومن المارفين أُرْجِيتْ .
- قوله جل ذكره . « إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ » .
- ذَهَبَ ضَوْؤُهَا .
- « وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ » .
- تَلَارَتْ وَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ .
- قوله جل ذكره . « وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ » <sup>(١)</sup> .
- أُزِيلَتْ عَنْهَا مَنَابِلُهَا .
- « وَإِذَا الْمَشَارِقُ غُلَّتْ » .
- وَهِيَ الثُّوْقُ الْحَرَامِلُ الَّتِي آتَى سَحْلُهَا عَشْرَةَ أَشْهُرَ . أَهْلَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لثَلَاثَةِ أَهْوَالٍ ، (وَاشْتِغَالَ النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْهَا) .
- « وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ » .
- أُحْيِيَتْ ، وَجُمِعَتْ فِي الْقِيَامَةِ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ ؛ فَيَقْتَصَّ لِلنَّجَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ <sup>(٢)</sup> — وَهَذَا عَلَى جِهَةِ ضَرْبِ الْمَثَلِ ؛ إِذْ لَا تَكْلِيفَ عَلَيْهَا .

(١) تَأَمَّرَتْ عَلَى الْآيَةِ بِدَلَالَةِ (الْمَشَارِقِ) فِي مَوْضِعَيْنَا فِي مَكَانِهَا الْمَسْجِدِ .  
 (٢) هَذَا رَأْيُ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمَا رَوَاهُ عَنْهُ عِكْرَمَةُ ، وَالْجَلَاءُ ، وَمَالِكٌ ، وَمُطَرِّفٌ ، وَفِي أَنْطَلِقٍ « مِنْهُ الصَّلَاحُ يُغْتَلَبُ » الْكَبْشُ الْأَخْضَرُ .

ولا يبد أن يكون بإصال منافع إلى ما وصل إليه الألم — اليوم — على العوض ..  
جوازاً لا وجوباً على ملاقاة أهل البدع .

« وإذا البطرُ سَجَرَتْ » .

أوقدت — مِنْ سَجَرَتْ التَّنُورِ أُسْجُرُهُ سَجْرًا ، أى : أَحْيَيْتُهُ .

« وإذا النفوسُ رُوجَتْ » <sup>(١)</sup> .

بالأزواج .

« وإذا التزوُّدُ سُبَّتْ » أى :

دَنَبَ قُتِلَتْ • وإذا العُصْفُ

نُشِرَتْ » .

نُشِرَتْ ، أى : بُوِطَتْ .

« وإذا السماءُ كُثِثَتْ » .

أى : تَزَيَّجَتْ وَطُوِئَتْ .

« وإذا الجعيمُ سَعَرَتْ » .

أُوقِدَتْ .

« وإذا الجنةُ أُرْلَقَتْ » .

أى : قُرِئَتْ مِنْ الْمُتَّقِينَ .

قوله جل ذكره : « عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ »

هو جواب لهذه الأشياء ، وهذه الأشياء تحصل عند قيام القيامة .

وفى قيام قيامة هذه الطائفة ( يقصد الصوفية ) عند استيلاء هذه الأحوال عليهم ، وتبطل

هذه المعاني لتلويمهم توجد هذه الأشياء .

---

(١) قرئت بأشكالها فى الجنة والنار ، قال تعالى : « احشروا الذين ظلموا وأزواجهم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « يقرون كل رجل مع كل قومه كانوا يعملون كعمله » .

فن اختلاف أحوالهم : أنَّ لشموسهم في بعض الأحيان كسوفًا وذلك عندما يُردُّون<sup>(١)</sup> .  
ونجومٌ عليهم قد تنكدر لاستيلاء الهوى على المرئيين في بعض الأحوال ، فند ذلك  
« علت ضئ ما أحضرت » .

قوله جل ذكره : « فلا أقسمُ بالخنسِ \* الجوارِ  
الكُنسِ » .

أى : أقسمُ ، والخنسُ والكُنسُ هى النجوم إذا غربت<sup>(٢)</sup> .  
ويقال : البئر الوحش<sup>(٣)</sup> .

قوله جل ذكره : « والليل إذا عَمَسَ \* والصبح إذا  
تنفَّسَ » .

عَمَسَ : أى جاء وأقبل . « تنفَّسَ » : خرج من جوب الليل .

أقسم بهذه الأشياء ، وجواب القسم :

« إنا لقولُ رسولٍ كريمٍ » .

إن هنا القرآنَ قولُ رسولٍ كريمٍ ، يعنى به جبريل عليه السلام .

« ذى قُوَّةٍ عند ذى العرشِ مكينٍ » .

« مكين » من المسكاة ، وقد بلغ من قوته أنه قلع قرية آلِ لوطٍ وقلبها .

« وما صايجُكم بمجنونٍ » .

وهذا أيضاً من جواب القسم .

« ولقد رآه بالأفقِ المبينِ »

رأى محمدٌ جبريلَ عليه السلام بالأفقِ المبينِ ليلةَ المراجِ .

(١) وعندما يُردُّونَ في أحوال التنبؤ به البسط والمجر به الوصل ، والخوف به الرجاء والفرق به  
الجمع .. ونحو ذلك .

(٢) قول هى الكواكب الخمسة النوروى : زحل ، والمشتري ، وصادر ، والمريخ ، والزهرة ( فى رواية  
عن عل ابن أبى طالب ) .

(٣) فسرت هكذا فى رواية عن عبد الله بن مسعود ، وأخرى عن ابن عباس .

ويقال : رأى ربه وكان صلى الله عليه وسلم بالآخر المين .

« وما هو على الغيب يشين » .

بمجتهم<sup>(١)</sup>

قوله جبل ذكره : « غاب تذهيئون ؟ » .

إلى متى تتطوحن في أودية الظنون والحسبان ؟

وإلى أين تذهبون عن شهود مواضع الحقيقة ؟

وهلاً وجتم إلى مولاكم فيما سركم أو أساءكم ؟

« أين هو إلا ذكر العالين • لين

شاء منكم أن يستقيم » .

ما هنا القرآن إلا ذكرى لمن شاء منكم أن يستقيم . . . وقد مفعى القول

في الاستقامة .

« وما تشلون إلا أن يشاء الله

رب العالمين » .

أن يشاءوا<sup>(٢)</sup> .

(١) لا تكون بهذا المعنى إلا إذا قرئت ( يظنين ) بالفتح ، وهي قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو والكسائي .  
والآخرين بالقصد فيكون المعنى ( يبينون ) أي لا يبطل عليكم بما يعلم من أخبار السماء .

(٢) كنا ننتظر من القشيري الذي يعارض بأن كل شيء من الله وإلى الله حتى أكساب العباد أن يفيض في توسيع  
هذه الآية أكثر من ذلك ؛ لأنها ناصئة صريحة في نسبة المشيئة - كل المشيئة - لله ، وأن الإنسان إذا وصف بالمشيئة  
فهو مرتبطة بالمشيئة الإلهية .

## سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمة منيعة ليس يسو إلى فهمها كل خاطر ؛ فلذا كان الخاطي غير خاطي فهو عن علم حقيقتها متقاعص .

قوله جل ذكره : « إِذَا السَّمَاءُ انشَلَّتْ »

أى : انشقت .

« وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ » .

تساقطت ونهافت .

« وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ » .

أى : فُجِّعَ بعضها على بعض .

« وَإِذَا الْقُبُورُ بُشِّرَتْ »

أى : قُلِّبَ ترابها ، وَبُيِّتَ الموتى الذين فيها ، وَأُخْرِجَ ما فيها من كنوز وموتى .

« عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ » .

جواب لهذه الأمور ؛ أى إذا كانت هذه الأشياء : عَلِمَتْ كل نفس ما قَدَّمَتْ من خيرها وشرها .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبُّكَ »

الكرام .

أى : ما خدعتك وما سَوَّلَ لكَ حتى عَيَّتَ<sup>(١)</sup> بجماعيه ؟

ويقال : سألته وكأنا في نفسي السؤال فتنه الجواب يقول : غراني كرمك بي ،  
ولولا كرمك لما فُتنتُ ؛ لأنك رأيت فسترت ، وقد رت فأمهنت .

ويقال : إن المؤمن<sup>(٢)</sup> وثيق بحسن إفضاله فاعتر بطول إسهاله فلم يرتكب الزلة  
لاستعلاؤه ، ولكن طول حمله عنه حمله على سوء خصاله ، وكألت<sup>(٣)</sup> :

يقول مولاي : أما نصي مما أرى من سوء أفضالك

قلت : يا مولاي ربحاً قد جراني<sup>(٤)</sup> كثرة أفضالك

قوله جل ذكره : « الذي خلقتك فسواك فمد لك » في أى

صورة ما شاء ركبك . »

أى : ركب أعضاءك على الوجوه الحكيم<sup>(٥)</sup> في أى صورة ما شاء ، من الحسنة والقيح ،

والطول والقصر . ويصح أن تكون الصورة هنا بمعنى الصفة ، و « في » بمعنى « على » ؛ فيكون

معناه : على أى صفة شاء ركبك ؛ من السادة أو النقولة ، والإيمان أو المصيبة .

قوله جل ذكره . « كلاً بل نكذبون بالذين »

أى : التهمة<sup>(٦)</sup> .

« وإن عليكم لحافظين » كراماً

كاتبين • يصلون ما تملون . »

م الملائكة الذين يكتبون الأعمال . وقد خوفهم برؤية الملائكة وكتابتهم الأعمال لتقاصر

(١) حكدا في م وهي في م ( عيت ) وهي غشاً في اللبس .

(٢) يقصد القشيري هنا ( المؤمن العامي ) .. المذلة بين المنزلتين ( بين المؤمن والكافر ) .

(٣) ينبغي ملاحظة ذلك إذا أردنا أن ندرس ( القشيري الشاعر ) : أنظر حله للدراسة في كتابنا من ( الإمام

القشيري ) .

(٤) حكدا في م وهي في م ( أفسد ) وكلامها صحيح .

(٥) حكدا في اللبختين ، وقد كنا نريد أن نقر أنها ربما كانت ( الحكيم ) ، ولكن ارتباط السياق

بالمشيئة ( .. ما شاء ركبك ) جعلنا نحجم من هذا الظن .

(٦) بدليل قوله تعالى فبا يمه ( يصلونها يوم الدين ) .

حشتم من اطلاع الحق ، ولو علموا ذلك حتى العلم لَكَانَ تَوْقِيْعُهُم عن الخاطِئَاتِ لرؤيته — سبحانه ، واستصياؤهم من اطلاعهِ — أُنْثَمَ من رُؤْيَةِ اللانَكَةِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ • وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » .

« الأبرار » : هم المؤمنون ؛ اليومَ في نعمةِ المصَّةِ ، وغداً هم في الكرامةِ والنعمةِ  
« الفجار » : اليومَ في جهنمِ باستحقاقِ اللئنةِ والإصرارِ على الشُّرْكِ المَوجِبِ لِفُتُورَةٍ ، وغداً  
في النارِ على وجهِ التعليدِ والتأيدِ .

ويقال : « إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ » . في رَوْحِ الْقُدُّوسِ ، وفي الْأَنْسِ في أَوَانِ خَلُوسِهِمْ .  
« وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ » . في ضيقِ قُلُوبِهِمْ وَتَسَخُّطِهِمْ على التَّصْدِيرِ ، وفي ظُلُمَاتِ تَنْدِيرِهِمْ ،  
وضيقِ اختيَارِهِمْ .

« يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ • وَمَا هُمْ عَنْهَا بِنَائِبِينَ » .

« يصلونها » أي النار . « يوم الدين » . يوم القيامة .

« وما هم عنها » عن النار . « وما أحراك ما يومُ الدين ؟ » فلما على جهة التحويل .

« يَوْمَ لَا تَكِلُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ » .

الأمر لله يومئذٍ ، والله من قبله ومن بعده ، ولكن « يومئذٍ » تقطع الدعاوى ، إذ  
يضح الأمرُ وقصيرُ المعارفُ ضرورية .



## سُورَةُ الْمُطَفِّينِ

قوله جل ذكره . « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » اسمٌ عزيزٌ رعاؤه كبرياؤه ، وسناؤه علاؤه ، وعلاؤه بهالؤه ، وجلالؤه جماله ، وجلاله جلاله . الوجود له غيرٌ مُستَفْتَح ، والموجود منه غيرٌ مُسْتَفْتَح . المصور منه لطفه ، المأمول منه لطفه . . . كيفما قسم للعبد فالعبد عبده ؛ إن أقصاه فالحكم حكمه ، وإن أدناه فالأمر أمره <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « وَيُنْذِرُ الْمُطَفِّينَ » الذين إذا

أكتالوا على الناس يستوفون .

وإذا كألوم أو ورنوم يخبرون .

« ويُنْذِرُ » : الويلُ كلمةٌ تُذكر عند وقوع البلاء ، فيقال : ويلٌ لك ، ويويلٌ عليك ! و « الْمُطَفِّفُ » . الذي يُنْقِصُ الكَيْلَ والوزنَ ، وأراد بهذا الذين ياملون الناس فإذا أخذوا لأنفسهم استوفوا ، وإذا دفعوا إلى من ياملهم قصوا ، ويتجلى ذلك في : الوزن والكَيْل ، وفي إظهار العيب ، وفي القضاة والأداء والافتضاء ؛ فمن لم يَرْضَ لأخيه المسلم ما لا يرضاه لنفسه

(١) هذا هو نص القرآن ، بسلسلة كما جاء في م أسأ في من فهي حل التنو التال : -

[بسم الله : اسم جليلٌ جلالة لا بالأشكال ، وجلاله لامل احتذاء أمثال ، وألفاله لا بأفرائ وأعدل ، وقدرته لا بأجتناب ولا إحياء ، وعلمه لا بضرورة ولا استدلال . فهو الذي لم يزل ولا يزال ، ولا يجوز عليه فناء ولا زوال ] .

وهذا هو تفسير بسلسلة سورة الانشقاق كما جاء في م وكأشوى ، ومعنى هذا أن البشر ألباً حدث في الأمر . وما دمتا نعرف أن البشرى لا يتوسى إشارته من كل بسلسلة بطريقة عقوبة ، ولكن على أساس المنزى العالم السورة . فقد اخترنا أن تكون بسلسلة والمطففين « هي هذه على أساس أنقصة الله للعبد قسمة عله (بشر فيها (مطففين) ، وأن ما أوجده الله من وجود ( غير مستفتح ) .

فليس بمنصف . وأما الصديقون فإنهم كانوا ينظرون للسلمين فإنهم ينظرون لكلٍّ من لم معهم  
معاملة — والصديق عزيز ، وكذلك أحوالهم في الصّحبة والمعاينة . . . فقلبي يرى عيبَ الناسِ  
ولا يرى عيبَ نفسه فهو من هذه الجلة — جلة المطفئين — كما قيل :

وَتُبْصِرُ فِي الْعَيْنِ مَنَ الْقَلْبِ

وَفِي عَيْنِكَ الْجَمْدُ لَا تُبْصِرُ

وَمَنْ اقْتَضَى حَقَّ نَفْسِهِ — دون أن يَقْضِيَ حقوق غيره مثلاً يقتضيه لنفسه — فهو  
من جلة المطفئين .

والتي مَنْ يَقْضَى حقوق الناس ولا يقتضى من أحدهم لنفسه حقاً .

قوله جل ذكره : « أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ »

ليومٍ عظيم ؟ • يومَ يقومُ الناسُ  
رُبِّ الْمَالِكِينَ •

أى : ألا يستيقن هؤلاء أنهم مجلسون غداً ، وأنهم مطالبون بحقوق الناس ؟

ويقال : مَنْ لَمْ يَذْكُرْ — في حال معاملة الناس — معاملة القيلامة ومحاسبتها فهو  
في خسران في معاملته .

ويقال : مَنْ كَانَ صَاحِبَ مِرَاقِبَةٍ فَهُوَ رَبُّ الْمَالِكِينَ اسْتَشْمَرُ الْهَيْبَةَ فِي مَاجِلِهِ ، كَمَا يَكُونُ حَالُ  
النَّاسِ فِي الْحَشْرِ ؛ لِأَنَّ اِطْلَاعَ الْحَقِّ الْيَوْمَ كَاِطْلَاعِهِ غَدًا .

قوله جل ذكره . « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ النَّجْمِ لَنُفِ

سَجِينَ • وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ؟ •  
كِتَابٌ مَّرْقُومٌ » .

« سجين » (١) قيل : هى الأرض السابعة ، وهى الأرض السفلى ، يُوضَعُ كِتَابُ أَعْمَالِ  
الْكَفَّارِ هُنَاكَ لِذِلَالِهِمْ وَلِهَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ تُحْمَلُ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى مَا هُنَاكَ .

(١) في رواية عن أنس أنه قال : قال صل الله عليه وسلم : سَجِينُ اسْفَلِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ .

ويقال: « السَّجِين » جُبٌّ في جهنم . وقيل: صخرة في الأرض السفلى ، وفي اللغة السَّجِين : فَيْلٌ من السَّجَن .

« وما أدرأك ما سجين » . استفهام على جهة التهويل

« كتابٌ مرقوم » . أى مكتوب ؛ كَتَبَ اللهُ فيه ما هم عاملون ، وما هم إليه صائرون . وإنما السَّكُوتُ على معنى آدم في الخبز والشر ، والشقاوة والسعادة فهو على ما تعلق به حله وإرادته ، وإنما أخبر على الوجه الذى علم أن يكون أو لا يكون ، وكأعلم أنه يكون أو لا يكون أراد أن يكون أو لا يكون . ثم إنه سبحانه لم يطلع أحدًا على أسرار خلقه إلا مَنْ شاء من المقربين بالتقدير الذى إرادته ؛ فإنه يُعْمَرُ عليهم في حاتم أو قاتم ما سَبَقَ لهم به التحذير .

ثم قال : « وَبَلَّغْ يَوْمَئِذٍ الْمُكَذِّبِينَ » الذين

يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ . وما يُكَذِّبُ

به إلا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِمٍ »

ويل للذين لا يُعَدُّون يوم الدين ، وما يُكَذِّبُ به إلا كلُّ مُجَاوِزٍ لِلْحَدِّ الذى وُضِعَ له ؛ إذا يُقَالُ عليه القرآن كَفَرَ به .

« كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ » كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ دُيُوبِهِمْ

يَوْمئِذٍ لَّخَبِيرُونَ »

أى : غَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من المعاصي . . وكأَنَّهم — اليوم — ممنوعون عن معرفته فهم غداً ممنوعون عن رؤيته . ودليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون بِرَوْنَهُ غداً كما يعرفونه اليوم .

قوله جل ذكره : « كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَئِنِ

عُثِّينَ »

« عُثِّينَ » أعل الأمانة ، تعمل إليه أرواح الأبرار تشريقاً لم واجللاً .

ويقال : إنها سِدْرَةُ التَّحْيَى . وقال : فوق السماء السابعة . كَتَبْتُ مَرْقُومَ فِيهِ أَعْلَمُ مَكْتُوبَةٍ بِشَهْدَةِ الْقُرْيُونِ<sup>(١)</sup> مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

« إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ » .

اليَوْمَ وَغَدًا : اليَوْمَ في رَوْحِ النُّزُلِ ، ورواحِ الطاعة والإحسان ، ونعمةِ الرضا وأنسِ القُرْبَةِ وَبَسْطِ الرِّصْلَةِ . وَغَدًا — في الجنة وما وَعِدُوا به من ضَوْءِ الزَّائِقَةِ والقُرْبَةِ .

قوله تعالى : « عَلَى الْأَرْثَمِكِ يَنْظُرُونَ » .

أُثْبِتَ النَّظَرَ ولم يَسْمَعْ للظُّلُورِ إِلَيْهِ لِاخْتِلَافِهِمْ فِي أَحْوَالِهِمْ ؛ فَفَهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى قُصُورِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى حُورِهِ ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ . . . وَمِنْهُمْ الْخُلُوصُ فَهُمْ عَلَى دَوَامِ الْأَوْقَاتِ إِلَى اللَّهِ — سُبْحَانَهُ — يَنْظُرُونَ .

قوله جل ذكره : « تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ » .

مَنْ قَطَرَ إِلَيْهِمْ عِلْمٌ أَنْ أَمْرَ نَفْسِهِ إِلَى مَوْلَاهُ مَا يُلُوحُ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ النِّعَمِ ؛ فَأَسْوَالُ الْحُبِّ شَهْوَةٌ عَلَيْهِ أَبَدًا . فَإِنْ كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ وَصَالٍ فَاخْتِيَالُهُ وَدَلَالُهُ ، وَسِرُّهُ وَجُودُهُ ، وَنَشَاطُهُ وَإِعْطَالُهُ . وَإِنْ كَانَ الْوَقْتُ وَقْتُ غَيْبَةٍ فَقِرَاقُ الْإِشْهُودِ عَلَيْهِ حَوْلُهُ وَذُبُولُهُ ، وَحَيْنُهُ وَأَيْنُهُ ، وَهَمُوعُهُ وَهَيْبَتُهُ .. وَفِي مَعْنَاهُ قُلْتُ<sup>(٢)</sup> .

يَا مَنْ تَغَيَّرَ صُورِي لَمَّا بَدَأَ — لِيَجْعَلَ مَا خَلَقُوا بَنِي — تَحْقِيقُ

(١) هكذا في ص ٢٢ م (يشهد) بدون تفسير غائب ، وحسب النسخة الأولى تكون مودة العسير على الكتاب للمرقوم ، وحسب النسخة الثانية يكون الكلام مستعرا خصوصاً ولم يبدأ كالعادة بعلامة نشر بيده الآية مثل : قوله تعالى أقره له جل ذكره .. أي : يشهد القُريون أن الأبرار في نعيم ، ويقطوع الرأي الأول بما قاله التشيبي من قبل : إن الله يطلع بعض المقرين على أسرار خلقه بالقدر الذي يريد سببانه ، كذلك فإن السياق — على الفهم الثاني — يقتضي فتح هزلة ( إن الأبرار ... ) ولكتبا مكسورة ما يدل على أن الكلام مستأنف — اللهم إلا إذا كانت يشهد بمعنى يقسم — فالجهداء ترد بمعنى القسم — كما مر من قبل .. وهزلة إن تكسر بفتح القسم .

(٢) لشد كثير جداً بهذا الشعر الذي صاغه التشيبي ، فهو شاعر مُبِيلٌ ، ولكنه — كما هو واضح — رقيق دقيق .

وربما كان معنى النص الأول على هذا الترتيب : يا مَنْ تَغَيَّرَ صُورِي — لَمَّا بَدَأَ — تَحْقِيقُ لِيَجْعَلَ مَا خَلَقُوا بَنِي ؛ أي أن ما ظهر على أسرتي من أشياء حاولت كتابتها قد حَقَّقْتُ ظُنُونِي الرَّاشِينَ وَالْمُذَاهِبِينَ .. فلا فائدة .. فالسبب تنفسه عيونه ! ونحسب أن ما قبل النص ، وما يقصده النص الثاني ، يؤيدان تلوّتنا على هذا النحو .

وقت :

وَلَمَّا أَتَى الْوَاشِينَ أَتَى زُرُومَهَا  
قَالُوا : نَرَى فِي وَجْهِكَ الْيَوْمَ نَضْرَةً  
وَيُرْدُكَ لَا ذَاكَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ  
فَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ يَانٍ أَقِيمَهُ  
وَهَبْتَ أَنْ يَخْنَى مُرَبِّ مَسَارٍ أ  
قوله جل ذكره : « يُسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ مُخْتَوٍ • خِتَامُهُ  
مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » .

« مختم » أى رقيق لا غش فيه .

ويقال : عتيق طيب .

ويقال : إنهم يشربون شراباً آخره مسك .

ويقال : بل هو مختم قبل حضورهم .

ويقال : « ختامه مسك » . ممنوع من كل أحد ، معدة مدخرة لكل أحد باسمه .

« وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ » . وتنافسهم فيه بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة ، والسباق  
إلى القرب ، وتسلق القلب بالله ، والانسلاخ عن الأخلاق الدنية ، وجولان الميم  
في المسكوت<sup>(١)</sup> ، واستدامة للنجاة .

قوله جل ذكره : « وَمَزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ • غَيَاً يُشْرَبُ بِهَا

الْقَرُونَ » .

« تسنيم » أى : عين قسمة عليهم من عؤ .

وقيل : مِزَابٌ يُنْصَبُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ .

ويقال : سُمِّيَ تَسْنِيماً ؛ لِأَن مَاءَهُ يَجْرِي فِي الْمَوَاءِ مُتَسَنِّمًا فَيَنْصَبُ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛

(١) كنا بالأصل ولعلها ( بدت في محاك ) ك يستقيم لوزن .

(٢) مكلنا في م ومع أصح ما في م ( المكنوب ) فهو مشتبه على التلخ .

فَنَهُم مِّنْ يُسْقَىٰ مَزْجًا ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يُسْقَىٰ صِرْفًا .. الأولياءُ يُسْقَوْنَ مَزْجًا ، وَالْخَوَاصُّ يُسْقَوْنَ صِرْفًا<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ • وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ » .

كَانُوا يَضْحَكُونَ اسْتَهْزَاءً بِهِمْ .. فَالْيَوْمَ .. الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ !

« فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ

يَضْحَكُونَ • عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ •

هَلْ تُؤْتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ؟ »

« هَلْ ... » اسْتَهْزَاءً يَرَادُ مِنْهُ التَّخْفِيرُ .

وَيَقَالُ : إِذَا رَأَوْا أَهْلَ النَّارِ فِي النَّارِ يُعْذِبُونَ لَأَتَّخِذَهُمْ بِهِمْ رَاقَةً ، وَلَا تَرَقُّ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ ،

بَلْ يَضْحَكُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ وَيَعْتَبِرُونَ بِهِمْ .

---

(١) فَهْهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ الْخَوَاصَّ أَعْلَىٰ دَرَجَةٍ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ .

## سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »<sup>(١)</sup>

« بسم الله » : اسمٌ جليلٌ جلالة لا بالأشكال ، وجماله لا على احتناء أمثال ، وأضالته لا بأغراضٍ وأعلال ، وقدرته لا باحتلابٍ ولا احتيال ، وعلمه لا بضرورة ولا استدلال ، فهو الذي لم يزل ولا يزال ، ولا يجوز عليه فناؤه ولا زوال .

قوله جل ذكره : « إذا السماء انشقت » .

« انشقت » : انصلعت .

« وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ » .

أى قَابَلَتْ أَمَرَ رَبِّهَا بالسمع والطاعة .. وحُقَّ لها أن تفعل ذلك .

« وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ » .

بُسِطَتْ باندكالك آكامها وجبالها حتى صارت ملساء ، وألقت ما فيها من اللقى والكنوز ونَحَلَتْ عنها .. وقابلت أَمَرَ ربها بالسمع والطاعة .

وجواب هذه الأشياء في قوله : « فَلَاقِيهِ » أى يَلْقَى الإنسان ما يستصعبه على أعماله .<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّا كَرَّمْنَاكَ إِلَى

رَبِّكَ كَدْحًا فَلَاقِيهِ » .

(١) نعيد إلى الذاكرة ما قلناه من قبل من حدوث افتراق بين النسختين بين تفسير بسملَى والمطفلين «

و « الانشقاق » .

(٢) يرى الكسائي - ويوافقه أبو جعفر النحاس وغيره - أن جواب القسم هو : « فلما من أرقى كتابه

بسميته .... » أى : إذا انشقت السماء فمن أرقى كتابه بسميته فحكاه كذا ..

« يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ » : يَا أَيُّهَا الْمَكْتَفُ .. إِنَّكَ سَاعٍ بِمَا لَكَ سَعْيًا سَتَلْقَى جَزَاءَهُ ؛ بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَبِالشَّرِّ شَرًّا .

« فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينَهُ » .

وهو للمؤمنُ الْمُحْسِنُ .

« فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حَسَابًا سِيرًا » .

أَيُّ حَسَابًا لَا مَقَرَّةَ فِيهِ . وَقَالَ : « حَسَابًا سِيرًا » أَيْ يُسَمِّعُهُ كَلَامَهُ — سَبْحَانَهُ —  
بِلَا وَسْطَةٍ ، فَيُخَفِّفُ سَمَاعُ خُطَابِهِ مَا فِي الْحَسَابِ مِنْ عَنَاءٍ .

وَيَقَالَ : « حَسَابًا سِيرًا » : لَا يُذَكِّرُهُ ذَنْبِيهِ . وَيَقَالَ : أَلَمْ أَضِلْ كَذَا ؟ وَأَلَمْ أَضِلْ  
كَذَا ؟ يَمُدُّ عَلَيْهِ إِحْسَانَهُ .. وَلَا يَقُولُ : أَلَمْ تَعْمَلْ كَذَا ؟ لَا يُذَكِّرُهُ عَصْيَانَهُ .

« وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا » .

أَيُّ بِالنَّجَاةِ وَالدرجات ، وَمَا وَجَدَ مِنَ النَّجَاةِ ، وَقَبُولِ الطَّاعَاتِ ، وَغَفْرِ الزَّلَّاتِ .  
وَيَقَالَ : بَأَنْ يُشْفِيَهُ فِيمَنْ يَتَصَلَّقُ بِهِ قَلْبُهُ . وَيَقَالَ : بَأَلَّا يَفْضَحَهُ .

وَيَقَالَ : بَأَنْ يَلْقَى رَبَّهُ وَيُكَلِّمَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ فَيَلْقَى حَظِيْقَتَهُ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ .

قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : « وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ حِكْمَتَهُ وَرَاءَ  
ظَهْرِهِ » .

وهو الكافر .

« فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا » ..

أَيُّ وَبَلَاءً .

« وَيَصَلِّي سَعِيرًا » .

جَهَنَّمَ .

« إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا »



من البَطَر<sup>(١)</sup> واللح .

« إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَمُودَ » .

أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَيْنَا ، وَلَنْ يُبْسِتَ .

قوله جل ذكره : « فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ » .

بِالْحُمْرَةِ الَّتِي تَغْبِ غُرُوبَ الشَّمْسِ .

« وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » .

وَمَا جَمَعَ وَضَمَّ .

« وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ » .

تَمَّ وَاسْتَوَى وَاجْتَمَعَ .

ويقال : الشَّفَقُ حين غربت شمسُ وصلم ، وأذيقوا الفراقَ في بعض أحوالهم ، وذلك زمانُ قبضِ بيدِ بَسَطٍ ، وأوانُ فَرَقٍ عَقِيبَ جَمْعٍ<sup>(٢)</sup> . « وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ » : ليلُ غيبتهم وهم بوصف الاستيقاظ ؛ أو ليلُ وصلم وهم في روح التلافي ، أو ليلُ طَلَبِهِمْ وهم بتمتِ التلَفِّي والاحتراقِ .

« وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ » : إِذَا ظَهَرَ سُلْطَانُ الرِّفَاقِ عَلَى الْقُلُوبِ فَلَا يَحْسُ وَلَا قُصَان .

قوله جل ذكره : « كَلَّا كَبُؤًا طَبِيقًا عَنْ طَبِيقٍ » .

أَيَّ حَالًا بَدَّ حَالٍ . وقيل : من أطباقِ السَّيَاءِ . ويقال : شِدَّةٌ بَدَّ شِدَّةً .

ويقال : تَارَاتِ الْإِنْسَانِ طِفْلًا ثُمَّ شَابًا ثُمَّ كَهْلًا ثُمَّ شَيْخًا .

ويقال : طَالِبًا ثُمَّ وَاصِلًا ثُمَّ مُتَّصِلًا .

ويقال : حَالًا بَدَّ حَالٍ ، من التَّغَرُّ وَالنَّفْيِ ، وَالصَّعَةِ وَالسَّهْمِ .

ويقال : حَالًا بَدَّ حَالٍ فِي الْآخِرَةِ .

---

(١) هكذا في م و هـ ن م ( التثنية ) والسياق يقتضيه ( البطر ) فهو من أشد آفات الطريق عملاً - كما نعرف من مذهب القشيري .

(٢) في م و لوان فراق بعد جمع ( والاصطلاحان الصوفيان الملائمان هما ( الفرق والمجمع ) .

قوله جل ذكره : « فَآلَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ؟ » .

أى فإل كفر أمثلك لا يصدقون . وقد ظهرت البراهين ؟

« وإذا قُرئ عليهم القرآنُ

لا يَسْجُدُونَ \* بل الذين كفروا

يُكَذِّبُونَ \* والله أعلم بما يُوعُونَ » .

« يوعون » أى تنطوى عليه قلوبهم — من أُوْعِيَتِ المتاعَ فى الظرفِ أى جعلته فيه .

« فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ \* إِلَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ

غَيْرُ مَعْنُونٍ » .

« إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » فإنهم ليسوا منهم ، ولم أجِرْ غيرُ مقطوع .

## سُورَةُ الْبُرُوجِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » : اسمٌ مَنْ لَا عَقْلَ يَكْتَنِبُهُ <sup>(١)</sup> ، اسمٌ مَنْ لَا حِيلَ يُسَبِّهُ ، اسمٌ مَنْ لَا فَعْمَ <sup>(٢)</sup> يرتقى إليه بالتصوير ، اسمٌ مَنْ لَا عِلْمَ يَنْتَهِي إِلَيْهِ بالتقدير <sup>(٣)</sup> ، اسمٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقَرُّ بِأَلَا وَاحِدٌ — وهو أيضاً مُخْتَلَفٌ فِيهِ <sup>(٤)</sup> ، اسمٌ مَنْ لَا يَجُزُّ أَحَدٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِغَيْرِ مَا أُذِنَ فِيهِ ، اسمٌ مَنْ لَا قَطَرَ يَحْوِيهِ ، وَلَا سِرٌّ يَخْفِيهِ ، وَلَا أَحَدٌ يَصِلُ إِلَى مَرَاتِعِهِ إِلَّا مَنْ يَرْضِيهِ .

قوله جل ذكره : « وَالسَّامِ ذَاتِ الْبُرُوجِ » .

أراد البروج الأثني عشر <sup>(٥)</sup> .

« وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ » .

يوم القيامة .

وجوابُ الْقَسَمِ قوله : « إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » .

قوله جل ذكره : « وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ » .

يقال : الشاهدُ اللهُ ، والمشهودُ الخَلْقُ .

(١) أى يدرك كنهه .

(٢) هكذا فى النسخين ، ومع ذلك فإننا ندرج أنها ربما كانت فى الأصل (من لا وهم ... ) فمن أقوال ذى النون : ( كلما تصور فى وهبك فافقه بخلاف ذلك ) الرسالة ص ٤ .

(٣) نعرف فى الاصطلاح أن (التقدير) لله و(التقدير) للإنسان ، ولكن (التقدير) مستعمل هنا عامماً بالإنسان ؛ أى أى أحد لا يستطيع أن (يقدر) الله حق قدره .

(٤) يشير بذلك إلى اختلاف الآراء حول رؤية التنبؤ (س) ربه ليلة المراجيع رؤية بصرية ( الرسالة ص ١٧٥ ) .

(٥) وهى التى تسمى الشمس فى كل منها شهراً ، وهى : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدى والدلو والحوت .

ويقال : الشاهدُ الخلقُ ، والشهودُ اللهُ ؛ يشهدونه اليومَ بقلوبهم ، وغداً بأبصارهم .

ويقال : الشاهدُ محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، والمشهودُ القيامةُ ، قال تعالى : « وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » <sup>(١)</sup> ، وقال في القيامة : « ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ وذلك يومٌ مشهود » <sup>(٢)</sup> .

وقيل : الشاهدُ يومُ الجمعة <sup>(٣)</sup> ، والمشهودُ يومُ عرفة .

ويقال : الشاهدُ السَّكُّ الذي يكتبُ السَّل ، والشاهدُ الإنسانُ يشهدُ على نفسه ، وأعضاؤه تشهدُ عليه ؛ فهو شاهدٌ وهو مشهود .

ويقال : الشاهدُ يومُ القيامةُ ، والمشهودُ الناسُ .

ويقال : الشهودُ هم الأمةُ لأنه صلى الله عليه وسلم يشهدُ لهم وعليهم .

ويقال : الشاهدُ هذه الأمةُ ، والمشهودُ سائرُ الأمم .

ويقال : الشاهدُ الحجرُ الأسودُ لأنَّ فيه كتابَ العهد .

ويقال : الشاهدُ جميعُ الخلقِ ؛ يشهدونُ لله بالوحدانيةُ ، والمشهودُ اللهُ .

ويقال : الشاهدُ اللهُ ؛ شهدَ نفسه بالوحدانيةُ ، والمشهودُ هو لأنه شهدَ لنفسه .

قوله جل ذكره : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ • النَّارِ ذَاتِ

الْوُقُودِ » .

أَيُّ لُغَوَاتِهِ . وَالْأُخْدُودُ : الْحُفْرَةُ فِي الْأَرْضِ إِنَّمَا كَانَتْ مُسْتَطِيلَةً ، وَقَصَبُهُمْ فِي التَّفْسِيرِ مَعْلُومَةٌ <sup>(١)</sup> وَهُوَ الْوُقُودُ « الحطب .

وَمِنْ أَقْوَامٍ كَتَمُوا إِيمَانَهُمْ فَكَلَّمَ عَلَيْهِمَ مَلِكُهُمْ بِذَلِكَ أَضْرَمَ عَلَيْهِمْ نَارًا عَظِيمَةً ، وَأَقَامَ فِيهَا .

(١) آية ٤١ سورة النساء .

(٢) آية ١٠٣ سورة هود .

(٣) خرّج ابن ماجة وغيره رواية عن أبي الدرداء قوله : قال رسول الله (ص) : « أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ » .

(٤) قيل لهم من السجستان ، وقيل من بجران ، وقيل من القسطنطينية ، وقيل : هم من الخيوس . وقيل من اليهود ، وقيل من النصارى .

وَأَخْرَجْنَا مِنْ دَحْلِهَا امْرَأَةً كَانَتْ مَعَهَا رَضِيعٌ ، وَهَمَّتْ أَنْ تَرَجَّ ، فَالَهَا الْوَلَدُ : قَتْنِي وَاصْبِرِي ..  
فَأَنْتَ عَلَى الْحَقِّ .

وَأَلْقَوْهَا فِي النَّارِ ، وَاتَّصَمَتْهَا ، وَبَيْنَا كَانَ أَصْحَابُ الْمَلِكِ قُودًا حَوْلَهُ يَشْهَدُونَ مَا يُمْنَحُ  
ارْتَفَعَتِ النَّارُ مِنَ الْأَخْدُودِ وَأَحْرَقَتْهُمْ جَمِيعًا ، وَنَجَّاهُ مَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَلِمُوا .

قوله جل ذكره : « وَمَا قَسَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا  
بِأَقْدَامِ الرَّزْزَاقِ الْحَمِيدِ » الذي له ملكُ السَّوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَآفَافُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

مَا غَضَبُوا مِنْهُمْ إِلَّا لِإِيمَانِهِمْ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ  
ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ  
عَذَابُ الْحَرِيقِ » .

أَيَّ أَحْرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا عَنْ كُفْرِهِمْ « فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ » : نَوْعٌ  
مِنَ الْعَذَابِ ، « وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ » : نَوْعٌ آخَرُ (١) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ  
يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ أَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِتْنَةٌ أَمْ يُكَلِّمُنَا أَنْ نَبْعَثَ  
الرَّسُولَ الْكَافِرَ » .

« ذَلِكَ الْفُتُورُ الْكَبِيرُ » : النِّجَاحُ الْعَظِيمُ .

« إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ » .

الْبَطْشُ الْأَخْذُ بِالشَّدَةِ .

« إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ » .

يُبْدِيُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ .

(١) قد يكون العذاب الأول بالزهرير في جهنم ، والثاني بنار الحريق ؛ فكأنهم يلبثون بربدها وحرها  
وأفد أعلم .

ويقال : يبدى بالمداب ثم يُعبد ، وبالثواب ثم يُعبد .

ويقال : يبدى على حُكْم المداوة والشقاوة ثم يعبد عليه ، ويبدى على الضعف ويعيدهم إلى الضعف .

ويقال : يبدى الأحوال السيئة فإذا وقعت حجة يعبد ثانية .

ويقال : يبدى بالخذلان أموراً قبيحة ثم يتوب عليه ، فإذا نقص توبته فلا أنه أعاد له من مقتضى الخذلان ما أجراه في أول حاله .

ويقال : يبدى لطائف تبرفه ثم سيدلتبق تلك الأنوار أبداً لائحة ، فلا يزال يبدى و يعبد إلى آخر السر .

قوله جل ذكره : « وهو النفور الودود » .

« النفور » كثير للنفرة ، « الودود » مبالغة من الوداد ، ويكون بمعنى الودود ؛ فهو يفر لهم كثيراً لأنه يودهم ، ويفتر لهم كثيراً لأنهم يودونه .

قوله جل ذكره : « ذو العرش المجيد »

ذو الملك الرفيع ، والمجد الشريف .

« فقال لما يريد » .

لأنه مالك على الإطلاق ؛ فلا حصر عليه ولا خطر .

قوله جل ذكره : « هل أتاك حديث الجنود » .

الجموع من الكفار .

« فِرْعَوْنَ وَهَمُودَ »

وقد تقدم ذكر شأنهما .

« بل الذين كفروا في تكذيب »

« الذين كفروا » بمعنى مشركي مكة ؛ « في تكذيب » ليلث والشر .

« والله بين وراهم محيط »

عالم بهم .

« بل هو قرآنٌ مجيدٌ » في لوح

م محفوظ .

« في لوح محفوظ » مكتوب فيه . وجاء في التفسير : أن اللوح المحفوظ خُلقَ من دُرَّةٍ بيضاء ، دَفَنَاهُ من بقوة حمراء عَرَضَهَا بين السماء والأرض ، وأَعْلَاهُ متملِّقٌ بالعرش ، وأسْفَلُهُ في حِجْرِ مَلَكٍ كَرِيمٍ .

والقرآن كما هو محفوظ في اللوح كذلك محفوظ في قلوب المؤمنين ، قال تعالى : « بل هو آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم » فهو في اللوح مكتوبٌ ، وفي القلوب محفوظٌ .

## سُورَةُ الطَّارِقِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » : اسمٌ عزيزٌ إذا أراد إعزازَ عبدٍ وَفَّقَهُ لِمِرْقَانِهِ ، ثُمَّ زَيَّنَهُ بِإِحْسَانِهِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَصَهُ بِامْتِنَانِهِ ؛ فَصَمَّهَ مِنْ عِصْيَانِهِ ، وَقَامَ بِحَسَنِ التَّوَكُّلِ — فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ — بِشَانِهِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ عَلَى إِيمَانِهِ ، ثُمَّ بَوَّاهُ فِي جَنَانِهِ ، وَأَكْرَمَهُ بِرِضْوَانِهِ ، ثُمَّ أَكَلَ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ بِرُؤْيَتِهِ وَهَيَانِهِ .

قوله جل ذكره : « وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ »

أقسم بالسَّماءِ ، وبالنَّجْمِ الَّذِي يَطْرُقُ لَيْلًا .

« وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ؟ »

استفهامٌ يراد منه تَضْيِيقُ شَأْنِ هَذَا النَّجْمِ .

« النَّجْمُ الثَّاقِبُ »

الْمُضِيءُ الْمَالِي . وَقِيلَ : الَّذِي تَرَى بِهِ الشَّيَاطِينُ .

ويقال : هي (١) نَجْمٌ الْمُسْرِفَةُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ يَسْتَضِيءُ بِنُورِهَا وَيَهْتَدَى بِهَا أُولُو الْبَصَائِرِ .

« إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ »

مَا مِنْ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، يَحْفَظُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ ، وَيَحْمِلُهُ عَلَى دَوَامِ التَّقِيُّظِ وَجَمِيلِ التَّحَفُّظِ .

قوله جل ذكره : « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ

---

(١) هكذا في م وهي في ص (هو نجم المراقبة ... إلخ) .





أى يختالون حيلةً .

« وأَكِيدُ كَيْدًا »

هم يختالون حيلةً ، ونحن نُعَكِّمُ فِعْلًا وَنُبْرِئُ خَلْقًا ، ونجازيهم على كيدهم ، بما نعاملهم به من الاستدراج والإيهال .

« فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَنَّهُلَهُمْ رُويدًا »

أى أنظرهم ، وأمهلهم قليلا ، وأزودهم رويدًا .

## سُورَةُ الْأَعْلَى

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

«بِسْمِ اللَّهِ»: اسمٌ عزَّزْتُ مَنْ بَقَّصَهُ وَجَدَهُ، وَمَنْ اسْتَسْقَفَهُ حَيْدَهُ. مَنْ طَلَبَهُ عَرَفَهُ، وَمَنْ عَرَفَهُ لَاحَقَهُ، فَلِذَا وَجَدَ لُطْفَهُ أَلْفَهُ، وَإِنَّا أَلَيْتُهُ أَنِيفَ أَنْ يَخَالِفَهُ.

قوله جل ذكره: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»

أى سَبِّحْ رَبَّكَ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ، وَاسْبِحْ بِبِرِّكَ فِي بَحَارِ عِلَالِهِ، وَاسْتَخْرِجْ مِنْ جَوَاهِرِ عُلُوِّهِ وَسَنَائِهِ مَا تَرْضَعُ بِهِ عِقْدَ مَدْحِهِ وَنَمَائِهِ.

«الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى»

خَلَقَ كُلَّ ذِي رُوحٍ فَسَوَّى أَجْزَاءَهُ، وَرَكَّبَ أَعْضَاءَهُ عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ النِّظَمِ الْحَبِيبِ وَالتَّرْكِيبِ الْبَدِيعِ.

«وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى»

أى قَدَّرَ مَا خَلَقَهُ، فَجَعَلَهُ عَلَى مَقْدَارٍ مَا أَرَادَهُ، وَهَدَى كُلَّ حَيَوَانٍ إِلَى مَا فِيهِ رَشْدُهُ مِنَ الْمَنَافِعِ، فَيَأْخُذُ مَا يُصْلِحُهُ وَيَتْرَكُ مَا يَضُرُّهُ — بِحُكْمِ الْإِلَهَامِ.

وَيَقَالُ: هَدَى قُلُوبَ النَّافِلِينَ إِلَى طَلَبِ الدُّنْيَا فَمَرَّوْهَا، وَهَدَى قُلُوبَ الْعَابِدِينَ إِلَى طَلَبِ الْعَقْبَى فَأَتَرَوْهَا، وَهَدَى قُلُوبَ الزَّاهِدِينَ إِلَى فَنَاءِ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا، وَهَدَى قُلُوبَ الْمَلَامَةِ إِلَى النَّظَرِ فِي آيَاتِهِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِمَصْنُوعَاتِهِ فَعَرَفُوا تِلْكَ الْآيَاتِ وَلاَزَمُوهَا.

( وَهَدَى قُلُوبَ الْمُرِيدِينَ إِلَى عِزِّ وَصْفِهِ فَأَتَرُوهُ، وَاسْتَغْرَعُوا جُفْهَهُمْ فَطَلَبُوهُ )<sup>(١)</sup>، وَهَدَى

(١) مَا بَيْنَ السُّوَبَيْنِ مَوْجُودٌ فِي مَرٍّ وَغَيْرِ مَوْجُودٌ فِي مَرٍّ

المازفين إلى قُدُس نمتِه فراقبوه ثم شاهدوه ، وهدى للوحدين إلى علاء سلطانه في توحيد كبريائه فتركوا ما سواه وهجروه ، وخرجوا عن كل مألوف لم ومعهود<sup>(١)</sup> حتى فصلوه . فلما ارتقوا عن حد البرهان ثم عن حد البيان ثم عما كالبيان علوا أنه عزيز ، وأنه وراء كل فصل وصل ، فرجعوا إلى موطن العجز فترسلوه .

« والذى أخرَجَ المرعى »

أى الثبات .

« جبه غثته أحرى »

جمله شيئاً كالنشاء ، وهو الذى يقذه السيل . و « أحرى » أسود .

« سَتَرْتُكَ فَلَا تَتَنَمَّ »<sup>(٢)</sup>

سنجمع القرآن في قلبك — يا محمد — حَقِيقاً حتى لا تنسى لأنما تحفظه عليك .

« إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ

وَمَا يَخْفَى » .

لما لا يدخل تحت التكليف فضاه قبل التبليغ ولم يجب عليه أدائه .

وهو — سبحانه — يعلم السر والعلن .

قوله جل ذكره : « فَذَكِّرْ إِن نَفَسَ الذِّكْرِى »

والذِّكْرِى تنفع لا محالة<sup>(٣)</sup> ، ولكن لِيَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ للاصطفا بها ، أما مَنْ كَانَ لِلْعُلُومِ

من حاله الكفر والإعراض فهو كاقيل :

(١) هكذا في م وهي في ص (معهود) وقد وجبت (معهود) لتلازمها مع (مألوف) . ولكن إذا تذكرنا أن الصوفية يرون الانسياق وراء الهوى نوعاً من الشرك الخفى — قال تعالى : « أَرَأَيْتَ مِنْ أَتَقَدَّرَ إِلَيْهِ هَوَاهُ » — فيمكن في ضوء ذلك قبول (معهود) أيضاً .

(٢) يرى الجنييد أن المعنى « فلا تنسى العمل به » وهذا من الآراء الخسنة التى يمتشى منها رأى التشيعى في « إلا ما شاء الله » .

(٣) ولهذا تفسر (إن) في الآية على معنى (ما) : أى فذكر ما نفقت للذكرى ، ولا يكون لها حينئذ معنى الشرط ، وتفسر على معنى (إذا) مثل : « وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » ، وعلى معنى (فقد) .

وما انتفاعُ أخى الدنيا بِمُقتلهِ إنا استوت عند الأَنوارِ والظلمِ  
« سَيَدُّكَ مَنْ يَخْشَى »

الذى يخشى الله ويخشى عقوبته .

« وَيَجْذِبُهَا الْأَشَقُّ • الذى يَصِلُ

النارَ الكبرى • ثم لا يموتُ فيها

ولا يحيا » .

أى يَجْذِبُ الذِّكْرَ الْأَشَقُّ الذى يَصِلُ النارَ الكبرى ، ثم لا يموت فيها موتاً يريحه ،  
ولا يحيا حياةً تُلذِّله .

قوله جل ذكره : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى » .

مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالصُّيُوبِ ، ومشاهدة الخلقِ وأذى الزكاة — وَجَدَ النِّجاةَ ،  
والتَّفَرُّقَ بِالْبَيْتَةِ ، والتَّوَرُّدَ بِالطَّلَبَةِ .

« وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى »

ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فى صلاته . ويقال : ذَكَرَهُ بالوحدانية وصلَّى له .

« يَلِ تَوْابُورٍ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا »

يميلون إليها ؛ فَيُتَدَمَّرُونَ حظوظكم منها على حقوق الله تعالى .

[ « وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى »

والآخرة للْمُؤْمِنِينَ خيرٌ وَأَبْقَى — من الدنيا — لَطَّلَابُهَا . ]<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « إِنَّ هَذَا لِنِى الصُّحُفِ الْأُولَى •

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى »

إِنَّ هَذَا الوَعْدَ لِنِى الصُّحُفِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وكذلك فى صحف إبراهيم وموسى وغيرهما ؛ لأنَّ  
التَّوْحِيدَ ، والوَعْدَ والوَعْدَ . لا تختلف باختلاف الشرائع .

(١) ما بين القوسين موجود فى م وغير موجود فى ص .

## سُورَةُ الْفَاشِيَةِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » : كلمة من سمها وفي قلبه عرفانه تلاوات أنوار قلبه ، وتفرقت أنواع كُربيه ، وتضاعفت في جماله طوارق حبه ، وتغيرت في جلاله شوارق لبه .

كلمة من عرفها — وفي قلبه إيمانه — أحبها من داخل الفؤاد ، وهجر — في طلبها — الرقاد ، وترك — لأجلها — كل ممراد .

قوله جل ذكره : « هل أتاك حديث الفاشية ؟ » .

« الفاشية » المجللة ، يريد بها القيامة تفتش الخلق ، تفتش وجوه الكفار .

« وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ \* عَامِلَةٌ

نَاصِيَةٌ \* نَصَلَى نَاراً حَامِيَةً » .

وجوه — إذا جاءت القيامة — خاشعة أى ذليلة . عاملة ناصية : النصب التصب .

جاء في التفسير : أنهم يُجْرُونَ على وجوههم .

« نَصَلَى نَاراً حَامِيَةً » تلازم ناراً شديدة الحر .

ويقال : « عاملة » في الدنيا بالمعاصي ، « ناصية » في الآخرة بالذئاب .

ويقال : « ناصية » في الدنيا « عاملة » لكن من غير إخلاص كعمل الرهبان <sup>(١)</sup> ،

وفي منتهى حل أهل التلقى .

(١) روى الشيخان عن ابن عباس قوله : « هم الذين أنصروا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل ، وعمل الكفر ، مثل عبدة الأوثان ، وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم ، لا يقبل الله — جل ثناؤه — منهم إلا ما كان خالصاً » .

« تُسْقَى من عين آية » .

تأهلي حرّها .

« ليس لم طعام إلا من خيرير •

لا يُسَمِّنُ ولا يُشْقَى من جوع » .

نَبَتْ يَنْبُو بِالْحِجَازِ لَهُ شَوْكٌ ، وَهُوَ سَمٌّ لَا تَأْكُلُهُ الثَّوَابُ ، فَلَمَّا أَكَلُوا ذَلِكَ فِي الدَّارِ  
يَنْصَوْن ، فَيُسْقَوْنَ الرُّقُومَ .

وإن أنصاف الأبدان - اليوم - بصورة الطاعات مع قَدْرِ الأَرْجَحِ وَجَدَانٍ لِلْكَشَفَاتِ  
(وقدّر) <sup>(١)</sup> الأسرارِ أنوارٍ للشاهدات ، (وقدّر) القلبَ <sup>(٢)</sup> لِبِخْلَاسٍ وَالصِّدْقِ فِي الْعَقْدَاتِ  
لا يَجِدُ خَيْرًا ، وَلَا يَنْفَعُ شَيْئًا - وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا تَلَى : « عاملة ناصية »

قَدْرُهُ جَلْ ذِكْرُهُ : « وَجُوهُ يَوْمُئِذٍ نَاعِمَةٌ » .

أى : مُتَقَنِّمَةٌ ذاتُ نَحْمَةٍ وَفَضْلَةٍ .

« لَسِيحًا رَاضِيَةً » .

حِينَ وَجَدَتْ الثَّوَابَ عَلَى سَمِيحٍ ، وَالتَّهَوَّلَ لَهَا .

« فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ » .

عَالِيَةٍ فِي دَرَجَتِهَا وَمَنْزِلَتِهَا وَشَرَفِهَا . ثُمَّ بِأَيْدِيهِمْ فِي دَرَجَاتِهِمْ ، وَلَكِنْ بِأَرْوَاحِهِمْ مَعَ اللَّهِ  
فِي عِزِّ مَنْجَاهِهِمْ .

« لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ » .

لَأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ بِاللَّهِ ؛ فَلَيْسَ فِيهَا كَلٌّ لِقَوٍّ .

قَوْمٌ يَسْمَعُونَ بِاللَّهِ ، وَقَوْمٌ يَسْمَعُونَ اللَّهَ ، وَقَوْمٌ يَسْمَعُونَ مِنْ اللَّهِ ، وَفِي الْخَبَرِ : « كُنْتُ  
لَهُ سَمًّا وَبَصَرًا فَبِئْسَ سَمْعٌ وَبِئْسَ بَصَرٌ » <sup>(٣)</sup> .

(١) ما بين القوسين إضافة من جملتنا كي يكون السياق أكثر وضوحاً

(٢) ما يزال يلقى بتقريب إلّ بالتوالل حتى أحبه ، فلذا أحبه كنت عنه أني يعمر بها ، وسمه لئلي  
يسمى به ، ويده أني يعطش بها ، أورد السراج في ليله ص ٨٨ . وهو حديث قسبي رواه البهاري عن أبي هريرة  
وأحمد بن عائشة ، والطبراني في الكبير عن أبي أمامة ، وابن السني عن ميمون .

« فيها عينٌ جاريةٌ » .

أراد عيوناً ؛ لأن العين اسم جنس ، والعيون الجارية هنالك كثيرة ومختلفة .  
ويقال : تلك العيون الجارية غداً لين له — اليوم — عيونٌ جاريةٌ بالبكاء<sup>(١)</sup> ، وغداً لم  
عيونٌ فاعطرةٌ بحسب البقاء .

« فيها سُرُورٌ مرفوعةٌ » وأكوابٌ  
موضوعةٌ \* وتمازقٌ مصفوفةٌ \* وزرائٌ  
مبثوثةٌ » .

التمازق المصفوفة في التفسير : التمازق البسطة .

الزرائى للبثوة في التفسير : البسط للثقرة .

وإنما خاطبهم على مقتدير فهمهم<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف

خُفَّت ؟ » .

لما ذَكَرَ وصفَ تلك الشررِ للرَفوعة المشيدة قالوا : كيف يصمدها المؤمن ؟ فقال :  
أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُفَّت ؟ كيف إذا أرادوا الحملَ عليها أوركوبها تنزل ؟  
فكذلك تلك الشررُ تصلمن حتى يركبها الوليُّ .

وإنما أنزلت هذه الآيات على وجه التنبيه ، والاستدلال بالخطوات على كمال قدرته —

سبحانه .

فأقومُ كانوا أصحاب البوادي لا يرون شيئاً إلا السماء والأرض والجبال والجمال ...  
فأترهم بالنظر في هذه الأشياء .

(١) منه عهد مبكر ظهرت طائفة اليكسانين في سفوف الزهاد ، وإن كان بعض الصوفية لا يتحمس لبكاء  
إسماً لأن السوء علامة شكوى ، وهم لا يهابون أن يشكروا ، وإسماً لأنها تم عن ضعف الحال ، وهم يمتنعون أن يكونوا  
واضعين كالجبال .

(٢) يتبع هذا فكرة التشديد الاسمية عن وصف الآخرة : الأسماء أسماء ، والأعيان بخلاف ذلك .



وفي الإبل خصائص تدل على كمال قدرته وإتمامه جل شأنه ؛ منها : ما في إمكانهم من الانتفاع بظهورها لتحميل الركوب ، ثم ينسليها ، ثم يلحمها ولبنها ووبرها ... ثم من سهولة تسخيرها لهم ، حتى يستطيع الصبي أن يأخذ بزمامها ، فتتجرّ وراءه . والإبل تصير على مقاساة التعطش في الأسفار الطويلة ، وهي تقوى على أن تحمل فوق ظهورها الكثير من الحمولات .. ثم حرّانها إذا حقدت ، واسترواؤها إلى صوت من يحلوها عند الإعياء والتعب ، ثم ما يكمل للره بما ينط بها من برّها (١).

« فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ • لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصِطَرٍّ (٢) » .

لست عليهم بمُصْطَرٍّ ؛ فَذَكَرْ — بما أمرناك به ، فبذلك أمرناك (٣) .

« إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ • فَهَبْهُ • اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ » .

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى مِنَ الْإِيمَانِ وَكَفَرَ فَيُذَبِّهُ اللَّهُ بِالْخُلُودِ فِي النَّارِ .

« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ • ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » .

إِنَّ إِلَيْنَا رَجُوعَهُمْ ، ثُمَّ نَحْزَبُهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

(١) إشارة القشيري الخاصة بالإبل استعقت المراد ، فمن المعلوم أن شروب الحيوان المخلقة لا تخرج من أربعة : حَمْوِيَّة ، وَرَكُوبِيَّة ، وَأَكُولِيَّة ، وَحَمُولِيَّة . وقد استطاع القشيري أن يفتح أن الإبل جمعت كل هذه المنافع .  
(٢) مصيطر ومسيطر ، أي بالصاد والسين (المصلح) .  
(٣) لم يفتح القشيري فيها وقع فيه بعض المفسرين حين قالوا : « إِنَّ فِي الْآيَةِ تَسْخِغًا بِآيَاتِ الْقِتَالِ وَالْجِهَادِ .. فَالْبَدَابِ الْأَكْبَرُ فِي الْأَمْرِ لَا يَنْضِي تَطْلِيلُ الْكُفَّارِ بِشَىْءٍ أَوْ أَنَّ التَّطْلِيلَ فِي الْغَنِيَا ، وَسُهَا الْقَتْلُ وَالْأَسْرَ .

## سُورَةُ الْفَجْرِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

بسم الله كلمة ما استولت على قلب قدير فأنقته ، وما تمكنت من سر مقيم فشنته ، وما استولت على روح محب فرحته (١) . كلمة قهارة لقلوب .. ولكن لا لكل قلب ، كلمة لا سبيل لها لكل عقل ، كلمة نكتفي من المابدين بقرائهم لها ، ولكنها لا ترضى من المحبين إلا ببذل أرواحهم فيها .

قوله جل ذكره : « والتجرب \* وليال عشر » .

التجرب اشجار الصبيح وهو اثنان : مستطيل وقصير (٢) ؛ ففي التفسير : إنه فبر الحرم لأنه ابتداء السنة كلها ، وقيل : فجر ذى الحجة .

ويقال : هو الصغور يتغير منها للاء .

ويقال : أقسم به لأنه وقت عبادة الأولياء عند افتتاحهم النهار .

« وليال عشر » قيل : هي عشر ذى الحجة ، ويقال : عشر الحرم ؛ لأن آخرها عاشوراء .  
ويقال : العشر الأخيرة من رمضان .

ويقال : هي العشر التي ذكرها الله في قصة موسى عليه السلام ثم به ميماده بقوله : وأتممتها بشر .

---

(١) هكذا في النسخين ، ولا تسبب أنها في الأصل : ( فأراحه ) ذلك لأن رحمة الله عامة ، وخاصة والكتابة ، أما محبة - التي هي رحمة خاصة بالخواص - فهي المقصودة هنا ( الرسالة ص ١٥٨ ) وهذه المحبة إذا استولت على روح محب أفرجه وما ( أراحه ) لأنها تتطلب بذلك الروح ، واسترخاها للمحبة .  
(٢) في النسخين ( مستطيل ومستطير ) ولم نفهم المقصود ، فوضعنا ( قصير ) عمل مستطير كي يكون هناك بين فبر للام كامل - وفجر ليوم واحد - والله سبحانه وتعالى أعلم .

ويقال : هو « غُر » قلوب المارفين إذا ارتقوا عن حدِّ العلم ، وأسفر صُبْحُ معارفهم ،  
فاستنروا عن ظلمة طلب البرهان (١) بما تجلَّى في قلوبهم من البيان .

« والشَّعْغُ والوتر » .

جاء في التفسير : الشَّعْغُ يومُ النَّحْرِ ، والوتر يومُ عَرَقة (٢) .

ويقال : آدم كان وتراً شُفِّعَ بزوجه حواء .

وفي خير : لأنها الصلوات منها وتر ( صلاة الغرب ) ومنها شفع كصلاة الشَّعْغ .

ويقال : الشَّعْغ الزوج من العدد ، والوتر التَّردُّ من العدد .

ويقال : الشَّعْغ نضادٌ أو صاف الخلق : كالسَّم والجبل ، والقدرة والعجز ، والحياة  
والموت . والوتر اغراءُ صفاتِ الله سبحانه عما يضادُّها ؛ علم بلا جهل ، وقدرة بلا عجز ،  
وحياة بلا موت .

ويقال : الشَّعْغ الإرادة والنية ، والوتر الحيلة ؛ لا تكني بالخلق ولا صيل لها إلى الله  
— لتقدُّسه عن الوصلِ والقُتُل . فبقيت الحيلة غريبة .

ويقال : الشَّعْغ الزاهد والمابد ، لأن لكل منهما شكلاً وقريباً ، والوتر المريد فهو كما قيل :

فريدٌ من الخِلَافِ في كل بلدٍ

إذا عظمَ الطلوبُ قلَّ الساعِدُ

« والليل إذا يَسِر » .

« بسرى » يمضى .

قوله جل ذكره . « هل في ذلك قسمٌ نفسى حَجِر ؟ » .

« حَجِر » . لُبِّي . وجوابُ القسمِ : « إن ربَّك بالمرصاد » .

(١) أى عن نطاق العقل .. والعقل - في نظر الصوفية - مصاب بآفات التجويز والتخير والارتباط بالمسائل .

(٢) يوم عرقة وتر ، لأنه تاسع الأيام العشرة ، ويوم القدر شفع لأنه عاشرها . . وقد روى حديث هذا المعنى  
من جابر بن عبد الله .

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ قَلَّ رَبُّكَ بِهَادٍ »

لَا يَدْرِي ذَاتَ الْمِيلَادِ ... »

ذكر قصص هؤلاء التفتيمين .. إلى قوله : « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ »  
أى : شدة العذاب .

« إِنَّ رَبَّكَ بِالرَّصَادِ »

لا يفوته شيء .

قوله جل ذكره : « فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا أَبْلَاهُ رَبُّهُ »

فَاكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ »

وَأَمَّا إِذَا مَا أَبْلَاهُ فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ »

فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ »

« فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ » : أى : شَكَرَهُ .

« فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ » . أى : ضَيَّقَ ، « فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ » . أى : أَذَلَّنِي . كلا .. ليس  
الْإِذْلَالُ بِالْفَتْرِ إِعْمَا الْإِذْلَالُ بِالْإِذْلَالِ الصَّيَانِ (١) .

قوله جل ذكره : « كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ »

أى : أنتم تستحقون الإهانة على هذه الخصال للزئومة ؛ فلا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ ..

« وَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى طَعْمِ الْيَتِيمِ »

وَتَأْكُلُونَ الثَّمَرَاتِ أَكْلًا لَذًا . »

لَذًا . أى : شديداً .

« وَتُحِبُّونَ لِللَّهِ حُبًّا جَبًّا »

جَبًّا أى : كثيراً .

---

(١) كما تعرف من محبب القشيري ، أقصى درجات النقص : الإذلال للصبيان وأقصى درجات الرضا :  
التفريق للعامة .. وكلاماً من الله .

قوله جل ذكره : « كَلَّا إِنَّا دُكَّتِ الْأَرْضُ  
دَكًّا دَكًّا » .

أى : قامت القيامة .

« وجاء ربك والملك صفاً صفاً » .

« وجاء ربك » أى لللائكة بأمره <sup>(١)</sup> .

ويقال : يضل ضلأً فيسيه جيئاً .

« وحيث يومئذ يجمعهم يومئذ يذكرون »

الإنسان وأنى له الله كرى ١٩ »

يقال : تَعَادَ جَهَنَّمُ بِسَمِينِ أَلْفِ زَمَانٍ <sup>(٢)</sup>

وفى ذلك اليوم يذكّر الإنسان .. ولا يَنْفَعُهُ التذكّر ، ولا يُعْمِلُهُ مِنَ الْعَذَرِ .

« يقول يا ليتنى قدّمتُ لحياي »

أى : أَطَلَعْتُ رُبِّي وَنَظَرْتُ لِنَفْسِي .

« فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ »

أى : لا يُعَذِّبُ فى الدنيا أحدٌ مثلاً بِعَذَابِهِ اللهُ فى ذلك اليوم .. إذا قرئت القال بالكسر .

أما إذا قرئت بالفتح <sup>(٣)</sup> « لَا يُعَذِّبُ » فالمنى : لا يُعَذِّبُ أحدٌ مثلاً بِعَذَابٍ هَذَا  
الكافر <sup>(٤)</sup> .

قوله جل ذكره : « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُنْمِئَةُ » .

---

(١) أى : جاء ربك . أى : ظهرت آياته ، وأزيل الشك ، وصارت المعارف ضرورية ، وظهرت القدرة الإلهية . وللتصوّد نفس التصوّل من مكان إلى مكان عن الله ، فقد جلبت الصمدية عن الارتباط بالتصور المحرك والتفكير الزماني والمكاني .

(٢) « ... كل زمام يده سبعين ألف ملك ، لها تنظير وزفير ، حتى تنصب عن يسار العرش » (ابن مسعود) - وفى صحيح مسلم حديث يرويه ابن مسعود بهذا المعنى .

(٣) بالفتح قراءة الكسائي « لا يُعَذِّبُ » « ولا يوق » .

(٤) قيل : هو إبليس لأنه أشدّ الخلقونات عذاباً ، وقيل هو أمة بن خلف لنتائج في كفره ومناذه .

الروحُ للطمئنةُ إلى النفس .

ويقال : الطمئنةُ بالمعرفة : ويقال : للطمئنة بذكر الله .

ويقال : بالثبوتة بالجنة . ويقال : النفس للطمئنة : الروح الساكنة<sup>(١)</sup>

« أَرْجِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً »

راضية<sup>(٢)</sup> عن الله ، مَرْضِيَّةٌ من قِبَلِ الله .

« فَادْخُلِي فِي عِبَادِي • وَأَدْخُلِي »

جَنَّتِي • .

أى : فى عبادى الصالحين .

---

(١) تأعرت هذه العبارة الأخيرة إلى نهاية السورة فى التسميتين فقلناهما إلى موضعها .  
(٢) وردت ( من ) ولكننا وجدنا أن المعنى حيث أنه لن يتغير فيما بين اسم الفاعل واسم المفعول ، فوضعتنا (عن) بدلا من (من) مستوحدين بقوله تعالى : يَرْضَى الله عَنْهُمْ رَضُوا عَنْهُ . وإن كنا لا نستبعد أن (من) تؤدى معنى صوفياً : هو أنه حتى رضاهم من الله (من) الله ، فليس للعبد حول ولا طول حتى يرضى أو يستخط .. إلا إذا كان نعمة فضل إلى (من) الله .

## سُورَةُ الْبَلَدِ

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(١)</sup>

«بسم الله» كلمة تُخبر عن جلاله أزلّ، وجماله سرمديّ، جلاله ليس له زوال، وجماله ليس له انتقال، جلاله لا يغيّر<sup>(٢)</sup> وأمثال، جماله لا بصورة ومثال، وجلاله هو استحقاقه للجبروت وجماله هو استيجابه للكوتة، جلاله مَنْ كاشفه به فأوصافه. فله في فناء، وجماله مَنْ لاقته به فأحواله بقاء في بقاء.

قوله جل ذكره: «لا أقسمُ بهذا البلدِ».

أى: أقسمُ بهذا البلدِ، وهو مكة.

«وأنتَ حِلٌّ بهذا البلدِ».

وإنما أُحِلَّتْ له ساعة واحدة<sup>(٣)</sup>.

«والله وما يؤدّ».

كلّ والد وكلّ مولود. وقيل: آدم وأولاده.

وجواب القسم: «لقد خلقنا الإنسانَ في كبدٍ».

ويقال: أقسمُ بهذا البلدِ لأنك حِلٌّ به.. وبَلَدُ الحبيبِ حبيبٌ.

«لقد خلقنا الإنسانَ في كبدٍ»

(١) مرة أخرى حدث اضطراب.. فتفسير القيسية هنا كما جاء في م موضوع في ص في أول السورة لقائده: سورة الفجر.. والمكس في م.

(٢) مكّذا في م وهي في ص (باعتبار) والصحيح ما ألقينا.

(٣) عن ابن عباس قال: «أُحِلَّتْ له ساعة من نهار ثم أُحِلَّتْ وسُحِرَتْ إلى القيامة وذلك يوم نفع مكة. وثبت أن النبي (ص) قال: «إن الله حَرَّمَ مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرامٌ إلى أن تقوم الساعة، فلم يحل لأحد قبل، ولم يحل لأحد بعد، ولم يحل إلا ساعة من نهار».

أى : فى مشقة ؟ فهو يلقى شدائد الدنيا والآخرة .

ويقال : خلقه فى بطن أمه (متصفاً رأسه) فلما أذن الله أن يخرج من بطن أمه تنكس رأسه عند خروجه ، ثم فى القياط وشدة الرِّجْل . . . ثم إلى الصراط هو فى الميَّاط والليل<sup>(١)</sup> .  
قوله جل ذكره : « أَيْصَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ »

أى : قُوَّته وشجاعته عند نفسه يقول :

« يَقُولُ أَفْلَسْتُ مَا لَا لُبَّكَ » .

« لُبَّكَ » كثيراً ، فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> .

« أَيْصَبُ أَنْ لَمْ يَوْهْ أَحَدٌ » .

أليس يعلم أنَّ الله يراه . . . وأهـ مُطْلَعٌ عليه ؟

قوله جل ذكره : « أَلَمْ تَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ » ولما أكاشفتين ؟

أى : أَلَمْ تَخْلُقْهُ سَيِّماً بصيراً متكلاً .

« وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ » .

ألهذه طريق الخير والشر .

« فَلَا اقْصَمَ الْعُقَبَةُ » وما أدراك

ما العقبة ؟ • فك العقبة • أو إلهام

فى يومى مسغبة • يقينا فامقربة •

أو مسكيناً فامقربة .

أى : فهلا اقصم العقبة . « وما أدراك ما العقبة ؟ استفهام على التضمين لثقلها .

ويقال : هى عقبة بين الجنة والنار يحلوزها من قفل ما قاله : وهو فلك رقية : أى : إعتاق

عورك ، والفلك الإزالة . وألهم فى يومى جملة وقطع وشذير يقياً ذا قرابة ، أو « مسكيناً

ذا مقربة » : لا شئ له حق كأنه قد التصق بالقراب من الجوع .

(١) يقال : هم فى حياض وميادى فى شر وجسدية ، وقيل : فى فقر وتباعد (الوسط) .

(٢) يقال : نزلت فى رجل من بني جحش كان يقال له : أبو الأعديين ، وكان من أشد أعداء النبي (ص) .

(ناه الكلى) .



قوله جل ذكره : « ثم كان من الدين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالبركة » .

أى : من الدين يوم بعضهم بعضاً .

« أولئك أصحاب الميعة »

أى : أصحاب الثمن والبركة .

« والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب

الشأمة » عليهم نارٌ مؤبدة » .

كم للشائم على أنفسهم ، عليهم نارٌ مطيقة ؛ يضى أبواب النيران ( عليهم مفقة ) .

والقبة التى يجب على الإنسان اتصاعها : نفسه وهواه ، وما لم يمز تلك القبة لا يفلح  
و « فك رقبة » هو إعتاق نفسه من رِقِّ الأغراض والأشخاص .

ويكون فك الرقبة بأن يهدى مَنْ يملكه — من رِقِّ هواه ونفسه — إلى سلامته  
من شحِّ نفسه ، ويرجعه إليه ، ويخرجه من ذلِّه .

ويكون فك الرقبة بالتحرُّز من التديُّر ، والخروج من ظلمات الاختيار إلى صفة الرضاء .

ويقال : يعلم من كلِّ فى مقربة ويكون هو فى مستبة .

« ثم كان من الدين آمنوا ... » أى تكون خاتمته على ذلك <sup>(١)</sup> .

(١) أى يهضى على ذلك حتى الوفقة .

## سُورَةُ الشَّمْسِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » إخبارٌ عن وجود الحق بسمتِ القَدَم . « الرحمن الرحيم » : إخبارٌ عن بقاءه بوصف التلاء والكُرم .

كاشف الأرواح بقوله : « بسم الله » فهيها ، وكاشف النفوس بقوله : « الرحمن الرحيم » فهيها ؛ فالأرواح دُعَتْ في كَشْفِ جلاله ، والنفوس عطشَتْ إلى لُطْفِ جماله <sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره : « والشمس وضعاها » .

ضَعَا الشمس صدرُ وقت طلوعها .

« والشمس إذا تلامها » .

أى : تبعها ؛ وذلك في النصف الأول من الشهر .

« والنهار إذا جلاها » .

إذا جلى الشمس وكشفها .

« والليل إذا يشأها » .

أى : يَشْأ الشمس ( فيذهب بضرها ) .

« والسماء وما بناها » .

أى وبنائها . ويقال : ومن بناها <sup>(٢)</sup> .

(١) نذكر بما قلناه آنفا من تماكس وضع تفسيرى البسلة لهما بين «البلد» و «الشمس» فى التفسيرين م ، ومن .  
(٢) هذا القول الأخير اختاره الطبرى ، وقاله الحسن ومجاهد . وأهل المجاز يقولون : سبحانه (ما) سبحت له .  
أى سبحانه من سبحت له .

« والأرض وما عليها » .

أى : وطئوها . ويقال : ومن طعها ( أى بسطها أو قسمها أو خرقها ) .

« ونفس وما سواها » .

ومن سوى أجزائها وأعضائها .

« فألمها فجورها وتقواها » .

أى : بأن خذلها ووقعها .

ويقال : جورها : حركتها فى طلب الرزق ، وتقواها : سكونها بحكم التقدير .

وقيل : طريق الخير والشر .

قوله جل ذكره : « قد أفلق من زكاتها » .

هنا جواب القسم . أى : « قد أفلق من زكاتها » .

ويقال : من زكاه الله عز وجل .

« وقد خَلَبَ من دَسَّاءها » .

أى : دَسَّاءها الله . وقيل : دَسَّاء<sup>(١)</sup> فى جملة الصالحين وليس منهم .

وقيل : خَلَبَ مَنْ دَسَّ نَفْسَهُ بمصيبة الله . وقيل دَسَّاءها : جعلها خميسة خفية .

وأصل الكلمة دَسَّاء<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : « كَذَّبَتْ ثمودُ بطغواها » .

« بطغواها » : لطغيانها ، وقيل : إن صالحاً قدمنا ، فكفر قومهُ ، فأحياه الله ،

فدعاه إلى الإيمان ، فكذبوه ، وسألوه علامةً وهى الناقة ، فأثام صالح بما سألوا .

« إِذْ أَنْبَأَتْ أَشْقَاهَا » .

---

(١) أى دَسَّاء صالحها .

(٢) من التَّدسيس ، وهو إغواء الشيء فى الشيء ، فأبدلت به ياء كما يقال : تَدَسَّيتُ أَطْفَارِي وَالْأَسْلَ قَصَصْتِ ، ومثله قولهم فى تَقَفَّسٍ : تَقَفَّسَ .

« أَشَقَّاهَا » عَاقِرُهَا .

« قَالَ لَمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ  
وَسُقْيَاهَا » .

أى : احذروا ناقةَ الله ، واحذروا سقياها : أى : لا تتمرَّضوها لها .

« فَكَذَّبُوهُ فَمَقَرُّوْهَا ... » .

أى كَذَّبُوا صَالِحًا ، فَمَقَرُّوا الناقةَ .

« ... فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ  
فَنَسَوْاهَا » .

أى : أَهْلَكْتُمْ بُحْرِيَهُمْ ، « فَنَسَوْاهَا » : أى أَطْلَقَ عَلَيْهِمُ الْمَذَابَ <sup>(١)</sup> .

ويقال : سَوَّى يَنْهَى رَبُّهُمْ فِي الْمَذَابِ لَهُمْ رِضَا بِقَرِ النَّاقَةِ .

قوله جل ذكره : « وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا » .

أى : أَنْ اللَّهَ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ مَا فَعَلَ بِهِمْ مِنَ الْقَوْبَةِ .

ويقال : قد أَطْلَحَ <sup>(٢)</sup> مَنْ دَاوَمَ عَلَى الْبُهَادَةِ ، وَخَابَ مَنْ قَصَرَ فِيهَا .

وفائدة السورة : أَنَّهُ أَطْلَحَ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ عَنِ الذُّنُوبِ وَالنُّيُوبِ ، ثُمَّ عَنِ الْأَطْلَاعِ فِي  
الْأَعْوَاضِ وَالْأَغْرَاضِ ، ثُمَّ أَبْعَدَ نَفْسَهُ عَنِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْأَقْسَامِ ، وَعَنِ ارْتِكَابِ الْحَرَامِ .  
وقد خَابَ مِنْ خَانَ نَفْسَهُ ، وَأَهْلَهَا عَنِ الْمُرَاعَاةِ ، وَدَنَسَهَا بِالْخَالَفَاتِ ؛ فَلَمْ يَرْضَ بِدَمْرِ الْمَنَافِي  
حَتَّى ضَمَّ إِلَى قَرِّهَا مِنْهَا الدَّعْلُوِي لِلظَّلْمَةِ ... فَفَرَّقَتْ فِي بَحْرِ الشَّقَاةِ سَفِينَتَهُ .

(١) بِأَنَّهُ سَوَّى عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ .

(٢) فَكَلَّا فِي مَنْ وَجَى فِي م (أَصْلَحَ) وَقَدْ رَجَعْنَا مَا أَتَيْنَا ، فَهَكَذَا الْآيَةُ ، ثُمَّ مَا تَلَا هَذِهِ الْبَهَادَةَ .

## سُورَةُ النَّازِعَاتِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

بسم الله كلمةٌ تُخَيِّرُ عن المَلِيَّةِ الله ؛ وهي استحقاقه لثبوت الجِدِّ والتَّوَكُّدِ ، وصفاتِ المِرْءِ والْفَتْرَةِ ؛ فَمَنْ تَجَرَّدَ فِي طَلْبِهِ عَنِ الْكُسَلِ ، وَلَمْ يَسْطَوْعَنْ مَرْكَبَ الْحِزْزِ وَالْفَتْلِ ، وَوَضَعَ النَّظَرَ مَوْضِعَهُ وَوَسَلَ بِدَلِيلِ الْفَلِّ إِلَى عِرْقَانِهِ ، وَمَنْ بَدَّلَ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ وَوَدَّعَ فِي الطَّلَبِ رَاحَتَهُ وَأَنْفُسَهُ ، وَلَمْ يَسْرَجْ فِي أَوْطَانِ الْوَقْتِ غُفْرَ بِحُكْمِ الرِّسَالِ إِلَى شُهُودِ سُلْطَانِهِ ، وَالنَّاسِ فِيهِ بَيْنَ مُوَقَّتِي وَغُفْرٍ ، أَوْ مُؤَيَّدٍ وَمُرْدُودٍ .

قوله جل ذكره : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى » .

يغشى اللَّيْلُ ، وما بين السماء والأرض فيستره بظلمته .

واللَّيْلُ لِأَهْوَائِهِمْ يَسْتَرْقِ قُلُوبَهُمْ أَفْطَارُ أَنْكَارِهِمْ فَلَا يَهْتَدُونَ الرُّشْدَ .

« وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى »

أَنَارَ وَظَهَرَ ، وَوَضَحَ وَأَسْفَرَ .

وَنَهَارُ أَهْلِ الرِّفَاقِ بِنْيَاءِ قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَارِهِمْ ، حَتَّى لَا يَتَخَفَى عَلَيْهِمْ شَيْءٌ ، فَسَكَنُوا بِطُلُوعِ

الشَّمْسِ (١) عَنْ تَكَلُّفِ إِخْتِدَادِ السَّرَاحِجِ (٢)

« وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى » .

أَي : « مِنْ » خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ؛ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ :

« إِنَّ سَمِيَكُمْ لَشَقٌّ » .

هَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ ، وَالْمَعْنَى : إِنَّ عَمَلَكُمْ لَخَلْفٌ ؛ فَتَكُنْ مِنْ سَمِيٍّ فِي طَلَبِ دُنْيَاهُ ، وَمِنْكُمْ

مِنْ سَمِيٍّ فِي شَهَوَاتِ نَفْسِهِ وَاتِّبَاعِ هَوَاهُ ، وَمِنْكُمْ مَنْ فِي طَلَبِ جَاهِهِ وَمُنَاهُ ، وَآخَرُ فِي طَلَبِ عَقْبَاهُ ،

(١) يَقْصِدُ شَمْسَ التَّوْحِيدِ .

(٢) إِذَا طَلَمَتْ شَمْسُ التَّوْحِيدِ / تَكُونُ عَارِلَاتِ الْفَلِّ ، لِأَنَّ تَوْرَمًا يَطْلُقُ عَلَى كُلِّ الْاَنْوَارِ .

وآخر في تصحيح قواه ، وآخر في تصفية ذكراه ، وآخر في القيام بحسن رضاه ، وآخر في طلب مولاه .

ومنكم : من يجمع بين سعى النفس بالطاعة ، وسعى القلب بالإخلاص ، وسعى البدن بالقرب ، وسعى اللسان بذكر الله ، والقول الحسن للناس ، ودعاء الخلق إلى الله والنصيحة لهم . ومنهم من سعى في هلاك نفسه وما فيه هلاك دينه . . . ومنهم . . .

قوله جل ذكركه : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى »

« فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى مِنْ مَالِهِ ، « وَاتَّقَى » خَافَهُ رَبَّهُ ...

ويقال : « أَعْطَى » الإِصْطَفَ مِنْ نَفْسِهِ ، « وَاتَّقَى » طَلَبَ الإِصْطَفَ لِنَفْسِهِ (١) . . .  
ويقال : « اتَّقَى » مَخِيطَ اللَّهِ . « وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى » : بِالْحَقِّ ، أَوْ بِالْكُرَّةِ الْآخِرَةِ ، وَبِالنُّفُورِ لِأَهْلِ الْكِبَارِ ، وَبِالشَّامَةِ مِنْ جَهَةِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِإِغْلَافِ (٢) مِنْ قِبَلِ اللَّهِ . . . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى : أَيْ نُسَهِّلُ عَلَيْهِ الطَّاعَاتِ ، وَنُسَكِّرُهُ إِلَيْهِ الْخَلِيقَاتِ ، وَنُنَشِّئُهُ إِلَيْهِ التَّوَكُّبَ ، وَنُجَبِّئُهُ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ ، وَنُزَيِّنُ فِي قَلْبِهِ الْإِحْسَانَ .

ويقال : الإِطَامَةُ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعَوْدُ إِلَى مَا حَمَلَهُ مِنْ عِبَادَتِهِ .

« وَأَمَّا مَنْ يَخْلُ وَاسْتَفْتَى \* وَكَذَّبَ

بِالْحُسْنَى \* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى » .

أَمَّا مَنْ مَنَعَ الْوَجِبَ ، وَاسْتَفْتَى فِي اعْتِقَادِهِ ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى : أَيْ بَادَ كُرْتَانًا ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى : فَيُقَيِّضُ فِي النَّصِيحَةِ وَلَمْ يُدَبِّرْهَا ، وَتَوَقَّفَ (٣) لَهُ أَسْبَابُ الْخَلِيقَةِ .

ويقال « أَعْطَى » أَعْرَضَ عَنِ الْبَارِئِ ، « وَاتَّقَى » أَنْ يَخْلُ لَهَا فِي شَيْءٍ مَقْدَارًا (٤) .

(١) من الصورة أن تصلي . بالإِصْطَفَ : وَأَنْ تَخْلُصَ مِنَ الإِصْطَفَ . . . هكذا قال للشيخ .

(٢) (الْمُغْلَفُ) : بِأَنْفِ الْعَامِ : إِنْ أَتَى بَرُّهُ الْإِيمَانَ مِنْ عِلْمِهِ ، وَبِأَنْفِ الصُّورِ : بِأَلَدَيْنِ يَجْهَمُ - فِي حَالِ الْقِتَالِ - وَنَحْفٍ - فَمِنْهُمْ غِيْلَتُ ( الْفَرْسَةُ الْأَخْضَاءُ مِنْ هَذَا الْجِلْدِ ) .

(٣) هكذا في ص وهي ق م ( يَرْصُقُ ) وهي مقبولة أيضاً ( فاليرصق ) اليسرى هو اليسار لما كان في الآية . . . بل لعلها أقرب إل السياق مما ذكره من .

(٤) حتى يوجه من الأعوام والأفرائس ، ويترك قلبه لله وجهه .

قوله جل ذكره : « وما يُنصِبُ عنه ماله إنا نَرَدُّهُ »

يعنى : إنا مات .. فما الذى ينصِبُ عنه ماله بعد موته ؟

قوله جل ذكره : « إِنْ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ »

لأوليائنا ، الذين أُرشدناهم . ويقال : « إِنْ عَلَيْنَا لَلهُدَىٰ » بنصيب الدلائل .

« وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ »

مُنْكَأً ، نعطيه من شاء .

« فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ »

أى : تَلَظَّىٰ .

« لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ »

أى : لَا يَعْذِبُ بِهَا إِلَّا الْأَشْقَى ، وهو :

« الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ »

يعنى : كَفَرَ .

« وَنَجِّنَ بِهَا الْأَتَقَىٰ » الذى يُؤْتِي

مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ »

يُعْطَى الزَّكَاةَ الْقَرُوصَةَ .

وَيُقَالُ يَتَطَهَّرُ مِنَ الذَّنُوبِ .

وَنَزَلَتِ الْآيَةُ فِي (أَبِي بَكْرٍ) <sup>(١)</sup> وَضَى اللَّهُ عَنْهُ . وَالْآيَةُ عَلَمَةٌ .

---

(١) ما بين القوسين غير موجود في م ، ويوجد فقط « وضى الله عنه » وفي م : يوجد فقط (والآية عامة) فأكلنا السياق .

وغيره : أن التنبؤ (ص) مر ببلال وهو يعذب في الله ويقول :

أحد أحد ، فلما نقل ذلك إلى أبي بكر ، عرف أبو بكر ما يريد الله ، فذهب إلى أمية بن خلف ، واشترى بلالا وأعطاه ، فلما قال المشركون : ما أحسنه أبو بكر إلا ليدبر كانت له عتله ، نزل قوله تعالى : « وما لأحد عنده من نعمة تجزي . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى » .

« وما لأحدٍ عنده من نعمة تُجرى »

حتى تكون هذه مكافأة له . ولا يفعل هذا لِيَتَّخِذَ عند أحدٍ يَدًا ، ولا يطلب  
منه مكافأة :

« إِلَّا أَضَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى »

أى : لِيَقْرُبَ بها إلى الله .

« ولسوف يَرْضَى »

يَرْضَى اللهُ عَنْهُ ، ويرضى هو بما يسطيه .



## سُورَةُ الضُّحَى

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » اسم لا يُشبهه كقولنا<sup>(١)</sup> في ذاته وصفاته ، ولا يستغزه<sup>(٢)</sup> لهو في إثبات مصنوعاته ، ولا يقره سمواً في علمه وحكمته ، ولا يسترضه لقواً في قوله وكلّيته .

فهو حكيم لا يلهو ، وعليم لا يسهو ، وحليم يثبت ويصبر ؛ فالصديق قوله ، والحق حكمه ، والخلق خلقه والملك ملكه .

قوله جل ذكره : « والضحى » والليل إذا سجاً

« والضحى » : ساعة من النهار . أو النهار كله يُسمى ضحى . ويقال : أقسم بصلاة الضحى .

ويقال : الضحى الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام .

« والليل إذا سجاً » أى : ليلة للعراج ، و « سجاً » : أى سَكَنَ ، ويقال : هو عام في جنس الليل .

ويقال : « الضحى » وقت الشهود . « والليل إذا سجاً » الذى قال : إنه ليَكُنَّ على قلبى<sup>(٣)</sup> . . .

(١) أصلها « كلوا » أى سائل ، أو قوى قادر على تعريف الممل .

ويقراً باسم الفاء وسكونها ، فإن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مقسوم فإنه يجوز في منه انغم والاسكان إلا قوله تعالى « وجعلوا له من عاده جزءاً » ( آية ١٥ سورة الزخرف ) .

(٢) استغزه الله = استغله ، واستغزه فلان = أثاره وأزعجه .

(٣) عن آخر مزمعة قال : قال رسول الله (ص) : إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم والمائة مائة مرة « أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقي . وفي رواية لمسلم : « توبوا إلى ربكم ، فوافقني لأتوب إلى ربك تبارك وتعالى في اليوم مائة مرة » .

ويقال : « الليل إناسجا » حين ينزل الله فيه إلى السماء الدنيا — على التأويل الذى يصح فى وصفه<sup>(١)</sup> .

« مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ »

مَا قَطَعَ عَنْكَ الرَّسَىٰ وَمَا انْفَضَكَ<sup>(٢)</sup> .

وكان ذلك حين تأخر جبريل — عليه السلام — عنه أياماً<sup>(٣)</sup> ، فقال أهل مكة : إن محمداً قد قلاه ربه . ثم أنزل الله هذه السورة .

وقيل : احتبس عنه جبريل أربعين يوماً ، وقيل : اثني عشر يوماً ، وقيل : خمسة وعشرين يوماً .

ويقال : سبب احتباسه أن يهودياً سأله عن قصة ذى القرنين وأصحاب الكهف ، فوعده الجواب ولم يقل : إن شاء الله<sup>(٤)</sup> .

« وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ »

أى : ما يعطيك فى الآخرة خيرٌ لك مما يعطيك فى الدنيا .

ويقال : ما أعطاك من الشفاعة والحوض ، وما يُلبسك من لباس التوحيد — غداً — خيرٌ مما أعطاك اليوم .

« وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ »

قيل : أفترضى بالسؤال عن المُلغى ؟ قال : لا .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَجْعَلْ يَتِيماً قَالُوا ؟ »

(١) تقدّم التعليل على هذا الخبر فى هامش سبق .

(٢) مكثاً فى ص وحى فى م (يفضيك) .

(٣) فى البخارى عن جندب بن صفيان قال : اشتكى رسول الله (ص) فلم يبق ليكتين أو ثلاثاً فبعادت امرأة (هى العمراء بنت حرب أخت أبي صفيان ، وحى سماعة الحبلى ، زوج أبي لب) فقالت : يا محمد ، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، ألم أره قريبك منذ ليكتين أو ثلاث ، فأقول الله عز وجل وللنفسى .

(٤) يقال : إن جريراً دخل تحت السرير فى حبيزته ومات ، فلما تيب الوصى سأل خادمه بخولة : يا بخولة ما حدث فى بيتي ؟ ما لجبريل لا يأتي ؟ فلما قامت إلى البيت فكنته وأخبرته بما وجدت .. فلما عاد الوصى سأل عن سير تأخره فقال جبريل : أما علمت أننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة ؟

قيل : إلى عمه أبي طالب .

ويقال : بل آواه إلى كنفِ ظِلِّه ، ورباه بلطفٍ ورعاية .

ويقال : فأولك إلى سِاطِ القربة بحيث اغردت بقميلك ، ثم يشاركك فيه أحدٌ

« وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَى »

أى : ضللت في سِلمِ مكة ، فهدى إليك عمك أبا طالب في حال صبك .

ويقال : « ضالًّا » فيها مصغراً .. فهديك بنا إلينا .

ويقال : « ضالًّا » عن قصيل الشرائع ؛ فهديك إليها بأن عرفتك قصيلها .

ويقال : فيما بين الأقوام ضلالٌ فهداهم بك .

وقيل : « ضالًّا » للاستغناء (١) فهذاك لثلك .

ويقال « ضالًّا » في محبتنا ، فهديك بنور القربة إلينا .

ويقال : « ضالًّا » عن محبتي لك فرقتك أنى أحبك .

ويقال : جاهلاً بمحلِّ شرفك ، فرقتك قدرتك .

ويقال : مستتراً في أهل مكة لا يعرفك أحدٌ فهديناهم إليك حتى عرفوك (٢)

« وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَى »

في التفسير : فأغناك بمال خديجة .

ويقال : أغناك عن الإرادة والطلب بأن أرضاك باقتد (٣)

ويقال : أغناك بالنبوة والكتب . ويقال : أغناك بالله .

---

(١) الكلمة غير واضحة الرسم في النصين ، والله سبحانه هذه الكلمة لأنها أقرب إلى ما في م ، ولأن من النقص السابقة ما يشير إلى أنه لم يقدم المشيئة فترتب في ذلك ولا تقولون لله إلى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله .

(٢) وما تنفق هذه الإشارة مع ما جرت عليه العرب في وصف الشجرة المنفردة في الغداة لا شجر معها بأنها ضالة يعنى بها إلى الطريق لأنها علامة حمزة ، فهي مسروقة للآلها ، ولأنها علامة على الطريق هادية إليه .

(٣) هكذا في م ، وهي في ص ( بالمثل ) ، ولكننا نرجح ما جاء في م ، ولا نستبعد أنها في الأصل ( التفر ) .. فالرضا في حال التفر أو ( التفتد ) آثم في التفتد من الرضا في حال التفتد .. وهل أعظم من التفتد بالله ؟ !

ويقال : أغناك عن السؤال حينما أعطاك ابتلاء ؛ بلا سؤال منك .

قوله جل ذكره : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزِ »

فلا تَهْزِ ، وارفق به ، وقرَّبه

« وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ »

أى : إمَّا أَنْ تُعْطِيَهُ .. أَوْ تَرْدَّهُ بِرِفْقٍ ، أَوْ وَعْدٍ .

ويقال : السائلُ عفاً ، والسائلُ للتصغيرُ فينا — لا نهزم ، فإننا نهلبهم ، ونكشف

مواضع سؤالهم عليهم .. فلا تطفهم أنت في القول .

« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

فاشكُرْ ، وصرِّحْ بإحسانه إليك ، وإتمامه عليك .

## سُورَةُ الْفُرْقَانِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ عزيزٌ عَزَّ مِنَ النَّجَا إِلَيْهِ ، وَجَلَّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ ، وَفَازَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ تَوَكَّلَ بِهِ إِلَيْهِ ؛ فَمَنْ تَقَرَّبَ مِنْهُ قَرَبَهُ وَمَنْ شَكَأَ إِلَيْهِ حَقَّقَ لَهُ مَطْلَبَهُ ، وَمَنْ رَفَعَ قَسَمَهُ إِلَيْهِ قَعَى مَأْرَبَهُ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ نَبْرَحْ لَكَ صَدْرُكَ ؟ »

أَلَمْ نُوسِعْ قَلْبَكَ لِلْإِسْلَامِ ؟ أَلَمْ نُلَيِّنْهُ لِلْإِيمَانِ ؟

ويقال : أَلَمْ نُوَسِّعْ صَدْرَكَ بِنُورِ الرِّسَالَةِ ؟ أَلَمْ نُوسِّعْ صَدْرَكَ لِقَبُولِ مَا نُوَرِّدُ عَلَيْكَ .

« وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ • » انتهى أعض

ظهورك »

أى : أَلَمْ تَكُنْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ .

ويقال : عَصَمْنَاكَ عَنِ ارْتِكَابِ الْوِزْرِ ؛ فَوَضَعْنَا عَنْهُ بَأْتَهُ لَمْ يَسْتَوْجِبْهُ قَطْرٌ .

ويقال : خَفَضْنَا عَنْكَ أَعْيَاءَ النُّبُوَّةِ وَجَلَدْنَاكَ مَحْمُولًا لَا مُتَحَمِّلًا <sup>(١)</sup> .

ويقال : قَوَيْنَاكَ عَلَى التَّحَمُّلِ مِنَ الْإِلْقَى ، وَقَوَيْنَاكَ لِلشَّاهِدَاتِنَا ، وَحَفَظْنَا عَلَيْكَ مَا

اسْتَحْفَظْتَ <sup>(٢)</sup> ، وَحَرَسْنَاكَ عَنِ مَلَاخِظَةِ الْإِلْقَى فَيَا شَرِّ قَتَاكُ بِهِ .

(١) وهذه أسمى درجات الحب ، وقد مر بنا كيف قارن التشييع بين مرافق موسى ، ومرافق المصطفى صلوات الله عليهما ، وكيف أوضح لنا أن موسى كان متحملاً بينما كان نبياً محمولا .  
(٢) إشارة إلى القرآن ، الذي حفظ من التشييع والتشريف ... إلى الأبد .

« الذي أفض ظهرك » : أى : أهله ، ولولا سحلتنا عنك لكثير .

« ورَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ »

يَذْكُرُنَا ؛ فكما لا نَصِيحُ كلمة الشهادة إلا لى ، فإنها لا تَصِيحُ إلا بك . (١)

ويقال : رضا لك ذِكْرُكَ يقول الناس : محمد رسول الله !

ويقال : أُمِنَّا لك شرف الرسالة .

« فَلْيَنْ مَعَ السُّرِّ يُسْرًا • إِنَّ مَعَ

السُّرِّ يُسْرًا »

وفى الخبر : « لَنْ يَنْبَغُ عُسْرُ يُسْرَيْنِ » (٢) ومعناه : أن السر بالآلف واللام فى الموضعين للعهد — فهو واحد ، واليُسْرُ مُنْكَرٌ فى الموضعين فهما شيئان . والعُسْرُ الواحد : ما كان فى الدنيا ، واليُسْرَانِ : أحدهما فى الدنيا من انصب ، وزوال البلاء ، والثانى فى الآخرة من الجزاء ؛ وإنَّا فُسِّرُ جميع المؤمنين واحد — وهو ما نابهم من شدائد الدنيا ، وَيُسْرُهُم اثنان : اليوم بالكشْفِ والصَّرْفِ (٣) ، وغداً بالجزاء .

قوله جل ذكره : « فَلِذَا فَرَعْتَ فَانْصَبْ »

فَلِذَا فَرَعْتَ مِنَ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَةِ عَلَيْكَ فَانْصَبْ فى الدعاء .

ويقال : فَلِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْعِبَادَةِ فَانْصَبْ فى الشفاعة .

ويقال : فَلِذَا فَرَعْتَ مِنْ عِبَادَةِ نَفْسِكَ فَانْصَبْ بِقَلْبِكَ .

« وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ »

فى جميع الأحوال .

ويقال : فَلِذَا فَرَعْتَ مِنْ تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ فَارْغَبْ فى الشفاعة .

---

(١) فلا تَصِحُّ الشهادة شراً إلا إذا قلنا : .... وأن عمداً رسول الله .

(٢) البخارى ص ١٤٥ - ٣ .

(٣) (الكشف) هنا ليس كما قد نفهم من قبيل المصطلح السوق ، بل هو كشف الدعة وصرف الهبة ، فهى لفظة عامة فى هذا السياق .

## سُورَةُ التِّينِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

اسم « الله » يدلُّ على جلال مَنْ لم يَزَلْ ، ويُضَيِّرُ عن جلالِ مَنْ لم يَزَلْ ، يَنْبَغِي عَلَى إِقْبَالِ مَنْ لم يَزَلْ ، يَشِيرُ إِلَى إِنْضَالِ مَنْ لم يَزَلْ ؛ فَالْعَارِفُ شَهِيدٌ (١) جَلَالَهُ فَطَّاشَ ، وَالصَّقِيُّ شَهِيدُ جَلَالِهِ فَطَّاشَ ، وَالْوَلِيُّ شَهِيدُ إِقْبَالِهِ فَارْتَّاشَ ، وَالرَّيْدُ شَهِيدُ إِنْضَالِهِ فَلَا يَطْلُبُ مَعَ كِفَايَةِ الْمَاشِ .

قوله جل ذكره : « والتين والزيتون »

أَتَسَمَّى بِالتِّينِ لِمَا بِهِ مِنْ عَظِيمِ الْبِنَةِ عَلَى الْخَلْقِ حَيْثُ لَمْ يَحْمِلْ فِيهِ التَّوْبَى ، وَخَلَصَهُ مِنْ شَاثِبِ التَّنْفِيصِ ، وَجَعَلَهُ عَلَى مَقْدَارِ الْقِيَمَةِ لِتَكْمُلَ بِهِ الْفِدَّةُ . وَجَعَلَ فِي « الزَّيْتُونِ » مِنَ الْمَنَافِعِ مِثْلَ الْإِسْتِصْبَاحِ وَالتَّأْدُّمِ وَالْإِصْطِبَاحِ بِهِ .

« وَطُورِ سَيْنٍ »

الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ . وَلَوْضِعَ قَدَمِ الْأَحْبَابِ حُرْمَةً .

« وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ »

يَعْنِي : مَكَّةَ ، وَلِهَذَا الْبَلَدُ شَرَفٌ كَبِيرٌ ، فَهِيَ بَلَدُ الْحَبِيبِ ، وَفِيهَا الْبَيْتُ ؛ وَلَبِيتِ الْحَبِيبِ وَبَلَدُ الْحَبِيبِ فَلَمْ يَمُوتْ وَمَنْزِلَةٌ (٢) .

(١) مَنْ هُنَا يَهْدِي إِلَى النُّسْخَةِ بِأَفْسَ فِي النُّسْخَةِ مِنْ يَتْلُوهُ . سَقُوطٌ حَتَّى بِدَايَةِ سُورَةِ الْمَائِدَاتِ . وَلِهَذَا نَسْتَدُفِي بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ عَلَى النُّسْخَةِ وَسَدَهَا .

(٢) مَا ذَهَبَ لِلْمُسْرُونِ فِي تَقْسِيرِ : التِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنٍ ، وَالْبَلَدِ الْأَمِينِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : إِنَّ التِّينَ إِشَارَةٌ إِلَى الْجَبَلِ دِمَشْقَ وَهُوَ مَاوَى مَوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالزَّيْتُونُ جَبَلُ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فَهُوَ مَقَامُ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعِهِمْ ، وَطُورِ سَيْنٍ إِشَارَةٌ إِلَى مُوسَى كَلَّمَ اللَّهُ ، وَالْبَلَدِ الْأَمِينِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَكَّةَ هِيَ بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَهِيَ دَارُ عَمَدِ صَلَواتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. فَكَانَ مَطَالَعُ السُّورَةِ تَشِيرُ إِلَى الْبَهَائِ وَالْيَاقُوتِ .

قوله جل ذكره : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن

قوم » .

في اعتدال قامته ، وحسن تركيب أعضائه . وهذا يدل على أن الحق — سبحانه — ليس له صورة ولا هيئة ؛ لأن كل صفة اشترك فيها الخلق والحق فالبالغة للحق .. كالعلم ، فالأعلم الله ، والقدرة : فالأقدر الله ، فلو اشترك الخلق والخلق في التركيب والصورة لكان الأحسن في الصورة الله ... فلما قال : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن قوم » علم أن الحق — سبحانه — مُزَوَّجٌ عن التقويم وعن الصورة .<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « ثم رددناه أسفل سافلين »

أى : إلى أرحل الصر وهو حال الخرق<sup>(٢)</sup> والهزم .

ويقال : « أسفل سافلين » : إلى النار والماوية في أقيح صورة ؛ فيكون أول الآية علما وآخرها خاسا بالكفار .. كما أن التأويل الأول — الذى هو حال الهزم — خاص في البعض ؛ إذ ليس كل الناس يملنون حال الهزم .

« إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

فلهم أجرٌ غير ممنون »

أى : غير منقوص .

ويقال : « ثم رددناه أسفل سافلين » أى : إلى حال الشقاوة والكفر إلا المؤمنين .

قوله جل ذكره : « فأيكذبك بعدُ بالذين »

أيها الإنسان .. مع كل هذا البرهان والبيان ؟

« أليس الله بأحكم الحاكمين » ؟

(١) في هذا رد جميل متفنن على المشقة ، وعلى كل من تصور وهمي للألوهية .

(٢) الخرق = شاد القتل بسبب كبر السن .



## سُورَةُ الْعَلَقِ

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم»

«بسم الله» كلمة سماعها يوجب أحد أمرين: «إِمَّا صَحْوًا وَإِمَّا مَخَوًا؛ صحواً لِنَسَمِهَا بشاهد العلم فيستبصر بواضح برهانه، أو مخواً لِنَسَمِهَا بشاهد للمرقة لأنه يتخبر في جلال سلطانه.

قوله جل ذكره: «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»

هذه السورة من أول ما نَزَلَ على المصطفى صلى الله عليه وسلم لما تعرض له جبريل في الهواء، ونَزَلَ عليه قال: «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ». فالتأني كَلِمَتُهُمْ يريدون — وهو صلى الله عليه وسلم كان مُرَادًا. فاستقبل الأمر بقوله: «ما أنا بقارئ»، فقال له: «أَقْرَأْ، قال: ما أنا بقارئ»، فقال له: «أَقْرَأْ كما أقول لك؛ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. أى خلقهم على ما هم به.

«خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ»

العلق جمع علقَة؛ كشجر وشجرة.. (والعلقة النَمُ الجلود فلذا جرى فهو السفوح).

«أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ»

«الأكرم»: أى الكريم.

ويقال: الأكرم من كل كريم.

«الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ • عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»

عَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَعْلَمُوا: الضرورى، والكسفى.

« كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ » (١)

أى : يتجاوز جده إذا رأى في نفسه أنه استغنى ؛ لأنه يفتنى عن مواضع افتقاره .

و لم يقل : إن استغنى بل قال : « أن رأه استغنى » فإذا لم يكن مُتَجَبِّاً بنفسه ، وكان مشاهداً لحال افتقاره — لم يكن طاعياً (٢) .

قوله جل ذكره : « إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى » .

أى : الرجوع يوم القيامة .

قوله جل ذكره : « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى »

أليس لو لم يصل هذا كان خيراً له ؟ ففي الآية هذا الإضمار .

« أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُدَّةِ » أو أمر بالتثنية .

لكان خيراً له ؟

« أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى »

كذَّبَ بِالَّذِينَ ، وَتَوَلَّى عَنِ الْمُدَّةِ .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى » ؟

أى : ما الذى يستحقه من هذه صفته ؟

والتخويفُ برؤية الله تنبيه على انراقية - وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ حَالَ الْمُرَاقَبَةِ لَمْ يَرْتَقِ مِنْهُ إِلَى حَالِ

الشاهدة .

قوله جل ذكره : « كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ »

نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِلَةٍ

(١) قبل قلت في أبي جهل حين نهى النبي «ص» عن الصلاة ، فأمر الله نبيه أن يصل في المسجد ويقرأ باسم الرب .. والذين يرون ذلك يرون أن السورة ليست من أوائل ما نزل من القرآن . أو يجوزون أن تكون أوائل السورة كذا وأن يثبتها في شأن أبي جهل - أى متأخرة .

روى البخارى عن ابن عباس : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصل عند الكعبة لأخاف أن على عنقه . فبلغ النبي ذلك فقال : لو نزل لأخفته الملائكة . ( البخارى - ٣ ص ١٤٦ ) .

(٢) من أشد آفات الطريق خطراً ملاحظة النفس ، وتأنيك بدعائها .

لَنَاخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ (وهي شَعْرُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ) أَخْذًا لِإِذْلَالِهِ . وَمَعْنَاهُ لَنَسُودَنَّ وَجْهَهُ .

وقوله : « نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِلَةٌ » بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ : « لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ » (١)

« فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ » سَدَّعُ الزَّيَّانِيَةِ

فَلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيَةِ وَأَهْلَ مَجْلِسِهِ ، وَسَدَّعُوا الزَّيَّانِيَةَ وَأَمَرَهُمْ بِإِعْلَانِهِ .

قوله جل ذكره : « كَلَّا لَا تَطْمَعُ » وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ

أَي : اقْتَرِبْ مِنْ شُهُودِ الرَّبُّوبِيَةِ بِقَلْبِكَ ، وَقِفْ عَلَى بَسَاطَةِ الْمُبُودِيَةِ بِنَفْسِكَ .

وَيُقَالُ : فَاسْجُدْ بِنَفْسِكَ ، وَاقْتَرِبْ بِسِرِّكَ (٢) .

---

(١) نسبة الكذب والخطيئة إلى الناصية يقصده بها صاحب الناصية كقولهم : نهاره صائم وليله قائم ، أي هو صائم في نهاره وقائم في ليله .

(٢) السجود عبادة الظواهر ، ولهذا ربطها بالتقوى بالنفس ، فكأن ما يتصل بالظواهر يرتبط - عنده - بالنفس ، وأما الاقترب فهو عبادة الباطن المرتبطة بالسر .

## سُورَةُ الْقَدْرِ

قوله جل ذكره « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » كلمة تُخَفِّضُ قُلُوبَ الْمَلَأَةِ لِتَأْتِلَ الشَّوَاهِدَ ، وَتُسَكِّرُ قُلُوبَ الْكَافِرِينَ إِذَا وَرَدُوا لِلشَّاهِدِ . . . فهُؤُلَاءِ أَحْضَرَهُمْ فَبَصَّرَهُمْ ، وَعَلَى اسْتِدْلَالِهِمْ نَصَرَهُمْ .  
وهؤلاء بشرابِ محابَّةٍ أَسْكَرَهُمْ ، وَفِي شَهَادَةِ جَلَالِهِ حَيَّرَهُمْ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » .

فِي لَيْلَةِ قَدَرٍ فِيهَا الرَّحْمَةُ لِأَوَّلِيَّائِهِ ، فِي لَيْلَةٍ يَعْدُ فِيهَا الْعَابِدُونَ قَدَرَهُمْ نَوَاسِئِهِمْ ، وَيَشْهَدُ فِيهَا الْعَارِفُونَ قَدَرَهُمْ مَبُودِهِمْ . . . وَتَتَنَبَّأُ بَيْنَ وَجُودِ قَدَرٍ \* وَشُهُودِ قَدَرٍ الْهَوَلاءِ وَجُودِ قَدَرٍ وَلَكِنْ قَدَرِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَهُؤُلَاءِ شُهُودُ قَدَرٍ وَلَكِنْ قَدَرِ مَبُودِهِمْ

« وَمَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟ »

استغفامٌ عَلَى جِهَةِ التَّضَمُّعِ لِشَأْنِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ .

« لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ » .

أَيُّ : هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَتْ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . هِيَ لَيْلَةٌ قَصِيرَةٌ عَلَى الْأَحْبَابِ لِأَنَّهَا فِيهَا  
فِي مَسَامِرَةٍ وَخَطَابٍ . . . كَمَا قِيلَ :

لَا لَيْلَةَ مِنْ لَيْلَى الْعَصْرِ قَابِلَتْ فِيهَا بَدْرَهَا يَبْدُرُ  
وَلَمْ تَكُنْ عَنْ شَفَقٍ وَفَجْرِ حَقٌّ تَوَلَّتْ وَهِيَ يَكْرُؤُ الْعَصْرَ

قوله جل ذكره : « تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا

يُنْزِلُ رَبُّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ • سَلَامٌ

هُوَ حَقٌّ مُطْلَعُ الْغَيْبِ » .

« الروح فيها » : قيل جبريل . وقيل : مَلَكٌ عَظِيمٌ

« يُنْزِلُ رَبُّهُمْ » : أى بأمر ربهم .

« مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ » : أى مع كل مأمورٍ منهم سلامٌ عَلَى أُولِيائِهِ (١) .

« هُوَ حَقٌّ مُطْلَعُ الْغَيْبِ » : أى هُوَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ يُطْلَعَ الْغَيْبُ .

---

(١) قد يتأيد رأى التشيعى في اختيار هذا التفسير الذى يتم به الكلام بما يرويه أنس - قال : قال رسول الله (ص) :  
إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كعبة (سجدة) من الملائكة ، يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد  
يذكر الله تعالى .

## سُورَةُ الْفُرْيَكان

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » : اسمٌ عزيزٌ تَنَصَّلُ إِلَيْهِ لِلذَّنْبِونَ فَتَقَرَّبَ لَهُمْ وَجِبَرَمٌ<sup>(١)</sup> : وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ  
لِلطَّيِّبِونَ فَوَسَّطَهُمْ وَنَصَرَهُمْ .

تَقَرَّبَ إِلَيْهِ الْعَالِيُونَ فَبَصَّرَهُمْ ، وَتَقَرَّبَ مِنْهُ الْعَادِفُونَ فَقَرَّبَهُمْ ... لَكِنَّهُ — سُبْحَانَهُ —  
فِي جَلَالِهِ حَيَّرَهُمْ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ  
الْبَيِّنَةُ » .

« مُنْفَكِينَ » : مُنْتَهِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ : وَهِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ ، أَيْ لَمْ يَزَالُوا يَجْتَمِعُونَ عَلَى تَصْدِيقِهِ ؛ لِمَا وَجَدُوهُ فِي كُتُبِهِ . إِلَى أَنْ بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى .  
فَلَمَّا بَيَّنَّهُ حَسَدُوهُ وَكَفَرُوا .

« رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يُلَاقُوا مُخْتَلِفًا  
مُطَوَّرَةً » قَبِيحًا كُتِبَ قِيَمَةً » .

(١) فِي النُّسخَةِ م تَوْجِدُ بَدَلًا لِلْمَوْضِعِ الْفَارِغِ لَتَالِيَةِ فَوَرْتَكُلَّ إِلَيْهِ الْمَعْبُودُونَ فَجِبَرَمَ . وَنَسْتَبْدِهُ ، جَوْهَرًا  
فِي الْأَصْلِ ؛ لِأَن تَرْتِيبَ الْعَارِضِينَ لَا يَأْتِي بَيْنَ الْمَذْنُونِ وَالْمُطْبَعِينَ ، وَإِنَّمَا يَأْتِي بَدَلُ « الْعَالِينَ » ، كَمَا دُرُتَابِت  
فِي النُّسخَةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي أُثْبِتَهُ هُنَا . كَمَا أَنَّ « جِبَرَمَ » قَدْ يَتَصَلُّ بِالزَّلَّاتِ وَالْأَنْوَابِ ... فَيَدْرُ أُن  
الْفِتْنَةُ مُنْصَلَةً بِالْمُتْبَعِينَ ، وَيَتَأَمَّلُ مَا اجْتَرَأَهُ بِالْبَيِّنَاتِ الَّتِي تَأَلَّفَهُ فِي أَسْلُوبِ الْبَيِّنَةِ عِنْدَ الشَّيْخِ ، نَسَبًا عَنْ عَدْتِهِ  
لِلْمُوسِقِيِّ وَالْمَعْنَى .. وَهَذَا الْمُنْتَصِرُ إِذَا الْأَسَاسِيَّاتِ فِي تَسْجِيعِ الْبَيِّنَةِ عَنْهُ .

(٢) التَّحْيِيرُ فِي الْجَلَالِ صِلَةُ بَدَسَ ، وَلِلَّاهِ يَقُولُ يَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ : يَا دَلِيلَ الْمُتَحْيِرِينَ زِدْنِي تَحْيِيرًا .. لِأَنَّهُ غَرِقَ  
فِي بَحْرِ الْوُجُودِ عِنْدَ التَّهْوُدِ .

أى حتى يأتيهم رسول من الله يقرأ كتاباً مطهرةً عن تبديل الكفر .

« فيها كتب قيّة » <sup>(١)</sup> : متوية ليس فيها اعوجاج .

قوله جل ذكره : « وما تَقْرَأُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ » .

يعنى : القرآن .

قوله جل ذكره : « وما أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّاءُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَفَكَرِهُوا لِلدِّينِ » .

« مخلصين له الدين » أى موحدين لا يُشركون بالله شيئاً ؛ فالإخلاصُ ألا يكونَ شيءٌ من حركاتك وسكناتك إلا لله .

ويقال : الإخلاصُ تصفيةُ العملِ من الغلظِ .

« حفاء » : مائلين إلى الحقِّ ، مائلين عن الباطل <sup>(٢)</sup> .

« وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ » . وذلك دينُ التَّيْمَةِ : أى دينُ السِّلَةِ التَّيْمَةِ ، والأمةُ التَّيْمَةُ ، والشرعيةُ التَّيْمَةُ .

قوله جل ذكره : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

وَالشَّرْكَاءِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ » .

« خالدين فيها » : مقبين . « البرية » : الخلقية .

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَحَمَّلُوا الصَّالِحَاتِ

أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » .

(١) يرى القرطبي : أن « كتباً » هـ بئرٌ ، بحكام ؛ لأن كَتَبَ بمعنى حكَمَ ، قال تعالى : « كَتَبَ اللَّهُ لَأُولَئِكَ » سورة المجادلة .

(٢) كلمة « حفاء » من الأعداد ، فهي تحمل معنى (الميل) عن الباطل و (الاستقامة) في طريق الحق .

أى : خير اتلقت ، وهنا يدل على أنهم أفضل من الملائكة .

قوله جل ذكره: « جزاؤم عند ربهم جنات عدن

تجرى من تحتها الأنهار خالدون

فيها أبداً » .

« جزاؤم » : أى ثوابهم فى الآخرة على طاعتهم .

« تجرى من تحتها الأنهار » أى : من تحت أشجارها الأنهار .

« رضى الله عنهم ورضوا عنه » .

فلم يبقَ لهم مطالبة إلا حَقَّقَهَا لهم .

« ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ » .

أى : خافه فى الدنيا .

والرضا سرور القلب بمر القضا .

ويقال : هو سكون القلب تحت جريان الحكم .



## سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

«بِسْمِ اللَّهِ» كلمةٌ مَنْ تَأَمَّلَهَا بِمَافِيهَا وَوَقَفَ عَلَى مَا أُوْدِعَ فِيهَا رَسَمَتْ أَسْرَارُهُ فَيُؤَاوِضُ مِنَ الْإِنْسِ مَوْقِفَةً، وَأَيَّسَتْ أَفْكَارُهُ بِلَوَائِحِ مِنَ الْيَقِينِ مُشْرِقَةً، فَهِيَ عَلَى جَلَالِ الْحَقِّ شَاهِدَةٌ، وَهِيَ عَلَى مَا يَحِيطُ بِهِ اللَّهُ كَرُّ وَيَأْتِي عَلَيْهِ الْعَصْرُ زَائِدَةٌ .

قوله جل ذكره: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا

وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَخْلَاقَهَا» .

أى: أمواتها، وما فيها من الكنوز والدفائن .

«وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا؟»

يعنى الكفارُ الذين لا يؤمنونُ بها أى بالبعث<sup>(١)</sup> .

«يَوْمَئِذٍ تُنْفَخُ الْأَرْضُ

يَوْمَئِذٍ تُنْفَخُ الْأَرْضُ :

«بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا» .

أى: إنما تمَّلَ ذلك بأمر الله .

(١) روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : هو الأسود بن عبد الأسد ، ويرى بعض المفسرين : أن الإنسان هنا هو كل إنسان من مؤمن وكافر لأن الجميع لا يعلمون أشراف الساعة في ابتداء أمرها إلّا أن يتحققوا صوبها ، ولذا يسأل بعضهم بشيء .  
أما للتفسير فقد نظر إليها من ناحية الاعتراف وجعل من يسأل عنها كلفاً بها جهاداً لها . أمّا المؤمن فلا حاجة له في السؤال .

«يَوْمَئِذٍ يَخْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّئِيَّوَا<sup>(١)</sup>  
أَعْمَالِهِمْ» .

« أَشْتَاتًا » : مغترقين . « لِّئِيَّوَا أَعْمَالِهِمْ » لِيُحَاسَبُوا .

قوله جل ذكره : « فَن يَسْمَلَنَّ ذَرَّةٌ خَيْرًا يَرَهُ » •  
وَمَنْ يَسْمَلَنَّ ذَرَّةٌ شَرًّا يَرَهُ » .

فِيهِمَا يَبَيِّنُ عَنَّا هـ -

---

(١) هذه قراءة العامة . وقرأ الحسن والنخعي وقشادة والأعرج وابن عامر وطاعة بنسبها : وَلِيَّوَا .

## سُورَةُ الْمَادِيَاتِ

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

«بِسْمِ اللَّهِ» كلمةٌ غَيْرٌ لَا يَصْلُحُ لَدِكُمَا إِلَّا لَأَنَّهُ مَصُونٌ<sup>(١)</sup> ، عن القنبر والنية ، ولا يصلح لمركبها إِلَّا لِقَبِّ مَحْرُوسٍ عَنِ التَّغَلُّفِ وَالنِّيَّةِ<sup>(٢)</sup> ، ولا يصلح لِحَبَّتِهَا إِلَّا لِرُوحٍ مَحْفُوظَةٍ عَنِ الْعَلَاةِ وَالْحَبِيَّةِ .

قوله جل ذكره: «وَالْمَادِيَاتِ رَبُّهَا» .

«الماديَاتِ» : الخليلُ الَّذِي تَمْدُو<sup>(٣)</sup> .

«رَبُّهَا» أَيِ إِذَا ضَبِحَ ضَبْحًا ، وَالضَّبْحُ : هُوَ صَوْتُ أُجَافِهَا إِذَا عَدَوْنَ . وَيُقَالُ : ضَبَحَهَا هُوَ شِدَّةُ نَفْسِهَا عِنْدَ الْمَدْوِ .

وَقِيلَ : «وَالْمَادِيَاتِ» ؛ الْإِبِلُ<sup>(٤)</sup> .

وَقِيلَ : أَقْسَمَ اللَّهُ بِأَفْرَاسِ الْغَزَاةِ<sup>(٥)</sup> .

«فَالْمُورِيَاتِ قَدَحًا» .

تَوَرَّى بِمَحَافِرِهَا النَّارَ إِذَا عَدَّتْ وَأَصَابَتْ سَنَابِكُهَا الْحِجَارَةَ بِاللَّيْلِ .

(١) مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ نَبَأُ النُّسَخَةِ مِنْ يَدِ الْبَيَاضِ وَالسُّقُوطِ الْفَنِينِ أَثَرْنَا إِلَيْهَا مِنْ قَبْلِ .

(٢) الْغَنِيَّةُ الْمُتَّصِلَةُ بِاللَّسَانِ هِيَ الْكَلَامُ فِي حَقِّ الْغَالِبِ ، وَالنِّيَّةُ الْمُتَّصِلَةُ بِالْقَلْبِ هِيَ وَرُودُ وَارِدٍ مِنْ أَى نَوْعٍ يُسْتَطَلُّ الْإِتِّمَاءُ لِلْكَامِلِ خَيْرُ الْمَحْبُوبِ ، كَالْتَفَكِيرِ فِي الثَّرَابِ أَوْ الْخَوْفِ مِنَ الْعَقَابِ ، أَوْ الطَّعَسِ فِي الْأَعْوَافِ ، أَوْ اسْتِحْجَالِ غَيْرِهِ .. وَنَحْوُ ذَلِكَ مَا يَشُوبُ كَأْسَ الْحَيَّةِ مِنْ غَيْرِيَّةٍ .

(٣) الْمَدْوُ : هُوَ تَهَادُّ الْأَرْجُلِ فِي سُرْعَةِ الْمَشْيِ .

(٤) هَكَذَا فِي ص وَهِي فِي م (الليل) وَهِيَ غَطَاةٌ فِي النَّخْسِ وَالْقَدَمُ الْمُسْتَعْمَلُ مَعَ الْإِبِلِ هُوَ (ضَبْحٌ) فَتَكُونُ

(ضَبْحًا) هَذَا بِجَاهِ مِدَالَةٍ مِنْ مِثْنِ (الْقُرْطُبِيِّ ٢٠٥ ص ١٥٦)

(٥) فِي الْخَبَرِ : «مَنْ لَمْ يَسْرِفْ حُرْمَةَ فَرَسِ الْبَاغِي نَفِيهِ شَبَّهَ مِنَ الْفِتْنَةِ» .

وقال : الَّذِينَ يَدْرُونَ النَّارَ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْحَرْبِ .

وقال : هِيَ الْأَيْسَةُ .

« قَالَتِ الْمَيِّتَاتُ صُبْحًا » .

تُفَيِّرُ عَلَى الْمَدْوِّ صَبَاحًا .

« فَأَتَرْنَ بِهِ قَعًا » .

أى : فَيَجَنَّ بِهِ غِيَارًا .

« فَوَسَطْنَ بِهِ جَنًّا » .

أى : تَوَسَّطْنَ لِلْكَانِ ، أى : تَتَوَسَّطُ الْغِيلَ بِمَوَارِسِهَا جَمْعَ الْمَدْوِّ .

« إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ » .

هَذَا هُوَ جَوَابُ الْقِسْمِ .

« لَكَنُودٌ » : أى لِكُفُورٍ بِالنِّعَةِ (١) .

« وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ » .

أى : وَإِنَّهُ عَلَىٰ كُنُودِهِ لَشَهِيدٌ

« وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » .

أى : وَإِنَّهُ لِبَغْيٍ لِلْأَجْلِ حُبٌّ لِلَّالِ (٢) .

قوله جل ذكره : « أَفَلَا يَعْلَمُ إِنْذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ » .

أى : بُعِثَ لِلْوَقْدِ .

« وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ » .

يُبَيِّنُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

« إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ » .

(١) روى عن ابن عباس : أَنَّ الْكَنُودَ يُلْسَنُ كُتْفَهُ وَحُمْرُ مَوْتٍ : الْعَاسَى ، وَيُلْسَنُ رِيْمَةً وَمَعْرُ : الْكُفُورُ ؛ يُلْسَنُ كُتْفَهُ : الْبَغْيُ الْبَغْيُ الْمَلَكَةُ .

(٢) قَالَ تَمَالُ : « إِنَّ تَرْكَ خَيْرٍ » آيَةُ ١٨٠ مَوْدَةِ الْبَقَرَةِ .

أفلا يعلم أن الله يُجَازِيهِمْ — ذلك اليوم — على ما أسلفوا ، ثم قال على الاستئناف :  
« إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ » .

ويقال في معنى الكَنُود<sup>(١)</sup> : هو الذي يرى ما إليه مِنَ الْبَلَوَى ، ولا يرى ما هو به مِنَ النُّعْمَى .

ويقال : هو الذي رأسه على وسادة النسي ، وَقَلْبُهُ فِي مِيدَانِ النُّفْلَةِ .

ويقال : الْكَنُودُ : الذي يَفْسُقُ النِّعَمَ وَيَسُدُّ لِلصَّائِبِ .

وقوله : « وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ » ، يحتمل : وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى حَالِهِ لَشَهِيدٌ .

---

(١) لعل التشديد هنا مستطرد من قول ذي النون المصري : الْكَنُودُ : هو الذي إذا سَمِعَ الشَّرَّ جَزَع ، وإذا سَمِعَ الْخَيْرَ مَنُوع ، يَجْزَعُ مِنَ الْبَلَوَى ، وَيَمْنَعُ الشُّكْرَ عَلَى النَّعَى .

## سُورَةُ الْقَارِعَةِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » كلمة إذا سمعها العاصون نَسُوا زَلَّتْهُمْ فِي جَنْبِ رَحْمَتِهِ ، وإذا سمعها العابدون نسوا صَوْلَتَهُمْ فِي جَنْبِ إِلَهِيَّتِهِ .

كَلِمَةٌ مِّنْ سَمْعِهَا مَا غَادَرَتْ لَهُ شَيْئًا إِلَّا كَفَقَهُ ، وَلَا أَمْرًا إِلَّا أَصْلَحَتْهُ ، وَلَا ذَنْبًا إِلَّا أَغْفَرَتْهُ ، وَلَا أَرْبَابًا إِلَّا قَضَتْهُ .

قوله جل ذكره : « الْقَارِعَةُ » ما الْقَارِعَةُ ؟ .

الْقَارِعَةُ : اسمٌ من أسماء القيامة ، وهى صيغة « فاعلة » من الْقَرَعَ ، وهو الضربُ بشدة .  
سُمِّيَتْ قَارِعَةً لِأَنَّهَا تَقْرَعُهُمْ .

« وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ؟ » .

تهويلًا لها .

« يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ

لِلْبُيُوتِ » .

أى : الْمُتَفَرِّقِ . . . وعند إعادتهم يركب بعضهم بعضا .

« وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنْفُوشِ » .

أى : كَالصُوفِ الْمَبْصُوغِ .

والمعنى فيه : أن أصحاب الدعاوى<sup>(١)</sup> وأرباب القوة فى الدنيا يكونون — فى القيامة إذا

(١) هكذا فى س ، وهى فى م (كنواى) وهى خطأ من الناسخ ، وقد وردت صيغة فيها بعد ؟ فالملقود «عزى المسر» .

بُشُوا - أضف من كل ضيف ؛ لأن أقوى هناك تسقط ، والمعنى تَهْلُ .  
 قوله جل ذكره : « فَأَمَّا مَنْ هَلَكَ مَوَازِينُهُ • هُوَ فِي  
 عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ •  
 مَنْ هَلَكَ مَوَازِينُهُ بِالْخَيْرَاتِ هُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ؛ أَيْ مَرْضِيَةٍ .  
 ووزن الأعمال يومئذ يكون بوزن الصنف . ويقال : يَخْلُقُ بِذَلِكَ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَضْأَلِهِ  
 جَوْهَرًا ، وَتُوزَنُ الْجَوَاهِرُ وَيَكُونُ ذَلِكَ وَزْنُ الْأَعْمَالِ .  
 « وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ • فَأَمَّهُ  
 هَالِيَةٌ •  
 مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ مِنَ الطَّاعَاتِ - وَمِنَ الْكُفَارِ - فَأَوَاهُ هَالِيَةٌ .

« وَمَا أَذْرَاكَ مَاهِيَةً ؟ • نَارٌ حُلِيمَةٌ • » .  
 سؤالٌ على جهة التهويل <sup>(١)</sup> . ولم يرد الخبير بأن الأحوال توزن ، ولكن يجازى كلٌّ  
 بمِثْلِهِ بما هو كَسْبٌ لَهُ ، أَوْ وَصَلَ إِلَى أَسْبَابِهَا بِكَسْبِهِ مِنْهُ <sup>(٢)</sup> .

(١) هكذا في م وهي في ص (التحويل) وهي خطأ من الناسخ .

(٢) بعد أن تحدث عن ميزان الأعمال تحدث عن ميزان الأجزاء .. ومن المعلوم أن الأعمال جهود كسبية ،  
 والأحوال مواهب فيضية .. ولكن قد يكون فيها شيء من الكسب فضلًا : إذا رضى العبد بالقبض أنعم الحق عليه  
 بالبسط ، وإذا راعى حدود الوقت ظفر بمقتضيات الوقت وإلا ... كان الوقت عليه مقتضى والإنسان لا يحاسب  
 إلا على ما كسب .

## سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

« بِسْمِ اللَّهِ » : اسمٌ عَزِيزٌ قَدَسٌ فِي آزَالِهِ عَنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَمْ يَحْتَجْ فِي آيَاتِهِ إِلَى زَمَانٍ أَوْ إِلَى مَكَانٍ ؛ لَا يَقْطَعُهُ حَدٌّ فَأَنَّى يَجُوزُ فِي وَصْفِهِ لِلْمَكَانِ ؟ وَلَا يَقْطَعُهُ عَدٌّ فَأَنَّى يَجُوزُ فِي وَصْفِهِ الزَّيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ ؟ <sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « أَلْهَاكُمْ التَّكْوِيْنُ • حَتَّى زُرْتُمُ الْقَابِرَ » .

أَي : شَغَلَكُمْ تَفَاخُرُكُمْ فَيَا بَيْتَكُمْ إِلَى آخِرِ أَعْمَالِكُمْ إِلَى أَنْ مِيتُمْ .  
وَيَقَال : كَانُوا يَفْتَخِرُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ ؛ فَكَانُوا يَشِيدُونَ بِذِكْرِ الْأَحْيَاءِ ، وَبِغَضِّهِمْ مِنْ أَسْلَافِهِمْ .

فَقَالَ لَهُمْ : شَغَلَكُمْ تَفَاخُرُكُمْ فَيَا بَيْتَكُمْ حَتَّى عَدَدْتُمْ أَمْوَالَكُمْ مَعَ أَحْيَائِكُمْ . وَأَنْسَاكُمْ تَكَاثُرَكُمْ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ طَاعَةَ اللَّهِ .

« كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ • ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

على جهة التوبيخ .

« كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ » .

أَي : لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْيَقِينِ لَارْتَدَّعْتُمْ عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ التَّكْذِيبِ .

(١) وَاصْبِحْ عَلَى أَرْبَابِ أَتْيَاءِ الْقَشِيرِ فِي إِشَارَةِ الْبَسْمَةِ بِأَلْفِ أَلِفٍ أَلِفِ السُّورَةِ الَّتِي يَنْبَغِي حُلَّ اخْتِزَافِ الزَّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ مَقِيلاً لِلتَّفَاخُرِ وَالْإِدْمَاءِ .



« تَزَوَّدَ الْجَمْعُ • ثُمَّ لَقَوْهَا عَيْنَ

الْيَقِينِ • ثُمَّ لَقَاكَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النِّعَمِ ».

أراد جميع ما أعطاه الله من النعمة ، وطالبهم بالشكر عليها .

ومن النعم التي يُسألُ عنه العبد تخفيفُ الشرائع ؛ والرُّخصُ في العبادات .

ويقال : الماء الحار في الشتاء ، والماء البارد في الصيف .

ويقال : منه الصحةُ في الجسد ، والفراغُ (١) .

ويقال : الرضا بالقضاء . ويقال : القناعة في الميعة .

ويقال : هو للصفاة صلى الله عليه وسلم .

---

(١) في البخاري وفي سنن ابن ماجه : وثمان مفيرون فيما كثير من الناس : الصحة والفراغ .  
ومعنى الثنين : أنهما نعمتان ولكن غالب الناس يصرفهما في غير محالها .

## سُورَةُ الْعَصْرِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

كَلِمَةٌ مَنْ سَمِعَهَا لَمْ يَدَّخِرْ عَنْهَا<sup>(١)</sup> قَالَهُ ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ — سَبَّحَانَهُ — يُحْسِنُ مَا لَهُ ، وَمَنْ عَرَفَهَا لَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ بِدُونِهَا أَنفَسَهُ .

كَلِمَةٌ مَنْ صَحِبَهَا لَمْ يَمْنَعْ عَنْهَا رَوْحَهُ ؛ إِذْ وَجَدَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ لَهُ مَمْنُوحَةً .<sup>(٢)</sup>

قوله جل ذكره : « وَالْعَصْرِ • إِنَّ الْإِنْسَانَ لَقَفِي خُسْرٍ »

« العصر » : الدهر — أقسم به

ويقال : أراد به صلاة العصر . ويقال : هو المصير .

« الإنسان » : أراد به جنس الإنسان . « وأخسر » : الخسران .

وللعنى : إن الإنسان لقي عقوبة من ذنوبه . ثم استثنى المؤمنين فقال :

« إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ »

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .

الذين أخلصوا في العبادة وتواصوا بما هو حق ، وتواصوا بما هو حسن وجميل ،  
وتواصوا بالصبر .

وفي بعض التفاسير : قوله : « الَّذِينَ آمَنُوا » يعنى أبا بكر ، « وعملوا الصالحات » : يعنى عمر

(١) هكذا في ص وهي في م (عنة) .

(٢) هكذا في م وهي في ص (مفتوحة) وإن كانت هناك زيادة كاليم تنلو الميم الأول .

و «تواصوا بالحق» يعنى عثمان ، و «تواصوا بالصبر» يعنى علياً — رضى الله عنهم أجمعين .<sup>(١)</sup>

والغسران الذى يلحق الإنسان على قسرين : فى الأعمال ويتبين ذلك فى المال ، وفى الأحوال ويتبين ذلك فى الوقت والحال ؛ وهو التضيُّع بعد البسط ، والحجبة بعد القربة ، والرجوع إلى الرخص بعد إيتار الأشق والأولى .

« وتواصوا بالحق » : وهو الإيتار مع الخلق ، والصدق مع الحق .

« وتواصوا بالصبر » : على العافية . . . فلا صبرَ أتم منه .

ويقال : بالصبر مع الله . . وهو أشدُّ أقسام الصبر<sup>(٢)</sup>

---

(١) تنسب هذه الرواية إلى أبى بن كعب الذى قال : قرأت على رسول الله (ص) « والصبر » ثم قلت : ما تفسيرها يا بنى الله ؟ فقال : « والصبر » قَسَمٌ من الله ، أقسم ربكم بأمر النهار « إن الإنسان لى خسر » : أبو جهل .. إلخ آخر الرواية كما نقلها القشيري .  
(٢) انظر «الرسالة» باب الصبر ص ٩٢ .

## سُورَةُ الْهُمَزَةِ

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»

«بِسْمِ اللَّهِ»: اسمٌ مَنْ لا غَرَضَ له في أَفْضَالِهِ، اسمٌ مَنْ لا يَعْوِضُ عَنْهُ في جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ .  
 اسمٌ مَنْ لا يَصِيرُ الْمَبْدُ عَنْهُ غِنًى، اسمٌ مَنْ لا يَجِدُ الْفَقِيرُ<sup>(١)</sup> مِنْ دُونِهِ قَرَاراً، اسمٌ مَنْ لا يَجِدُ أَحَدٌ مِنْ حُكْمِهِ فِرَاراً .

قوله جل ذكره: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُْمَزَةٍ» .

يقال: رجلٌ هُمَزَةٌ لُْمَزَةٌ: أى كثيرُ الْهَمْزِ وَاللُّمَزِ لِلنَّاسِ وهو الْيَبِيبُ وَالنَّبِيَّةُ .

ويقال: الْهُمَزَةُ الَّتِي يَقُولُ في الْوَجْهِ، وَاللُّمَزَةُ الَّتِي يَقُولُ مِنْ خَلْفِهِ .

ويقال: الْهَمْزُ الْإِشَارَةُ بِالرَّأْسِ وَالْجَنْبِ وَغَيْرِهِ، وَاللُّمَزُ بِاللِّسَانِ .

ويقال: الْهُمَزَةُ الَّتِي يَقُولُ مَا في الْإِنْسَانِ، وَاللُّمَزَةُ الَّتِي يَقُولُ مَا لَيْسَ فِيهِ .

قوله جل ذكره: «الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ» .

«جَمَعَ» بِالتَّشْدِيدِ<sup>(٢)</sup> عَلَى التَّكْثِيرِ، وَبِالتَّخْفِيفِ .

«يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ» .

أى: يُقَيِّمُهُ في الدُّنْيَا . كَلَّا لَيْسَ كَذَلِكَ :

(١) الْفَقِيرُ هُنَا الْمَقْصُودُ بِهِ الْمَقْتَرِفُ إِلَى اللَّهِ، انْظُرْ آخِرَ السُّورَةِ .

(٢) هَكَذَا في م وَهِيَ في م غير موجودة، ما قد يَشْرَحُ بِاسْتِثْنَاءِ انْصِرَافِ الْكَلَامِ إِلَى وَهَدَّاهُ هِيَ أَيْضاً تَقَرُّ عَلَى التَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ .

« كَلَّا لِيُنَبِّذَنَّ فِي الْحُطَّةِ • وَمَا أَدْرَاكَ

مَا الْحُطَّةُ • نَارُ أَفْرِ الْمُوقَدَةِ • الَّتِي

تَطَّلِعُ عَلَى الْأُتَدَةِ » .

لِيُطْرَحَنَّ فِي جَهَنَّمَ • • وما أدراك ما الحطّة ؟ على جهة التهويل لها .

فهم في نار الله الموقدة التي يطلع ألحمها النّوّاد .

« إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ » .

مُطَبَّقَةٌ .

« فِي عَذَابٍ مُّتَدَدَةٍ » .

« عَذَابٌ : جمع عذاب . وقيل : إِنَّهَا عَذَابٌ مِنْ نَارٍ مُتَدَدٌ وَتَضَرَّبُ عَلَيْهِمْ ؛ كقوله :

« أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا » <sup>(١)</sup>

ويقال : الضَّيْفُ بَنِيهِ اللَّهُ قَرَرٌ ، وَالْأَنْسُ بَنِيهِ وَحْشَةٌ ، وَالزُّبُرُ بَنِيهِ دُلٌّ .

ويقال : الْفَقِيرُ مَنْ اسْتَغْنَى بِمَالِهِ ، وَالْخَقِيرُ : مَنْ اسْتَغْنَى بِجَاهِهِ ، وَلِلْفُلَيْسُ : مَنْ اسْتَغْنَى

بِطَاعَتِهِ ، وَالذَّلِيلُ : مَنْ اسْتَغْنَى بِبِرِّ اللَّهِ ، وَالْجَلِيلُ : مَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ .

ويقال : بَيِّنٌ أَنْ الْمَرْفَعَةَ إِذَا اتَّقَدَتْ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ أَحْرَقَتْ كُلَّ سُؤْلِ وَأَرْبٍ فِيهِ ، وَلِذَلِكَ

قَوْلُ جَهَنَّمَ — غَدَاً — لِلْمُؤْمِنِ : « جُزْءٌ ، يَا مُؤْمِنُ . . فَمَنْ تَوَرَّكَ قَدْ أَطْلَقَ إِلَهِي » !

---

(١) آية ٢٩ سورة الكهف .

## سُورَةُ الْفِيلِ

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

«بِسْمِ اللَّهِ» : اسمٌ غَنِيٌّ مَنْ أَطَاعَهُ أَغْنَاهُ ، وَمَنْ خَالَفَهُ أَضَلَّهُ وَأَعْمَاهُ .

اسمٌ عَزِيزٌ مَنْ وَاقَعَهُ رَقْدَاهُ إِلَى الرِّتْبَةِ السَّالِيَا ، وَمَنْ خَالَفَهُ أَقْبَاهُ فِي الْخِنَةِ الْكَبِيرَى .

قوله جل ذكره: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ

الْفِيلِ» ؟ .

«أَلَمْ يَنْفَعَكَ إِلَيْكَ فَيَا أَتَزَلَّ عَلَيْكَ عِلْمٌ مَا فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ؟» .

وفي قصة أصحاب الفيل دلالة على تخصيص الله البيتَ المتيقِّ بالحنِظَرِ والكَلَامَةِ .  
وذلك : أَنَّ أَيْرَةَ — مَلِكَ الْهِن — كَانَ نَصْرَانِيًّا ، وَبَنَى بَيْعَةً لَمْ يَصْنَعَهَا ، وَأَرَادَ هَدْمَ  
الْكَنِيبَةِ لِيَصْرِفَ الْحَجَّ إِلَى بَيْتِهِمْ .

وقيل : نَزَلَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ بِلَادَ النَّجَاشِيِّ ، وَأَوْقَدُوا نَارًا لِحَاجَةِ لَمْ ، ثُمَّ تَنَافَلُوا  
عَهَا وَلَمْ يُطْفِئُوهَا ، فَهَبَّتِ الرِّيحُ وَحَمَلَتْ النَّارَ إِلَى الْكَنِيبَةِ وَأَحْرَقَتْهَا ، فَصَدَّ أَيْرَةُ  
الْكَنِيبَةَ لِيَهْدِيَهَا يَتِيئَتِهِ .

فَلَمَّا قَرَّبَ مِنَ مَكَّةَ أَصَابَ مَائِقَى تَجَلَّوْا لِبَدِ الْمَطْلَبِ ، فَلَمَّا أَخْبَرَ بِذَلِكَ رُكْبَ إِلَيْهِمْ ،  
فَرَّقَهُ رَجُلَانِ ، قَالَ لَهُ :

لَوْ جِئْتَ . . فَلَمَّا تَلَّكَ غَضِبَانِ .

قال : واللواتِ والمرمى لا أَرْجِعُ إِلَّا بِإِذْنِ .

قيل لأبرهة : هذا سيدُ قريشِ بياك ؛ فأذنَ له ، وسأله عن حاجته ؛

فأجاب أبرهة : إنَّها لك غداً ، إنَّا قدَّمْتُ إلى البيتِ (١) .

فما ذهب للطلب إلى قريش ، وأخبرهم بما حدث ، ثم قام وأخذ بمحفلة باب الكعبة

وهو يقول :

لَا هُمْ إِنْ التَّيَّدَ بِمَنْعِ رَحْلِهِ فَاَمْنُ حِلَالِكَ

لَا يَنْلَبِزَنَّ عَلَيْهِمْ وَمَحَالَمُ عَدُوًّا مَحَالِكَ

إِنْ يَدْخُلُوا الْبِلَادَ الْحُرَا مَ فَأَمْرٌ مَا بِلَاكِ (٢)

فأرسل الله عليهم طيراً أخضر (٣) من جهة البحر طوال الأعناق ، في متار كل

طائرٍ حَبْرٌ وفي مخالبه حيران .

قيل : الحبرةُ منها فوق القدس دون الحص .

وقيل : فوق الحص دون القسطنطين ، مكتوب على كل واحدة اسم صاحبها .

وقيل : مُحَطَّطَةٌ بالسَّوَادِ . فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ ، وَمَاتُوا كُلُّهُمْ .

وقيل : كَانَ الثَّيْلُ ثَمَانِيَةً ؛ وَقِيلَ : كَانَ فَيْلًا وَاحِدًا .

وفي رواية : إِنَّهُ كَانَ قَبْلَ مَوْلَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً .

وقيل : بِثَلَاثَةِ وَعَشْرِينَ سَنَةً . وفي رواية « وَلِدْتُ عَامَ الْفِيلِ (٤) » .

قوله جل ذكره : « أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ » ؟

أى : مَكْرَهُمْ فِي إِطْلَالِ .

(١) قيل : إنَّ التجانيَّ قال له : لقد أصبحتُ بين رأييك ، وتكنى زهدت فيك حين كلتني .. أتكلمني في

- التي يميز أميتها كـ وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه ؟ فقال له عبد المطلب : أنا رب الإبل .. أما البيت لله رب بيتهم ؛

(٢) الحِلَالُ جمع حِيل . والمِحَال : القوة . والتَّيَّدَ بِالْعَيْنِ المَهْلَم : الاحتداد .

(٣) قال سيد بن جبير : هِيَ طَيْرٌ خَضِرٌ لَهَا مَتَابِقُ مَسْكُور .

(٤) وفي رواية : « وَلِدْتُ يَوْمَ الْفِيلِ » . وقال قيس بن عفرة : « وَلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ (ص) عَامَ الْفِيلِ » .

« وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ » .

« أَبَابِيلَ » : مجيئة ومتفرقة .

« تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » .

قيل بالفارسية : سنكل أو گل — أى طينٌ طَيِّخٌ بالنار كالآجر<sup>(١)</sup> .

« فَجَعَلَهُمْ كَصَفِ مَأْكُولٍ » .

« كَصَفِ » : كأطراف الزرع قبل أن يدرك . « مَأْكُولٍ » أى ثمره مَأْكُولٍ .

ويقال : إذا كان عبد المطلب — وهو كافرٌ — أخلص في التجائه إلى الله في استدفاع البلاء عن البيت — فاقه لم يُخَيِّبَ رجاءه . . . وسمع دُعاءه . . . فالتزم الخلس إذا دعا ربه لا يرده خائباً .

ويقال : إنما أُجيب لأنه لم يسأل الله لنفسي ، وإنما لأجل البيت . . وما كان لله لا يضع .

---

(١) أخرج الفريابي عن مجاهد قال : سجيل بالفارسية أوها حجارة وآخرها طين . ( نقله السيوطي في إتحافه  
ص ١٣٨ في باب ملوق في القرآن يشير لفة المرب .



## سُورَةُ قُرَيْشٍ

قوله جل ذكره: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .

«بِسْمِ» : الباء في «بِسْمِ» تشير إلى براءة سِرِّ الموحِّدين عن حسابان الجِدِّمان ، وعن كلِّ شَيْءٍ مما لم يكن فكان ، وتشير إلى الإقطاع إلى اللَّهِ في السَّراءِ والضَّراءِ ، والشَّدَّةِ والرَّخاءِ .

والسين تشير إلى سكونهم في جميع أحوالهم تحت جريان ما يبدو من الغيب بشرط مراعاة الأدب .

والميم تشير إلى مِنَّةِ اللَّهِ عليهم بالتوفيق<sup>(١)</sup> لِيَا تَحَقَّقُوا بِهِ مِنْ مَعْرِفَةٍ ، وَتَحَقَّقُوا بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ<sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره: «لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ • إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ» .

«الإيلاف» : مصدر آلَفَ ، إِذَا جَعَلْتَهُ يَأْلَفُ .. وهو أَيْنَ إِفْئَا<sup>(٣)</sup> .

والمعنى : جعلهم كصَفٍّ مَأْكُولٍ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، أَيْ لِبِئَانِقُوا رِحْلَتَهُمْ فِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

وكانت لهم رحلتان للامتنياز<sup>(٤)</sup> : رحلةٌ إلى الشام في القيظ ، ورحلةٌ إلى اليمن في الشتاء .

(١) هكذا في م وهي في م (بالتحقيق) .

(٢) يستطيع التقارى أن يربط بين لحيون البسلة كما يتلونها لتشيري هنا وبين الجوامع لسورة .

(٣) عند هذه النقطة تنتهي النسخة (م) ونحذف فيما بين من الكتاب على النسخة م .

(٤) الامتنياز طلب الميزة وجمعها ..

والمنى : أنتم الله عليهم بإهلاك عدوكم ليؤلفهم رحمتهم .  
 وقيل : فليبدوا رب هذا البيت لإيلاف قريش ، كأنه أعظم المنة عليهم . وأمرهم  
 بالعبادة :

« فليبدوا ربَّ هذا البيت • الذي  
 أطعمهم من جوع » .

فليبدوه لِمَا أنتم به عليهم .  
 وقيل : فليبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع بعد ما أصابهم من التقط  
 فيما دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم <sup>(١)</sup> .

« وأمنهم من خوف » .  
 حين جلَّ الحرم آمناً ، وأجازهم من عدوهم .  
 ويقال : أنتم عليهم بأن كفاهم الرحمتين يجلب الناس المودة إليهم من الشام ومن اليمن .  
 ووجهُ المنَّة في الإطعام والأمان هو أن يفرغوا إلى عبادة الله ؛ لأنَّ مَنْ لم يكن مكفياً  
 الأمور لا يفرغ إلى العبادة ، ولا تساعد القوة ولا القلب — إلا عند السلامة بكل وجه .  
 وقد قال تعالى :

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع <sup>(٢)</sup> » قدَّم الخوف على جميع أنواع البلاء .

---

(١) دعا عليهم الرسول (ص) لما كثروه وقال : « اللهم اجعلها عليهم سنين كثيرين يوسف • كل سنة  
 لقطع • فقالوا : يا محمد ادع الله لنا فإننا مؤمنون ، فلما فاضت الأرض ، وحملوا الطعام إلى سائر البلدان .  
 (٢) آية ١٥٥ سورة البقرة .

## سُورَةُ الدِّينِ (١)

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

«بسم الله» كلمة سماعها غنائه أرواح المحبين، ضيائه أسرار الواصلين، شفاؤه قلوب المتقين؛ بلاء موهج الساكنين، دواء كل قدير مكين<sup>(١)</sup> .

قوله جل ذكره: «أرايت الذي يكذب بالدين» .

نزلت الآية على جهة التوبيخ، والتصغير من شأن نظم اليتيم من الكفار .

قال: أرايت الذي يكذب بالدين، وبالخاص والجزاء؟

«فذلك الذي يدع اليتيم» .

يدفعه بجملة، ويقال: يدفعه عن حقه<sup>(٢)</sup> .

«ولا يحض على طعام المسكين» .

أى: لا يحض على إطعام المسكين، وإنما يدع اليتيم؛ لأن الله تعالى قد نزع الرحمة من قلبه، ولا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي .

وهو لا يحض على طعام المسكين، لأنه في شح نفسه وأمر بخيله .

قوله جل ذكره: «قَوِّلْ لِلصَّالِّينَ • الَّذِينَ هُمْ عَنْ

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ • الَّذِينَ هُمْ يُرَاوْنَ»

(١) يقول السيوطي في إتيانته: تسمى سورة أرايت، وسورة الدين، وسورة الماعون (الإتيان - ج ٥ ص ٥٥)

(٢) مرة أخرى نلفت النظر إلى ما بين إشارات البسلة والجور العام للسورة .

(٣) قال ابن جرير: نزلت في أبي سفيان، وكان ينحر في كل أسبوع جزوراً فطلب منه يتيم شيئاً؛ ففترمه بسماء .

السَّاهِي مِنَ الصَّعَةِ الَّذِي لَا يُصَلِّي . ولم يقل : الذين هم في صلاتهم ساهون . . . ولو قال ذلك لكان الأمرُ عظيماً .

« الذين هم يَراءون » : أى يصلون ويفعلون ذلك على رؤية الناس — لا إخلاصَ لهم  
« وَيَعْمُونَ الْمَاعُونَ » .

الماعون . مثل الماء ، والنار ، والكلاء ، والنفاس ، والتبذر وغير ذلك من آلة البيت ،  
ويدخل في هذا : البُخْلُ ، والشُّحُّ بما ينفع الخلقَ مما هو مُمكنٌ ومُستطاع .

## سُورَةُ الْكَوْثَرِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

« بِسْمِ اللَّهِ » اسمٌ يُجَلُّ المبدأ بإجلاله ولا يُجَلُّ هو إلا باستحقاقِ علوه في آزاله .  
اسمٌ عَزَّزْ أَعَزَّ مَنْ شَاءَ بِأَفْضَالِهِ وإِقْبَالِهِ ؛ وَأَذَلَّ أَعْدَاءَهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَغْلَالِهِ ، والتغليذِ  
في جميعِهِ وَأَنْكَالِهِ .

قوله جل ذكره : « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ » .

« الْكَوْثَرُ » : أى الخير الكثير . ويقال : هو نَهْرٌ في الجنة .

ويقال : النبوةُ والكتابُ . وقيل : تخفيفُ الشريعة .

ويقال : كثرةُ أُمَّتِهِ .

ويقال : الأَمْصَابُ والأَشْيَاعُ . ويقال : نورٌ في قلبه .

ويقال : معرفته بربوبيته .

« فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ » .

أى صَلِّ صَلَاةَ المِيدِ « وَانْحَرْ » النَّسْكَ (١)

ويقال : جمع له في الأمرين : العبادة البدنية ، والمالية .

ويقال « وَانْحَرْ » أى اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ بِنَحْرِكَ . أو ارضع يدك في صلاتك إلى غمرك (٢)

---

(١) في البخارى وغيره : قال رسول الله (ص) «أول ما نبأ به في يومنا هذا أن نصلي» ، ثم ترجع  
فتنصر ، مَنْ فَصَّلَ فَقَدْ أَصَابَ فُتُكَّتَا ، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ إِذَا مَا هُوَ لَمْ يَدْعُ لَأَهْلِهِ ، لَيْسَ مِنَ  
النَّاسِكِ في شيء لأن ترتيب الآية : صلاة ثم نحر . وقال أنس : كان النبي (ص) ينحر ثم يصل حتى نزلت .  
(٢) من حل رضى الله عنه : لَمَّا نَزَلَتِ الْآيَةُ سَأَلَ النَّبِيُّ جَبْرِيلُ : مَا هَذِهِ النَّصِيحَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا ؟  
فقال : لَيْسَتْ بِنَصِيحَةٍ وَلَكِنَّهُ يَأْمُرُكَ إِذَا نَحَرْتَ الصَّلَاةَ أَنْ تَرَفَعَ يَدَيْكَ إِذَا كَبَّرْتَ .. فزينة الصلاة رفع اليدين  
عند كل تكبير .

ويقال : ضَعَّ يَمِينَكَ عَلَى يَسَارِكَ فِي الصَّلَاةِ وَاجْعَلْهَا مَحْتًا تُحْرِكَ .  
 « إِنَّ شَاتَتَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ » .  
 أَي : لَا يُلِدْ كَرًّا بَعْدَ ، مُنْقَطِعٌ عَنْهُ كُلُّ خَيْرٍ . (١)

---

(١) قيل : هُوَ الْبَاسُ ، وقيل : هُوَ أَبُو جَهْلٍ ، وقيل : هُوَ حَقِيَّةُ بْنِ أَبِي مُصَيْبٍ . وَالْأَبْتَرُ مِنَ الرِّجَالِ : مَنْ لَا وَكْدَ لَهُ ، أَوْ مَاتَ أَبْنَاؤُهُ وَبَقِيَتْ بَنَاتُهُ .

## سُورَةُ الْكَافِرُونَ<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » كلمة مَنْ آمَنَ بها آمِنَ مِنْ زوالِ النُّمَى ، وَحَطِي بنعيمِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،  
وَسَعِدَ سَمَادَةً لَا يَنْفَى ، وَوَجَدَ مُلْكًا لَا يَفْنَى ، وَبَقِيَ فِي الرِّزْقِ وَالنَّاسِ .

قوله جل ذكره : « قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ • لَا أَعْبُدُ  
مَا تَعْبُدُونَ » .

من أصنامكم .

« وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » .

« مَا » أَعْبُدُ أَيُّ « مِنْ » أَعْبُدُ .

« وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ » .

في زمانكم .

« وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ » .

كَرَّرَ الْفِطْرَ عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيدِ .

« لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » .

أَيُّ : لَكُمْ جِزَاؤُكُمْ عَلَى دِينِكُمْ ، وَلِيَ الْجِزَاءُ عَلَى دِينِي .

(١) من أساليبها : سورة العبادة ، والمقصدية .

والمبودية<sup>(١)</sup> القيام بأمره على الوجه الذى به أَمَرَ ، وبالتدبر الذى به أَمَرَ ، وفى الوقت الذى فيه أَمَرَ .

ويقال : مِدْقُ المبودية فى تَرْكُ الاختيار ، ويظهر ذلك فى السكون تحت تصاريح الأقدار من غير انكسار .

ويقال : المبودية انتفاء الكراهية بكل وجه من القلب كيها صرَّفتك مولاك

---

(١) واضح أن إشارة القشيري تستند إلى «المبودية» بينما الآيات تتحدث عن «العبادة» ولكن الصلة وثيقة بين كليهما ذين «المبودة» : أوجع في ذلك إلى رسالة القشيري ص ٩٩ .



## سُورَةُ النَّصْرِ

قوله جل ذكره: «بسم الله الرحمن الرحيم» .

«بسم الله»: اسمٌ كريمٌ يُنْصَرُ وَيُسْتَرْ، وَيَعْلَمُ وَيَحْكُمُ<sup>(١)</sup>، ويمدح ولا ينفضح، ويصفو عن جميع ما يمتزج البعدُ وصفح؛ يَمْنَعُ المبدأ على التوالي، وَيَقْفِرُ الحقَّ ولا يُيَالَى. قوله جل ذكره: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» .

النصرُ الظَّفَرُ باليدِ، و«الفَتْحُ» فتح مكة .

«وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» .

يُسْلُونَ جماعاتٍ جماعاتٍ .

«كَسَبَحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَإِسْتَفِيرُهُ» .

أَكْبَرُ حَمْدُ رَبِّكَ، وصلِّ له، وَقَدَّسَهُ .

ويقال: صلِّ شكرًا لهذه النعمة .

«وَاسْتَغْفِرُهُ» وسَلَّ مغفرته .

«إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» .

لَمَنْ تَابَ؛ فَإِنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ .

ويقال: نصره الله — سبحانه — له بأنْ أفضاه عن نفسه، وأبعد عنه أحكامَ البشرية، وصفاه من السكودرات النفسانية . وأما «الفَتْحُ»: فهو أنْ رَفَّاه إلى محلِّ الدنوّ، واستخلصه بمخصائص الزلّة، وألبسه لباسَ الجمع . واصطلحه عنه، وكان له عنه، وَلْتَفْسِهِ — سبحانه — منه، وأظهر عليه ما كان مستورا من قَبْلِ من أسرارِ الحقِّ، وعَرَفَهُ — من كمال معرفته به — ما كان جميعُ انْتَلَقٍ مَحْطًا إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> .

(١) في ص (يحكم) ولكننا آثرنا أن تكون (يَحْكُمُ) مرجعين أن ذلك أقرب إلى الأصل؛ لأن الحليم هنا أقرب إلى السبات .

(٢) تبرز هذه الفقرة تمييزاً صادقاً عن معنى نظرة الصوفية إلى المصطفى على أنه «الصوفى الأول» .

## سُورَةُ ابْنِ هَلَبَ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » كلمة جِبَارَةٌ للذنين ، تَجِيرُ أَعْمَالَهُمْ ، وَتَحَقِّقُ آمَالَهُمْ ، وَهِيَ لِلْعَارِفِينَ تُصَوِّرُ فِي أَعْيُنِهِمْ أَحْوَالَهُمْ ، وَتُكَمِّلُ — عَنْ شَوَاهِدِهِمْ — امْتِنَاعَهُمْ <sup>(١)</sup> وَاسْتِصْغَالَهُمْ ، وَتَحَقِّقُ لَهُمْ — بَعْدَ فَنَائِهِمْ عَنْهُمْ — وَصَالَهُمْ .

قوله جل ذكره : « تَبَّتْ يُدَا ابْنُ لَهَبٍ وَتَبَّ » .

أَي : خَسِرَتْ يَدَاهُ .

« مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » .

مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَلَا كَسَبُهُ الْغَيْثُ — شَيْئًا .

وَقِيلَ : « مَا كَسَبَ » : وَلَدَهُ <sup>(٢)</sup> .

قوله جل ذكره : « سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ » وَأَمْرَأَتُهُ

حَمَلَتْهُ <sup>(٣)</sup> الْحَطْبَ » .

يَلْزِمُهَا إِذَا دَخَلَهَا ؛ فَلَا بَرَّاحَ لَهُ مِنْهَا . وَأَمْرَأَتُهُ أَيْضًا سَتَصْلَى النَّارَ مَعَهُ .

« فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » .

(١) فِي ص ( امْتِنَاعِهِمْ ) وَالصَّوَابُ أَنْ تَكُونَ ( امْتِنَاعِهِمْ ) أَي حُصُولُ الْخَيْرِ لَمْ .

(٢) حِينَ قَالَ أَبُو هَلَبٍ : « إِنَّ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَغَى حَقًّا فَلَيْزَ أَغَى نَفْسِي بِمَا لِي وَوَلَدِي » فَزُلْ : « مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ » .

(٣) وَعَلَى الرَّفْعِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ . وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِالنَّصْبِ عَلَى الذَّمِّ كَأَنَّهَا اشْتَهَرَتْ بِذَلِكَ — كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَمَعُونِينَ أَيْنَمَا تُنْفِثُوا » آيَةُ ٦١ سُورَةِ الْأَنْزَابِ .

« مَسَدٌ » شيءٌ مفتولٌ ، وكانت تحمل الشوك وتنقله وتبثه في طريق رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ويقال : سَحَقًا لِمَنْ لَا يَعرِفُ قَدْرَكَ - يا محمد . وَبُعْدًا لِمَنْ لَمْ يَشْهَدْ مَا خَصَّنَاكَ بِهِ مِنْ رَفْعِ مَحَلِّكَ ، وَإِكْبَارِ شَأْنِكَ ... وَمَنْ نَاصَبَكَ كَيْفَ يَنْفَعُهُ مَا لَهُ ؟ وَالَّذِي أَقْبِنَاهُ لِأَجْلِكَ وَقَدْ (أَسَاءَ) <sup>(١)</sup> أَعْمَالَهُ .. فَإِنَّ إِلَى الْمَوَانِ وَالْخِزْيِ مَا لَهُ ، وَإِنَّ عَلَى أَقْبَحِ حَالٍ حَالَ أَمْرَانِهِ وَحَالِهِ .

---

(١) ما بين القوسين من حديثنا فهي في النسخة م مشبهة .

## سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم »

« بسم الله » كلمة عزيزة عزّ لسانُ ذِكْرِهَا ، وأعزّ منه قلبُ عَرَفِهَا ، وأعزّ من هذا رُوحُ أَحِبِّهَا ، وأعزّ من هذا سِرُّ شَهِدِهَا .

ليس كلُّ مَنْ فَصَلَهَا وَجَدَهَا ، ولا كلُّ مَنْ وَجَدَهَا بَقِيَ مَعَهَا .

قوله جل ذكره : « قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ » .

لَمَّا قَالَ للمشركون : أَنْسُبْ لَنَا رَبَّكَ . أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : « قُلْ هو اللهُ أَحَدٌ » <sup>(١)</sup> فَنُفِيَ « هو » أَيْ : الَّذِي سَأَلْتُمْ عَنْهُ « هو » الله . ومعنى « أَحَدٌ » أَيْ : هُوَ أَحَدٌ .

وَيُقَالُ : « هو » مُبْتَدَأٌ ، « والله » خَبَرُهُ و « أَحَدٌ » خَبَرُهُ فَانْزَعُوا عَنْهُمْ كَقَوْلِهِمْ : هَذَا حُلٌّ حَامِضٌ .

« اللهُ الصَّمَدُ » .

« الصمد » : السَّيِّدُ الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ ، وَيُقَصَدُ إِلَيْهِ فِي الْمَطَالِبِ . وَيُقَالُ : الْكَامِلُ فِي اسْتِثْقَائِ صِفَاتِ اللَّحِيقِ .

وَيَرْجِعُ تَحْقِيقُ قَوْلِهِ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ إِلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا (٢) ... فِي ذَاتِهِ .

(١) روى الترمذي ذلك عن أبي العالية . وقيل : الآية جوابٌ لسؤال المشركين : صِفْ لَنَا رَبَّكَ ..  
أَمْزِنْ ذَهَبَ هُوَ أَمْ مِنْ نَحَاسٍ أَمْ مِنْ صُفْرِ ؟  
(٢) مشبهة .

« لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » .

ليس بالوالد ولا مولود .

« وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ » .

تقديره . لم يكن أحد كفوًا له .

و « أحد » أصله وَحْدٌ ، وَوَحْدٌ ، وواحد بمعنى ، وكونه واحداً : أنه لا قسم له ولا شبيه له ولا شريك له .

ويقال : السورة بعضها تفسير لبعض ، مَنْ هو الله ؟ هو الله . مَنْ الله ؟ الأحد ، مَنْ الأحد ؟ الصمد ، مَنْ الصمد ؟ الذي لم يلد ولم يولد ، مَنْ الذي لم يلد ولم يولد ؟ الذي لم يكن له كفواً أحد .  
ويقال : كاشَفَ الأمراءَ بقوله : « هو » . وكاشَفَ الأرواحَ بقوله : « الله » وكاشَفَ القلوبَ بقوله : « أحد » . وكاشَفَ نفوسَ المؤمنين بباقي السورة .

ويقال : كاشَفَ الوالدين بقوله : « هو » ، والموحدين بقوله : « الله » والعارفين بقوله : « أحد » والعلماء بقوله : « الصمد » ، والعقلاء بقوله : « لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ » ... إلى آخره .

ويقال : لما بسطوا لسانَ الذمِّ في الله أَمَرَ نبيُّنا بأنْ يردَّ عليهم فقال : « قل هو الله أحد » : أى ذمَّ عني ما قالوا ، فأنت أولى بذلك . وجئنا بسطوا لسانَ الذمِّ في النبيِّ صلى الله عليه وسلم تولى الحقُّ الردَّ عليهم ، قال : « ن . والتقم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون » وقال : « والنجم إذا هوى . ما ضلُّ صاحبكم وما غوى » أى أنا أذبُّ عنك ، فأنا أولى بذلك منك .

ويقال : خاطَبَ الذين هم خاص الخواص بقوله : « هو » فاستقوا ، ثم زاد لمن نزل عنهم فقال : « الله » ، ثم زاد في البيان لمن نزل عنهم .

قال : « أحد » ثم لمن نزل عنهم فقال : « الصمد » .

ويقال : الصمدُ الذي ليس عند الخلق منه إلا الاسم والصفة

ويقال : الصمدُ الذي تقدّس عن إحاطةٍ عِلْمِ الخلقِ به وعن إدراكِ بصرهم له، وعن إشرافِ معارفهم عليه .

ويقال : تقدّسَ بصدّيته عن وقوف المارّفين عليه .

ويقال : تَنَزَّهَ عن وقوف العقول عليه .

## سُورَةُ الْفَلَقِ

قوله جل ذكره : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« بسم الله » : اسمٌ عزيزٌ إذا تمَّ قلبه فإنَّ لَاحِقَهُ بِجِمالِهِ أحياءٌ ، وإنَّ كَاشِفَهُ بِجِلالِهِ أبادُهُ وأَفْناه ؛ فالْبِدْ في حَالَتِي : بقاءه وقائه ، ومحو وإثباته ، ووَجْدُه وقُدْرُه .

قوله جل ذكره : « قل أعوذ بربِّ الفلقِ » .

أى أمتنع وأعتصم بربِّ الفلقِ . والفلقُ المُنْبِغُ .

ويقال : هو الخلقُ كُلُّهم <sup>(١)</sup> . وقيل الفلقُ واحدٌ في جهنم <sup>(٢)</sup> .

« مِن شَرِّ ما خَلَقَ » .

أى من الشرور كُلِّها .

« وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ » .

قيل : الليلُ إِذَا دَخَلَ . وفى خيرٍ . أنه صلى الله عليه وسلم أخذ يد عاتشة ونظر إلى القمر فقال : « يا عاتشة ، تَمُودِي باللهِ من شَرِّ هذا قَافِه التَّلَسُّقِ إِذَا وَقَبَ <sup>(٣)</sup> » .

« وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فى الْعُقَدِ » .

وهن السَّواحِرُ القَوَاتِ يَنْفُثْنَ فى عُقَدِ الْخَيْطِ ( عند الرُّقِيَّةِ ) ويوهمن بإدخال

الضرر بذلك .

(١) أى هو كل ما انفلق من حيران وصبح ولوى وحسب وكنيات وغيره ..

(٢) تأخر وضع هذه العبارة قليلاً فأكتشفه فى موضعه .

(٣) رواه الترمذى . وقال أبو يحيى : هو حيث صحيح .

« ومن شرَّ جلسٍ إذا حَسَدَ » .

والحَسَدُ شرُّ الأخلاق .

وفي السورة تطعيمُ استدفاع الشرور من الله . وَمَنْ صَحَّ تَوَكَّلْهُ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي صَحَّ تَحَقُّقُهُ بِاللَّهِ ، فَلِذَا تَوَكَّلْ لَمْ يُؤَقِّعْهُ اللَّهُ لِلتَّوَكُّلِ إِلَّا وَالْمَعْلُومُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ يَكْفِيهِ مَا تَوَكَّلَ بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَإِنَّ الْعَبْدَ بِهِ حَاجَةٌ إِلَى دَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْهُ — فَإِنْ أَخَذَ فِي التَّحَرُّزِ مِنْ (١) تَدْيِيرِهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ ، وَفَهَّمَهُ وَبَصِيرَتَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ اسْتِرَاحَ مِنْ تَعَبٍ تَرُدُّهُ الْقَلْبَ فِي التَّدْيِيرِ ، وَعَنْ قَرِيبٍ يُرْفَقُ إِلَى حَالَةِ الرِّضَا . . كُنِيَ مُرَادَهُ أَمْ لَا . وَعِنْدَ ذَلِكَ الْمَلَكِ الْأَعْظَمِ ، فَهُوَ بظَاهِرِهِ لَا يَفْتَرُ مِنَ الْإِسْعَازَةِ ، وَقَلْبُهُ لَا يَخْلُو مِنَ التَّسْلِيمِ وَالرِّضَا . (٢)

(١) بعد (من) كلمة منبهة في الرسم أقرب ما تكون إلى (جيبته) .

(٢) معنى هذا أن تمام التوكل على الله أعظم مانع لعبد من أن يُلْجِمَ به نكروه نتيجة يحمر أو حسد ونحوهما . فلن يصيب عبداً إلا ما كتبته الله له .



## سُورَةُ النَّاسِ

قوله جل ذكره : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ »

بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي قَصَرَتْ عَنْهُ الْقَوْلُ فَوَقَفَتْ ، وَعَجَزَتِ الْمَلُومُ فَتَحِيَّرَتْ ، وَقَامَصَرَتْ  
لِلْمَلُوفِ فَتَنَجَلَّتْ ، وَاقْطَعَتْ الْقَهْوَمُ فَدَهَشَتْ .. وَهُوَ بِنَمَتِ عِلَالِيهِ وَوَصَفِ سَنَائِهِ وَبِهَائِهِ وَبِهِ  
كِبَرِيَّاتِهِ يُنْتَمِمْ وَلَكِنَّ الْإِحَاطَةَ فِي الْعِلْمِ بِهِ مُحَالٌ ، وَيُرَى وَلَكِنَّ الْإِدْرَاكَ فِي وَصْفِهِ مُسْتَعْصِلٌ  
وَيُتَرَفِّفُ وَلَكِنَّ الْإِشْرَافَ فِي نَمَتِهِ غَيْرُ صَحِيحٍ .<sup>(١)</sup>

قوله جل ذكره : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » .

أَعْتَصِمُ بِرَبِّ النَّاسِ خَالِقِهِمْ وَسَيِّدِهِمْ .

« مَلِكِ النَّاسِ » .

أَيُّ مَالِكِهِمْ جَمِيعِهِمْ .

« إِلَهِ النَّاسِ » .

الْقَادِرِ عَلَى إِبْجَادِهِمْ .

« مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ » .

مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ بِمَا هُوَ كَالصَّوْتِ الْخَفِيِّ .

وَيَقَالُ : مِنْ شَرِّ ذِي الْوَسْوَاسِ .

وَيَقَالُ : مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسَةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ .

(١) قَدْ جَلَّتْ لِمَعْنِيَةِ أَنْ يَسْتَشْرِفَ مِنْهَا عَالِمٌ يَطْلُقُهُ أَوْ لَعْنُهُ يَوْعُهُ ، أَوْ مَارِفٌ بِمَعْنِيَةِ .. وَكُلُّ مَا عَنَّاكَ  
هُوَ مُجْمُودٌ (قَعْلٌ) الْإِلَهِي لَا (كَلَامَاتُ) الْإِنْسَانِيَّةِ .

« والخنافس » التي ينبى ويحتس عن ذكر الله . وهو من أوصاف الشيطان .

• « الذي يؤسوس في صدور الناس »

من الجنة والناس .

قيل : « الناس » تقع لفظها على الجن والإنس جميعاً — كما قال تعالى :

« وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن »<sup>(١)</sup> فسأهم نفراً ، وكما قال :

« يهودون رجالاً من الجن »<sup>(٢)</sup> فسأهم رجالاً . . فلي هذا استماد من الشيطان الذي يؤسوس في صدور الناس ، والشيطان الذي له تسلط على الناس كالوسواس ؛ فلنفس من يقبل البعد هواجس ، وهواجس النفس ووساوس الشيطان يتقاربان ؛ إذ أن ما يدعو إلى متابعة الشهوة أو الضلالة في الدين أو إلى ارتكاب للمصيبة ، أو إلى الخصال الذميمة — فهو نتيجة الوسواس والهواجس .

وبالم بَيِّن<sup>(٣)</sup> بين الإلهام وبين الخواطر الصحيحة وبين الوسواس<sup>(٤)</sup> .

(وما تجب معرفته)<sup>(٥)</sup> أن الشيطان إذا دعا إلى محذور فلن خالفه يدع ذلك (ثم) بدعوك إلى مصيبة أخرى ؛ إذ لا غرض له إلا الإقامة على دعائك ( . . . )<sup>(٦)</sup> غير مختلفة .

(١) آية ٢٩ سورة الأحقاف .

(٢) آية ٦ سورة الجن .

(٣) في النص كلمة منبهة اخترنا ( يميز ) طبقاً لرأى القشيري كما سيوضح من المالحات التالية .

(٤) « الماخار غطاب يترد على الضائير ؛ وقد يكون بإلقاء الشيطان وقد يكون من أحاديث النفس أو من قبل الله ؛ فإذا كان من السلك فهو الإلهام ، وإذا كان من قبل النفس قيل له : الهواجس ، وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس ، وإذا كان من قبل الله — سبحانه — وإلقاه في القلب فهو خاطر حق .. وإذا كان من قبل الملك فإنما يدعى صدق موافقة العالم . . . » وسأله القشيري عن ٤٦ و ٤٧ .

(٥) هذه إضافة من جاتينا ليؤكد السياق ويتضح .

(٦) مشتبه .

## خاتمة الكتاب

بونه نهالى انتهى تحقيق كتاب « لطائف الإشارات » للإمام القشيري في غرة رجب من عام ١٣٩٠ هـ وقد استغرق هذا العمل نحو خمس سنوات كوامل ، قطعنا فيها رحلة أضنت الجسم والبصر والفكر ، ولكنها أمتعت القلب ، وأبقت الروح ، وأنشئت السر .

ولست أحب — متأثرًا بالصوفية — أن أحدث القارئ عن مقدار ما قيت من متاعب . . فهذا ضرب من دعوى النفس . . وإنما أترك ذلك للقارئ . وقبل كل شيء أضرع إلى الله — وحده — أن يحسب هذا العمل لي خيرًا عنده ، وأن يمحوا — إن شاء — من دواي بعض خطاي .

كما أدمع الله أن ينفع به كافة المسلمين في مشارق الأرض ومضاربها بمقدار ما له من قيمة علمية نادرة ، وبمقدار ما لصاحبه — رضى الله عنه — من قدر جليل في تراثنا العظيم .

والواقع . . أن أعظم ما يفسد السعادة من دواع هو هذا الاستقبال الذى حظى به الكتاب ، فقد وصلتني رسائل عديدة من أقطار شتى ، ومن علماء أجلاء من نواحر نائية كلها تحث على المسير ، وتقضى العزم ، وتلهم الصبر على إتمام هذا العمل الشاق .

ولا أحب أن أختم كلمتي قبل أن أعترف للقارئ عما قد يكون في الكتاب من قصور أو قصور ، ترجع أسباب بعضها لى ، وتقع تيمته على ، ويود بعضه إلى اللطمة — فمن شريكنا فيه كما يرجع الكثير منها إلى التسامح . .

ولا عجب في ذلك فالرحلة طويلة ، ودروبها مقشبة . ولكننا نمد — إذا شاء الله — وظهت للكتاب طبقات أخرى — أن تتحاشى قدر الوسع كل هذه الوجوه . وأكون

سميداً لو أشرتك القراء أضهبهم مى في ذلك ؛ فبشوا إلى ملاحظتهم ، فلم يد الكتاب  
منذ الآن قاصراً على وحى .

كما أعد — إن شاء الله — بتدارك ما جاء في الكتاب من عيوب الشعر التي حالت  
الظروف القاهرة دون تداركها .

لقد كان رائدنا في هذه المرحلة من التحقيق أن يصل للثن السوفى للناس ، ولكننا  
في المراحل التالية سننهض — بحول الله وقوته — بكثير من الأعمال التي تتصل بالشروح ،  
والمصطلحات ، وباقتضائها الأساسية التي نهض بها الكتاب .. فليس « لطائف الإشارات »  
بأقل من « الرسالة » التي حظيت باهتمام الأجيال المتعاقبة .

وأخيراً ، فإني آتمنى أن أكون بإخراج هذا الكتاب قد وزيت بعض الثمن الذي  
في عنق الإمام الجليل عبد الكريم القشيري — رضى الله عنه وأرضاه .  
وقتنا الله جميعاً إلى الغفر .

دكتور إبراهيم بسيوفى

أستاذ بكلية الآلسن — الزيتون — القاهرة

## الفهرس

الصفحة	اسم السورة
٥	الفجر
٢٣	القل
٥٣	القصص
٨٦	التكوير
١٠٧	الروم
١٢٧	لقمان
١٣٨	السجدة
١٤٩	الأحزاب
١٧٥	سبا
١٩٠	فاطر
٢١١	يس
٢٢٧	الصافات
٢٤٥	ص
٢٦٦	الزمر
٢٩٤	المؤمن (غافر)
٣١٩	فصلت
٣٤١	الشورى
٣٦١	الزحرف
٣٧٩	الدخان
٣٨٨	الجاثية

٣٩٥	الأحقاف
٤٠٣	محمد (صلى الله عليه وسلم)
٤١٧	الفتح
٤٣٧	الحجرات
٤٤٧	ق
٤٥٩	الماريات
٤٧١	الطور
٤٨٠	التنجيم
٤٩٣	القمر
٥٠٢	الرحمن
٥١٦	الواقعة
٥٣٠	الحديد
٥٤٨	الجمادى
٥٥٦	الحشر
٥٦٩	الممتحنة
٥٧٥	الصف
٥٨١	الجمعة
٥٨٧	الأنفال
٥٩٢	التوبة
٥٩٨	الطلاق
٦٠٤	التحریم
٦١٠	الملك
٦١٦	القلم
٦٢٤	الحاقة
٦٢٨	المعارج
٦٣٤	نوح
٦٣٧	الجن
٦٤١	الزمل
٦٤٧	الدثر
٦٥٤	النبأ

الصفحة	اسم المودة
٦٦٠	الإنسان
٦٧٠	الرسالات
٦٧٥	النبا
٦٨١	النزاعات
٦٨٧	عبث
٦٩٢	التكوير
٦٩٦	الإنفطار
٦٩٩	المطففين
٧٠٥	الإنشقاق
٧٠٩	البروج
٧١٤	الطارق
٧١٧	الأعلى
٧٢٠	الفاشية
٧٢٤	الجر
٧٢٩	البلد
٧٣٢	الشمس
٧٣٥	الليل
٧٣٩	الضحى
٧٤٣	ألم نشرح
٧٤٥	الئين
٧٤٧	العنق
٧٥٠	القلر
٧٥٢	لم يكن
٧٥٥	الزلزلة
٧٥٧	العاديات
٧٦٠	القنارعة
٧٦٢	التكالر
٧٦٤	العصر

الصفحة	اسم السورة
٧٦٦	الممزة
٧٦٨	الفيل
٧٧١	قريش
٧٧٣	الدين
٧٧٥	الكولر
٧٧٧	الكافرون
٧٧٩	النصر
٧٨٠	أبا لهب
٧٨٢	الإعلاص
٧٨٥	العلق
٧٨٧	الناس
٧٨٩	خاتمة الكتاب

التي





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٧٣٦ / ٢٠٠٠

---

I.S.B.N 977 - 01 - 6623 - 5



يقول الإمام القشيري رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى: «ملك يوم الدين»: «مَلَكٌ قُلُوبَ الْعَابِدِينَ إِحْسَانَهُ فُطِمَعُوا فِي عِطَانِهِ، وَمَلَكٌ قُلُوبَ الْمُوَحِّدِينَ سُلْطَانَهُ فُتِنُوا بِبِقَائِهِ. عُرِفَ أَرْبَابُ التَّوْحِيدِ أَنَّهُ مَالِكُهُمْ فَسَقَطَ عَنْهُمْ اخْتِيَارُهُمْ، عَلِمُوا أَنَّ الْعَبْدَ لَا مَلِكَ لَهُ، وَمَنْ لَا مَلِكَ لَهُ لَا حَكْمَ لَهُ، وَمَنْ لَا حَكْمَ لَهُ لَا اخْتِيَارَ لَهُ، فَلَا لَهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ إِعْرَاضٌ، وَلَا عَلَى حُكْمِهِ إِعْتِرَاضٌ، وَلَا فِي اخْتِيَارِهِ مَعَارِضَةٌ، وَلَا خِلَافَتُهُ تَعْرِضٌ».

و «يوم الدين» يوم الجزاء والنشر، ويوم الحساب والحشر - الحق سبحانه وتعالى يجزى كلاً بما يريد، فمن بين مقبول يوم الحشر بفضله سبحانه وتعالى لا يفعلهم، ومن بين مردود بحكمه سبحانه وتعالى لا يجرهمهم.

وأعلم عزيزى القارئ أن الإمام القشيري فى تفسيره للبسملة يلجأ إلى تفسير كل بسملة تتكرر على نحو مَلَيْتَ للنظر، إذ هى تختلف وتتوعد ولا تكاد تتشابه، ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها. فالله، والرحمن، والرحيم لها دلالات خاصة فى سورة القارعة مثلاً، ولها دلالات فى سورة النساء، ولها دلالات خاصة فى سورة الأنفال.... وهكذا.

